



سِلْسِلَةُ الرِّسَالِ الْجَامِعِيَّةِ (١)

# القُبُورِيَّةُ فِي الْيَمَنِ

نَشَاتُهَا - آثَارُهَا - مَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا

تأليف فضيلة الشيخ  
الأخ محمد بن حسن المعلم

مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية

# بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية ( قسم العقيدة ) من عمادة الدراسات العليا في الجامعة الوطنية بصنعاء ، وحصل فيها على درجة الماجستير بامتياز مع التوصية بالطبع .

حقوق النشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م

مركز الكلمة الطبية للبحوث والدراسات العلمية

الجمهورية اليمنية - صنعاء - تليفاكس : (٠٠٩٦٧ - ١ - ٢٥٣٤٦٠)

## مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .  
أما بعد :

فيقول الله عز وجل في كتابه العزيز : ﴿ ألم تركيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ (إبراهيم : ٢٤، ٢٥) .

انطلاقاً من هذه الآية ، وسعياً لتحقيق معناها المرتبط بشهادة التوحيد والإسلام ، جاءت الفكرة لتصبح واقعاً ، وها هو مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية ، في عاصمة بلد الإيمان والحكمة ، يبدأ مشواره الذي اختطه القائمون عليه بهدف المساهمة في إبراز ميراث الأنبياء ودعوة الرسل ، وتقديم المنهج الإسلامي صافياً نقياً من خلال نشر نتاج أهل العلم النجباء ، ودعاة الملة الحنفاء .

وإن من دواعي الافتخار بالسير في هذا الطريق ، أن يكون أول إصدار يتبناه المركز هو هذا السفر الجليل ، الذي يحمل عنوان : " القبورية في اليمن ، نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها " .  
إن هذا الكتاب القيم وهذا البحث الفريد لا يعالج قضية نظرية لا علاقة لها بمبدأ الحياة ، ولا قضية جدلية خاض في تحليلها محبو الكلام والفلسفة ، وإنما هو بحث علمي رصين ، يعالج قضية كبرى من القضايا المتعلقة بالعقيدة التي هي محور توجه الفرد في هذه الحياة ، ويدعو إلى تطهير هذه العقيدة من برائن دعوة شركية ما تزال تجد من يدعمها ويضحي من أجلها ؛ بسبب الجهل والهوى والشيطان .

وعندما نتعمق في مثل هذا السفر الفريد فإن نشوة السرور بالعلم وزوال الجهل وإقامة الحجة ، تظل تغمرنا طوال الوقت ؛ لحسن التقسيم ، وترتيب الطرح ودقة الشواهد وقوة الاستدلال.

و كل هذه النواحي تدل على مقدار الجهد الذي بذله المؤلف أثناء بحثه ، و ليس هذا مستغرباً ، فإن مؤلف هذا الكتاب هو أحد العلماء الأجلاء والدعاة الفضلاء من بلاد حضرموت ألا وهو فضيلة الشيخ / أحمد بن حسن العلم - حفظه الله ورعاه ، و نفع بعلمه - ، ولقد كشف هذا الكتاب ، وبكل موضوعية و حجة عن ملامح الانحراف المخالفة التي مارسها طوائف و فرق متعددة ينطبق عليها وصف القبورية .

إن مجال البحث كان مخصصاً للقبورية في نطاق اليمن ، إلا أن المؤلف جزاه الله خيراً قد ضمن كتابه من المباحث والمطالب ما جعل فائدة البحث حاصلة لكل من أراد التعرف على أبعاد هذا الموضوع سواء كان داخل اليمن أو خارجها ، ولكل من أراد البحث عن العقيدة الصحيحة ممن هو داخل تحت تلك الفرق المنحرفة .

وإننا في مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية ندعو الله عز وجل أن يجعل من هذا الكتاب مساهمة في تحقيق مضمون الكلمة الطيبة التي أشارت إليها الآية ، وأن يجعله لبنة جديدة في طريق تنقية العقيدة الإسلامية وإزالة الخرافات والشبهات المضللة ، كما نسأله عز وجل أن يكتب عظيم الأجر والثواب للمؤلف ، وأن يرفع درجاته في جنات نعيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

مركز الكلمة الطيبة

للبحوث والدراسات العلمية



## المقدمة

الحمد لله الذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتاب ، وأبان ما ترتب عليها من الشقاوة والهلاك في الدنيا والآخرة ليعتبر بذلك أولو الألباب ، وحدد بداية الانحراف نحو الشرك وأسبابه لتحذّر وتجتنب تلك الأسباب ، وكره إلينا الأخذ بسبل الضالين والمغضوب عليهم كما نقرأه صباحاً ومساءً في أم الكتاب ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيد ، وختم حياته وهو يحذر من الشرك والتنديد ، وأسباب ذلك ، وخص منها البناء على القبور على وجه التحديد، ﷺ صلاة وسلاماً دائمين مستمرين إلى يوم الوعيد ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، الذين فقهوا إشارته وطبقوا عبارته ، فحجبوا قبره عن الأنظار لما خشوا أن يترتب على ظهوره من الفتن والأخطار ، ورضي الله عن خلفائه الذين كانت خلافتهم على منهاج النبوة فما انحرفوا عنه ذات يمين ولا يسار ، وما تخلوا منه عن قليل ولا كثير ، ولا نكير ولا قطمير .

وكان مما عملوا به بمقتضى منصب الخلافة تسوية المشرف من القبور ، وتفقد المقابر مما قد يستجد فيها من أمر منكور ، أو بناء معمر ، وتبعهم على ذلك غالب ولادة الأمور إلى أن انقضت تلك القرون الفاضلة وتصرمت تلك العصور .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ شهادة معترف بالتقصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير .

أما بعد : فإن من أبرز أهداف الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله الحفاظ على عقيدة المسلمين صافية نقية كما جاء بها رسول الله ﷺ ومحاربة كل ما يهدد سلامتها ويحط من مكانتها .

ولقد قام الصحابة من ذلك بأوفر نصيب ، فجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وألسنتهم ، وتبعهم على ذلك من سار على منهاجهم من التابعين ، وتمسك بحبل مودتهم من

اللاحقين ، وما زالت الطائفة المنصورة من أتباعهم على الحق ظاهرين ، ولمن خرج عن الصراط قاهرين ، وستبقى هذه الطائفة قائمة على الحق بإذن الله إلى يوم الدين ، لا يضرها كيد الكائدين من المخالفين ، ولا خذلان القاعدين من المألفين ، ولقد تنوعت أساليب جهادها وميادين حريها لأعدائها ما بين السيف والسنان والقلم واللسان ، وبين جهاد الكفار الظاهرين والمبتدعة والمنافقين ، كل بما يليق بحاله ويحقق إزالة منكره وضلاله ممثلين قول الحق سبحانه : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾<sup>١</sup> ، وقوله سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾<sup>٢</sup> ، وبذلك حفظ الله هذا الدين وثبت الإيمان واليقين .

ولكن قضاء الله المبرم وسننه الكونية التي لا تخرم ، قضت بانحراف طوائف من هذه الأمة ، وأخذها بسنن الأمم الماضية والقرون الخالية في جوانب مختلفة من عقائدها وأعمالها ، وكان لكل فرقة حلية وشعار يعرفه من طالع كتب تاريخ العقيدة على تتابع الأعصار ، وكان من أبرز شعارات الشيعة الغالية والصوفية الجاهلة التي هي من العلوم خالية - الغلو في الصالحين من الأئمة والأولياء - غلوا حملهم على أن ( أخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، و ربما شبهوا الإله بالخلق )<sup>٣</sup> ، ولأجل أنهم قد فارقوا الحياة ، ولا يمكن الالتقاء بذواتهم الباليات ، عمدوا إلى تشييد المشاهد والقباب لتكون ملجأً إليه يلجؤون وعليه يعولون ، كما صور عبّاد الأوثان صور الأنبياء والصالحين وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل ، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله كما قرر ذلك الإمام الفخر الرازي<sup>٤</sup> .

ومن منطلق الغلو في البشر تولدت العقائد الضالة ، والتصورات المنحرفة ، والأعمال الباطلة المراغمة لصرائح آيات الكتاب ، وصحيح السنة الذي لا شك فيه ولا ارتياب .

<sup>١</sup> التوبة ( ٧٣ ) .

<sup>٢</sup> النحل ( ١٢٥ ) .

<sup>٣</sup> الملل والنحل ( ١ / ١٢٧ ) .

<sup>٤</sup> انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( ١٧ / ٦٠ ) .

ومنذ أن ظهر ذلك الانحراف والعلماء لهم بالمرصاد ، ينكرون تلك الضلالات ، ويقررون أحكام تلك البدع والمنكرات ، بين مصرح وملح ، ومقل ومستكثر ، لم يختص بذلك مذهب دون مذهب<sup>١</sup> ، أو عصر دون آخر ، وإن كان يقوى الإنكار حيناً ، ويضعف حيناً آخر على مقتضى الأحوال ، كما أن القبورية نفسها كانت تسفر عن وجهها حيناً وتبرقع بالتقية حيناً آخر .

وفي عصرنا هذا ، عصر الصحوة المباركة ، التي أقضت مضاجع الكافرين ، ودوخت جنود الغازين المعتدين ، وأشعرت طوائف الكفر المختلفة : أن الجولة القادمة للإسلام ، وأن الخصم الحقيقي للكفر وأهله هم أبناء الصحوة ورموزها العظام ، السائرون على منهج أسلافهم الصالحين الكرام ، فصمم الكفار على محاربة هذا الاتجاه لتمسكه الصارم بجميع ما تقتضيه لا إله إلا الله ، وأرادوا أن يحل محلهم من يُجرّئ ذلك وفق شهوته وهواه ، فشجعت دوائر النظام الدولي الجديد ووكلاؤها في بلاد المسلمين سائر الفرق الضالة المنتمية للإسلام على الظهور والتصدر والانتشار في الساحة الإسلامية ، لتكون البديل المناسب الذي يمكن التعامل معه باسم الإسلام ؛ لإلغاء وجود العلماء العاملين والدعاة الصادقين وأتباعهم المخلصين .

ومن تلك الطوائف التي وقع عليها الاختيار الصوفية المنحرفة ، وقد رأينا آثار ذلك الاختيار في صورة دعم مادي ومعنوي للطرق الصوفية ، ودعاة القبورية المعاصرين ومنهم رموز في اليمن ، حيث قد ثبت اهتمام السفارات الأجنبية بأولئك الرموز ، ومؤسساتهم الدعوية العلمية بل إن بعض السفارات قد قدمت الدعم المادي القوي لبناء بعض مشاريعهم التعليمية وغيرها ، وبذلك نشطت الصوفية في اليمن نشاطاً ملحوظاً ، حيث أقامت الجمعيات والجامعات ، وأعادت فتح الأريطة التعليمية القديمة ، وأنشأت أخرى جديدة ، وأسست دور نشر ومكتبات ، لبعث تراثهم الفكري ومنهاجهم القبوري ، وشرعت في تجديد وترميم المشاهد والقباب ، وإعادة الزيارات القبورية لسالف عهدها .

<sup>١</sup> وليبيان جهود علماء المذاهب المختلفة في الرد على القبورية الفت رسائل علمية في جهود كل مذهب على حده ، هي : "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" للدكتور : شمس الدين السلفي الأفغاني ، "جهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة" للدكتور عبدالله العنقري ، و"جهود أئمة المالكية" للشيخ : عبدالله العرفج ، أما علماء الحنابلة فجهودهم أكثر من أن تحصر في كتاب .

وذلك في نظري تهديد مباشر للعقيدة ، وتوهين للأتباع ، وعمل على نشر الشرك والابتداع ، فكان من الواجب على كل قادر أن يذب عن هذا الدين ، ويدافع عن عقائد المسلمين ، ومن أنجح هذه الوسائل حسب اعتقادي ، كشف حقيقة الخصم ، وتعرية مبادئه ومناهجه ؛ ليحذره الناس ، ويتحصنوا عن الاغترار بدعوته والوقوع في فتنته ، فجاءت هذه الرسالة التي أكتبها لإتمام متطلبات التخرج في مرحلة الماجستير وسميتها " القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها " .

### أسباب اختيار الموضوع :

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع أسباب منها :

- (١) ابتغاء الأجر والثواب بالاسهام في تنقية العقيدة مما نسب إليها الانحراف والضلال .
- (٢) رغبتى الذاتية الملحة في معرفة أسرار الفرق القبورية ، والتأكد مما يقوله الناس عنها وإقامة الدليل على ماصح من ذلك من كتب القوم أنفسهم .
- (٣) ما سبقت الإشارة إليه من وجود خطورة على عقيدة المسلمين ، تمثلها الدعوة القوية للقبورية وتزيين مبادئها وأعمالها ونشر كتبها وفكرها ، فالقبورية من أقوى معاول هدم العقيدة وزعزعة قواعد التوحيد ؛ لذا وجب بيان حقيقتها ، وكشف مساوئها وتحذير المسلمين من خطرها .
- (٤) أن التراث الصوفي والشيوعي الذي يُضخ إلى عقول ونفوس الأمة ، لو وصل مباشرة إلى القارئ دون تعليق أو تنبيه عليه من قبل من يعرف حقيقته ؛ قد يؤثر في النفوس ، لما يشتمل عليه من شبهات وتزيين للباطل ؛ فلذا لزم قراءة ذلك الفكر قراءة علمية وكشف ما يحتوي عليه من باطل ثم توعية الأمة به من وجهة نظر أهل السنة ؛ ليكون في ذلك حصانة للقارئ والباحث عن الحق من العوام وأشباههم .

٥) أن كثيراً من طلاب العلم والدعاة يعرفون حقيقة القبورية بصورة مجملّة ، فهم يبغيضونها ويحاربونها ، ولكنهم يخفقون في بعض الأحيان لعدم المعرفة المفصلة بها ، فأردت أن أقدم لهم زاداً يفيدهم في هذا الميدان .

٦) أن من يدرس الصوفية " القبورية " في العالم الإسلامي ويمثل بأقوال وأفعال المتصوفة ، لا يكاد يذكر مثلاً عن صوفية اليمن ، وكأنه لا يوجد تصوف في اليمن ، مغرق في الغلو والضلال ، كما هو الحال في بقية بلدان المسلمين ، فأردت أن أقدم هذه المادة من فكر صوفية اليمن يستفيد منها الباحثون ويمثلون بها متى شاءوا .

هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ، وهي دوافع وجيهة في نظري ، إذ لا أهم من التحذير من الشرك والعمل على حماية التوحيد ، فهذان الأصلان هما خلاصة دعوة الرسل عليهم السلام ، وأما اعتراض من يقول إن الوقت ليس وقت الردود والصراع داخل الصف الإسلامي ، فإن ذلك المعارض عليه أن يوجه هذا اللوم إلى من ينشر الشرك والبدع ؛ إذ ذلك هو السبب الحقيقي للصراع والنزاع ، كما قرره القرآن قال تعالى : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾<sup>١</sup> ، قال قتادة : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ إن القوم لما تركوا كتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده ، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا<sup>٢</sup> .

## منهج البحث

ولما استقر الرأي على البحث في هذا الموضوع بعد المشاورة والتباحث مع الكثير ممن أثق بهم من علماء اليمن ، وتشجيعهم لي على المضي في هذا السبيل ، عزممت متوكلاً على الله ،

<sup>١</sup> المائدة ( ١٤ ) .

<sup>٢</sup> تفسير ابن جرير ( ١٠٢ / ٦ ) .

فجمعت ما تيسر من المراجع المتعلقة بالموضوع وبالأخص كتب التشيع والتصوف ، وقد حصلت على بعض كتب الشيعة وكثير من كتب الصوفية اليمينية وبالأخص صوفية حضرموت منها المطبوع وبعض المخطوطات المصورة : ثم قراتها وجمعت المادة المطلوبة وصنفتها حسب ما يخدم الموضوع .

وقد اتبعت في كتابتها هذا المنهج :

- ١) حرصت على إكمال صورة الموضوع بأن ذكرت ابتداء القبورية منذ فجر التاريخ كما قصها القرآن الكريم ، ثم مررت بقبورية اليهود والنصارى واليونان ؛ لإخبار النبي ﷺ عن شبه هذه الأمة بهم ولوقوع ذلك فعلاً ، ثم مررت بقبورية ووثنية العرب لإكمال التقسيم ، وقد أرخت للقبورية في العالم من كتب التاريخ والتفسير والحديث عند أهل السنة وكذلك القبورية في الأمة ، وكان كثير من مراجعي هي كتبهم ولكن بواسطة كتب العلماء الثقات والرسائل العلمية المعتمدة ، مع ذكر المصدر الأصلي والواسطة التي أخذت عنها ، بالإضافة إلى ما تيسر لي الحصول عليه من المصادر الأصلية .
- ٢) أما قبورية اليمن فلم أخذ أقوالهم إلا من كتبهم أنفسهم بدون واسطة ، وقد التزمت دقة النقل والحفاظ على نصوصهم كما هي ، حتى أنني أدع كلامهم على ما هو عليه وإن كان فيه أخطاء ، وقد أنبه على بعض الأخطاء الفاحشة وغير الفاحشة وقد أدع ذلك لإدراك القارئ .
- ٣) هناك نصوص كثيرة لم يلتزم أصحابها اللغة الفصحى ولم يتقيدوا بقواعد النحو وقد نقلتها كما هي ، وإن رأيت شيئاً منها يحتاج إلى توضيح أوضحته في الهامش .
- ٤) لم أحتج من الأحاديث إلا بحديث صححه عالم معتبر من علماء الحديث ، وأما الروايات التاريخية فأعتمد منها ما اعتمده العلماء وتناقلوه في كتبهم ، ولم أر من وهأها أو انتقلها من حيث السند ، وهذه الروايات بالطبع لا يبنى عليها حكم ، وإنما يستشهد ويستعان بها على تصوير الموضوع وتجلية ملامحه .
- ٥) عزوت جميع الآيات إلى سورها ، وخرجت جميع الأحاديث التي استدلت بها وغالب الأحاديث التي جاءت ضمن النقول عن الآخرين وكافة الآثار التي استدلت بها كذلك

إلا ما ندر ، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما مع ذكر موضعه من الكتاب والباب إضافة إلى رقم الجزء والصفحة ، وما كان في غيرهما خرجته من عدد من المراجع التي يطمئن القارئ بالرجوع إليها ، مع إيراد حكم علماء الحديث عليها دون أن أبدي رأيي غالباً مكتفياً بحكمهم .

(٦) شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة حيث أرى لذلك فائدة ، وقد أترك بعضها إما لعدم الجدوى من شرحها أو للاختصار وضيق الوقت .

(٧) لم ألتزم بالتعريف بالأعلام جميعاً وإنما عرفت بالأعلام المهمة ، أو من له علاقة بالبحث الذي يرد فيه ، وأما الصحابة وكبار المؤلفين وأصحاب الأمهات الحديثية ، فلم أتعرض لهم إلا لغرض خاص وذلك لشهرتهم ولثلا أثقل كاهل الرسالة ، وهناك جماعة من الأعلام اكتفيت بذكر تاريخ وفاتهم مع الإحالة إلى تراجمهم عند المؤرخين وعلماء التراجم .

(٨) لقد قصدت إلى جمع أكثر عدد من النصوص والحكايات الصادرة عن القبورية وعرضها على الباحثين المهتمين بدراسة القبورية والصوفية ، للاستفادة منها في أبحاثهم ودراساتهم ، ولم يكن قصدي الدراسة الوافية لتلك النصوص دراسة عقدية تلزمني بالإسهاب في المعالجة ، وإنما علقت على بعض تلك النصوص تعليقات موجزة مناسبة لهذا القصد ، ولم أتوسع إلا في مواضع دعت الحاجة إلى التوسع فيها ، وأنا أعلم أنني لم أعطِ البحث حقه ، غير أنني أرجو أن أكون قد وفقت لفتح هذا الباب والولوج في هذا المسلك الذي ظل مهجوراً لم يقتحم مجاهله أحد حسب علمي بالصورة التي سرت عليها ، ولعل الله أن ييسر لي أو لغيري من الباحثين العودة إلى تلك المباحث والتعمق في دراستها وتوسيع نطاقها ، لتقديم صورة شاملة ومعالجة شافية لها ، نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وكشفاً للباطل وإزهاقاً له .

(٩) لإتمام الاستفادة قمت بعمل فهرس للرسالة هي :

أ) فهرس الآيات .

ب) فهرس الأحاديث .

ج ( فهرس الآثار .

د ( فهرس الأعلام المترجمين .

هـ ( فهرس المصادر والمراجع .

و ( فهرس الموضوعات .

وقد قمت باختصار أسماء بعض المراجع التي يكثر الرجوع إليها ومنها :

اسم المرجع	الاسم المختصر
فتح الباري .....	الفتح
سير أعلام النبلاء .....	السير
طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص .....	الطبقات
المشعر الروي .....	المشعر
القاموس المحيط .....	القاموس
كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية .....	كنوز السعادة
هجر العلم ومعاقله في اليمن .....	هجر العلم
بذل الجهود في خدمة ضريح نبي الله هود .....	بذل الجهود
العسجد المسبوك .....	العسجد
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون .....	قرة العيون
غرر البهاء الضوي .....	الغرر

وكتب الشيخ الألباني صحيح السنن ( أبي داود ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجه ) في الغالب أخرج الحديث من كتاب السنن نفسه ، ثم أقول وصححه شيخنا في صحيحه ، أي في صحيح ذلك الكتاب .



## خطة البحث :

وعندما عزمت على كتابة رسالة التخرج حسب متطلبات إنهاء مرحلة الماجستير فكرت في الموضوع الذي أطرقه بحيث يكون موضوعاً حياً حاضراً في الساحة ، وبحيث تنشر الرسالة وتفيد ولا تبقى على الأرفف ككثير من الرسائل التي كتبت لتجرد الحصول على الشهادة ، وقد شاورت في ذلك وياحنت كثيراً ممن أثق بهم من مشايخي علماء اليمن وإخواني طلاب العلم ، وكان هذا الموضوع يراود نفسي منذ أمد بعيد فشجعتني عليه من شاورته وحفزني على المضي فيه من ناقشته ، وعند ذلك توكلت على الله وكتبت هذه الرسالة " القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها "

وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وخاتمة .

المقدمة وقد أبت فيها أهمية الموضوع والأسباب التي دفعتني لاختياره ومنهجي في

البحث وخطة الرسالة .

### الباب التمهيدي :

وقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القبورية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف القبورية لغة .

المطلب الثاني : تعريف القبورية اصطلاحاً .

المبحث الثاني : خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الشرك وخطورته

المطلب الثاني : الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك .

المطلب الثالث : الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية .

المطلب الرابع : كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك .

المبحث الثالث : هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها .  
وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على  
كرامة الأموات وعقيدة الأحياء .  
المطلب الثاني : تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء .  
وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعاملهم مع قبر النبي صلى الله عليه وسلم .  
المسألة الثانية : تعاملهم مع النبي دانيال عليه السلام حين عثروا على  
جسده .

المطلب الثالث : كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل  
الحجرة النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك .  
المطلب الرابع : هدي الإسلام في زيارة القبور .

### الباب الأول : نشأة القبرورية

وفيه أربعة فصول :

#### الفصل الأول : نشأة القبرورية في العالم

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : نشأة القبرورية في العالم بأسره .  
وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك .

المطلب الثاني : إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في  
الصالحين .

#### المبحث الثاني : القبرورية عند اليهود والنصارى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القبورية عند اليهود

المطلب الثاني : القبورية عند النصارى .

المبحث الثالث : قبورية اليونان

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : قبورية الأمة اليونانية .

المطلب الثاني : قبورية فلاسفة اليونان .

المطلب الثالث : اتباع قبورية المسلمين للفلاسفة في علة زيارة القبور .

المبحث الرابع : القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة .

المطلب الثاني : القبورية أصل الوثنية عند العرب .

المطلب الثالث : انتشار الأصنام في جزيرة العرب .

المطلب الرابع : الحنفاء من العرب .

الفصل الثاني : القضاء على الوثنية والقبورية على عهد رسول الله ﷺ والصحابه والتابعين

إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ .

المطلب الثاني : قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب .

المبحث الثاني : إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك الى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع

من عودة الشرك إليها مطلقاً .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب .

المطلب الثاني : الرد من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب .

المبحث الثالث : خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة من وجود المشاهد والمساجد على القبور .

المطلب الثاني : ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون .

المطلب الثالث : الرد على ما استدلوا به على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون .

المطلب الرابع : التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فسايطط ونحوها .

المطلب الخامس : محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك .

الفصل الثالث : نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف بأهم الفرق القبورية .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الشيعة رائدة القبورية في الأمة المحمدية .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التعريف

المطلب الثاني : نشأة الشيعة وأهم فرقها .

المطلب الثالث : عقائد الشيعة الباعثة على القبورية .

المطلب الرابع : دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة .

المبحث الثاني : الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالصوفية .

المطلب الثاني : نشأة التصوف .

المطلب الثالث : العلاقة بين التصوف والتشيع .

المطلب الرابع : عقائد الصوفية الباعثة على القبورية .

المطلب الخامس : دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة .

المبحث الثالث : مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : لمحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ .

المطلب الثاني : الباعث الذاتي لقبورية السلاطين .

المطلب الثالث : الباعث السياسي لقبورية السلاطين .

الفصل الرابع : نشأة القبورية في اليمن

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حال اليمن قبل نشوء القبورية .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إسلام أهل اليمن .

المطلب الثاني : رسل النبي ﷺ إلى اليمن .

المطلب الثالث : مذاهب اليمنيين من فجر الإسلام إلى قيام الدولة الصليحية .

المطلب الرابع : استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له .

المبحث الثاني : الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : طوائف الإسماعيلة التي دخلت اليمن .

المطلب الثاني : لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن .

المطلب الثالث : دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن .

المطلب الرابع : استمرار القبورية الإسماعلية .

المبحث الثالث : مساهمة السلاطين في نشر القبورية في اليمن :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السلاطين هم وراء المظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية .

المطلب الثاني : مساهمة أئمة الزيدية في نشر القبورية في اليمن .

المطلب الثالث : مساهمة الدولة الرسولية في نشر القبورية في اليمن .

المبحث الرابع : نشأة التصوف وأهم الطرق الصوفية في اليمن .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأة الصوفية في اليمن .

المطلب الثاني : أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن .

الباب الثاني : آثار القبورية

وفيه مدخل وثلاثة فصول :

المدخل : وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين .

الفصل الأول : عقائد القبورية الضالة .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عقيدة القطبية و التصرف في الكون .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف القطب

المطلب الثاني : اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن .

المطلب الثالث : التصرف في الكون أهم وظائف القطب .

المطلب الرابع : فروع عقيدة التصرف في الكون .

المبحث الثاني : عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية .

المطلب الثاني : إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة .

المطلب الثالث : الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ يقظة .

المطلب الرابع : لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد .

المبحث الثالث : الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : حقيقة الخضر عند أهل السنة .

المطلب الثاني : حقيقة الخضر عند الصوفية . .

المطلب الثالث : نماذج من دعاوى الصوفية رؤية الخضر <sup>عليه السلام</sup> .

المطلب الرابع : إبطال دعوى القوم ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له .

الفصل الثاني : تعظيم القبور .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة .

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : اعتقاد تعظيم وبركة مقابر مخصوصة .

المطلب الثاني : اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة .

المطلب الثالث : اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور .

المطلب الرابع : اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور .

المطلب الخامس : اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين .

المطلب السادس : اعتقادهم أن بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة .

المبحث الثاني : ظاهرة البناء على القبور والباسها .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : القبور المعظمة الثابتة لأصحابها .

المطلب الثاني : القبور المنسوبة إلى الأنبياء ، والقبور المجهولة .

المطلب الثالث : طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها .

المطلب الرابع : الأنصاب والمشاهد التي لا قبور فيها .

المطلب الخامس : إلباس القبور وكسوتها .

المبحث الثالث : الزيارات القبورية .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي .

المطلب الثاني : ظاهرة الزيارات القبورية .

المطلب الثالث : شعائر الزيارات القبورية .

المطلب الرابع : الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلته بالعقائد القبورية .

المطلب الخامس : الانحراف العقدي المترتب على تلك الزيارات .

الفصل الثالث : أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : إثبات أن من الصوفية ( القبورية ) من يتعاطى علوم

السيميا وأسرار الحروف والأوقاف والرمل .

المطلب الثاني : إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من

العلوم .

المطلب الثالث : إثبات أن منهم من يستخدم الجن .

المطلب الرابع : إثبات أن علوم السيميا وأسرار الحروف والأوقاف من علوم

السحر .

المطلب الخامس : تعريف الرمل ، وأنه من الكهانة وبيان حكمه شرعاً .

المبحث الثاني : نشر الخرافة في الأمة .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : في تعريف الخرافة .

المطلب الثاني : الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية .



المطلب الثالث : الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة .

المطلب الرابع : آثار انتشار الخرافة .

المبحث الثالث : التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : عدالة الإسلام وتسويته بين الناس .

المطلب الثاني : إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب

والعلم والولاية .

المطلب الثالث : مظاهر التمايز الطبقي .

المطلب الرابع : نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق

سلطتهم واستعلائهم .

المبحث الرابع : انتشار الجهل والامية في الأمة .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية .

المطلب الثاني : أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية .

المطلب الثالث : تجهيل الأمة .

الباب الثالث : مواجهة علماء اليمن للقبورية .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : أساليب القبورية في محاربة مخالفيها .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسلوب الاحتواء والاختراق .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : محاولة احتواء المخالف .

المطلب الثاني : محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم .

المبحث الثاني : الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم .

المطلب الثاني : استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف .

المبحث الثالث : استخدام القوة في محاربة الخصم .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : اللجوء إلى السلطان .

المطلب الثاني : اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع

خصومهم .

المطلب الثالث : اعتماد التصفية الجسدية للخصوم .

المطلب الرابع : تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة .

الفصل الثاني : موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في

مواجهتها .

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد : في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد .

المبحث الأول : موقف علماء اليمن من القبورية الإسماعيلية وجهودهم المشكورة

لمواجهتها .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية .

المطلب الثاني : أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن .

المطلب الثالث : المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية .

المبحث الثاني : المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية .

وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى ( صنعاء وما يليها ) .
- المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل ( من إب إلى عدن ) .
- المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية .
- المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية .

المبحث الثالث: الردود الواردة في ثنايا كتب الفنون المختلفة .

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: ردود في كتب التاريخ .
- المطلب الثاني: ردود على القبورية جاءت على أسنة الشعراء .
- المطلب الثالث: نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد بعض عقائد وأعمال القبورية .
- المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية .

المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية .

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في اليمن
- المطلب الثاني: دعوة الإرشاد باندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن .
- المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية
- المطلب الرابع: الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن .

## شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على مننه العظيمة ونعمه الجسيمة ، التي من أعظمها علي إتمام هذه الرسالة بهذه الصورة ، فله سبحانه جزيل الحمد والشكر .

ثم إنني أثني بشكر كل من أعان برأي أو مشورة أو تصويب خطأ أو دلالة على حق في كافة مراحل عملي ، وهم كثر لا تتحمل هذه المقدمة ذكرهم ، ولكن أخص بالشكر شيخي الجليل العلامة حسن بن محمد مقبولي الأهدل الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على الرسالة ولم يبخل عليّ بنصحه وتوجيهه ، كما لم يبخل عليّ بوقته الثمين فجزاه الله خير الجزاء ، وأشكر كذلك صاحبي الفضيلة أ. د. إبراهيم بن إبراهيم القريبي ، رئيس قسم الدراسات بكلية التربية جامعة الحديدة ، وأ. د. غالب بن عبدالكايف القرشي ، الأستاذ بكلية الشريعة جامعة صنعاء عضو المجلس الاستشاري وزير الأوقاف والإرشاد سابقاً ، على تفضلهما بقراءة الرسالة وإبداء الملاحظات القيمة عليها ، وتصويب بعض أخطائها ومناقشة ذلك ، فجزاهما الله خير الجزاء ، كما أشكر فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بكير ، لتعاونه الكبير معي وإمدادي ببعض ما احتاجه مما لديه من علم ومصادر ومعرفة بتاريخ حضرموت ، وكذلك فضيلة الشيخ العلامة علي سالم سعيد بكير ، الذي أمدني بعدد من المصادر ما كنت لأحصل عليها إلا من طريقه ، وكذلك أمدني بالكثير من الآراء والملاحظات القيمة .

ومثله القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع ، الذي رجعت إليه كثيراً فيما يتعلق بتاريخ اليمن وأعلامها ، كما أشكر الأخ الأستاذ وليد بن عبدالرحمن الربيعي ، الذي حصلت بواسطته على مصورات لعدد من المراجع المخطوطة والمطبوعة النادرة .

كما أشكر الولد البار والصهر الوفي حسين بن علي بن محفوظ ، الذي لازمني طوال عملي في الرسالة وقام بجهود مشكورة في الطباعة والمراجعة وغير ذلك ، وكذا أشكر الأخ الكريم عبدالله بن علي بارجاش ، الذي تولى طباعة معظم الرسالة ، فلهما خالص الشكر ومن الله جزيل الأجر .

وإن أنس قلن أنسى شكر شيخي الجليل وأستاذي الفاضل أبي عبدالله حسن باعمر العمودي ، الذي غرس في نفسي حب التوحيد والاتباع ، وكرهه إلي الخرافة والابتداع ، وأخذ بيدي منذ نعومة أظفاري إلى مجالس العلماء ويسر لي التعرف على المشايخ الفضلاء ، ومازال



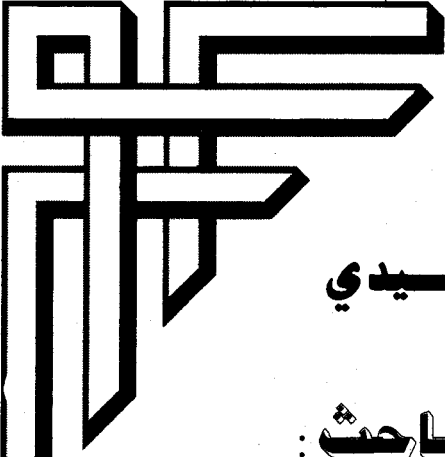
يتعهدني ويتفقد أحوالي إلى اليوم ، وما أحسب هذا العمل إلا ثمرة من ثمار غرسه المبارك ،  
أسأل الله أن يجزيه خير ماجزى معلماً عن تلميذه .

كما أشكر الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء الذين تفرغوا معي أياماً متوالية يواصلون  
الليل بالنهار بالتصحيح والمقابلة وإتمام الطباعة ، برئاسة الشيخ الكريم أبي مروان صالح بن  
مبارك دعكيك ، فجزاهم الله خيراً وكتب ذلك في ميزان حسناتهم ، وأجرى عليهم من أجر  
هذه الرسالة إن قبلها وأثاب عليها .

ولا أنسى شكر رئاسة الجامعة الوطنية وعمادة الدراسات العليا بها ، وكافة المنتسبين  
إليها على إتاحة الفرصة لي ، وقبولي طالباً من طلاب الجامعة ، وتقديم كافة التسهيلات ،  
حتى يسر الله لي إتمام الرسالة ومناقشتها فجزاهم الله خيراً ووفقهم للمضي في خدمة الأمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .





## **الباب التمهيدي**

**وفيه ثلاثة مجلدات :**

**المبحث الأول : تعريف القبورية .**

**المبحث الثاني : خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك  
والوثنية .**

**المبحث الثالث : هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها .**





## المبحث الأول

### تعريف القبورية

وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : تعريف القبورية لغة :

القبورية لغة : جمع قبوري ، وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء .

وقد سَوَّغ نسبته للجمع - مع أن له واحداً مستعملاً من لفظه - أنه صار ( جارياً مجرى العلم لا اختصاصه بطائفة بأعيانهم ؛ كأنصاري نسبة إلى الأنصار ، وأصولي نسبة إلى علم الأصول ؛ لأنه غلب على علم خاص حتى صار كالعلم عليه )<sup>١</sup>.

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدّسي القبور والغلاة فيها سائفاً ؛ لأنه قد صار كالعلم عليهم . وأصل القبورية مأخوذ من " القبر " وهو مدفن الإنسان إذا مات . وجمعها قبور ، والمقبرة : موضع القبور ، وجمعها مقابر . وقبرت الميت قبراً إذا دفنته ، وأقبرته " بالألف " أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً<sup>٢</sup>.

#### المطلب الثاني : تعريف القبورية في الاصطلاح :

دأب العلماء - رحمهم الله تعالى - على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى ، وقصدها بأنواع العبادات والقربات ودعاء أربابها من دون الله تعالى .

و سأنقل لك طائفة من عباراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن : فمنهم العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله - " حيث قال في كتابه الشهير " تطهير الاعتقاد عن

<sup>١</sup> انظر شرح التصريح على التلويع للشيخ خالد الأزهري (٣٣٦/٢) طبع دار الفكر بيروت ، ومع الهوامع للسيوطي (١٩٧/٢) طبع سنة ١٣٢٧ هـ بعناية محمد بدر الدين النعماني .

<sup>٢</sup> مادة " قير " في لسان العرب لابن منظور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سنة (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

<sup>٣</sup> انظر ترجمته ( ص ٥٧٠ )

أدران الإلحاد" : ( والنذر بالمال على الميت ونحوه ، والنحر على القبر ، والتوسل به ، وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية ، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً ، و فعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني )<sup>١</sup>.

ومنهم العلامة حسين بن مهدي النعمي<sup>٢</sup> - رحمه الله - في كتابه " معارج الألباب في مناهج الحق والصواب " ذكره بلفظ القبوريين فقال : ( والمشروع فيها - زيارة القبور - إنما هو تذكرة الدار الآخرة والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم ، والاستغفار ، وسؤال العافية . فقلب القبوريون الأمر وعكسوا وعاكسوا مقاصد الشرع ، وجعلوا المقصود بالزيارة : الشرك بالميت ، والدعاء به ، وسؤاله الحوائج ، واستئصال البركات ، والنصر على الأعداء . فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت )<sup>٣</sup> الخ .

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني<sup>٤</sup> - رحمه الله - أطلق هذا اللفظ في " نيل الأوطار " حيث قال في كتاب الجنائز : ( وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشكّك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ ، وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة )<sup>٥</sup> الخ .

وقال في كتابه " الدر النضيد " وهو يتكلم عن حكم التصوير : ( فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلاً يشبه فعل الخالق ، وإن لم يكن

<sup>١</sup> تظهر الاعتقاد ص ( ٣٧ ) ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني ، طبع دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) ؛ وقدكرر هذا المصطلح في الصفحات ( ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف " ص ( ٤٧ ، ٥٧ ) حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى ( ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته : ص ( ٦٠٠ ) .

<sup>٣</sup> معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبد الحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) ص ( ١٤٠ ) وكرر مثل ذلك في ص ( ١٥٣ ، ٢١٨ ) .

<sup>٤</sup> انظر ترجمته ص ( ٥٧٩ ) .

<sup>٥</sup> نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني ( ٩٥/٤ ) طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

ذلك مقصوداً لهم ، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له و مثلاً و ندأ ، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله ، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله ، مع القصد والإرادة<sup>١</sup>.

ومنهم العلامة السلفي الشيخ محمد بن علي بافضل<sup>٢</sup> - رحمه الله - في كتابه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف" فقد قال : ( أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغير جائزة شرعاً و عقلاً ، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره )<sup>٣</sup>.

بعد هذه النقول التي مرّت بنا يتضح لنا أن العلماء يطلقون لفظ القبوريين ، و مثله القبورية على الغلاة في أرياب القبور الذين يعتقدون فيهم النفع و الضر ، و يطلبون منهم حاجاتهم ، و يلوذون بهم عند خوفهم ، و يقدمون لهم أنواعاً من العبادات والقرايين كالدعاء ، والنذر و الذبح ، و الحلف بهم . و يتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم : ( طائفة غلّت في أصحاب القبور و اعتقدت فيهم عقائد ضالة حملتها على تعظيم قبورهم و آثارهم و التقرب إليها بأنواع من العبادات حتى صيرتها أنداداً لله تعالى ) .

<sup>١</sup> الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (٦٣) طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عام (١٤١٤هـ) ، وقد كرر ذلك الوصف حوالي عشر مرات في ذلك الكتاب.

<sup>٢</sup> انظر ترجمته ص (٦١١) .

<sup>٣</sup> دعوة الخلف إلى طريقة السلف ، طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ وكرر ذلك الوصف أيضاً (ص٢٣٧) .

## المبحث الثاني

### خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

وفيه أربعة مطالب :

#### المطلب الأول : الشرك<sup>١</sup> وخطورته :

إن أعظم انحراف وقع في تاريخ البشرية هو الإشراك بالله ، و عبادة غيره معه ، و لذلك كانت أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك ، وإعادة الناس إلى التوحيد : قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾<sup>٢</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾<sup>٣</sup> ، وقال الرسول ﷺ : (( بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، و جعل رزقي تحت ظل رمحي ، و جعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ، و من تشبه بقوم فهو منهم ))<sup>٤</sup> ، فهذه النصوص صريحة في أن أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك ، و إعادة الناس إلى التوحيد و ما ذاك إلا لقبح الشرك ، و عظيم خطره على العباد في دنياهم و آخرتهم . و تظهر تلك الخطورة من أوجه عدة :

الوجه الأول : أنه سبب هلاك كثير من الأمم في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾<sup>٥</sup> ، فقد ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ لبيان السبب الذي أورد تلك الأمم هذه العاقبة السيئة ،

<sup>١</sup> الشرك هو : أن يعتقد في غير الله أنه يضر أو ينفع ، أو يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ودعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواء ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه . وانظر : الدر النضيد للشوكاني ص (٧٠) .  
<sup>٢</sup> النحل (٣٦) .

<sup>٣</sup> الأنبياء (٢٥) .

<sup>٤</sup> رواه أحمد في المسند (١٢١/٧ - ١٢٢) رقم (٥١١٤ - ٥١١٥) ، بتحقيق أحمد شاكر ، طبع دار المعارف المعارف بمصر ، الطبعة الثانية عام (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ، وضححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألباني في الإرواء (١٠٩/٥ - ١١٠) (رقسم ١٢٦٩) طبع المكتب الإسلامي ط الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

<sup>٥</sup> الروم (٤٢) .

وذلك السبب هو شركهم بالله تعالى ، قال ابن جرير<sup>١</sup> : « كان أكثرهم مشركين » يقول : فعلنا ذلك أي أهلك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم<sup>٢</sup> .  
وقال ابن الجوزي<sup>٣</sup> : « كان أكثرهم مشركين » المعنى فاهلكوا بشركهم<sup>٤</sup> .  
الوجه الثاني : أنه السبب في تردّي الإنسان من منزلة التكريم إلى منزلة الإهانة و التحقير ،  
و إلى الاتصاف بأخيث الأوصاف : وهو وصف النجس<sup>٥</sup> ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما  
المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم  
الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم »<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> هو شيخ المفسرين وعلمهم الإمام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف البديعة والمذهب الفقهي المستقل ، قال عنه الذهبي : ( كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف قل أن ترى العيون مثله ) ولد سنة (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠هـ) رحمه الله ، انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى بن شرف النووي (٧٨/١) طبع دار ابن تيمية بالقاهرة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م) والسير للإمام شمس الدين الذهبي (٢٦٧/١٤ - ٢٨٢) طبع دار الرسالة بيروت ( الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م )

<sup>٢</sup> تفسير الطبري المسمى " جامع البيان في تأويل القرآن " ( ٣٣/٢١ ) دار المعرفة بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م) .

<sup>٣</sup> الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرني التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي ، الرعاظ المشهور ، والمؤلف الكثير من فنون متعددة ، حتى أنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته ، قال الذهبي : ( له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف ، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يجزئه ويقتنه ) ولد سنة ( ٥٠٩ أو ٥١٠هـ ) وتوفي سنة ( ٥٩٧هـ ) وانظر السير ( ٣٦٥/٢١ - ٣٨٤ ) والبداءة والنهاية للإمام ابن كثير ( ٢٨/١٣ - ٣٠ ) طبع دار المعرفة بيروت الطبعة السادسة ( ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م )

<sup>٤</sup> زاد المسير للإمام ابن الجوزي ( ١٥٤/٦ ) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة سنة ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ) ، وانظر أسباب هلاك الأمم : ص ( ١٠٨ - ١٠٩ ) للشيخ محمد سعيد بابا سيلما وهو رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية ضمن إصدارات الحكمة (بريطانيا) الطبعة الأولى ( ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ) .

<sup>٥</sup> هو في الأصل " القدر " كما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ( ص ١٠١٣ ) تحقيق شهاب الدين أبي عمرو الطبعة الثانية دار الفكر سنة ( ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م ) ، وإنما وُصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم ، قال الشوكاني - رحمه الله - : ( والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتى كأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس ) فتح القدير للشوكاني ( ٣٤٩/٢ ) طبع دار الفكر سنة ( ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ) .

٦ التوبة ( ٢٨ ) .

قال السيد رشيد رضا<sup>١</sup> - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : ( أي ليس المشركون كما تعرفون من حالهم إلا أنجاساً فاسدي الاعتقاد ، يشركون بالله ما لا ينفع ولا يضر ؛ فيعبدون الرجس من الأوثان والأصنام و يدينون بالخرافات والأوهام و لا يتنزهون عن النجاسات و لا الأوثان ، و يأكلون الميتة و الدم من الأقدار الحسية ، و يستحلون القمار و الزنا من الأرجاس المعنوية ، و يستبيحون الأشهر الحرم ، و قد تمكّنت صفات النجس منهم حساً و معنى ، حتى كأنهم عينه و حقيقته ؛ فلا تمكّنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام ) الخ<sup>٢</sup> .

و قال سيد قطب<sup>٣</sup> - رحمه الله - في الظلال : ( يجسّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم و كيانههم فهم بكيانهم و بحقيقتهم نجس يستقذره الحس ، و يتطهر منه المتطهرون ، و هو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة فأجسامهم ليست نجسة لذاتها ، إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم )<sup>٤</sup> .

الوجه الثالث : أنه يحبط الأعمال ، قال تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده و لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾<sup>٥</sup> ، لقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر الأنبياء

١ هو العلامة المصلح محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل ، شامي النشأة ، سكن مصر إلى آخر عمره ، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصر ، وله تفسير ومجلة المنار الشهيران ، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام عام (١٢٨٢هـ) وتوفي بمصر عام (١٣٥٤هـ). انظر : الأعلام لخير الدين الزركلي (١٢٦/٦) طبع دار الملايين بيروت الطبعة الثانية عشرة (١٩٩٧م) ، وانظر الدراسة المستقلة بعنوان ( السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية ) للدكتور محمد أحمد درنيقه.

٢ تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٢٧٥/١٠) طبع دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٣ الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى بعد أن كوّن مدرسة في الدعوة لها ميزاتها ، وسماتها البارزة ، وصاحب تفسير ( في ظلال القرآن ) أشهر التفاسير المعاصرة ، مع أخطاء يسيرة أخذها عليه بعض العلماء سيما في باب العقيدة ، غير أنها مغمورة في بحار حسنات ذلك التفسير وحسنات مولفه ، غفر الله له وتقبله في الشهداء ، قتل مظلوماً شهيداً - إن شاء الله - سنة (١٣٨٧هـ) ، وكان مولده سنة (١٣٢٤هـ). انظر : الأعلام للزركلي (١٤٧/٣-١٤٨) .

٤ في ظلال القرآن سيد قطب (١٦١٨/٣) طبع دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الثانية عشرة (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)

٥ الأنعام (٨٨).

و الرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم ، فبين أن تلك الهداية و ذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله تعالى ، و لو لم يصاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم .

قال ابن كثير<sup>١</sup> -رحمه الله- : ثم قال تعالى : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله ، و هدايته لهم ﴿ و لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ تشديد لأمر الشرك و تغليظ لشأنه و تعظيم لملاسته<sup>٢</sup>.

و قال تعالى مخاطباً نبيه محمدًا ﷺ : ﴿ ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكوننَّ من الخاسرين ﴾<sup>٣</sup> ، قال الإمام الألوسي -رحمه الله- : ( و أيّ ما كان فهو كلام على سبيل الفرض ؛ لتهييج المخاطب المعصوم ، و إقناط الكفرة ، و الإيذان بغاية شناعة الإشراك و قبحه ، و كونه ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه )<sup>٤</sup>.

الوجه الرابع : أنه يحول دون المغفرة ، قال تعالى : ﴿ إنّ الله لا يغفرُ أن يُشركَ به و يغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء ﴾<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صاحب التفسير الذي قال فيه الشوكاني: (وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها). ولد سنة (٧٠١هـ) وتوفي سنة (٧٧٤هـ) ، انظر: البدر الطالع (١٥٣/١) طبع دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ .

<sup>٢</sup> مختصر ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي (١٣٩/٢) طبع مكتبة المعارف بالرياض ، طبعة جديدة ( ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م )

<sup>٣</sup> الزمر (٦٥).

<sup>٤</sup> مفتي بغداد في وقته وصاحب التفسير الشهير ( روح المعاني ) ، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي ، ولد عام (١٢٢٧هـ) وتوفي عام (١٢٧٠هـ) - رحمه الله - . انظر ترجمته في : جلاء العينين لابنه نعمان خير الدين الألوسي ، طبع مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بمكة ، بدون تاريخ ص (٥٧-٥٨) والأعلام للزركلي (١٢٧/٧) .

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، للشيخ محمود الألوسي طبع دار الفكر بيروت ( ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ) ( ٣٧/١٣ ) قلت : وهذه الآية والتي قبلها ردّ صارخ على القبرية الذين يثورون ويغضبون على من حذر من الشرك ؛ بزعم أنه لا يمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة ! .

<sup>٦</sup> النساء آية (٤٨) وآية (١١٦) .

قال سيد قطب - رحمه الله - في كلامه على هذه الآية : ( إن الشرك انقطاع ما بين الله و العباد . فلا يبقى لهم معه أمل في مغفرة . إذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشركون مقطوعو الصلة بالله رب العالمين . و ما تشرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حتى تخرج من الدنيا - و أمامها دلائل التوحيد في صفحة الكون و في هداية الرسل- ما تفعل النفس هذا و فيها عنصر من عناصر الخير و الصلاحية . إنما تفعله و قد فسدت فساداً لا رجعة فيه بوثقت فطرتها التي براها الله عليها ، و ارتدت أسفل سافلين و تهيأت بذاتها لحياة الجحيم)<sup>١</sup>.

**الوجه الخامس :** أنه يحرم العبد من الاستفادة من شفاعة الشافعين<sup>٢</sup> يوم القيامة : الشفاعة الموجبة للجنة و المنجية من النار : ففي البخاري من حديث أبي هريرة ؓ أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال : (( لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه ))<sup>٣</sup> قال الحافظ : ( قوله : (( من قال لا إله إلا الله )) احتراز من الشرك )<sup>٤</sup> . قال ملا علي القاري<sup>٥</sup> في مرقاة المفاتيح : ( أي لا يشوبه

<sup>١</sup> الظلال (٦٧٨/٢) .

<sup>٢</sup> الشفاعة : (السؤال في تجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جنابة ) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص٤٣٢) للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، طبع دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) و (الشافعون : جمع شافع وهو صاحب الشفاعة ) . انظر: المعجم الوسيط (٤٨٧/١) بمجمع اللغة العربية (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) طبع المكتبة الإسلامية إستانبول .

<sup>٣</sup> البخاري مع الفتح (٤١٨/١١) كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، مكتبة الرياض الحديثة مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بدون تاريخ .

<sup>٤</sup> هو خاتمة الحفاظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع المحدثين ممن جاء بعده ، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث ومصطلحه ، وعلم الرجال والرحم والتعديل ، وصاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة على الإطلاق ، ولد عام (٧٧٣هـ) وتوفي عام (٨٥٢هـ) بالقاهرة - رحمه الله - وانظر: الضوء اللامع (ج ٣٦/٢) للحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي ، طبع دار الحياة ببيروت بدون تاريخ ، والبدر الطالع (٨٣/١ - ٩٢) .

<sup>٥</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر (١٩٤/١) .

<sup>٦</sup> العلامة الفقيه علي بن سلطان القارئ الحنفي ، من أفاضل علماء زمانه ، ولد همرة وتوطن مكة ومات بها ، وله مؤلفات كثيرة نافعة من أعظمها في الحديث " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " توفي عام (١٠١٤هـ) . انظر: ١ البدر الطالع (٤٤٥/١) والأعلام (١٣ ، ١٢/٥) .



شك ولا شرك ولا يخلطه نفاق و سمعة و رياء ... وقيل : أسعد هنا بمعنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته ، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه ﷺ يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف ، ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار ) انتهى محل الغرض منه<sup>١</sup>. وهو يفيد ما عنواناً له من أن المشرك محروم من الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة .

الوجه السادس : أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار ، قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾<sup>٢</sup> قال السيد رشيد رضا - رحمه الله - : ( أمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص ، وقضى عليه بالتحذير من الشرك ، والوعيد عليه ببيان أن الحال و الشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئاً مأمناً ملكاً أو بشراً أو كوكباً أو حجر أو غير ذلك بأن يجعله نداً له أو متحداً به ، أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضرر ، أو يزعم أنه يقربّه إلى الله زلفى فيتخذّه شافعاً زاعماً أنه يؤثر في إرادة الله تعالى أو علمه فيحمله على شئ غير ما سبق به علمه وخصصته إرادته في الأزل - من يشرك هذا الشرك ونحوه- فإن الله يحرم عليه الجنة في الآخرة بل هو قد حرّمها عليه في سابق علمه و بمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله ، فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار دار العذاب والهوان ، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم بالشرك من نصير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾<sup>٣</sup> ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾<sup>٤</sup> فالنافع رضا : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾<sup>٥</sup> و شر أنواعه الشرك ) انتهى المقصود منه .

<sup>١</sup> مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ ملا علي القاري طبع دار الفكر بيروت (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) (٥٢٥/٩) .

<sup>٢</sup> المائدة (٧٢) .

<sup>٣</sup> البقرة (٢٥٥) .

<sup>٤</sup> الأنبياء (٢٨) .

<sup>٥</sup> الزمر (٧) .

<sup>٦</sup> تفسير المنار (٤٨٣/٦) .

## المطلب الثاني : الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك :

إذا عرفت الشرك وخطورته في الدنيا والآخرة ، فاعلم أن الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك ، والجسم الذي يتجسد و يسري فيه ذلك الروح الخبيث - الشرك - فالأصنام و الأوثان والهياكل ما هي إلا مظاهر يتجسد فيها الشرك الذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقات أخرى اعتقدها المشركون ، و تعلق بها قلوبهم ومنحوها صفات الآلهة . يقول الفخر الرازي رحمه الله تعالى- في تفسيره عند قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يُشركون ﴾ <sup>١</sup> : (...) " وأما النوع الثاني " ما حكاه الله تعالى عنهم في هذه الآية ، و هو قولهم : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فاعلم أن من الناس من قال : إن أولئك الكفار توهّموا أن عبادة الأصنام أشد في تعظيم الله من عبادة الله سبحانه وتعالى ، فقالوا : ليست لنا أهلية أن نشغل بعبادة الله تعالى بل نحن نشغل بعبادة هذه الأصنام ، وأنها تكون شفعاء لنا عند الله . ثم اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شفعاؤنا عند الله ؟ وذكروا فيه أقوالاً كثيرة :

فأحدها- أنهم اعتقدوا أن المتولي لكل إقليم من أقاليم العالم روح معين من أرواح عالم الأفلak ؛ فعينوا لذلك الروح صنماً معيناً واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم ، ومقصودهم عبادة ذلك الروح ، ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عبداً للإله الأعظم و مشتغلاً بعبوديته .

<sup>١</sup> العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني ، الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، ولد سنة (٥٤٤هـ) ، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات .

و ثانيها- أنهم كانوا يعبدون الكواكب و زعموا أن الكواكب هي التي لها أهلية عبودية الله تعالى ، ثم لما رأوا أن الكواكب تطلع و تغرب و ضعوا لها أصناماً معينة و اشتغلوا بعبادتها ، و مقصودهم توجيه العبادة إلى الكواكب .

و ثالثها - أنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام و الأوثان ، ثم تقربوا إليها كما يفعل أصحاب الطلسمات .

و رابعها - أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم و أكابرهم ، و زعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل ، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى .

و نظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر ، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله .

و خامسها - أنهم اعتقدوا أن الإله نور عظيم و أن الملائكة أنوار ؛ فوضعوا على صورة الإله الأكبر الصنم الأكبر ، و على صورة الملائكة صوراً أخرى .

و سادسها- لعل القوم حلولية ، و جوزوا حلول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة <sup>(١)</sup> .

و ما ذكره الرازي أمر منطقي إذ لا يُعقل أن الإنسان بسمعه و بصره و عقله ، ينحت صنماً أو يصنع وثناً بيده - و هو يعلم مادته و من أين أخذ - ثم يزعم أن هذا الصنم أو الوثن هو الذي يخلق و يرزق ، وهو الذي ينفع و يضر ، هذا لا يكون أبداً . فلم يبق إلا ما ذكره الرازي من أنهم يرون أن هذه التماثيل و الأصنام هي رموز لمخلوقات معظمة تستحق العبادة لقربها من الله ، و منزلتها عنده كما يفعل القبورية بقبور معظيهم . و بهذا تعلم أن هذه الظاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح .

### المطلب الثالث : الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية :

إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أولياء الله و مقربون لديه ، فإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية و عبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب (التفسير) عند قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تدنرنا آلهتكم ولا تدنرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث و يعوق

التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (١٧/٥٩-٦٠) طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية .

وَنَسْرًا<sup>١</sup> قال ابن عباس رضي الله عنهما : ( هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً و سموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبِدَتْ )<sup>٢</sup> . إذا أصنام قوم نوح كانت رموزاً لرجال صالحين حمل الغلو أتباعهم على تقديسهم و تعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : ( وقصة الصالحين كانت مبدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك )<sup>٣</sup> .

#### المطلب الرابع : كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور و العلة في ذلك :

ولما كان أصل الشرك و الوثنية هو الغلو في أصحاب القبور ؛ تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً بالنهي عن تعظيم القبور بأي نوع من أنواع التعظيم ، وفهم الصحابة و التابعون لهم بإحسان العلة من تلك النصوص ، و أشاعوا ذلك الفهم وعملوا بمقتضاه ، و تبعهم على ذلك سائر علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين ، و إليك طائفة من تلك النصوص التي وردت بأساليب متنوعة :

الأسلوب الأول : في النهي عن زيارة القبور في أول الإسلام و ما فهمه العلماء من ذلك : فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ))<sup>٤</sup> . قال العلامة المناوي<sup>٥</sup> - رحمه الله - في " فيض القدير شرح الجامع الصغير " : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور)) لحدثان عهدكم بالكفر . وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية

<sup>١</sup> نوح (٢٣) .

<sup>٢</sup> البخاري مع الفتح (٦٦٧/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً ﴾ .

<sup>٣</sup> الفتح (٦٦٩/٨) .

<sup>٤</sup> رواه مسلم في صحيحه مع شرح الإمام النووي ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ (٤٦/٧) ، كتاب الجنائز باب زيارة القبور والاستغفار لهم .

<sup>٥</sup> العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري ، له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها "فيض القدير شرح الجامع الصغير" ، ولد سنة (٩٥٢هـ) وتوفي سنة (١٠٣١هـ) رحمه الله ، (انظر الأعلام ٢٠٤/٦) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف .

و استحکم الإسلام و صرتم أهل یقین و تقوی (( فزوروا القبور )) أي بشرط أن لا یقترن بذلك تمسح بالقبور ، أو تقبیل ، أو سجود علیه ، أو نحو ذلك . فإنه كما قال السبکی<sup>١</sup> : " بدعة منكرة إنما یفعلها الجهال " (....)<sup>٢</sup>.

و قال الشیخ أحمد الرومی الحنفی<sup>٣</sup> فی کتابه " مجالس الأبرار و مسالک الأخیار " فی شرح هذا الحدیث : ( هذا الحدیث من صحاح المصابیح رواه بريدة ، فیہ تصریح بوقوع النهی فی أوائل الإسلام عن زیارة القبور لكونها مبدأ عبادة الأصنام ) ثم ذکر قصة عبادة الأصنام فی قوم نوح ، ثم قال : ( فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور ؛ نهى ﷺ أصحابه فی أوائل الإسلام عن زیارة القبور سداً لذریعة الشرك ، لكونهم حدیثی عهد بكفر ، ثم لما تمكن التوحید فی قلوبهم أذن لهم فی زیارتها )<sup>٤</sup>.

و قال الشیخ علی محفوظ<sup>٥</sup> فی کتابه ( الإبداع فی مضار الابتداع ) : ( و سر النهی أولاً عن زیارتها ؛ أنه لما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور فی قوم نوح ، نهى النبي ﷺ أصحابه فی صدر الإسلام عن زیارتها سداً للذریعة ، لكونهم حدیثی عهد بكفر ، ثم لما تمكن

<sup>١</sup> القاضي العلامة علی بن عبدالکافی السبکی الشافعی ، من كبار علماء عصره غیر أنه ممن اصطدم بدعوة شیخ الإسلام ابن تیمیة و جماعته أمثال ابن القيم و ابن کثیر و الذهبی و المزنی و غیرهم ، وله ردود علی شیخ الإسلام ابن تیمیة أشهرها ( شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام ) الذي رد علیه الرد القوم المفحّم العلامة ابن عبدالحادی ، تلمیذ مدرسة ابن تیمیة - رحمهم الله جمیعاً - ، و رغم أنه مرجع کثیر من القبورین إلا أنه لم یبلغ مبلغهم فی الانحراف ؛ بدلیل کلامه السالف و هو من متعصبة الأشعرية - رحمه الله تعالى - . و انظر طبقات الشافعية لابنه تاج الدین عبدالوهاب ( ١٠/١٣٩ - ٣٣٨ ) طبع دار هجر ط ٢ ( ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ) ، و الدرر الكامنة لابن حجر ( ٣/٣٩ - ٤١ ) طبع دار الجیل - بیروت ( ١٤١٤هـ - ١٩٩٣هـ ) ، و جلاء العینین فی محاکمة الأحمدین للأکوسی ص ( ٣٢ - ٣٧ ) .

<sup>٢</sup> انظر فیض القدیر شرح الجامع الصغیر ، للعلامة المناوی ( ٥/٥٥ ) دار الفکر بدون تاریخ .

<sup>٣</sup> من علماء الدولة العثمانیة توفی - رحمه الله - عام ( ١٠٤٣هـ ) ترجمته فی هداية العارفين مع كشف الظنون ( ٥/١٥٧ ) ، دار الفکر ( ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ) و معجم المؤلفین لکحالة ( ٢/٢١٣ ) بواسطة " المجموع المفید فی نقض القبورية و نصرة التوحید " ( ص ٣٥٧ ) للدكتور محمد عبد الرحمن الخمیس ط. دار أطلس ، الرياض الطبعة الأولى ( ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م )

<sup>٤</sup> المجموع المفید فی نقض القبورية و نصرة التوحید ص ( ٣٨٥ - ٣٨٦ )

<sup>٥</sup> الشیخ العلامة علی محفوظ المصري الشافعی تخرّج بالأزهر ثم كان من أعضاء كبار العلماء و أستاذاً للوعظ و الإرشاد بكلية أصول الدین ، توفی سنة ( ١٣٦١هـ ) ، انظر الأعلام ( ٤/٣٢٣ ) .

قال المناوي -رحمه الله- : ( معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد ، إما لرفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدَّ التعظيم ، وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلّوا عليّ ، فظاهره نهي عن المعاودة ، و المراد المنع عما يوجبه و هو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ، و يؤيده : (( و صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم )) أي " لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة علي " .  
- قال- : و يؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء ، في يوم أو شهر مخصوص من السنّة ، و يقولون هذا يوم مولد الشيخ و يأكلون و يشربون و ربما يرقصون فيه ، منهي عنه شرعاً و على ولي الشرع ردهم على ذلك و إنكاره عليهم و إبطاله ) انتهى .

و قال شمس الحق العظيم أبادي<sup>١</sup> -رحمه الله- في شرح هذا الحديث : ( وأما الآن فإن الناس في المسجد الشريف إذا سلم الإمام عن الصلاة قاموا في مصلاهم مستقبلين القبر الشريف كالراكعين له<sup>٢</sup> ومنهم من يلتصق بالسرادق<sup>٣</sup> و يطوف حوله و كل ذلك حرام باتفاق أهل العلم و فيه ما يجر الفاعل إلى الشرك ) موضع الشاهد قوله : ( و فيه ما يجر الفاعل إلى الشرك ) .

و قال الطيبي<sup>٤</sup> - رحمه الله - في شرح نفس الحديث : ( نهاهم عن الاجتماع لها اجتماعهم للعيد نزهة و زينة ، و كانت اليهود و النصارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثهم الغفلة و القسوة ، و من عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون

<sup>١</sup> بواسطة عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي (٣٢/٦-٣٣) .

<sup>٢</sup> الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمر بن علي بن حيدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، من محدثي الهند له عدة مصنفات في الحديث من أشهرها عون المعبود على سنن أبي داود توفي بعد سنة (١٣١٠هـ) رحمه الله ، انظر الأعلام (٣٩/٦) .

<sup>٣</sup> في الأصل " الراكعين له " ومعناه غير مستقيم ، و بما أن تلك الطبعة كثيرة الغلط فالظاهر أن الصواب ما أثبتته والله أعلم .

<sup>٤</sup> (السرادق كل ما أحاط بشئ من حائط أو مضرب) المعجم الوسيط (٤٢٦/١) والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي ﷺ وهو الشبك النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

<sup>٥</sup> الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي ، كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد ، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين حينئذ، توفي سنة (٧٤٣هـ) رحمه الله تعالى، وانظر: الدرر الكامنة (٦٨/٢-٦٩) ، والبدر الطالع (٢٢٩/١-٢٣٠) .

أمواتهم حتى اتخذوهم أصناماً ، و إلى هذا الإشارة بقوله : (( اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ))<sup>١</sup> فيكون المقصود من النهي كراهته أن يتجاوزوا في قبره غاية التجاوز ولهذا ورد : (( اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))<sup>٢</sup>...<sup>٣</sup> انتهى موضع الشاهد .

الأسلوب الثالث - نهيه عن الصلاة على القبور وإليها : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : (( نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها ))<sup>٤</sup> ، و عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : (( لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر ))<sup>٥</sup> ، و عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (( لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها ))<sup>٦</sup> .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه "الأم" في كتاب الصلاة : ( و أكره أن يُبنى على القبر مسجد و أن يسوَّى أو يصلى عليه و هو غير مسوَّى أو يصلى إليه . قال و إن صلى إليه أجزأه و قد أساء ، أخبرنا مالك أن رسول الله ﷺ قال : (( قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لا يبقى دينان بأرض العرب )) . - قال - : و أكره هذا للسنة و الآثار و أنه كره - و الله أعلم - أن يعظَّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً ، ولم تؤمن في ذلك الفتنة و الضلال على من يأتي بعده )<sup>٧</sup> . تأمل قول الشافعي - رحمه الله - : ( ولم تؤمن في ذلك الفتنة و الضلال على من يأتي بعده ) ، إذن ليست العلة أن في ذلك تضيقاً على المسلمين في مقابرهم ، و إن كان ذلك لازم من اتخاذ مقابر المسلمين العامة مساجد على

١ سيأتي تخريجه (ص ٤٤) .

٢ سيأتي تخريجه (ص ٤٤) .

٣ بواسطة مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقراري (١٤/٣) .

٤ رواه أبو يعلى في مسنده (٢٩٧/٢) طبع دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) تحقيق حسين سليم أسد ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٦٤/٣) كتاب الجنائز ، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك طبع مؤسسة المعارف - بيروت (١٤٠٦ - ١٩٨٦) ، وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ (ص ٢٢) .

٥ رواه الطبراني في الكبير وغيره ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ، طبع مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) (١٣/٣) رقم الحديث (١٠١٦) ، وصححه الشيخ رحمه الله .

٦ رواه مسلم (٦٦٨/٢) رقم (٩٧) تحقيق عبد الباقي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

٧ الأم للإمام محمد بن أدريس الشافعي (٢٧٨/١) طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

بعض القبور ، و ليست العلة الخوف من تنجس الأرض لأن الحكم عام في القبر الذي ابتدئ حفره كما هو في القبر المنبوش ؛ و إنما العلة عند الشافعي - رحمه الله - خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده ، و أي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعظم المخلوق حتى يُصرف لقبره من العبادة والتقديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل ١٩.

و قال القرطبي <sup>١</sup> - رحمه الله - في تفسيره في تفسير سورة الكهف - بعد أن ساق كثيراً من الأحاديث التي فيها النهي عن البناء على القبور وتعظيمها - : ( و روى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( لا تصلوا الى القبور و لا تجلسوا عليها )) لفظ مسلم . أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى ؛ فيؤدّي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام ، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك ) <sup>٢</sup>.

الأسلوب الرابع - دعاؤه ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد ، مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد ، مما يؤكد العلاقة بين القبورية "اتخاذ القبور مساجد" والوثنية "صيرورة تلك القبور المعظمة أوثاناً تعبد من دون الله" : ما جاء عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (( اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) <sup>٣</sup>.

١ الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي ، أحد مشاهير المفسرين وكتابه " الجامع لأحكام القرآن " من أوسع كتب التفسير يميل فيه إلى تتبع الأحكام الفقهية ، توفي سنة (٦٧١هـ) وانظر ترجمته في " كشف الظنون " لحاجي خليفة ( ٥٣٤/١ ) و" المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات " للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي ( ٢٨٧/١ ) . طبع دار طبية الرياض ط الأولى (١٤٠٥-١٩٨٥).

٢ الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي (٣٨٠/١٠) الطبعة ذات العشرين جزء مصورة ليس عليها اسم دار النشر .

٣ قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي في تخريج كتابه " فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر " مع " فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد " لنفس المؤلف طبع مجموعة التحف النفائس بالرياض ، ط الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) (٢٨٠/١) : (ابن سعد في " الطبقات (٢٤٠/٢-٢٤١) " من طريق مالك . وعبدالرزاق (١٥٨٧/٤٠٦/١) وابن أبي شيبة (٧٥٤٤/١٥٠/٢) كلهم عن زيد بن أسلم مرسلأ بسند صحيح . ووصله أحمد (٢٤٦/٢) والحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم في (الحلية) (٢٨٣/٦) (٣١٧/٧) عن أبي هريرة بسند صحيح وصححه البزار . انظر " النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد " (ص ١١٥) .



قال الحافظ ابن عبد البر<sup>١</sup> في (التمهيد) في شرح هذا الحديث : ( الوثن : الصنم . هو الصورة من ذهب كان أو من فضة ، أو غير ذلك من التمثال . وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان ، أو غير صنم . وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدوها ؛ فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم ، كانوا إذا مات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقال ﷺ : (( اللهم لا تجعل قبري وثناً )) يصلى إليه ، ويسجد نحوه ويعبد ، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك . وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا إلى قبور أنبيائهم ، واتخذوها قبلة ومسجداً ، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون لها ويعظمونها ، وذلك الشرك الأكبر .

فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم )<sup>٢</sup> .

وقد عنوان العلامة ابن حجر المكي الهيثمي<sup>٣</sup> - رحمه الله - في كتابه (الزواجر) عنواناً قال فيه : ( الكبيرة الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة

١ الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . كان إماماً ديناً متقناً ، علامة ، متبحراً ، صاحب سنة واتباع وكان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل ، ثم تحول مالكيّاً مع ميل يبين إلى فقه الشافعي في مسائل ، ولا ينكر له ذلك ، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهدين . ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم ، وقوة الفهم ، وسيلان الذهن ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه ، بل نستغفر له ونعتذر عنه) ولد سنة (٣٦٨هـ) ومات (٤٦٣هـ) ، الترجمة ملتبطة بحروفها من السير للذهبي (١٨/١٥٣-١٦٣) وانظر المقدمتين الضافيتين لكتايبه التمهيد والاستدكار .

٢ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (٤٥/٥) تحقيق سعيد أحمد أعراب (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

٣ العلامة الفقيه الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي السعدي الشافعي من أجل وأعظم علماء الشافعية في وقته ، وأحد الشيخين الذين تفردا بالاعتماد من شراح المنهاج ، والآخر هو شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، واعتماد أهل الحجاز واليمن على مراحجه ابن حجر في تحفته ، وهو من جانب آخر أشعري محارب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مسائل التوحيد والاتباع ، وخصوصاً شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ ، غير أنه مع ذلك ضد القبورين في مسائل البناء على القبور -

والتسعون : اتخاذ القبور مساجد ، و إيقاد السرج عليها ، و اتخاذها أوثاناً ، و الطواف بها ، و استلامها ، و الصلاة إليها ) . ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما عنون له ، ثم قال : ( " تنبيه " عدُّ هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحاديث ) ، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر ، إلى أن قال وهو موضع الشاهد : ( وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ : " لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد بعدي " ، أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له ، أو نحوه ، فإن أراد ذلك الإمام بقوله : ( واتخاذها أوثاناً ) هذا المعنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبيرة بل كفر بشرطه ، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد ، نعم قال بعض الحنابلة : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله ورسوله وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعاً<sup>٢</sup> الخ .

وقال الملا علي القاري - رحمه الله - في "مرقاة المفاتيح" : ( أي لا تجعل قبوري مثل الوثن في تعظيم الناس ، وعودهم للزيارة بعد بدئهم ، واستقبالهم نحوه في السجود ، كما نسمع ونشاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد (( اشتد )) استئفاف كأنه قيل : لم تدعو بهذا الدعاء ؟ فأجاب بقوله اشتد (( غضب الله )) : ترحمأ على أمته وتعطفأ لهم ، قاله الطيبي ، وتبعه ابن حجر ، والأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السابقة ؛ تحذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم ، فيشتد غضبه عليهم )<sup>٣</sup> انتهى محل الغرض منه .

فهذه نصوص أرباب المذاهب الأربعة : المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والأحناف ، متفقة على أن الغلو في القبور وتعظيمها بالصلاة لها أو إليها يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله .

=تعظيمها وفي مسألة الاستغاثة بغير الله ، وانظر ترجمته في جلاء العينين ص (٤٠) و النور السافر لعبد القادر بن شيخ العيدروس

ص (٢٥٨-٢٦٣) طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

١ كذا قال . والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لا بلفظ النهي .

٢ الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (١٤٨/١-١٤٩) طبع دار المعرفة ببيروت

(١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) .

٣ المرقاة (٤٥٨/٢) .

الأسلوب الخامس : لعنه ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم كونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته مما صنعوا ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : (( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) قالت : فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً<sup>١</sup> .

وعنها رضي الله عنها قالت : لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد اتتا أرض الحبشة ، فذكرتا من حسننها وتصاويرها ، قالت : فرفع النبي ﷺ رأسه فقال : (( أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوّروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ))<sup>٢</sup>.

وعن ابن عباس وعائشة ؓ أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصه<sup>٣</sup> له فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه وهو يقول: (( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) تقول عائشة رضي الله عنها: ( يحذر ما صنعوا )<sup>٤</sup> . هذه الأحاديث الثلاثة يشدد فيها النبي ﷺ النكير ، ويؤكد به بلعن الفاعلين لذلك ، وأنهم شرار الخلق عند الله تعالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثره في الانحراف عن العقيدة الصحيحة ، وفتح الباب للشرك والوثنية وقد بيّنت عائشة رضي الله عنها أن الصحابة فهموا ما قصده النبي ﷺ وعناه ، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محذراً لأمرته أن تصنع كما صنع أولئك.

١ البخاري مع الفتح (٢٠٠/٣) كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، ومسلم مع النووي (١٢/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلوات ، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها ، طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

٢ البخاري مع الفتح (٢٠٨/٣) كتاب المساجد ، باب بناء المسجد على القبر ، ومسلم مع النووي (١١/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلوات ، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها .

٣ الحميصه كساء أسود مربع له علمان ( القاموس المحيط ص ( ٧٩٧ ) .

٤ البخاري مع الفتح ( ٤٩٤/٦ - ٤٩٥ ) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم مع النووي (١٣/٥) الكتاب والباب المتقدمين .

قلت: وبالفعل عمل الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر العلماء في العصور المختلفة على ستر قبره وحجبه عن الناس ، وبالفوا في ذلك غاية المبالغة كما سيأتي في كلام النووي<sup>١</sup> والسمهودي<sup>٢</sup> -رحمهما الله- ، وإليك كلام بعض العلماء على هذه الأحاديث وإشارتهم وتصريحهم بأن هذه النصوص تمنع من تعظيم القبور ؛ حتى لا تعبد من دون الله ، ويفتتن بها الناس ، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلو الأولين في قبور معظمتهم ، حيث صارت أوثاناً تعبد من دون الله .

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كلامه على حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: ( وكأنه علم أنه مرتحل فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم )<sup>٣</sup> .

ويناسب هذا المقام ما ذكره الإمامان النووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة موت موسى عليه السلام ، وسؤال ربه أن يدينه من الأرض المقدسة .

قال النووي - رحمه الله - : ( قال بعض العلماء : وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس )<sup>٤</sup> .  
وقال ابن حجر : ( لكن حكى ابن بطلال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليُعْمَى موضع قبره لئلا يعبد الجاهل من أمته )<sup>٥</sup> .

١ الإمام العلامة شيخ الشافعية وعمدهم ، وأحد أئمة الحديث في زمانه ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف المفيدة المباركة ، التي لاقت القبول عند سائر علماء المسلمين ببركة إخلاصه ، ولد بنى سنة (٦٣١هـ) وتوفي بها سنة (٦٧٦هـ) ، وانظر البداية والنهاية (٢٧٨/٣-٢٧٩) ، وطبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي (٣٩٥/٨-٤٠٠) .  
٢ مؤرخ المدينة النبوية وفتيها في وقته ، علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي القاهري الشافعي ، نزير الحرمين ، صاحب أضخم كتاب مطبوع في تاريخ المدينة وهو كتاب (وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى) ، ولد سنة (٨٤٤هـ) وتوفي سنة (٩١١هـ) انظر الضوء اللامع للسخاوي (٢٤٥/٥-٢٤٨) .

٣ الفتح (٥٣٢/١) .

٤ النووي على مسلم (١٢٨/١٥) .

٥ الفتح (٢٠٧/٣) .

من هذه النقول الثلاثة يتبين ما فهمه العلماء من أحاديث النهي عن اتخاذ المساجد على القبور ؛ وهو خشية التعظيم المفضي إلى عبادتها كما حصل للأمام السابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيتها إلى أن عبدتهم من دون الله ، وتحولت القبورية إلى وثنية وشرك ، أجاز الله أمة محمد ﷺ من ذلك .

وقال العلامة ابن دقيق العيد<sup>١</sup> -رحمه الله تعالى- في شرح عمدة الأحكام في حديث عائشة الثاني : ( وقوله ﷺ : (( بنوا على قبره مسجداً )) إشارة الى المنع من ذلك وقد صرح به الحديث الآخر : (( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ))<sup>٢</sup> .

وقد علّق الصنعاني -رحمه الله- على كلامه هذا فقال : ( قوله : (( إشارة الى المنع من ذلك )) . أقول : من حيث إنه جعل شرار خلق الله هم المصورون ، ومعلوم أن من فعل شيئاً يكون به من شرار خلق الله أنه فعل محرماً وقد صرح به في حديث آخر ، يريد الحديث الذي أخرجه الشيخان بلفظ : ((قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) زاد مسلم : (( والنصارى )) وحديث عائشة بلفظ : (( الرجل الصالح )) أعم من قبور الأنبياء . والكل محرم ؛ فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت ، والطواف بقبره ، التماس أركانه ، والنداء باسمه ، وبالجمل أنه يصير صنماً يعبد ) انتهى محل الغرض منه . ولا يزال بعده كلام قوي متين في النعي على القبوريين فلينظر هناك<sup>٣</sup> ، ومما يناسب هذا المقام ما قرره العلامة الشيخ محمد بن سالم البيهاني<sup>٤</sup> - رحمه الله- في كتابه ( إصلاح المجتمع ) إذ قال وهو يتحدث عن الشرك : ( ومن الشرك تعظيم القبور الذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات ، حتى بنوا عليها القباب ، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت ، وطافوا بها وحجوا إليها ، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم

١ الإمام المجهّد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار ، والشافعي ثم المالكي المذهب ، أحد من قيل إنهم من المحدّدين لهذا الدين ، وصاحب المصنّفات المستعبدية المفيدة ، ولد في البحر قرب ينبع سنة (٦٢٥هـ) وتوفي سنة (٧٠٢هـ) انظر البداية والنهاية (٢٧/١٤) والدرر الكامنة في إعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر رحمة الله تعالى (٩٦-٩١/٤) .

٢ الإحكام للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (٢٥٨-٢٥٧/٣) طبع المكتبة السلفية (١٤٠٩هـ) .

٣ المصدر السابق (٢٥٨/٣) .

٤ ستأتي ترجمته في الباب الثالث (ص ٥٩٤) .

وأقاموا لها الحفلات والمواسم ، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين . وهذا يطلب منهم الولد ، وثانٍ يطلب منهم شفاء المريض ، وثالث يريد منهم النصرة على الأعداء ، وأن ينصفوا له من فلان الظالم ، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل ، وكتبوا عنهم الشطح ، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله ، أو مدّع أنه شريك لله ( الخ كلامه رحمه الله <sup>١</sup> .

**الأسلوب السادس - النهي المباشر للأمة عن البناء على القبور ، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم ، وإخباره ﷺ أنه لا يفعل ذلك إلا شرار الخلق عند الله تعالى :** فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل . . .)) إلى أن قال : (( ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك )) <sup>٢</sup> .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (( نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر و أن يقعد عليه ويبنى عليه )) <sup>٣</sup> ولفظ أبي داود : (( نهى أن يقعد على القبر ويبنى عليه )) .  
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد )) <sup>٤</sup> . ففي هذه الأحاديث التي مرت النهي

١ إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني ص (١٣٠) طبع مؤسسة طيبة الخيرية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

٢ النووي على مسلم (١٣/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسجد على القبور .

٣ النووي على مسلم (٣٧/٧) كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه .

٤ رواه أبو داود (٢٣٥/٢) كتاب الجنائز ، باب في البناء على القبر طبع دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت ط الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ، والنسائي في سننه (٨٦/٤ - ٨٨) كتاب الجنائز رقم (٢٠٢٧ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٢٩) طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب عناية عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، وابن ماجه في سننه (٤٩٨/١) كتاب الجنائز باب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها طبع دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٢-١٩٥٢) تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، وصححه الشيخ الألباني ، ينظر صحيح أبي داود للشيخ الألباني (٦٢١/٢) .

٥ رواه أحمد (٣٢٤/٥) تحقيق أحمد محمد شاكر ، وابن خزيمة في صحيحه (٧/٢) كتاب الصلاة باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد تحقيق محمد مصطفى الأعظمي طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) ، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٣٢٤/٥) : (إسناده صحيح . وهو في "جمع الزوائد" (٢٧/٢) وقال : "رواه الطبراني في الكبير وإسناده=

الصريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبور و من ذلك : النهي عن اتخاذها مساجد ، والنهي عن مجرد البناء عليها ، وعن تجسيصها ، والكتابة عليها . وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبياء والصالحين ، لماذا ؟ لأنها هي التي يخشى الغلو في أريابها عكس قبور سائر الناس ، والفتنة بها أعظم من غيرها . وهذا هو الواقع المشاهد فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح ، ذي مناقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه ، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله ، وكثير من الأنبياء ، مع تصريح العلماء أنه لا يعلم على التحقيق واليقين إلا قبر نبينا محمد ﷺ ، و زاد بعضهم قبر الخليل عليه السلام في الموضع المشهور باسمه في فلسطين<sup>١</sup> .

ثم لاحظ كيف قرّن النبي ﷺ من يتخذ المساجد على القبور بمن تقوم عليهم الساعة وقد صرح عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة أن أولئك الذين تقوم عليهم الساعة لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه كما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله ))<sup>٢</sup> ، فالذين تقوم عليهم الساعة لم يستحقوا أن يكونوا شرار الخلق إلا بالكفر التام والخلو التام من الإيمان ، إذاً فمقارنتهم بالذين يتخذون القبور مساجد يدل على خطورة النهاية التي تصل إليها القبورية بأصحابها .

وهذا يظهر من تعليق العلماء على تلك الأحاديث : يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث جندب رضي الله عنه : ( قال العلماء : إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه ، والافتتان به ، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها ، مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله

= حسن " وهو فيه أيضاً (١٣/٨) وقال : " رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن هذلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقيّة رجاله رجال الصحيح " .

١ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤١/٢٧) . طبع مكتبة المعارف الرباط بالمغرب بدون تاريخ .

٢ الترويض على مسلم (١٧٨/٢) كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان .

عنهما ، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ، ولهذا قال في الحديث : (( ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً )) والله أعلم بالصواب <sup>١</sup> .

وقال العلامة صديق حسن خان<sup>٢</sup> في كتابه "السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج" في شرحه لحديث جابر<sup>٣</sup> : (( وأن يبنى عليه )) قال النووي : فيه كراهة البناء عليه ، قال : أما البناء عليه ، فإن كان في ملك الباني فمكروه . وإن كان في مقبرة ( مسبلة ) فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب ، قال في ( الأم ) : ورأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله : (( ولا قبراً مشرفاً إلا سويته )) انتهى .

وأقول : فإن البناء على القبر حرام لا مكروه في أي مكان ولأجل أي قبر كان ، وهذا بالأدلة الثابتة الصحيحة في الصحيح وغيره ، من طرق تُوجب العلم اليقين :

( فمنها ) : الأمر بالتسوية كما تقدم .

( ومنها ) : النهي عن البناء كما مر هنا .

( ومنها ) : النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن فاعل ذلك وغير ذلك مما هو مبين في كتب السنة .

وبالجملة فما هذه أول شريعة صحيحة محكمة ، و سنة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها . وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس ، "ولا سيما العوام" فإنهم إذا رأوا القبر عليه الأبنية الرفيعة ، والستور العالية ، وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه ، سبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين

<sup>١</sup> النووي على مسلم (١٢/٥ - ١٣) .

<sup>٢</sup> محيي السنة وقامع الدعة ، الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي ، أحد مجدددي علوم السنة في الهند ، وصاحب المصنفات الدائعة والمؤلفات النافعة التي يمنح فيها إلى الاجتهاد وينفر عن التقليد تبعاً لشيوخه وأستاذة الذي تتلمذ على كتبه ، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله ، ولد سنة (١٢٤٨هـ) وتوفي سنة (١٣٠٧هـ) .

انظر كتاب " السيد صديق حسن خان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف " للدكتور اختر جمال لقمان .



يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله ، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ﷻ ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك .. هذا أمر العوام .

وأما الخواص فلهم عرس<sup>١</sup> الموتى على قبورهم وطوافها ، والمراقبة عندها وانتظار وصول الفيض من أصحابها ، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة وإيجاب النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر ، والإشراك ، والبدع ، وكل ذلك ضلالة على ضلالة وظلمة فوق ظلمة ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾<sup>٢</sup> .

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الدهياء ، والمعصية الصماء ، والفاقرة العظمى فلا وجه له ( الخ )<sup>٣</sup> .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره " تفسير سورة الكهف " : ( وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يهدم ويزال ، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة ، وتشبهاً بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام )<sup>٤</sup> .

وكان - رحمه الله تعالى - قد صرح في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ﴾<sup>٥</sup> . وهو يتكلم عن سد الذرائع بأن ما ورد من الأحاديث في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها ... الخ . إنما هو لسد الذريعة المؤدية إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة من التدرج في عبادتها من دون الله وهذا نص كلامه - رحمه الله - : ( قال علماؤنا : ففعل ذلك أوائلهم ليأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عز وجل عند قبورهم ، فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ، و وسوس لهم

١ كذا في الأصل ولم أتبين المراد به .

٢ الشعراء ( ٢٢٧ ) .

٣ السراج الرواح من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج ، للشيخ صديق حسن خان ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر ( ٨٢/٣ - ٨٣ - ٣٨٤ ) .

٤ الجامع لأحكام القرآن ( ٣٨١/١٠ ) .

٥ البقرة ( ١٠٤ ) .

الشیطان : أن آباءكم و أجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور ، فعبدوها ؛ فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك وسدّ الذرائع المؤدية الى ذلك فقال : (( اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد )) وقال : (( اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ))<sup>١</sup> .

هذه أقوال أهل العلم على هذه الأحاديث ونحوها ، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي والتشديد هو سدّ ذرائع الشرك ، و ألا يصل الحال بهذه الأمة كما وصل بالأمم السابقة حتى حلت بها الوثنية والشرك وذلك يؤكد ما عَنَوْنَا له أول الفصل ، والله الحمد .

الأسلوب السابع - الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل : فعن ثمامة ابن شفي رحمه الله - قال : ( كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس<sup>٢</sup> فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها )<sup>٣</sup> . وعن أبي الهياج الأسدي رحمه الله - قال : قال لي علي بن أبي طالب : ( ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته )<sup>٤</sup> . وهكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم الأمر ، فسوّوا القبور المشرفة ، وأمروا بذلك وصار هذا شعارهم ودينهم .

فهذا فضالة بن عبيد رضي الله عنه يطبق ما سمع و يأمر بتسوية القبر؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها ، وهذا علي رضي الله عنه يبعث رئيس شرطته أبالهياج الأسدي لطمس القبور كما بعثه رسول الله ﷺ أي أنه يطبق ما عرفه وفهمه من أمر رسول الله ﷺ بذلك ، وهذا عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور كذلك . قال عبد الله بن شرحبيل بن حسنة - رحمه الله - : ( رأيت عثمان رضي الله عنه

١ تفسير القرطبي (٥٨/٢) .

٢ (هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية رضي الله عنه ودانت بالإسلام زماناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية ) انظر معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٧٨/٣) طبع دار صادر ، بيروت ط ثانية (١٩٩٥م) .

٣ مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (٣٥/٧-٣٦) مع النووي .

٤ المصدر السابق (٣٦/٧) .

٥ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص (٨٨) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني .

يأمر بتسوية القبور فقليل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان ( فأمر به فسوي )<sup>١</sup> وعن عمرو بن شرحبيل قال : ( لا ترفعوا جدتي - يعني القبر - فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك )<sup>٢</sup> ، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الأول إن شاء الله<sup>٣</sup> .

وأما العلماء ممن جاء بعد الصحابة والتابعين وإلى عصرنا الحاضر ، فستأتي نماذج من كلامهم الدال على أنهم فهموا ذلك المعنى ، وعملوا بمقتضاه ، وصرحوا بأنه من باب سد الذريعة المفضية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : ( ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة ، قال الراوي عن طاووس : أن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تجصص ( قال الشافعي ) وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك )<sup>٤</sup> .

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى" في جواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع : ( المنقول المعتمد كما جزم به النووي في شرح المذهب حرمة البناء في المقبرة المسبلة ، فإن بُني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلماء وغيرهم ، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لا يلتفت إليه ، وكم أنكر العلماء على باني قبة الإمام الشافعي - رحمه الله - وغيرها ، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً ) انتهى محل الغرض منه<sup>٥</sup> .

وقال في جواب سؤال آخر : ( يحرم بناء القبر في المقبرة المسبلة ؛ وهي التي اعتاد أهل البلد الدفن فيها ، ومثلها الموقوفة لذلك ، سواء كان مدمكاً أم مدماكين ؛ لأن الكل يسمى بناء ولوجود علة تحريم البناء في ذلك وهي تحجير الأرض على من يدفن بعد بلاء الميت ، إذ الغالب أن البناء يمكث إلى ما بعد البلى ، وأن الناس يهابون فتح القبر المبني ، فكان

١ رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الخنازير باب في تسوية القبر وما جاء فيه ( ٣/٣٤١ ) طبع الدار السلفية بالهند بومبي الطبعة الثانية ( ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ) ، وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبد الله وانظر تحذير الساجد ( ٨٨ ) .

٢ رواه ابن سعد في الطبقات ( ١٠٨/٦ ) دار بيروت للطباعة والنشر ( ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م ) وصحح إسناده الشيخ الألباني وانظر : تحذير الساجد ص ( ٩٨ ) .

٣ الفصل الثاني من الباب الأول .

٤ الأم ( ٢٧٧/١ ) .

٥ الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيتمي المكي ( ١٧/٢ ) طبع دار الفكر بيروت ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) .

في البناء تضيق للمقبرة ومنع الناس من الانتفاع بها فحرم ، ووجب على ولاية الأمر هدم الأبنية التي في المقابر المسبلة ، ولقد أفتى جماعة من عظماء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي -رحمه الله- وإن صُرِفَتْ عليها ألوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة وهذا - أعني البناء في المقابر المسبلة - مما عمّ وطم ، ولم يتوقَّه كبير ولا صغير فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>١</sup> .

وقال شيخ الإسلام الشوكاني -رحمه الله- في النيل في شرح حديث علي عليه السلام : ( قوله : " ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل ، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرّم ، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك ، والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير - كما قال الإمام يحيى<sup>٢</sup> والمهدي<sup>٣</sup> في الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني ، ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القُبب والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي ، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفساد يبكي لها الإسلام ، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا .

١ المرجع السابق (٢٥/٢) .

٢ ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص ١٤٦) .

٣ الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى ، من كبار أئمة الزيدية ومن عليهم المعول في الفقه بل إن كتابه (الأزهار) هو عمدتهم بلا منازع . يبلغ درجة الاجتهاد وهي شرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبوع له بالإمامة سنة (٧٩٣هـ) ولم يتم له الأمر ، له عدد كبير من المصنفات من أشهرها:

- الأزهار وشرحه الغيث المدرار .
- البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار .
- المنية والأمل في الملل والنحل . وغيرها كثير ، توفي - رحمه الله - سنة (٨٤٠هـ) . انظر البدر الطالع (١٢٢/١-١٢٦) ، بلوغ الرام في شرح مسلك لختام للقاضي حسين بن أحمد العرشي ص (٤١٠) ، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت عني بطبعة الأب أنستاس ماري الكرمل .

وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإننا لله وإنا إليه راجعون - ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين<sup>١</sup> أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإن قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه - تعالى - ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة ، فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء للإسلام أشد من الكفر ؟ ، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ؟ و أي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ ، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً ؟ :

ولكن لاحياة لمن تنادي

لقد أسمعت لونا ديت حياً

ولكن أنت تنفخ في رماح<sup>٢</sup>

ولو ناراً نفخت بها أضواء

وقال صديق حسن خان: ( أقول : الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور ، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها ، من غير فرق بين نبي وغير نبي بوصالح وطالح ، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم ، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها ، ومات ﷺ ولم يرفع قبره أصحابه ، وكان من آخر قوله : (( لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) ، ونهى أن يتخذ قبره وثناً ، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه ﷺ ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لا يناسب العلم والفضل : فإنهم لو تكلموا لضجوا من اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته ، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بناء ، أو يزخرفه فهو غير

١ في المطبوع المقبرين وهو خطأ .

٢ نيل الأوطار (٩٥/٤) .

فاضل ، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدى نبيه ﷺ ، فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور ، وتشبيدها ، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله ﷺ عند موته فجعلوا قبره على الصفة التي هو عليها الآن وقد شد من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها لأهل الفضل حتى دونوها في كتب الهداية والله المستعان...) <sup>١</sup> .

الأسلوب الثامن - إنكاره على من طلبوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها :

كما في قصة ذات أنواط والحديث بذلك أخرجه الترمذي - رحمه الله - في سننه في كتاب الفتن ، باب " لتركبن سنن من كان قبلكم " من حديث أبي واقد الليثي ﷺ : ( أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط ، يعلّقون عليها أسلحتهم ، قالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال لهم النبي ﷺ : (( سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم )) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح <sup>٢</sup> .

فانظر - رحمك الله - كيف عظم رسول الله ﷺ سؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور ، منها: التسبيح الذي يقال عند سماع الأمر العظيم ، ومنها : تشبيه طلبهم ذلك بطلب قوم موسى حين قالوا له : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ <sup>٣</sup> ، ومنها: الإخبار بالسنة الماضية من أتباع هذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك .

فهذا كله برهان واضح على خطورة تلك المظاهر الوثنية وماتجره على الأمة من انحراف في عقيدتها ولهذا حذر العلماء - رحمهم الله - من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظمها العوام ويتبركون بها ويعتقدون فيها شيئاً من النفع والضرر ، أو يقومون عندها

<sup>١</sup> الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (١٧٥-١٧٦) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)

<sup>٢</sup> سنن الترمذي (٤/٤٧٥) طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض ، وقال الشيخ الألباني في صحيحه (٢/٢٣٥) : ( صحيح ) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

<sup>٣</sup> الأعراف (١٣٨) .

بشعائر تعبدية مبتدعة أو شركية ، قال الإمام أبوبكر الطرطوشي<sup>١</sup> - رحمه الله - في كتابه "الحوادث والبدع" بعد سياق هذا الحديث : ( فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدره وشجرة يقصدها الناس ، ويعظمون من شأنها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها المسامير والخرق ، فهي ذات أنواط فاقطعوها )<sup>٢</sup> .

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي<sup>٣</sup> - رحمه الله - في كتابه " الباعث على إنكار البدع والحوادث" وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة : (ومن هذا القسم أيضاً : ما قد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ؛ وسرَّج مواضع في كل بلد يحكي لهم حالك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية ، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ، فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها ؛ وهي ما بين عيون وشجر وحائط وحجر . وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى من ذلك - مواضع متعددة كعويئة الحمى خارج باب توما ، والعمود المخلوق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة اليباسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق -

١ الإمام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطرطوشي ، ولد بطرطوشه ببلاد الأندلس ، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي ، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله ، ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٢٠هـ) انظر الأعلام (١٣٣/٧-١٣٤) ومقدمة كتابه الحوادث والبدع تحقيق عبدالمجيد تركي ، طبع دار الغرب الإسلامي ط الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .

٢ الحوادث والبدع للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص ١٠٥) .

٣ الإمام الحافظ المجتهد شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، قال عنه السخاوي (كان عالماً راسخاً في العلم ، مقرئاً محدثاً نحوياً ، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة ) ولد سنة (٥٩٩هـ) وتوفي - رحمه الله - سنة (٦٦٥هـ) . انظر : البداية والنهاية (١٣/٢٥٠-٢٥١) ، والإعلان بالتبليغ (ص ٦٠) طبع دار الكتاب العربي طبعة مصورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

٤ التخليق: أي طليها بالخلق (والخلق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة) لسان العرب (٩١/١٠) ، و(العُمْد : جمع عمود) وانظر المعجم الوسيط (٦٢٦/٢) .

سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها- فما أشبهها بذات أنواط الوارد في الحديث...<sup>١</sup> وذكر الحديث السابق .

فانظر كيف فهم العلماء- رحمهم الله تعالى - من هذا الحديث النهي عن هذه المظاهر الوثنية القبورية وأنها تؤدي إلى الشرك بالله تعالى وعبادة غيره كما قال ابن القيم<sup>٢</sup> -رحمه الله تعالى- : ( فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ، ولو كانت ما كانت . ويقولون : إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر ، أي تقبل العبادة من دون الله تعالى فإن النذر عبادة وقربة ، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له ، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه ، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقى<sup>٣</sup> في كتاب " تاريخ مكة " عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾<sup>٤</sup> قال: ( إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها ، ذكر لنا من رأى أثره وأصابه فما زالت هذه الأمة تمسحه

١ الباعث على إنكار البدع والحوادث للشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي ص ( ١٠١ ) طبع دار الراجعية للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ( ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م )

٢ العلامة المحقق الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، صاحب الإمام ابن تيمية ووافقه في كثير من آرائه دون تقليد وأوذي وحبس معه حتى مات شيخه فأفرج عنه ، تعتبر كتبه شحيحة في حلوق المبتدعة وقرة عين لأهل السنة ، لاسيما زاد المعاد الذي لا تكاد تخلو منه مكتبة عالم موافق له أو مخالف رحمه الله ، ولد سنة ( ٦٩١هـ ) وتوفي سنة ( ٧٥١هـ ) . انظر ترجمته : في البداية والنهاية ( ٢٣٤/١٤ - ٢٣٥ ) والدرر الكامنة ( ٤٠٠/٣ - ٤٠٣ ) .

٣ الإمام الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى المكي صاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة ، مات سنة ( ٢٥٠هـ ) انظر : مقدمة كتابه " أخبار مكة " طبع مطابع دار الثقافة بمكة ، تحقيق رشدي الصالح ملخص ، الطبعة الثامنة ( ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ) ، الأعلام ( ٢٢٢/٦ ) .

٤ البقرة ( ١٢٥ ) .



حتى اخلوق )<sup>١</sup> . وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة القبور وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدم<sup>٢</sup> .

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله ﷺ لأصحابه ، هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعوا الأمم الضالة فيما سلكوه من سبل الضلال ، ومن أهمها وسائل الشرك .

**الأسلوب التاسع - نهيه ﷺ أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية :**

فقد روى أبوداود من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : ( نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة<sup>٣</sup> فأتى النبي ﷺ فقال : إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة ، فقال النبي ﷺ : (( هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا : لا ، قال النبي ﷺ : أوف بنذرِك فإنه لا نذري في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم ))<sup>٤</sup> .

فالرسول ﷺ استوضح السائل عن سر تخصيصه لذلك المكان بالذبح فيه ، لأنه ربما كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يذبح له من دون الله ، أو كان فيه عيد من أعيادهم ، وخشي أن يكون ذلك السائل أراد التشبه بهم في ذلك ، أو أنه بقي لديه شيء من آثار تعظيم ذلك المكان ، فلما أجاب السائل بالنفي أجاز النبي ﷺ نذره وأمره بالوفاء به ، معلناً له وللأمة كلها أنه لا وفاء لنذري في معصية الله ، ومن ذلك يفهم أنه لو كان في ذلك المكان وثن يعبد ، أو عيد من أعياد الجاهلية ، لكان ذلك النذر بتخصيص ذلك المكان معصية ولما جاز الوفاء به ، وما ذاك إلا لاستئصال كل ما يؤدي إلى تعظيم الأماكن التي يؤدي تعظيمها إلى إفساد العقيدة ، وإيجاد نوع من التعظيم القلبي الذي يوجب الشرك بالله في ذلك .

١ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق ( ٢ / ٢٩ - ٣٠ ) .

٢ إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ( ١ / ٢١٢ ) طبع دار المعرفة ببيروت بتحقيق محمد حامد الفقي .

٣ بضم الموحدة وبعد الألف نون وقيل بفتح الباء : هضبة من وراء ينبع . انظر : عون المعبود ( ٩ / ١٤٠ )

٤ رواه أبوداود ( ٩ / ١٤٠ ) مع عون المعبود وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول : ( وإسناده صحيح ) ( ١١ / ١٤٠ ) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ طبع دار الفكر ببيروت ط الثانية ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) ، وكذلك صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ( ٢ / ٦٣٦ ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم": (وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه :

أحدها - أن قوله (( فأوفِ ببنورك )) تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين ؛ فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به .

الثاني - أنه عقب ذلك بقوله: (( لا وفاء لنذر في معصية الله )) ولولا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام ، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه - وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له: (( فأوفِ ببنورك )) حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك ، فكان جوابه ﷺ فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا ، ونهى عنه عند وجود هذا ، وأصل الوفاء بالنذر معلوم ، فبين ما لا وفاء فيه .

الثالث - أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزاً لسوغ ﷺ للنادر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجباً . وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهيّاً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال

١ شيخ الإسلام وعلم الأعلام ومجدد القرن الثامن أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، لافني بالتعريف به أسطر قليلة، كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جليلة، كان رحمه الله أمة في عصره وبعد عصره، جمع الله له من أبواب الخير ما لم يجمعه لسواه منذ القرون الأولى للإسلام؛ جاهد في الله حق جهاده بسنانه ولسانه وبنانه حتى أتاه اليقين، وهو مجدد منحه السلف الصالح وليس مبتدعاً فيه كما ير يد أن يليسه ذلك أعداء السنة الذين يحاربونها بالطعن في ذاته الشريفة، ورافع لواء التوحيد وليس مخترعاً سبيله، توفي رحمه الله مسجوناً في ذات الله من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم فنشر بذلك ذكره وعلا قدره ومات واندرس ذكره وقدره مناوئيه فلا يكاد يذكرهم أحد بحجر. ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للإمام للسذهي = (١٤٩٦/٤ - ١٤٩٧) طبع دار الكتب العلمية بيروت بسدود تاريخ، والبداية والنهاية (١٣٥/١٤ - ١٤٠)، و"التذكرة والإعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والرواية به" لعماد الدين الواسطي طبع دار العاصمة بالرياض ط الثانية (١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م) تحقيق د. عبد الرحمن الفيرواني، و"الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية" لعمر بن علي البرار طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية (١٣٩٦هـ) تحقيق زهير الشاويش، و"الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون" لمحمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد مكة ط الأولى (١٤٢٠هـ).

التي تعمل بسبب عيدهم... ) ثم أخذ يتكلم عن العيد واشتقاقاته ثم قال : ( ... ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها ، بالتعديد فيها ، أو لمشاركتهم في التعديد فيها ، أو لإحياء شعار عيدهم فيها ، ونحو ذلك . إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه . فإن كان من أجل تخصيص البقعة - وهو الظاهر - فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم ، ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح ، وقصد التخصيص باق ، فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم .

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً ، فكيف نفس عيدهم ؟ . هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان... فإذا كان ﷺ قد نهى أن يذبح في مكان كان الكفار يعملون فيه عيداً - وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد ، والسائل لا يتخذ المكان عيداً ، بل يذبح فيه فقط - فقد ظهر أن ذلك سداً للذريعة إلى بقاء شيء من أعيادهم ؛ خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة ؛ وذريعة لاتخاذها عيداً )<sup>١</sup> .

وقال الملا علي القاري - رحمه الله - في شرح المشكاة : ( وهذا كله احتراز من التشبه بالكفار في أفعالهم )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل (١/٤٤٠-٤٤٣) ط الأولى (١٤٠٤ هـ) ليس عليه اسم الدار ، مع شيء من الاختصار .

<sup>٢</sup> المرقاة (٦/٦٠٩) .

## المبحث الثالث

### هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

وفيه أربعة مطالب :

**المطلب الأول :** موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء :

من مزايا الإسلام شموله وكماله ، ووسطيته واعتداله ، وموازنته بين المصالح والمفاسد ؛ بحيث لا يحث على جلب منفعة يترتب عليها حدوث مفسدة ، أو تفويت مصلحة أعظم منها ، ومن هذا المنطلق جاءت نظرتة إلى مقابر المسلمين ، فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم ، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدي إلى تعظيمها في نظر الأحياء وافتتانهم بها والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله .

فنهى رسول الله ﷺ عن امتهان المقابر بجعلها مواطن لقضاء الحاجة ، وعن وطء القبور<sup>٢</sup> ، والجلوس عليها<sup>٣</sup> وعن كسر عظام الميت<sup>٤</sup> ، وحذر علماء المسلمين وفقهاؤهم من نبش

١ . لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ( لأن أمشي على حجرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي ، أحب إلي من أن أمشي على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق ) ، كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها ( ٤٩٩/١ ) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه ( ٢٦١/١ ) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة ( ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ) .

٢ . للحديث السابق .

٣ . لحديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (( لأن يجلس أحدكم على حجرة فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر مسلم )) . رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه ( ٣٧/٧ - ٣٨ ) مع النووي .

٤ . لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (( إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً )) رواه أحمد ( ٥٨/٦ ) وأبو داود في كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم هل يتكف ذلك المكان؟ ( ٢٣١/٢ ) ، وابن ماجه كتاب الجنائز باب في النهي عن كسر عظم الميت ( ٥١٦/١ ) ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود ( ٦١٨/٢ ) .

القبور لغير مصلحة تعود على الميت أو ضرورة تلجئ إلى ذلك<sup>١</sup>، وأرشد الرسول ﷺ الماشي بين القبور أن يخلع نعليه<sup>٢</sup>، وهذه الأمور فيها غاية الحفاظ على قبور المسلمين، وغاية التكريم لأمواتهم. وحتى لا يؤدي تكريم أموات المسلمين، والحفاظ عليهم إلى تقديسهم والغلو فيهم، فقد نهى رسول الله ﷺ عما يؤدي إلى ذلك. فنهى عن الصلاة على القبور وإليها<sup>٣</sup>، ونهى أن تتخذ مساجد<sup>٤</sup>، وعن تجسيصها والبناء عليها والكتابة عليها<sup>٥</sup>، وأمر بتسوية القبور المشرفة التي ترفع فوق الحد الذي يسمح به الشرع<sup>٦</sup>، وقد عقل الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والأئمة المقتدى بهم ذلك، وحافظوا على ذلك الهدى الصالح، والطريقة الرشيدة حتى نهاية القرون المفضلة، عندما آلت ولاية المسلمين إلى الروافض والباطنية فغيروا وبدلوا وأماتوا سنة الرسول ﷺ وأصحابه بونشروا سنة اليهود والنصارى في بلاد المسلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام، ومنحرفو المتصوفة، حتى شاع ذلك في بلاد المسلمين، وصار هو الغالب على كثير منها رغم تحذير العلماء وتقرير الفقهاء، وصيحات الغيورين على سنة المصطفى ﷺ<sup>٧</sup>.

١ انظر المجموع للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي (٢٤٦/٥، ٢٦٦ - ٢٧٧) طبع مكتبة الإرشاد حدة بدون تاريخ.

٢ لحديث بشر مولى رسول الله ﷺ وفيه: (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: ((يا صاحب السبيتين ويحك ألق سبتيك)). فنظر فلما عرف رسول الله ﷺ خلعهما فرمى بهما) رواه أبو داود في كتاب الجنائز باب المشي في النعل بين القبور (٢/٢٣٦) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (٢/٦٢٢)، وكذا روى نحوه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ماجاء في خلع النعلان في المقابر (١/٤٩٩). وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (١/٢٦١).

٣ ورد ذلك من حديث ابن عباس وأبي مرثد الغنوي وقد سبقا مع تخريجهما ص (٤٣).

٤ صح بذلك الأحاديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انظر طائفة منها ص (١٦ - ١٧).

٥ كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقد سبق (ص ١٩).

٦ صح ذلك من حديث فضالة بن عبيد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقد سبقا مع تخريجهما ص (٢٣).

٧ الكشف المبين عن حقيقة القبورين زيارة هود وما فيها من ضلالات ومنكرات للباحث ص (٣٩ - ٤٠).

ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٤٩٩م).

**المطلب الثاني : تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء :**  
وفيه مسألتان :

**المسألة الأولى - تعاملهم مع قبر النبي ﷺ :**

لقد مرت بنا أحاديث لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى ؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد<sup>١</sup> ، وأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ<sup>٢</sup> ، بل كان آخر ذلك في حال نزول الموت به ﷺ<sup>٣</sup> ، وقد صرحت عائشة رضي الله عنها أنه كان (( يحذر ما صنعوا )) ، وصرحت أن الصحابة لم يبرزوا قبره لتلك العلة .

وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول ﷺ التي لعن فيها اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد- هو الفقه الصحيح والفهم الثاقب اللائق بها رضي الله عنها ، وليس هو فهمها وحدها رضي الله عنها ، وإنما فهم الصحابة جميعاً ، والدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يدفن سائر المسلمين لم يميزوه بشيء عن سائر الموتى إلا وضع قطيفة في لحدّه<sup>٤</sup> حيث لا يخشى من ذلك أي تأثير على عقائد الناس إذ لم تكن ظاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد . وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبور ، فقد روى البخاري - رحمه الله - عن سفيان التمار أنه ( رأى قبر النبي ﷺ مسنماً )<sup>٥</sup> . قال الحافظ: ( أي مرتفعاً )<sup>٦</sup> .

قلت : الارتفاع المشروع فقط ، يفسره مارواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أمّاه اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة

١ من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انظر فيما تقدم ص (١٦-١٧) وحديث جندب ابن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (ص ١٩) .

٢ كما في حديث جندب السابق في الهامش ١ .

٣ كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما السابقين في الهامش ١ .

٤ مسلم مع النووي (٣٤/٧) كتاب الجنائز باب جعل القطيفة في القبر .

٥ البخاري مع الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٦ المرجع السابق (٢٥٧/٣) .

مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء<sup>١</sup> وزاد الأمر وضوحاً ما رواه الأَجْرِي في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال : رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيتُه مرتفعاً نحواً من أربع أصابع ، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه<sup>٢</sup> .

فهذه الروايات تبين ما كان عليه قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه ، وأنها ليس عليها أي أثر من آثار التعظيم والتقدیس ، وإنما هي قبور عادية كسائر القبور ، لا مجصصة ، ولا مرتفعة ، وليس عليها تواييت ، ولا سرج ، ولا ثياب ، ولا أي شيء مما ابتدعته القبورية فيما بعد ، وهذا كله يحقق لنا هدي النبي ﷺ وأصحابه في القبور ، وأن ما خالفه إنما هو هدي اليهود والنصارى الذين استحقوا اللعن على ذلك .

وكما فهم الصحابة رضی اللہ عنہم من تلك الأحاديث أنه لا يجوز إضفاء ملامح العظمة على قبر النبي ﷺ وقبور المسلمين ، كذلك فهموا أنه لو أبرز قبر النبي ﷺ لربما أدى إلى أن يفتتن الناس به ، وأن يعملوا عنده ما لا يجوز ، وذلك جعله يدعوريه أن يجنبه إياه ، ولقد استجاب الله دعاءه ، وحماه بما فعله الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم التابعون رحمهم الله كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله - :

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران  
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزّة وحماية وصيان

ففي عهد الصحابة رضی اللہ عنہم كان في بيت عائشة رضي الله عنها - وكان لا يدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنها ، ولم يُنقل أن الناس كانوا يستأذنونها لزيارتها ، وإنما يسلمون من المسجد ثم ينصرفون ، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر ولم يدفن عمر رضي الله عنه إلا بإذنها - رضي الله عنها - وقد روى قصة دفنه مع صاحبيه البخاري رحمه الله - في صحيحه<sup>٣</sup> ، ومما يؤيد أن القبر كان

١ رواه أبو داود (٢٣٤/٢) كتاب الجنائز باب تسوية القبور ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٤) كتاب الجنائز باب تسوية القبور وتسطيحها طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، ورواه الحاكم أيضاً (١/٧٠٠ - ٧٠١) طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ، وقال الأرنؤوط في تخريج جامع الأصول (٨٢/١١) " إسناده حسن " .

٢ الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٣ البخاري مع الفتح (٢٥٦/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

بعيداً عن أنظار الناس وعن وصولهم إليه ؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريباً في هذا البحث ، وأنه عندما رغب في رؤية القبر استأذن عائشة في ذلك فكشفت له عن القبور ، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على الباب الذي في الجدار الذي بنته عندما دفن عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور<sup>١</sup> ، وهذا دليل قوي على أن القبور كانت في غاية الصيانة والبعد عن وصول الناس ، حتى أقرب الناس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها ، ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة عن أبيه : ( لما سقط عليهم الحائط<sup>٢</sup> في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه ، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عروة ، لا والله ما هي قدم النبي ﷺ ، ما هي إلا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>٣</sup> ) ، فانظر كيف كان ذلك الجمع الحاضر لتلك الحادثة غير مميز لمواقع القبور بعضها من بعض مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفون عنها شيئاً .

ومما يؤكد أن القبر الشريف كان محجوباً عن الناس ، لا يصلون إليه إلا بطريقة غير مآذون فيها ، ولا مقرة من أهل العلم وأولي الأمر ، حديث علي بن الحسين زين العابدين - رحمه الله - أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فنهاه ، وقال : ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : (( لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً و صلوا علي فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم ))<sup>٤</sup> . فانت ترى أن الرجل كان يدخل من فرجة ، إذاً هناك جدار محيط بالقبر مغلق عليه غير أن فرجة فتحت بأي سبب من

١ انظر وفاء الوفاء (٥٤٤/٢) طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط الرابعة ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٢ أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها ؛ وذلك عندما أراد عمر بن عبدالعزيز رفع الحائط حول الحجرة الشريفة حيث رأى بعض الناس يصلون إلى القبر فلما حفر حول الحائط القدم الهدم فبدت تلك القدم ، انظر الفتح (٢٥٧/٣) .

٣ البخاري مع الفتح (٢٥٥/٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٤ رواه أحمد في المسند (٣٦٧/٢) ، وأبو داود في كتاب المناسك باب زيارة القبور (٦٢٢/١) برقم ( ٢٠٤٢ ) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٣٦١/١) رقم (٤٦٩) ، وقال الحق عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع دار السلام الرياض ١٤١٣هـ ( ص ٩٠ ) : وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه حسنة .



الأسباب استغلها ذلك الرجل ، فصار يدخل إلى عند القبر فيسلم على النبي ﷺ ، فنهاه ذلك الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله- ، والجدار الذي أشرتُ إليه هو جدار حجرة عائشة رضي الله عنها التي سبق أن أشرتُ إليها فيما مضى وهذا -رواية سقوط جدار عائشة- من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن الناس وكذلك - رواية زين العابدين- على موقف علماء السلف ممن يحاول أن يصل إلى القبر ظاناً أن في ذلك قُرْبى وفضيلة ، والله أعلم .

#### المسألة الثانية - تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام :

لقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلو في الصالحين ، وفهموا من نهيه المكثف آخر حياته ، وفي مرض موته ، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمها ، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم ، وصوَّروا فيها صورهم ، لذلك تعاملوا مع قبره بالشكل الذي سبق في المسألة الأولى من هذا المطلب .

وعندما انسابت جيوش المسلمين في أرجاء الأرض فاتحة - تقتلع الشرك من النفوس ، وتقتلع وسائله ومظاهره من على وجه الأرض ، و وصل جيش أبي موسى الأشعري مدينة تَسْرَ - وجدوا رجلاً يعظمه أهل البلد ، ويستنزِلون به الغيث ، ويتوسلون به إلى ربهم ، ويذكرون أنه النبي دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أُتي بهم إلى هذه الجهة أيام بختنصر ، فخشي أن يبقى بين الناس فيفتتنون به ، ويغلون فيه ، فعمل على إخفائه ، وإبعاده عن تناول الناس ، وطمس قبره ؛ حتى لا يعرفه أحد أبداً ، ولم يشفع كونه نبياً أو صالحاً أن يبرزه أو يميِّز قبره .

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تاريخه : ( وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما افتتحنا تَسْرَ وجدنا في بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ،

١ يقال إنه أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أسرهم بختنصر وسار بهم إلى بابل وأنه مات ببلد السوس ، انظر البداية والنهاية (٢/ ٣٢٥) وانظر خبره (٢/ ٤٠-٤٢) .

٢ تَسْرَ : هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٩) .

فدعا له كعباً فنسخه بالعربية ، قال: فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا ، فقلت: لأبي العالية ما كان فيه ؟ قال: سيركم وأمركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، قلت: فما صنعتُم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها ، لتعميته على الناس فلا ينبشونه قلت : فما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء اذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون ، قلت : مَنْ كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، قلت: منذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة ، قلت ما تغير منه شيء ؟ قال : لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية<sup>١</sup>.

قلت : قد يطعن البعض في هذه الرواية لقوله فيها: ( منذ ثلاثمائة سنة ) إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام ، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد ﷺ ، وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام أكثر من ثلاثمائة سنة بكثير ، وكان ابن كثير قد أجاب عن هذا الإشكال فقال : ( ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري<sup>٢</sup> والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة ، وقيل ستمائة ، وقيل ستمائة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة ، وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلاً آخر ، إما من الأنبياء ، أو الصالحين ، ولكن قرئت الظنون أنه دانيال ؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم )<sup>٣</sup> . قلت : كيفما كان الأمر فموضع الشاهد محفوظ لنا وهو أن الصحابة منهجهم الذي تلقوه من النبي ﷺ هو طمس القبور ، وإخفاؤها سواء كانت لأنبياء أو صالحين أو غيرهم ، بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفاء قبره أكبر لأن خوف الفتنة حينئذ أشد .

١ البداية والنهاية (٤٠/٢) .

٢ البخاري مع الفتح (٤٧٧/٦-٤٧٨) كتاب الأنبياء باب قول الله: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ولفظه : أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣ البداية والنهاية (٤٠/٢ - ٤١) .

**المطلب الثالث : كيف تصرف التابعون حين اضطروا إلى توسعة المسجد ليشمل الحجرة**

**النبوية موضع القبر الشريف في خلافة الوليد بن عبد الملك ١٩**

كان الوليد بن عبد الملك<sup>١</sup> من أشهر خلفاء بني أمية، وهو أكثرهم عناية بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أمية، وكان بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب عدااء تاريخي كما هو معلوم، فلا يرضى خلفاء بني أمية أن يتميز عنهم آل علي رضي الله عنه، وكان بيت فاطمة رضي الله عنها ضمن أبيات النبي ﷺ الواقعة على الحد الشرقي للمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فتوافقت رغبة الوليد في بناء المسجد، وتشْييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنو علي رضي الله عنهم في بيت فاطمة رضي الله عنها جوار المسجد، وبين أبيات النبي ﷺ، فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة، وإدخال حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعاً في المسجد إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القَدَم<sup>٢</sup>، وعندما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء العشرة<sup>٣</sup> و وجوه الناس،

١ ولي الخلافة سنة (٨٦ هـ) وتوفي سنة (٩٦ هـ) .

٢ الشامل في تاريخ المدينة (٣٩٦/١) للدكتور عبد الباسط بدر الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .

٣ انظر لهذه المبررات كلها المرجع السابق (٣٩٥/١ - ٣٩٦) .

٤ وهم : سعيد بن المسيب (ت ٩٣ هـ) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٤ هـ) وعروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤ هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٦ هـ)، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت ٩٤ هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت ١٠٠ هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت ١٠٠ هـ). هؤلاء هم الفقهاء السبعة يجمعهم هذان البيتان :

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله، عروة، قاسم، سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة

ولعل تكلمة العشرة هم : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦ هـ)، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٠٤ هـ)، وأبان بن عثمان (ت ١٠٥ هـ). وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٤/٤)، و الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢٩١/١ - ٢٩٤). للشيخ محمد الحسين الحجوي التعلبي الفاسي طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (١٣٩٧ هـ - ١٩٩٧ م) .

وأخبرهم بما أمر به الوليد فأنكروا ذلك ، وكرهوه ، ورأوا أن بقاء بيوت النبي ﷺ على حالها ادعى للعبرة ، والاتعاظ ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فرد بإنفاذ الأمر وعزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به<sup>١</sup> ، وعارض في ذلك سعيد بن المسيب ، قال ابن كثير - رحمه الله - : ( كأنه خشي أن يتخذ القبر مسجداً ، والله أعلم )<sup>٢</sup> .

وأصرح من ذلك ما نقله السهمودي عن عروة بن الزبير أنه قال : ( نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ ألا يجعل في المسجد أشد المنازل فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لأبد من إنفاذه ، قال قلت : فإن كان ولا بد فاجعلوا له حوجواً - قال السهمودي : ( أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة )<sup>٣</sup> .

قلت : وهذا العمل الذي أشار به عروة - رحمه الله - هو الذي ذكره الإمام النووي - رحمه الله - حيث قال : ( ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله ، ثلثا يظهر في المسجد فيصل إلى العوام ويؤدي إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر . ولهذا قال في الحديث : (( ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً ))<sup>٤</sup> والله أعلم بالصواب )<sup>٥</sup> .

١ البداية والنهاية (٧٤/٩) .

٢ المرجع السابق (٧٥/٩) .

٣ وفاء الوفاء (٥٤٨/٢) .

٤ الصحيح أن ذلك في عهد كبار التابعين أما الصحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنذاك إلا على قول في كل من السائب ابن يزيد وسهل بن سعد ، ولكن ابن عبد الهادي جزم أنه لم يوجد حينذاك أحدهما من الصحابة . انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي للشيخ محمد أحمد بن عبد الهادي تحقيق الشيخ عقيل بن محمد المقطري ، طبع مؤسسة الرياض بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٢م) ص ( ٣٠٣ ) ، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث (١١٦/٣) للشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي تخريج وتعليق الشيخ صلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م) .

٥ تقدم تخريجه ص ( ١٧ )

٦ شرح مسلم (١٣-١٢/٥) .

هذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عندما اضطروا إلى ذلك سترًا للقبر سترًا كاملاً ، فلا يُنظر ، ولا يتمكن أحد من الصلاة إليه ، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبور وإليها ، وعن اتخاذ القبور مساجد ، وفهموا العلة في ذلك النهي ، فعملوا على إزالة تلك العلة وفي هذا أبلغ رد على شبهة القبوريين الذين يحتجون بأن قبر النبي ﷺ في مسجده .  
المطلب الرابع هدي الإسلام في زيارة القبور :

كما هو الشأن في سائر شرائع الإسلام أنها تكون في غاية من الاعتدال والسماحة ، وصادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة : الفوز والنجاح ، والسعادة ، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة .

كذلك كانت شرعية زيارة القبور في الإسلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبادة غير الله نهاهم الرسول ﷺ عن الزيارة ، حتى يكون هناك برزخ فاصل بين العهدين عهد الشرك وعهد التوحيد ، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام حتى يذهب ما في النفوس من الالتفات إلى الأرض وما عليها مما يقدسها الناس ، وعهد السمو الروحي والصفاء القلبي والذهني الذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله ﷻ .

وفعلًا حينما حصل ذلك : خاطب النبي ﷺ أمته قائلاً : (( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ))<sup>١</sup> (( فإنها تذكر الموت )) ، وفي رواية : (( فإن في زيارتها تذكرة )) ، وفي أخرى :

١ انظر ذلك وأصف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه ، ثم انظر إلى معاكسة القبرية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين : ( ... ) ومع ذلك فإن النبي ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج قد عرفهم ووصف لهم قبر موسى ﷺ وقال : (( لو كنت هناك لأريتكم إياه )) . هو بنفسه عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الوطن المبارك من أجل ماذا !!؟ من أجل إقامة الصلات والروابط بين المؤمنين وأنبياهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وهو مقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بين على القلوب ، فالمرء يوم القيامة مع من أحب ، ولا ينبغي أن يصرف ولاؤنا إلى غير هؤلاء القوم الذين اضطفاهم بارئهم ، ومن بين خلقه احتياهم ) . انظر " الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود " لفهمي بن علي بن عبيدون الترميضي الحضرمي ، دار الفقيه للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .

٢ رواه مسلم في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة وانظر لشرح النووي (٤٦/٧) .

(( فإنها تذكر الآخرة ))<sup>١</sup> ، وفي الثالثة : (( فزوروها ولتزدكم زيارتها خيراً ))<sup>٢</sup> ، وفي رواية رابعة : (( فإن فيها عبرة ))<sup>٣</sup> ، ومن حديث أنس رضي الله عنه : (( ثم بدا لي أنها تُرّق القلب وتُدّمع العين وتُذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هُجراً ))<sup>٤</sup> .

وبهذا يشرع لنا الرسول الله ﷺ زيارة القبور مع بيان العلة فيها وهي تذكرة الموت ، والدار الآخرة ، وتزهد في الدنيا ، وترق القلب وتُدّمع العين ، وينبغي أن يحرص الزائر أن تزيده زيارته للمقابر خيراً ، وهذا كله فيما يخص الزائر .

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان ﷺ إذا زارهم يدعو ويستغفر لهم ، كما روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ : ( كلما كان ليبتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مّوجلّون وإن شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ))<sup>٥</sup> ، وعن رضي الله عنها أنها سألته إذا هي زارت القبور ما تقول : قال : (( قلّي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإن شاء الله بكم لاحقون ))<sup>٦</sup> .

١ انظر تخريجها في المرجع السابق (٤٦/٧) .

٢ رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ماجاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة وقال : وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة (٣/٣٦١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (١/٣٠٧-٣٠٨) ، والنسائي في كتاب الضحايا باب الإذن في أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام من حديث بريدة واللفظ له (٧/٢٣٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (٣/٩٢٣) طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ط الأولى (١٤٠٩-١٩٨٨) ، ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (١/٥٠٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (١/٢٦٢) .

٣ رواه أحمد (٣/٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري وقال الأرنؤوط في تحقيقه للمسنّد (١٧/٤٢٩) : حديث صحيح ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م) .

٤ رواه أحمد من حديث أنس (٣/٢٥٠، ٢٣٧) ، وصححه بطرقة وشواهده الأرنؤوط في تحقيقه (٢١/٢٢٣) ، وكذا روى نحوه الحاكم (١/٣٧٦) والبيهقي في السنن (٤/٧٧) .

٥ مسلم مع النووي (٧/٤٠-٤١) كتاب الجنائز باب مايقال عند زيارة القبور والدعاء لأهلها .

٦ المصدر السابق (٧/٤٤) .

ففي هذه الأحاديث بيان أن من مقاصد الزيارة وعللها السلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم ، قال الإمام الصنعاني -رحمه الله- في "سبل السلام" بعدما شرح أحاديث الإذن بالزيارة : ( والكل دالٌّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً )<sup>١</sup>.

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علمهم إياها رسول الله ﷺ فمن أتى بها على هذا الوجه ولهذه الغاية ظفر بالأجر والفائدة المترتبة عليها ، ومن زارها لغير ذلك فهي ردٌّ عليه. ثم إنها إما أن تكون بدعية ، وإما أن تكون شركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد .

ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور ، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصعة بعيدة عن كل ذريعة تؤدي إلى الشرك بأربابها والغلو في أصحابها ، وقد جاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك :

القيد الأول : ألا تتخذ أعياداً ، قال ﷺ : ( لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قברי عبداً ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم )<sup>٢</sup> ، وقد سبق كلام العلماء عليه ونص المناوي على أن من ذلك : ( اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو أشهر مخصوص من السنة ) ودعا ولاية الأمر إلى إنكار ذلك عليهم<sup>٣</sup>.

ونفهم من هذا أنه ليس من هدي الإسلام تعيين يوم معين من سنة ، أو شهر ، أو أسبوع ، يخصص لزيارة القبور كما هو شأن القبورية.

١ سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (٢/٢٣٠-٢٣١) طبع دار الكتاب العربي ط الثانية

(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٢ تقدم ترجمته (ص ٤١).

٣ انظر كلامه رحمه الله (ص ٤١).

القيد الثاني : ألا تُشَدَّ إليها الرحال ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام و مسجد الأقصى ومسجدي ))<sup>١</sup>، وروى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى - في مسنده عن عبد الرحمن بن هشام بن الحارث أنه قال : ( لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاء من الطور فقال : من أين أقبلت ؟ فقال : من الطور صليت فيه ، قال : أما لو أدركتكَ قبل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام و مسجدي هذا و المسجد الأقصى ))<sup>٢</sup>.

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعالى فيه ، هذا هو الظاهر المتبادر إلى الذهن وهو الذي فهمه ذلك الصحابي أبو بصرة الغفاري ، واحتج به على أبي هريرة رضي الله عنه ، وسكت أبو هريرة رضي الله عنه فلم يرد عليه وهذا دليل التسليم لما روي ولما أخذ واستنبط من تلك الرواية ؛ فإن قال قائل : إن أبا هريرة رضي الله عنه قد روى ذلك الحديث كما في الصحيحين<sup>٣</sup> ، قيل له: إن هذا مما يؤكد قبول أبي هريرة لما أتاه به أبو بصرة رضي الله عنهما ، ومن المعلوم أن أبا هريرة لم يقل أنه سمع ذلك الحديث من رسول الله ﷺ ، فالغالب أنه يرويه عن أبي بصرة ، ولم يثبت عن أبي هريرة أي رد لما جاء به أبو بصرة لا في الصحيحين ولا في مسند أحمد؛ حيث جاءت القصة كاملة ، وهذا يؤكد ذلك القبول والرجوع من أبي هريرة لما جاء به أبو بصرة ، كما فهم ذلك أيضاً أبو سعيد الخدري رضي الله عنه راوي الحديث ، فقد روى أحمد في مسنده أن شهر ابن حوشب قال : لقينا أبا

١ رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وانظر الفتح (٧٠/٣) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب مسجد بيت المقدس واللفظ له ، ومسلم نحوه في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (١٠٤/٩-١٠٦) مع النووي .

٢ رواه مالك في الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ (١٠٨/١-١٠٩) ، في كتاب الجمعة باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ، وأحمد في المسند (٧/٦) ، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل في سياق تخريجه لحديث أبي هريرة برقم (٩٧٠) وانظر (١٤١/٤-١٤٣) من الإرواء وأبو بصرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْد لكن آخره لام وقيل بالجيم) بن بصرة ابن وقاص الغفاري ، صحابي سكن مصر ومات بها.

٣ البخاري مع الفتح (٦٣/٣) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ومسلم كتاب الحج باب فضل المساجد الثلاثة (١٦٧/٩-١٦٨) مع النووي .



سعيد ونحن نريد الطور ، فقال سمعت رسول ﷺ يقول: (( لا تُعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد... )) الحديث<sup>١</sup>.

وكذلك فهمه عبدالله بن عمرؓ ؛ فعن قزعةؓ قال : سألت ابن عمرؓ عن المطي فقال: ( دع الطور ولا تأتها وقال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد )<sup>٢</sup> ، وعلى ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحداً منهم سافر إلى قبر ، أو مشهد لمجرد الزيارة ، ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتأخرون فقد اختلفوا في ذلك ونقل خلافهم الإمام النووي<sup>٣</sup> ، وشيخ الإسلام ابن تيمية<sup>٤</sup> والحافظ ابن حجر<sup>٥</sup> - رحمهم الله - ، وقد بحث هذه المسألة بحثاً مستفيضاً العلامة صديق حسن خان - رحمه الله - في شرحه لمختصر مسلم المسمى ( السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج ) وقد استغرق بحثه أربعاً وثلاثين صفحة من الحجم الكبير (من ص ٨٤- ١١٧) من الجزء الخامس من طبعة قطر ؛ وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشتها قال: ( وأما السفر لغير زيارة القبور كما تقدم نظائره ، فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره ﷺ وقرره النبي عليه السلام فلا سبيل إلى المنع منه و النهي

<sup>١</sup> رواه أحمد في المسند (٩٣/٣) وقال الإنناؤوط في تحقيقه : صحيح وقد رواه أحمد من غير طريق شهر مما يدل على أن شهر حفظ هذا الحديث ، وانظر (٩١/١٧) من تحقيق المسند ( وشهر هو بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ) قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب تحقيق أبي الأشبال ص ( ٤٤١ ) : صدوق ، كثير الإرسال والأوهام ، من الثالثة (ت ١١٢هـ) طبع دار العاصمة بالرياض ط الأولى (١٤١٦هـ) .

<sup>٢</sup> رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤/٢-٣٧٥) في كتاب الصلوات باب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة ، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص (٢٢٦) طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) ، وقال : رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة ص (٣٠٤) ، وقرعة هو ابن يحيى البصري قال عنه الحافظ في التريب : ص (٨٠١) ثقة من الثالثة. صحيح مسلم (١٠٥/٩- ١٠٦) .

<sup>٤</sup> اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٦٦٥-٦٦٦) .

<sup>٥</sup> الفتح (٦٤/٣) .

عنه ، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه ، ولم يقر أحداً من أصحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشرعه لأحد من أمته لا قولاً ولا فعلاً... ) إلى أن قال : ( وحاصل الكلام وجملته المرام في هذا المقام أن مسألة السفر لزيارة قبر من القبور " أي قبر كان " أقل درجاتها أن تكون من المشتبهات والمؤمنون وقافون عند الشبهات )<sup>١</sup>.

---

١ السراج الوهاج (١١٦/٥).



## الباب الأول

### نشأة القبور

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : نشأة القبورية في العالم .

الفصل الثاني : القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي

ﷺ وإلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة .

الفصل الثالث : نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف

بأهم الفرق القبورية .

الفصل الرابع : نشأة القبورية في اليمن





## **الفصل الأول**

**نشأة القبرورية في العالم**

**وفيه أربعة مباحث :**

**المبحث الأول : نشأة القبرورية في العالم بأسره .**

**المبحث الثاني : القبرورية عند اليهود والنصارى .**

**المبحث الثالث : قبرورية اليونان .**

**المبحث الرابع : القبرورية عند العرب قبل الإسلام**

**وصلتها بالوثنية .**

## بين يدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجرد مؤرخين ، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعات ، يوصفوا ما وصلوا إليه من أحوال العالم لمجرد السرد التاريخي وإنما نبحث ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسول ﷺ ، وهي أن هذه الأمة ستأخذ مأخذ الأمم السابقة ، وستسلك سبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية .

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظمّت القبور وآثار الصالحين وتدرجت في ذلك حتى عبدت أولئك الصالحين - في نظرها- فإن من هذه الأمة من سيفعل ذلك ، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ وما يشاهد على أرض الواقع .

فأما ما أخبر به النبي ﷺ ففيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (( لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، فقيل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال ومنّ الناس إلا أولئك ))<sup>١</sup> .

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (( لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى قال : فمن ؟ ))<sup>٢</sup> .

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كاملاً . والذي يهمنا إثباته هو مشابهة هذه الأمة للأمم قبلها في قبوريتهم ، وتعظيمهم للأنبياء والصالحين وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثير منهم ، وهذا ما سوف نبينه في هذا الفصل إن شاء الله .

<sup>١</sup> البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتحة ( ٣٠٠ / ١٣ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٣٠٠ / ١٣ ) .

## المبحث الأول

### نشأة القبورية في العالم بأسره

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول :** إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك .

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد ، فأدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ، وجرى له في الجنة ما جرى ، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدر فيه ، ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته ، وهو قول جمع من العلماء .

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا ، حتى لقد صرح عكرمة رضي الله عنه بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون<sup>١</sup> ، وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة .

أما القرآن ففي قول الله تعالى : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>٢</sup> .

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم أكد ذلك بقوله ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ ﴾ فالدين الحنيف والدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه .

قال ابن كثير - رحمه الله - : ( فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> تفسير الطبري ( ٢٩ / ٦٢ ) .

<sup>٢</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٣</sup> تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب ( ٦ / ٣٢٠ ) .

وقد أكدت ذلك السنة وفصلته وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترون فيها من جدعاء ؟ ))<sup>١</sup> ثم يقول أبو هريرة : ( و اقرأوا إن شئتم ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ )<sup>٢</sup>.

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث : ( وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة رضي الله عنه و بحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه : (( واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فاجتالهم الشياطين عن دينهم ))<sup>٣</sup> الحديث وقد رواه غيره فزاد فيه (( حنفاء مسلمين )) و رجه بعض المتأخرين بقوله تعالى : ﴿ فطرت الله ﴾ لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام )<sup>٤</sup>.

ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لا خلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك عليها .

#### المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين :

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك ، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه : أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه وإلى جلب سخط الله عليه ، و كان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة ، ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو و إبليس معاً ، ولم يكتفِ إبليس بعداوة آدم وحده بل ضمَّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم

<sup>١</sup> أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص ( ٩١٤ ) .

<sup>٢</sup> البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح ( ٢٤٥/٣ - ٢٤٦ ) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود

يولد على الفطرة ( ٢٠٤٧/٤ ) .

<sup>٣</sup> الروم ( ٣٠ ) .

<sup>٤</sup> سيأتي تخرجه ( ص ٨٦ )

<sup>٥</sup> فتح الباري ( ٢٤٨/٣ ) .



عن السبيل والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لأتبنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ، قال اخرج منها مذعوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾<sup>١</sup> ، ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال فالحق والحق أقول ، لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾<sup>٢</sup> .

وقد حذر الله عباده المؤمنين وجميع بني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الذي يسعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾<sup>٣</sup> وقال : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾<sup>٤</sup> .

ولكن لأمر أراد الله نسي بنو آدم تلك العداوة ، وجعلوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إياه ولم ينسَ هو ذلك ، بل عمل على جلب الأنصار والجنود من الإنس والجن ، فسلطهم على بني آدم حين غفلوا عما أوصاهم به الله ، فأجلب عليهم هو وجنوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك ، وهو ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز وجل كما في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (( ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته ° عبداً حلال ، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم و إنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم يو أمرتهم أن

<sup>١</sup> الأعراف (١٦-١٨) .

<sup>٢</sup> سورة ص (٨٢-٨٥) .

<sup>٣</sup> فاطر (٦) .

<sup>٤</sup> يس (٦٠-٦٢) .

<sup>٥</sup> نخلته أعطيته النوري على مسلم (١٩٧/١٧) .

<sup>٦</sup> اجتالتهم ( أي استخفروهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن ) نفس المصدر (١٩٧/١٧) .

يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً<sup>١</sup> وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب<sup>٢</sup> .

ولم يكن ذلك في عهد النبي ﷺ وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نوح عليه السلام ، بل إن مبعث نوح إنما كان لإرجاع الناس إلى الجادة بعد ذلك الانحراف الخطير ، و كان الباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس : باب الغلو في الصالحين ، فكانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجال صالحين أحبهم قومهم وغلوا فيهم فصوّروهم ، ثم تدرج بهم الحال حتى عبدوهم من دون الله تعالى ! ولما جاءهم نوح ينعى عليهم ذلك المسلك الخاطيء ، ويدعوهم إلى العودة إلى الصراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة و الاستمرار على الإشراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾<sup>٣</sup> .

وهذه كما هو واضح أسماء بشر كانوا صالحين محبوبين لدى قومهم ، حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم ، وتطور الأمر حتى عبدوهم ، كما ورد عن ابن عباس ؓ في تفسير هذه الآية أنه قال : ( أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبادت )<sup>٤</sup>

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث : ( وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك )<sup>٥</sup> وقد تواطأ المفسرون عند تفسير هذه الآية على ذكر هذا الأثر وآثاراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى .

<sup>١</sup> مسلم مع الشرح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ( ١٩٧/١٧ )

<sup>٢</sup> نوح ( ٢٣ ) .

<sup>٣</sup> البخاري والفتح ( ٦٦٧/٢ ) .

<sup>٤</sup> الفتح ( ٦٦٩/٨ ) .

<sup>٥</sup> انظر : تفسير الطبري ( ٦٢/٢٩ ) للإمام الطبري ، معالم التنزيل ( ٢٣٢-٢٣٣ / ٨ ) للإمام الحسين بن مسعود البغوي تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش طبع دار طبية بالرياض الطبعة الرابعة ( ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ) ، زاد المسير ( ٣٧٣/٨ ) لأبي الفرج ابن الجوزي طبع المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ) =

وقد صرح القرطبي - رحمه الله تعالى - : بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسبب الغلو في الصالحين حذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد و لعن من فعل ذلك ، قال : ( قلت : وبهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة و أم سلمة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبشة - تسمى مارية فيها تصاوير- لرسول الله ﷺ فقال رسول ﷺ : (( إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ))<sup>١</sup> .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : ( وقال غير واحد من السلف : " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم " ، فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته : عن عائشة رضي الله عنها - ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي - ثم قال : " فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور " وهذا كان سبب عبادة اللات ، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾<sup>٢</sup> قال : ( كان يلت السوق فمات فعكفوا على قبره )<sup>٣</sup> ، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ( كان يلت السوق للحاج )<sup>٤</sup> فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ ، و يغوث ، ويعوق ، ونسر ، واللات ، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم

=والكشف ( ٤١٤/٤ ) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العربي بيروت ( ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ) ، والمحرر الوجيز ( ١٢٢/١٥ ) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين ، الطبعة الأولى قطر سنة ( ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ) . وتفسير القرطبي ( ٣٠٧/١٨ - ٣١٠ ) وتفسير القرآن العظيم ( ٢٦٢/٨ ) لابن كثير . الدر المنثور ( ٢٩٣/٨ - ٢٩٥ ) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( دار الفكر - بيروت ط الأولى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ) . وفتح القدير ( ٣٠٠/٥ ) للشوكاني .

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن ( ٣٠٨/١٨ ) ، والحديث تقدم تخريجه (ص ٤٧) .

<sup>٢</sup> سورة النجم آية ( ١٩ ) .

<sup>٣</sup> سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .

<sup>٤</sup> سيأتي تخريجه (ص ١٠٠) .

اتخذوا لها التماثيل وعبدوها ، كما أشار إليه النبي ﷺ قال شيخنا <sup>١</sup> : وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين ، وتماثيل يزعمون أنها طلائيم الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها ، ويخشعون ويخضعون ، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ؛ فلأجل هذه المفسدة حسّم النبي ﷺ مادتها ، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً ، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد ، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها ؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس ، فهي أمته عن الصلاة حينئذ ، و إلا يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة <sup>٢</sup> .

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة ، وما علق به عليها أهل العلم ؛ تعلم أن القبرورية هي أساس الوثنية وأن الوثنية هي الوعاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسده .

<sup>١</sup> هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

<sup>٢</sup> إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ( ١٨٤/١ ) لابن القيم .

## المبحث الثاني

### القبورية عند اليهود والنصارى :

وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : القبورية عند اليهود :

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبات قبورية اليهود ، فقد أغنتنا الأحاديث المصرحة بذلك عن الصادق المصدوق عليه السلام والمخرجة في الصحيحين وغيرهما ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (( قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))<sup>١</sup> ، وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في مرضه الذي مات فيه (( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ))<sup>٢</sup>.

فهذان الحديثان في الصحيحين - وسيأتي غيرهما في المطلب الثاني - قاطعان على قبورية اليهود ، وأزيد أن اليهود ليسوا قبوريين فقط ولكنهم أيضاً ميالون إلى عبادة غير الله بشكل أوضح وأصرح ، كما نقل ذلك عنهم القرآن و ذلك في موضعين من قصة موسى عليه السلام.  
الموضع الأول : بعد نجاتهم من ملاحقة فرعون وخروجهم من البحر وإهلاك الله لعدوهم ؛ وهي نعم عظيمة تستوجب شكر مسديها وإفراده بالعبادة وعدم الالتفات إلى غيره ، لكن النفوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً ، لذلك عندما مروا على القوم المشركين العاكفين على أصنامهم مالت نفوسهم إلى تقليدهم ومحاكاتهم في ذلك ، قال تعالى : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى

<sup>١</sup> أخرجه البخاري ( ٥٣٢/١ ) مع الفتح كتاب الصلاة باب " حدثنا أبو اليمان " ، و مسلم ( ١٢/٥ ) مع النووي كتاب

المساجد و مواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

<sup>٢</sup> تقدم تخريجه ( ص ٤٧ ) .

اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ﴿ ١ ﴾ .

وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشرك والاستعداد النفسي له .

**الموضع الثاني :** حينما ذهب موسى لميقات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته ، فبادروا إلى ذلك ولما يابهاوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهوه بالتمرد وكادوا يقتلونه حينما وقف في طريقهم ، قال تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلقنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي . أفلا يرون إلا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ ٢ .

وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله .

**المطلب الثاني :** القبورية عند النصارى :

الأمة النصرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبياء والصالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسيح وأمه وغيرهما من الأحرار والرهبان ، وهذا صريح نص القرآن ، حيث يقول الله تعالى فيهم : ﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ ٣ .

٣ الأعراف ( ١٣٨ - ١٤٠ ) .

٢ طه ( ٨٣ - ٩١ ) .

٣ التوبة ( ٣١ ) .

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبادة غير الله فقال : ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم ﴾<sup>١</sup>، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه : لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقال : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾<sup>٢</sup>، فمن غلوهم أنهم اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلة - التي هي الغلو - هي العلة المشتركة بين جميع المشركين .

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد : كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : (( إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ))<sup>٣</sup> .

وهذه الكنيسة التي رأتها أم حبيبة وأم سلمة هي قطعاً كنيسة نصارى : فهذا إثبات قاطع لقبروريتهم وقد حذر النبي ﷺ من الاقتداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة و عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا : ( لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : (( لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) يحذر ما صنعوا )<sup>٤</sup> .

وقد بين ابن كثير رحمه الله في تاريخه : أن تلك القبرورية عند النصارى إنما حدثت فيهم بعد أن حرفوا دينهم ، وقالوا بالتثليث ، قال رحمه الله تعالى : ( ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة : حدثت فيهم الطامة العظمى ، والبلية الكبرى ، واختلف البتاركة ° الأربعة وجميع

<sup>١</sup> المائدة ( ٧٦ ) .

<sup>٢</sup> المائدة ( ٧٧ ) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريجه ( ٤٧ ) .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ( ٤٧ ) .

<sup>°</sup> ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة انظر : المعجم الوسيط ( ٦١/١ ) .

الأساقفة<sup>١</sup> والقساوسة<sup>٢</sup> والشماسة<sup>٣</sup> والرهبان<sup>٤</sup> في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب ، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين - باني القسطنطينية - وهو المجمع الأول ، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا "الملائكة" ، ودحض من عداهم وأبعدهم ، وتفردت الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي أثبت أن عيسى عبد من عباد الله ، رسول من رسله ، فسكنوا البراري ، والبوادي ، وبنوا الصوامع<sup>٥</sup> ، والديارات<sup>٦</sup> ، والقلايات<sup>٧</sup> ، وبقنعوا بالعيش الزهيد ، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل ، وبنيت الملائكة<sup>٨</sup> الكنائس الهائلة ، و عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي<sup>٩</sup> .<sup>١٠</sup>

ثم قال : رحمه الله تحت عنوان " بناء بيت لحم والقيامة " ( وينى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح و بنت أمه هيلانة القيامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح ) .<sup>١١</sup>

وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى و غلوهم في أنبيائهم وصالحيههم حتى عبدوهم من دون الله تعالى .

<sup>١</sup> جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق ( ١ / ٤٣٦ ) .

<sup>٢</sup> جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق ( ٢ / ٧٣٤ ) .

<sup>٣</sup> جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق ( ١ / ٤٩٤ ) .

<sup>٤</sup> جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها . ، المصدر السابق ( ١ / ٣٧٦ ) .

<sup>٥</sup> جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق ( ١ / ٥٢٣ ) .

<sup>٦</sup> جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط ( ١ / ٣٠٧ ) .

<sup>٧</sup> القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق ( ٢ / ٧٥٧ ) .

<sup>٨</sup> أي الفرقة التي سميت الملائكة .

<sup>٩</sup> الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق ( ١ / ١١٢ ) .

<sup>١٠</sup> البداية والنهاية ( ٢ / ١٠١ ) .

<sup>١١</sup> وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة .

<sup>١٢</sup> المصدر السابق ( ٢ / ١٠١ ) .



### المبحث الثالث

## قبورية اليونان

### وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية :

الأمة اليونانية أمة عظيمة سادت وظهرت على مسرح التاريخ القديم قروناً من الزمن ، وقد أنشأت حضارة متميزة وظهر فيها علوم و معارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى ، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر ، وهذا لا مرأى فيه ، ولكن مع كل ذلك فقد كانت هذه الأمة أمة وثنية قبورية تأله كل ما أعجبت به من مظاهر الكون ، وعباقره و أبطال البشر ، بل وجميلات النساء! فهناك ( آلهة السماء ) و ( آلهة الأرض ) و ( آلهة الخصب ) و ( الآلهة الحيوانية ) و ( آلهة ما تحت الأرض ) إلى آخر القائمة ، وقد ذكر المؤرخون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد<sup>١</sup> وكانت كذلك أمة قبورية تقدر قبور موتاهها ، فقد كان الموتى في العصور المبكرة من تاريخ اليونان يُعتبرون أرواحاً قادرة على أن تفعل للناس الخير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة<sup>٢</sup> . وكان اليونان في عصرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها ، وكانوا يسترضونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شرها<sup>٣</sup> ، وكان الإله في أول الأمر من الأسلاف والأبطال الموتى ، كما كان المعبد في الأصل قبراً ، ولا تزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> انظر : الفكر الإغريقي تأليف محمد الخطيب ( دمشق ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٩ م ) ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع

و الترجمة ص ( ٢٨ - ٥٢ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٣٥ - ٣٦ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣٥ - ٣٦ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٣٦ ) .

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها ؛ كانت في بدايتها أمواتاً من ذوي التميز في جوانب مختلفة من الحياة ، تدرج بهم الشيطان حتى صيروهم آلهة من دون الله ، و قبور أولئك الموتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة .

### المطلب الثاني : قبورية فلاسفة اليونان :

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاسفة اليونان على الوثنية والقبورية ، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكيرهم ولم يغنهم ما وصلوا إليه في مختلف العلوم- التي أصبحوا فيها أساتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حياتهم ، بل ظلوا يتخبطون في ظلمات الجهل ومسالك الضلال ، ذلك أن هذا الجانب ليس بمقدور العقول تصوّره التصرّو الصحيح ، والوصول إلى حقيقته ، وإنما مصدره هو الوحي الذي ينزله الله على رسله ، فيبلغونه للناس ويقودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم ، وما يلتحق بذلك من أركان الإيمان ومقوماته ، وحيث إن أولئك الفلاسفة مصدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقل ، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تاهوا في أودية الضلال وما وصلوا إلا إلى نظريات متناقضة ، وقضايا فجّة غير ناضجة ، وبقي ما تربّوا عليه من الوثنية والقبورية ؛ هو الذي يوجه تفكيرهم ويستحوذ على أعمالهم وطقوسهم ، وقد شهد المتلقفون لفلسفة اليونان من علماء المسلمين على قداواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية وأبانوا كيف يتصور أولئك الفلاسفة إمداد أرواح الموتى لمن دعاهم وتشفع بهم .

يقول الفخر الرازي في كتابه المطالب العالية : ( إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها ، إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات ، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض )<sup>١</sup> .

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرّجوا تعلقهم بالقبور تخريجاً علمياً مبنياً على نظريتهم العامة في الإلهيات ، حيث يؤمنون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الذي هو مواز للإله يفيض على من دونه من المخلوقات .

<sup>١</sup> المطالب العالية ( ٧-٢٢٨ ) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية ( ١-٤١٦ ) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني دار الصميعي الرياض ، الطبعة الأولى ( ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ) .

وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالباً منها الشفاعة ، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض ، وهي بدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم ، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره ، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة ، قالوا : فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين ، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم ، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة<sup>١</sup> .

#### المطلب الثالث : إتباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور :

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السابقة ، تصديقاً لحديث الرسول ﷺ في حديث ذات أنواط ؛ حيث طلب بعض أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط ، فقال لهم : (( الله أكبر ! إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال : إنكم قوم تجهلون ﴾<sup>٢</sup> لتركبن سنن من كان قبلكم ))<sup>٣</sup> ، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ : (( لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : (( فمن ؟ ))<sup>٤</sup> ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه (( لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، قيل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ قال : من الناس إلا أولئك ))<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> انظر الاستغاثة في الرد على البكري ( ٤١٠/٢ - ٤١١ ) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ( ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م )

<sup>٢</sup> الأعراف ( ١٣٨ ) .

<sup>٣</sup> الترمذي في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ( ٤٧٥/٤ ) . وأحمد ( ٢١٨/٥ ) .

<sup>٤</sup> تقدم تخريجه ص ( ٨٢ )

<sup>٥</sup> تقدم تخريجه ص ( ٨٢ ) .

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هذه الأمة ستتبع اليهود فيما انحرفوا فيه من التفاتهم إلى التعلق بالمخلوقين ، وهذا هو أساس القبورية .

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعداه إلى سائر فارس والروم ، ومن الروم اليونان الذين نُقِلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين .

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسائل المشروعة وغيرها : "الوجه الثاني أن يدعو له الرسول ﷺ فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى ، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب ، ولا مستحب ، ولا الرسول دعا له ، فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه ، ولكن بعض الناس الذين دخلوا في دين الصابئة والمشركين ، ظنوا شفاعته الرسول ﷺ لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه ، بل الرحمة التي تفيض على الرسول ﷺ تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ﷺ ولا دعاء منه ، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره ، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة ، وانعكس شعاعها على حائط أو غيره ؛ حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة ، قالوا : فهكذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين ، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم ، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه .

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبي حامد وغيرهم ( ١ ) .

قلت : هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدها الفلاسفة ، وطبيعي على هذا الاعتقاد أن يكون هناك توجه إلى النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشفع والخالق المعطي سبحانه ، تلك الواسطة هي " الشافع " وقد قرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " والضرر الرازي في كتابه " المطالب العلية " ونقل عن الاثنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمن بن محمد العيدروس في كتابه " بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود " وجعل ذلك هو علة زيارة القبور ، وسيأتي نص كلام الغزالي منقولاً من كتابه ، وكلام الرازي عن العيدروس في مطلب علة الزيارة عند القبورية ، وبهذا يتضح أن زيارات القبورية لم تكن هي الزيارات الشرعية التي علتها الاعتبار والاتعاظ بحال الموتى ورقة القلب وتذكر الآخرة والدعاء للأموات والسلام ، عليهم وإنما لاستمداد من الأموات على طريقة الفلاسفة .

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ، وحتى لا يقول قائل إن ذلك من أتباع الفلاسفة في علة الزيارة إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم ،

أقول له ولكل من يدافع عنهم : انظر إلى محمد علوي مالكي - باعث القبورية في مكة من جديد و وارث أحمد زيني دحلان ويوسف النبهاني - انظر إليه وهو يحكي أحوال الزائرين للنبي ﷺ : ( تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحببيهم المجتبى ﷺ وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية )<sup>١</sup> .

١ انظر ص ( ٤٠٥ )

٢ شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (١٢٤) السيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسيني، ط الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول صلاة تشهدك بها من مرآته ،ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته ، قائمين لك وله بالأدب الوافر ، مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر) <sup>١</sup> .  
وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء .

---

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١١٧ ) .

## المبحث الرابع

### القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية السمحة :

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، برأى من الشرك وأهله ، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾<sup>١</sup> ، وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك ، ومقدمهم لنا قدوة ، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾<sup>٢</sup> .

وقد ذكر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سمآكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾<sup>٣</sup> .

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً ، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، قال رسول الله ﷺ : (( وعرضت علي النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها ، وأكثر من رأيت فيها النساء إن اثمتن أفشين ، وإن سألن الحفن ، وإذا سئلن بخلن ، وإذا

<sup>١</sup> النحل ( ١٢٠ - ١٢٣ ) .

<sup>٢</sup> المنتحة ( ٤ ) .

<sup>٣</sup> الحج ( ٧٨ ) .

أعطين لم يشكرن ، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار ، وأشبه من رأيت به معبد بن أكتهم الخزاعي ، فقال معبد : يا رسول أتخشى عليّ من شَبَّهه فإنه والدي ، فقال : لا ، أنت مؤمن و هو كافر ، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام ))<sup>١</sup> ، وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما<sup>٢</sup> .

وكان سبب انحرافهم ووقوعهم في الشرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبادتهم للآت أو للأماكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلوا .

#### المطلب الثاني : القبورية هي أصل الوثنية عند العرب :

كما هو الشأن بعد كل رسالة من الرسائل السابقة- تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل ، ويجد الشيطان سبيلاً إلى نفوس الناس وعقولهم ، فينحرف بهم عن الصراط المستقيم ، وقد مر معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان أول من غيّر وحرف العرب عنه إلى عبادة الأصنام ، وكان سبب وقوعهم في الوثنية هو الغلو في الصالحين منهم وتعظيم قبورهم حتى اتخذوها أصناماً ، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ اللات والعزى ﴾<sup>٣</sup> : ( كان اللات رجلاً يلت السوق للحاج )<sup>٤</sup> والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي .

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث - راداً على من زعم أن اللات هو عمرو بن لحي :- ( والصحيح أن اللات غير عمرو بن لحي ، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي : إنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها وبنوا

<sup>١</sup> الحاكم في المستدرک ( ٦٠٥/٤ ) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفة بيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي .

<sup>٢</sup> انظر : السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ( ٢٤٢-٢٤٤ ) .

<sup>٣</sup> النجم (١٩) .

<sup>٤</sup> البخاري كتاب التفسير باب ( أفرأيتم اللات والعزى ) ( ٦١١/٨ ) مع الفتح .



عليها بيتاً ، وتقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام ، وهو يؤيد هذه الرواية <sup>١</sup> .

فهذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العرب ، وهناك وجه آخر وهو تعظيم آثار الصالحين ومنازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع .

قال ابن هشام في سيرته : قال : ابن إسحاق : ( ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم - حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد - إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة ، وأعجبهم ، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ) <sup>٢</sup>

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فالحرم شرفه الله تعالى بهما حيث بنياً فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة ، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك .

#### المطلب الثالث : انتشار الأصنام في جزيرة العرب :

بعد تلك البدايات البسيطة والبداية أخذ إبليس يرقّي العرب في سلم الوثنية حتى أصبحت ديناً تدين به ، له شعائره <sup>٣</sup> ومشاعره <sup>٤</sup> وطقوسه <sup>٥</sup> وعقائده وتنوعت العبادات من طواف

<sup>١</sup> الفتح ( ٦١٢ / ٨ ) .

<sup>٢</sup> سيرة ابن هشام ( ٧٧ / ١ ) طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلي

<sup>٣</sup> جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالها انظر القاموس المحيط ص ( ٥٣٥ ) .

<sup>٤</sup> جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص ( ٥٣٥ )

<sup>٥</sup> جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى . انظر : المعجم الوسيط ( ٥٦١ / ٢ ) .

وتمسح ودعاء واستشفاع واستقسام<sup>١</sup> بالأزلام بين يدي تلك الأصنام إلى نذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك ، كما انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً ببيت الله الذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيد ، حيث يقول الله تعالى عنه : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾<sup>٢</sup>.

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام - التي كسرهما رسول الله ﷺ يوم فتح مكة في جوف الكعبة وحولها - ثلاثمائة وستين صنماً<sup>٣</sup> ، كما كان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق ( هبل )<sup>٤</sup> ، ولم تبقى قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صنمها الذي يعرف بها وتعرف به وتعبّد له أبناءها ، بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخاص به<sup>٥</sup> ، وحتى المسافر لا يقيم أثناء سفره في بقعة إلا تخير من أحجارها ما يعجبه فينصبه إليها<sup>٦</sup>.

ولم يكتف الشيطان بذلك بل دلّهم على أصنام قوم نوح التي كانت مطمورة في رمال ساحل جدة فاستخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمرو بن لحي الخزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبدت فيهم<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> قال ابن جرير (٤٩/٦) : ( " وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم ، قسم الرزق والحاجات ؛ وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفرأ أو غزوأ أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "هائي ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" ؛ فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه "أمرني ربي" مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك ، وإن خرج الذي عليه "هائي ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك ، وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها ) .

<sup>٢</sup> الحج ( ٢٦ ) .

<sup>٣</sup> البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ) ( ٨ / ٤٠٠ ) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

<sup>٤</sup> الأصنام لابن الكلبي ص ( ٢٧ ) .

<sup>٥</sup> انظر : الأصنام ص ( ١٣ ) و ( ١٦ ) و ( ١٨ ) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ( ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص ( ٣٣ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص ( ٣٣ ) .

<sup>٨</sup> أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ودأ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام ( ٧٨/١ - ٨٠ ) .

وبذلك انطمست ملة إبراهيم وغاب التوحيد وحل الشرك محله ، حتى صارت الدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي ﷺ فقالوا - كما حكاه القرآن - : ﴿ اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾<sup>١</sup> .

**المطلب الرابع : الحنفاء من العرب :**

ذلك هو الجؤ المظلم الذي وصلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها ، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الذي نجا من أطباق الظلمة ، ولكنه لم يهد أصحابه صراطاً مستقيماً ، ولم يسلك بهم سبيلاً قويمًا<sup>٢</sup> ، وقد تمثل ذلك في بقاء مجموعة صغيرة جداً متفرقة في أنحاء الجزيرة العربية ، وربما كان بمكة منهم نصيب أوفر ، أولئك هم من سُموا بالحنفاء نسبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم ، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبادة الأوثان وتقريب القرابين لها ، واعتقاد نفعها وضرها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين ، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي من الله عليهم ببقائها صافية نقية من كدورات الوثنية ، غير أنهم لم يهتدوا إلى مراد الله تعالى وما يجب له من العبادة ، حتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن نفيل قوله : ( اللهم إني لو أعلم أي الوجوه إليك أحب عبدتك به ونكني لا أعلمه )<sup>٣</sup> ؛ ولذلك تفرقوا في البلاد يبحثون عن دين إبراهيم ، فمنهم من دخل النصرانية كورقة بن نوفل ، ومنهم من لم يدخل أي دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل .

وقد ذكرت أسماء بعض هؤلاء فمنهم : قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأممية بن أبي الصلت ، وأبو قيس بن أبي أنس ، وخالد بن سنان ، والناطقة الذبياني ،

<sup>١</sup> سورة ص ( ٥ - ٧ ) .

<sup>٢</sup> لأن الهداية النامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

<sup>٣</sup> ابن هشام ( ٢٢٥ / ١ ) عن ابن إسحاق قال حدثني : هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء ، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد .

وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي ﷺ<sup>١</sup> وقد ذكر غيرهم أيضاً ، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصر ، وكل هؤلاء لم يدركوا الإسلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفترة الأولى من الوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي ﷺ وينصره ولكنه مات في فترة الوحي<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة وتحليل) ص (٧٢) للدكتور مهدي رزق الله أحمد الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سعود الطبعة الأولى ، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض .

<sup>٢</sup> نفس المصدر (٧٧) .

<sup>٣</sup> انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي (١/ ٢٢) مع الفتح .

## الفصل الثاني

القضاء على الوثنية والقبورية على عهد  
رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين إلى نهاية  
القرون الثلاثة المفضلة

### وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ ، وكيف  
قضى على الوثنية .

المبحث الثاني : إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب  
والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً .  
المبحث الثالث : خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية .

## المبحث الأول

### حال جزيرة العرب حين مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية فيها وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ :

عرفنا في مطلب القبورية عند العرب كيف فشّت عبادة الأصنام ، وشملت جميع أطراف جزيرة العرب ، وأنه لم يبقَ على أصل التوحيد إلا أفراد يعدون بالأصابع ، منبوذون من قومهم يلقون منهم السخرية والاستهزاء والمقت ، وكيف سيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحياة حتى أظلم الكون ، واستوجب أهله مقت الله وغضبه ، إلا أولئك الحنفاء القلائل وبقياء من أهل الكتاب مشردين في الصحاري والقفار متوارين في صوامعهم وأديرتهم ، وقد صور النبي ﷺ تلك الحالة ، وذلك فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي ؓ قال : (( ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ))<sup>١</sup> ، هكذا كانت الدنيا بما فيها جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ ، فكيف انجابت تلك الظلمة ، وزالت تلك الجاهلية ؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني .

#### المطلب الثاني : قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب :

لقد بعث الله ﷻ رسوله ﷺ بما بعث به إخوانه المرسلين من قبله : لإزالة الشرك ، ونشر التوحيد ، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه ، كما قال تعالى :

<sup>١</sup> صحيح مسلم (٢/٤١٩٧) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾<sup>١</sup> ، فشمّر الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله سرّاً وجهرّاً وليلاً ونهاراً ، وكان أول ما أعلنه من دعوته حين أمره الله تعالى أن يصدع بها أن قال : (( يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ))<sup>٢</sup> ، فاستجاب له السابقون الأولون ، وحاربه بقية قومه واستهجنوا ما جاء به واستنكروه ، وقالوا ما حكاه الله عنهم : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾<sup>٣</sup> .

لكن الله أبى إلا أن يتم نوره ويعلي كلمته ولوكره الكافرون ، ومضى ﷺ في دعوته وتربى على ذلك أصحابه ، وانطلقوا دعاءً إلى ذلك ، فاتسعت دائرة الحق وانتشر نور الإسلام بعد جهد كبير و زمن غير قصير ؛ حمل عليه العناية الفائقة التي أولاها رسول ﷺ للتربية وغرس العقيدة في النفوس حتى تمكنت منها ، ثم توالى المحن وصب العذاب على أصحابه ليشدّ عودهم وتصل نفوسهم ، حتى إذا تهيئوا لإقامة دولة التوحيد ؛ هيا لهم الملاذ الآمن والقاعدة الصلبة التي تبنى عليها تلك الدولة ، وذلك بإسلام الأوس والخزرج ومبايعتهم للنبي ﷺ ، ثم هجرته إليهم ، وحينما استقر في المدينة وثبت دعائم الدولة انكفأ يدعو إلى الله بأسلوب آخر ، بالقوة والجهاد لمن يعترض سبيل تلك الدعوة كما أمره الله تعالى بذلك حيث قال : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾<sup>٤</sup> ، وكما صرّح هو ﷺ عن حقيقة دعوته ووسيلته لتحقيقها حيث قال : (( بعثت بين يدي الساعة

<sup>١</sup> النحل ( ٣٦ ) .

<sup>٢</sup> المسند ( ٣ / ٤٩٢ ، ٤ / ٣٤١ ) ، والطبراني في الكبير ( ٤٥٨٢ ) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وله شاهد من طريق طارق ابن عبد الله الحارثي أخرجه ابن حبان ( ٦٥٦٢ ) كتاب التاريخ ، باب كتب النبي ﷺ ذكر مقاساة المصطفى ﷺ ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت . الطبعة الثانية ( ١٣١٤هـ - ١٩٩٣م ) بتحقيق شعيب الأرناؤوط . وصححه الحاكم ( ٦١٢ / ٢ ) كتاب التاريخ ، ذكر أخبار سيد المرسلين ﷺ ، ووافقه الذهبي .

<sup>٣</sup> سورة ص ( ٤ - ٧ ) .

<sup>٤</sup> الأنفال ( ٣٩ )

بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم))<sup>١</sup>.

وتوالت الحروب بينه وبين الكافرين مع استمراره في الدعوة والتربية ، حتى أذن الله بالفتح ففتحت مكة ، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجا كما قال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾<sup>٢</sup>.

وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربوع الجزيرة العربية ، وكانت الدولة والكلمة للإسلام ، وزال الشرك وقضي عليه ، حتى بعث النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة علياً رضي الله عنه بهذا الإعلان النهائي المشعر بأنه لا مكان للشرك في هذه الجزيرة ، ولاحق لمشرك أن يمارس شركه فيها ، فكان هذا الإعلان في موسم الحج ليسمعه كل من شهد الموسم ويعود لإبلاغه إلى قومه: ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وإن الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾<sup>٣</sup> ، وكان علي يتبع ذلك بقوله : ( ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك بولا يطوفن بالبيت عريان)<sup>٤</sup>.

وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشرة إلا وقد طهرت الجزيرة من الشرك والمشركين ، وأجلب أهلها للاستجابة لدعوة الله ، وحققوا توحيده ، وصاروا من حزيه بعد أن كانوا من حزب الشيطان ، فما حج رسول الله ﷺ حجته الوحيدة الشهيرة بحجة الوداع إلا وكل من حضر الموسم - وهم عدد كبير لم تشهد الجزيرة تجمعا مثله من قبل - كلهم مسلمون موحدون وبذلك أكمل الله الدين وأتم النعمة على عباده المؤمنين وانتهت مهمة

<sup>١</sup> تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص ( ٤ ) .

<sup>٢</sup> سورة النصر .

<sup>٣</sup> التوبة (١-٣) .

<sup>٤</sup> البخاري مع الفتح (٣١٧/٨-٣١٨)، كتاب التفسير، باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ) ، وباب (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله).



خاتم المرسلين . ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتاب الله معلنة ذلك :  
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾<sup>١</sup> .

وحين رأى الشيطان تلك الفتوح وذلك الإقبال على دين الله وتلك النهاية للشرك والمشركين في جزيرة العرب ، أصابه اليأس وغلب عليه القنوط من عودة الشرك إليها وقيام دولة له فيها كمثل التي هوت وتلاشت بقيام دولة الإسلام ، وقد أخبر النبي ﷺ بيأسه ذلك فقال : (( إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم ))<sup>٢</sup> ، وقال ﷺ : (( واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ))<sup>٣</sup> ، وقال : (( لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ))<sup>٤</sup> .

وليس معنى ذلك أن لا يتطرق أي نوع من الشرك على أي حال من الأحوال ، وإنما المقصود نوع خاص من عبادة الشيطان، كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني إن شاء الله.

<sup>١</sup> المائدة ( ٣ ) .

<sup>٢</sup> صحيح مسلم ( ٢١٦٦/٤ ) ، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه سرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً .

<sup>٣</sup> رواه البخاري مع الفتح ( ٢٠٩/٣ ) ، في الجنازات باب الصلاة على الشهيد ، ومسلم ( ١٧٩٥/٤ ) في الفضائل ، باب إثبات حوض النبي ﷺ ، تحقيق عبد الباقي .

<sup>٤</sup> مسلم ( ١٥٢٣/٣ ) كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : (( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم )) .

## المبحث الثاني

### إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : الإنذار بعودة الشرك إلى جزيرة العرب :

رغم البشارات العظيمة التي رأيناها في المبحث السابق ، فإن النبي ﷺ أُنذِر كذلك بعودة الشرك والوثنية إلى هذه الجزيرة المباركة في أحاديث كثيرة صرَّح فيها بعبادة الأوثان مطلقاً ، أو عبادة أوثان مخصوصة من أوثان العرب في جاهليتها ، أو بلحوق أقوام من أمته بالمشركين ، وهذا كله يدل على أن الأحاديث التي يُفهم منها امتناع عودة الشرك إلى جزيرة العرب ليس على إطلاقها ، وإنما هي محمولة على معانٍ أو أحوال مخصوصة ، والداعي إلى حملها على تلك الأحوال والمعاني المخصوصة هو وجوب الجمع بين النصوص الصحيحة : حتى نتمكن من إعمال جميع النصوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطال بعضها مع صحة أسانيدھا إلى النبي ﷺ كما صرَّح بذلك علماء الأصول والمصطلح<sup>١</sup>.

ومن هذه الأحاديث حديث ثوبان ؓ الطويل الذي أخبر فيه النبي ﷺ ببلوغ الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وفيه: (( لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ))<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> انظر: الموافقات ( ٢٩٩/٤ ) للإمام إبراهيم بن موسى الشاطبي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، والاعتبار في النسخ والنسوخ من الآثار ( ٥٤ ) للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي الهمداني ، تحقيق الدكتور عبد لمعطي قلعي ، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ).

<sup>٢</sup> أبو داود ( ٤٩٩/٢ ) كتاب الفتن ودلائلها ، باب ما ذكر الفتن ودلائلها ، وابن ماجه ( ١٣٠٤/٢ ) كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن . وصححه شيخنا الألباني في صحيح ابن ماجه ( ٣٥٢/٢ ) .

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة ))<sup>١</sup>.

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (( لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ، فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾<sup>٢</sup> أن ذلك تام قال: (( إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة ، فتَوَفَّى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم ))<sup>٣</sup>.

فهذه الأحاديث الثلاثة صحيحة أسانيدھا، صريحة متونها في أن الأوثان ستعبد في جزيرة العرب ، وأن أقواماً من أمة محمد ﷺ سيلتحقون بالمشركين ، ومن باب الإنصاف فإنه يفهم من حديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كائن بعد أن يبعث الله الريح التي تقبض أرواح المؤمنين بومع تسليمنا بذلك إلا أننا نقول : إنه ليس في الحديث ما يمنع وقوع الشرك وعبادة الأوثان قبل ذلك الريح ، وهذا ما سنثبته في المطلب الثاني إن شاء الله .

#### المطلب الثاني : الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب :

إن الأحاديث التي أوردنا بعضها في المطلب الأول لَتَرُدُّ على مَنْ منع عودة الشرك في هذه الأمة ، وذلك من ناحيتين :

**الناحية الأولى** أن هذه الأحاديث دالة قطعاً على أن الحديث الذي يستدلون به (( إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ))<sup>٤</sup> ليس على عموم بل هو مخصوص ، ومعلوم عند أهل الأصول أن العام الذي قد دخل عليه التخصيص تضعف دلالته بذلك ، ولا يكون كالسالم من ذلك الذي لم يتطرق إليه تخصيص ، وعلى هذا فإننا نقول إن كان النبي ﷺ ذكر يأس الشيطان مقرأً له فإن ذلك محمول على حال مخصوص وهو أن تجتمع الأمة على عبادة الأوثان أو نحو ذلك من المعاني والأحوال .

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح ( ٧٦/١٣ ) كتاب الفتن ، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ومسلم مع النووي ( ٣٢/١٨ ) كتاب الفتن .

<sup>٢</sup> الصف ( ٩ ) .

<sup>٣</sup> مسلم مع النووي ( ٣٣/١٨ ) كتاب الفتن و أشرط الساعة .

<sup>٤</sup> تقدم تحريجه ص ( ١٠٩ ) .

وإن كان مجرد إخبار عن حال الشيطان حين بُهر بانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا فهذا ليس بدليل أصلاً ؛ لأن يأس الشيطان ليس بحجة على أحد ، وهو لا شك مخلوق كسائر الخلق معرض لسوء التقدير وخلف الظن، وطروء سائر ما يطرأ على المخلوقين من أمل وقنوط ويأس واستبشار ، ولا يلزم أن يتحقق كل ما يطرأ عليه ، وما يأسه هنا إلا من هذا القبيل ، أيس في ذلك الوقت الذي رأى فيه إقبال الخير واندحار الشر، ثم عاد إليه الأمل والرجاء منذ أن أوشك الرسول ﷺ على الرحيل ، وتحقق له شيء مما أمّله على يد مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي وأتباعهما من المرتدين في نواحي الجزيرة العربية ، وإن كان هذا الحال لم يدم طويلاً حيث قضى أبوبكر ومعه سائر الصحابة على تلك الردة ، وأعادوا المرتدين إلى حظيرة الإسلام ، إلا أن ما حصل كان دليلاً على أن يأس الشيطان لم يكن قاطعاً ولا ثابتاً ، بل كان قابلاً للتحويل إلى الأمل والرجاء .

الناحية الثانية إن مما يدل على أن ذلك الحديث ليس دالاً على عدم وقوع الشرك في جزيرة العرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع :

**النموذج الأول** الردة الواقعة عند وفاة النبي ﷺ وهي معلومة لدى الجميع امتلأت بها كتب السير والتواريخ وكتب السنة والحديث<sup>١</sup> ، ومجرد الردة يعتبر عبادة للشيطان على أي صورة كانت ، فمجرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشيطان ؛ لأنه استجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها .

ومع ذلك فقد صرح العلماء برجوع طوائف من العرب إلى عبادة الأوثان .

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض<sup>٢</sup> وغيره أنهم قالوا : ( كان أهل الردة على ثلاثة أصناف ، صنف عادوا إلى عبادة الأوثان ، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي ، وكان كل منهما ، ادعى النبوة قبل موت النبي ﷺ فصدق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم ، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم - إلى أن قال - وصنف ثالث

<sup>١</sup> وقد أورد ابن كثير أخبار الردة وقاتل المرتدين بإسهاب في تاريخه ( ٣١١/٦ - ٣٣٢ ) .

<sup>٢</sup> هو القاضي عياض بن موسى البحصي توفي سنة ( ٥٤٤ هـ ) انظر ترجمته في السير ( ٢١٣/٢٠ ) والبداية والنهاية ( ٢٢٥/١٢ ) .

## ♦ الباب الأول - الفصل الثاني - القضاء على الوثنية والقبورية ...

استمروا على الإسلام ، ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمان النبي ﷺ وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب ، ثم نقل عن ابن حزم أن العرب انقسمت إلى أربعة أقسام "١٠ والثالثة أعلنت بالكفر والردة .." ١ .

وقد أقر الحافظ هذه الأقوال ، كما أقرها غيره من العلماء والمؤرخين ، وممن نقل ذلك عن القاضي عياض - مقرأ له - أحد مؤرخي حضرموت المعتمدين لدى القبوريين وهو صالح بن علي الحامد في كتابه " تاريخ حضرموت " ٢ ، فهذه الحادثة تنقض الاستدلال بحديث : (( يأس الشيطان )) وحديث : (( ما الشرك أخشى عليكم )) على استحالة عودة الشرك إلى جزيرة العرب نقضاً صريحاً .

**النموذج الثاني - التصريح بالوثنية علي بن أبي طالب ؑ من قبل عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق .**

روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عكرمة - رحمه الله - قال : ( أتى علي ؑ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ " لا تعذبوا بعذاب الله " ولَقَتَلْتَهُمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : " من بدل دينه فاقتلوه " ) ٣ .

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث : ( وزعم أبو المظفر الإسفرايني في " الملل والنحل " أن الذين أحرقهم علي ؑ طائفة من الروافض ادعوا فيه الألوهية وهم السبائية ، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً ، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة ، وهذا يمكن أن يكون أصله : ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال : قيل لعلي ؑ : إن هنا قوم على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال : ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته

١ الفتح ( ٢٧٦/١٢ ) .

٢ تاريخ حضرموت ( ص ١٤٦ ) لصالح بن علي الحامد ، طبع مكتب الإرشاد بمكة بدون تاريخ .

٣ البخاري مع الفتح ( ٢٦٧/١٢ ) .

خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا إلا ذلك ، فقال : يا قنبر ائتني بفعلَةٍ<sup>١</sup> معهم مرورهم<sup>٢</sup> ، فخذَ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر ، وقال : احضروا فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال إني طارحكم فيها أو ترجعوا ، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه ، فجاء قنبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام ، فقال : أدخلهم ، فقالوا كذلك ، فلما كان الثالث قال : لنن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة ، فأبوا إلا ذلك أن يرجعوا فقتلهم فيها حتى احترقوا ، وقال :

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً أو قدت ناري ودعوت قنبراً

وهذا سند حسن )<sup>٣</sup> .

وقد اعترف الرافضة أنفسهم بهذه الحادثة ، فقد أورد الدكتور عبد الرسول الغفار في كتابه "شبهة الغلو عند الشيعة" عدد من الروايات عن أئمة الشيعة تؤيد ما ذكره الحافظ<sup>٤</sup> . وهذا شرك لا ريب فيه وعبادة للشيطان على جميع وجوه التفسير لذلك الحديث ، فإن قال قائل : إن هذا ليس في جزيرة العرب ، قلت : هل الشرك ممتنع في خصوص الجزيرة أم في عموم الأمة ؟ الذي أعرفه من كلام القوم هو أن الشرك ممتنع في عموم الأمة ، وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌ صريح عليهم .

النموذج الثالث : القرامطة الذين أعلنوا عن كفرهم بأقوالهم وأفعالهم ، وأجمع العلماء والمؤرخون على كفرهم وقد خرجوا في هذه الأمة في جزيرة العرب ، وكان مقر ملكهم البحرين ، ووصل من كفرهم أنهم أغاروا على مكة فقتلوا الحجيج ، وانتهكوا حرمة البيت ، واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه واحتملوه معهم إلى مقر ملكهم ، ومكث عندهم بضعا

<sup>١</sup> الفعلَة : جمع فاعلٍ ، أي عامل . والمرور : جمع مرٍّ وهو " المسحاة "

<sup>٢</sup> القاموس المحيط ص ( ٦١٠ ) .

<sup>٣</sup> الفتح ( ٢٧٠ / ١٢ ) .

<sup>٤</sup> انظر : شبهة الغلو عند الشيعة ( ٥٦ - ٦٠ ) للدكتور عبد الرسول الغفار ، الطبعة الأولى ( ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ) دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان .

وعشرين سنة ثم أعادوه ، وعندما فعل قائداهم الخبيث فعلته رفع عقيرته متبجحاً بما فعل معلناً كفره وإلحاده قائلاً :

فلو كان هذا البيت لله ربنا      لصب علينا النار من فوقنا صبا  
لأننا حججنا حجة جاهلية      مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً<sup>١</sup>

وهذا النموذج رد آخر صريح على من يزعم أن الشرك لن يعود إلى جزيرة العرب ، إلا إن كان يفهم من الحديث أن عبادة الشيطان لا تكون إلا بعبادة الأصنام خاصة فإن صاحب هذا الفهم ربما سلم له ذلك ، ولكن ما الدليل على تخصيص عبادة الشيطان بذلك دون سواه من أنواع الكفر والإلحاد ؟

الواقع أنه لا دليل على ذلك ، وأن جميع أنواع الكفر- من شرك وإلحاد وغيرها من أنواع الكفر- هي من عبادة الشيطان ، بل جميع المعاصي من عبادة الشيطان .

قال الإمام الرازي - رحمه الله - : " المسألة الرابعة " قوله : ﴿ لا تعبدوا الشيطان ﴾ معناه لا تطيعوه بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فحسب ، بل الانقياد لأمره والطاعة له فالطاعة عبادة<sup>٢</sup> ، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي .

وقد عدَّ الشنقيطي - رحمه الله - الحكم بغير ما أنزل الله من عبادة الشيطان فقال : ( واتباع الشرائع المخالفة لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾<sup>٣</sup> وقوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾<sup>٤</sup> ) .

النموذج الرابع - علي بن الفضل الجدني الذي ظهر في اليمن عام ( ٢٧٨ هـ ) وقتل بعاصمة مملكته المذيخرة عام ( ٣٠٤ هـ ) هذا الرجل أجمع - كذلك - على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون

<sup>١</sup> مرآة الجنان وعبرة اليقظان ( ٢٧٢/٢ ) لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، الطبعة الثانية ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

<sup>٢</sup> تفسير الرازي ( ٩٦/٢٦ ) .

<sup>٣</sup> يس ( ٦٠ ) .

<sup>٤</sup> مريم ( ٤٤ ) .

<sup>٥</sup> أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ( ٨٣/٤ ) محمد الأمين الشنقيطي طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ .

ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البواح ، فهل يقول القبوريون أنه ليس بكافر ؛ لأن جزيرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام الساعة أم بماذا يجيبون عنه ؟ .

النموذج الخامس : رؤساء وقادة الحزب الاشتراكي اليمني الذين أعلنوا الإلحاد وحاربوا الله ورسوله والمؤمنين ، وأحلوا المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة ، واستهزأوا بالله ورسوله ، اتفقت كلمة العلماء المعتبرين- المعاصرين لهم- على كفرهم وإلحادهم في الجملة ، وهو دليل قاطع على أن الشرك قابل أن يعود إلى جزيرة العرب وإلى سواها من بلاد العالم الإسلامي ، ولا يمكن للقبوريين أن يردوا هذا الدليل بأي حجة مقنعة ، فلم يبق بعد هذه النماذج شبهة للقبوريين إلا الهوى والإصرار على التمسك بالقول وإن ظهر خطؤه .

ومما يدل على إمكان وقوع الشرك في هذه الأمة تواطؤ جميع المؤلفين في الفقه ، وكذا كتب أحاديث الأحكام على تخصيص باب أو كتاب في كل مؤلفاتهم الشاملة باسم باب الردة ، ولو كان الأمر مستحيلاً لما أضاعوا الجهد والوقت في الكلام على أمر مستحيل الوقوع ، إنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم يعلمون يقيناً أن ذلك ممكن ، وأن ما يستدل به القبوريون لا يدل على شيء من ذلك .



### المبحث الثالث

## خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها

وفيه خمسة مطالب :

**المطلب الأول :** تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور :

سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور ، وعرفنا كيف طبق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث ، وكيف فعلوا بقبر النبي ﷺ عند موته ، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر ، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام الفتوح ، وعرفنا مما سبق حذرهم الشديد من ظهور تعظيم القبور وتقديسها خشية الافتتان بها ، وعلى ذلك فلا غرو أن يسير التابعون لهم بإحسان على طريقهم ، وكذلك تابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة ، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في مجموع الفتاوى وهو يتكلم عن مشهد رأس الحسين عليه السلام : ( ... دَعُ خِلاَفَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي أَوَائِلِهَا فِي حَالِ اسْتِقَامَتِهَا فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَكُونُوا يَعْظُمُونَ الْمَشَاهِدَ سِوَاءَ مَنْهَا مَا كَانَ صِدْقاً أَوْ كَذِباً كَمَا حَدَّثَ فِيمَا بَعْدَ ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ كَانَ حِينَئِذٍ فِي قُوَّتِهِ وَعَنْفَوَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ لَا فِي الْحِجَازِ وَلَا الْيَمَنَ وَلَا الشَّامَ وَلَا الْعِرَاقَ وَلَا مِصْرَ وَلَا خِرَاسَانَ وَلَا الْمَغْرِبَ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أُحْدِثَ مَشْهَدٌ لَا عَلَى قَبْرِ نَبِيٍّ وَلَا صَاحِبٍ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَا صَالِحٍ أَصْلاً ، بَلْ عَامَةٌ هَذِهِ الْمَشَاهِدُ مُحَدَّثَةٌ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا حِينَ ضَعُفَتْ خِلاَفَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَتَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ وَكَثُرَ فِيهِمُ الزَّانَدَةُ وَالْمَلْبَسُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَفُشَّتْ فِيهِمْ كَلِمَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ وَذَلِكَ مِنْ دَوْلَةِ الْمُقْتَدِرِ فِي أَوَاخِرِ الْمِائَةِ الثَّالِثَةِ ، فَإِنَّهُ إِذْ ذَاكَ ظَهَرَتِ الْقِرَامِطَةُ الْعَبِيدِيَّةُ الْقِدَاحِيَّةُ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ وَقَرِيباً مِنْ ذَلِكَ ظَهَرُوا

بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قوي بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي عليه السلام بناحية النجف، والآن قبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك وإنما دفن علي عليه السلام بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي، وأنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي، وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع<sup>١</sup>.

ويؤيد ما قرره شيخ الإسلام مقاتلة الإمامان الذهبي وابن كثير، يقول الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهى الذي قال عنه قبل ذلك: ( وكان شيعياً جلدأ أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأثم عاشوراء والاعتزال ) ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: ( قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى )<sup>٢</sup>.

وقال ابن كثير في حوادث سنة ( ٣٤٧ هـ ): ( وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابه من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصرأ وشامأ وعراقأ وخراسان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابه )<sup>٣</sup>.

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي - رحمه الله - في كتابه ( وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ) وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: ( وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجسيصها )<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى ( ٢٧ / ٤٦٥ - ٤٦٧ ) .

<sup>٢</sup> السير ( ٢٥٢ - ٢٥٠ / ١٦ ) .

<sup>٣</sup> البداية والنهاية ( ٢٣٣ / ١١ ) .

<sup>٤</sup> وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ( ٣ / ٩٠٦ ) لنور الدين محمد السمهودي توفي ( ٩١١ هـ ) .

ثم قال تحت عنوان : " بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة " :  
( اعلم أن أكثر الصحابة ؓ - كما قال المطري ممن توفى في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته - مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي ﷺ وسادات التابعين ؓ .  
وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان .

وقال المجد : " لا شك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور و تجسيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلا أفراداً معدودة " <sup>١</sup> .

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه الأم قال : ( ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة ) ، قال الراوي عن طاووس : ( إن رسول ﷺ نهى أن تبني القبور أو تجصص - قال الشافعي - ) : ( وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبني فيها فلم أر الفقهاء يعيرون ذلك ) <sup>٢</sup> .

وحتى قبورية اليمن يعترفون بذلك ، فهذا الشلي<sup>٣</sup> يقول وهو يتحدث عن مقابر تريم : ( إن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره ، بل ولا جهته لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون ) <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٣ / ٩١٦ ) .

<sup>٢</sup> الأم ( ١١ / ٢٧٧ ) للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

<sup>٣</sup> محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي من كبار صوفية حضرموت عاش بمكة وله عدد من المؤلفات أشهرها "المشرع الروي" يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة ؛ شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل ، ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت ، قال علوي ابن طاهر الحداد في جني الشماريخ ص ( ٣١ ) : ( ولا يحتاج الأخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شيء رآه فيه . فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء باغل العالي ، وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه ولا يحضري الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك ) توفي سنة ( ١٠٩٣ هـ ) انظر ترجمته : في المشرع وقد ترجم لنفسه ( ١٧ / ٢ ) .

<sup>٤</sup> المشرع ( ١٤٧ / ١ ) .

المطلب الثاني : ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون :

القبورية فرقة مبتدعة كسائر الفرق المبتدعة الضالة ، يجمعها جميعاً تتبع المتشابه من القول والإعراض عن المحكم الصريح ، فبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البناء على القبور وتجسيصها واتخاذها مساجد والكتابة عليها وغير ذلك من الأدلة المحكمة ، إلا أنهم تركوا ذلك كله و احتجوا بأمور لا يجوز الاحتجاج بها ، إما لعدم ثبوتها أو لعدم دلالتها على المطلوب ، وسأذكر هنا ما استدلو به من وجود مبان على القبور في القرون المفضلة وهي :

(١) أن الصحابة رضي الله عنهم بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك ، ولم يأمرهم بهدمه .

(٢) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها .

(٣) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص .

(٤) أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن العباس رضي الله عنه .

(٥) أن فاطمة بنت الحسين امرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ضربت على قبره القبة سنة ثم رُفعت .

(٦) أن عائشة رضي الله عنها أمرت بفسطاط فضرب على قبر أخيها عبدالرحمن حين مات بندي طوى .

(٧) أن خارجة بن زيد قال : ( رأيتني ونحن شبان في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مضعون حتى يجاوزه ) .

قلت : هذه سبعة آثار استدلت بها القبوريون على وجود أصل لما درجوا عليه من البناء على القبور في عهد السلف الصالح رضي الله عنهم ، وسأرد - بحول الله - على ذلك مبيناً أنه لا أساس لما

<sup>١</sup> تجد هذه الشبهات في رسالة ( الجواب المشكور ) ، وهي عبارة عن فتوى أحاب فيها المفتي عن أسئلة تتعلق بالقبور والبناء عليها ووقع عليها عدد من علماء الهند وأرسلت إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود فقام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء التي أجابت عليها بكتاب " شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور " انظر مقدمة شفاء الصدور (ص ٥-٦) وقد طبع في دار العصمة بالرياض (١٤٠٩هـ) تحقيق عبد السلام آل عبد الكريم ، ورسالة (إحياء القبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ) لأحمد عبد الله الصديق الغماري الطبعة الثانية ، نشر مكتبة القاهرة بمصر .

تمسكوا به إلا ما يفعله من قال الله فيهم : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله﴾<sup>١</sup> .

المطلب الثالث : الرد على ما استدلوأ به من الشبهات على وجود مبان على القبور في تلك القرون :

الشبهة الأولى - قولهم بأن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ فأقرهم على ذلك ، وهم يريدون بذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بصير ﷺ ، حيث ذكر قصة مجيئه إلى النبي ﷺ بعد صلح الحديبية ، وإرسال المشركين يطلبون إرجاعه إليهم وكيف سلمه إليهم ، ثم قتل أبو بصير ﷺ أحد الرسولين ثم خرج إلى سيف البحر ومكث هناك ، ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو وجماعة من المسلمين ، وأنهم شكلوا عصابة لقطع الطريق على المشركين والاستيلاء على قوافلهم ، حتى أرسل المشركون للنبي ﷺ يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي ﷺ إليهم كتاباً بذلك ، فجاء الكتاب وأبو بصير ﷺ في حال الموت ، فمات وكتاب رسول ﷺ على صدره فصلى عليه أبو جندل .

والقصة إلى هنا- في البخاري وغيره - مُسَنَدَة ، غير أن فيما ساقه ابن عبد البر زيادة (( وبنى على قبره مسجداً ))<sup>٢</sup> ، وهذا موضع الشاهد الذي احتج به القبوريون كما فعل الغماري في رسالته إحياء المقبور حيث قال : ( الدليل الثامن : أن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته ﷺ )<sup>٣</sup> ثم ساق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة .

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ولكنه ساق القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر - قال الزهري في حديثه - : غير أن عبد الرزاق لم يذكر موضع الشاهد وإنما وقف عند قوله : ( فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم ، إلا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم )<sup>٤</sup> ، وإلى هنا ساق القصة ابن عبد البر ثم قال : ( وذكر موسى

<sup>١</sup> آل عمران ( ٧ ) .

<sup>٢</sup> الاستيعاب في أسماء الأصحاب ( ٢١/٤ - ٢٣ ) ، للحافظ ابن عبد البر ، هامش الإصابة لابن حجر طبع ( دار الكتاب العربي ) ، بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور ( ٣٨ ) .

<sup>٤</sup> عبد الرزاق في مصنفه ( ٣٣٧ - ٣٤٢ ) .

بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بآتم الفاظ وأكمل سياقه )، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد ( فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً )<sup>١</sup>.

فأنت ترى أن ابن عبد البر فرق بين رواية عبد الرزاق الموصولة الصحيحة وبين هذه الرواية التي نقلها عن موسى بن عقبة ، وقد دمجها الغماري تدليساً على القارئ ليتوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك .

وبعد أن عرفنا أن قصة المسجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعود لنقول : هناك اعتراض على الاستشهاد والاستدلال بالقصة من ناحيتين :

**الناحية الأولى من جهة السند :** فموسى بن عقبة رواها عن الزهري مرسلة، وقد رواها من طريق موسى بن عقبة البيهقي في دلائل النبوة من طريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلة<sup>٢</sup> ، كما رواها ابن عساكر في تاريخه ذكره الشيخ الألباني وقال : ( رواية موسى بن عقبة في تاريخ ابن عساكر (١/٣٣٤/٨) رواه بإسنادين عنه عن ابن شهاب مرسلًا أو معضلاً بلفظ : (وجعل عند قبره مسجداً)<sup>٣</sup> .

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتاج به كما هو مقرر عند علماء الحديث ، هذا لو كان سالماً من المعارضة ، فكيف وهو مخالف لما في البخاري ، حيث لم يذكر تلك الزيادة هو ولا أحد ممن خرج تلك القصة سوى موسى بن عقبة ، ثم هو مخالف للأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي في المنع من بناء المساجد على القبور ولعن فاعل ذلك ، مع تأخر تلك الأحاديث أو بعضها عن هذه الحادثة : إذ كان لعن أولئك في مرض موت الرسول ﷺ .

**الناحية الثانية من جهة المتن :** في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر ( وبنى على قبره مسجداً ) ، هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفاظ ، رووه بلفظ : ( وجعل عند قبره مسجداً ) ، وهم : البيهقي في دلائل النبوة ، وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزو إليهما ، والثالث

<sup>١</sup> الاستيعاب ( ٢٣-٢٢/٤ ) .

<sup>٢</sup> دلائل النبوة ( ١٧٥-١٧٢/٤ ) ، للإمام البيهقي ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ( ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م )

<sup>٣</sup> تحذير الساجد ص ( ١١٨ )

الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه : ( وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً )<sup>١</sup>.

وظاهر أن ( عند قبره ) يختلف قطعاً عن ( على قبره ) ، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع ، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله ، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهى لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية .

وهناك ناحية ثالثة وهي على افتراض أن السند صحيح وأن اللفظ هو كما أورده الغماري : ( على قبره مسجداً ) ، فإن التعارض قائم لا شك ولا إمكان للجمع ، والتاريخ معروف ، فقصة أبي بصير قبل السنة الثامنة سنة الفتح ، والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ﷺ ، بعضها قبل موته ﷺ بخمسة أيام<sup>٢</sup> وبعضها وهو محتضر<sup>٣</sup> ؛ فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة .

الشبهة الثانية من شبهات القوم : أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها .

قلت : قصة ضرب عمر رضي الله عنه الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر ، وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه ، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر : ( أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال : ( لو أني ضربت عليهم فسطاطاً ، فكان أول فسطاط ضرب على قبر ) ، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه ( أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول

<sup>١</sup> فتح الباري ( ٣٥١/٥ )

<sup>٢</sup> هو حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه تقدم تخريجه ص ( ١٩ ) .

<sup>٣</sup> هو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما ( ١٧ ) .

فسطاط ضرب على قبر بالبقيع )<sup>١</sup>، وهناك لفظ ثالث عن عبدالله بن ربيعة قال : ( رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش سنة عشرين في يوم صائف ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر ) .

وهذه الألفاظ جميعها مبينة أن الفسطاط الذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة إنما مد لإظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشمس في ذلك اليوم الصائف، فأى دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبور ؟ ، هذا إن صح ، ولم أكلف نفسي البحث في أسانيدھا لأنها حتى لو صحت لم تدل على قصد المستدل ، وهذا واضح فبطل الاستدلال بهذه القصة .

الشبهة الثالثة من شبهات القوم : قصة عثمان بن عفان ؓ حين ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص ، ولفظها عند ابن سعد من طريق الواقدي سنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قال : ( رأيت يوم مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان ضرب على قبره فسطاطاً في يوم صائف ، فتكلم الناس فأكثرُوا في الفسطاط فقال عثمان : ( ما أسرع الناس إلى الشر وأشبهه بعضهم إلى بعض ، أنشدكم الله من حضر نشدتي : هل علمتم عمر بن الخطاب ضرب على قبر زينب بنت جحش فسطاطاً ؟ قالوا : نعم ، قال : فهل سمعتم عائباً ؟ قالوا : لا )<sup>٢</sup> ، قلت : الحديث في سنده الواقدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لا دليل فيه على ما يريدون .

الشبهة الرابعة من شبهاتهم : أن محمداً بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن عباس ؓ ، قلت : الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال : ( شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام )<sup>٣</sup> وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال : ( حدثنا أبو حمزة ، ثنا عمران بن أبي عطاء ، فجعلها اثنين أبا حمزة وعمران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمران نفسه فلا أدري أهى غلطة

<sup>١</sup> والثلاثة الآثار رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى ( ١١٢/٨ - ١١٣ ) ، طبع دار صادر بيروت ، وطريق موسى بن محمد ابن

إبراهيم بن الحارث وهو التميمي ، رواه الحاكم في المستدرک ( ٢٤/٤ ) ، كتاب معرفة الصحابة ( ذكر زينب بنت جحش ) .

<sup>٢</sup> رواه ابن سعد في الطبقات ( ١١٣/٨ ) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متهم بالكذب .

<sup>٣</sup> ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز ( في الفسطاط يضرب على قبر ) ( ٣٣٥/٣ - ٣٣٦ ) .



مطبعة أم أنه وهم من الحاكم - رحمه الله - ولم يعلق الذهبي على ذلك ، ولا محقق الكتاب في طبعته الجديدة <sup>١</sup> ، وكذلك رواه الخطيب في "موضح أوهام الجمع والتفريق" من طريقين : أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطاء ، وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران ابن أبي عطاء هو أبو حمزة الأسدي <sup>٢</sup> ، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجال مسلم وقال عنه الحافظ في التقريب : ( صدوق له أوهام ) <sup>٣</sup> ، فالأثر ثابت رغم ذلك ؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام ، غير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ أنه لا يخرج عما سبق من الآثار ، إذ بقاء الفسطاط - الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة أيام فقط - دالٌّ أنه كان لغرض آخر غير ما ترمي إليه القبورية ؛ فيما أن يكون بُني على الحفارين ثم ظلَّ كذلك وهذا الأقرب وإما لأمر آخر ، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبور فهذا لا يقوله عاقل منصف .

الشبهة الخامسة : قصة فاطمة بنت الحسين وضربها القبة على قبر زوجها الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب .

قلت : هذا الأثر قد علّقه البخاري في صحيحه ، في كتاب الجنائز ، في باب "ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور" قال : ( ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ؑ ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول : ( ألا هل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه الآخر : بل يئسوا فانقلبوا ) <sup>٤</sup>

وهذا الأثر قد حملَ نقدَه وتفنيدَه معه ؛ لأمر :

الأمر الأول - إيراد البخاري له في هذا الباب دال على استنكاره له ، قال الحافظ - رحمه الله - : ( ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة ) <sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> الحاكم في المستدرك ( ٧٠٢/٤ ) ، كتاب معرفة الصحابة ( ذكر وفاة عبدالله بن عباس ؑ ) .

<sup>٢</sup> موضع أوهام الجمع والتفريق ( ٣٣٢/٢ ) ، للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعي ، طبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى سنة ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٣</sup> تقريب التهذيب ( ٧٥١ ) ، للحافظ ابن حجر .

<sup>٤</sup> البخاري مع الفتح ( ٢٠٠/٣ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٢٠٠ / ٣ )

والأمر الثاني ذكرُ الهاتف فإنه مُشعر بقبح ما صنعت تلك المرأة .

قال ابن المنير - كما نقل عنه الحافظ - : ( إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس ، وتخيلاً باستصحاب المألوف من الأنس ومكابرة للحس ، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية ، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا ، وكأنهما من الملائكة أو من مؤمني الجن ، وإنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا لأنه دليل برأسه )<sup>١</sup> ، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاستئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المساجد على القبور وليس لتأييد ذلك .

قال القسطلاني - رحمه الله - في شرحه على البخاري : ( ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيسلتزم اتخاذ المسجد عند القبر ، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهية وإذا أنكر الصائح بناءً زائلاً وهو الخيمة فالبناء الثابت أجدر ، ولكن لا يؤخذ من كلام الصائح حكم لأن مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام ، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها )<sup>٢</sup> . وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية .

الشبهة السادسة من شبهات القوم : أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الرحمن بعد موته - حين رفعوا أيديهم عن دفنه بذي طوى - فأمرت بفسطاط فضرب على قبره

قلت : هذا الأثر علقه البخاري - رحمه الله تعالى - قال : ( رأى ابن عمر رضي الله عنهما فسطاطاً على قبر عبد الرحمن فقال : انزعه يا غلام فإنما يظله عمله )<sup>٣</sup> .

وقال الحافظ في شرحه : ( وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق بيَّنه ابن سعد في روايته له موصولاً من طريق أيوب بن عبد الله بن يسار قال : ( مرَّ عبد الله بن عمر على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضروب فقال : يا غلام انزعه فإنما يظله

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٣ / ٢٠٠ ) .

<sup>٢</sup> إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ( ٢ / ٤٣٠ ) ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ( الجريدة على القبر ) ( ٢ / ٤٥٧ ) .

عمله ، قال الغلام تضربني مولاتي . قال : كلا ، فنزعه ) ، ومن طريق ابن عون عن رجل قال : ( قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبد الرحمن بن أبي بكر فأمرت بضطاط فضرب على قبره ووكلت به إنساناً و ارتحلت فقدم ابن عمر... ) فذكر نحوه ، وقد تقدّم توجيه إدخال هذا الأثر في هذه الترجمة ) ، قلت: يعني ما ذكره في الأثر السابق أثر فاطمة بنت الحسين وهو أن البخاري قاس الفسطاط على المسجد في الكراهة .

وهذا الأثر كذلك يجب أن يستدل به على محاربة الصحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأصيلها ، فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتبين لنا ما هو السبب في ذلك ، ولا لأي غرض كان نصبها ، ثم ذهبت فلما جاء ابن عمر ﷺ استنكر ذلك وعبر عن استنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسطاط ، رغم إخبار الغلام له بأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنها ، ورغم ما يكنه الصحابة جميعاً لعائشة رضي الله عنها من التقدير والاحترام ، إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيير ما رأى أنها أخطأت فيه .

ولم يذكر بعد ذلك لنا محدث ولا مؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمر ، وهذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمر ، خصوصاً وأن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسكت على ما يرى خلافه ، ومن أجل ذلك كثرت استدراكاتها على الصحابة حتى جمعها الزركشي - رحمه الله - في كتاب مستقل سماه (الإجابة لما استدركته عائشة رضي الله عنها على الصحابة) ولم يذكر هو ولا غيره أن عائشة رضي الله عنها استدركت على ابن عمر ما فعل ، فسقط هذا الدليل والحمد لله .

الشبهة السابعة : أثر خارجة بن زيد - رحمه الله - أحد الفقهاء السبعة أنه قال : ( رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان ﷺ وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه ) .

قلت : الأثر علقه البخاري<sup>١</sup> بنفس اللفظ ، وقد تعرض له العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني<sup>٢</sup> - رحمه الله - في كتاب البناء على القبور وردّه من أحد عشر وجهاً ، و أكتفي

<sup>١</sup> في الصحيح كتاب الجنائز ( الجريدة على القير ) ( ٤٦٥/٢ ) .

<sup>٢</sup> هو العلامة المحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، رحل في طلب العلم والمعاش ، فمكث مدة في الهند ثم استقر في مكة المكرمة أمينا مكتبة الحرم المكي ، حقق عدداً كثيراً من كتب الحديث والرجال ، وألف في الرد على أهل البدع والباطل من

بوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال ، قال رحمه الله : ( ثانياً في تهذيب التهذيب في ترجمة خارجة : " قال ابن نمير وعمرو بن علي: مات سنة (٩٩هـ) وقال ابن المديني وغير واحد : مات سنة مائة " ، فظاهر هذا أن الأكثر على أن موته كان سنة مائة والجمع أولى بأنه مات أواخر سنة ( ٩٩هـ ) ، وفي تاريخ ابن عساكر أنه توفي وعمره سبعون سنة ، وذكر لذلك قصة أن خارجة قال : " رأيت كاني بنيت سبعين درجة ، فلما فرغت منها هويت وهذا السنة لي سبعون سنة وقد أكملتها ، قال فمات فيها " .

ونقل مثله ابن خلكان عن طبقات ابن سعد، فإذا أنقصنا سني عمره من سني الهجرة لموته بقي تسع وعشرون ، فيكون مولده آخر سنة تسع وعشرين ، وعثمان قتل سابع ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، فيكون سن خارجة يوم قتل عثمان ست سنين تقريباً ، فكيف يكون شاباً في زمن عثمان ؟ .

وقد راجعت طبقات ابن سعد ، "طبع أورياً" فظهر أنه روى هذه القصة عن الواقدي ) - قلت : والمعلمي -رحمه الله- يشير بذلك إلى ضعف القصة حيث ظهر تناقضها- ثم قال ( ثالثاً : إذا سلم إسناده ولم نعتبر هذه علة قاذحة فيه ، فإنه ينبغي الجمع بأن يتأول الأثر بأن قوله : ( شبان ) مجاز ، أراد أننا غلمان أقوياء أصحابنا شبان ، ويؤيد هذا كلمة ( غلمان ) الثابتة في التاريخ وإن حذف في التعليق ، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواشبون على قبر رجل من أفاضل السابقين ، ولا سيما ويجواره قبر ابن رسول الله ﷺ ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً لأن من روى عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التوثب عليه . وقوله: ( إن أشدنا وثبة ... الخ ) . يدل أن أكثرهم يقصر فيقع على القبر والذي يجاوزه يقع على القبور المجاورة ، وأبناء الصحابة ﷺ لم يكونوا يبلغون التمييز إلا وهم عارفون آداب الدين

أشهر كتبه " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل " وله كتاب بعنوان " البناء على القبور " لم يكمله ، وفي الموجود منه ما يدل على تحقيق بالغ وعلم غزير كما أن له كتاباً بعنوان " القائد إلى تصحيح العقائد " توفي رحمه الله بمكة سنة (١٣٨٦هـ) انظر ترجمته بقلم عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي في مقدمة التنكيل ص(٩) طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) و هجر العلم (٣/ ١٢٦٦) طبع دار الفكر المعاصر بيروت ، ودار الفكر سورية الطبعة الأولى ( ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ) .

ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد ، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الذي عمره ست سنين - وإن كان قوياً - يشق عليه أن يثب أكثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً .

ويشبهه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أعرض قليلاً من القبور المعتادة ، ويكون خارجة أراد بذلك القول : الإخبار عن عرض القبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر <sup>١</sup> .

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح وسأثبت - إن شاء الله - إضافة لما سبق خلاف ذلك : وهو إنكار السلف لكل ما هو من هذا القبيل والتنصيص على منع إقامة الفساطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع .

**المطلب الرابع : التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها :**

تقدم في الباب التمهيدي في الأسلوب السابع : أمر النبي ﷺ بتسوية القبور المشرفة ، وذلك عن فضالة بن عبيد ، وعلي بن أبي طالب ﷺ ، وكذلك تطبيقيهما لذلك ، فأمر فضالة بتسوية قبر <sup>٢</sup> صاحبهم الذي مات برودس ، كما بعث علي ﷺ أبا الهياج الأسدي لذلك الغرض <sup>٣</sup> ، وكذلك عثمان بن عفان ﷺ كان يأمر بتسوية القبور بما في ذلك قبر ابنته أم عمرو بنت عثمان <sup>٤</sup> ، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيال وقد مرّ وأما قضية الفساطيط فقد مرّ معنا قصة عائشة في وضع فسقاط على قبر أخيها عبد الرحمن وكيف

<sup>١</sup> البناء على القبور ص ( ٣٣-٣٤ ) ، للعلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، تحقيق حاكم بن عيسان المطيري ، الطبعة الأولى ( ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م ) ، دار أطلس الرياض ، وقد رد في هذا الكتاب وبأسلوب قوي وحجج رصينة ساطعة شبهة اتخاذ المسجد على أصحاب الكهف فليرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة .

<sup>٢</sup> انظر : ص ( ٥٤ ) .

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ٥٤ ) .

<sup>٤</sup> الباب التمهيدي ص ( ٥٤ ) .

<sup>٥</sup> انظر : ص ( ٦٩-٧٠ ) .

أزاله ابن عمر ولم تعترض على ذلك<sup>١</sup>، وكذلك ما فعلته فاطمة بنت الحسين وماتبه به على خطئها من الهاتفين ، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور<sup>٢</sup>.

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة رضي الله عنه ( ألا يضربوا على قبره فسطاطاً )<sup>٣</sup>، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنه<sup>٤</sup>، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب<sup>٥</sup>، وقال محمد بن كعب القرظي ( هذه الفساطيط التي على القبور محدثة )<sup>٦</sup>، وقال عمر بن شرحبيل : ( لا ترفعوا جدتي<sup>٧</sup> فأني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك<sup>٨</sup> ).

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

**المطلب الخامس : محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك :**

<sup>١</sup> انظر : ص ( ١٢٦ )

<sup>٢</sup> انظر : ص ( ١٢٦ ) .

<sup>٣</sup> رواه عبد الرزاق ( ٤١٨ / ٣ ) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة ، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز : في الفسطاط بضرب على القبر ( ٣٣٥ / ٢ ) ، وزاد الشيخ الألباني - رحمه الله - عزوه إلى الربيعي في وصايا العلماء ( ١٤١ / ٢ ) ، وابن سعد ( ٣٣٨ / ٤ ) قال : وإسناده صحيح تحذير الساجد ص ( ١٤٣ ) .

<sup>٤</sup> ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق ( ٣٣٥ / ٢ - ٣٣٦ ) ، وعمر بن شبة في أخبار المدينة الطبعة التي علق عليها الشيخ عبد الله الدويش ( ص ٩٦ - ٩٧ ) دار العليان بريدة الطبعة الأولى ( ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ) ، وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر ( ٩٦ / ٧ ) وقال : إسناده ضعيف ، لكن له طرق أخرى عند ابن عساكر فهو بها صحيح . انظر : تحذير الساجد ص ( ١٤٣ ) وقال الشيخ الدويش معلقاً على سند ابن شبة : رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن الرجال قال في التقريب : ( صدوق ربما أخطأ ) . قلت : ومن كان هذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر - رحمه الله - .

<sup>٥</sup> رواه ابن سعد في الطبقات ( ١٤٢ / ٥ ) .

<sup>٦</sup> ابن أبي شيبة في مصنفه ( ٣ / ٣٣٦ ) ، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص ( ١٤٣ ) : ورجالها ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات ، قال أبو حاتم وأبو زرعة : ( لا أعرفه ) كما في " الجرح والتعديل " ( ٢ / ٤٦٤ - ٤٦٥ ) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد الهند سنة ( ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ) .

<sup>٧</sup> الجدث : القبر ، انظر : القاموس المحيط ص ( ٢١٣ ) .

<sup>٨</sup> رواه ابن سعد ( ٦ / ١٠٨ ) وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد ( ص ١٣٤ ) .

لقد نشأت الشيعة - يوم نشأت - غالبية في حبها غالبية في بغضها ، وكانت الرافضة من أكثر فرق الشيعة غلواً ، ولا عجب فإن مُنْشِئُهَا ومؤسسها الأول كان يهودياً غالياً ، يحمل أسوأ ما عند اليهود من عقائد ، وينطوي على أبشع ما لديهم من حقد على الإسلام والمسلمين ، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الرفض عبد الله بن سبأ اليهودي<sup>١</sup> ، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة بذور القبورية والوثنية في طياتها منذ نشأتها الأولى ، ففي الوقت الذي كانت الأمة - كل الأمة - تحارب القبورية وتطمس آثارها ، كان هؤلاء الغلاة يحاولون إنشاء المشاهد والقباب على قبر الحسين (عليه السلام) في كربلاء ، ولكن يقظة الخلفاء والأمراء وما يجري في عروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية .

وينظرة عابرة إلى تاريخ كربلاء يتبين ذلك ، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بناء أقيم على قبر الحسين (عليه السلام) كان بعد دفنه مباشرة<sup>٢</sup> ، ولم أرَ في تواريخ أهل السنة ما يؤيد ذلك بوقد اختلفوا فيمن أقام تلك المباني فقيل: بنو أسد الذين تولوا دفنه، وقيل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وكلا الاحتمالين لم يقيموا عليه دليلاً معتبراً ، وعندي أنه إن كان ذلك

<sup>١</sup> هو عبدالله بن سبأ الحمدي وقيل الحميري ، اليماني النسب والدار، اليهودي الديانة ، أسلم زمن عثمان وهاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر ، وهناك تحرك في تحريض الثوار على عثمان (عليه السلام) حتى قتلوه ، ثم عاد فاندس في أصحاب علي (عليه السلام) وغرس فيهم العقيدة الضالة عقيدة ألوهية علي (عليه السلام) ، فما كان من علي (عليه السلام) إلا أن زجرهم عن ذلك فلما لم يترجروا أخرجهم بالنار . وهـل أُحرق معهم ؟ ربما الأصح أنه هرب ولم يحرق ، ثم كَوْنُ فرقة هي من أحيث فرق الشيعة وتسمى السنية ، أخرجها جمهور السنة والشيعة من فرق المسلمين ، وقد أثبت وجود هذه الشخصية الخبيثة مؤرخو السنة والشيعة على السواء ، غير أن بعض المعاصرين من آيات الشيعة وجد أن ترقيع ذلك الثوب المهلهل لا يجدي ، فقرر عدم وجود شخص اسمه عبدالله بن سبأ ، واقم سيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصية ، غير أن باحثي أهل السنة فندوا تلك الدعوى ، ورد على ذلك المؤلف الشيعة عدد من باحثي أهل السنة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفة ، وأجمع ذلك - حسب علمي - هي رسالة الشيخ سليمان بن حمد العودة التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ( ١٤٠٢ هـ ) بعنوان ( عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ) ، ونشرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ، فليرجع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل .

<sup>٢</sup> تاريخ كربلاء ( حائر الحسين (عليه السلام) ) ، للدكتور عبد الجواد الكلبدار ، طبع مطبوعي الصغير بالقاهرة بدون تاريخ ص ( ١٥١ ) .

ثابتاً فالمختار أخرى به ؛ لأنه كان شيعياً متعصباً نذر نفسه للقضاء على قتلة الحسين مع ما عنده من انحرافات وكذب على الله حتى زعم أنه يُوحى إليه <sup>١</sup> .

ولكن كيف تم له ذلك؟ وإن تم فكيف يُقر ويُترك في ظل دولة ابن الزبير، ثم في ظل دولة بني أمية؟ وهم كما يقول مؤرخ كربلاء: (أقاموا المخافر والمسالخ <sup>٢</sup> المدججة بالعتاد والسلاح والرجال على أطراف كربلاء لمطاردة الزوار ومعاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم) <sup>٣</sup> .

إن أولئك الزوار المزعومين - الذين وضعت دولة بني أمية العتاد والسلاح والرجال لمنعهم من الزيارة - إنما كانوا يزورون ذلك المكان المقدس المعلم بالبناء المزعوم ، فكيف يُعقل أن يترك البناء طيلة تلك الفترة دون أن يتعرضوا له ، مع وجود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظفر به من الزوار .

وقد زعم مؤرخ كربلاء أن أول من تعرّض لهدم ما على القبر من بناء هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين ، ولم يرجع ذلك إلى مصدر معتمد ، وإنما عزاه إلى منظومة بعنوان "مجالى اللطف" للشيخ محمد السماوي <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> هو كذاب ثقيف المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفى ، أظهر التشيع أيام معاوية فنفى إلى الطائف ، فلما قام عبدالله بن الزبير وفد إليه فأرسله إلى العراق ، وهناك اتصل بالشيعية وزين لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بدون أمره ، وأظهر المخاريق وزعم = أن جبريل يأتيه بالوحي ، وتتبع قتلة الحسين ثم قامت الحرب بينه وبين مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبدالله وبعد جولات هزمه مصعب وقتله وقتل جمعاً من أصحابه، وفيه تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( إن في ثقيف كذاباً ومبرأ ) أما الكذاب فرأيناه - تعني المختار - وأما المبرر فما أخالك إلا إياه ( رواه مسلم . وفيه يقول سراقه البارقي :

كفرت بوحيكيم وجعلت نذراً  
أري عيني ما لم تُرياه

عليّ جهادكم حتى الممات  
كلانا عالم بالترهات

ترجمه الذهبي في السير ( ٥٣٨/٣ ) وما بعدها ، وابن كثير في البداية والنهاية ( ٢٨٩/٨ ) وما بعدها .

<sup>٢</sup> المخافر : جمع مخفر وهو مكان الحفارة والحراسة ، والمسالخ : جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح . القاموس ص ( ٢٨٧ ) ، والمعجم الوسيط ( ٢٤٦/١ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ كربلاء ص ( ١٨٣-١٨٤ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٤ ) .



قلت: إن صح هذا فإنه قد يكون هناك مبانٍ يسيرة بُنيت خلسة في حال غفلة من الرقباء ، فلما عرف بها المنصور بادر إلى هدمها ..

ثم زعم مؤرخ كربلاء أنه في عهد هارون الرشيد وفي آخر أيامه بالذات : ( هدم الحائر و كُرب موضع القبر المطهر وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده ليمحو بعد ذلك كل أثر له )<sup>١</sup> ، وهذا إن صح فهو شبيه بما فعله أبو جعفر المنصور ، وقد أورد بعد ذلك قصة توحى بأنه كان للحائر نظام معين وله خدم وسدنة موظفون للقيام بواجب الخدمة وأوقاف هي تلك الأموال التي أجرتها أم موسى وهي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور وقد عزی تلك القصة إلى الطبري في تاريخه في حوادث عام ( ١٩٣ هـ )<sup>٢</sup> .

وعلى كل حال فاحتمال أن يكون الشيعة - في الفترة ما بين عصر المنصور والرشيد - قد تمكنوا من عمل شيء ما من البدع وأحدثوا شيئاً ما من المعالم على قبر الحسين - غير بعيد ، ولكن حينما فطن لها الرشيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشرع إزالته ، وأما كون القبر قد صار له نظام معين وإدارة وسدنة .... الخ فهذه مزاعم لا دليل عليها ، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر .

ثم ذكر أن القبر وما عليه من بناء وما حوله من دور قد هدمت في أيام الخليفة المتوكل أربع مرات خلال خمسة عشرة سنة بأطال في ذلك جداً وكانت مراجعه في ذلك في الغالب كتب الشيعة وبعض كتب مؤرخي أهل السنة ، والذي يظهر أن بناءً بشكل ما قد أقيم على القبر ، وذلك بعد عهد الرشيد وفي أيام الخلفاء الذين تبنا مذهب الشيعة وهم المأمون والمعتصم والواثق ، إما برضى منهم أو بانصرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها ، لعدم الحساسية التي كانت لدى أسلافهم ، من ذلك : فتمكن المتربصون من الرافضة مما يريدون ، حتى إذا كانت خلافة المتوكل ورجع عن التشيع والاعتزال وأحاط به أهل السنة قام بما

<sup>١</sup> الحائر : موضع قبر الحسين عليه السلام ، و كُربته : آثاره للزرع . انظر : القاموس ص ( ١٦٦ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ص ١٨٦ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٦ ) .

يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشرع تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ الذي رواه عنه على بن أبي طالب ؓ .

هذا الذي يمكن أن يكون قد حصل وأما ما كثر به الدكتور عبد الجواد الكلام وسوّد به الصفحات فهو مما لا تطمئن إليه النفس ، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مرات في خلال خمس عشرة سنة مع إصرار المتوكل على منع أي إحداث في ذلك الموضع ، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كان قد أعاد البناء على قبر الحسين و وضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه ، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط .

غير أن مؤرخي السنة قد ذكروا ميل المنتصر إلى آل أبي طالب ومحبته لهم وإرجاع بعض ما كان لهم من الأوقاف وغيرها <sup>١</sup> ، ومن هنا فلا يستبعد أن يجيبهم إلى شيء من ذلك ، غير أن كل ما يمكن أن يقال : أنه فعله ، إنما هو وضع علامة على قبر الحسين ؓ فقط ، ليعرف موضع القبر ، والشيعية عندما يستमितون في إثبات ذلك إنما يريدون الاستدلال على عراققة ما هم عليه من القبرورية المعاصرة وأن جذورها ممتدة إلى القرون المفضلة .

وبهذا تعرف أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة ، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبرورية ، ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبرورية ، وما حاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبهَ بردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم .

ولا يقدح فيما قرره العلماء من خلو القرون المفضلة من مظاهر القبرورية ، وجود بعض قبور للخلفاء قد أبرزت وبني عليها ، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصده بالنفى ، حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقصدون للتبرك ، وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسلاطين ، على أن هذه القبور التي بُني عليها إنما كانت في القرن الثالث بعد الجولة التي ظهر فيها الرفض والتجهم أيام المأمون والمعتمد والواثق ، وقد نص المؤرخون على أن أول

<sup>١</sup> تاريخ الخلفاء ( ٣٥٦ ) لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد عبيد الحميد ، مطبعة دار السعادة مصر ، الطبعة الأولى

( ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م )

خليفة أبرز قبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ( ٢٤٨هـ ) بطلب من أمه الرومية الأصل<sup>١</sup>.

ثم بنيت عليه قبّة عرفت فيما بعد باسم القبّة الصليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفتان المعتز (ت ٢٥٥هـ) والمهتدي (٢٥٦هـ)، وقد قرر المستشرق (هرستفيلد) أنها أول قبّة في الإسلام، وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين<sup>٢</sup>، وهذا تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضلة مرت وليس فيها مشاهد ولا قباب على قبور الأئمة والأولياء ومن يرى فيهم الصلاح.

<sup>١</sup> ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة (٢٤٨هـ). وعنه ابن كثير في البداية والنهاية نفس السنة (١٠ / ٣٥٤) ونص كلام ابن كثير في ترجمة المنتصر ابن المتوكل: (وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمه حبشية الرومية)، قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية.

<sup>٢</sup> مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١ / ٤٦) للدكتورة سعادة ماهر محمد طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية مصر بدون تاريخ، وموسوعة العتبات المقدسة (١٢ / ٢٢٩) لجعفر الخليلي الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) مؤسسة الأعلمي بيروت، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ص (٣٤) للدكتور قصي الحسين الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، والعمارة الإسلامية ص (٤٣) للدكتور كامل حيدر دار الفكر اللبناني بيروت.



## الفصل الثالث

نشأة القبرورية في الأمة المحمدية  
والتعريف بأهم الفرق القبرورية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الشيعة رائدة القبرورية في الأمة المحمدية .

المبحث الثاني : الصوفية ربيبة الشيعة وناشرة القبرورية  
في الأمة المحمدية .

المبحث الثالث : مساهمة السلاطين في نشر القبرورية في  
الأمة المحمدية .

## المدخل

عرفنا في الفصل الثاني كيف طهر رسول الله ﷺ جزيرة العرب من الوثنية، وكيف طهر أصحابه البلاد التي وصلوا إليها فاتحين، وكيف خلت القرون المفضلة من مظاهر وآثار القبورية .

فكيف إذن نشأت القبورية في هذه الأمة ؟ ومن هو الذي عمل على إنشائها ونشرها في الأمة ؟ وما هي بواعث ذلك ؟ .

هذا ما سنعرفه في هذا الفصل ؛ وذلك بمعرفة أهم الطوائف القبورية التي سعت إلى نشر قبوريتها في الأمة ، ومعرفة دوافعها إلى ذلك .

بعد أن عرفنا من تعريف القبورية أن أهم ميزة يتميز بها القبوريون هي : الغلو في أهل القبور ، وتقديس تلك القبور والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى ، وإقامة الشعائر والطقوس عندها ؛ مما جعل كثيراً من العلماء يشبه أفعال القبورية عند ضرائح أوليائهم وأئمتهم بما كان يفعله المشركون عند أصنامهم ، فمن المهم أن نعلم أن أشد فرق الأمة تقديساً للأموات وقبورهم هم الشيعة والصوفية ، فهم أول من أقام المشاهد على القبور ، ووضع الأحاديث في فضائلها وفضائل زيارتها ، وسن الأعمال والطقوس عندها ، وقد دفع دجاجة التصوف والتشيع الحكام إلى القيام ببناء تلك المشاهد والإنفاق عليها ؛ بما زينوا لهم من ذلك ؛ وما أوهموهم به من الأجر والثواب إضافة إلى ما لدى الحكام أنفسهم من رغبة في ذلك لتعظيم أنفسهم وذويهم ، وما يطمعون فيه من كسب سياسي من وراء إقامة تلك المشاهد والقيام عليها .

فصارت هذه الطوائف الثلاث ( الشيعة - الصوفية - الحكام ) أبرز الطوائف التي أنشأت ونشرت القبورية في هذه الأمة ، وهذا ما سنبينه في هذا الفصل إن شاء الله .

## المبحث الأول

### الشيعة ودورهم في نشر القبورية في الأمة

وفيه أربعة مطالب :

#### المطلب الأول : التعريف :

##### أ- في اللغة :

الشيعة في اللغة الأنصار والأتباع، قال الفيروزآبادي : ( وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة، ويقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علماً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً )<sup>١</sup>. قلت : وفي قوله : ( وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علماً وأهل بيته ) قصور بين؛ لأن جميع المؤمنين السالمين من النصب يتولون علماً وأهل بيته، ولعل المسوغ لهذا القصور أن هذا التعريف جاء عرضاً غير مقصود .

##### ب- في الاصطلاح :

لقد عُرِّفت الشيعة بتعريفات كثيرة، سواء من علماء الشيعة أنفسهم أو من علماء السنة، وتفاوتت تلك التعريفات دقةً وتعميماً، ولعل من أدق تلك التعريفات وأكثرها تحديداً تعريف الشهرستاني حيث قال : ( هم الذين شايعوا علماً عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله .

<sup>١</sup> القاموس المحيط (ص ٩٤٩) .

يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقيّة، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك<sup>١</sup>.

تعريف شامل لفرق الشيعة المختلفة خصوصاً الفرق الثلاث الأساسية: الإمامية، والإسماعيلية، والزيدية، وهذه الفرق هي التي سوف يدور الحديث عنها هنا في الغالب.

**المطلب الثاني: النشأة:**

لم يكن هناك خلاف بين أصحاب رسول ﷺ في حياته يستدعي أن يكون لكل واحد منهم شيعة وأنصار يؤيدونه على خصومه حتى مات ﷺ.

وبعد وفاته ﷺ تطلّع بعض الصحابة إلى الإمارة تطلعاً مؤقتاً؛ حمل عليه مفاجأة الموقف وخلوّ هذا المنصب العظيم بموته ﷺ<sup>٢</sup>، ثم حسم الأمر في سقيفة بني ساعدة وزال كل أثر لذلك التطلع<sup>٣</sup>، وعادت الألفة والمحبة، واجتمعت الكلمة وأخلص كل الصحابة بدون

<sup>١</sup> الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (١٠٦/١)، تحقيق أبي عبد الله السعيد المنجد، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الثانية (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

<sup>٢</sup> كما روى ذلك البخاري - رحمه الله - (١٤٢/٨) مع الفتح، في كتاب المناقب، باب مرض النبي ﷺ ووفاته من حديث ابن عباس ﷺ أن العباس ﷺ (أخذ بيد علي ﷺ فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العسا، وإني لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجهه هذا، إني لأعرف وجهه بني عبد المطلب عند الموت. اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك. وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا، فقال علي: (إنا والله لن سألناها رسول الله ﷺ فممنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ). ففي هذا الحديث يظهر شيء من التطلع من قبل آل رسول الله ﷺ للإمارة، غير أنهم كما يظهر من السياق مستعدون للتسليم لمن يجعلها له رسول الله ﷺ بدليل قول العباس: (وإن كان في غيرنا علمناه فأوصي بنا).

<sup>٣</sup> في سقيفة بني ساعدة ظهر تطلع بعض الأنصار للإمارة حتى قالوا للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير، ولكن بعد مجيء أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم وخطبة أبي بكر فيهم زال ما في نفوسهم وبايعوا أبا بكر ﷺ البيعة الأولى (الخاصة) ولم يكن علي ﷺ حاضراً، ثم في اليوم الثاني اجتمعوا في المسجد، وخطب عمر بن الخطاب ﷺ خطبة شرح فيها ما دار في سقيفة بني ساعدة، وأشاد بفضائل أبي بكر واعتذر عما فرط منه عند وفاة النبي ﷺ، ثم طلب من أبي بكر أن يصعد المنبر وأن يتلقى البيعة، ففعل وبايع الناس ولما نظروا في وجهه الناس افتقدوا علياً والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فدعيا وعوتبا فأظهرا أن سبب تأخرهما هو عدم إشراكهما في الشورى التي جرت بالأمس، وأنهما لا يعترضان على تولية أبي بكر، وذكرنا من فضائله وخصائصه شيئاً ثم بايعاه. انظر: أخبار السقيفة والبيعة في البداية والنهاية (٢٤٥/٥ - ٢٥٠)، وعصر الخلافة الراشدة



استثناء لمن نصبوه بكامل حريتهم واختيارهم، واجتمعت الكلمة عليه، ولم يعد في نفس أي منهم أي تطلع إلى ذلك المنصب وكان من أشدهم ولاءً وإخلاصاً وصدقاً آل رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم عليّ ﷺ والعباس ﷺ ومن وراءهم من أهل البيت، وذلك هو اللائق بمقامهم الطاهر البريء من النفاق والمخادعة .

ثم شعر أبو بكر بدنوّ الأجل فعهد إلى عمر ﷺ، واستتبّ الأمر على ذلك كما استتب لأبي بكر، ولم يظهر من علي ﷺ أي شيء يدل على سخطه وتبرّمه من ذلك، وحينما طعن عمر ﷺ وشعر بقرب الانتقال إلى الدار الآخرة عهد بالخلافة إلى الستة النفس كما هو معلوم، ومنهم علي ﷺ والتزم عليّ بنتيجة الشورى وسلم لمن وقع عليه الاختيار وهو عثمان ﷺ، وحينما صدر عن عثمان ﷺ بعض التصرفات التي نقمها عليه البعض لم يخض علي ﷺ في شيء من ذلك، بل حرص على استتباب الأمر ودفع الفتنة، بل إنه حينما وصل الأمر إلى أشده، واستطاع البغاة ورؤوس الفتنة بقيادة وتحريض عبد الله بن سبأ اليهودي<sup>١</sup> عندما استطاعوا الوصول إلى المدينة وحصر عثمان في منزله، بادر علي ﷺ بالدفاع عنه وأرسل ابنه الحسن والحسين للدفاع عنه حتى النهاية<sup>٢</sup> ولم يكن راضياً بأي حال من الأحوال عن تصرف أولئك الخوارج البغاة وليس له بهم أي صلة على الإطلاق<sup>٣</sup>.

للدكتور أكرم ضياء العمري ص (٣٨-٤٧) طبع مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ط الأولى (١٤١٤-١٩٩٤). وقد أعاد علي ﷺ البيعة بعد ستة أشهر من خلافة أبي بكر ﷺ علناً في المسجد، وذلك بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، حيث كانت عاتبة على أبي بكر لعدم توريثها من أبيها، واستمر عتبها بل ومقاطعتها له حتى ماتت، وكان عليّ لا يستطيع إظهار خلافها للاعتبارات العائلية، ولحفظ رسول الله ﷺ فيها، فلما ماتت بادر بالبيعة مرة ثانية قطعاً منه لأي توهم بعدم رضاه بأصل خلافة أبي بكر وإبانه عن البيعة. وانظر: البداية والنهاية (٥ / ٢٨٥-٢٨٦)، وفتح الباري (٧ / ٤٩٥) عند شرح حديث عائشة الطويل في مطالبة فاطمة بمراثيها من رسول الله ﷺ، وقصة نفرتها من أبي بكر، وما حصل لعلي بعد موتها من تغير وجوه الناس عنه، ثم سعيه في المصالحة التامة مع أبي بكر ومبايعته علناً في المسجد ... الخ الحديث الذي أورده البخاري في أواخر باب غزوة خيبر (٧ / ٤٩٣)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ لا نورث، ما تركناه فهو صدقة (٣/١٣٧٩-١٣٨٣) قال الحافظ ابن حجر: (وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن علياً بايع أباً بكر في أول الأمر) (٧/٤٩٥).

<sup>١</sup> سبق التعريف به مستوفى (ص ١٣١).

<sup>٢</sup> انظر: البداية والنهاية (٧/١٨١).

<sup>٣</sup> بل لقد زجرهم ونهاهم عن ذلك وأعلمهم أن ذلك الجيش ملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ. انظر: البداية والنهاية (٧/١٧٦).

وعندما قتل عثمان شغل منصب الخلافة وأصبح دعاة الفتنة في مأزق لا يحسدون عليه ، فليس منهم من يمكن أن يسدّ تلك الثغرة ، ولا يمكن بقاء الأمة بدون خليفة ، ولم تكن هناك آلية لنصب خليفة جديد يمكن أن ترضاه الأمة وتدعّن له ، وحينما تلفّثوا حولهم وجدوا أنه ليس مؤهلاً لذلك غير علي رضي الله عنه ، فذهبوا إليه وعرضوا الأمر عليه فامتنع من ذلك ؛ لأن هؤلاء ليسوا أهل الحل والعقد الذين تعتبر مبايعتهم وترشيحهم نيابة عن الأمة ولكن ماذا يترتب على رفضه ؟ ومن ذا سيحل في ذلك المنصب ؟ وبعد تمتّع طويل وهروب منه رضي الله عنه والحاح شديد من الناس قبل رضي الله عنه .<sup>١</sup>

إلى هذا الوقت لم يظهر أي أثر للتشيع المذموم لعلي رضي الله عنه ولم يكن بحاجة إلى هذا التشيع إذ أن جميع الصحابة والمؤمنين شيعة ومواليه ، ومن كان معترضاً على شيء مما جرى فإنما كان اعتراضه على ما حدث للخليفة عثمان رضي الله عنه من أولئك القتل دعاة الفتنة ، وكانت المطالبة أن يقيم علي رضي الله عنه حدّ القصاص على من قتل الخليفة ، وهو مطلب تصعب تلبيةه في ذلك الظرف ، وتطوّر الحال إلى المطالبة القوية من قبل عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم حتى وصل إلى المواجهة العسكرية في حرب الجمل ، ولم يكن هناك شيعة موالية وأعداء حاقدون ، وإنما طائفتان من المؤمنين أدى اجتهد كل واحدة منهما إلى ما أذاها إليه ، ودخل في الوسط أعداء الطائفتين حتى جرّوهما إلى الحرب وقعت الحرب وانتهت ، ولم تحلّ الأحقاد والضغائن في قلوب الصادقين المؤمنين الحريصين على الحق من الطائفتين ، بدليل ما صدر من علي رضي الله عنه تجاه عائشة رضي الله عنه وكيف حافظ عليها وأكرمها غاية الإكرام وكذلك ما حصل منه لمن بشره بقتل الزبير .<sup>٢</sup>

ثم جاء دور النزاع بين علي ومعاوية وحصلت معركة صفين ثم ما تلاها من أمر التحكيم ، وفي هذه الفترة بدأت تتكون البذرة الأولى للتشيع<sup>٣</sup> ، كما ظهر في نفس الوقت

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٢٢٦ / ٧ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٢٤٦ / ٧ ) . .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٢٥٠ / ٧ ) .

<sup>٤</sup> انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية ص ( ٥ ) لمحمد شكري الألوسي تعليق محب الدين الخطيب نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ( ١٤٠٤ ) .

الخوارج<sup>١</sup> والنواصب<sup>٢</sup>، ولعل أول تأثير عقائدي لعبد الله بن سبأ كان في هذه الفترة حيث واجه أتباعه أمير المؤمنين علياً عليه السلام بدعوى الألوهية فيه فزجرهم، وحينما لم ينفع فيهم الزجر أحرقهم بالنار كما مرّ، ولكن تلك العقيدة ما زالت تسري في عروق الشيعة حتى اليوم غير أنها تظهر جلية في بعض الأحيان لدى بعض الطوائف وتختفي أحياناً، وتندثر بالتقية أحياناً أخرى. وبعد ذلك قتل علي عليه السلام على أيدي الخوارج<sup>٣</sup>، ثم تنازل الحسن عليه السلام لمعاوية عليه السلام عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، ولم يلق هذا التصرف رضا من أصحابه وشيعة أبيه، غير أن إرادة الوحدة بين سائر المسلمين وداعي الجماعة وصوت النصح والإخلاص، وشخصية معاوية كانت أقوى من معارضتهم فرضخوا واستكانوا.

وحينما تولى معاوية عليه السلام وخلفه يزيد وجد أولئك الناقمون الفرصة سانحة، فكاتبوا الحسين بن علي عليه السلام بالخروج إليهم ليبياعوه وينصروه فاغترّ بوعودهم وحينما توجه إليهم كان بنو أمية قد علموا بذلك وحزموا الأمر في العراق، وعاد معظم من غرّ بالحسين ليخرج على يزيد عادوا جنداً في صفوف جيش عبيد الله بن زياد، ف وقعت معركة غير متكافئة في كربلاء ذهب ضحيتها الحسين عليه السلام ومجموعة من أهل بيته لم يثبت معه غيرهم، وكان قتل الحسين عليه السلام بطريقة بشعة مثيرة للعواطف والأحزان تأسّف لها شيعته الذين وعدوا فما وفّوا، بل إن كثيراً منهم كان ضمن الجيش الذي قضى على الحسين وعصبته، ولذلك فقد فعلت فاجعة مقتل الحسين عليه السلام ما لم تفعله جميع الفواجع السابقة بما فيها الفاجعة بقتل علي عليه السلام.

<sup>١</sup> (هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام حين جرى أمر الحكمين، واجتمعوا بمروراء من ناحية الكوفة، وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام أعني يوم النهروان) الشهرستاني في الملل والنحل (١/٨٥)، وهذه الطائفة التي ذكرها تسمى المحكّمة وهناك فرق وطوائف خارجية كثيرة يجمعها كلها الغلو والتكفير بالكبيرة واستباحة دماء المسلمين وأموالهم و الخروج على أئمتهم.

<sup>٢</sup> النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون بغضه علي عليه السلام لأنهم نصبوا له أي عادوه. انظر القاموس المحيط (ص ١٧٧).

<sup>٣</sup> سبق ذكر ذلك في الباب الأول الفصل الثاني في المطلب الثاني.

<sup>٤</sup> (العبر في خبر من غير) (١/٣٣/٣٤) للإمام الذهبي طبع دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م) والبداية والنهاية (٧/٣٢٤ - ٣٣١).

<sup>٥</sup> العبر (١/٣٤ - ٣٥)، والبداية والنهاية (٨/١٤ - ١٩).

ودخلت الشيعة بمقتل الحسين طوراً جديداً أشدّ غلواً وأكثر انحرافاً وأوسع تجاوباً مع المندسين من أعداء الإسلام في ذلك الصف .

ثم خرج زيد بن علي -رحمه الله - عام ( ١٢٢هـ ) في زمن هشام بن عبد الملك بوعد جديد من عموم شيعة العراق بمناصرته ، غير أنهم خذلوه في أحلك الظروف وهو أحوج ما كان إليهم ، وذلك أنهم -بعد أن أعلن خروجه وبدأ المسير إلى خصمه- قالوا له : لن نخرج معك حتى تتبرأ من أبي بكر وعمر فقال : كيف أتبرأ منهما وهما وزيرا جدي ، فقالوا : إن لم تفعل رفضناك فقال لهم : اذهبوا فأنتم الرافضة<sup>١</sup> ، ومن هنا انشقت الزيدية عن الجماعة الأم لقولهم بإمامة زيد .

#### الشيعة الإمامية:

أمّا بقية الشيعة أو الرافضة فقد ساروا في طريقهم وسلسلوا الإمامة في نسل علي بن أبي طالب ﷺ من جهة الحسين وهم يتفقون مع الزيدية على أربعة وهم : علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين زين العابدين ، ثم تنفرد الزيدية باعتقاد إمامة زيد ثم من يليه من الأئمة الخاصين بهم ، وتستمر الإمامية في تسلسل الإمامة إلى محمد بن علي الباقر ، ثم جعفر بن محمد الصادق ، ثم من بعد جعفر الصادق تنشق عنها الإسماعيلية -باعتبار الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل أو ابن ابنه محمد بن إسماعيل كما سيأتي- بينما تعتبر الإمامية الإمام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه علي بن محمد الهادي ثم ابنه الحسن بن علي العسكري ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي -الذي يزعمون أنه غاب في سرداب سامراء وهم إلى اليوم ينتظرون خروجه- ولقد تفرّع عن كل فرقة من فرق الشيعة الأساسية الثلاث فرق عدة ، وهم فيما بينهم يضلّل بعضهم بعضاً ، بل يكفر بعضهم بعضاً في كثير من الأحيان ، ولعل هذا الاستعراض الموجز يكفي لبيان نشأة وتطور الشيعة الإمامية .

<sup>١</sup> انظر : البداية والنهاية ( ٣٢٩/٩ - ٣٣٠ ) .

### الشيعية الزيدية :

و الزيدية هم : ( منسوبون إلى زيد بن علي عليه السلام لقولهم جميعاً بإمامته، وإن لم يكونوا على مذهبه في مسائل الفروع، وهي تخالف الشافعية والحنفية في ذلك لأنهم إنما نسبوا إلى أبي حنيفة والشافعي لمتابعتهم إياهما في الفروع )<sup>١</sup>.

و الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة في بدء ظهورها، وكان ظهورها حين خرج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك بالكوفة عام ( ١٢٢ هـ )، وقد قتل -رحمه الله- في اليوم الثاني من شهر صفر من تلك السنة<sup>٢</sup>، ثم تابعه على الخروج ابنه يحيى سنة خمس وقيل ست وعشرين ومائة ( ١٢٥ أو ١٢٦ هـ ) في جوزجان في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية<sup>٣</sup>، ثم خرج بعده محمد ابن عبد الله الملقب بالنفس الزكية عام ( ١٤٥ هـ ) أيام أبي جعفر المنصور<sup>٤</sup> بالمدينة، ثم خرج بعدهم يحيى بن عبد الله أخو النفس الزكية ( ١٤٥ هـ ) وكان يأخذ البيعة لأخيه فلما بلغه مقتل أخيه أخذ البيعة لنفسه واستولى على البصرة حتى قتل في ذي الحجة من نفس السنة<sup>٥</sup>، ثم لم ينتظم -للزيدية بعد استشهاد زيد بن علي وابنه يحيى ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه إبراهيم- أمرٌ حتى ظهر الناصر الأطروش الحسن ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان سنة ( ٢٨٤ هـ ) وقيل سنة ( ٢٨٧ هـ ) فطلب مكانه فاختفى واعتزل الإمارة سنة ( ٣٠٢ هـ )، ثم صار إلى بلاد الجبل والديلم فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرة ولكنها حالت بعد ذلك عن القول بإمامة الفضول وطعنّت في الصحابة طعن الإمامية<sup>٦</sup> وكان تحويلها إلى الرفض بعد

<sup>١</sup> المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص ( ٩٦ )، تأليف المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني اليماني، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، نشر دار الندى بلبنان الطبعة الثانية عام ( ١٤١٠ هـ ) .

<sup>٢</sup> الحذائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية لأبي الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي ( ١٤٥/١ )، مخطوط مصور نشر دار أسامة على نفقة السيد يوسف بن السيد محمد المؤيد الحسيني بدون تاريخ.

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٥٤/١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٥٧/١ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ١٦٩/١ ) .

<sup>٦</sup> الملل والنحل الشهرستاني ص ( ١١٢ - ١١٤ ) .

ظهور الدولة البويهية ( ٣٢٠ - ٤٤٧ هـ / ٩٣٢ - ١٠٥٥ م ) التي كانت زيدية ثم تحولت إلى شيعة غلاة ، وابتدعت بدعاً ليس عليها أثارة من علم ، لا من كتاب ولا من سنة ومنها على سبيل المثال الاحتفال بعيد الغدير، وتجريم من تقدم من الخلفاء الراشدين ﷺ جميعاً<sup>١</sup> .

وبقيت الزيدية ظاهرة حاكمية في اليمن منذ وصول أول أئمتهم إليها يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق<sup>٢</sup> وكان وصوله سنة ٢٨٣ هـ ووفاته سنة ٢٩٨ هـ إلى أن أطيح بآخر إمام منهم محمد ابن أحمد بن يحيى حميد الدين الملقب بالبدرسنة (١٣٨٢ هـ) ، هذه نهاية الدولة الزيدية ، أما المذهب فما زال قائماً إلى اليوم .

الشعبة الإسماعيلية :

وأما الشيعة الإسماعيلية فقد سموا بذلك الاسم لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له ، والقول بإمامته بعد أبيه سواء مات في حياة أبيه أو بعده<sup>٣</sup> ، وقيل نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي يزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه<sup>٤</sup>، وكانت نشأتهم بعد وفاة جعفر الصادق -رحمه الله- عام (١٤٨ هـ) ، وهم في حقيقة الأمر أتباع أبي الخطاب السدوسي الملقب بالملحد الذي كان من أصحاب جعفر ثم ظهر منه الانحراف ومقالات الزنادقة فطرده ، وصرح لأصحابه بأنه زنديق ملحد ونهاه عن مجالسة ابنه إسماعيل خوفاً

<sup>١</sup> انظر الزيدية نشأتها ومعتقداتها للفاضي إسماعيل بن علي الأكوخ ص ( ٢٨ - ٢٩ ) ، الطبعة الثالثة عام (١٤١٨ هـ) نشر دار الفكر سورية، ودار الفكر المعاصر لبنان ..

<sup>٢</sup> هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس المذهب الهادي والدولة الزيدية في اليمن المتوفى سنة (٢٩٨) انظر ترجمته في السيرة المفردة المسماة (سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) لصاحبه علي بن محمد العلوي طبع دار الفكر بيروت ط الثانية (١٤٠١-١٩٨١) تحقيق زهير زكار، وأعلام المؤلفين الزيدية (١١٠٣) تأليف عبد السلام بن عباس الوجيه طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية الأردن ط الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

<sup>٣</sup> وهو قول الشهرستاني في الملل والنحل ( ١ / ١٤٠ ) .

<sup>٤</sup> وهو قول الغزالي في فضائح الباطنية (ص ١١) ، طبع دار البشير - عمان الأردن الطبعة الأولى سنة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، ومثله ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ١٣٢) ، من طبعة المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) حققه عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه محمد إبراهيم الزغلي .

على ابنه من الضلال والزندقة<sup>١</sup>، وقد قيل بأن إسماعيل مات في عهد أبيه فعهد جعفر بالإمامة إلى ابن ابنه محمد بن إسماعيل<sup>٢</sup>، وقيل: إنه لم يمّت ولكن جعفر أشاع موته وكتب بذلك محضراً وأشهد عليه خوفاً على إسماعيل من القتل<sup>٣</sup>، ثم لم يلبث إسماعيل أن مات بعد أبيه بعد أن أوصى بالإمامة لابنه محمد بن إسماعيل<sup>٤</sup>، وعلى كلا القولين فإن الأمر استقر في محمد ابن إسماعيل والتفت حوله أصحاب أبي الخطاب<sup>٥</sup> مع زميله في الدعوة ميمون بن ديصان القداح<sup>٦</sup>، وبذلك وقع ما كان يحذره جعفر الصادق إذ وقع ابن ابنه محمد بن إسماعيل في شراك الخطابية أكفر فرق الشيعة، فحوّلوا معتقدات المنتسبين إليه إلى باطنية ملحدة، كما وقع في شراك ميمون القداح الذي كان ستره وكفيله<sup>٧</sup> الذي حوّل الإمامة من نسل

<sup>١</sup> انظر: أصول الإسماعيلية ( ٢٠٩/١ ) وما بعدها للدكتور سليمان عبد الله السلومي، وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ( ١٤٠٩ هـ ) طبع دار الفضيلة الرياض ط الأول ( ١٤٢٢ - ٢٠٠١ ).

<sup>٢</sup> الملل والنحل ( ١٤٠/١ )، وهذا ما رجحه الدكتور السلومي في أصول الإسماعيلية ( ٢٥٧/١ ).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٤٠/١ - ١٤١ )، وانظر الموضوع بتوسع في: أصول الإسماعيلية ( ٢٥٥/١ - ٢٥٩ ).

<sup>٤</sup> تاريخ الدعوة الإسماعيلية (ص ١٢٩) للدكتور الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب، طبع دار الأندلس بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ.

<sup>٥</sup> الصلة بين التصوف والتشيع ( ٢١٢/١ ) للدكتور كامل مصطفى الشبيبي، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية في عام ( ١٩٥٨ م )، الطبعة الثالثة عام ( ١٩٨٢ م ) دار الأندلس بيروت.

<sup>٦</sup> انظر: أصول الإسماعيلية ( ٢٣٩ / ١ ).

<sup>٧</sup> أثبت علاقة ميمون القداح بمحمد بن إسماعيل، وكون ميمون حجته وستره وكفيله الدكتور مصطفى غالب في تاريخ الدعوة الإسماعيلية نقلاً عن بعض المصادر السورية الإسماعيلية التي بين يديه (ص ١٣٣)، وعن المؤرخ الإسماعيلي إدريس عماد الدين (ص ١٣٨)، بل يعترف بمكانة ميمون القداح المرموقة في تاريخ الدعوة الإسماعيلية فيقول (ص ٣٩): (احتلت أسرة القداح مكاناً مرموقاً في تاريخ الدعوة الإسماعيلية في دورها الأول، وكان الأئمة يعتمدون على أفراد هذه الأسرة التي قدمت للإسماعيلية أجل الخدمات، ويعتبر مؤسس هذه الأسرة الداعي الكبير ميمون القداح أول من اتخذ الأئمة المستورون حجة ونائباً، لهم وتقول بعض المصادر التاريخية أن الإمام جعفر الصادق جعله حجاباً وسترأ على حفيده محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين).

جعفر إلى نسله هو، وبذلك لم يبق للفرقة الإسماعيلية صلة بآل البيت النبوي لا نسباً ولا اعتقاداً<sup>١</sup>.

وقد تحوّلوا بمركز دعوتهم إلى سَلْمِيَّة من أرض سوريا ومنها بعثوا دعائهم إلى الأقاليم مصر والمغرب واليمن وغير ذلك من البلدان، غير أنه لم تنجح دعوتهم إلا في اليمن، حيث وصل مندوبها ميمون القداح منصور بن الحسن بن فرج بن حوشب الذي عرف بمنصور اليمن، وعلي بن الفضل الجدني عام ( ٢٦٨ هـ ) وأسس كل منهما دولة باطنية، وسيأتي الكلام عليهما في الفصل الرابع، وكان نجاحهما نجاحاً محدوداً، وأما النجاح الكبير فكان لمندوبهم في المغرب حيث هيأ لقيام دولتهم هناك، وبالفعل قامت تلك الدولة باسم المهدي محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والصحيح أنه من أبناء ميمون بن ديسان القداح المجوسي أو اليهودي الأصل<sup>٢</sup>.

وبعد فترة زحفت جيوش تلك الدولة على مصر واحتلتها واختطّ قائدها جوهر الصقلي مدينة القاهرة المصرية وبعد إتمام بنائها انتقل إمامهم المعز لدين الله إليها<sup>٣</sup>، وحكم مصر وأطراف الشام ومناطق واسعة من أفريقيا ثم اليمن عبر دولة الصليحيين، وامتد نفوذهم إلى الحجاز بواسطة الصليحيين كذلك، وبلغت دولتهم في مصر مبلغاً عظيماً جداً من الرقي والحضارة ورغد المعيشة، كما حاولت بشتى الوسائل أن تنشر مذهبها بين الناس وأن تنهي أهل السنة فلم تقدر على ذلك؛ ومن أجل ذلك بنت الجامع الأزهر، وظلت كذلك حتى دبّ إليها الضعف وهاجم أراضيها الصليبيون.

<sup>١</sup> أعني أن أئمة الإسماعيلية الذين حكموا المغرب ثم مصر وقطاعاً كبيراً من ديار المسلمين وسعوا بالفاطميين من أبناء عبيد الله بن ميمون القداح الفارسي وليسوا من أبناء محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد تكلم المؤرخون والنسابون في هذا كلاماً طويلاً غير أن غالبية مؤرخي ونسابة أهل السنة والشيعة على حدّ سواء ينكرون نسبتهم إلى محمد بن إسماعيل ويشتونها إلى عبيد الله بن ميمون ؛ ولذلك يسموهم ( العبيديين ) وقد توسع في بحث ذلك إحسان إلهي ظهر في كتابه ( الإسماعيلية ) توسعاً كبيراً جداً استغرق من ( ص ١٦٧ - ٢٦٦ )، وبعد ذلك جزم بما عليه الجمهور أنهم عبيديون وليسوا فاطميين، فسارجع إليه إن أردت.

<sup>٢</sup> انظر: التعليق السابق.

<sup>٣</sup> وكان ذلك عام ( ٣٦٢ هـ ) انظر: تاريخ الإسماعيلية ( ص ١٩١ ) .



ولما بدأت حركة الجهاد ضد الصليبيين جادةً على يد الزنكيّين، عماد الدين<sup>١</sup>، ونور الدين<sup>٢</sup>، وعرف نور الدين مكمّن الخطر على ذلك الجهاد، وأنه من جهة العبيديين في مصر، فأرسل قائده أسد الدين شيركوه<sup>٣</sup> ومعه صلاح الدين<sup>٤</sup>؛ لتعزيز جبهة مصر ضد الصليبيين ومراقبة أمر تلك الدولة المنهارة عن كذب<sup>٥</sup>، وبقيت جنوده فيها حتى مات آخر أئمتها المسمى بالعاضد لدين الله، وعلى إثر ذلك انتزع الحكم صلاح الدين من أيديهم<sup>٦</sup>، وطمس معالم دولتهم، وأزال ما غرسوه من عقائد ضالة وما صنعوه من أعمال مخالفة للشرع، وبذلك طويت صفحة هي من أعجب الصفحات؛ فرخاء وتقدم وحضارة في أمر الدنيا، وكفر وإلحاد وزندقة وقبورية وثنية لم تشهد أمة الإسلام مثلها في أمر الدين، فرحم الله صلاح الدين الذي قضى عليهم وأعاد السنة إلى مصر وملحقاتها .

<sup>١</sup> هو عماد الدين بن قسيم الدولة أفسقر بن عبد الله التركي، أحد عظماء السلاطين الذين هياهم الله للتمهيد لإزالة ملك الصليبيين عن بلاد المسلمين في الشام، استولى على البلاد وعظم أمره بعد حروب طويلة، قتل - رحمه الله - سنة إحدى وأربعين وخمسمائة انظر سير أعلام النبلاء ( ١٨٩/٢٠ - ١٩١ )، والبداية والنهاية ( ١٢ / ٢٢١ ) .

<sup>٢</sup> هو الملك العادل نور الدين بن عماد الدين زنكي ويعرف بنور الدين الشهيد تمكن من جهاد الصليبيين . حقق انتصارات عليهم ثم سمّت هتمه إلى ضم مصر وإنقاذها من أيدي العبيديين الباطنية ؛ ليأمن من المكر بجيوش المسلمين . وكان يوصف بالعدل والديانة والزهد والورع وكثرة أعمال الخير، توفي - رحمه الله - سنة ( ٥٦٩ هـ ) انظر سير أعلام النبلاء ( ٢٠ / ٥٣١ - ٥٣٩ )، والبداية والنهاية ( ١٨ / ٢٧٧ - ٢٨٦ ) .

<sup>٣</sup> الأمير الشهير والقائد الخطير أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان ، أخو الأمير نجم الدين أيوب ، وعم صلاح الدين، كان أحد الأبطال المذكورين والشجعان الموصوفين ترعب الفرنج من ذكره ، طرد الصليبيين من ( بلبليس ) و تمكن من الانفراد بوزارة العاضد الفاطمي فبقي في ذلك شهرين ثم توفي - رحمه الله - سنة ( ٥٦٤ هـ ) فحل محله صلاح الدين انظر سير أعلام النبلاء ( ٢٠ / ٥٨٧ - ٥٨٩ )، والبداية والنهاية ( ١٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠ ) .

<sup>٤</sup> هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب الكردي ، كان من أمراء نور الدين الدين الشهيد والمقربين إليه ، فانتدبه مع عمه أسد الدين شيركوه لحفظ مصر وفتحها، وبعد موت شيركوه استقل بالوزارة ثم أزال الدولة الفاطمية، وهذا وحده من أعظم الفتح، ثم سعى في توحيد البلاد الإسلامية، وكانت حياته كلها جهاد، حتى هزم الصليبيين أول هزيمة مؤثرة في حطين، ثم فتح القدس بعد احتلال دام قرابة قرن من الزمان، ومازال بطارد الإفرنج حتى أحلّاهم عن معظم بلاد الشام، وقد اشتهر مع جهاده بالديانة والورع وحب الخير، وعمل الأعمال العظيمة في مصر والشام، ومات - رحمه الله - سنة ( ٥٨٩ هـ )

<sup>٥</sup> انظر سير أعلام النبلاء ( ٢١ / ٢٧٨ - ٢٩١ )، والبداية والنهاية ( ١٣ / ٦ / ٢ ) .

<sup>٦</sup> البداية والنهاية ( ١٢ / ٢٦٤ - ٢٦٧ )

ومن عباءة الإسماعيلية خرجت دولة القرامطة في البحرين ؛ ألد وأكفر دولة وأعنفها عرفتها جزيرة العرب ، حتى لقد هاجم أحد زعمائها مكة وقتل الحجاج وملأ بهم بئر زمزم ، ثم اقتلع الحجر الأسود ومكث عنده وعند أتباعه بالبحرين نحو عشرين سنة ، كما خرجت من عباءتها دولة علي بن الفضل الجدني الملحد أحد أكبر السفاحين في تاريخ الإسلام ، وأحد أكبر الملحدين من الحكام ، وكلتا الدولتين حينما اشتد عودهما وقوي نفوذهما أعلنتا الانفصال عن دولة العبيديين في مصر واستقلالهما بما تحت أيديهما ، مع البقاء على نفس العقيدة والمبادئ الإسماعيلية في الجملة ، وكذلك خرجت من تحت تلك العباءة دولة منصور اليمن قصيرة العمر ، ثم دولة الصليحي الذي حكم اليمن كله باسمهم ، وضُم بعض مدن الحجاز إليه خصوصاً مكة وما جاورها<sup>١</sup>. وقبل القضاء على دولة العبيديين كانوا قد انقسموا إلى قسمين : نزارية ، ومستعلية ؛ نسبة لإمامين تنازع القصر الحاكم في توليتهما فتبع كلا منهما فريقٌ وسُمي باسمه فكان أهل مصر واليمن والهند ( البهرة ) أتباع المستعلي ويسمون ( المستعلية ) ، وأهل إيران والمشرق أتباع نزار ويسمون ( نزارية )<sup>٢</sup> ، وقد قوي نفوذ هؤلاء فيما بعد وأسسوا دولة مكثت مدة وهي قوية مرهوبة هي دولة الحشاشين أو الفدائيين في منطقة ( الألمات ) بإيران ، وما زالت هذه الفرقة متواجدة في كثير من بلدان العالم الإسلامي ومنها الهند وباكستان وسوريا واليمن والمملكة العربية السعودية وهم يسمون في كل بلد باسم خاص ، ففي الهند والباكستان يسمون بالبهرة<sup>٣</sup> ، وفي سوريا يسمون بالعلويين<sup>٤</sup> ، وفي السعودية واليمن يسمون بالماكرمة أو اليمامية<sup>٥</sup> ، وهم وإن لم يكن لهم اليوم سلطان رسمي ظاهر إلا أنهم يعتقدون إمامة د . محمد برهان الدين المقيم حالياً في بومباي

<sup>١</sup> الصليحيون الحركة الفاطمية في اليمن ص ( ٨٨-٩٢ ) تأليف حسين بن فيض الله الحمداني اليعربي الحرازي بالاشتراك مع

د. حسن سلمان محمود الجهني ، تنفيذ دار المختار ، دمشق . بدون تاريخ .

<sup>٢</sup> تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ( ٢٤٠ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ( ٢٤٠ ) .

<sup>٤</sup> مقدمة كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( ٢٨ ) لأبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري بتحقيق

وتعليق محمد بن علي بن الحسين الأكرع الحوالي طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء الطبعة الأولى

( ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٢٥ ) .

بالهند ، ويملكون امكانات ضخمة تؤهلهم متى أرادوا أن يقيموا دولتهم ، ولهم طموحات كبيرة لاستعادة السلطة والمكان المفضل لديهم لإقامتها هو ( اليمن )<sup>١</sup> .

### المطلب الثالث : عقائد الشيعة الباعثة على القبورية :

الشيعة فرقة غالية باتفاق مؤرخي الملل والنحل ، وجميع فرقها لديها غلو وإن كانت تتفاوت فيه ، وغلوها في كافة الاتجاهات ، فهي غالية في حبها وفي بغضها ، كما هي غالية في ولائها وبرائها ، وكذلك في حكمها على الآخرين ، والذي يهمنها هنا هو إثبات غلوها في البشروهي في ذلك لم يضارعها أحد من فرق المسلمين ، كيف وقد صرح بعض فرقها بألوهية الأئمة تصريحاً واضحاً لا لبس فيه !! وهذا لم يجزؤ عليه أحد من فرق المسلمين وقد مرّ بنا كيف صرّحت السبئية بألوهية علي عليه السلام في حياته ، بل إنها واجهته بذلك ، وقد زجرها ونهاها عن ذلك فلم تنزجر ، حتى أن أفراداً منها صمدوا على ذلك حتى أحرقهم بالنار عليه السلام ، وقد تقدم ذلك<sup>٢</sup> .

وكما ادّعت السبئية ألوهية علي عليه السلام ادّعتها لبعض أئمتهم .

يقول الشهرستاني - رحمه الله - : ( هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبّوها واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبّوها بالإله بالخلق ... )<sup>٣</sup> .

وهذا ربما قيل إنه من تقول أهل السنة عليهم لذلك فهذه نصوص من كتبهم أنفسهم فمنهم من ألّه محمد بن الحنفية ، ومنهم من ألّه جعفر الصادق ، ومنهم من ألّه الإمام الكاظم ، ومنهم من قال بألوهية الإمام الرضا ، وبالجمله فهناك فرق غالية كثيرة من فرق

<sup>١</sup> انظر : كتاب الفرقة الباطنية رؤية من الداخل قراءة جديدة وحقائق معاصرة تأليف علوي طه الجمل مصفوف بالكمبيوتر ولم يطبع بعد ، الفصل الأول : الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني ، ص ( ١٩ - ٤٩ ) .

<sup>٢</sup> ص ( ٧٦ - ٧٧ ) .

<sup>٣</sup> الملل والنحل ( ١ / ١٢٧ ) .

<sup>٤</sup> شبهة الغلو عند الشيعة ( ٧٢ ) للدكتور عبد الرسول الغفار طبع دار المحجة البيضاء بيروت ط الأولى ( ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ) .

<sup>٥</sup> أصول الكافي ( ١ / ٢٦٩ ) ، والبحار ( ٢٥ / ٢٧٩ ) .

<sup>٦</sup> رجال الكشي ( ٦ / ٧٧٧ ) .

<sup>٧</sup> عيون الأخبار ( ٢ / ١٨٣ ) ، والمواشم من ( ٣ - ٥ ) كلها من كتاب شبهة الغلو عند الشيعة ( ٧١ - ٨٨ ) .

## ♦ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبورية في الأمة المحمدية

الشيعة قالت بألوهية الأئمة منها : (السبئية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والخطابية ، والهشامية ، والإسماعيلية ، والقرامطة ، والدروز ، والنصيرية )<sup>١</sup>.

وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة وتحديداً : فيتبغى أن تنتقل من التعميم إلى التخصيص ، ونعرض لفرق الشيعة الكبرى والحية المؤثرة عبر التاريخ وإلى اليوم ، فنبدأ بالإمامية أظهر وأشهر فرق الشيعة<sup>٢</sup> ، بل إن اسم الشيعة إذا أطلق اليوم فإنما ينصرف عند أكثر السامعين إليها ، وهي القائمة على أكبر تجمع لمظاهر القبورية في العالم في العراق وإيران ، لأن الفرق التي أشرنا إليها سابقاً قد يقول قائل : إنها لم تعد موجودة الآن ، وإنما الكلام عنها يعتبر عن أمم لا أثر لها في حياة الناس اليوم ، ومع أني لا أسلم بهذا القول لأن تلك العقائد مازالت موجودة ولو بشكل متناثر ، يظهر من حين إلى آخر في فلتات الألسن ونتاج الأقلام ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن خلاصة تلك العقائد موجودة لدى الفرق المعاصرة من الإمامية والإسماعيلية .

فأقول : إن الواجب هو إثبات قبورية هذه الفرق المعاصرة ، وخصوصاً الإمامية والإسماعيلية ، إذ الزيدية أقل منهما غلواً وقبورية ، وسأتكلم عنها عند الحديث عن نشأة القبورية في اليمن .

### قبورية الإمامية :

فأما قبورية الإمامية فمنشؤها غلوهم في أئمتهم بحيث أعطوهم صفات من صفات الربوبية والألوهية ، وبموجب ذلك توجهوا إليهم يعبدونهم من دون الله ، ويسألونهم ما لا يقدر عليه إلا الله . فهذا ابن أبي الحديد أحد كبارهم يقول في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام :

<sup>١</sup> الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة للدكتور/ محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى .

<sup>٢</sup> الإمامية ويقال لهم الاثنا عشرية : ( هم القائلون بإمامة علي عليه السلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين ) الشهرستاني ( ١ / ١١٧ ) . ويقول أحد باحثيهم المعاصرين وهو محمد جواد معنية في كتابه ( الاثنا عشرية وأهل البيت ) ( ٩٥ ) : ( الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة بإثني عشر إماماً تعينهم بأسمائهم ) بواسطة أصول الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ( ١ / ١٠٣ ) للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع دار الحرمين للطباعة القاهرة ط الثانية ( ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ) .

ويكبر عن تشبيهه بالعنصر

يجل عن الأعراض والأين والمتى

عذرت بها من شك أنك مريبوب<sup>١</sup>

ويقول : ثقيلت أخلاق الربوبية التي

وفي مراجعهم الأساسية ينسبون إلى علي عليه السلام أنه يقول : ( أنا الأول وأنا الآخر وأنا

الظاهر وأنا الباطن وأنا وارث الأرض )<sup>٢</sup> .

وينقلون عن محمد الباقر قوله : ( نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة

بالرحمة على عباده )<sup>٣</sup> ، وقوله : ( نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه )<sup>٤</sup> ، ومن

أبواب كتابهم أصول الكافي : (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى

عليهم شيء صلوات الله عليهم )<sup>٥</sup> ، ومن أبواب كتابهم الآخر بحار الأنوار : ( باب : أنهم

يظهرون بعد موتهم ويظهر منهم الغرائب )<sup>٦</sup> ، ومن أبوابه : ( باب أنهم يقدرّون على إحياء الموتى

وإبراء الأكّمة والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام )<sup>٧</sup> ، ومن أبوابه : (باب أن

دعاء الأنبياء أستجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين )<sup>٨</sup> ، ومن أبواب

كتاب بصائر الدرجات : ( باب في الأئمة أنهم يحيون الموتى ويبرئون الأكّمة والأبرص

بإذن الله )<sup>٩</sup> .

<sup>١</sup> مختصر التحفة الاثني عشرية ص ( ٩ ) للسيد محمود شكري الألوسي في الأصل والحاشية.

<sup>٢</sup> رجال الكشي طبع الهند ص ( ١٣٨ ) بواسطة بطلان عقائد الشيعة ص ( ١٣ ) ، للعلامة محمد عبد الستار التونسي ، رئيس

منظمة أهل السنة بباكستان ، طبع عام ( ١٤٠٨ هـ ) ليس عليه اسم الدار ولا رقم الطبعة.

<sup>٣</sup> أصول الكافي ص ( ٨٣ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٨٤ ) ، كلاهما بواسطة بطلان عقائد الشيعة ص ( ١٥ ) .

<sup>٥</sup> حتى لا نتخذ ص ( ١٢١ ) ، للباحث عبد الله الموصلي ، نشر دار سلامه للنشر والتوزيع الطبعة الخامسة عشرة عام

( ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٢ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٣ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٤ ) .

<sup>٩</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٤ ) .

وإذا كان هذا فكر متقدميهم فهل بقي من أثر لدى المعاصرين الذين يعيشون عصر الذرة وثورة المعلومات ؟ الجواب : نعم إنهم مازالوا بنفس العقلية وعلى نفس الاعتقاد، فهذا أحد شعرائهم المعاصرين يخاطب أمير المؤمنين علياً عليه السلام بقوله :

أبا حسن أنت عين الإله      وعنوان قدرته السامية  
وأنت المحيط بعلم الغيوب      فهل عنك تعزب من خافية  
وأنت مدير رحي الكائنات      وعلة إيجادها الباقية  
لك الأمر إن شئت تنجي غداً      وإن شئت تسفع بالناصية<sup>١</sup>

اعتقادهم أن الأئمة واسطة بين الله وبين خلقه :

وقد رتبوا على ما مضى أن الأئمة هم الواسطة بين الله وبين خلقه، يقول المجلسي عن الأئمة : ( فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين خلقه )<sup>٢</sup>، ونسبوا إلى جعفر الصادق قوله : ( نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل )<sup>٣</sup>، وليسوا واسطة عامة الناس بل إنهم وسيلة و واسطة لأولي العزم من الرسل فمن دونهم فقد نقل : ( عن الرضا عليه السلام قال : لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق ، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً ، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله ييساً ، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجى من القتل فرفعه الله )<sup>٤</sup>.

تخصص الأئمة في الإمداد والإغاثة بما يحتاج إليه الناس كل منهم في مجاله :

والأئمة متخصصون في أبواب الإغاثة والإمداد لكل منهم وظيفة خاصة يقصده من له حاجة إلى ما تشمله تلك الوظيفة ( أما علي بن الحسين فليئجاة من السلاطين ونفث الشياطين ، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فلاخرة وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل ، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل ، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار ، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى ، وأما علي بن

<sup>١</sup> عبد الحسين العاملي في ديوانه ( ديوان الحسين )، الجزء الأول من القسم الأول، بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ١٠٦٩ / ٣ )

<sup>٢</sup> بحار الأنوار ( ٩٧ / ٢٣ )، بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٤٤١ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٩٧ / ٢٣ ) بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٤٤١ / ٢ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ٣٢٥ / ٢٦ )، ووسائل الشيعة ( ١١٤٣ / ٤ )، بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٤٤٦ / ٢ ) .

## ♦ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبرورية في الأمة المحمدية

محمد فللنوافل وبر الإخوان وما تبتغيه من طاعة الله ﷻ، وأما الحسن بن علي فللآخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعين<sup>١</sup> .  
تقديس أضرحه الأئمة :

وعلى ذلك فقد بالغوا في تعظيم مراقد الأئمة ومنحوها من القداسة والشرف ما لم تحظ به الكعبة المشرفة والمدينة المنورة ، فقد نسبوا إلى علي بن الحسين أنه قال : ( اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها ، فما زالت - قبل خلق الله الخلق - مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياؤه في الجنة )<sup>٢</sup> . كما نسبوا إلى جعفر الصادق - وهو بريء مما نسبوا إليه - : ( أن أرض الكعبة قالت : " من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه ، فأوحى الله إليها : أن كفى وقرى ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك ، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت ، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء ، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم )<sup>٣</sup> .

وهذه البقعة بالطبع لم تنل ما نالت إلا بكونها مدفن الحسين بن علي ؑ : ( وقد جرت على السنة الشعراء وأقلام الكتاب من بعد الواقعة وإلى يومنا هذا المقارنة بينها وبين الكعبة، وتفضنوا بمختلف أساليب النثر والنظم في إثبات فضلها وقداستها وشرفها واستطالة أرضها على جميع الأقطار بالفضل والشرف، وهذه الأرض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الإسلام إلا بالحسين ؑ كما نص عليه الحديث: (( وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) وأصحابه ))<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> بحار الأنوار ( ٩٤ / ٣٣ ) ، بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٢ / ٤٤٩ ) .

<sup>٢</sup> بحار الأنوار ( ١٠١ / ١٠٧ ) ، بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٢ / ٤٦٤ ) .

<sup>٣</sup> كامل الزيارات ص ( ٢٧٠ ) وبحار الأنوار ( ١٠١ / ١٠٩ ) بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٢ / ٤٦٤ ) .

<sup>٤</sup> تاريخ كربلاء ص ( ١٠٢ ) .

### افتراؤهم الفضائل العظيمة في زيارة الأضرحة :

وبناءً على ما تقدم من غلو واعتقاد في الأئمة ؛ ولأجل ربط الناس بأضرحتهم ومشاهدتهم ، وضعوا الفضائل الكبيرة والأجور الكثيرة لمن زار تلك المشاهد ، ومع الكثرة الكثيرة من النصوص في هذا الجانب والتي تتفاوت فيها الأجور والمقارنة بين زيارة كربلاء والحج والعمرة لبيت الله الحرام ، فإنني سأقتصر على نصين فقط لاحتوائهما على معظم تلك النصوص وتصوير مدى الكذب والافتراء عند القوم واستخفافهم بعقول أتباعهم وجرأتهم على الله ﷻ فيما نسبوه إلى أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال : ( لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً وانقطعت أنفسهم عليه حشرات قلت : وما فيه ؟ قال من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة ، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر ، وأجر ألف صائم ، وثواب ألف صدقة مقبولة ، وثواب ألف نسخة أريد بها وجه الله ، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان ، وكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وفوق رأسه وتحت قدمه ، فإن مات من سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار ، ويفسح له في قبره مد بصره ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير يروّعانه ، ويفتح له باب إلى الجنة ويعطى كتابه بيمينه ، ويعطى له يوم القيامة نور يضيئ لنوره ما بين المشرق والمغرب ، وينادي مناد هذا من زوار الحسين شوقاً إليه ، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام )<sup>١</sup> .

وقد سوغ هذه المبالغات أحد أئمتهم بذكر فضائلهم وما أعطوا من صفات فوق مستوى البشر فقال : ( إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين ، وله خلق السماوات والأرضين ، وجعله صراطه وسبيله ، وعينه ودليله ، وبابه الذي يؤتى منه ، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء ، هذا مع أن مقابرهم عليهم السلام فيها أيضاً إنفاق أموال ورجاء آمال وأشخاص أبدان وبهجرات أوطان وتحمل مشاق ، وتجديد ميثاق ، وشهود شعائر وحضور مشاعر )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> كامل الزيارات (ص ١٤٣) ، ووسائل الشيعة (١ / ٣٥٣) ، وبنار الأنوار (١٠١ / ١٨) بواسطة أصول مذهب الشيعة (٤٥٦/٢)

<sup>٢</sup> قاتل ذلك هو الفيض الكاشاني في المجلد الثاني من الوافي (٢ / ٢٤٨ ج ٨ / ٢٢٤) ، والهامشان عن أصول مذهب الشيعة (٤٦١ / ٢) .



### مناسك زيارة القبور عند الشيعة :

ومبالغة في تقديس تلك القبور وتأكيدها لما يعتقدونه فيها وفي المقبورين من خصائص الألوهية والربوبية ، جعلوا لزيارتها -بطل الإسلام والشهيد ابن الشهيد أبي الشهداء، وزيارة مرقده الخالد- مناسك مثل ما لحج بيت الله الحرام : لأن الزائر بحضرته أمام شخصية إسلامية عظيمة لم تَمُتْ بمنطوق الآية الكريمة: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾<sup>١</sup> ، وأي شهيد أعظم منزلة وأعلى قدراً ومكانة عند الله من الحسين سيد الشهداء )<sup>٢</sup> .

وهذه المناسك ليست خاصة بزيارة قبر الحسين فقط ، بل إنها عامة لجميع مشاهد أئمتهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : ( وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد ، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الأكبر وصنّف ابن المقيد منهم كتاباً سماه ( مناسك حج المشاهد ) وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف )<sup>٣</sup> ، وما قاله شيخ الإسلام قد صدقه عليه بل بأكثر مما قال أحد شيوخ الرفض وهو آغا بزرك الطهراني بحيث أثبت أن ما صنّفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً<sup>٤</sup> .

وأما في الآن كتاب بعنوان " دليل الزائر إلى العتبات المقدسة " من ثلاثة أجزاء : أحدها " العتبات المقدسة في العراق " والثاني " العتبات المقدسة في إيران " والثالث " العتبات المقدسة في سوريا " ، يشتمل على تسمية المشاهد ، ونُبذ عنها ، وصور لها ، وتفصيل ما يقال ويفعل عندها ، ألفه أحد معاصريهم واسمه ( محمد أحمد خشي الشهيد ) .

واليك منسكاً من تلك المناسك التي يؤدونها عند المشاهد باختصار : ( قال الصادق عليه السلام : إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلَكَ وولدَكَ وادع بدعاء السفر ، واغتسل قبل خروجك ، وقل حين تغتسل كذا وكذا ، فإذا خرجت فقل كذا وكذا ، ولا تدخن ولا تكتحل حتى تأتي الفرات ، وأقل من

<sup>١</sup> سورة آل عمران (١٦٩) .

<sup>٢</sup> تاريخ كربلاء من ( ١٢٧ )

<sup>٣</sup> مجمع الفتاوى ( ١٧ / ٤٩٨ ) .

<sup>٤</sup> الذريعة إلى تصانيف الشيعة آغا بزرك الطهراني ، دار الأضواء بيروت ، الطبعة الثالثة ( ١٤٠٣ هـ ) بواسطة أصول مذهب الشيعة ( ٢ / ٤٦٧ ) .

الكلام والمزاح ، وأكثر من ذكر الله تعالى ، وإياك والمزاح والخصومة ، فإذا كنت راكباً أو ماشياً ... فإذا خفت شيئاً فقل ... فإذا أتيت الفرات فقل قبل أن تعبره .... ثم أعبّر الفرات وقل ... ثم تأتي نينوى فتضع رحلك بها ، ولا تدّهن ولا تكتحل ، ولا تأكل اللحم ما دمت مقيماً بها ، ثم تأتي الشط بحذاء نخل القبر واغتسل وعليك الوقار وقل وأنت تغتسل ... ثم البس أظهر ثيابك ، فإذا لبستها فقل ... ثم امشي حافياً وعليك السكينة والوقار فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، وعليك بالتكبير والتهليل لله ولرسوله ﷺ ... ثم امش قليلاً وقصّر خطاك ، فإذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل ... ثم امش عشر خطوات وكبر ثلاثين تكبيرة وقل وأنت تمشي ... ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتحميد لله ، والتعظيم لله ولرسوله ﷺ وقصّر خطاك .

فإذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل ... ثم تدنو قليلاً وقل .. ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل . السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر يعملون وأمر الله مسلمون ... ثم امش وقصر خطاك حتى تستقبل القبر ، واجعل القبلة بين كتفيك واستقبل بوجهك وقل ... ثم ضع خدك الأيمن على القبر وقل ... ثم ضع خدك الأيسر على القبر وتقول ... ثم تدور من عند رجله إلى عند رأسه ... ثم تحوّل عند رجله وضع يدك على القبر وقل ... ثم تضع خديك عليه وتقول ... ثم سر إلى قبر علي بن الحسين فهو عند رجل الحسين عليه السلام فإذا وقفت عليه فقل ... ثم انكب على القبر وضع يديك عليه وقل ... ثم ضع خدك على القبر (قبر علي بن الحسين) وقل ... ثم تدور من خلف الحسين عليه السلام إلى عند رأسه وصلّ عند رأسه ركعتين ... ثم تنكّب على القبر وتقول ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومئ إليهم أجمعين وتقول ... ثم در في الحائر وأنت تقول ...<sup>١</sup>

وهناك تفاصيل لبعض ما يفعلونه عند المشاهد من طواف بها واستقبال لها حال الصلاة وغير ذلك آثرت تركها اختصاراً ، وانظر بعضها في أصول مذهب الشيعة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ كربلاء ص ( ١٢٩ - ١٣١ ) .

<sup>٢</sup> أصول مذهب الشيعة ( ٤٦٧ / ٢ - ٤٧٧ ) .

### عقائد الإسماعيلية الباعثة على القبورية:

الشيعة في الجملة فرقة من الفرق الضالة الثلاث والسبعين التي تتكون منها أمة محمد ﷺ، ولكن هناك فرق من فرق الشيعة قد تواطأ علماء السنة والشيعة على أنها خارجة عن الثلاث والسبعين فرقة؛ من أشهرها وأكثرها عدداً وأبعدها أثراً في تاريخ الإسلام وإلى اليوم الفرقة الإسماعيلية<sup>١</sup>، التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي في فترات متعددة من التاريخ، وأشهر دولها على الإطلاق الدولة الفاطمية التي سبق الحديث عنها في هذا المطلب، ولذا نجد عبد القاهر البغدادي عندما أراد أن يستعرض تاريخ وعقائد هذه الفرقة عنونَ لذلك الفصل بهذا العنوان: "الفصل السابع عشر - من فصول هذا الباب - في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام"، ثم قال تحت ذلك الفصل: (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر)<sup>٢</sup>.

وما كنت بحاجة إلى الانشغال بهم وإضاعة الوقت في تتبع فضائحهم لولا الأثر الكبير الذي تركوه في الأمة، من نشر القبورية والشرك والإلحاد والبدع العلمية والعملية، سواء ما نشر عنها مباشرة إبان حكمها وتسلطها على المسلمين، أو بواسطة الصوفية التي اقتبست كثيراً من عقائد هذه الفرقة ودمجتها في صورة مناسبة لحالها، وأقبح عقيدة آمنت بها الفرقة وأشاعتها في أتباعها وأصبح لها أثر كبير في نشأة القبورية هي عقيدة تأليه الأئمة وإسباغ صفات الألوهية والربوبية عليهم.

وهذه العقيدة لم تعد تثقل عنهم بواسطة خصومهم من أهل السنة وبقية فرق الشيعة، ولكن أصبح من الميسور نقلها من كتبهم التي كانت سرية بالأمس فأصبحت اليوم - ويحكم

<sup>١</sup> الفرق بين الفرق ص (٢١)، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعارف بيروت.

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٢٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٨١ - ٢٨٢).

حرية النشر وحرية الفكر التي تتضمن حرية ( الكفر )- أصبحت تلك الكتب تُنشر وتباع في الأسواق ، وسأقتصر على طرف يسير من النصوص التي تُثبت ذلك ، معرضاً عن كم هائل منها ، حتى لا أطيل على القارئ بما لا حاجة له به ، ومن تلك النصوص ما هو مباشرة عن كتبهم ومنها ما هو بواسطة العلماء الثقات ، مع ذكر المراجع الإسماعيلية الأصلية كما ذكرها أولئك العلماء فمن تلك النصوص : ما نسبته أحد دعائهم إلى علي عليه السلام أنه قال : ( أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا بكل شيء عليم ، وأنا الذي رفعت سماءها ، وأنا الذي دحوت أرضها ، وأنا أنبت أشجارها ، وأنا الذي أجريت أنهارها )<sup>١</sup> ، كما نسبوا إليه أنه قال : ( أنا نقلت لآدم عليه السلام ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وعيسى عليه السلام وأنا نبأت النبيين ، وأنا أرسلت المرسلين )<sup>٢</sup> .

وليس الأمر خاصاً بعلي بن أبي طالب وحده ولكنه لكل أمام من أئمتهم ، فقد نسبوا إلى محمد بن علي الباقر أنه قال -وكذبوا عليه - : ( ما قيل في الله فهو فينا ، وما قيل فينا فهو في البلقاء من شيعتنا )<sup>٣</sup> ، ويقول أحد مفسريهم : ( الحمد لله الذي أجرى جميع أموره الجزئية والكلية .... وصلى الله على رسوله سيدنا محمد من خرق رتب الحجابية ... وعلى إمام العصر الواقع عليه في عصره اسم الآلهة )<sup>٤</sup> .

ولماذا يطلق عليه اسم الآلهة ؟

يجيب عليه الكرمانى بقوله : ( لأن كلاً منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي ﷺ الذي هو قائم مقام الله )<sup>٥</sup> .

وقد لخص أحد الباحثين في تراث وتاريخ الإسماعيلية عقيدة القوم بعد استعراضها وتحليلها فقال : ( إن ما يقوله المسلمون عن الله ﷻ خلعه الإسماعيلية على العقل الكلي فهو

<sup>١</sup> المجالس المويدية ص ( ١٤٧ ) مؤيد الدين الشيرازي بواسطة الإسماعيلية ص ( ٢٩٩ ) .

<sup>٢</sup> الأنوار اللطيفة لإبراهيم بن حاتم ص ( ١٢٥ ) ، بواسطة الإسماعيلية ص ( ٢٩٩ ) .

<sup>٣</sup> كثر الولد للحامدي ص ( ١٩٥ ) ، بواسطة الإسماعيلية ص ( ٢٨٨ ) .

<sup>٤</sup> ( مزاج التنسيم ) تفسر سورة النحل الجزء الخامس من القسم الرابع ص ( ٣٣٧ ) ، للمفسر الإسماعيلي ضياء الدين بواسطة الإسماعيلية ص ( ٢٨٨ ) .

<sup>٥</sup> الإسماعيلية ص ( ٢٨٨ ) والمصدر الإسماعيلي : راحة العقل للكرمانى ص ( ٥٧٧ ) ، و مسائل مجموعة ص ( ١١٣ ) ضمن أربعة كتب إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر .

الإله عند الإسماعيلية وإذا ذكر الله عند الإسماعيلية فالمقصود هو العقل الكلي، والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمامي العالم الجسماني، ومعنى هذا عندهم أن كل الأسماء والصفات الثابتة لله ﷻ تصرف إلى العقل الكلي ومن ثم هي للإمام، لأنه مثل للعقل الكلي فأسماء الله الحسنی التي قالوا إنها أسماء العقل الكلي هي أسماء الإمام فالإمام إذا هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار... الخ الأسماء<sup>١</sup>.

وإذا كانت دعوى الربوبية والإلهية لا يمكن الإفصاح عنها ومخاطبة العوام بها، فإنهم قد عبروا عن ذلك بالفاظ تؤدّي نفس الغرض وتروج على العوام فقالوا: (أما الإمام فهو المعصوم، أو قطب دائرة الوجود، أو الألف المتحركة، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجموع المظاهر، أو النبا العظيم، أو باب حطة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المستقيم، أو روح الوجود، إنه لذو نعوت وصفات عديدة قلما يدركها إلا الحكيم الخبير)<sup>٢</sup>، وعلى ذلك فهم- عندهم- يعلمون الغيب وأمر المبدأ والمعاد.

روى النعمان بن حيون المغربي: (أنه تناظر رجلاً إبان حكمه - يعني المعز الفاطمي - فقال: أحدهما إن الإمام يعلم الغيب، وقال الآخر لا يعلم الغيب فرفع حالهما إلى إمامهم المعز فقال لهم: إن الغيب على ثلاثة أوجه أو حدود: فوجه استأثر الله به عن عباده، ووجه آخر ما يحتاج إليه في الشريعة، ووجه ثالث مخزون لصاحب القيامة وهو الإمام القائم يعلم ما يكون ولو شاء إمامك أن يتلوا عليك ذلك لفعل)<sup>٣</sup>.

ويقول المؤيد الشيرازي: (الأئمة يعلمون من أمر المبدأ والمعاد ما حجب الله عن كافة العباد)<sup>٤</sup>.

ويقول الكرمانی عن الحاكم بأمر الله: (له معجزة بل معجزات، وأخبار بالكائنات قبل كونها وإظهار للعلوم المكنونة)<sup>٥</sup>.

كل إمام من أئمتهم هو اسم الله الذي يدعى به :

<sup>١</sup> الدكتور محمد كامل حسين في (طائفة الإسماعيلية) ص (١٥٨ - ١٥٩)، بواسطة الإسماعيلية (٤٢٧/١).

<sup>٢</sup> الفلك الدوار في فضائل الأئمة الأبرار، لعبد الله المرتضى ص (٢٨)، عن الإسماعيلية ص (٣٨٠).

<sup>٣</sup> أصول الإسماعيلية (٢ / ٤٣٠)، عن القاضي المذكور في كتاب الرسالة المذهبية (ورقة ٨٥ - ٨٦).

<sup>٤</sup> المجالس المؤيدية ص (٤٤١) عن الإسماعيلية ص (٣٧٦).

<sup>٥</sup> المصابيح في إثبات الإمامة ص (١٤٠) عن الإسماعيلية ص (٣٧٦).

يقول جعفر بن منصور اليماني : ( فكل قائم في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر كما قال الله ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ <sup>١</sup> ) .

وعلى ما سبق اهتمت الإسماعيلية بالأضرحة والقبور والمشاهد مما سيأتي تفصيله فيما بعد إن شاء الله .

#### المطلب الرابع: دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة :

عرفنا في المطلب الثالث عقيدة الشيعة في أنمتها وغلوها فيهم ، حيث وصل الأمر بالكثير منهم إلى اعتقاد الوهية وربوبية الأئمة ، ونحلّوهم من الصفات ما لا يليق إلا برب العالمين ، وعلى ذلك فقد جعلوا لقبورهم قداسة دونها كل قداسة ، حتى لقد فضلوا تربة الحسين على الكعبة المشرفة ، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة أن يبادروا إلى تفضيم تلك الثُرب ، وعمل كل ما من شأنه أن يهر قلب الزائر ويملاء هيبة وتقديساً لتلك القبور ، وتدرجوا في ذلك حتى وصلوا بها إلى هذا الذي نشاهده اليوم في النجف وكربلاء وقم ، وغيرها مما يسمونه بالعتبات المقدسة .

وكانت البداية بسيرة كشّان كل انحراف يبدأ يسيراً ثم يتسع حتى يجاوز الحدود ، وقد ذكرنا فيما مضى كيف بدأت المحاولات في عهد بني أمية وبني العباس لإقامة أبنية متواضعة على قبر الحسين ، وكان الخلفاء حينئذ يقاومونها ويزيلون ما وجد منها ، فلما وصل الأمر إلى تمكّن الشيعة من مقاليد الأمور في بلاد المسلمين بدأت تلك القبورية تظهر جلياً ، وقد ساهمت الدول الشيعية في ذلك كلّ بحسب إمكاناته وبحسب زمانه ، و سأسوق إليك مقتطفات من تاريخ مشاهد الأئمة الاثني عشر فقط ، ثم لمحة موجزة عن مبلغ قبورية الشيعة الإمامية ثم الإسماعيلية ؛ لتدرك مدى الدور الذي قامت به الشيعة في إنشاء ونشر القبورية في الأمة المحمدية .

ولا يغيب عنك أن جميع فرق الشيعة قد ساهمت في ذلك من زيدية وإمامية وإسماعيلية وغيرها . فأول من بنى المشاهد على قبر الحسين وأبيه هو الداعي محمد بن زيد

<sup>١</sup> الإسراء ( ١١٠ ) .

<sup>٢</sup> كتاب الكشف ص ( ١٠٩ ) عن الإسماعيلية ص ( ٢٨٨ ) .

## ♦ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبرورية في الأمة المحمدية

بن الحسن أمير طبرستان المتوفى سنة ( ٢٧٨ هـ ) وهو زيدي<sup>١</sup>، ثم جاء بعده الحمدانيون وهم شيعة رافضة<sup>٢</sup> فساهموا في بناء المشاهد خصوصاً مشهد علي<sup>عليه السلام</sup>، ثم تسلم الراية الإمامية منذ عهد البويهيين إلى اليوم والملفت للنظر أنه من بعد البويهيين لم تعد هناك مقاومة من السلطات السنية للقبرورية الشيعية، بل إن السلاطين السُّنة تبعوا الشيعة في ذلك كما سيأتي.

وهذه جولة على مشاهد الأئمة الاثني عشر :

١- مشهد أمير المؤمنين علي<sup>عليه السلام</sup> :<sup>٣</sup>

مضت القرون المفضلة التي كان السلطان فيها لأهل السُّنة وليس لهذا القبر أي أثر بل إن المؤرخين قد اختلفوا في موضع قبره<sup>٤</sup> ومع ذلك فقد سَوَّلَ للشيعة بعضُ شياطينهم أنه في ذلك الموضع فعظموه، وأول من بنى عليه مشهداً محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان<sup>٥</sup> ثم بناه عبد الله ابن حمدان أحد أمراء الدولة الحمدانية سنة ( ٣١٧ هـ )<sup>٦</sup> ( وعظم شأنها " أي النجف " في القرن الرابع للهجرة النبوية لما زارها عضد الدولة البويهي<sup>٧</sup> في جمادى الأولى من سنة ( ٣٧١ ) للهجرة ( ٩٨١ ) وبذل أموالاً طائلة لتشييد العمارة الجسيمة حول المشهد المشرف )<sup>٨</sup>.

ويقول صاحب نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس : ( وقد عقدت عليه قبة عظيمة في زينة وسيمة ، وأول من عقد هذه القبة عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس ، ثم عمرها

<sup>١</sup> الأعلام ( ١٣٢/٦ ) .

<sup>٢</sup> البداية والنهاية ( ٢٦٤/١١ ) في ترجمة سيف الدولة .

<sup>٣</sup> ومن الغريب أنه <sup>عليه السلام</sup> هو الذي بعثه رسول الله ﷺ بتسوية القبور المشرفة وهو الذي بعث صاحب شرطته أبا الهياج الأسدي لتسويتها كما في صحيح مسلم وقد سبق ترجمته ص ( ٢٤ ) .

<sup>٤</sup> انظر : البداية والنهاية ( ١٣ / ٨ ) .

<sup>٥</sup> موسوعة العتبات المقدسة ( ١٤٦/٦ - ١٤٧ ) .

<sup>٦</sup> العتبات المقدسة ( ١٧٦/٦ ) ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون ( ٤٦/١ ) .

<sup>٧</sup> هو عضد الدولة أبو شجاع بن ركن الدولة البويهي من أعظم سلاطين الدولة البويهية الرافضية التي عملت على نشر بدع الروافض في بلاد

المسلمين (ت ٣٧٢) انظر السير (٢٤٩/١٦) والبدية والنهاية (٢٩٩/١١) .

<sup>٨</sup> العتبات ( ١٨٣/٦ )

## ◆ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبورية في الأمة المحمدية

الملوك من بعده، وبها من الذهب الإبريز والجواهر وخالص اللجين<sup>١</sup> وأنواع الفرش الفاخرة ما يكل عنه قلم الحاصر<sup>٢</sup> وفي التاريخ النجفي أن عدد القباب التي شيدت على قبر الأمير عليه السلام بلغ ثمان أولها قبة الرشيد التي ألعنا إليها في صدر هذا الفصل وآخرها القبة الحالية التي غشاها بالذهب نادر شاه في سنة { ١١٥٦ هـ }<sup>٣</sup> ولتصور الأبهة والضخامة التي يزخر بها هذا المشهد أنقل إليك ما جاء في دليل المملكة العراقية لسنة (١٩٣٥ - ١٩٣٦ م) بواسطة العتبات المقدسة : ( ويتوسط مدينة النجف الأشرف مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . وهو وسط صحن عظيم مستطيل تتجلى فيه العظمة بأجلى مظاهرها ، كما تتجلى فيه براعة الفن ونفاسة النقش وجمال الرياضة . ويتقوّم من طبقتين يبلغ ارتفاعهما زهاء ٣٥ متراً . ويبلغ طول هذا الصحن ٨٢ متراً وعرضه ٧٧ متراً . وفي كل ضلع من هذه الأضلاع ١٤ إيواناً وفي كل إيوان غرفة هي مقبرة أحد المشاهير .

وفي الطبقة الثانية عدد من الأواوين والغرف بعدد الأواوين والغرف الموجودة في الطبقة السفلى .

والصحن على رحبة مفروش بالرخام الأبيض . وله خمسة أبواب . وجدرانه مغطاة بالآجر القاشاني الملون البديع . وعلى حواشي الجدران العليا تجد الآيات القرآنية مسطورة بأحرف عربية جميلة تدخلة تسر الناظرين إليها ويحيط بالصحن بهو واسع يظلمه من جهة الغرب فقط سباط<sup>٤</sup> مرتفع تتوسطه سماية<sup>٥</sup> مستديرة .

ويلي هذا الصحن من جهة الشرق إيوان واسع كبير يبلغ ارتفاعه قرب أربعين متراً ، كما يبلغ طوله ٤٥ متراً ، وهو مسقف ؛ سقفه مع جدرانه كلها مغطاة بقطع الذهب ، وفي ركنيه مئذنتان مرتفعتان مغطاتان بالذهب الإبريز - أيضاً - تؤثران في النفوس أثراً بليغاً ، وقد انفق على هذه التغطية السلطان نادر شاه وذلك في عام ( ١١٥٦ هـ - ١٧٤٣ م ) ومن هذا

<sup>١</sup> الجين : الفضة . القاموس ص ( ١٥٨٧ ) .

<sup>٢</sup> العتبات ( ١٧٦/٦ - ١٧٧ ) .

<sup>٣</sup> العتبات ( ١٨٩/٦ ) .

<sup>٤</sup> السباط : سقفة بين دارين تحتها طريق ، القاموس ص ( ٨٦٤ ) .

<sup>٥</sup> السماية : السقف . انظر المعجم الوسيط ( ٤٥٣/١ ) .



الرواق الجزئي يدخل إلى الرواق الكلي المسقف، وجدران هذا الرواق الأخير مغطاة بقطع المرايا ذات الأشكال الهندسية البديعة والتحاريب المزوقة المختلفة .

ولهذا الرواق أربعة أبواب متقابلة بآبائنها فضاءان يدعى أحدهما الباب الكبير، ويسمى الثاني باب المراد وآبائنها من خشب الساج، أحدهما مغلق والآخر مفتوح يسميان باب الرحمة .

ويلى كل ما تقدم الحضرة المقدسة، ذات الهيبة والجلال، والروعة الكريمة، والآلىء الثمينة . كما علق في الثريات التي توقد فيها الشموع طول الليل .

وجدران هذه الحضرة مغطاة بالفسيفساء المطينة، والرخام الإيطالي البديع وقطع المرايا المختلفة الأشكال والحجوم، والمصابيح الكهربائية العديدة، كما أن أرضها مفروشة بالرخام الأزرق اللطيف، وفيها أربعة أبواب من الفضة، وخامس من البرنز .

ويتوسط هذه الحضرة المرقد الغروي المطهر يحيط به مشبكان، أحدهما من الفضة الناصعة البياض، وهو الخارجي، والآخر من الحديد الفولاذي، وهو الداخلي .

وتعلو المشبك الأول كتابات من القرآن مع أبيات من الشعر لابن أبي الحديد . وفي كل ركن من أركانها الأربعة رمانة من الذهب، يبلغ قطرها زهاء النصف متر .

ويتوسط المشبك الحديدي الداخلي مصطبة من الخشب المرصع بالعاج والمنقوش عليه بعض الآيات القرآنية، وتحتها المرقد الشريف .

وفوق الضريح قنديل معلق بسلسلة من الذهب الخالص، مرصع بأثمان الأحجار اليتيمة ومن جملتها ماسة يبالغ في ثمنها كثيراً .

وتعلو الحضرة قبة جسيمة مغطاة بالذهب الإبريز، ومرتفعه إلى علو شاهق، والظاهر أنها أرفع قباب آل البيت جميعاً . وقد غشيت هذه القبة بالذهب في عام ١١٥٦هـ وأنفق على تغشيتها السلطان نادر شاه<sup>١</sup> .

٢- قبر الحسن بن علي رضي الله عنهما :

لم يلق قبر الحسن اهتماماً كبيراً من قبل الشيعة سواء منهم الحكام أو المحكومين وذلك بدرجة أساسية يرجع إلى قلة الاعتناء وقلة التقديس للحسن نفسه مقارنة بأبيه و

<sup>١</sup> العتبات المقدسة ( ١٨٦/٦ - ١٨٨ ) .

أخيه الحسين ، ثم لأنه بعيدٌ عن مقر سلطان الشيعة وتواجدها القوي، ومع ذلك فقد بنيت عليه وعلى من معه من أهل البيت قبة فخمة عالية البناء وصفها ابن بطوطة بقوله : ( ويلها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب ﷺ عم رسول الله ﷺ وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الإحكام عن يمين الخارج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رجلي العباس ﷺ وقبراهما مرتفعان من الأرض متسعان مغشيان بألواح بديعة الإلصاق مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل )<sup>١</sup> وقد ذكروا أن الذي عمر هذه القبة " الخليفة الناصر أبو العباس أحمد بن المستضيء "<sup>٢</sup>.

٣- قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما :

لم يلق قبرٌ في الدنيا كلها ما لقي قبر الحسين ﷺ من التعظيم والتقديس والمظاهر والطقوس القبورية الوثنية ، فلم يكن لقبر النبي ﷺ ولا لقبر علي ﷺ ما يقرب مما لقبر الحسين من ذلك ، ولذلك فقد كانت العناية بعماراته وتفضيمه أعظم من أي قبر آخر، وجعلوا له من المواسم والطقوس ما لا يوجد لقبر آخر، وإليك بعض ما ذكر من عمارته :

سبق أن ذكرنا المحاولات الكثيرة لبناء مشهد أو مسجد على قبر الحسين ﷺ ولكنها لم تنجح .<sup>٣</sup> ويحدثنا الدكتور الكليدار أن المنتصر بن المتوكل قد أعاد البناء الذي هدمه أبوه ولم يذكر نوعية البناء وهل هو قبة كالقباب المعتادة التي توضع لإضفاء القداسة والجلالة على الضريح ، أو أنه مجرد بناء متواضع ؟ ويفهم من كلامه أن المنتصر وضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه وشجع الناس على زيارته وذكر في الصفحة التالية : ( أن البناء الذي أقيم على القبر المطهر في عهد المنتصر في عام ( ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ ) كان قد سقط مرة واحدة في ذي الحجة سنة ( ٢٧٣ هـ ) وقد سقطت سقيفة الروضة المطهرة حسب الظاهر دفعة واحدة وبلا سابق إنذار على الزائرين في شهر ذي الحجة من هذه السنة )<sup>٤</sup> هذه بعض البدايات أما العمارة الحقيقية المقصود بها التعظيم والجلالة فأول من قام بها محمد بن زيد بن الحسن

<sup>١</sup> ابن بطوطة ص ( ١١٩ ) في رحلته طبع دار التراث بيروت سنة ( ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ) .

<sup>٢</sup> وفاء الوفا ( ٩١٦/٣ ) وانظر ترجمته في السير للذهبي ( ٨٦/٢١ ) والبداية والنهاية ( ١٠٦/١٣ ) .

<sup>٣</sup> ( ص ١٣٠ )

<sup>٤</sup> تاريخ كربلاء ص ( ١٥٦ - ١٥٧ ) .

الحسني المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان في سنة (٢٨٣هـ)<sup>١</sup>، ثم عمّره عضد الدولة البويهية سنة (٣٦٩هـ) قال الكلیدار: (فقد بالغ في تشييد الأبنية حول المشهد الشريف في الحائر فجدد تعمير القبة، وشيد الأروقة من حوله، وبالع في تزيينها وتزيين الضريح بالساج والديباج، وعمّر البيوت والأسواق من حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كحصن منيع)<sup>٢</sup>، ثم احترق المشهد سنة (٤٠٧هـ)<sup>٣</sup>، فعمره الوزير ابن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة البويهية في نفس السنة<sup>٤</sup>، ثم عمّره في عام (٦٢٠هـ) على يد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله<sup>٥</sup>، وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية<sup>٦</sup>، وعمّره سنة (٧٦٧هـ) السلطان أويس الجلائري وخلفاؤه من بعده<sup>٧</sup>، وكانت أعظم الأبنية وأفخمها من إنشاء الدولة الصفوية وسلطانها إسماعيل الصفوي<sup>٨</sup>، ولا غرابة في ذلك فقد نقل صاحب تاريخ كربلاء عن المستشرق كوتريك في كتابه "أربعة قرون من الأدب" {ص ٢٠} قوله: (فإن مثل الدولة الصفوية من هذه الناحية وقيامها في إيران مثل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل "كذا")، وقد ذكر صاحب تاريخ كربلاء زيارة الشاه إسماعيل الصفوي لكربلاء وما جرى فيها من مراسيم إلى أن قال: (ومرّغ خديّه على تراب تلك العتبة السامية، مناجياً روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، ومستمداً النصر من الله تعالى فأنعم على مجاوري الروضة المنورة بأنواع الهدايا، وكسا صندوق القبر الشريف بأثواب من أفرح أنواع الحرير المنزركش والموشى بالفضة والذهب، ونصب فوق القبر المطهر اثني عشر قنديلاً من الذهب الخالص، تتلأأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١٥٧).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (١٦٢ - ١٦٣).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (١٧١).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (١٧١ - ١٧٥).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (١٧٤).

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص (١٧٥). وتاريخ الخلفاء ص (٤٥١).

<sup>٧</sup> تاريخ كربلاء ص (١٧٧).

<sup>٨</sup> هو أعظم ملوك الدولة الصفوية الذي حول إيران من بلاد سنية إلى بلاد شيعية، انظر ترجمته وتاريخ دولته في تاريخ الشيعة ص (٢١٧ - ٢٢٠) للشيخ محمد حسين المظفر طبع دار الزهراء بيروت.

بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع وأقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه، وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها إلى طلوع الشمس، وهو معتكف في الحائر منكباً على قبر جده الحسين (عليه السلام) <sup>١</sup>، (وعند العودة إلى بغداد انصرف الشاه مرة أخرى إلى تعظيم العتبات المقدسة وتجلييلها، فقرر أن يكون لكل واحدة منها (نقارة خانة) تقوم بأداء التحية الملكية لتلك المشاهد المشرفة صباحاً ومساءً، على نمط بلاط الملوك وقصورهم، كما هو جارٍ لحد الآن بمشهد الرضا (عليه السلام).

ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من أطراف البلاد فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الإسلامية والختائية (كذا) لمراقدة الأئمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلاً عن صناديقها القديمة <sup>٢</sup>، وقد تبعه في ذلك خلفاؤه <sup>٣</sup> لكن الذهب الذي زينته به المآذن والقباب كان من عمل الدولة القاراجية <sup>٤</sup>، وقد جدد بعضها وزاد عليها السلطان ظاهر سيف الدين سلطان البهرة وذلك بعد عام (١٣٥٥ هـ) <sup>٥</sup>.

وهذا وصف لمشهد الحسين (عليه السلام) وملحقاته من دليل المملكة العراقية بواسطة العتبات المقدسة :

(ولما كانت حضرة الحسين {ع} وما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب {ع} إلا من حيث المساحة وعدد الغرف في الصحن، ولما كنا وصفنا حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب {ع} وصحنه وقبته، وما شاكل ذلك، فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين {ع} فقط .

ضريح الحسين، عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين - وهو الداخلي - والآخر من الفضة الناصعة البياض - وهو الخارجي -

<sup>١</sup> تاريخ كربلاء ص (٢٤٥-٢٤٦).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٤٦-٢٤٧).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٢٥١).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٢٥٥-٢٥٩).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (٢٥٩-٢٦١).

وتعلو الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة . وفي كل ركن من أركانه رمانة من الذهب الخالص ، يبلغ قطرها قراب النصف متر . ويتصل بهذا المشبك الخارجي مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزايه ، ولا يوجد أي حاجز بينهما إلا أنه يقصر بمتر واحد من كل من جانبيه . وقد رقد تحته علي بن الحسين ، الذي استشهد مع أبيه في يوم واحد فدفن إلى جنبه {ع} وأمام هذا المشبك ساحة مقدسة تضم مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام . وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط . ويعرف - أيضاً - بمراقد الشهداء ، الذين استبسّلوا في حومة الوعى معه {ع} .

وفي صحن الحسين مئذنة منفردة ، يقال لها ( منارة العبد ) وهي مغطاة بالقاشاني الملون ويروى عن سبب إنشائها في هذا المحل المنعزل ، أن زنجياً كان يسكن الصحن ، ويكتسب كسباً ضعيفاً ، فاقصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الأثر الخالد له .

وعلى مسافة قصيرة من صحن الحسين ، يشاهد ضريح العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد وهو - أيضاً - وسط صحن كبير ، لا يقل عن بقية صحن الأئمة من حيث هندسة البناء وضخامته ، وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد المسلمون أن يزينوا بها المراقد المقدسة .

وعلى بعد ثلاثة أميال من غربي كربلاء ، مرقد الحربن يزيد الرياحي الزعيم العراقي الذي جاهد مع الحسين ضد جيش يزيد بن معاوية . وقبره بديع ، تعلوه قبة من القاشاني الملون . ويزوره أكثر الذين يزورون كربلاء . كما يقصده أكثر الأهليين للنزهة والرفاهة لما يحيط به من البساتين والجنات .

وعلى باب قبة القبر كتابة نصها : ( قد عمّر هذا المكان بهمة آقاحسين خان شجاع السلطان في ١٤ محرم سنة ١٣٢٥ هجرية ) .

وكان أول من أظهر وشاد هذا القبر الشاه إسماعيل الصفوي ، يوم دخل بغداد ، وحكمها . وعلى مسافة سبعة أميال من شرقي كربلاء - بينها وبين المسيب - تشاهد قبة مزينة بالقاشاني - أيضاً - تلك هي قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطيار ، وأمه زينب بنت علي ، وقيل الحوصاء يقصده الزائرون لكربلاء في أكثر الأوقات للزيارة ولم يكتف الشيعة

<sup>١</sup> العتبات المقدسة ( ١٥٧-١٥٥/٨ ) .

## ♦ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبرورية في الأمة المحمدية

بتعظيم قبر الحسين في كربلاء فقط، ولكنهم نسبوا إليه عدة مشاهد، فهناك مشهد في دمشق يسمى الرأس<sup>١</sup>، وكان هناك مشهد بعسقلان بُني أيام الدولة الفاطمية<sup>٢</sup>، ثم نُقل الرأس بزعمهم إلى القاهرة، حيث يقوم اليوم عليه مسجد من أضخم وأشهر مساجد القاهرة، وداخله ضريح ضخم كذلك<sup>٣</sup>، وقد قيل كذلك أن الرأس أُرْجِعَ إلى المدينة ودُفِنَ إلى جوار أمه وأخيه الحسن<sup>٤</sup>، وقيل غير ذلك .

٤-٥-٦- الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق: هؤلاء الثلاثة دفنوا بالبقيع بجوار الحسن عليه السلام والقول فيهم كالقول فيه رحمهم الله جميعاً .

٧، ٩- الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، وابن ابنه الإمام محمد بن علي الجواد: ومشهدهما يعرف بالكاظمين من باب التغليب، ويقع في بغداد، ولم يكن عليهما مشهد، أو يحدث لهما مراسيم ظاهرة أيام العباسيين الأولين؛ لما مرَّ من أن الخلفاء في أول دولة بني العباس لم يسمحوا بظهور القبرورية الشيعية، وقد أشارت الموسوعة إلى أنه كان يحدث شيء من ذلك بشكل خفي<sup>٥</sup>، ثم (بنيت على قبرهما بنية)<sup>٦</sup>.

وفي سنة (٣٣٦ هـ) أمر معز الدولة السلطان أبو الحسن أحمد ابن بويه بقلع العمارة المبنية على القبرين، ورفع الضريحين المذكورين، وبني عمارة جليلة في مكانها، ووضع على القبرين الشريطين ضريحاً خشبياً من الساج، جميل الشكل حسن الطراز. وتعلو العمارة قبتان

<sup>١</sup> البداية والنهاية (٢٠٤/٨)

<sup>٢</sup> البداية والنهاية (١٨٩/١٢)، والخطط المقرية المسماة بالمواظع والاعتبار يذكر الخطوط والآثار للإمام تقي الدين أحمد ابن علي المقريري طبع مكتبة مديبولي بالقاهرة الطبعة الأولى عام (١٩٩٧ م) تحقيق الدكتور محمد زينهم ومديحة الشرفاوي (٢٠٤/٢)

<sup>٣</sup> قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٤/٨): (وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك)، وانظر لطريقة إحضاره ودفنه الخطط المقرية (٢٠٤/٢)، وانظر لتاريخ الرأس، وتنقلاته، ووصف المسجد المقام عليه: موسوعة مساجد مصر وأوليائها الصالحون للدكتورة سعد ماهر محمد، (٣٩٠-٣٧٨/١).

<sup>٤</sup> انظر من ذكر ذلك من المؤرخين والمحدثين: في مساجد مصر (٣٦٣-٣٦٤)

<sup>٥</sup> الغتبات (١٦٢/٩)

<sup>٦</sup> المصدر السابق (١٦٣/٩).

بديعتان ، إحداهما لمولانا الكاظم عليه السلام والثانية لمولانا الجواد . وأمام العمارة القائمة صحن واسع رفيع الجدران ، محكم البنيان ، وزين داخل العمارة بالتزيينات ، وعلق فيها المعلقة والأضوية وغير ذلك ، مما يزيد في حسنها وروعها <sup>١</sup> . (وما زالت الدولة البويهية تتعهد هذا المشهد بالعمارة والتزيين والترميم حتى كان آخر ذلك على عهد الملك الرحيم آخر ملوك آل بويه . سنة ٤٤٥ هـ) <sup>٢</sup> ، ثم عُمِّرَ في أيام الدولة السلجوقية سنة (٤٩٠) <sup>٣</sup> وفي زمن الخليفة الناصر لدين الله وكان رافضياً ( عُمِّرَ المشهد فصار ملاذاً حتى لأصحاب الجرائم ) <sup>٤</sup> ، ثم عُمِّرَ أيام السلطان أويس الجلایري عمارة فخمة وعُمِّرَ القبتين والمنارتين <sup>٥</sup> ، وفي عهد إسماعيل الصفوي قلع جميع البناء السابق ، وعمره من جديد عمارة بديعة ، ووضع صندوقين من النوع المعروف بالخاتم ( المطعم ) ، وعلق عليهما القناديل والمعلقة ، وفرش أرض الروضة ورواقها بالفرش الثمينة .

وكان إكمال هذه الخدمات سنة ( ٩٣٥ هـ ) على يد أخيه السلطان محمد خدا بنده ، كما شاركت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني وابنه سليم الثاني في عمارة ذلك المشهد ، وإدخال الإصلاحات عليه <sup>٦</sup> ، وأما العمارة الحالية الفخمة المذهبة فإنها من عمارة الدولة القاراجية التي ابتدأت فيها سنة ( ١٢٩٣ هـ ) <sup>٧</sup> ، وما تزال هذه العمارة كما هي تشهد على المبلغ الذي بلغه الشيعة في القبرورية والوثنية حكماً وعلماء وعامة .

#### ٨ - الإمام الرضا علي بن موسى وهو الإمام التاسع من أئمتهم :

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٦٣ / ٩ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٦٥ / ٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٦٥ / ٩ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٦٦ - ١٦٧ / ٩ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ١٦٩ / ٩ - ١٧٠ ) .

<sup>٦</sup> انظر : الموسوعة ( ١٧٠ - ١٧١ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ( ١٧١ / ٩ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ( ١٧٥ / ٩ ) .

ومشهده بخراسان بقرية سنا باز التي اشتهرت فيما بعد بالمشهد ، وتعتبر ثاني مدن إيران اليوم<sup>١</sup>، وقد مات ذلك الإمام عام ( ٢٠٣هـ ) ودفن إلى جوار قبر هارون الرشيد ، وقيل: إن الدولة البويهية تقدموا بعمارة المشهد ثم أخربه الأمير سبكتكين .

وبالجملة بقي المشهد خراباً لا يجرؤ الشيعة على عمارته خوفاً من غيرهم ، إلى أن تقدم بها السلطان محمود بن السلطان ناصر الدين سبكتكين ، ثم عمّره شرف الدين القمي على عهد السلطان سنجر السلجوقي ، ولم تنزل عمارته قائمة إلى أن خربها التتار ، ثم تقدم بتجديدها السلطان محمد خدابنده حفيد هولاكو ، ثم قام بعد ذلك غير واحد من الملوك بتعمير المشهد والإنفاق على زينته ، وكان من أبرز من عمّرها وذهبها الصفويون شاه عباس وشاه سليمان ، وفي عهدهما غشيت القبة بالذهب وآخر من ذهبها الشاه سليمان الصفوي بعد أن خربها زلزال سنة ( ١٠٨٤هـ ) ، وفرغ من تذهيبها سنة ( ١٠٨٦هـ )<sup>٢</sup> ، وآخر إصلاح وتجديد للضريح كان على يد محمد رضا شاه بهلوي<sup>٣</sup> ، ولا أدري إذا كانت دولة الآيات قد جددت شيئاً فيها أم لا .

١٠ - ١١ - مشهد العسكريين بسمراء ، وفيه الإمام الهادي علي العسكري ، وابنه الحسن ابن علي العسكري :

وقد لخص عمارته هذا التعليق على الموسوعة وأنا أكتفي به :

( أصل الحضرة في سامراء دار ابتاعها علي الهادي الإمام العاشر من دليل ابن يعقوب النصراني ( ١ ) فلما توفي الإمام سنة ( ٢٥٤هـ - ٨٦٨ م - ) دفن في داره ولما توفي ولده الحسن العسكري الإمام الحادي عشر سنة ( ٢٦٠هـ - ٨٧٣ م - ) دفن إلى جوار أبيه فكان قبر الإمامين عليهما السلام نواة حضرتهما ( ب ) فلما كانت أيام ناصر الدولة الحمداني سنة ( ٣٣٣هـ - ٩٤٤ م ) بنى قبة على الضريحين وسورها بسورمتين ، فلما كانت أيام الدولة البويهية أنفق معز الدولة ثالث ملوكهم أموالاً جزيلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١١ / ١٩١ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١١ / ١٩٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١١ / ٢٢٥ ) .



ولسرداب الغيبة وجعل لضريحيهما صندوقاً من الخشب ورتب لهما الحجاب وأجرى لهم الأرزاق) .

(ج) فلما انتقل الملك إلى ابن أخيه ، عضد الدولة البويهى أمر بعمارة الروضة والأروقة ، ووسّع الصحن وشيد سوراً للبلد الذي أخذ بالاتساع ، وكان ذلك في عام ( ٣٦٨ هـ - ٩٧٨ م ) ، وفي سنة ( ٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م ) أمر البساسيري بعمارة عالية على قبر الإمامين ، وفي سنة ( ٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م ) وقع حريق في مشهد "سرمن رأى" فأتى على ضريحى علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ، فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين وإعادتهما إلى أجل حالتهما ، وكان الضريحان مما أمر بعملهما أرسلان البساسيري ) ، (د) أما العمارة التي تشاهد للعسكريين في سامراء اليوم فقد شرع في تشييدها أحمد خان الدنبلي من حكام أذربيجان في حدود سنة ( ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م ) ، وأتمها ولده حسين قلي خان الدنبلي سنة ( ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م ) ، وكان ذلك برعاية محمد السلماسي ، فقد أنفق الوالد وولده مبالغ طائلة على توسيع الصحن والأروقة ، أبدلا الأخشاب والأحجار وكتباً آياً من الذكر الحكيم في أعلى الجدران كما هو ثابت للعيان ، وفي سنة ( ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م ) أمر ناصر الدين شاه إيران بتجديد شباك الضريحين وغشى القبة بالذهب الإبريز ، والمآذن بالقاشاني البديع كما هو مسطور على جوانب القبة الأربعة )<sup>١</sup> ، هذه هي أضرحة ومشاهد أئمة الشيعة الذين يقرون بموتهم .

وأما الإمام الثاني عشر منهم فإنهم لا يقرون بموته ولكنهم يقولون بغيبته وأنه سيظهر آخر الزمان ، ومع ذلك فإن له مقاماً يسمى سرداب الغيبة ضمن مشهد سامراء ، وهم يزورونه ولهم فيه اعتقادات ضالة كثيرة<sup>٢</sup> ، وما يفعلونه عند زيارة السرداب يدل عن أنهم يعتقدون وجوده فيه ، وإن كانوا نظرياً ينفون ذلك ، وخير مثال على هذا التناقض ما يقوله صاحب دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق فإن ما يُلْقَن للعوام ، ويطلب منهم عمله يفهم منه وجود الغائب في ذلك السرداب ، ومع ذلك يحاول أن يزيل عن طائفته وصمة العار الذي يلحقها بذلك الاعتقاد فيقول: ( إذا فرغت من زيارة العسكريين عليه السلام فامض إلى السرداب

<sup>١</sup> الموسوعة ( ١٦٩/١٢ - ١٧٠ ) .

<sup>٢</sup> انظرها: في أصول مذهب الشيعة ( ٨٥٩/٢ - ٨٦١ ) .

لأجل زيارة المهدي عليه السلام وهي مستحبة في كل موضع سيما في السرداب الذي هو محل غيبته عليه السلام ، وهو سرداب الدار التي كان يسكنها العسكريان والمهدي عليهم السلام ، وظهرت له فيه معجزة مذكورة في محلها ، فشرّفه باعتبار سكنى الأئمة الثلاثة عليهم السلام وصلاتهم وعبادتهم فيه ، وحصول الغيبة منه وليس معناه أن صاحب الزمان موجود فيه كما يتوهم ، فامض إلى السرداب المقدس وقف على بابه وقل : اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله ، وقد منعت الناس من الدخول إلى بيوته إلا بإذنه ؛ فقلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم »<sup>١</sup> اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته كما أعتقدها في حضرته ، وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون فرحين ، يرون مقامي " مكاني " ويسمعون كلامي ويردّون عليّ سلامي ، وأنك حجت عن سمعي كلامهم ، وفتحت باب فهمي بلذيد مناجاتهم ، فإني أستاذنك يا رب أولاً وأستاذن رسولك صلوات الله عليه في الدخول في ساعتی هذه إلى بيته ، وأستاذن ملائكتك الموكّلين بهذه البقعة المباركة المطيعة لك السامعة ، السلام عليكم أيها الملائكة الموكّلون بهذا المشهد الشريف المبارك ورحمة الله وبركاته ، بإذن رسوله وإذن خلفائه وإذن هذا الإمام وإذنكم صلوات الله عليكم أجمعين أدخل هذا البيت ، متقرباً إلى الله ورسوله محمد وآله الطاهرين ، فكونوا ملائكة الله أعواني وكونوا أنصاري حتى أدخل هذا البيت وأدعو بفنون الدعوات ، وأعترف لله بالعبودية ولهذا الإمام وآبائه صلوات الله عليهم بالطاعة . ثم تنزل السرداب مقدماً رجلك اليمنى وتقول : بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وكبر الله وأحمده وسبحه وهللّه .

فإذا نزلت إلى الساحة الأولى من السرداب المحترم ؛ فقف على الباب المحاذي للحرم الشريف<sup>٢</sup> وقل : السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين ، السلام عليك يا وصي الأنبياء الماضين ، السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين ، السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين ، السلام عليك يا ابن الأنوار الزاهرة ، السلام عليك يا ابن الأعلام الباهرة ، السلام عليك يا ابن العترة الطاهرة ، السلام عليك يا معدن العلوم النبوية ، السلام عليك يا باب

<sup>١</sup> الأحزاب ( ٥٣ ) .

<sup>٢</sup> يعنون به حرم السرداب الذي فيه ينتظرهم .

الله الذي لا يؤتى إلا منه ، السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك ، السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى ، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفأ ، السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى ، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء ، السلام عليك سلام من عرفك بما عرفك به الله ونعتك ببعض نعوتك التي أنت أهلها وفوقها ، أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي ، وأن حزبك هم الغالبون ، وأوليائك هم الفائزون ، وأعداءك هم الخاسرون ، وأنك خازن كل علم ، وفاتق كل رتق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل ، رضيتك يا مولاي إماماً وهادياً وولياً ومرشداً ، لا أبتغي بك بدلاً ولا أتخذ من دونك ولية ، أشهد أنك الحق الثابت الذي لا عيب فيه ، وأن وعد الله فيك حق لا أرتاب لطول الغيبة وبعد الأمد ، ولا أتخير مع من جهلك وجهل بك ، منتظر متوقع لأيامك ، وأنت الشافع الذي لا تنازع ، والوالي الذي لا تدافع ، ذخر الله لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين والانتقام من الجاحدين والمارقين ، وأشهد أن بولايتك تُقبل الأعمال وتُركى الأفعال وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات ، فمن جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله وصدقت أقواله وتضاعفت حسناته ومحيت سيئاته ، ومن عدل عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك كبه الله على منخره في النار ، ولم يقبل الله له عملاً ولم يقيم له يوم القيامة وزناً ، أشهد الله وملائكته وأشهدك يا مولاي بهذا ، ظاهره كله كباطنه وسره كعلانيته ، وأنت الشاهد على ذلك ، وهو عهدي إليك وميثاقي لديك ، إذ أنت نظام الدين ويعسوب المتقين وعزّ الموحدين ، وبذلك أمرني رب العالمين ، فلو تطاولت الدهور وتمادت الأعمار لم أزد فيك إلا يقيناً ، ولك إلا حباً ، وعليك إلا متكلاً ومعتمداً ، أو لظهورك إلا متوقفاً ومنتظراً ، ولجهادي بين يديك مترقباً ؛ فأبذل نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ما خولني ربي بين يديك ، والتصرف بين أمرك ونهيك - مولاي - فإن أدركت أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة: فما أنذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك ، أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لديك - مولاي - فإن أدركني الموت قبل ظهورك فإني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد ، وأن يجعل لي كرة في ظهورك ، ورجعة في أيامك ؛ لأبلغ من طاعتك مرادي وأشفي من أعدائك فؤادي - مولاي - وقفت في زيارتك موقف الخاطئين النادمين ، الخائفين من عقاب رب العالمين ، وقد أتكلت على شفاعتك ،

ورجوت بموالاتك وشفاعتك محو ذنوبي وستر عيوبي ومغفرة زللي ، فكن لوليك يا مولاي عند تحقيق أمله ، واسأل الله غفران زلله ، فقد تعلق بحبلك وتمسك بولايتك وتبرأ من أعدائك ، اللهم صل على محمد وآله ، وأنجز لوليّك ما وعدته ، اللهم أظهر كلمته وأعل دعوته ، وانصره على عدوه وعدوك يا رب العالمين ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأظهر كلمتك التامة ومغيّبك في أرضك الخائف المترقب ، اللهم انصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، اللهم وأعزّبه الدين بعد الخمول ، وأطلع به الحق بعد الأفول ، وأجلّ به الظلمة ، واكشف به الغمة ، وأمن به البلاد ، واهد به العباد ، اللهم املأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، إنك سميع مجيب السلام عليك يا ولي الله ، انذن لوليك في الدخول إلى حرمك صلوات الله عليك وعلى آبائك الطاهرين ورحمة الله وبركاته .<sup>١</sup>

أوليس هذا السلام بهذه الصيغة يدل على اعتقاد وجود المهدي في هذا المكان ؟ فهذه الجولة على هذه المشاهد تدل دلالة واضحة على مبلغ قبورية الشيعة وغلوها في أنمتها ، وقد اقتدى بهم الشيعة في كل مكان فعملوا ما يقدرون عليه من تعظيم وتقديس لأوليائهم ولم ينسب لأهل البيت .

#### قبورية الإسماعيلية الفاطمية :

لقد شاع واشتهر - عن هذه الدولة القائمة على العقيدة الإسماعيلية الباطنية الغالية - أنها من أكثر الدول عناية بالقبور ، وإنشاء للمشاهد والقباب والتراب الفخمة ، وسنّ العوايد والرسوم لزيارتها ، وقد وصف المقرئزي التربة المعزية - التي أنشأها المعز لدين الله لدفن آبائه وجعلها من ضمن مرافق قصره - فقال : ( كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية ، وفيها دفن المعز لدين الله آباه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب ، وهم الإمام المهدي عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد ، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل ، واستقرت مدفننا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم ، وكانت تعرف بتربة الزعفران ، وهو مكان كبير من جملة الموضوع الذي يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها ، ولما أنشأ الأمير جهاركس الخليلي خانه المعروف به في الخط المذكور أخرج ما شاء الله من عظامه ، فألقيت

<sup>١</sup> انظر : دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق ص ( ١٨٥ - ١٨٨ ) لمحمد الشهيد مؤسسة سيد الشهداء الطبعة الأولى

بمروت سنة ( ١٤١٩ هـ ) .

## ◆ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبورية في الأمة المحمدية

في المزابيل على كيमान البرقية ( <sup>١</sup> ) ، ثم ذكر أنهم كانوا يسرجونها وبعض المشاهد الأخرى بقناديل الذهب <sup>١</sup> .

وقد خصصت الدكتورة سعاد ماهر معظم الجزء الأول من موسوعتها " مساجد مصر وأولياؤها الصالحون " للمشاهد التي أنشأتها الدولة الفاطمية ، وذلك من كثرتها فانظره <sup>٢</sup> ، وكما بنوا المشاهد على القبور المعروفة ، فقد اخترعوا قبوراً لا حقيقة لها ونسبوها للأئمة من أهل البيت <sup>٣</sup> .

---

<sup>١</sup> الخطط المقرية ص ( ١٦١ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٦٢ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> ص ( ٩٢ - ٥٤٤ ) .

<sup>٤</sup> ص ( ١٦٧ ) .

## المبحث الثاني

### الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية وفيه خمسة مطالب :

#### المطلب الأول : التعريف :

##### في اللغة :

الصوفية مشتقة من الصوف على أرجح الأقوال ، وذلك لأن لباس الصوف هو الغالب على أصحاب هذه الفرقة لمبالغتهم في الزهد والتقشف كما يقولون<sup>١</sup> ؛ ولذلك تراهم يقدسونه ويجلوونه، قال أحمد زيني دحلان: ( وحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رحمته الله رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالاً للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية )<sup>٢</sup> .

##### في الاصطلاح :

لقد كثرت عبارات أهل التصوف كثرة لا يمكن معها للباحث أن يصل إلى حقيقة ثابتة مقنعة، حتى أن الشيخ زروق<sup>٣</sup> في قواعد التصوف قال : ( وقد حُدَّ التصوف ورُسم وفسِّر

---

ومن قال بذلك السراج الطوسي في اللمع، وأبو طالب في قوت القلوب و السهروردي في عوارف المعارف، وغيرهم من المتأخرين : د.زكي مبارك، و د. عبد الحليم محمود، ومن المستشرقين عدد كبير أمثال مرجليوث و نيكلسون، و ماسنيون، ونولدكه، وغيرهم . وهو ما رجحه ابن تيمية وابن خلدون . انظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي للشيخ محمد أحمد لوح ( ٣٧/١ )، طبع دار المحجرة الرياض ط الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ) وهي رسالة لنيل درجة الماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية .

<sup>٢</sup> أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي توفي سنة ( ٥٩٢هـ ) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ( ١٣٥/١ ) طبع دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ والأعلام ( ٢٤٣/٣ ) .

<sup>٣</sup> أحمد زيني دحلان " تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول ﷺ " ( ص ٢٢٠ )، طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى سنة ( ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠ م ) .

<sup>٤</sup> أحمد بن أحمد بن محمد الرنسي المغربي المعروف بزروق، له مؤلفات في التصوف منها شروح للحكم العطائية مما يدل على أنه كما قال السخاوي : ( والغالب عليه التصوف والميل كما يقال إلى ابن عربي ونحوه ) توفي سنة ( ٨٩٩ هـ ) انظر : الضوء اللامع ( ٢٢٢/١ )، و الإعلام للزركلي ( ٩١/١ ) .

بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع ، كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى ، وإنما هي وجوه فيه <sup>(١)</sup> ، وقد لخص الدكتور إبراهيم هلال تلك التعريفات فقال : ( رغم كثرة التعريفات التي عُرِف بها التصوف الإسلامي في كتب التصوف وغيرها فإننا نستطيع أن نقول : إن التصوف - كما يراه الصوفية في عمومها - هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها ، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع ، والسهرة في صلاة أو تلاوة ورد ، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ، ويقوى فيه الجانب النفسي أو الروحي ، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم ، سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون ، وإلى معرفة الذات الإلهية وكمالاتها ، وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة ) <sup>(٢)</sup> ، وهذا تلخيص لتعريفات أئمة التصوف .

وأما المخالفون فيقولون : ( التصوف طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية " الميتافيزيكية " مما لم يرقم على صحتها دليل لا في الشرع ولا في العقل ) <sup>(٣)</sup> ، ويرى الباحثان محمد أحمد لوح وإدريس محمود إدريس : أن تلك التعريفات الكثيرة والمختلفة التي أطلقها أئمة المتصوفة إنما تعبر عن جملة من الأصول والعقائد التي لم يستطيعوا التصريح بها <sup>(٤)</sup> .

#### المطلب الثاني : نشأة التصوف :

لقد كانت حياة الرسول ﷺ وحياة أصحابه أروع مثال للعبودية لله تعالى والسلوك السوي الذي يحبه الله تعالى بحياتهم وسلوكهم هي المثال الذي يجب احتذاؤه والتأسي به ، إذ مهما اجتهد مجتهد من أجل أن يساويهم في ذلك فلن يستطيع فضلاً عن أن يأتي بأفضل منهم ، ولذلك أرشدنا الحق ﷻ إلى التأسي بالرسول ﷺ فقال : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله

<sup>(١)</sup> عبد القادر عيسى في حقائق عن التصوف ص ( ١٥ ) طبع مكتبة دار العرفان حلب الطبعة الخامسة سنة ( ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ) .

<sup>(٢)</sup> الدكتور إبراهيم هلال في كتاب ( التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة ) بواسطة (مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية) (٣١/١) ، للشيخ إدريس محمود إدريس ، طبع مكتبة الرشد بالرياض ، وشركة الرياض للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ) .

<sup>(٣)</sup> التصوف بين الحق والخلق ص ( ٧ ) للشيخ محمد فهد شقفة ، طبع الدار السلفية بالكويت ، الطبعة الثالثة ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) .

<sup>(٤)</sup> انظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ( ٤٣/١ ) ، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ( ٣٠/١ ) .

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً<sup>١</sup>، كما أخبرنا ﷺ أن أكمل الإيمان هو إيمانه وإيمان من معه وأحسن الهدى هو هديهم فقال: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾<sup>٢</sup>، وحذر ﷺ من مخالفة سبيلهم فقال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾<sup>٣</sup>.

ولقد كان أصحاب الرسول ﷺ أكثر الناس زهداً، وأشدّهم خوفاً من الله تعالى، وأعدّ لهم عبادة، وأبعدهم عن الشهوات، وأسلمهم من فتن الدنيا، ولقد كان رسول الله ﷺ يحث المقصّر منهم ويردّ المشدّد على نفسه، كما أرشد عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى قيام الليل حين لم يكن فيه مسابقاً<sup>٤</sup>، وردّ عبد الله بن عمرو بن العاص عن ذلك وعن مواصلة الصيام حينما كلّف نفسه من ذلك فوق حدّ الاعتدال<sup>٥</sup>.

وغضب غضباً شديداً على من حرّم على نفسه ما أباح الله<sup>٦</sup>، وكان قد رى أصحابه على الزهد في الدنيا وصور لهم حقارتها وهوانها على الله، حينما مثل هوانها على الله بهوان الجدي الأسكّ على صاحبه<sup>٧</sup>، وأنها لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> الأحزاب (٢١).

<sup>٢</sup> البقرة (١٣٧).

<sup>٣</sup> النساء (١١٥).

<sup>٤</sup> انظر: البخاري مع الفتح (٦/٣) كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ومسلم مع النووي (٣٩/١٦) كتاب الفضائل، باب فضائل عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

<sup>٥</sup> انظر: البخاري مع الفتح (٣٨/٣) كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم مع النووي (٤٢/٨-٤٣) كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر وتفضيل صوم يوم وإفطار يوم.

<sup>٦</sup> انظر: البخاري مع الفتح (١٠٤/٩) كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم (١٧٥/٩) مع النووي كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت إليه نفسه ووجد مونة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

<sup>٧</sup> انظر: مسلم في صحيحه (٩٣/١٨) مع شرح النووي في كتاب الزهد.

<sup>٨</sup> رواه الترمذي في سنه (٥٦٠/٤) كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب من هذا الوجه، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيحه (٢٦٩/٢).



فكان ذلك الجيل الفريد الذي لم تر الدنيا أكمل ولا أفضل منه على الإطلاق، ولم يتميز أحد منهم بمذهب خاص، لا في الزهد ولا في العبادة ولا في التصور والنظر للحياة الدنيا، بل كانوا متقاربين في ذلك، وعلى ذلك كان كبار التابعين، ولم يكن للتصوف الحادث ذكر فيهم ولا وجود بينهم، حتى لقد أنكر الإمام ابن الجوزي على أبي نعيم عدد من الصحابة والتابعين وتابعيهم في الصوفية، فقال: ( وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب "الحلية" وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم، فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمي في "طبقات الصوفية": الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي<sup>١</sup> وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد<sup>٢</sup>، وبهذا يتضح أن ابن الجوزي يرى أن هؤلاء جميعاً ليسوا من الصوفية الذين شملهم حد التصوف المبتدع.

ويرى أكثر المؤرخين للتصوف: أن بدء ظهور اسم التصوف كان في القرن الثاني الهجري<sup>٣</sup>، ولكن هذه التسمية لم تكن مشهورة في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير<sup>٤</sup>، وقد اشتهر في القرن الثاني والقرن الثالث عدد من الزهاد والعباد الذين انتسب إليهم الصوفية واعتبروهم من أئمتهم وفاخروا بهم، رغم أنهم لم يبدؤهم شيء من انحرافات الصوفية الخطيرة، أو فلسفتهم المنقولة عن الأمم الكافرة الأخرى، منهم إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢هـ)<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> هو معروف بن فيروز الكرخي أحد الزهاد الصالحين الذين لم يتلوا بفلسفة الصوفية، أثني عليه علماء أهل السنة، انظر ترجمته في: السير (٣٣٩/٩)، وطبقات الصوفية ص (٨٣) لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق نور الدين شريه، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ط الثالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

<sup>٢</sup> تلبس إبليس ص (٢١٦) للإمام أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق عصام الحرساني، تخريج محمد الزغلي، طبع المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

<sup>٣</sup> انظر: مقدمة ابن خلدون ص (٤٦٧)، طبع مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي بدون تاريخ. وتاريخ التصوف الإسلامي ص (٧) للدكتور عبد الرحمن بدوي طبع وكالة المطبوعات بالكويت سنة (١٩٩٣م).

<sup>٤</sup> مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١١)

<sup>٥</sup> تقريب التهذيب (ص ١٠٤) وطبقات الصوفية ص (٢٧)

وأبو سليمان الداراني (ت ٢١٥ هـ) <sup>١</sup>، وبشر الحاي (ت ٢٢٧ هـ) <sup>٢</sup>، والجنيد بن محمد البغدادي (ت ٢٩٧ هـ) <sup>٣</sup>، وسهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ) <sup>٤</sup> وغيرهم .

كما ظهر في نفس الفترة تقريباً من أظهر بعض الانحراف وحذر معاصروه - من الأئمة - منه أو من ذلك الذي ظهر منه . منهم الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) <sup>٥</sup> .

قال الذهبي : ( قلت : المحاسبي كبير القدر وقد دخل في شيء يسير من كلام القوم فنقم عليه ، وورد أن الإمام أحمد أثني على حال الحارث من وجه وحذر منه .

قال سعيد بن عمر البردعي : شهدت أبا زرعة الرازي وسئل عن المحاسبي وكتبه فقال : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر تجد غنية ، هل بلغكم أن مالكا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع ) <sup>٦</sup> .

قلت : نفهم من كلام الذهبي أمرين :

الأمر الأول : أن السلف الصالح كانوا ينكرون تلك المسالك التي عبّر عنها الذهبي باليسيرة ، ويسمونها بدعاً وضلالات ويهجرون أصحابها ويحذرون منهم ، كما رأيت من كلام أبي زرعة ، بل يتعدى الأمر إلى الزجر والعقوبة كما فعل الإمام أحمد حين هجر الحارث لما بلغه عنه ذلك <sup>٧</sup> .

الأمر الثاني : أن الانحراف يبدأ دقيقاً ثم يتسع وهذا ما سنعرفه في آخر هذا المطلب .

أما الشخصية الثانية من أئمة الصوفية التي عاشت في هذه الفترة فهو أبو يزيد البسطامي طيفور ابن عيسى (ت ٢٦١ هـ) قال ابن كثير عنه : ( وقد حكى عنه شطحات ناقصات ، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم : إنه قال

<sup>١</sup> سير أعلام النبلاء ( ١٨٢/١٠ ) وطبقات الصوفية ص ( ٧٥ ) .

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء ( ٤٦٩/١٠ ) وطبقات الصوفية ص ( ٣٩ ) .

<sup>٣</sup> السير ( ٦٦/١٤ ) ، وطبقات الصوفية ص ( ١٥٥ ) .

<sup>٤</sup> السير ( ٣٣٠ / ١٣ ) .

<sup>٥</sup> السير ( ١١٢ - ١١٠ / ١٢ ) .

<sup>٦</sup> السير ( ١١٢ - ١١١/١٢ ) .

<sup>٧</sup> السير ( ١١٢/١٢ ) .

## ◆ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبورية في الأمة المحمدية

ذلك في حال الاصطلام<sup>١</sup> والغيبة، ومن العلماء من بدّعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وإنها تدل على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته والله أعلم<sup>٢</sup>.

ولقد كان لأبي يزيد أثر قوي في الانحراف بالتصوف نحو الفلسفة والعقائد التي لم

تكن ظاهرة عند من سلف من الصوفية، مثل (الفناء)<sup>٣</sup> و (وحدة الوجود)<sup>٤</sup>.

ثم جاء من بعده شخصية هي أخطر وأشد تأثيراً وأكثر ظهوراً وتميزاً، أعلن مبادئه

وصرح بمعتقدده ومع أنه قد وُسم بعقائد ضالة وأعمال منكرة وجراًة غير مسبوقة، ذلكم هو

الحسين بن منصور الحلاج<sup>٥</sup> الذي حكم علماء عصره عليه بالزندقة الموجبة لقتله بل قُتل فعلاً

وصلب بعد أن أحرقت جثته<sup>٦</sup>، وبرغم أن قتله كان عن فتوى و اتفاق من عدد كبير من

الفقهاء والصوفية المعاصرين له<sup>٧</sup>، وبرغم أقواله الصريحة في الحلول والتي منها:

(سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب)<sup>٨</sup>

<sup>١</sup> الاصطلام وهو (نوعٌ وله يَرُدُّ على القلب فيسكن تحت سلطانه)، انظر: اصطلاحات الصرفية ص (١٥) إعداد الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، طبع مطبعة مدبولي الطبعة الأولى سنة (١٩٩٩ م).

<sup>٢</sup> البداية والنهاية (٣٥/١١) وانظر: السير (٨٩-٨٦/١٣)، وميزان الاعتدال (٣٦٦/٢)، وطبقات الصرفية ص (٦٧).

<sup>٣</sup> هو (الفناء وعدم الإحساس بعالم الملك والملوك وهو بالاستغراق في عظمة الباري) التعريفات للجرجاني، طبع دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م) ص (١٦٩).

<sup>٤</sup> وحدة الوجود تعني - في العقيدة الصوفية - أنه ليس هناك موجود إلا الله، فليس غيره في هذا الكون، وما هذه الظواهر التي تراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. انظر: اصطلاحات الصرفية ص (١٦٩).

<sup>٥</sup> مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٤٤/١).

<sup>٦</sup> الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث فيلسوف، توفي سنة (٣٠٩ هـ)، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١٢/٨) للحافظ الخطيب البغدادي طبع المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ، والبداية والنهاية (١٣٢/١١).

<sup>٧</sup> انظر: السير (٣٤١/١٤).

<sup>٨</sup> المصدر السابق (٣٤٠/١٤)، وانظر: البداية والنهاية (١٣٩/١١).

<sup>٩</sup> المصدر السابق (ص ٣٢٥/١٤).

و( ما في الجبة إلا الله )<sup>١</sup> إلى غير ذلك، ومع ما نقل عنه من استخدام السحر والجان و الشعوذة<sup>٢</sup>، أقول: مع كل ما قيل ونقل عنه نجد أن غلاة الصوفية قد سلكوا سبيله وساروا على منهاجه ووسّعوا ما بدأه من الانحراف، حتى ظهر ابن عربي وأشاع من ذلك ما لم يجرؤ على إشاعته أحد من قبله، ومع ما حصل من الصوفية المعاصرين له من اختلاف في أمره ؛ إلا أن من جاء بعدهم مال إلى ولايته وركن إلى تقرير منهاجه وعقيدته، وأوّل - بتكلف - ما جاء عنه من طوام وبلايا ، يشهد أن الكل يصدر عن منهل واحد ويحوم حول حقيقة واحدة يتفق أصلها وتتلون فروعها .

فهذا السلمي يترجم له في طبقاته<sup>٣</sup>، والقشيري يورد عقيدته بين عقائد أئمة التصوف وأساطينه<sup>٤</sup>، والياضي في مرآة جنانه قد أطلال في ترجمته وذكر اعتذار الصوفية له، وصرّح أنه نقل عن ابن خلكان، لأنه أقرب إلى الصوفية، وشنّع على الذهبي بما أورده في ترجمة الحلاج ونَبَرَهُ، مما يدل على تمكّن الاقتناع بولاية الحلاج، ويُبعد عن منهج السلف وأهل الحديث - الذين تكلم الذهبي بلسانهم وسار على طريقهم - وقد أورد فيه الثناء والتزكية لكبار مشايخهم وهم : أبو العباس بن عطاء وأبو القاسم النصرآبادي وأبو عبد الله بن خفيف وعبد القادر الجيلاني وشهاب الدين السهروردي وحجة الإسلام الغزالي<sup>٥</sup>، وعلى ذلك فإن معظم الصوفية المعاصرين له والآتين بعده يقولون بتزكيته واعتماده .

وحتى صوفية حضرموت الذين يدعون الاعتدال وينهون أتباعهم عن قراءة كتب الحلاج وابن عربي، هم في الواقع أو بعضهم على الأقل لا ينكرون ما عند القوم، بل يعتقدون صوابه مهما خالف ظاهر الشريعة وأن له تأويلاً سائغاً، وإنما ينهى عنه القاصرون خوفاً

<sup>١</sup> ( الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد ) ص ( ٣٣ ) للإمام الشوكاني تحقيق محمد صبحي حلاق الطبعة الأولى ( ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ) دار الهجرة بصنعاء .

<sup>٢</sup> الشعوذة خفة في اليد وأخذ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين، القاموس ص ( ٤٢٧ ) انظر : ترجمته الواسعتين في السير، والبداية والنهاية في الموضوعين السابقين في التعليق رقم ( ٦ ) .

<sup>٣</sup> الطبقات ص ( ٣٠٧ )

<sup>٤</sup> الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ( ١٨ ) لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، الطبعة الأولى ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ) .

<sup>٥</sup> مرآة الجنان وعرة اليقظان ( ٢٥٣/٢ ) للياضي .

عليهم من أن يفهموا منه خلاف المراد، أو أن يبادروا بالتصريح بموافقة تلك الأقوال التي تعمدوا أن يوهموا العامة بَعْدَهُم عنها، والآن فهذا أحد كبارهم ومعتمديهم ومن تؤخذ أقواله حجة لدى القوم -لأنه يتكلم بلسان الحقيقة- وهو الشيخ عبدالرحمن السقاف يقول في معرض كشوفاته : ( اطلّعنا على الحلاج وظننا أن بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر )<sup>١</sup>.

وبهذا ترى أن البذرة الباطنية التي بذرها أبو يزيد وسقاها ونمّاها الحلاج وشارك في نشرها وتعميقها أطراف عديدة -قد سرت في عروق المتصوفة وسيطرت على عقولهم ودانت بها أنفسهم لا فرق بين جيل وجيل ولا بلد وبلد إلا ما شاء الله .

ثم جاء القرن الرابع الذي تمكن فيه غلاة الشيعة من مقاليد الحكم في أنحاء البلاد الإسلامية، حيث حكم شمال العراق والشام الحمدانيون من الشيعة الغلاة من ( ٣١٧ - ٣٩٤ هـ )، والبويهيون العراق وإيران ومعظم أماكن نفوذ العباسيين من ( ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ )، والقرامطة في الجزيرة العربية في البحرين واليمن وغيرهما من ( ٢٧٠ - ٣٠٣ هـ )، والفاطميون احتلوا مصر وامتد نفوذهم إلى الحجاز واليمن والشام ( ٣٥٨ - ٥٦٩ هـ ) .

في القرن الرابع وجزء كبير من القرن الخامس كانت الشيعة الغالية بل الباطنية منهم يحكمون معظم أجزاء البلاد الإسلامية، وقد تمكنوا من غرس مبادئهم ونشر عقائدهم وتوطئن شعائرهم الضالة في بلاد المسلمين فكان من الطبيعي أن يأخذ عنهم صوفية تلك الفترة تلك العقائد ويتشربوا تلك المبادئ ويركضوا إلى تلك الشعائر .

وهذا ما قرّره العلامة ابن خلدون حيث قال : ( ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، ومألوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً

<sup>١</sup> المشرح الزوي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ( ١٤٣ / ٢ )، تأليف محمد بن أبي بكر الشلي العلوي طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ط الأولى ( ١٣١٩ هـ ) .

بالحلول والهيبة الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم<sup>١</sup>.

وبانتهاء سيطرة الشيعة الغلاة ورجوع السلطة إلى أهل السنة كانت السلطة الروحية للصوفية قد بلغت شأواً بعيداً، وقد أصبح لها هيمنة على الأمة مما جعل السلاطين السنيين يتسابقون في طلب ودهم بل يتقربون إليهم بأعلى ما يقدرون عليه من الدعم ليكسبوا ولاءهم ومن ثم يكسبون ولاء الأمة المتعلقة بهم، فهذه الدولة السلجوقية تتقرب من الصوفية تقريباً كبيراً، وتكرم كبارهم إكراماً لا مزيد عليه، وهي التي تظهر في زمانها الخانقاعات<sup>٢</sup> الصوفية والأربطة والمشاهد، فالوزير نظام الملوك قد قرب الصوفية وأحبهم وخضع هم<sup>٣</sup> بويتأثيرهم عمراً على عهده عدد من المشاهد من أهمها بناء القبة على قبر أبي حنيفة<sup>٤</sup>، كما حاول نقل رفات الإمام الشافعي من مصر ليدفنه لديه ويقيم عليه قبة هناك<sup>٥</sup>.

وعلى العموم فإن المشاهد في العراق خارج نطاق مشاهد الشيعة قد انتشرت في هذه الفترة القرن الخامس الهجري<sup>٦</sup> وفي نفس الفترة وقبلها بقليل كتبت أهم الكتب التي تعتبر دستور الصوفية ومنبع أفكارهم وعقائدهم سلوكهم، ففي أواخر القرن الرابع ألف أبو عبد الرحمن السلمي<sup>٧</sup> طبقات الصوفية<sup>٨</sup>، وفي سنة (٤٣٧هـ) ألف القشيري الرسالة القشيرية<sup>٩</sup>، وفي

<sup>١</sup> مقدمة ابن خلدون، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) وسأني كلامه كاملاً مخرجاً في المطلب الثالث.

<sup>٢</sup> خانقاعات : جمع خانقاه وهي رباط الصوفية . المعجم الوسيط ( ٢٦٠/١ ) .

<sup>٣</sup> السمر ( ٩٥/١٩ )، البداية والنهاية ( ١٤٠/١٢ ) .

<sup>٤</sup> السمر ( ١٨٨/١٩ )، البداية والنهاية ( ١٦١/١٢ )، و امرأة الجنان ( ٨٣/٣ ) .

<sup>٥</sup> الخطط للمقريزي ( ٦٩٣-٦٩٢/٣ ) .

<sup>٦</sup> العمارة العربية الإسلامية لنشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي ص ( ٤٣ ) تأليف د. كامل حيدر طبع دار الفكر اللبناني بيروت ط الأولى .

<sup>٧</sup> أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن حسين بن محمد السلمي الأزدي توفي سنة ( ٤١٢ هـ ) وانظر : ترجمته تاريخ بغداد

( ٢٤٨/٢ )، والسمر ( ١٥٢/١٧ )، البداية والنهاية ( ١٢/١٢ ) .

<sup>٨</sup> مقدمة محقق الطبقات ص ( ٥٠ ) .

<sup>٩</sup> مقدمة الرسالة ص ( ١٢ ) .

حوالي سنة (٤٨٨هـ) ألف حجة الإسلام الغزالي إحياء علوم الدين<sup>١</sup>، ثم جاءت الدولة الزنكية في الشام من (٥٢١-٦٣١هـ) فزادت رقعة الصوفية وعلا ذكرها ومكّن لها تمكناً كبيراً بسبب محبة آل زنكي عماد الدين (ت ٥٤١هـ) وابنه نور الدين الشهيد (ت ٥٦٩هـ) حتى عدّه الصوفية من جملة أوليائهم إذ قال عنه الياضي: (كان في الأولياء معدوداً من الأربعين)<sup>٢</sup>، وفي عهده بُنيت الخوانق والأربطة وأُسست التربة للأمراء وذويهم ولمشايع الطرق ومن يلوذ بهم، وأصبح بناء الخوانق والأربطة والتربة سنة محمودة لديهم يتنافس فيها السلاطين والأمراء و الخواتين<sup>٣</sup> والتجار ومشايخ الطرق وحتى بعض الفقهاء والمحسوبين على العلم<sup>٤</sup>، وعلى تلك السنة مضت الدولة الأيوبية في جميع البلاد التي حكمتها<sup>٥</sup>.

وعلى نفس النهج سارت دولة المماليك بل زادت عليه وذلك لطول مدتها واستقرار الأوضاع فيها أكثر من دولة الزنكيين والأيوبيين ولازدياد نفوذ الصوفية وتمكنهم من نفوس المجتمع<sup>٦</sup>، وكذلك الدولة العثمانية سارت بنفس الطريقة بل زادت عليها خصوصاً أن ابن عربي قد بشر بفتح القسطنطينية على يد العثمانيين ووصف فاتحها فكان الأمر كما وصف، وذلك قبل فتحها بنحو مائتي سنة، وإن صح ذلك فهو من باب الكهانة التي اشتهر بها ابن عربي، فقد وُصف بالسحر واستخدام الجن وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالمغيبات<sup>٧</sup>؛

<sup>١</sup> امرأة الجنان (١٤٦/٣).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (٣٨٧/٣).

<sup>٣</sup> جمع خاتون وهي المرأة الشريفة، والمقصود هنا نساء الأمراء وهي كلمة أعجمية. القاموس ص (١٥٤٠).

<sup>٤</sup> انظر: (الدارس في تاريخ المدارس) (٢/ ١٠٩-٢٣١) تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى (١٤١٠هـ).

<sup>٥</sup> المصدر السابق وخطط المقرئ (٦٤٨/٣)، وانظر: كذلك موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (ج ٢) الخاص بالعصر الأيوبي.

<sup>٦</sup> انظر: الخطط المقرئ (ج ٣)، و خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية بجزئه الأول والثاني تأليف د. عاصم محمد رزق الناشر مكتبة مديبولي القاهرة ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م). ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الثالث والرابع الخاصان بالدولة المملوكية.

<sup>٧</sup> سيأتي ذلك في الباب الثاني، الفصل الرابع.

فانتشر ذكره في بلاد الأتراك وانتشرت كتبه بينهم وحينما فتحوا الشام أقام السلطان سليم الأول على قبره (قبة عظيمة وتكية شريفة فيها طعام وخيرات) <sup>١</sup>.

وهذه اللوحة تعطينا تصوراً عن ترقّي الصوفية وانتشارها في بلاد السنة وعلى أيدي الحكام والسلاطين الذين كان لهم هدف بل أهداف كثيرة من مساندة الصوفية، منها السياسة وغيرها كما أن الصوفية نفسها لها أهداف كبيرة من القرب من السلطين وذلك لتوطيد سلطتهم الروحية بحيث تشمل الطبقة الحاكمة فمن دونها ويصبحون بحق كما يقول شاعرهم :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه

وهذا هو الهدف الظاهر، وهناك هدف أشار إليه بعض الباحثين غير ظاهر وسأتحدث عنه إن شاء الله في مطلب (الصلة بين التشيع والتصوف) .

#### التطور التنظيمي:

منذ أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع بدأت تتشكل الطرق الصوفية، حيث يجتمع عدد من المريدين إلى شيخ من شيوخهم فيتسمون باسمه، وعندما يموت تنتقل مشيخة الطريقة إلى أحد أتباعه، وفي الغالب يكون الخليفة من ذريته وهكذا، وقد عدّ الهويجري <sup>٢</sup> في (كشف المحجوب) اثنتي عشرة طريقة كل منها ينسب إلى شيخ من شيوخ القرن الثالث أو الرابع <sup>٣</sup>.

ثم توالى الطرق الصوفية حتى اكتملت ونضجت في القرنين السادس والسابع بظهور الطرق الكبرى التي تعود إليها معظم الطرق اللاحقة، ومن أهم هذه الطرق: القادرية نسبة إلى

<sup>١</sup> طبقات الشعراي (١٦٣/١) وانظر: أيضاً لمعرفة ما صنعه الأتراك للصوفية تاريخ الجبري المسمى "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" عبد الرحمن الجبري تحقيق جمال الدين عبد العزيز الناشر مكتبة مدبولي، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون الجزء الخامس الخاص بالعثمانيين .

<sup>٢</sup> هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الغزنوي الصوفي من قرية (الهويجر) من مضافات عزتبن توفي سنة (٤٦٥ هـ) انظر : كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون ص (٦٩١) لحاجي خليفة، طبع دار الفكر، بيروت (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .

<sup>٣</sup> مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٤٥) .



الشيخ عبد القادر الجيلاني<sup>١</sup>، الرفاعية نسبة لأحمد بن الرفاعي<sup>٢</sup>، المدينية نسبة للشيخ شعيب أبي مدين المغربي<sup>٣</sup>، السهروردية نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن محمد السهروردي<sup>٤</sup>، الشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي<sup>٥</sup>، ثم تشعبت عن كل طريقة من هذه الطرق طرق عدة لا يأتي الحصر عليها، وما زالت تتوالد إلى يومنا هذا، وكل طامع في الشرف والجاه وطامع في المنصب والمال من الصوفية يؤسس له طريقة ويورثها من بعده لأولاده . بل إن بعض الطرق تتطور لتصبح دولة سياسية تحكم قطاعاً كبيراً من الأرض وتمتد لأونة طويلة من التاريخ<sup>٦</sup>.

#### التطور العقدي :

لقد بدأ الانحراف في التصوف حينما أوجد أوائل المتصوفة طرقاً خاصة بهم في الزهد، ثم تطور أكثر عندما بدأ التأليف في الخواطر والهاجس الصوفية على يد الحارث المحاسبي والحكيم الترمذي، ثم أخذت دفعة أقوى بظهور أبي يزيد البسطامي- الذي أضاف مفاهيم الفناء وجنح إلى الحلول وأثر عنه الشطح والكلمات القبيحة-، وبعده كشف النقاب عن الأسس الصوفية والوسائل الموصلة إليها على يد الحلاج حتى صرح بالحلول واستخدم السحر والجن والشعوذة كما سبق بما لم يتفق لأحد ممن قبله، وسوغ له ذلك من جاء بعده من

<sup>١</sup> عبد القادر بن موسى الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية توفي سنة (٥٦١هـ) انظر ترجمته في : طبقات الشيعري (١٠٨/١) والأعلام (٤٧/٤)، ومروءة الجنان (٣٤٧/٣) والدراسة المستقلة عنه باسم (الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية) للشيخ د. سعيد بن مسفر القحطاني، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ط الأولى (١٤١٨هـ) .  
<sup>٢</sup> أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس مؤسس الطريقة الرفاعية توفي سنة (٥٧٨هـ) انظر ترجمته في : طبقات الشعري (١٢١/١)، ومروءة الجنان (١٤٧/١)، والأعلام (٤٠٩/٣) .

<sup>٣</sup> شعيب بن الحسن الأندلسي الشهير بأبي مدين صوفي كبير منهم بالرفض والعمل على نشره وقد تولى نشر طريقة الصوفية في أطراف البلاد الإسلامية ومنها حضرموت فهو الذي أدخل التصوف إليه بواسطة رسول أرسله إلى هناك توفي وهو في طريقه إلى السلطان بتهمة أوجبت استدعائه سنة (٥٩٣هـ) انظر : السير (٢١٩/٢١)، والطبقات للشيعري (١٣٣/١) .

<sup>٤</sup> أبو حفص عمر بن محمد السهروردي توفي سنة (٦٣٢هـ) انظر ترجمته في السير (٣٧٣/٢٢) والبداية والنهاية (١٣٨/١٣) .  
<sup>٥</sup> أبو الحسن الشاذلي توفي سنة (٦٥٨هـ) انظر ترجمته في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ص (٢٣٣) لأبي العباس أحمد بن أحمد الشرحي الزبيدي طبع الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط الأولى (١٤٠٦-١٩٨٦) .

<sup>٦</sup> كالدولة السنوسية في ليبيا والإدرسية في اليمن ودولة المهدي في السودان والدولة الصفورية في إيران فكل هذه الدول أصلها طرق صوفية .

كبار المتصوفة، وبذلك نعتبر أن ضلالات الحلاج وشطحاته قد أصبحت جزءاً مهماً من عقيدة المتصوفة، بعد أن زكاه كبارهم وأولوا تلك الشطحات وقبلوا تلك العقائد، ولو بالشكل المؤول الذي أقروه، ثم استفاد الصوفية من درس إعدام الحلاج فعادوا إلى التخفي والتستر زمنياً طويلاً، وإنما كانت تبدر منهم الفلتات ويقلبون الأمور ويسمونونها بغير مسمياتها، وذلك في مؤلفات القشيري والسلمي والسهورودي ثم الغزالي - خصوصاً في الفصل الخاص بحكايات المريدين وأحوالهم من إحياء علوم الدين -، ثم عادت تلك العقائد إلى الظهور في القرن السابع على يد محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ)، وعمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ)، وابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ) وأمثالهم، ثم انتشرت في أنحاء الأرض وتظاهرت بها طوائف وحماها سلاطين المماليك وآل عثمان، وهي لا تزال موجودة إلى اليوم غير أنها تظهر حيناً وتستتر حيناً آخر حسب المناخ والظروف التي تمر بها.

#### المطلب الثالث: العلاقة بين التصوف والتشيع :

هناك تداخل كبير بين الشيعة والصوفية في كثير من العقائد والأصول وهناك فرق صوفية شيعية صريحة كثيرة تتمركز في تركيا وإيران وغيرها من البلاد الإسلامية<sup>١</sup>، كما أن هناك فرقاً صوفية محسوبة على أهل السنة ولكنها تلتقي في أصولها مع الفرق الشيعية وتستقي من معين الإمامية والإسماعيلية، بل وتنسب شيوخها إلى البيت الهاشمي من طريق الحسين بن علي عليه السلام كثيراً ومن طريق الحسن أحياناً، منها ما هو مسلم لها بذلك ومنها ما هو معترض عليها فيه بدرجات متفاوتة من الإنكار<sup>٢</sup>.

ولا تكتفي بالنسبة العرقية إليهم بل كذلك تنسب نفسها إليهم روحياً، من خلال سلاسل الأسانيد والإلباس الذي تكاد كل الطرق الصوفية أن تنتهي به

<sup>١</sup> مثل ( ١ ) النوربخشية المنسوبة إلى محمد نوربخشي (٢) والصفوية المنسوبة إلى الشيخ صفى الدين الموسوي الأردبيلي ( ٣ ) النعمة اللهية والمنسوبة إلى السيد نور الدين نعمة الله الولي ( ٤ ) البكتاشية المنسوبة إلى السيد محمد الرضوي المشهور بالحاج بكتاش الولي.

<sup>٢</sup> من أولئك الشيوخ الذين نسبوا إلى علي عليه السلام وفاطمة الزهراء: عبدالقادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأبو الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وصفى الدين إسحاق بن جبرائيل الذي تنسب إليه الصفوية التي كانت فرقة صوفية سنية ثم تحولت إلى شيعية وملكته إيران وجنوب العراق مدة طويلة، بل إنها هي التي حولت معظم سكان إيران من سنة إلى شيعية، ومحمد بن عبدالله الملقب (نوربخش) شيخ الطريقة النوربخشية، وأحمد بن إدريس المغربي شيخ الطريقة الإدريسية.

إلى علي عليه السلام، كما أن هناك أخذاً صريحاً لكثير من المبادئ والأصول والمصطلحات الشيعية لدى الصوفية عن الشيعة وعن الإسماعيلية بشكل أخص، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عن ابن خلدون وإليك نص كلامه كاملاً: (... ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملاًوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسماعيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول والهيبة الأئمة مذهباً لم

وذلك أنهم وضعوا في لبس الخرقه حديثاً وصنعوا له إسناداً إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما عرج بي إلى السماء وأمسك حبيبي جبريل عليه السلام بيدي فأدخلني الجنة بعد المخاطبة فرأيت فيها قصرأ من ياقوتة حمراء فيها صندوق من نور عليه قفل من نور فقلت: يا حبيبي جبريل ما في هذا الصندوق؟ قال: فيه فخرك وفخر أمتك من بعدك إلى يوم القيامة هذا فيه خرقه الفقر ثم فتح الصندوق وأخرج منه خرقه الفقر ولبسنيها وقال: يا محمد أمرني الحق أن ألبسها لك فلا تودعها إلا عند مستحقها، قال: أمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحالهما في الجنة وقال: الفقر فخري وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة).

قالوا: وانتقلت نسبة الخرقه الشريفة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وانتقلت من علي عليه السلام إلى الحسن البصري عليه السلام وانتقلت من الحسن البصري عليه السلام إلى حبيب العجمي وانتقلت من حبيب العجمي إلى داود الطائفي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الشيخ الجنيد البغدادي ومن الجنيد البغدادي تفرقت إلى المشايخ عليه السلام. ومن طريق أخرى انتقلت من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى علي زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى داود الطائفي إلى معروف الكرخي إلى سري السقطي إلى الجنيد البغدادي. انظر: (المجموعة العيدروسية "الجزء اللطيف في التحكيم الشريف" لأبي بكر بن عبد الله العيدروس) ص (٢٠٩ - ٢١٠) الناشر طاهر بن محمد العيدروس (١٤٠٩هـ)، والحديث كما هو ظاهر من سياقه موضوع وقد حكم عليه بذلك الحافظ ابن حجر حيث قال الإمام السخاوي "في المقاصد الحسنة" ص (٣٠٠): (قال شيخنا هو باطل موضوع) طبعة دار الهجرة بيروت (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م). ثم كيف يكون الفقر فخر النبي صلى الله عليه وسلم وهو قد استعاذ منه؟ فكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أظلم أو أظلم) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة عليه السلام وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٨٧).

ولكن الغرض حاصل وهو إرجاع لبس خرقه التصوف إلى علي والحسين عليه السلام ويؤكد إسناد الخرقه الصوفية إلى علي عليه السلام وإلى ذريته على سبيل الحتم والإلزام أحد متصوفة الشيعة فيقول: (لا بد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين أو بواحد من أئمة الأنام عليهم السلام)، الصلة بين التصوف والشيعة (٨٧/١) نقلاً عن الحاج معصوم من كتابه طرائق الحقائق (٢٥١/١).

يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه: رأس العارفين- يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان- وقد أشار إلى ذلك ابن سينا<sup>١</sup> في كتاب الإشارات في فصول التصوف منها فقال: جلّ جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد، أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء، حتى أنهم لما أسندوا لباس خرقه التصوف لجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم: رفعوه إلى علي عليه السلام وهو من هذا المعنى أيضاً، والأفعلي عليه السلام لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهّد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، يشهد لذلك من كلام المتصوفة في أمر الفاطمي، وما شحنا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي ولا إثبات وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق (...)<sup>٢</sup>.

#### القطبية:

ومن القضايا المشتركة بين الشيعة والصوفية قضية القطب الذي يعرفه الجرجاني بقوله: (القطب: وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجهولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث

<sup>١</sup> هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، أحد أشهر فلاسفة الإسلام وأطباء المسلمين، إسماعيلي المذهب، كثره عدد من العلماء ونسبوا إليه القول بقدم العلم، توفي (٤٢٨ هـ). انظر ترجمته: لسان الميزان (٣٥٧/٢)، والأعلام (٢٤١/٢).

<sup>٢</sup> المقدمة لابن خلدون ص (٦١٩-٦٢١).

حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها )<sup>١</sup>

القطب الذي هذه صفته قد أخذ الصوفية عن الإسماعيلية الباطنية خصوصاً إذا نظرنا إليه مع بقية معاونيه من الأبدال والأوتاد وغيرهم من الأولياء .

يقول الدكتور كامل الشيبلي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع : ( وجاء تيار شيعي آخر من الإسماعيلية خدم الولاية الصوفية وجراها على الظهور وزادها ثقة بنفسها . وذلك أن المذهب الإسماعيلي يجعل الأئمة سباعاً أزلية حكمها حكم النبوة . ويجعل النقباء أو الحجج - وهم أنصار الأئمة المتبحرون في العقيدة - قوماً مقدسين أيضاً، لهم عدد ثابت محدود هو العدد : ١٢ يرتبط بعدد البروج والأشهر كما ارتبط العدد (٧) بالكواكب . وبذلك أسبغت الإسماعيلية الولاية على نقبائها وارقت بهم من الإنسانية المادية إلى الروحية، فاستغل الصوفية هذه السانحة أيضاً وطبقوها في مجتمعهم وصبوا في قالبها مثلهم، حتى رأينا التصوف بعد قرون يتخذ طابع الإسماعيلية الكامل بقوله بالمازل وتدرج المعرفة والسلوك .

وكان كيسان - قبل الإسماعيلية - مساوياً للإمام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية في علمه وفي أخذه عن ابن الحنفية وفي اجتهاده الديني بحيث شرع على أساس اتصاله بإمامه - مذهباً جديداً وجمع حوله أنصاراً وأعواناً . وكان أبو هاشم هو أول من قال بالنقباء - كما مر - وحدد عددهم باثني عشر ووصلهم بنقباء بني إسرائيل وبأعوان النبي من الأنصار، فجعل لهم المقام السامي والتوفيق الإلهي وهذا أصل فكرة الإسماعيلية - في رأينا - وهو الذي أدى في النهاية إلى أن تخرج إلى التصوف وتستقر فيه )<sup>٢</sup> .

وتأكيداً لكلام الدكتور الشيبلي : أنقل إليك نصاً مهماً لأحد صوفية حضرموت الذين عرفوا بالصراحة والجرأة في إبداء ما يعتقد والدفاع عنه وهو العلامة عبدالرحمن بن عبيدالله

<sup>١</sup> التعريفات للخرجاني ص ( ١٧٧-١٧٨ ) وبعض العبارات التي فيها غموض أعذر الآن عن شرحها لأن المقام إنما هو مقام المعرفة الإجمالية للقطب الذي يعتبر المدير الفعلي للعالم عند الصوفية ويقابله الإمام عند الإسماعيلية والإمامية .

<sup>٢</sup> الصلة بين التصوف والتشيع ( ١ / ٣٧٩-٣٨٠ ) .

السقاف<sup>١</sup> يقول -رحمه الله -: ( إن العلويين الحضرميين ومن لفَّ لفَّهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عدداً ولا يضبط كثرة منهم من يقول : إنها لما زُويت عنهم الخلافة الظاهرة عُوِّضوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها... )<sup>٢</sup>

التصرف في الكون وعلاقته بالتشيع :

من مهام القطب الذي سبق الحديث عنه التصرف في الكون إذ جعلوه المفوض بذلك من قبل الله تعالى، يقول التيجاني : ( اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حيثما كان الرب إليها كان هو خليفته في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتولي النيابة عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً فتري الكون كله أشباحاً لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً )<sup>٣</sup>.

وهذه العقيدة مأخوذة عن الشيعة الغلاة كذلك فهناك فرقة من الشيعة تسمى المفوضة أو الخمسة تقول : ( إن الباري خلق روح علي وأولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات - قالوا - ومن هنا قلنا في الركوع سبحان ربي العظيم، وفي السجود

<sup>١</sup> عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن السقاف مفتي حضرموت في عصره، من أعلم علماء وقته وأشهر شعراء زمانه، عرف بحرية في الرأي وجرأة في الحق ينكر على مدعي الولاية الكاذبة في كل مناسبة، وله صولات وجولات مع علماء حضرموت المعاصرين له، توفي سنة (١٣٧٥هـ). انظر ترجمته في : لوامع النور (١٢٧/٢) تأليف أبي بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور طبع مكتبة دار المهاجر صنعاء ط الأول (١٤١١)، و الأعلام (٣/ ٣١٥).

<sup>٢</sup> نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر ص (٨) للعلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، طبع في مطبعة النهضة اليمنية بـعدن، (١٣٦٨هـ-١٩٤٨م).

<sup>٣</sup> جواهر المعاني (٢/ ٨٩-٩٠) بواسطة تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٩٤).

سبحان ربي الأعلى لأن الإله الأعلى عليّ وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوّض إليهم العالم) <sup>١</sup>.

وقال عبد القاهر البغدادي : ( وأما المفوضة من الرافضة فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوّض إليه خلق العالم وتدبيره فهو الذي خلق العالم دون الله تعالى ثم فوّض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب ﷺ فهو المدبر الثاني .

وهذه الفرقة شرّ من المجوس الذين زعموا أن الإله خلق الشيطان ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصاري الذي سموا عيسى ﷺ مديراً ثانياً فمن عدّ المفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عدّ المجوس والنصاري من فرق الإسلام ) <sup>٢</sup>.

العلم اللدني وعلاقته بالتشيع :

العلم اللدني من الأصول المشهورة التي يتميز بها الصوفية عن غيرهم من الفرق خصوصاً أهل السنة، وهذا أمر واضح مبثوث في كتبهم وهو من أبرز الممادح التي يثنون بها على أوليائهم ومن أكثر ما يتبجح به مدعو الولاية منهم .

وقد عرّف الرندي هذا العلم فقال : ( والعلم المخزون هو العلم اللدني الذي اختزنه الله عنده ، فلم يؤت إلا المخصوصين من الأولياء ) ثم أورد حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ فقال : ( إن رسول الله ﷺ قال : ( إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله )، وقد شرح أحد المتصوفة هذا النص فقال : ( هي أسرار الله تعالى يبيدها الله إلى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراية، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها أحد إلا الخواص ) <sup>٣</sup>.

ومن أشهر مقالاتهم في ذلك ما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي من قوله : ( مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ) <sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ( ٧٥ ) بواسطة الصلة بين التصوف والتشيع ( ١٥/١ ) .

<sup>٢</sup> الفرق بين الفرق ص ( ٢٥١ ) .

<sup>٣</sup> مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ( ٩٣/ ١ ) نقلاً عن غيث المواهب للرندي .

<sup>٤</sup> يعني علماء الشريعة .

<sup>٥</sup> الكواكب الدرية للمنادي ( ٣٤٦/١ ) بواسطة مظاهر الانحرافات العقدية ( ١٠١/ ١ ) . وأورد معناه الذهبي في ترجمة

أبي يزيد من السير ( ٨٨/١٣ ) .

وكمثال على العلم اللدني لدى الصوفية وأنه لا يحتاج إلى تعلم وإنما يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه: ما رواه الجنيد مصداقاً لرأي التستري بقوله : ( كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمي اللسان يسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب وهو لا يحفظ القرآن، وتلك دلالة ولايته )<sup>١</sup>.

وهذا الذي يدعيه الصوفية من علم الباطن أو العلم اللدني مأخوذ عن أئمة الشيعة، فقد نسب غلاة الشيعة إلى أبي جعفر الصادق أنه قال : ( ليس هذا العلم إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة )<sup>٢</sup>، وذلك ما جعل نيكلسون يقول : ( إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ )<sup>٣</sup>، ومجالات التواصل بين التصوف والتشيع كثيرة جداً وكثير من أئمة الطرفين معترف بذلك، ومن أراد المزيد من الحقائق فليرجع إلى كتاب ( الصلة بين التصوف والتشيع ) للدكتور : كامل مصطفى الشبيبي .

وقبل الخروج من هذا المطلب أجدني مضطراً لعرض تهمة خطيرة يتهم بها المتصوفة منذ القرن السادس حين قضى صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - على الدولة الفاطمية .

وقد تبني هذه التهمة وأذاعها الشيخ مصطفى عبدالرازق الذي كان شيخاً للأزهر من عام ( ١٩٤٥ م ) إلى سنة موته ( ٤٦ أو ١٩٤٧ م ) والذي وصف بأنه كان هادئ الطبع يتمهل في تفكيره قبل أن يتكلم أو يكتب، وأنه يحاسب لسانه على الكلمة )<sup>٤</sup>، فقد نشر ثلاث مقالات في إحدى الصحف الأسبوعية القاهرية عام ( ١٩٢٧ م ) تحت عنوان ( المولدان الأحمدى والدسوقي ) قال في أحدها : ( أنه رجع إلى مخطوطة مغربية ينكر صاحبها أن يكون ( أحمد البدوي ) صوفياً، ويثبت أنه كان علوياً شيعياً يهدف إلى إرجاع الملك العبيدي ( الفاطمي ) الشيعي المغالي وأن " علي البدوي - والد أحمد البدوي - " كان أحد العلويين الشيعة

<sup>١</sup> الصلة بين التصوف والتشيع ( ٤١٠/١ ) نقلاً عن تفسير التستري ص ( ٧ )، وكلامه هذا يردده قول النبي ﷺ : ( إنما العلم بالتعلم ) . وسيأتي ص ( ٤٠٧ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٤١٠/١ ) . نقلاً عن أصول الكافي ص ( ٢٥ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ٤١٠/١ ) عن التصوف الإسلامي ص ( ٧٦ ) .

<sup>٤</sup> الأعلام ( ٢٣١/٧ ) .



الإسماعيلية وأنه نزع من المغرب إلى مكة المكرمة وكان أحمد البدوي وقتها لم يتجاوز السبع سنوات وكان ذلك عام (٦٠٣هـ) حيث عقد الشيعة مؤتمراً في مكة بحثوا فيه كيف يعملون على إعادة الدولة الإسلامية علوية - أي شيعية باطنية- .

وقد أيد الشيخ محمد فهمي عبداللطيف تلك القضية وأضاف نقطة مهمة جداً وهي: تحديد الذي كان يتولى ذلك، حيث قال : ( فكان أبو مدين الغوث في المغرب بيت هذه التعاليم تحت ستار التصوف ويربى عليها المريدين فيرسلهم بها إلى الآفاق والأمصار )<sup>١</sup>.

قلت : أما أن أبا مدين كان يرسل رسله إلى الآفاق فهذا ثابت، فقد اتفقت كلمة مؤرخي حضرموت أن الذي أدخل التصوف إلى حضرموت هو شعيب أبو مدين، حينما بعث رسوله عبدالرحمن المقعد وأمره أن يذهب إلى حضرموت ويحكم أربعة من أهلها اختارهم وسماهم له، وهم ( محمد بن علي باعلوي) المعروف بالفقيه المقدم<sup>٢</sup> في تريم و ( سعيد بن عيسى العمودي )<sup>٣</sup> في قيدون و ( الشيخ باعمر ) في عورة بدوعن و ( عبدالله باحمران ) بميفعة محافظة شبوة<sup>٤</sup>، فمات المقعد في الطريق ووكل تلميذه عبدالله الصالح المغربي فقام بالمهمة، ويعد أن حكم الجماعة مات بميفعة وقبره معروف هناك عليه قبة قائمة إلى الآن بالقرب من جول الريدة عاصمة مديرية ميفعة .

<sup>١</sup> السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر ص ( ٢٨ ) تأليف محمد فهمي عبداللطيف منشورات سيمر أبو داود المركز العربي للصحافة، القاهرة الطبعة الثانية بدون تاريخ .

<sup>٢</sup> الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي أول من حمل فكر الصوفية المنحرفة في حضرموت وتقدمت قصة ذلك وهو أبو أكثر العلويين في حضرموت وقد قدس عند ذريته وأتباعه بما لا يكاد يلحقه في ذلك أحد حتى لقد انتقل التقديس إلى كل شيء له به صلة فأتانته يقولون أنها تخرج إلى السماء بكرة وعشية والحجر الذي يضع نعله عليه إذا دخل مقابر تريم إلى اليوم مثبت في حدار مسجد يسمى مسجد الحصاة وما زال أهل تريم يتمسحون به إلى اليوم وقد شاهدته بنفسي وهو أول من أظهر الشطح الصوفي بحضرموت حتى لقد قال عن نفسه ( أنه هو الله ) إلى آخر ما نقل عنه من شطح يعدّ لديهم من كراماته توفي سنة (٦٥٣هـ) . انظر ترجمته في : الغرر ص ( ١٤٥ ) ( غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البهي ) تأليف محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي الطبعة الأولى ( ١٤٥٥هـ ) ، والمشرع ( ٢/٢ ) .

<sup>٣</sup> سعيد بن عيسى العمودي جد المشايخ آل العمودي وأحد الأربعة الشيوخ الذين جاءهم رسول أبي مدين لضمهم إلى حظيرة التصوف بحضرموت وبذلك اشتهر رغم أنه عامي كما يقولون توفي سنة ( ٦٧١هـ ) . انظر : طبقات الخواص ص ( ١٤٥ ) ،

وإدام القوت ص ( ١٤٣ ) .

<sup>٤</sup> المشرع الروي ( ٥/٢ ) .

ويمكن أن يعتبر هذا الحدث شاهداً قوياً على تلك القضية وأن أبا مدين كان من دعاة التشيع الباطن و من النشاط في إبلاغه إلى الأقطار الإسلامية المختلفة تحت ستار التصوف. وربما يحتج على إثبات تلك التهمة أيضاً بأن صوفية حضرموت لهم صلات قوية بالتشيع، كما صرح بذلك ابن عبيد الله فيما مضى<sup>١</sup>، ويشهد بذلك واقع الحال إذ قد وصل الحال بكثير منهم إلى التصريح بالتشيع والوصول إلى درجة الازدراء ببعض الصحابة وسلف الأمة من أهل السنة ومن أشهر أولئك :

- ١- محمد بن عقيل بن يحيى صاحب كتاب ( النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ) .
  - ٢- أبو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين صاحب كتاب ( الحمية من مضار الرقية ) وهو رد على كتاب أحد أقاربه والمسمى بـ ( الرقية الشافية من مضار النصائح الكافية ) والرقية رد على محمد بن عقيل صديق بن شهاب وصاحبه في التشيع .
  - ٣- محمد بن أحمد الشاطري صاحب ( أدوار التاريخ الحضرمي ) والذي أظهر فيه -عندما تعرض لهذا الموضوع- تعاطفاً مع ابن شهاب وابن عقيل وتحاملاً على معاوية<sup>٢</sup> .
  - ٤- العلامة عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف الذي تعرض في بعض قصائده الموسومة بـ ( الإماميات ) للعن من وصفهم بأعداء علي<sup>عليه السلام</sup> وأهل بيته، حيث قال من قصيدة بعثها إلى الإمام يحيى حميد الدين من سغافورة مع رسالة من محمد بن عقيل المذكور آنفاً وآخرين :
- |                            |                                |
|----------------------------|--------------------------------|
| إنا ندين بحبكم وننوب من    | طرب إذا عرضاً حديثكم جرى       |
| وإذا ذكرنا ما مضى في حقكم  | كدنا من الحسرات ان نتسعرا      |
| علناً نسب عداكم فعليهم     | لعن الإله على الدوام مكرراً    |
| لا ينطوي قلب على بغضائكم   | الا وقد شئى النبي الأظهرا      |
| كيف النجاة لخصمكم إن جئتم  | يوم الحساب مع البتول المحشرا ٩ |
| إن جادل السفهاء عنهم هاهنا | فمن المجادل يوم تنقسم العرى    |

<sup>١</sup> ص (١٩٤) .

<sup>٢</sup> انظر أدوار التاريخ الحضرمي ص (٤٥٠ - ٤٥٢) تأليف محمد بن أحمد الشاطري طبع عالم المعرفة جدة ط الثانية

(١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)

فلي الهناء بنسبتي لنجاركم      نسباً يبدّ ظهوره نار القري<sup>١</sup>

فيقال: إن الإمام يحيى ردّ عليه قوله هذا في القصيدة التي أجابه بها على قصيدته على  
نفس الوزن والقافية يقول له :

رجل له في نصر شرعة أحمد      همم تطيربه إلى أعلى الذرى  
يدعو إلى نهج الصواب ونصاً      يات الكتاب بلا جدال أو مرى  
والسنة الغراء يقفو إثرها      أكرم بسنة خير من وطىء الثرى  
لا يرتضي نحل الروافض منهياً      وكذلك لم يك مثل جهم مجبراً<sup>٢</sup>

ومن أبرز الشواهد التي يمكن الاستشهاد بها على صحة ما ادعاه الشيخ مصطفى  
عبدالرازق الدولة الصفوية- التي حكمت إيران وما جاورها وأجزاء من العراق مدة طويلة، وهي  
التي حولت إيران من السنة إلى الشيعة- أقول تلك الدولة كانت في بدايتها فرقة صوفية  
سنية ظهرت سنة ( ٦٤٧هـ ) على يد صفى الدين- الذي نسب نفسه إلى علي بن أبي طالب  
بواسطة موسى الكاظم ثم خلفه أبناؤه في مشيخة الطريقة- حتى إذا كان عام ( ٩٠٧هـ ) وفي  
عهد حفيده إسماعيل الصفوي أعلن قيام الدولة على مذهب الإمامية الاثني عشرية يقول  
سبنسر ترمنجهام : ( وفي الحقيقة هو الدين الوحيد المقبول في مناطق سيطرته وقد كسب  
الصفويون في النهاية تأييد الجماهير سلالة النوريخشي والمشيخ )<sup>٣</sup> وهما من الفرق الصوفية

أقول: إذا نظرنا إلى تاريخ نشأة هذه الطريقة وأنها كانت سنية، وجدنا أنها أنشئت في  
ذلك العصر الذي أشار إليه الشيخ عبدالرازق وتدرجت إلى أن حققت الهدف وهو إعلان دولة  
شيعية حكمت قطاعاً كبيراً من بلاد المسلمين بل وحولته إلى التشيع فربما كانت أخطر من

<sup>١</sup> ديوان السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، طبع مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة بدون تاريخ ص ( ٤٤٦ - ٤٤٧ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٤٤٧ ) ، وانظر : الزيدية للقاضي الأكرع ص ( ٧٤ ) .

<sup>٣</sup> انظر : الفرق الصوفية في الإسلام ص ( ١٥٩ - ١٦٠ ) لسبنسر ترمنجهام ترجمة الدكتور عبدالقادر البحراوي، طبع دار النهضة  
العربية للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى ( ١٩٩٧م ) .

الدولة العبيدية، إذ إن الدولة العبيدية لم تستطع أن تزيل مذهب أهل السنة من مناطق نفوذها تماماً بل بقي في نفوس أصحابه حتى إذا رحلت عاد الناس إلى السنة، أما الدولة الصفوية فأثارها إلى اليوم بل إنها قد ازدادت عمقاً ورسوخاً بقيام الثورة الخمينية، فهل هذا الاستنباط صحيح؟ لا أستطيع الجزم ولكنني أضعه بين يدي القراء وربما أدى المزيد من البحث في هذه القضية الخطيرة إلى نتيجة حاسمة بالإثبات أو بالنفي، والمهم هو إثبات الحقيقة وليس التجني على أحد .

#### المطلب الرابع: عقائد الصوفية الباعثة على القبورية :

غلو الصوفية في الأولياء و انحرافهم فيهم هو الباعث على تقديسهم وتقديس قبورهم وأن يُعْتَقَدَ فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى .

وقد سبق البيان بأن الصوفية متأثرة بالغلاة من الشيعة ومعتقدة الكثير من عقائدهم ودائنة بالكثير من دياناتهم، كما قرره ابن خلدون، وعلى ذلك فلو اقتصرنا على ما مر لكفى ؛ ولكن الصوفية لم يظهروا بمظهر الشيعة ذاته وإنما طوَّعوا مبادئ الشيعة لبيئتهم ولبسوها لبوسهم الخاصة، فمن هنا وجب كشف تلك المصطلحات وإبداء تلك المبادئ كما يراها الصوفية ومن كلامهم هم لا من كلام خصومهم .

#### الولي عند أهل السنة :

وقبل أن نبين عقيدة الصوفية في الولاية والولي ؛ يحسن بنا أن نبين المعنى الصحيح للولي كما جاء في القرآن الكريم والسنة، ومعتقد أهل السنة والجماعة :

يقول الله تعالى : ﴿ إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾<sup>١</sup> ففي هذه الآية يعرف الله تعالى الولي هذا التعريف السهل الذي لا تعقيد فيه ؛ وهو أن الولي هو : ( المؤمن التقي ) وبهذين الوصفين يستحق تلك الضمانة بأنه سالم من الخوف والحزن .

وقد وردت أحاديث صحيحة تصف أولياء الله وتشرح أحوالهم، منها حديث أبي هريرة الشهير بحديث الولي قال : قال رسول الله ﷺ : (( إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته

<sup>١</sup> يونس (٦٢، ٦٣) .

بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويديه التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته<sup>(١)</sup> قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: ( المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته )<sup>(٢)</sup>.

وقد شرح الإمام الشوكاني - رحمه الله - هذا الحديث بكتاب كامل هو " قطر الولي على حديث الولي " وخلاصة قوله في الولي - كما لخصه محقق الكتاب في دراسته - ( أن يكون متمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مقتديا به في أقواله وأفعاله، وازنا لكل عمل يأتي به بميزان الكتاب والسنة ) ويستدل - رحمه الله - لذلك بعمره ﷺ فإنه - مع كونه من كبار الأولياء ومع كون الرسول ﷺ شهد له بأنه من المحدثين - فلم يكن يعتمد على ذلك بل كان دليله الكتاب والسنة في كل ما يعمل وما يدع، ( فكان يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويشاورونه ويراجعهم ويراجعون، ويحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويرجعون إليهما ) ( ومن خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عز وجل )<sup>(٣)</sup> ولقد أحسن الإمام الشوكاني - رحمه الله - أيما إحسان عندما استشهد بحال عمر ﷺ، فهو حقا من كبار الأولياء المقطوع بولايتهم بخبر الصادق ﷺ وإجماع أهل السنة، وهو كذلك مشهود له بأنه محدث، فإن كان هناك تحديث أو كشف أو علم لدني يمكن أن يحصل عليه ولي من الأولياء فعمره ﷺ أولاهم به ومع ذلك ما خرج عن ظاهر الشريعة ولا احتج على قضية - أي قضية - بالإلهام أو التحديث أو الكشف، وإنما كان يحتج بالكتاب والسنة ( بظاهر الشريعة ) لذلك فإن النتيجة الحتمية هي أن ( من خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من

<sup>١</sup> البخاري كتاب الرقائق باب التواضع (١١/٣٤٠-٣٤١).

<sup>٢</sup> الفتح (١١/٣٤٢).

<sup>٣</sup> قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها للإمام الشوكاني - رحمه الله - تحقيق الدكتور إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ قسم الدراسة ص (٧٥).

أولياء الله عز وجل) هكذا يقرر هذا الإمام الجليل الشوكاني -رحمه الله - ويبرز معالم الولي عند أهل السنة رحمهم الله تعالى .

وهناك حديث ثان جاء في صفة الأولياء عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (( إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ( قالوا يارسول الله : فخيرنا من هم ؟ قال: (( هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ))<sup>١</sup> الولي عند الصوفية :

أما الولاية عند الصوفية فهي ( قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه )<sup>٢</sup> أو هي : ( عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وأثر لذّة وتعرفاً )<sup>٣</sup>، والولي هو : كما قال صاحب جواهر المعاني : ( وحقيقة الولي أنه يُسَلَّب من جميع الصفات البشرية ويتحلّى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً )<sup>٤</sup> . وحسبك بهذه التعريفات وضوحاً في الغلو في الولي عند الصوفية وإعطائه صفات الألوهية، ومادام كذلك فلا غرابة أن يُعَتَّقَ فيهم تلك العقائد الباطلة، وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني<sup>٥</sup> .

### قيام الأولياء بأمر الكون :

وسبقت الإشارة إلى أن الصوفية قد أخذت عن غلاة الشيعة عقيدة التفويض، أي أن الله فوَّضَ تصريف أمر الكون إلى بعض أوليائه، فهم القائمون بإدارته والتصرف فيه وإعطاء من

<sup>١</sup> رواه أبو داود وقال شيخنا : حسن لغره . صحيح الترغيب والترهيب ( ١٦٤/٣ ) رقم ( ٣٠٢٦ ) .

<sup>٢</sup> التعريفات للجرجاني ص ( ٢٥٤ ) .

<sup>٣</sup> جمهرة الأولياء ( ٩٨/١ ) ، و ( معجم مصطلحات الصوفية ) لعبد المنعم حنفي ص ( ٢٦٩ ) بواسطة ( تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ) ( ٥٨/١ ) .

<sup>٤</sup> تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ( ٥٨/١ ) .

<sup>٥</sup> الباب الثاني الفصل الأول ص ( ٣٠٢ ) .

شاءوا ومنع من شاءوا وإكرام من شاءوا وإهانة من شاءوا، وهم يتفاوتون في ذلك كل بحسب مرتبته .

يقول التيجاني في تعريف القطب : ( اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حينما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله - تعالى - ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتولييه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلاً فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً )<sup>١</sup> .

وهذا التعريف قد اشتمل على تعريف الجرجاني للقطب مما يدل على توأمتهم عليه، ويلخص ذلك كله أبو الحسن الشاذلي فيقول : ( لو كشف عن حقيقة ولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته )<sup>٢</sup> - أي نعوت الله تعالى وصفاته - وإنما حال دون عبادته كونه لم يكشف عن حقيقته، وبعد معرفة القطب لديهم يجدر بنا أن نتعرف على بقية مراتبهم وكيفية رجوع الناس إليهم ورجوعهم إلى بعضهم البعض .

يقول الشيخ عمر القوتي : ( فأعظم الأولياء " الغوث " والثلاثة المختارون والسبعة، ثم العشرة ثم الأربعون، ثم السبعون، ثم الثلاثمائة، وهم البدلاء والأوتاد، والسبعون النقباء، والأربعون الخلفاء، والعشرة العلماء، والسبعة العرفاء، والثلاثة أهل المكاشفة، والغوث - وأعني القطب - عليهم مثل جبل قاف، والأوتاد مفرع العامة، والنقباء مفرع الأوتاد والخلفاء مفرع النقباء، والعلماء مفرع الخلفاء والعرفاء مفرع العلماء، وأهل المكاشفة مفرع العرفاء، والقطب مفرع الكل )<sup>٣</sup> .

بهذا التعريف ( للقطب ) أو ( الغوث ) وماله من مكانة وإمكانات في الكون يتضح لماذا توجه الصوفية إليه وسألوه ما يريدون وتقربوا إليه بسائر أنواع القرب .

<sup>١</sup> جواهر المعاني ( ٨٩/٢ - ٩٠ ) بواسطة تقديس الأشخاص ( ٩٤ / ١ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات الكبرى للشعراني ( ١٢ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> من كتاب الرماح ( ٢١ / ١ ) مع جواهر المعاني بواسطة تقديس الأشخاص ( ٩٨ / ١ ) .

كما يتضح من النقل الثاني رُتّب الأولياء وتسلسلهم، وأن كلاً منهم "مَفْرَعٌ" -أي ملجأ ومعاذ يلجأ إليه المحتاج ويعوذ به الخائف ممن دونه-، وأما القطب فهو ملجأ الجميع ومعاذهم، والولي -كما يقول المرسي- يستحق العبادة لأن صفاته من صفاته ونعوته من نعوته -أي من صفات الله تعالى ونعوته- وإنما حال دون عبادته كونه لم يُكشَف على حقيقته .

وبعد هذا التعريف الإجمالي للقطب ومعاونيه من الأولياء وتسلسلهم حسب درجاتهم ؛ ينبغي أن نتعرف على جملة من العقائد التفصيلية في الأولياء وما يعتقدون فيهم من خصائص تؤهلهم لأن يُقَدَّسوا ويُتَقَرَّبَ منهم ويلتجأ إليهم، ويطلب منهم كل ما يحتاجه عوام المسلمين من حاجاتهم الدنيوية والأخروية .

#### الاعتقاد الأول الباعث على القبورية : التصرف في الكون وامتلاك كلمة ( كن ) :

أول تلك العقائد -الحاملة على تقديس الأولياء والتوجه إليهم بطلب قضاء الحوائج- اعتقادهم أن الأولياء يتصرفون في الكون ويقولون للشيء كن فيكون، وقد سبق في تعريف القطب ما يدل على ذلك، ولكن أريد أن أضيف إلى ذلك نقولاً أخرى تؤكد ذلك وتفصله - فقد ادعى ذلك جماعة - فالشعراني<sup>١</sup> يصف الشيخ شمس الدين الحنفي بقوله : ( وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود بوصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب )<sup>٢</sup> .

وقالوا في وصف أحد شيوخهم وهو الشيخ عوضه : ( وقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكون )<sup>٣</sup>، وبعضهم يدعيها لنفسه فيقول : ( إنَّ تصريفي يصل حتى إلى الجنان وإن

<sup>١</sup> عبد الوهاب بن أحمد الشعراني عالم مصري غلب عليه التصوف واستحوذ على تفكيره فتحاً أثر العلم وزجَّ به في بحر الأوهام والخرافة، له الطبقات الكبرى في تراجم الصوفية من أكبر المصادر للتعرف على هَوَس الصوفية وقبح مسالكهم تروفي سنة (٩٧٣هـ) انظر ترجمته في هدية العارفين (١٥/٦٤١) .

<sup>٢</sup> طبقات الشعراني (٨١/٢) .

<sup>٣</sup> ( جواهر المعاني ) للتيحاني بواسطة تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ( ١٣٥/١ ) .



## ◆ الباب الأول - الفصل الثالث - نشأة القبورية في الأمة الحمديّة

الخور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مني ) ويقول لمريده : ( إن كنت تعتقد أنّ البس في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي )<sup>١</sup> .

وليس الأمر مقصوداً على أحيائهم بل حتى أمواتهم يتصرفون في الكون كذلك : فقد حكوا أن أربعة من الأولياء يتصرفون بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم :

١- معروف الكرخي . ٢- عبدالقادر الجيلاني .

٣- عقيل المنبجي . ٤- حيوة بن قيس الحراني .<sup>٢</sup>

ولم يكتفوا بحكاية ذلك عن أوليائهم ولكنهم جعلوا يؤصلون ذلك ويستدلون له ويقنعون به أتباعهم، فقد سئل أحمد التيجاني عن قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني : ( وأمرني بأمر الله إن قلت : كن يكن ) ونحوه من أقوال القوم، فقال : ( ذلك أن الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضاً عاماً أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم الله كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه فلا يستعصي عليهم شيء في الوجود ) واستدل على ذلك بقول علي بن أبي طالب : ( أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومدبرها . يريد بذلك أنه خليفة الله في جميع مملكته )<sup>٣</sup> .

ويقول إدريس بن الأرياب<sup>٤</sup> : ( درجات الأولياء على ثلاثة أقسام : عليا ووسطى وصغرى : فالصغرى أن يطير في الهواء ويمشي على ظهر الماء، وينطق بالمغيبات، والوسطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء كن فيكون، وهذا مقام دفع الله ولدي، والكبرى وهو درجة القطبانية )<sup>٥</sup> وفي هذا النص جعل القطب أعلى درجة ممن يقول للشيء كن فيكون .

<sup>١</sup> ( كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية ) ص ( ١٧٩ ) جمع وترتيب الحبيب محسن بن عبدالله السقاف، والقاتل هو عبدالعزيز الدباغ .

<sup>٢</sup> مرآة الجنان ( ٤٢٠/٣ ) .

<sup>٣</sup> جواهر المعاني ( ٧٦/٢ - ٧٧ ) بواسطة تقديس الأشخاص ( ١٣٥/١ ) .

<sup>٤</sup> مترجم في طبقات ابن ضيف الله ص ( ٤٩ ) كما في تقديس الأشخاص ( ٧١/١ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٧١ / ١ - ٧٢ ) .

الاعتقاد الثاني: الباعث على القبورية اعتقاد أن الولي يغيث من استغاث به ويعطي من دعاه :

وهذه العقيدة جزء من العقيدة الفاسدة عقيدة التصرف في الكون، ولكن الصوفية أعطوها حيزاً كبيراً واعتنوا بها وأسبغوها وصفاً منفرداً عما قبله على بعض أوليائهم . يقول عبدالعزيز الدباغ<sup>١</sup> : ( رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة والوحوش، والحشرات، والسموات، ونجومها، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك )<sup>٢</sup> .

وهذا الوصف لا يكاد يُنقى لله صفة إلا أسبغها على هذا الولي، خصوصاً المتعلقة بالإدراك والقيومية واستجابة الدعاء، فلا يستغرب بعد ذلك ممن سمع من العوام هذا الكلام وصدقه أن يهرع إلى هذا الولي للاستغاثة به وإنزال حاجته به .

وبناءً على تمكن تلك العقيدة من نفوسهم أو الإصرار على غرسها في نفوس الأتباع والمريدين، نجدهم يدعون الناس إلى دعائهم ويعدونهم باستجابة ذلك الدعاء . يقول محمد الحنفي- وهو من أولياء طبقات الشعراني : ( من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب حاجته أقضيها، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب يوكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل )<sup>٣</sup> .

ويقول أحمد الفرغل- وهو كذلك من أولياء طبقات الشعراني - : ( أنا من المتصرفين في قبورهم من كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي ويذكرها أقضيها له )<sup>٤</sup> ، وهم بذلك يبنون تلك العقائد على ما اكتسبوه من الفلسفة اليونانية الوثنية فهذا عبد المجيد الخاني النقشبندي يقول: ( أعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور أهونها أن يتصور المريد

<sup>١</sup> عبد العزيز بن مسعود من متصوفة المغرب توفي سنة (١١٣٢هـ) انظر ترجمته في الأعلام (٢٨/٤) .

<sup>٢</sup> الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، تأليف أحمد بن المبارك، طبع المكتبة التوفيقية بدون تاريخ (ص ٤٤٢) .

<sup>٣</sup> الطبقات الكبرى (٨٨/٢) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق (٩٦/٢) .

صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة بولا يزال متوجهاً إليه بكلية حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب ٠٠٠ وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ ٠٠٠ فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى و لو كان أحدهم في المشرق والآخر في المغرب فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين (١) بعبارة أدق وأرصن وأكثر تعقيداً يقول الغزالي: (أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة، وهذا يحصل من جهتين: الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين أما الاستمداد فهو بانصراف همه صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك، ويقبل بكلية على ذكره وخطوره ببالة، وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منه) (٢).

وهذا القول قد عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- إلى الفلاسفة ومن أخذ عنهم من متفلسفة المسلمين وذكر منهم ابن سينا (٣) وأبا حامد الغزالي ثم قال: (وهذه الأحوال هي من أصول الشرك وعبادة الأصنام وهي من المقاييس الفاسدة التي قال بعض السلف: "ما عُبِدَ الشمس والقمر إلا بالمقاييس" وهي من أقوال من يقول: "إن الدعاء إنما تأثيره بكون النفس تتصرف في العالم لا بكون الله يجيب الداعي") (٤).

(١) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (٢/ ٧٣١).

(٢) المظنون به على غير أهله ص (٣٥٦) ضمن رسائل الإمام الغزالي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) وينبغي الإطلاع على فصلي الشفاعة ص (٣٤٩) وزيارة القبور ص (٣٥٦) من هذا الكتاب كاملين.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام (٢/ ٢٤١).

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري (٢/ ٤١٣).

الاعتقاد الثالث الحامل على القبورية: أن الله وكل بقبور الأولياء ملائكة يقضون حوائج المستغيثين :

بعد رسوخ تلك العقائد الباطلة التي أشرنا إليها آنفاً، تدرج الأمر بالقوم إلى ربط الناس بقبور أوليائهم فاخترعوا لهم عقيدة باطلة أخرى هي : ( أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه )<sup>١</sup> .  
ومن الغرائب حقاً أن مثل هذه الخرافات تسجل في كتب العقائد، ولكن الغرابة تزول عندما نعرف أن عقيدة الأشاعرة في الكرامات غير مستقيمة<sup>٢</sup>، ولقد استغلت الشياطين هذه العقيدة المنحرفة فوكلت ببعض أضرحة الموتى من يخدمها من الجن، ويقضي بعض الحاجات للزائرين والمستغيثين بهم، أيهاً ما أن الذي فعل هو الولي أو الملك الموكل بقبره .

وقد سجل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة حينما قال : ( ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، فيقضي حاجة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين )<sup>٣</sup> . ويؤكد ما قرره شيخ الإسلام ما ذكره أحمد بن حسن العطاس<sup>٤</sup> في قصة طويلة أن جنياً تلبس بامرأة، ثم قال : فحين بدا وجه الحبيب طالب

<sup>١</sup> ذكر ذلك إبراهيم بن محمد الباجوري في شرح جوهره التوحيد المسمى تحفة المريد ص ( ١٥٣ ) طبع دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) وعزاها إلى الشعراني .

<sup>٢</sup> انظر : للرد على ذلك كتاب النبوات لابن تيمية .

<sup>٣</sup> الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ( ٤٢٩ ) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. عبدالرحمن بن عبدالكريم البجعي، طبع دار الفضيلة ودار ابن حزم، الطبعة الأولى ( ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ) .

<sup>٤</sup> أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس من مشاهير السادة العلويين في القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجريين، اشتهر بالعلم والولاية وتولى منصب آل العطاس بحريضة . وهناك تضارب كبير بين ما يذكر من علمه وفقهه وبين ما يجده القارئ في مجاميع كلامه كذكور الناس ومجموع محمد بن عوض بالفضل وبلخير وغيره، ففي تلك المجاميع كلام لا يعقل ولا يليق أن ينسب لإنسان فيه صلاح وليس بعالم فكيف بمن وصف بالاجتهاد والقطبية . انظر ترجمته في : تاج الأعراس في مناقب الحبيب القطب صالح ابن عبد الله العطاس ( ٧١٣/١ )، تأليف علي بن حسين العطاس مكتبة ومطبعة منارة قدس، إندونيسيا ط الأولى طبع =

من الباب ؛ نطق الجنّي إلى أن قال : ( وأنا من التسعة النضر الذين حضروا المكسر في جزيك الفلاني، لما اهتريت وقلت ياسالم بن عمر ياذخري، ورَدَدْنَا المكسر حقك )<sup>١</sup>. فهذا يثبت أن الجن يتمثلون بالولي والمستغاث به ويؤدون عنه ما طلب منه .

تلك هي أصول العقائد التي بسببها تعلق الناس بالقبور وقَدَّسُوا أهلها، وهرعوا إليهم بأنواع من العبادات كالذبح والنذر، وعملوا حولها ما لا يجوز عمله إلا لله تعالى، كالطواف وحثوا التراب الذي حولها على الرؤوس وربما خلطوه بشاربهم وطعامهم وجعلوا الحلف بها أكد من الحلف بالله كما قرَّره غير واحد، منهم الإمام الشوكاني رحمه الله وغيره، وأنزلوا بها حاجاتهم وقَدَّمُوا الاستغاثة بها على الاستغاثة بالله في الشدائد، وقد أعطوا كلاً منها تخصصاً في جانب من الجوانب، فمنها الذي ينزل الغيث، ومنها الذي يعطي الولد، ومنها الذي يشفي المريض، إلى آخر تلك التخصصات .

وقد وقع بذلك الشرك الأكبر، وفُعل عند القبور كثير مما يفعل عند الأصنام والأوثان، كما صرح بذلك عدد من العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

#### المطلب الخامس : دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة :

وبناءً على ما مر من عوامل وعلل ؛ ظهرت القبورية في العالم الإسلامي، وعمته من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، لا يستثنى من ذلك إلا المملكة العربية السعودية منذ قيام الدولة السعودية بمانصرة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فمنذ ذلك الحين وهي كلاً حكمت جزءاً من الجزيرة العربية كان أول ما يعمل به جنودها هو هدم معاقل الشرك ومظاهر القبورية، ثم توعية الناس بفسادها، ولقد امتدَّ نفوذها في فترة مضت إلى الحرمين الشريفين، فأزالوا ما في مقابرهما من مشاهد وقباب وما في أحيائها من مآثر وأنصاب، ولكن لم يستمر ذلك بسبب الحرب الشرسة التي شنتها عليها الدولة العثمانية بواسطة القوات المصرية، وبمجرد ما دخلت القوات المصرية أرض الحرمين وعادت تحت السيطرة العثمانية

= سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م) وترجمته المستقلة المسماة " عقود الألماس بمناقب شيخ الطريقة وإمام الحقيقة أحمد بن حسن العطاس " لعلوي بن طاهر الحداد .

<sup>١</sup> تذكير الناس تأليف أبي بكر بن عبد الله العطاس ص ( ١٥٣ ) . وقوله " اهتريت " أي دعوت، وقوله " رَدَدْنَا " أي سدَدْنَا الثقب الذي أحدثه الماء في الجرب .

شرعت الحكومة العثمانية بتعمير تلك المشاهد، وإعادة تلك القباب والمواطن المقدسة لدى القبوريين إلى ما كانت عليه، وبقيت كذلك حتى جاء دور الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، فقام المجاهدون من جيوشه بعد فتح الحرمين للمرة الأخيرة بإزالة تلك الآثار، فأراضي المملكة السعودية في الوقت الحاضر هي الوحيدة السالمة من آثار ومظاهر القبورية، وإلا فقد كانت جميعها كسائر بلاد المسلمين الأخرى سواء في ذلك نجد وغيرها .

ولأجل أن يطلع القارئ الكريم على حجم القبورية في العالم الإسلامي أنقل إليه ما كتبه الأخ الشيخ علي بن بخيت الزهراني في رسالته " الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة " وذلك أن ما سجله - حفظه الله - هو المحصلة الأخيرة أو ما يقرب من الأخيرة لما وصلت إليه الأمة من تردٍ في مهاوي القبورية، واعتذر مقدماً عن طول هذا النقل ولكن العذر هو أنني اعتبرته تلخيصاً مفيداً لمراجع متعددة وتنسيقاً لما حوته تلك المصادر، لو أعرضت عنه وذهبت أبحث بحثاً جديداً ربما لا أستطيع تقديم ما أعثر عليه بهذه الصيغة .

قال - حفظه الله - بعد ما ذكر عدداً كبيراً من القبور المنسوبة للصحابة في أماكن مختلفة : ( وإذا تجاوزنا ما نسب إلى الصحابة من قبور، وغالبها مكذوب كما رأينا، نجد أن ما نسب إلى من جاء بعدهم لا يكاد يحصر، فقد بني على كل قبر يعتقد أنه لولي، ولكن على طريقة الصوفية في تحديد الأولياء التي يوضع فيها كثير من الدجالين والمارقين والمجانين بجانب أولياء الله الصالحين .

لقد كانت عمارة الأضرحة والقباب على القبور ظاهرة بارزة لتلك الفترة التي ندرسها ولم يكن يُعمر مسجد أو جامع إلا على ضريح، وقلَّ أن يعمر مسجد لغير ذلك<sup>١</sup>، ويذكر صاحب الخطط التوفيقية علي باشا مبارك أن الموجود في زمنه في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحاً .

ومن أشهرها ضريح الحسين، وضريح السيدة سكيئة، وضريح السيدة نفيسة، وضريح السيدة زينب، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد، وكل هذه الأضرحة قد بني عليها جوامع ومساجد .

<sup>١</sup> أقول يظهر أن الشيخ قد بالغ في هذا الحكم بعض المبالغة .

وتذكر الدكتور سعاد ماهر أن الأضرحة المشهورة يزيد عددها في مصر على الألف .  
ومن أشهر الأضرحة خارج القاهرة ما يسمى بضريح السيد البدوي في طنطا، ولم تكن  
الأقطار الأخرى أحسن حالاً من القطر المصري، ففي الشام مثلاً عشرات من الأضرحة والمزارات  
المشهورة، وقد ذكر القاياتي الأضرحة التي زارها فبلغت أكثر من أربعين ضريحاً، وقد ذكرنا  
بعضاً منها .

وقد ذكر عبد الرحمن بك سامي الذي قام بزيارة إلى الشام عام ١٨٩٠م الترتب  
والأضرحة والمزارات في دمشق وضواحيها فبلغت مائة وأربعة وتسعين موضعاً، أما نعمان  
قسطالي فقد عد فيها أكثر من أربعة وأربعين ضريحاً، وهذه هي المشهورة منها وذكر أن  
للصحابة أكثر من سبعة وعشرين قبراً، لكل واحد منها قبة ويزار ويبرك به .  
وفي الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية يوجد أربع مائة وواحد وثمانون جامعاً لا يكاد  
يخلو جامع فيها من ضريح .

وفي الهند يوجد أكثر من مائة وخمسين ضريحاً ما تزال موجودة إلى يومنا هذا - كما  
ذكر أحد الباحثين - وهذه هي الأضرحة الكبيرة المشهورة التي يؤمها الآلاف من الناس .  
وفي بغداد كان يوجد أكثر من مائة وخمسين جامعاً في أوائل القرن الرابع عشر  
الهجري، وقل أن يخلو جامع منها من ضريح .

وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع .  
وهذا كله بالنسبة إلى الجوامع أما المساجد - وهي التي لا تقام فيها الجمعة - فهي  
تزيد على الجوامع أضعافاً مضاعفة ولم يكن يخلو مسجد منها من ضريح إلا في النادر القليل  
وهناك أيضاً الأضرحة التي تكون في الزوايا والتكايا وهناك أيضاً الأضرحة المكشوفة التي لم  
يبنَ عليها جوامع أو مساجد، وتلك كثيرة أيضاً .

ولا تخلو مدينة من المدن في تلك الفترة من تلك الأضرحة على مستوى العالم  
الإسلامي كله، بل لم يعد البناء على القبور قرية عند هؤلاء فحسب، بل صار ميداناً فسيحاً  
للتنافس بين البلدان، والتفاخر بتلك الأضرحة، وبمقدار ما يحوز البلد من أضرحة الأولياء  
تكون أفضليته عند الناس ويرغب في سكناه والمجاورة فيه، وإذا افترض أن هناك بلداً لم يتشرف  
بحياة شيء من هذه الأضرحة، فإنه لا يعدم من أهله من يخلق أكذوبة وإشاعة يدعي فيها

أنه رأى رؤيا أن المكان الفلاني من البلد يوجد به قبر لولي من الأولياء، فيسارع الناس إلى البناء على ذلك الموضع المزعوم، وإذا به يغدو بعد أيام قلائل مزاراً يهرع إليه أهل البلد<sup>١</sup> .  
فهذه الجولة التي قام بها الشيخ الزهراني جزاء الله خيراً تعطينا صورة واضحة عما وصلت إليه الأمة من تردٍ في أحوال القبورية، وعما قدفها به دعاة القبورية من سموم ناقعة، نشرت في جسدها هذا الداء إلى هذه الدرجة، وهو وإن لم يحصر بلاد العالم الإسلامي، إلا أن ما لم يذكر ينبغي أن يقاس على ما ذكر، فالدعوة إلى القبورية في كل مكان بنفس القوة . وقبول الناس لها بنفس الدرجة . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

**النتائج المترتبة على تلك المظاهر انتشار الشرك بالله تعالى بأنواعه المختلفة :**

إن المشاهد والقباب والمساجد المبنية على القبور ليست شركاً في ذاتها ولكنها وسائل للشرك، وقد أدت إلى الأهداف التي أنشئت من أجلها، وأتت ثمارها وظهر الشرك بالله تعالى بشكل لافت للنظر، منذر بالخطر، مفزع لكل غيور على نقاء العقيدة وصفاء التوحيد، ومفرح لكل شامت ومتربص بالإسلام وأهله، وهذه نماذج أخرى مما ذكره علماء المسلمين من بلاد متفرقة من بلاد الإسلام تُصوِّر لنا مدى الانحراف الذي وصلت إليه الأمة في عقيدتها وفي توحيدها بشكل خاص .

يقول العلامة أبو الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من كتابه (رجال الفكر والدعوة) : ( كانت العقائد الشركية قد نالت رواجاً بين عامة المسلمين بسبب اختلاطهم مع أصناف من المشركين، ونفوذ الدولة الفاطمية الباطنية الإسماعيلية وانتشار الصوفية فكانوا يحملون من العقائد الشركية في الأولياء والصالحين والمشايخ ما كان يعتقد اليهود والنصارى والمشركون، من الطواف حول القبور والاستغاثة بأصحابها والحج إليها وبناء المساجد الفخمة عليها وعقد المهرجانات عليها عاماً مقاماً<sup>٢</sup> والندور للقبور، وقد عمّت وطمّت هذه العقائد إلى أن جعلوا الميت كالإله والشيخ الحي كالنبي، وكانوا قد عزلوا الله تعالى عن أن يتخذوه إلهاً وعزلوا النبي ﷺ عن أن يكون

<sup>١</sup> الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ( ٢٩٥-٢٩٨ ) تأليف

علي بن نجيت الزهراني طبع دار طبية مكة المكرمة ودار آل عمار الشارقة ط الثانية سنة ( ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ) .

<sup>٢</sup> كذا في الأصل .



رسولاً، وارتكبوا ما كان محض دين المشركين والنصارى، وقد وصلوا في عبادة القبور والسجود لها ودعاء أصحابها وجعل القبور قبلة وكعبة إلى حد كان هؤلاء القبوريون المشركون بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لم يجده أحدهم في مساجد الله . إلى أن كان الفسقة الفجرة أصحاب الكبائر من هؤلاء القبورية لا يتحاشون الكبائر . ولكن إذا رأوا الميت أو الهلال فوق رأس قبة القبر المعبود خشوا من فعل الفواحش، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون خالق الأكوان، وكانوا يحلفون بالله بالكذب ولا يحلفون بالميت كذباً، فكانوا في الشرك كما كان قوم إبراهيم حيث قال لهم: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ . (الأنعام) (٨١) .

وكان بعضهم يفضل شيخه على الأنبياء والمرسلين ويعتقد فيه الإلهية كالنصارى إلى غير ذلك من الكفريات والشركيات التي تدل على أن القبورية الوثنية قد عمت العباد وطمت البلاد إلا من شاء الله )<sup>١</sup> .

وهذا وصف شامل لما وصل إليه حال الأمة لخصه العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ -رحمه الله- في كتابه "منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس" فقال: ( ونذكر لك هنا طرفاً من معتقد عباد القبور والصالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن اختصه الله تعالى بالفضل والمن، وثلاً يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق .

ومن ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسموات، والعكوف حول أجدانهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسح بأثارهم ؛ طلباً للغوث، واستجابة الدعوات وإظهاراً للفاقة، وإبداءً للفقر والضراعة، واستنزاً للغوث والأمطار، وطلب السلامة من شدائد البر والبحار . وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيتامى . واللطف بالضعفاء واليتامى . والاعتماد عليهم في المطالب العالية، وتأهيلهم المغفرة للذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك المراتب

<sup>١</sup> جهود الحنفية ( ٤٧٧-٤٧٨ ) .

السامية . وجماهيرهم -لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرتهم . وعز عنه امتناعهم - لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والإنابة إليه، بل ليس لذلك عندهم إلا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان . حتى جعلوا الذهاب إلى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء والإنابة إلى الله في كشف الشدائد والبلوى . كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم .

وقد حدث الشيخ مصطفى البولاقى أن بعض رؤساء الجامع الأزهر عادةً لما اشتكى عينيه، وقال له : هلا ذهبت إلى مولد الشيخ أحمد البدوي ؟ فقد حكى أن إنساناً شكاً إليه ذهاب بصره، فسمع قائلاً يقول من الضريح : أعطوه عين كذا وكذا، فانظر إلى ما يخطر ببال هذا المتكلم من تعظيم هذا الميت وتأهيله لتلك المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله القاهر الغالب، وقصد الوساطة هنا على ما فيها ما أظنها تخطر بباله أصلاً . فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب ؟ والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهممة العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد، وأما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان من معتقد أهل المقابر والتنديد، فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج . وخطابه محض عناء و لجاج .

ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد : أن رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه- المسئول ممن يترشح للعلم - : أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس . فأجابه : بأن معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله . فأى ملة -صان الله ملة الإسلام- لا تمنع هذه الكفريات ولا تدافعها ؟ وذكر الزبيدي أيضاً أن رجلاً كان بمكة عند بعض المشاهد، قال لمن عنده، أريد الذهاب إلى الطواف، فقال بعض غلاتهم: مقامك هاهنا أكرم .

ومن وقف على كتاب مناقب الأربعة المعبودين بمصر - وهم البدوي والرفاعي و الدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء - فقد وقف على ساحل كفرهم، وعرف صفة إفكهم . وبلغنا عن بعض الثقات أن جماعة من المدعين للعلم بزبيد كانوا يقرأون صحيح البخاري، فإذا فرغوا منه - إما أحياناً وإما مطلقاً - ذهبوا إلى قبر البحيرة أو غيره فوقضوا عاكفين -

ما شاء الله - وعليهم من السكينة والوقار وضروب الخضوع لنازل الحفرة . قال من نقله : فالله أعلم أهوشيء وجدوه في صحيح البخاري أو غيره أو ما هو ؟

قال : رأيت في حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري على السنوسية نقلاً عن الدردير فيما أظن عن الشعراني : أن الله وكل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجة من سأل ذلك الولي .

فقف هنا وانظر ما آل إليه شركهم وافكهم، فأين هذا من قوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾<sup>١</sup> ، وقوله : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾<sup>٢</sup> ، وقوله : ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾<sup>٣</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ آمنٌ يجيب المضطر إذا دعاه ﴾<sup>٤</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾<sup>٥</sup> ، أو أي حجة في هذا الذي قال الشعراني لو كانوا يعلمون ؟ ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين .

ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب شمس الدين الحنفي أنه قال : ( في مرض موته : من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب مني أن أقضيها له فإنما بيني وبينه ذراع من تراب . وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل ) انتهى .

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الإسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقره رجل يدعي العلم فأرسل إليه صاحب البيت فسأله بمسمع من الحاضرين فقال له : ( كم يتصرف في الكون ؟ فقال يا سيدي سبعة، قال : من هم ؟ قال : فلان وفلان وعد أربعة من المعبودين بمصر . فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين : إنما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الإسلام ) . أو كلاماً نحو هذا .

وباب تصرف المشايخ في الكون قد اتسع خرقه حتى سلكه جمهور من يدعي الإسلام من أهل البسيطة . وقد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء وأظلمت المحيطة حتى نسي القصد

<sup>١</sup> البقرة ( ١٨٦ ) .

<sup>٢</sup> الأعراف ( ٥٥ ) .

<sup>٣</sup> الشرح ( ٧-٨ ) .

<sup>٤</sup> النمل ( ٦٢ ) .

<sup>٥</sup> غافر ( ٦٠ ) .

الأول من التشفع والوساطة . فلا يعرج عليه عندهم إلا من نسي عهد الحمى . وقد ذكر هذا شيخ الإسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي . فعاد الأمر إلى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى إلى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقررون به، ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقرؤا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الإلهية .

ومن ذلك - وهو من عجيب أمرهم - ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليميني في بعض رسائله: أن امرأة كُفَّ بصرها فنادت وليها : أمّا الله فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلا حسبك . انتهى .

وحدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي - رحمه الله - أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سدة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا : ( هذا محبة في سيدنا الحسين رضي الله عنه ) وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا واقع عندهم .

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي، قال : فقلت له : هذا لا يكون إلا لله أو كلاماً نحو هذا فقال: حبي في سيدي البدوي اقتضى هذا .

وحكى أن رجلاً سأل الآخر : كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني ؟ فقال: لم أر أكثر منه إلا في جبل عرفات، إلا إنني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة الأيام فقال السائل : قد تحملها الشيخ، قال بعض الأفاضل: وباب تحمل الشيخ مصراعه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه، وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر المعتقد وساكن البلد . انتهى .

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشاهد - وقصد التبرك مع ما فيه - لا يمنع حقيقة العبادة الصورية، ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين، يبقى رسماً جارياً يؤدّى كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه . ولا يماري في هذا إلا مكابر . لأنه استفاض واشتهر . فلا ينكره إلا مكابر في الحسيات . وإن فقد بعض أنواعه

في بعض البلاد فكم له من نظائر، وهذا أشد وأشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ الآية<sup>١</sup>. وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تدبج، وسوق الهدايا والقرايين إلى مشاهد الأولياء وذبحها حباً للشيخ وتقرباً إليه . وهذا وإن ذكر اسم الله عليه فهو أشدّ تحريماً مما ذبح للحمّ وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلاً، فإن الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة .

ومن ذلك ترك الأشجار والكأ والعشب إذا كان بقرب المشهد وجعله حرماً له ومنها الحج إلى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويدبحون، وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة. وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه حج المشاهد وهو متداول . ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين . والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفر . بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمأمة التي لا ينجو سالكها - ولا يكاد - ومن نحو درج الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له إلمام بالتاريخ ومبدأ الحوادث في الدين، ومن شاهد ما يقع منهم - عند مشهد الحسين ومشهد علي والكاظم عند رافضتهم وعبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم عند سنييهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وأنواع الموبقات - علم أنهم من أجهل الخلق وأضلهم، وأنهم في غاية من الكفر والشرك، ما وصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإسلام. والله المسؤول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته بمحو هذه الأوثان، حتى يعبد وحده، فتسلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها .

ومن ذلك - وإن كان يعلم مما تقدم - : اتخاذها أعياداً ومواسم، مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الأعياد المكانية والزمانية .

ومنها : ما يقع ويجري في هذه الاجتماعات من الضجور والفواحش، وترك الصلوات وفعل الخلاعات التي هي في الحقيقة خلع لريقة الدين والتكليف : ومشابهة لما يقع في أعياد النصارى والصابئة والإفرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الضجور والطبول والزمر والخمر .

<sup>١</sup> الأنعام ( ١٣٦ ) .

وبالجملة فما أحدثه عباد القبور يعز حصره واستيفؤه ) انتهى<sup>١</sup>  
قلت: لقد أطلت النقل، وكان عن عبد اللطيف آل الشيخ من أحفاد محمد بن عبد الوهاب وقد لا يرضاه البعض ويقول إنه متحامل على عموم المسلمين، وأنا قد نقلت قبله عن العلامة الندوي وهو داعية مشهور لا تتطرق إليه شبهة الوهابية بل إن لبعض علماء نجد مؤاخذات عليه -رحمه الله- وكذلك أحيل القارئ على الشيخ شمس الدين السلفي الأفغاني -رحمه الله- في كتابه الكبير "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" (٤٤٧/١ - ٤٨٠) حيث نقل شهادات العلماء من شرق الأرض وغربها، وسهولها وجبالها، وقراها ومدنها، وبلادها وعبادها، وهندها وأفغانها، وثرعها ورومها وما وراء نهرها، ومصرها وشامها ونحوها: برّها وبحرها، نقل عن هذه البلاد جميعها ما قاله العلماء عما فيها من آثار القبورية من انحراف في العقائد، وشرك بالله بصور مختلفة، وختم ذلك كله بشهادة داعٍ من دعاة القبورية شهد على نفسه وقومه بما شهد به دعاة التوحيد والسنة، ذلك هو أحمد الصديق الغماري صاحب كتاب (إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور) حيث قال في كتابه ذلك: (إن كثيراً من العوام بالمغرب ينطقون بما هو كفر في حق الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) وكذلك نرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقد من الأحياء، فيسجد له ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده ويطلب منه في تلك الحال الشفاء والغنى والذرية ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى .

وإن عندنا بالمغرب من يقول في ابن مشيش (ت ٦٦٢ هـ): إنه الذي خلق الابن والدنيا ومنهم من قال والمطر نازل بشدة -يا مولانا عبدالسلام! ألطف بعبادك. فهذا كفر)<sup>٢</sup>، فهذه هي آثار القبورية في الأمة فهل آن الأوان لأن يقوم الغيورون على دين الله قومة واحدة لتصحيح هذا الانحراف وإزالة هذه الآثار المدمرة أرجو ذلك والله المستعان .

<sup>١</sup> منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس ص (٥٠-٥٥) للعلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ،

طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة، الطبعة الثانية (١٤٠٧-١٩٨٧م).

<sup>٢</sup> جهود علماء الحنفية (٤٧٩/١ - ٤٨٠) نقلاً عن إحياء المقبور الغماري ص (٢١ - ٢٢) .

### المبحث الثالث

## مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : لمحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ :

لقد كان تعظيم القبور والمباهاة بتشبيدها وتفضيمها ملازما للسلاطين من فجر التاريخ ، ولو نظرنا إلى الأهرامات وهي من أقدم الآثار الباقية في العالم لوجدناها إنما كانت مقابر للفرعون أشادوها لدفن ملوكهم وأفراد أسرهم المالكة ببناء على اعتقادات خاصة بهم ، وكانوا يدفنون الميت مع كامل مقتنياته الشخصية في تلك المقابر ، ولم تقتصر مقابرهم على الأهرام ولكنها وجدت في أماكن متعددة من أرض مصر ، ومن دخل المتحف المصري عرف بحق كيف كانت مقابرهم وما هي عليه من العظمة والفخامة .

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن نزعة السلاطين نحو القبورية في قصة أهل الكهف بعد أن عُثر عليهم وعرفت حقيقة حالهم ، عند ذلك قرر السلاطين بناء مسجد على موضع رقادهم ومحل قبورهم قال تعالى: ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجداً <sup>١</sup> .

ثم تطوي الأيام إلى أن نصل إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي ، حين حرّف دين النصراني وتدخل السلطان في ذلك ونصر طائفة منهم على الآخرين ، عند ذلك قام الملك قسطنطين ببناء بيت لحم على محل مولد المسيح ، وبنت أمه هيلانة القمامة <sup>٢</sup> يعني على قبر المصلوب ، وهم يسلمون لليهود أنه المسيح ، وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة من قبل <sup>٣</sup> ، وهكذا في كل عصر نجد النماذج على ذلك حتى إذا انقضت القرون المفضلة من حياة الأمة الإسلامية عادت السلاطين إلى سنة من قبلهم ، فأخذوا بها وزادوا عليها ، فأول قبر أقيم عليه بناء مستقل هو من قبور السلاطين حيث كان ذلك القبر قبر الخليفة العباسي

<sup>١</sup> الكهف (٢١).

<sup>٢</sup> كنيسة معروفة في فلسطين منسوبة إلى بانيها . انظر : القاموس ص ( ١٤٨٦ ) .

<sup>٣</sup> ابن كثير البداية والنهاية ( ١٠١ / ٢ ) .

المنتصر بن المتوكل الذي توفى سنة (٢٤٨هـ) ، وكان إبراز قبره والبناء عليه بطلب من أمه الرومية الأصل ، وبموافقة خليفة العصر<sup>١</sup> ، وبنيت عليه قبة يكاد مؤرخو الآثار يعتبرونها أقدم قبة باقية إلى الآن في التاريخ الإسلامي ، ودُفن فيها إلى جانب المنتصر الخليفان المعتز (٢٥٥هـ) والمهتدي (٢٥٦هـ)<sup>٢</sup> ،

وكان الخلفاء قبل ذلك تُدفن في قصورها خوفاً عليهم من تقلبات الزمن ، ويلي تلك القبة ضريح الأمير إسماعيل الساماني أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت سمرقند من (٢٦١-٣٨٩هـ) وكان بناء الضريح سنة (٢٩٦هـ)<sup>٣</sup>.

وحينما آلت السلطة إلى غلاة الرافضة والباطنية زاد الأمر تفاقمًا ، ذلك أنه جُمع بين العقائد المنحرفة الغالية وعظمة السلطان وحب تقديس الذات والأهل ، فكان ما سبقت الإشارة إليه من أعمال البويهيين ، وخصوصاً عضد الدولة الذي لم يسبقه أحد إلى إنشاء العمائر الضخمة على مراقب الأئمة ، ومنها قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي أنشأ لنفسه تربة بجواره وأوصى أن يدفن فيها وبالفعل دفن هناك<sup>٤</sup> ، وأما الفاطميون فلهم القدر المعلى من ذلك ، سواء فيما يتعلق بأنفسهم أو بأئمة أهل البيت أو حتى بالقبور الوهمية التي كانوا يظهرونها للناس ويقدمونها ويطلبون من الناس تقديسها وقد مر ذلك<sup>٥</sup> ، وحينما عادت السلطة إلى أهل السنة لم يعد السلاطين علماء متبعين لمنهج السلف الصالح النقي النظيف كما كان الحال عليه في القرون المفضلة ، وإنما عاد السلاطين جهلة بالشرع في الأغلب أو تابعين لمنهج منحرفة أخذوها ممن حولهم من المتصدين للعلم والتوجيه الديني من متصوفة ونحوهم ، بالإضافة إلى الجو العام الذي قد طبعه الرافضة والباطنية بطابعهم وتركوا آثار قبوريتهم معالم يقتدي بهم فيها سلاطين أهل السنة ، وبالفعل كان الأمر كذلك ، وكلما كان السلطان أقرب إلى الصلاح كان أكثر إغلافاً في القبرورية في كثير

<sup>١</sup> الطبري في تاريخ الأمم والملوك ، طبعة جديدة ومنقحة ومفهرسة طبع دار الفكر (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) حوادث سنة (١٤٨).

<sup>٢</sup> مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٤٦/١).

<sup>٣</sup> مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٤٦/١).

<sup>٤</sup> موسوعة العتبات (قسم النجف) (١٩٥/٦).

<sup>٥</sup> في هذا الفصل المبحث الأول (١٧٦).



من الأحيان ، احتساباً للأجر والثواب كما يوهمه من حوله من شيوخ الطرق الصوفية ، فهذا الوزير ( نظام المُلْك ) من أفضل الوزراء ، اثنى عليه كل المؤرخين الذين ترجموا له ولكنه حينما كان رفقاؤه والغالبون على مجلسه من المتصوفة كان من أكثر الوزراء تأسيساً للقبرورية في ديار اهل السنة ، ففي عهده أنشئت القبة على قبر أبي حنيفة -رحمه الله - وهو الذي خاطب الخليفة الفاطمي المعاصر له أن ينقل إليه جثمان الإمام الشافعي -رحمه الله - ليبني عليه مشهداً في بغداد ولكن لم يتم ذلك .

ثم جاءت الدولة الزنكية والأيوبية فوسّعت الأمر توسيعاً مذهلاً كما تراه في ( المدارس في تاريخ المدارس ) للنعمي (والخطط) للمقريزي و( مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ) للدكتور سعاد ماهر . وهم قد عملوا في ذلك على خطين متوازيين فهناك الترب الخاصة بهم ويمن يلود بهم من الأتباع وأعيان القصور ، وتبعهم في ذلك ولاتهم وقادتهم ووزرائهم . وهناك مشاهد الأئمة ومشايخ الطرق الذين أحيوهم فقدسوا قبورهم ، ولم يكتفوا بالترب المفضلة ، فهناك قبور في الأريطة والخوانق ، وهناك قبور في المدارس ، وهناك في المساجد أو بجوارها وكل ذلك تجده في المراجع المشار إليها .

وجاء المماليك بقسميهم الشراكسة والبرجية فأتموا ما بدأ سلفهم وزادوا عليه ووسعوه توسيعاً زائداً<sup>١</sup> حتى وصل أثرهم إلى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد التي شملها حكمهم .

وعلى نفس النمط سار العثمانيون فأشادوا لأنفسهم المشاهد والأضرحة الضخمة ولأسرهم كذلك ، كما أشادوا المشاهد في جهات كثيرة شملها حكمهم الطويل العريض من أوروبا وأفريقيا ، حتى شملت مشاهد أئمة الشيعة وهكذا الدول المعاصرة لهم في كل بلاد المسلمين من الهند إلى المغرب العربي .

ومع قيام الدعوة النجدية- بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومساندة الإمام محمد بن سعود ومحاربتهم للقبرورية وهدم ما قدروا عليه منها في كل مكان وصلوا إليه -بدأ الأمر ينحسر وكلما تعمقت الصحوة الإسلامية في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي زاد انحسارها

<sup>١</sup> انظر: الخطط المقرية في عدة مواضع ، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون في الجزئين الخاصين بالمماليك ، و خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي .

كما ساعد على ذلك موجة الإلحاد والعلمانية التي عمت معظم أرجاء العالم الإسلامي ، حيث تخلى سلاطين هذه الحقبة عن نشر القبورية القديمة في كثير من الأحيان ، وإن كان بعضهم قد قام بشيء من ذلك ولو لأنفسهم وسلفهم من قادة الثورات ورؤساء الدول .

إلا أن سلاطين هذه الفترة قد نقلوا إلى بلاد المسلمين نمطاً آخر من القبورية ، نقلوه عن أوروبا الملحدة أو النصرانية ، وتلك القبورية تتمثل في إقامة التماثيل للزعماء في كثير من بلاد العرب والمسلمين والتي لا يختلف على تحريمها سلفي ولا صوفي ولا سني ولا شيعي ، كما أقاموا الأنصاب ، فنصب الجندي المجهول ونصب الشهيد والمقابر الجماعية لشهداء الثورات وكبار المسؤولين ، وقد عمت تلك التماثيل والأنصاب وتلك المقابر أشهر الميادين في أكبر مدن وعواصم تلك الدول .

كما ابتكروا نوعاً جديداً من القرايين يتقربون بها إلى تلك الأنصاب والمقابر ، وهي باقات الزهور التي اعتادوا وضعها عليها في شتى المناسبات ، وهذه الزهور قرايين مبنية على عقائد لدى مؤسسي تقديمها للقبور ، وإن كان في الغالب أن الكثير ممن يقومون بها من زعماء المسلمين لا يدركون تلك العقائد ولا يلتفتون إليها ، كما أضافوا إلى ذلك شعائر قبورية جديدة وهي قراءة الفاتحة عند تقديم تلك الباقات ، وهذه بدعة قديمة من بدع الشيعة والصوفية ولكنها جديدة في شكلها الحاضر ، ومن الشعائر الجديدة المحرمة في المقابر وغيرها الموسيقى الجنائزية التي تصاحب تقديم الزهور ، فهذه قبورية جديدة يخشى أن يأتي من شياطين الإنس والجن من يحولها إلى شعائر تعبدية فتدخل في نطاق البدع العملية أو أن يوصلها إلى الاعتقادات التي تكون بها من الشرك بالله تعالى .

#### المطلب الثاني: الباعث الذاتي لقبورية السلاطين :

إن حب الرفعة والتعالي غريزة من غرائز الإنسان تظهر وتتجلى كلما وجد لها المجال وتوفرت لها الأسباب ، ولا شك أن الإنسان إذا وصل إلى السلطة والملك فإن تلك الغريزة تظهر بأوضح صورها ، وذلك التعالي لا يقتصر على الحياة بل يحب المغرور المتعالي أن تبقى مكانته وأثار عظمته بعد موته ، ومن جملة ذلك تضخيم تربته وما يقام على قبره من أبنية ومرافق .

كما قال الشاعر يحيى بن الحكم الجبائي المغربي :

أرى أهل الثراء إذا توفوا      بنوا تلك المقابر بالصخور  
أبوا إلا مباحاةً وتيهاً      على الفقراء حتى في القبور<sup>١</sup>

وقد يرافق ذلك اعتقاد في إمام أو صالح فيحب ذلك السلطان أن يذكر معه أو أن يجاوره لنيل بركاته ، كما أنه قد يحمل على ذلك عاطفة متأججة لموت حبيب أو قريب ، فلا يملك ذلك السلطان نفسه أمامها فيفعل ما لا معنى له ولا مسوغ له من عقل أو مصلحة أو اعتقاد ، وهاك بعض الأمثلة على كل واحد من تلك الأسباب :

فمن النوع الأول القبة المنصورية التي بنتها أسرة ( قلاوون ) إحدى الأسر الحاكمة من المماليك ورأس هذه الأسرة الملك المنصور قلاوون (ت ٦٨٩هـ) يقول المقرئزي في وصف هذه القبة : ( هذه القبة تجاه المدرسة المنصورية ، وهما جميعاً من داخل باب المارستان المنصوري ، وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدراً وبها قبرٌ تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون وبها قاعة جليلة في وسطها فسقية<sup>٢</sup> يصل إليها الماء من فوارة بديعة الزبي ، وسائر هذه القاعة مفروش بالرخام الملون . وهذه القاعة معدة لإقامة الخدام الملوكية ، الذين يعرفون اليوم في الدولة التركية بالطواشية ٠٠٠ وكان يستقر في وظائف هذه الخدمة أكابر خدام السلطان ، ويقيمون عندهم نواباً يواظبون الإقامة بالقبة ، ويرون - مع سعة أحوالهم وكثرة أموالهم - من تمام فخرهم وكمال سيادتهم انتماؤهم إلى خدمة القبة المنصورية .

وقصد الملوك بإقامة الخدام في هذه القاعة - التي يتوصل إلى القبة منها - إقامة ناموس الملك بعد الموت ، كما كان في مدة الحياة<sup>٣</sup> . ومن النوع الثاني قبة الإمام الشافعي - رحمه الله - التي بناها الملك الكامل الأيوبي ودُفن فيها ابنه إلى جوار الإمام<sup>٤</sup> . ومن النوع الثالث مسجد تاج محل الذي بناه شاه جهان أحد أعظم ملوك الهند<sup>٥</sup> ، وذلك عندما فجع بموت

<sup>١</sup> الخطط المقرئزية ( ٤٨١/٣ ) .

<sup>٢</sup> الفسقية هي حوض من الرخام . المعجم الوسيط ( ٦٨٩/١ ) .

<sup>٣</sup> انظر : الخطط المقرئزية ( ٤٨٠/٣ - ٤٨١ ) .

<sup>٤</sup> مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ( ١٥١/٢ ) .

<sup>٥</sup> انظر : ترجمته في ( الإعلام ) عن في تاريخ الهند من ( الإعلام ) ( ٥٣٦/٥ ) لعبد الحى بن فخر الدين الحسني ، طبع دار ابن حزم

بيروت الطبعة الأولى سنة ( ١٤٢٠هـ - ١٩٥٩م ) .

زوجته تاج محل فجزع عليها جزءاً عظيماً كاد يهلك منه ثم تحامل على نفسه وبنى ذلك البناء العظيم الذي لا يوجد له مثل في العالم ، ثم عمل له مرآة في قصره موجهة إلى ذلك المشهد بحيث لا يزال يراه وهو في قصره ، وذلك المسجد إحدى روائع الدنيا التي يقصدها السياح من كل مكان ، حمل على بنائه تلك العاطفة الجياشة والمحبة الزائدة وصولة المُلْك وقلة العلم .

#### المطلب الثالث : الباعث السياسي لقبورية السلاطين :

السياسة إذا لم تنضبط بالشرع ويتحلى صاحبها بالتقوى المبنية على العلم ، فإنها تتحول إلى وسيلة قذرة لتحقيق مآرب وأهواء ، وتتلون تلك السياسة بعشرات الألوان التي يجد فيها الحاكم تحقيقاً لمآربه وأهوائه ، ثم قد يظهرها بمظهر التدين ، وقد يظهرها بمظهر العطف على الرعية ، وقد يظهرها بمظهر الحزم وحفظ النظام وهي في حقيقتها ظلم وعدوان على الأمة .

وهكذا دخلت السياسة من أوسع الأبواب وتبنت القبورية بشتى الذرائع : فحيناً لإلهاء الأمة وشغلها بالطقوس الفارغة والشعائر الكاذبة عما يكون عليه النظام من الظلم والجور والتعسف بالرعية والضعف والانحطاط الذي يهدد كيانه ، وحيناً لاسترضاء الأمة وإظهار موافقتها على ما تحب ومشاركتها في ميولها ورغباتها ، وحيناً للاستحواذ على الفئات المؤثرة في الأمة وكسب ولائها ليكسب من وراء ذلك ولاء الأمة ، إلى غير ذلك من المكاسب السياسية التي رمى إليها الحكام بتبنيهم القبورية ونشرها في الأمة ، وقد سبق إلى هذا الذي قلته باحثون أفاضل .

يقول الدكتور علي بن بخيت الزهراني : ( وكان كثير من الملوك والحكام في ذلك الزمن يلجأون إلى عمارة تلك الأضرحة والإنفاق عليها ليس إيماناً بها بقدر ما كان إرضاءً لمشاعر الناس ومحاولة لكسب ولائهم والعمل على إلهائهم بتلك الأضرحة التي تعبد من دون الله ﷻ وأطمئناناً على الأقل من ثوراتهم وتمرداتهم نتيجة لما كان يمارسه هؤلاء الحكام من ظلم وطفغان )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> الانحرافات العقديّة والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة (٢٨٤/١) .

ويقول الباحث عمّار علي حسن : ( واستعراض تاريخ مصر منذ الفراعنة وحتى الوقت الراهن يشير إلى أن كل مرحلة خلقت لنفسها الوسائل التي تجذب الجماهير من طقوس دينية وفلكلور شعبي ... الخ ؛ وذلك لدعم النظام السياسي القائم والتمكين لوحدة المجتمع واستقراره ، وقد التقى الحكام مع أصحاب النفوذ الديني وغيرهم على هذه القاعدة ، وكان المتصوفة من أصحاب السبق في هذا المضمار خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر ؛ فالإسلام كدين لم يكن طيعاً في يد الحكام ليستخدموه في الأغراض السياسية ؛ لذا بحثوا عن الرجال الذين يطوعون لهم النصوص لتتوافق مع مسلكتهم في الحكم ... )<sup>١</sup> .

ويقول الدكتور عاصم محمد رزق : ( والواقع أن المناخ السياسي والديني الذي ساد الدولة الإسلامية منذ القرنين (٦-٧هـ/ ١٢-١٣م) كان واحداً من أهم العناصر الأساسية التي ساعدت على انتشار الصوفية بعد ما ابتلى العالم الإسلامي كله في الشرق والغرب خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية يرجع السبب في معظمها إلى تدهور نظم الحكم وضياع هيبتها ويأس الناس منها ، فنزلت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسيحيين الغربيين من ناحية الأندلس وظل الصليبيون قابعين في منطقة الشرق الأدنى يمثلون خطراً مباشراً على البلاد الإسلامية ، وتحول عدوانهم في الشام وبلاد الأندلس من غارات إلى غزو واحتلال ، ومن ثم إلى تكوين ممالك نصرانية على أرض إسلامية ، ووقفت دول الإسلام في المغرب عاجزة لا تستطيع القيام بشيء يصون أنفُس المسلمين ويحمي أموالهم ، أما في المشرق فقد ضاع الحزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصليبي موقف العاجز ، واتضع أمر الخلافة حتى لم يعد لها في العالم السياسي وزن يذكر ، حتى الفاطميين في مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا في وقت متأخر وخرجوا من ميدان الصراع كلية بعد استيلاء الصليبيين على آخر معاقلهم في عسقلان ودخلت دولتهم في طور الاحتضار .

يضاف إلى ذلك كله كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والمجاعات والأوبئة مما دفع الكثير من عامة الناس إلى الدخول في دائرة التصوف ، وشجع على ذلك سلاطين المماليك الذين شاركوا عامة الشعب في الصوفية والعطف عليهم ، وليس أدل على ذلك

<sup>١</sup> الصوفية السياسية في مصر ص (٨٥-٨٦) بواسطة كتاب دعة على التوحيد إصدار المنتدى الإسلامي الطبعة الأولى سنة

( ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ) ص ( ١٧٧ ) .

من كل هذه الخوانق التي أنشئوها وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة وأغدقوا منها الرواتب والجرايات على صوفيتها ، مما كان له - فيما يبدو - أكبر الأثر في صبغ الحياة المصرية بصبغة الزهد في الدنيا والاتجاه للأخرة ، وترتب على هذا الشعور في النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما لا تزال بقاياها في نفوس الكثيرين حتى اليوم ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الصوفية وغيرها من الأنشطة الدينية التي اتخذت الصبغة الدينية في عصر المماليك مظهراً لها؛ كانت في الواقع الستر الذي أخفى وراءه حكام هذه الدولة ما كان قد عظم من أمورهم السيئة في شتى المجالات ، من السلب والنهب والمصادرة والرشوة والسخرة والعقوبات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التي لم تحظ بعد بكتابات هادفة جادة توفيقها حقها من البحث والدراسة .

فمن المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون في عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون ، فاتجهت قلوبهم ونفوسهم إلى الله ﷻ يسألون الغوث للإسلام وأهله ، والتفت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء ، فازدادت أهمية هؤلاء الناس وتنوعت أشياعهم وأشكالهم ، وكان لهم في ذلك ترتيب محكم أوله الأبدال - وهم اثنا عشر ولياً - كلما توفى أحدها استبدل الله ﷻ به غيره ، وثانيه الأقطاب - وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها - ، وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ونشأ من هذا العصر الذهبي للتصوف <sup>١</sup> .

واليك بعض الأمثلة على ذلك :

**المثال الأول :** وهو من أقدم الأمثلة وأكثرها دهاءً وخبثاً وهو ما فعلته الدولة الفاطمية بمصر بعد استيلائها عليها ، فقد عمدت إلى الاستكثار من تلك المشاهد ، وأكثرها مكذوب لا حقيقة له ، وزعمت نسبتها إلى أهل البيت وأظهرت تعظيمها وسنت الشعائر الوثنية لها لإلهاء الأمة وترويضها على قبول مبادئها المارقة ومذهبها الخبيث ، و الانشغال بذلك عن التفكير في حقيقة ذلك النظام وما يقوم عليه من كفر وضلال ، هذا بالإضافة إلى الغلو الذي يشتهر به زعماء وقادة تلك الدولة في أهل البيت : تقول الدكتورة سعاد ماهر : ( ومن المعروف أن خلفاء ووزراء الدولة الفاطمية كانوا قد أقاموا المشاهد

<sup>١</sup> انظر : خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين المملوكي والأيوبي (٤٦/١-٤٨) للدكتور عاصم رزق .

والأضرحة لأهل البيت وخاصة أبناء الإمامين الحسن والحسين<sup>١</sup> ، ثم ذكرت عدداً من تلك المشاهد فمنها (مشهد علي زين العابدين)<sup>٢</sup> ، و (السيدة زينب)<sup>٣</sup> ، و (السيدة نفيسة)<sup>٤</sup> ، و (السيدة سكينة)<sup>٥</sup> ، و (السيدة عائشة)<sup>٦</sup> ، زاد المقرئزي<sup>٧</sup> السيدتين (سنة وثناء)<sup>٨</sup> ، من أولاد جعفر الصادق وكذلك (أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق)<sup>٩</sup> ، ومعلوم أن كل أو معظم هذه المشاهد لا أصل له . وقد كانوا حاولوا جلب جسد رسول الله ﷺ من المدينة النبوية إلى القاهرة لنفس الغرض ولكنهم لم يفلحوا<sup>١٠</sup> وفي آخر أيامهم جاءوا بتلك الكذبة الكبرى وهي أن رأس الحسين كان في مكان بعسقلان ، وقد بنوا عليه مشهداً ثم في عهد الفائز أحد أواخر ملوكهم نقلوا ذلك الرأس المزعوم إلى القاهرة وبنوا عليه المشهد الشهير الذي لا يزال يعد من أشهر المشاهد في مصر بل في العالم الإسلامي<sup>١١</sup> .

فانظر: إلى هذا الحرص الشديد الذي بلغ بهم إلى ذلك الحد الخطير من انتهاك حرمة النبي ﷺ ومحاولة سرقة جسده الشريف والكذب المكشوف في قضية بقية المشاهد وعلى

<sup>١</sup> مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٦٧/٢) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٠٥/١) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق (٩٢/١) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق (١٢٢/١) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق (١٠٢/١ - ١٠٣) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق (١٠٨/١) .

<sup>٧</sup> أحمد بن علي المقرئزي من المؤرخين المشهورين والعلماء الأثبات له كتاب "تجريد التوحيد المفيد" توفي سنة (٨٤٥هـ) انظر

ترجمته في الضوء اللامع (٢١/٢) والبدور الطالع (٧٩/١) .

<sup>٨</sup> الخطط المقرئزية (٦٤٢/٣) .

<sup>٩</sup> السابق (٦٤٢/٣) .

<sup>١٠</sup> انظر: القبة الخضراء ومحاولات سرقة الجسد الشريف (٥٨ و ٦١) ، تأليف محمد علي قطب نشر الدار الثقافية للنشر

بالقاهرة الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م) .

<sup>١١</sup> انظر: البداية والنهاية (٢٠٤/٨) ، والخطط المقرئزية (٢٠٤/٢ - ٢٠٦) ، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٣٦١/١ -

(٣٧٧) .

الأخص مشهد الحسين وإن كانوا معتقدين صحة وجوده في عسقلان فإنهم انتهكوا حرمة بنقله إلى القاهرة وكل ذلك في سبيل أغراضهم السياسية قاتلهم الله أنى يؤفكون .

المثال الثاني : ما فعلته الدولة العثمانية في العراق مع الشيعة ومع السنة في نفس

الوقت . أما ما فعلوه مع مشاهد الشيعة فيحدثنا عنه الدكتور عبد الجواد الكليدار في تاريخ كربلاء بما ملخصه : (إن نفوذ العتبات الشيعية المقدسة كان قوياً جداً ومؤثراً في الأحداث الجارية ، ولذلك فإنه لما وقع النزاع بين السلطان سليمان القانوني وهو سني والصفويين وهم شيعة ، حاول السلطان سليمان أن يسترضي جمهور الشيعة المتعلقة بتلك العتبات وكان عليه أن يفعل أكثر مما فعله الصفويون فزار بإجلال حقيقي قبة موسى الكاظم ومحمد التقي الجواد . وأمر بأكمل بناء الجامع الكبير الذي بدأ به الشاه إسماعيل في الكاظمية . ولم تتوقف سياسته الاسترضائية عند هذا الحد في العراق وكانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط ، وأن يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير ، ثم ذكر زيارته لمشهد كربلاء والنجف وما فعله عندهما من خضوع واستمداد من أرواحهما ثم ختم الفصل بقوله : ( فإن ما قام به من خدمات جليلة للأعتاب المقدسة ، ثم استمداده من أرواح الأئمة ، فترجله عن الفرس عند رؤيته للقبة المنورة عن بعد ، ومسيره مشياً على الأقدام إلى النجف ، وقطعه لسان من كذب قصة مرة بن قيس ، وقتله من فضله على أمير المؤمنين لكونه الخليفة الموجود ، فلم يكن ذلك كله إلا لجلب الرأي العام الشيعي وكسب ود العتبات المقدسة إلى جانبه توطيداً لدعائم حكمه في العراق ... )<sup>١</sup> ، وأما استرضاء أهل السنة فقد ذكر مثلاً منها النبھاني في كتابه ( التحفة النبھانية في تاريخ الجزيرة العربية ) فقال : ( إن الدولة العثمانية قد أعفت أهالي البصرة من الرسوم والتكاليف احتراماً لصاحب الحضرة الشريفة يعني الزبير بن العوام ﷺ وأن العثمانيين بنوا على ضريحه مسجداً وقامت والددة السلطان عبدالعزيز بترميم القبر وتكبير المسجد فصار جامعاً حسناً )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> تاريخ كربلاء ص ( ٢٤٨ - ٢٥١ ) .

<sup>٢</sup> الانحرافات العقيدة الزهراني ( ١ / ٢٩٤ ) .



## **الفصل الرابع**

### **نشأة القبورية في اليمن**

#### **وفيه أربعة مباحث :**

**المبحث الأول : حال اليمن قبل نشوء القبورية .**

**المبحث الثاني : الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن .**

**المبحث الثالث : السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن .**

**المبحث الرابع : نشأة التصوف وأهم الطرق الصوفية في اليمن .**

## المبحث الأول :

### حال اليمن قبل نشوء القبورية

وفيه ثلاثة مطالب :

#### المطلب الأول : إسلام أهل اليمن:

من مناقب اليمنيين التي سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور مبادرتهم إلى اعتناق الإسلام بشكل لم يشابههم فيه أحد من قبائل وأقطار الجزيرة العربية الأخرى ، وقد تعددت التأويلات لسبب تلك المسارعة لاعتناق الإسلام من قبل اليمنيين ، وأقوى تأويل - والله أعلم - هو ما جعل الله في نفوسهم من الإيمان ، وفي قلوبهم من الرقة ومحبة الخير ، وما أدخره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل .

ودليل ذلك الأحاديث المستفيضة في فضائل أهل اليمن<sup>١</sup> ، كما كان لقرب اليمن من مكة مهبط الوحي على النبي ﷺ وموضع بعثته علاقة بذلك ، وإن كان هذا لم ينفع بعض القبائل التي كانت أقرب إلى مكة من اليمن ، وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط والتعايش والتفاعل كان وصول أخبار الرسول ﷺ إلى اليمن وتأثر أهلها به في وقت مبكر من حياة الدعوة الإسلامية ، وقد كان الوافدون من اليمنيين إلى مكة لأغراض مختلفة هم الرواد الذين رجعوا إلى قومهم مبشرين بهذا الدين ودعاة إليه ، بعد أن أسلموا وعرفوا شيئاً من الإسلام على يد الرسول ﷺ ، ومن أشهر أولئك :

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : ( أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال : ( الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر ) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه . وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ( أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة فقه يمان والحكمة يمانية ) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب فضائل أهل اليمن ، وغيرها كثير .

<sup>٢</sup> الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة ( ١٧٥١/٣ ) تأليف الدكتور عبد الله الحميري ، طبع مكتبة الرشد الرياض ،

(٢) الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه <sup>١</sup>.

(٣) عمرو بن أمية الدوسي رضي الله عنه <sup>٢</sup>.

(٤) قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني رضي الله عنه <sup>٣</sup>.

(٥) عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي رضي الله عنه <sup>٤</sup>.

(٦) ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي رضي الله عنه <sup>٥</sup>.

وكان في إسلام هؤلاء ورجوعهم أثر في انتشار الإسلام في قومهم ، وتهيئتهم لقبوله .

وممن وفد عليه صلى الله عليه وسلم وتوطن المدينة مهاجراً أبو موسى الأشعري ورفقته الأشعريون <sup>٦</sup>

وأبو هريرة رضي الله عنه <sup>٧</sup> وغيرهم .

وفي عام الوفود بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقدوم وفود اليمن ، وبالفعل تواتت تلك الوفود

وكانت من أفضل الوفود العربية ، فسُرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا لها ، وعادت مؤمنة صادقة ،

فنشرت الإيمان والإسلام في ربوع اليمن .

#### المطلب الثاني رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن:

ولما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتمتع به اليمنيون من نفوس طيبة قابلة للإيمان والإسلام ،

وتأكد لديه صدق توجه اليمنيين نحو دين الله ، وأن الإسلام قد أصبح منتشرًا فيهم ، أحب

صلى الله عليه وسلم أن يعمق مفاهيم الإسلام في نفوسهم ، وينشر تعاليمه بينهم ، ويضع لهم من يعلمهم

ويرشدهم ويحكم بينهم بشرع الله ويسوسهم بنظامه الخالد ، فأرسل رسله معلمين ودعاة

وحكاماً ، فأحسن اليمنيون وفادتهم ، وأكرموا نزلهم ، وأخذوا عنهم دين الله ، وعملوا به ،

وتحاكموا إليه .

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٢/٣ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٣/٣ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٤/٣ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٤/٣ )

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ١٧٥٦/٣ )

<sup>٦</sup> المصدر السابق ( ١٧٦٨/٣ - ١٧٧١ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ( ١٧٦٣/٣ ) .

وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اليمن معاذ بن جبلؓ ، اليمن الأعلى بما في ذلك الجند<sup>١</sup> ، وأبو موسى الأشعريؓ وكان عاملاً على زبيد وعدن وساحل اليمن كله<sup>٢</sup>.

ومهد النبي ﷺ لمعاذ طريقه ، وكشف له حقيقة الجهة التي وجهه إليها ، وزوّده بأروع التوجيهات والوصايا فقال : (( إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم وترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس ))<sup>٣</sup>.

ولعل النبي ﷺ خص معاذاً بهذا دون أبي موسى ؛ لأن أبا موسى من أهل البلد ، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلها ، ثم وصى النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى معاً فقال : (( بشرًا ، ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، وتطاوعا ولا تختلعا ))<sup>٤</sup> ، فخرجوا مستلهمين هذه الوصايا ، ناصحين مخلصين لمن أرسلوا إليهم ، واتجه كل منهما إلى عمله ، وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

فدخل في الإسلام على أيديهما من لم يكن قد أسلم من قبل ، وتعلم العلم منهما من كان مسلماً مؤمناً ، وعمّ الإيمان والعلم أرض الفقه والإيمان .

كما أرسل رسلاً آخرين لأغراض مختلفة منهم : علي بن أبي طالب<sup>٥</sup> ، وخالد بن الوليد<sup>٦</sup> ، وجريز بن عبد الله البجلي<sup>٧</sup> ، وخالد بن سعيد بن العاص<sup>٨</sup> ، وطاهر بن

<sup>١</sup> فتح الباري (٦١/٨).

<sup>٢</sup> الحديث والمحدثون (٣٨٥/١ - ٣٨٦).

<sup>٣</sup> البخاري (٩٦/٦ - ٩٧) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعوة النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، ومسلم (١٩٦/١ - ١٩٧) مع

شرح النووي باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

<sup>٤</sup> البخاري (١١٠٤/٣) كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه ، ومسلم

(١٣٥٩/٣) كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسر وترك التنفير .

<sup>٥</sup> الحديث والمحدثون (١٧٢٤/٣).

<sup>٦</sup> المصدر السابق (١٧٢٢/٣).

<sup>٧</sup> المصدر السابق (١٧٢٩/٣).

أبي هالة<sup>٢</sup> ، ويعلى بن أمية<sup>٣</sup> ، وعمرو بن حزم<sup>٤</sup> ، وزيايد بن لبيد البياضي<sup>٥</sup> ، وعكاشة بن ثور<sup>٦</sup> أجمعين ، وكان لهم أعظم الأثر على اليمنيين ، وقد لقوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله .

**المطلب الثالث : مذاهب اليمنيين منذ فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية :**  
وصل الإسلام إلى اليمن نقياً صافياً لم تشبهُ أي شائبة ، فلم يدخل على يد مذهب فقهي أو فرقة عقائدية أو طريقة صوفية كما حصل في بعض البلاد الإسلامية ، وإنما دخل على أيدي أصحاب رسول الله ﷺ سادات أهل السنة وقدوتهم الذين أمرنا رسول الله ﷺ بالرجوع إلى ما كانوا عليه عند الاختلاف<sup>٧</sup> ، وبقي منهجهم وسبيلهم محفوظاً بحفظ الله في هذا البلد المبارك إلى اليوم ، وإن زاحمه غيره من المذاهب والمناهج في بعض الفترات ، وإن حاولت السلطات المتنفة في كثير من الأحيان طمسه وإحلال مذاهبها محله إلا أنها لم تفلح في ذلك .

#### التشيع :

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع ؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي عليه السلام واضحاً ومعروفاً ، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً<sup>٨</sup> ، ولاشك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٧٢٩/٣ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١٧٢٩/٣ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١٧٣٥/٣ )

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ١٧٣٣/٣ )

<sup>٥</sup> تاريخ حضرموت للحامد ( ١٣٥/١ )

<sup>٦</sup> الحديث والمحدثون ( ١٧٣٢/٣ )

<sup>٧</sup> وذلك في قوله ﷺ : (( وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة )) رواه أبو داود ( ٦١١/٢ ) ، و الترمذي ( ٤٤/٥ ) ، وابن ماجه ( ١٥/١ ) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ( ٢٤١/٢ ) .

<sup>٨</sup> الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ( ١٧ ) .

اليمن ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطاة<sup>١</sup> والي معاوية على اليمن، وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية ، وبالأخص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي عليه السلام حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع :

فلو كنت بواباً على باب جنة      لقلت لهمدان ادخلوا بسلام<sup>٢</sup>

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره ، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت ؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر ، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه .

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة اثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث ، وذلك عندما ذكر المؤرخون علي بن الفضل الجدني ، والذي أصبح زعيم القرامطة في اليمن ، فقد ذكروا أنه كان شيعياً اثني عشرياً ، وأنه حجّ ثم زار قبر الحسين بعد الحج ، وهناك التقى بميمون القداح<sup>٣</sup> ، كما قيل : إن ابن الفضل أخذ ذلك المذهب في عدن من قوم من الاثني عشرية ، لقيهم هناك<sup>٤</sup> .

قلت : إن صح هذا فالاحتمال بوجود فئة صغيرة في عدن وارد ولم تشتهر ، أو يعطها المؤرخون اهتماماً ، كما أن هناك احتمالاً آخر ، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الذين ينزلون عدن لفترة ثم يغادرونها ، وماعدا ذلك فإنه لم يرد تفصيل عن أي فرقة شيعية واضحة في اليمن في تلك الفترة .

<sup>١</sup> بسر بن أرطاة ( ت ٨٦ ) ، انظر ترجمته : تاريخ بغداد ( ٢١٠ / ١ ) ، والسير ( ٤٠٩ / ٣ ) .

<sup>٢</sup> الصليحيون في اليمن ص ( ١٨ ) .

<sup>٣</sup> كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( ٨١ ) ، ورقة العيون في أخبار اليمن الميمون ، لابن الديبع الشيباني تحقيق القاضي الأكوخ الطبعة الثانية ( ١٤٠٩ هـ ) .

<sup>٤</sup> انظر : لترجمة علي بن الفضل وتفصيل فتنه : كشف أسرار الباطنية ( ٨١ - ٨٢ و ٩٤ - ١١٤ ) ، ورقة العيون ص ( ١٣١ - ١٥١ ) وقد تحدث عن هذه الفتنة كل مؤرخي اليمن الذين أرخوا لهذه الفترة .

## الدعوة الإسماعيلية:

### أ- القرامطة :

كان المذهب الإسماعيلي هو أول مذهب واضح متميز من مذاهب الشيعة وصل إلى اليمن ، حيث وصل الداعيان : علي بن الفضل الجدني ، والحسن بن فرج بن حوشب<sup>١</sup> إلى ميناء غلافقة سنة ( ٢٦٨ هـ ) مبعوثين من قبل داعية الإسماعيلية ميمون القداح ، غير أنهما لم يعلنوا الدعوة إلا سنة ( ٢٧٠ هـ ) ، وكانت دعوتهما في غاية السرية والحيلة والحذر ، ثم أعلن الثورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي ، وفعل ما هو مشهور في تاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصيله إذ لا يتعلق بموضوعنا ، غير أن المهم أن علي بن الفضل قد سلك طريق القرامطة أصحاب البحرين ، وكشف عما يعتقده وفعل ما أملت عليه نزواته وأحبه هواه ، وبذلك كان أمدُ دعوته قصيراً ، وإن كان شرها مستطيراً ، ولم يقدّم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته<sup>٢</sup> .

### ب \_ العبيديون ( الفاطميون ) :

أما الحسن بن حوشب المشهور بـ " بمنصور اليمن " فقد بقي محافظاً على تعليمات ميمون القداح ، ملتزماً بالانتماء إليه وإلى ذريته التي ملكت المغرب العربي ، وأنشأت هناك الدولة الإسماعيلية الباطنية ، وكان على اتصال مستمر معهم<sup>٣</sup> ، إلا أن دولته لم تدم طويلاً إذ قُضي عليها ككيان سياسي في حياة علي بن الفضل ، واضطر منصور إلى التخلي والابتعاد عن المعتزك السياسي حتى مات سنة ( ٣٠٢ هـ )<sup>٤</sup> ، ثم عادت الدعوة الإسماعيلية إلى دور السُتر والسرية ، وقد رتب لها الدعاة الذين يقومون بها ، ويبثون تعاليمها ، ويحافظون على أتباعها

<sup>١</sup> أبو القاسم الحسن بن حوشب، المشهور بمنصور اليمن توفي سنة (٣٠٢هـ) انظر أخباره: افتتاح الدعوة ص (١٦-٣٧) للفاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي دار الأضواء بيروت الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م) ، المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ص (٣٧) تأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري دار الفكر دمشق ط الثانية مصورة (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

<sup>٢</sup> الصليحيون في اليمن ص (٤٨) .

<sup>٣</sup> الصليحيون ص (٤٣) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٤٧) .

، ويواصلون العلاقة مع أصلهم في المغرب ثم في مصر بطرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة

( ٣٠٣-٤٣٩هـ ) ، حتى عادوا إلى الظهور حين أمكنتهم الظروف ، وتهيأت لهم الأسباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي<sup>١</sup> .

هذه هي الفترة الأولى للدعوة الإسماعيلية العلنية في اليمن ، وهي لم يكن لها تأثير ظاهر في مسألة القبورية حيث لم تتمكن من التفرغ لذلك ، ولم يكن لها من النفوذ والقبول ما يمكنها من ذلك ، بل عاش قادتها محاربين ودعاتها مضطهدين ، فلم يستطيعوا عمل شيء مما يتعلق القبورية ، كما أن هذه الفرقة لم يكن لها مذهب ظاهر وشائع بين الناس كأي مذهب من المذاهب الأخرى ، إلا أنها كانت أخطر من تلك المذاهب من حيث تماسك أصحابها والحفاظ على كيانهم رغم المحاربة الشاملة لهم من كافة فئات الشعب والحكام على حد سواء ، مما كان له الأثر البالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مرة أخرى في أيام الصليحي ، ثم العودة مرة أخرى إلى السתר منذ زوال دولة الصليحي إلى يوم الناس هذا .

الزيدية :

الفرقة الشيعية الثانية التي دخلت اليمن في هذه الفترة هي الزيدية ، وقد سبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثالث<sup>٢</sup> ، وكان وصول الزيدية واستقرارها في اليمن سنة أربع وثمانين ومائتين هجرية<sup>٣</sup> ، وذلك بوصول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك ، ثم العمل على نشرها ومواصلة أبنائه وأحفاده وبعض الأئمة من أهل البيت المعتنقين للمذهب الزيدي ، حيث استقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التاريخ إلى أن أطيح بآخر إمام من أئمتها محمد البدر سنة ( ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م ) وذلك بقيام الثورة وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٤٩ - ٥٨ ) .

<sup>٢</sup> انظر ص ( ١٧٦ ) .

<sup>٣</sup> سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام ، وقيام الدولة الزيدية في اليمن ص ( ٥٨ ) د. حسن خضري أحمد ، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الأولى ( ١٩٩٦ م ) .



وهذه الفرقة قد سخرت دولتها وسلطانها لدعم عقائدها ومذاهبها ، كما أنها قد طوّعت فقهها وأصولها لمآربها السياسية<sup>١</sup> ، ولكنها برغم قِدَم دخولها وامتداد فترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخرى ، ظلت منزوية في مواطن نفوذها السياسي يمتد وجودها بامتداد سلطانها ظاهراً ورسمياً ، وأما في الباطن فإن الناس يكرهون ما تفرضه عليهم ، ويهللون فرحاً عندما ينزاح عنهم كابوس حكمهم ؛ ليعلموا ما في نفوسهم من عقائد ومبادئ ، ويزيلون ما فرض من شعارات خاصة بالزيدية ، فرضتها السلطة<sup>٢</sup> .

يقول القاضي محمد بن علي الأكوع<sup>٣</sup> - رحمه الله تعالى - : ( وكان مذهب الهادي قابلاً في صعدة ، ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظاهرهمدان ، ولم يغزُ سنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغارب حمير إلا في القرن الحادي عشر الهجري ، عندما تمت سيطرة القواسم على اليمن ، وتغلبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمور ، وخلت البلاد من التيارات السياسية التي تجابهها ، كما قحط اليمن من قادته ورؤسائه ، وأصبحوا قانعين بالتبعية ؛ إذ فقدوا كل مقوّمات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد )<sup>٤</sup> .

قلت : وذلك في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي وحد اليمن الطبيعي ، وفرض المذهب الزيدي على كل من دخل تحت حكمه حتى في حضرموت التي تعد

<sup>١</sup> انظر : الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ( ١٦ - ٢٣ ) ، للأستاذ . محمد محمود الزبيري - رحمه الله - طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ ، وتيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ( ١٦٨ - ١٧٢ ) ، للدكتور علي محمد زيد ، طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء ، الطبعة الأولى ( ١٩٩٧ م ) .

<sup>٢</sup> والأمثلة في ذلك كثيرة وفي نواحي متعددة وانظر : مؤلفات الإمام عبد الله حمزة ستجد منها ما يؤكد ما نقول ، وانظر : كذلك هجر العلم للأكوع ( ١٠٧٥ - ١٠٧٨ ) .

<sup>٣</sup> أشهر مؤرخي اليمن في العصر الحاضر ، أَلَفَ وحقق الكثير من كتب التاريخ وغيرها من نفاثس علوم اليمنيين ، كان من جملة الثوار الذي رَجَّحَ بهم الإمام في سجن قاهرة حجة ، وبعد الثورة تقلب في عدد من الوظائف الوزارية وغيرها ، وقد عرفته و استفدت منه و أجازني إجازة أعتز بها ، حتّى فيها على التمسك بالسنة قولاً وعملاً ، والاعتماد على الدليل ونبد التقليد مما يبين استقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة وقد توفي عام ( ١٤١٩ هـ ) انظر : ترجمته : في موسوعة ( هجر العلم ) لأخيه القاضي إسماعيل ( ٨٧٠ - ٨٣ ) و كتاب " القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي " مؤرخ اليمن الذي صدر بعد وفاته مباشرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام ( ٢٠٠٠ ) .

<sup>٤</sup> اليمن الخضراء مهد الحضارة ص ( ١٠٦ ) للقاضي محمد بن علي الأكوع ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى ( ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م )

من أشد البلاد منافرة لمذهبه ؛ وذلك لسيطرة العلويين الذين يتبعون المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية والمشرع الصوفي ، والذين يتعصبون لذلك غاية التعصب ، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصيل عن الزيدية ؛ لما سبق من شرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب .

وأما قبورية الزيدية فالحق أن زيدية اليمن لم تكن لديهم قبورية ظاهرة في هذه الفترة ، ولذلك فسوف أرجئ الحديث عن قبوريتهم إلى المطلب التالي إن شاء الله .  
الخوارج :

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة ، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فرق الخوارج هي فرقة الإباضية أصحاب عبد الله بن إباض<sup>١</sup> ، وهم أخف فرق الخوارج انحرافاً وأقربها إلى السنة<sup>٢</sup> .

ومعلوم أن نشأة الخوارج كانت على أثر حادثة التحكيم ، وأن علياً رضي الله عنه قاتلهم في النهروان عام (٣٧) أو (٣٨ هـ) ، وقتل معظمهم ، ولكن الفئة الباقية انتشرت في البلاد بشكل خفي ، ثم أصبح كل من حل بأرض يدعو أبناءها إلى رأيه ، ولذلك كثرت الخوارج مرة أخرى ، وأصبحت قوة لا يستهان بها ، وشكلت مصدر قلق كبير للدولة الأموية إلى نهايتها ، ومطلع الدولة العباسية . فهل وصل إلى اليمن أحدٌ منهم في بداية أمرهم ؟ وهل انتشرت الدعوة الخارجية بين اليمنيين بشكل أو بآخر قبل العقد الثالث من القرن الثاني ؟

هذا مالا يمكن الجزم به ، ولكن هناك إشارات إلى شيء من ذلك ، منه ما حكاه الخزرجي من أن الخوارج هاجموا صنعاء فحاول وهب بن منبه قتلهم بأهل صنعاء ، فلم يستطع ، فصالحهم أهل صنعاء على مائة ألف دينار ، فأخذوها ، ورجعوا ، واستعان أهل صنعاء لسدادها بأهل المخاليف ، فأعانوهم<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> هو عبد الله بن إباض المقاعسي التميمي ، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو رأس الفرقة الإباضية من الخوارج . انظر : الملل والنحل (٩٨/١) ، والأعلام (٦٦١-٦٦٢) .

<sup>٢</sup> انظر : لتفاصيل أقرانهم : الملل والنحل للشهرستاني (٩٨-٩٩) ، والفرق بين الفرق ص (١٠٣-١٠٩) .

<sup>٣</sup> المسجد المسبوك ص (٢٢) .

ومنها أن عبد الله بن يحيى الكندي<sup>١</sup> زعيم الخوارج الأول عندما أقام دولته في حضرموت، كاتب إخوانه الإباضية في صنعاء، فانضموا إليه<sup>٢</sup>، هاتان الإشارتان توحيان بوجود ما للخوارج قبل إعلان دولتهم في شبام حضرموت سنة (١٢٨هـ)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هذه السنة.

وملخص قصة الخوارج في اليمن أن عبد الله بن يحيى الكندي - وكان رجلاً من أعيان حضرموت - حج سنة (١٢٧هـ)، وفي مكة التقى ببعض دعاة الخوارج الذين كانوا يحضرون المواسم لبث دعوتهم، فكلّموه في الأمر، وذكروا له مظالم بني أمية وانحرافهم، وأن الواجب هو الخروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمور إلى نصابها إلى آخر ما ذكر، فقال له عبد الله بن يحيى: (إنني رجل مطاع في قومي، ولو دعوتهم إلى ذلك أجابوني إليه). فعاهده أبو حمزة على ذلك، فعاد عبد الله بن يحيى ومعه أبو حمزة الأزدي إلى حضرموت، وكتب إلى إخوانه أباضية البصرة يشاورهم في الخروج على الخليفة الأموي، فكتبوا إليه: (إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك ...)، فأعلن عبد الله نفسه أميراً وبإيعاه أبو حمزة وتبعه الناس في حضرموت من سائر القبائل، وقبض على والي بني أمية، وحبسه ثم أطلق سراحه، وما إن استقرت له الأمور في حضرموت حتى اتجه صوب مكة، فقدم ومعه زهاء تسعمائة وقيل ألف ومائة من أصحابه يوم عرفة إلى صعيد عرفة، والناس بها يوم الوقوف فما شعروا إلا بخيل الخوارج وعليها الرجال معممين رافعين ألويتهم، فما كان من أمير مكة إلا أن سلم لهم الأمر دون قتال، وفي يوم النحر دخلوا مكة كذلك، وبذلك صفت لهم مكة دون أي مقاومة، ولكن أخبارهم انتشرت، واستعد لهم أهل المدينة، ويعد استقرار الوضع في مكة خلفوا عليها والياً من قبلهم، ثم توجهوا إلى المدينة، وكان أهل المدينة قد جهزوا جيشاً لمقاومتهم، وكان أكثر الجيش من عامة الناس وليسوا من الجنود المدربين أو ذوي الخبرة

<sup>١</sup> عبد الله بن يحيى بن عمر الكندي الحضرمي، الملقب بطالب الحق، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت، توفي سنة (١٣٠هـ) انظر ترجمته: في تاريخ حضرموت للحامد ص (٢٦٢)، وصفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير، طبع مكتبة الثقافة عدن بدون تاريخ.

<sup>٢</sup> تاريخ حضرموت للحامد ص (٢٠٧).

بالحرب ، والتقى الجيشان في منطقة قديد ، وهُزم جيش المدينة هزيمة منكرة وقتل منه ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً<sup>١</sup> .

وعلى إثر ذلك دخل جيش الخوارج المدينة ، واحتلوها ورتبوا الأمر فيها ، وطارت الأخبار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مدربين ، فسار الجيش الأموي صوب المدينة ، وتقدم جيش الخوارج باتجاه الشام ، فالتقى الجيشان في وادي القرى ، فانهزم جيش الخوارج وقتل قائده أبو حمزة ، ثم واصل الجيش الأموي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكة ، ولم يبق له واليها ، ثم إلى صنعاء وقد خرج عبد الله بن يحيى ومن معه لملاقاة الجيش الأموي في الطريق ، وفعلاً التقيا ، وهُزم الجيش الخارجي ، وقتل عبد الله بن يحيى ، وهكذا واصل الجيش الأموي الطريق إلى عاصمة دولة الخوارج ( شبام ) ، والتقى بأميرها ومن معه وهزم الخوارج ، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضارم فتكاً ذريعاً ، وقتل الرجال والنساء وفعل الأفاعيل ، وبهذا انتهى كيان دولة الخوارج ولم يبق لهم نفوذ ، غير أن فكرهم وعقائدهم ظلت موجودة ويدين بها كثير من أبناء حضرموت حتى نهاية القرن السادس تقريباً ، ونشأ لهم كيان غير محدد المعالم أواخر القرن الخامس ، قضى عليه الصليحي عندما مد نفوذه إلى حضرموت ، ولم يكن للخوارج أي دور في انتشار القبورية في اليمن حسب علمي<sup>٢</sup> .

#### التصوف :

حتى لا تختلط علينا المفاهيم ، يجب أن نفرّق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام ، وحث عليه الرسول ﷺ ، وحمده أئمة المسلمين ، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله ، وبين التصوف المُحدث المُجلوب من خارج حدود الإسلام ، والمضبوط بضوابطه المعروفة ، والمحدد بحدوده الواضحة ، والمبني على فلسفة خاصة ، فهذا لون والزهد الذي جاءت به شريعة

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٢٠٩ ) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٥٠ ) .

<sup>٢</sup> انظر : لأخبار الخوارج وقيام دولتهم وانتهائها كلاً من : تاريخ حضرموت ( ٢٠٦/١ - ٢١٣ ) لصالح بن علي الخامد ، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٤٧-٥٥ ) ، و تاريخ حضرموت السياسي ( ٧٢/٦٤/١ ) لصالح عبد القادر البكري ، طبع دار الآفاق العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ) ، و أدوار التاريخ الحضرمي ص ( ١٢٧-١٤٠ ) وانظر خیر دولتهم الأخيرة في : صفحات من التاريخ الحضرمي ص ( ٦٦-٧٩ ) .

الإسلام لون آخر ، وإن الخلط بين الأمرين قد أوقع لبساً كبيراً على عوام الناس ، واستغلّه دعاة التصوف وتزيناوا به ، بل اتخذوه درعاً واقياً من سهام الطاعنين عليهم وعلى فلسفته الضالة ويدعهم المحدثّة الخارجة عما جاء به الإسلام ، فإذا تكلم متكلم عن مخازي التصوف ومثالبه ، عارضه المتصوفة بإبراز الشخصيات النظيفة الطاهرة على أنها أئمة ومؤسّسوه ، فيذكرون أباذر عليه السلام وأبا الدرداء عليه السلام ، ومن التابعين أويس القرني ، والحسن البصري ومن شابههما ، ثم يذكرون مالك بن دينار ، والفضيل بن عياض ، ومن أهل اليمن : عمرو بن ميمون الأودي ، وطاووس بن كيسان اليماني ، ووهب بن منبه ، ونحوهم ، وهؤلاء لا علاقة لهم البتة بما أحدث بعد من تصوف مبتدع فلسفي محتوٍ على إلحاد أصحاب الحلول والاتحاد ، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات .

فإذا بينا هذه الحقيقة ، وعرفنا الفرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصحيح ، وبين التصوف المنحرف ، استطعنا أن نجزم بلا أي تردد أن هذه الفترة التي نتحدث عنها لم يكن فيها باليمن شيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بالمعنى الصحيح الدقيق ، وبالتالي فليس للتصوف في هذه الفترة أي دور في نشر القبورية .

#### المذاهب الفقهية:

(كان المذهب السائد في اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام ، واعتمدوا في دراسة الفقه النبوي على مثل مسند الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (٢١٠هـ) ، وعلى مسند أبي قرة موسى بن طارق الجندي ، ومسند عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري ، ومسند الحافظ محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني ، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية )<sup>١</sup> .

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سمرّة الجعدي<sup>٢</sup> في "طبقات فقهاء اليمن حيث يقول : ( وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة ، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا

<sup>١</sup> اليمن الخضراء ص ( ١٠٦ ) .

<sup>٢</sup> عمر بن علي بن سمرّة الجعدي ، رائد مؤرخي علماء الشافعية باليمن ، صاحب طبقات فقهاء اليمن الذي خصصه لعلماء الشافعية ، ثم صار من بعده من المؤرخين يتون على ما أسس ويفرغون على ما أصل ، لم تذكر سنة وفاته . انظر : ترجمته لنفسه في مطلع الطبقات ص ( ١٣ ) وما بعدها .

المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري ، وهو مصنف في صنعاء ، وجامع سفيان بن عيينة ، وجامع أبي قررة موسى ابن طارق اللحجي الجندي ، ومن المرويات عن مالك في الموطأ وغيره مثل كتاب أبي مصعب ، أو عما يروى عن طاووس وابنه وقدماء فقهاء اليمن الذين ذكرت أطرافاً من فضلهم وشيوخاً من جملهم <sup>١</sup> .

ومن هذين النصين يتبين أن الأصل في أهل اليمن اتباع الكتاب والسنة على مذهب المحدثين ، وبعد انتشار المذاهب الإسلامية وصلت تلك المذاهب المالكية والحنفية والشافعية ، وأما المذهب الحنبلي في الفروع فلم يسجل له وجود في اليمن تلك الفترة ، وكان المذهب المالكي هو أول تلك المذاهب انتشاراً ثم الحنفي ثم الشافعي ، وليس للمذهب المالكي وجود في اليمن الآن ، وبقي المذهب الحنفي في زيبد بشكل محدود ، بينما انتشر المذهب الشافعي في عموم اليمن بما في ذلك صنعاء وذمار وما والاها حتى القرن الحادي عشر ، حينما فرض المذهب الهادوي الذي يتبناه الأئمة الزيدية على تلك النواحي ، وانقسمت اليمن بعد ذلك انقساماً ظاهراً ، حيث ساد المذهب الشافعي اليمن الأسفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبلية ، والجند وماحو لها بما في ذلك معظم مخاليف ، إب والحجرية كاملة ، والبيضاء وما يلتحق بها ، ومأرب والجوف ، هذا فيما كان يعرف باليمن الشمالي ، وأما ما كان يعرف باليمن الجنوبي فكله شافعي ولا وجود للمذهب الهادوي فيه ، وماعدا ذلك فالسائد فيه المذهب الهادوي ، وهو يمتد من صعدة شمالاً إلى يريم وما جاورها جنوباً مقتصرأ على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً .

هذه صورة مختصرة للمذاهب الفقهية التي سادت اليمن ، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمة ، هي أن اتباع الكتاب والسنة والتجرد لهما ، ونبد التعصب المذهبي بل نبد التمسك بـ بشكل تام بقي مستمراً في اليمن ، ولم يلغ وجود المذاهب الفقهية وانتشارها ، بل ظل حياً حاضراً وإن ضعف في بعض الأحيان وخفت صوته إلا أنه مازال موجوداً خصوصاً في المناطق الزيدية ، وقد اشتهر جماعة من المجتهدين النابذيين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلماء ، وكانوا نبراساً مضيئاً في حوالك الظلم التي لبّدت سماء الأمة الإسلامية قروناً عديدة ، وأصبحوا أساتذة الاجتهاد ، والتجديد، وحرية الرأي ، ورمز الاقتداء

<sup>١</sup> طبقات فقهاء اليمن ص ( ٣٤ ) تأليف عمر بن علي بن سمره الجعدي تحقيق فؤاد سيد نشر دار القلم بيروت بدون تاريخ.

بالسلف الصالح ليس في اليمن فقط ولكن في العالم كله ، حيث تتداول كتبهم بل وتصبح من المقررات الأساسية في أشهر الجامعات الشرعية والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

( ١ ) محمد بن إبراهيم الوزير<sup>١</sup>.

( ٢ ) صالح بن مهدي المقبل<sup>٢</sup>.

( ٣ ) الحسن بن أحمد الجلال<sup>٣</sup>.

( ٤ ) محمد بن إسماعيل الصنعاني .

( ٥ ) محمد بن علي الشوكاني .

وغيرهم الكثير ، وإن كانوا أقل شهرة منهم ؛ تضمنهم " البدر الطالع " لشيخ الإسلام الشوكاني ، "ونشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف " ، وغيرهما من كتب التواريخ والتراجم ،

<sup>١</sup> هو إمام أهل السنة في زمانه ، بل مجدد الإسلام في اليمن في القرن الثامن محمد بن إبراهيم الوزير مولده سنة ( ٧٧٥ هـ ) وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة ، ثم رغب عنها وتحوّل إلى الطريقة السلفية ، فبرع في علوم الكتاب والسنة ، واستكمل أدوات الاجتهاد ، واضطهد لذلك ، فصر ، وصابر ، وألف ، وناظر ، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم العواصم و القواصم لكفى ، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه ، وهو رأس المدرسة السلفية التي مازالت - والحمد لله - قائمة إلى اليوم ، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضل ، وقد ترجم له من يصعب حصرهم ، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم ، وألفت رسالة علمية بعنوان " ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية " ، قدمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحري توزيع عالم الكتب ط الأولى (١٤١٧). وانظر ترجمته كذلك : البدر الطالع (٨١/١-٩٣) ، وهجر العلم للقاضي إسماعيل الأكوع (١٣٦٧/٣-١٣٧٦) ، والبحث الضافي الذي بعنوان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم في مقدمة العواصم والقواصم (٧/١-١٠٠) ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت (١٤١٨هـ-١٩٩٢م) للقاضي إسماعيل الأكوع .

<sup>٢</sup> صالح بن مهدي بن علي المقبل ، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه ، تجرد عن التقليد والتمس الأخذ بالكتاب والسنة ، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته ، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة ، وهناك ألف بعض مؤلفاته ومنها العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايع ، وذيله الأرواح النوايح توفي سنة (١١٠٨هـ) . انظر : البدر الطالع ( ٢٨٨/١ ) ، ومقدمة العلم الشامخ للقاضي عبد الرحمن الإرياني (ص أ - د ) طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

<sup>٣</sup> الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن ، كبير القدر كثير الإنتاج العلمي ، أثنى عليه الشوكاني -رحمه الله - ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة ، وإن كان لم يتخلص مما كان عليه مجتمع في الجوانب الأخرى من منهجه ، توفي سنة (١٠٨٤ هـ) . انظر : البدر الطالع (١٩١/١) ، وهجر العلم (٣٤٢/١) .

وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى اليوم ، وعميدها وأشهر علمائها في هذا العصر القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - وهو في اليمن أشهر من نار على علم .  
هذا وأما الاجتهاد الفقهي في المناطق الشافعية فقليل إن لم يكن معدوماً ، ولعلَّ السبب في كثرة المجتهدين في الجهات الزيدية طبيعة المذهب الهادي الذي أبقي باب الاجتهاد مفتوحاً ، بل حرم التقليد في بعض المواضع من أصله ، بعكس أتباع المذاهب الأخرى الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القرن الرابع ، وصاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم ، أو مارق منحرف .

هذا وقد أطلت في هذا الموضع لأنني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعدم اقتضاء الموضوع له .  
الفرق العقائدية غير ما تقدم :

لقد ذكرنا فيما تقدم فرق الشيعة الإسماعيلية و الزيدية وفرقة الخوارج الإباضية ، وإكمالاً للبحث ينبغي أن نلّم ببقية الفرق التي طرأت على اليمن وعلى أهله الذين مازالوا متمسكين بمنهج السلف الصالح في عقيدتهم إلى اليوم ، نعم إن منهج السلف الصالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هو الأصل في اليمن ، والمناهج الأخرى إنما هي طائفة عليه ، وكان هذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كانت الأمة هي الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان ، ثم بدأت الفرق الضالة تخرج عن هذا السبيل ، وتفارق ذلك المنهج فخرجت الخوارج ثم الروافض ثم القدرية في عهد الصحابة أنفسهم ، ثم توالى تلك الفرق في الانحراف ومفارقة المنهج القويم والصراط المستقيم ، وقد تفرقت تلك الفرق نفسها إلى فرق فرعية كثيرة جداً ، وظهرت فرق جديدة ذات أثر في الساحة الإسلامية : منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلامية و الماتريدية و الأشاعرة ، وهذه الثلاث الفرق الأخيرة في الواقع قد تبين لها ضلال الفرق السابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشتركان في الانتساب إلى علم الكلام .



وقد حاول أئمة تلك الفرق الثلاث العودة إلى النبع الصافي والمنهل العذب ، ولكن آثار علم الكلام لم تمكن الإمامين ابن كلاب<sup>١</sup> ، والماتريدي<sup>٢</sup> من ذلك ، فتخلصا من كثير من بدع وعقائد الجهمية والمعتزلة ، وبقي لديهما بعضها وأخذوا ببعض أصول السلف أهل السنة ، وقصّراً في بعضها ، والله تعالى يتولاهما ، وهو أعلم بما في نفوسهما سبحانه ، أما نحن فندعوه سبحانه أن يغفر لهما وللمخلصين من أتباعهما ، وأن يتجاوز عمّا أخطأ فيه ، ما دام الحامل لهما عليه حب التنزيه والخشية من التشبيه ، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصادقة في أن يتجاوز الله عنهما لا يجعلنا نصح مذهبهما ونسكت عن خطئهما .

وأما أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - فله ثلاثة أطوار :

الطور الأول : الاعتزال المحض على طريقة أبي علي الجبائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له الطور الثاني : تقرير ما كان عليه ابن كلاب وأصحابه .

الطور الثالث : رجوعه الكامل إلى ما كان عليه السلف الصالح وذلك في كتبه : " الإبانة عن أصول الديانة " ، " مقالات الإسلاميين " ، " ورسالتي إلى أهل الثغر " ، وهناك من يخالف في ترتيب الطورين الأخيرين ، أو يجعلهما طوراً واحداً<sup>٣</sup> .

لكن عامة من ينتسبون إليه إنما ينتسبون إلى ما كان عليه في الطور الوسط ، فهم في حقيقتهم كُلابية أو قريباً منها ، وليسوا على السنة المحضة التي كان عليها السلف الصالح والتي عرفت فيما بعد خصوصاً بعد محنة القول بخلق القرآن عرفت ( بمذهب أحمد ابن حنبل ) أو ( بالحنابلة ) ، ولم يكن الإمام أحمد - رحمه الله - متفرداً بها ، بل هي عقيدة سائر أئمة أهل السنة وأصحاب الحديث ، وعلى رأسهم الإمامان مالك والشافعي وكذلك الإمام

<sup>١</sup> هو عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه وإمام الطائفة المعروفة بالكلاية ، توفي سنة ( ٢٤٥ ) . انظر : السير ( ١٧٤/١١ ) ، وطبقات الشافعية ( ٢٤٥/٢ ) ، ولسان الميزان ( ٣٦٠/٣ ) لابن حجر طبع دار الفكر بيروت ط الأولى ( ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ) .

<sup>٢</sup> هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي ، يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين ، توفي سنة ( ٣٣٣ هـ ) ، وهو مؤسس المدرسة المشهورة بالماتريدية نسبة إليه ، وله عند أتباعه منزلة عظيمة . انظر : مقدمة كتاب الماتريدية ص ( ٩٣ - ٩٩ ) للشيخ أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبي الحربي ، طبع دار العاصمة بالرياض ، والأعلام ( ١٩/٧ ) .

<sup>٣</sup> انظر لتحقيق تلك الأقوال والترجيح فيها : كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، للدكتور عبد الرحمن بن صالح بن المحمود ، طبع مكتبة الرشد بالرياض ، الطبعة الأولى ( ١٤١٥هـ - ١٩٩٥هـ ) .

أبو حنيفة ، إلا ما يذكر عنه في مسألة الإيمان ، هذا وإن كثيراً من علماء الحديث وأئمة الفقه والمفسرين وغيرهم هم في الأصل من أهل السنة وآتباع السلف الصالح ، ولكنهم قد تأثروا ببعض أقوال الأشاعرة أو الماتريدية خصوصاً في تأويل بعض الصفات ، وهذا لا يجعلهم أشاعرة ولا ماتريدية ، لأنهم من أهل الحديث والآخذين به والمقدمين له على كل الأصول ، بخلاف الأشاعرة المتكلمين وكذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدمون العقل ، ويتحاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقدمين ذلك على الكتاب والسنة ، وهذا فارق كبير بينهم وبين المتمسكين بالآثار ، والمقدمين للأخبار ، والتابعين للسلف الأخيار ، الذين وقعوا في تقليد أولئك في بعض المسائل<sup>١</sup> .

بعد هذه المقدمة المهمة في نظري أعود فأقول: إنه لم يثبت بشكل جلي وجود للماتريدية أو الأشعرية في اليمن في هذه الفترة .

وأما المعتزلة فالصحيح أن الذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سنة ( ٢٨٥هـ ) ، فالزيدية في العقيدة معتزلة ، وإن خالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين ، فجعلوها مكانها الإمامة ، ويقول بعض الباحثين : إن اعتزال زيدية اليمن في بداية أمرهم كان على طريقتهم الخاصة بهم ، وليس هو الاعتزال المعروف المنسوب إلى واصل بن عطاء واتباعه .

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهرت المطرفية<sup>٢</sup> ، وانتشرت ، وفشت بين الناس ، وأصبحت تشكل قوة علمية وبشرية يحسب لها ألف حساب ، وخصوصاً أنهم قد خالفوا السائد من عقائد الاعتزال وعقائد الزيدية في أمور أهمها : مسألة الإمامة وأنهم لا يحصرونها في أبناء علي عليه السلام ، وإنما من جمع صفاتها من المسلمين ، فهو أهل لها ، وكذلك التفضيل

<sup>١</sup> انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة ص ( ١٥ - ١٧ ) ، للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، طبع مكتبة العلم بالقاهرة ( ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ) .

<sup>٢</sup> المَطَرَفِيَّة : هي فرقة من فرق الزيدية منسوبة إلى مطرف بن شهاب من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة ، وكانوا على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة ، حصل بينهم وبين الإمام عبد الله ابن حمزة شقاق ففضى عليهم قضاء مبرماً . انظر : الزيدية للأكروص ص ( ٧٦ - ٧٧ ) وتيارات معتزلة اليمن ص ( ١٨٧ ، ١٩٢ ) .

بمجرد النسب لا يقرونه ، فتدخلت الغيرة على العقيدة مع الغيرة على الميزة التي اكتسبها بعض الناس في مسألتَي الإمامة والنسب ، وعند ذلك رغب القائلون على المذهب الزيدي وعقيدته الموروثة في التصدي لهذه الفرقة ، وهزيمتها فكرياً عن طريق المناظرة ، ولما كان رجال المطرفية أكثر علماً وأنضج فكراً ؛ وشعر الطرف الثاني بذلك ؛ رغب في تسليح فريقه برجال على نفس المستوى ، بل أقوى ليحملوا فكره ، ويدافعوا عن أصوله ومبادئه بالطريقة التي يريدها هو ، وعندما علم الإمام المتوكل أحمد بن سليمان أن أحد علماء المعتزلة وصل إلى مكة لأداء الحج عام ( ٥٤٠ هـ ) سارع باستدعائه إلى اليمن ، فأجاب إلى ذلك ، ووافى الإمام في محل إقامته حينها هجرة محنكة من خولان صعدة في مطلع عام ( ٥٤١ هـ ) ، ومعه كتب الاعتزال ، وبقي في اليمن سنتين ونصف لنشر الاعتزال على طريقة معتزلة البصرة ، وهي تخالف الاعتزال الذي كان في اليمن من قبل والذي كان أقرب إلى معتزلة بغداد ، وقد التقى في هذه الفترة القاضي جعفر بن عبد السلام الأبنأوي بالبیهقي<sup>١</sup> ، وأخذ عنه علوم الاعتزال وأسلوب المحاجة والمناظرة استعداداً لمناظرة المطرفية ، ثم لما عزم البیهقي على العودة إلى العراق عزم معه جعفر بن عبد السلام ليتزود من المنبع الأصلي للاعتزال ، غير أن البیهقي مات في تهامة في طريق العودة ، فلم يثن ذلك عزيمة ابن عبد السلام ، بل واصل المسير إلى العراق وفارس ، وأخذ في كل بلد حله عن علماء المعتزلة فيه<sup>٢</sup> ، ثم عاد يحمل كتب المعتزلة معه ، وبهذا تكامل وجود المعتزلة في اليمن ، بل إن من الباحثين من يرى أن المعتزلة لم تدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ .

ولكن الحق أن الذي دخل في ذلك التاريخ هو فكر وعقيدة معتزلة البصرة التي تخالف الاعتزال الذي ظل قائماً في المجتمع منذ دخل الهادي إلى أن ظهر جعفر بن عبد السلام في أيام المتوكل على الله أحمد ابن سليمان المتوفى سنة ( ٥٦٦ هـ )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> هو زيد بن علي بن الحسن البیهقي المعتزلي ، حج سنة ( ٥٤٠ هـ ) فاستدعاه الإمام أحمد بن سليمان إلى اليمن فوصل صعدة سنة ( ٥٤١ هـ ) ومكث يدرس كيب الاعتزال في مسجد الهادي بصعدة سنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمات في تهامة . انظر : تيارات معتزلة اليمن ص ( ١٣٢ - ١٣٤ ) .

<sup>٢</sup> ملخص من تيارات معتزلة اليمن ص ( ١٣٢ - ١٣٥ ) .

<sup>٣</sup> انظر الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ( ٧١ ) ، للدكتور أحمد عبد الله عارف ، طبع المكتبة اليمنية صنعاء ودار أزال بيروت ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م ) .

المطلب الرابع: استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له :

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم ، فقال جلّ من قائل: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾<sup>١</sup> ، ومقتضى حفظه أن يبقى ظاهراً قائماً ، وأن تقوم به طائفة تمثله بحق ، وتعمل به بصدق، وتدعو إليه بإخلاص ، على وفق ما نزل الكتاب و ما بلغ الرسول ﷺ ووفق ما فهمه الصحابة الكرام من الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان أو انحراف ، وقد أكد هذا المعنى الرسول ﷺ في قوله : (( لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ))<sup>٢</sup> .

وإذا كان هذا الوعد يشمل جميع بلاد الله التي يظللها الإسلام ، فإنّ اليمن الإيمان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هذا الوعد ، وبالفعل فإن تاريخ اليمن المليء بالأدلة على هذه الدعوى ، فلم يخلُ جانب من جوانب منهج أهل السنة والجماعة ممن يقوم به ، ويدافع عنه طوال التاريخ اليمني ، أو على سبيل الاحتياط في معظم مراحل التاريخ .

وإذا كان قد مرّ بنا أن غالب القرون الثلاثة كان الظاهر فيه مذهب أهل السنة والجماعة في اليمن ، فإن الفترات اللاحقة لم تشهد غياباً كاملاً لهذا المذهب ، وإنما قد يضعف ، ويضايق ، ويضطهد دعائه في بعض الأحيان ، ثم لا يلبث أن يظهر ، وما إن تُرفع الحجب ، وتزال العقبات من أمامه حتى يهرع الناسُ إليه ، يتسابقون عليه ، ويسيروا تحت لوائه ، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلوب التي لم تعمّ بظلمات البدع ، ولم يعكر عليها غبار الشبهات، ومن الأدلة الناصعة على أن منهج السلف الصالح هو المنهج المنسجم مع الفطرة السليمة أن جميع المذاهب الوافدة على اليمن لم تظهر ، وتنتشر بين الناس إلا في ظل دول قوية وسلطات قاهرة، ماعداً منهج أهل السنة والجماعة فإنه يقوم بنفسه ، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقاء والخلود والانتشار ، وسيظهر ذلك مما سنورده في المباحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج .

وإذا علمنا أن الأصل الذي كان عليه أهل اليمن هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن المذاهب الأخرى إنما طرأت عليه ، فإن المعروف المقرر هو بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت

<sup>١</sup> سورة الحجر آية ( ٩ ) .

<sup>٢</sup> تقدم ترجمته ص ( ١٠٩ )

خلافه ، ولم يثبت أن مذهباً من تلك المذاهب الوافدة قد طبق اليمن قاطبة ، ولم يدع أحد من أهل تلك المذاهب ذلك ، وهذا وحده يكفي دليلاً على استمرار مذهب السلف الصالح وعدم انقطاعه إلى يومنا هذا .

وهذا ما نلمحه جلياً في كلام المؤرخين ، والشهادة الأولى لمؤرخ زبيدي هو يحيى بن الحسين ابن القاسم في طبقات الزيدية حيث يقول : ( قلت: وكان اليمن في هذا التاريخ - وهو سنة أربعمائة إلى خمسمائة - فيه اختلاف شديد في المذاهب ، واضطراب وفتن وشبه يوردها كل فريق ، فكان فيه الزيدية فريقين : مخترعة و مطرفية ، وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية ، ولما كان رأس خمسمائة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشعري لما خرج من الشام مع بني أيوب ، فإنهم أخرجوا معهم " المقالة القدسية " أول إحياء علوم الدين في عقيدة الأشعري فمال إليه أكثر الشافعية في ذلك الوقت ؛ لأن الأشعري في ثلاثمائة سنة وكانت وفاته أربع وعشرين وثلاثمائة ... ثم اختلفت الشافعية باليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأن المتشابهات تمر من غير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء ، واحتجوا بقراءة الوقف على قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ <sup>١</sup> ، ومنهم من تأول ذلك كما يقول الأشعري ، وجرت بينهم مناظرات في ذلك الزمن لاسيما العمراني الشافعي صاحب " البيان على مذهب الشافعي فإنه بنى على أصول أحمد ) انتهى محل الغرض منه <sup>٢</sup> ، وقد عقب القاضي الأكوع على هذا الكلام بقوله : ( ورغم هذه التيارات المتعاكسة المتضاربة فقد ظل اليمن صامداً أمامهم لم تتزعزع عقائده أو يهدم بنيانه المتراص إلا بعد فترة متراخية ، ثم ذكر نحواً مما ذكره في كتابه اليمن الخضراء ونقلناه سابقاً <sup>٣</sup> ، ثم قال : ( هذا هو العمل السائد في العقائد والمقامات في عموم اليمن ماعدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج ) .

<sup>١</sup> آل عمران (٧) .

<sup>٢</sup> طبقات الزيدية مخطوطة ، بواسطة مقدمة السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ( ٣٤ ) للقاضي بهاء الدين الجندي ، الطبعة الثانية ( ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ) مكتبة الإرشاد صنعاء ، والمقدمة للقاضي الأكوع .

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ٢٤١ )

ولما تغلغلت هذه المذاهب في النفوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القرن الرابع الهجري مذاهب متشعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى هادوية في صعدة ، والمذهب السائد هو مذهب السلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب <sup>١</sup> .

ويقول شيخ الإسلام الشوكاني -رحمه الله تعالى- : ( ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثر من العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية مالا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال ، فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف ، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية ، وما يلحق بها من دواوين الإسلام المشتمة على سنة خير الأنام ، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً ، ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها ، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ مع كثرة انشغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسنة من نحو وصرف وبيان وأصول ولغة مع عدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية ، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد ، فإن هذه خصيصة خص الله بها أهل هذه الديار في هذه الأزمنة الأخيرة ، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً ) <sup>٢</sup> ..

وفي القرن الرابع نرى من يحمل منهج أهل السنة والجماعة ومذهبهم ، ويرد على من خالفهم ، فهذا الحسين بن عبد الله المراغي له كتاب يرد به على المعتزلة باسم الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة " وقد عاش آخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع حيث توفي سن ( ٣٢٤ هـ ) <sup>٣</sup> ، وهو وافد على اليمن وليس من أهلها ، ولكنه استقر بها ، وصار له أتباع أخذوا عنه ذلك المذهب الذي كان في الأصل موجوداً قبل وروده <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٣٣ / ١ ) .

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ٨٣ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> طبقات فقهاء اليمن ص ( ٨٣ ) .

<sup>٤</sup> انظر : السلوك ( ٢٣٢ / ١ ) .

وفي القرن الخامس يمر بنا الفقيه عبد الله بن يزيد اللّعي ، قال الجندي : ( له تصانيف على معتقد السلف ) ، وكان يعيش في القرن الخامس ووفاته ( بعد خمسمائة بيسير )<sup>١</sup> .

وفي القرن الخامس أيضاً كانت مدرسة الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي<sup>٢</sup> ، وهي مدرسة عظيمة جليلة ، يدرس فيها فنون مختلفة ، ومن أعظمها علوم العقيدة على مذهب السلف الصالح والفقه على مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله- ، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه في غالب الأيام ، حتى لقد خشي منه ومن أتباعه وأتباع شيخه أبي بكر بن جعفر المحابي أمير الجند من قبل الصليحي ، فعمل الحيلة للإيقاع بين الشيخين وأتباعهما ؛ مما اضطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنباً للفتنة<sup>٣</sup> .

وعاصره وكان على نفس المنهج الإمام زيد بن الحسن الفايشي<sup>٤</sup> ، غير أن الأول كان بالجند والثاني بالجمامي من أعمال إب ، وتوفي سنة ( ٥٢٨ هـ ) وقيل ( ٥٢٧ هـ ) -رحمه الله- وفي مدرستيها كان يدرس علم التوحيد على مذهب السلف الصالح -رضوان الله عليهم - وعنهما وعن غيرهما من العلماء أخذ الإمام يحيى بن أبي الخير<sup>٥</sup> ذلك المذهب<sup>٦</sup> ، والإمام ابن أبي الخير هو رأس أهل السنة في اليمن في القرن السادس ، فقد تبناه ودافع عنه وكافح وألف وناظر وخرّج الطلاب عليه ، وقد عني بالرد على المعتزلة حين وفودهم إلى اليمن يمثلهم

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٢٥١/١ ) .

<sup>٢</sup> زيد بن عبد الله اليفاعي ، من فقهاء الجند السائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات ، صاحب مدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون توفي ( ٥١٤ هـ ) ، طبقات فقهاء اليمن ص ( ١١٩ ) ، هجر العلم ( ٢٣٧٧/٤ ) .

<sup>٣</sup> انظر : طبقات الفقهاء ص ( ١٢٠ ) ، والسلوك ( ٢٦٣/١ ) .

<sup>٤</sup> هو زيد بن الحسن الفايشي ، من فقهاء الشافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، كبير القدر عظيم الأثر في منطقة الجمامي باب توفي سنة ( ٥٢٨ هـ ) انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ١٥٥ ) ، وهجر العلم ( ٣٨٩/١ ) .

<sup>٥</sup> انظر : السلوك ( ٢٨٥/١ - ٢٨٧ ) وهجر العلم ( ٣٩١/١ - ٣٩٢ ) .

<sup>٦</sup> هو يحيى بن أبي الخير العمراني ، إمام شهير من أئمة علماء اليمن ، إمام في الفقه وهو صاحب كتاب " البيان " الشهير الذي اعتنى بطبعه قاسم محمد النوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج بيروت سنة ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ) ، وإمام في السنة على منهج السلف الصالح ، رأس علماء الحنابلة في اليمن وصاحب كتاب " الانتصار في الرد على القدرية الأشرار " الذي حققه سعود ابن عبد العزيز الخلف وطبع بدار أضواء السلف بالرياض الطبعة الأولى سنة ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ) .

<sup>٧</sup> انظر : طبقات الفقهاء ص ( ١٧٥ - ١٧٧ ) .

القاضي جعفر بن عبد السلام المعتزلي فآلف كتابه " الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ، ثم ظهرت الأشاعرة فأضاف - رحمه الله - إلى ما ذكره في الانتصار من مسائل القدرية مذهب الأشعرية والرد عليهم ، قال ابن سمرّة : ( فأجحف فيه على الأشعرية وقطع حلوقهم وأفحمهم خصوصاً بذلك من يقول : ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ <sup>١</sup> .

ففرح الفقهاء بكتابه " الانتصار " وانتسخوه ودانوا به واعتقدوه <sup>٢</sup> .

وقال ابن سمرّة قبل ذلك : ( وكان الإمام يحيى قد سمع في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفاعي " كتاب التبصرة " في علم الكلام وأصول الدين تصنيف أبي الفتوح <sup>٣</sup> على مذهب السلف الصالح ، وهما ينقلانه جميعاً عن الشيخ أبي نصر البندنجي مصنف المعتمد في الخلاف ، فإنهما صحبا جميعاً في مكة ، وعن الإمام يحيى أخذ مشايخنا " التبصرة في أصول الدين ورويناها عنهم وكان - رحمه الله - يسمعها في مدرسته ، ويعلمها من طلبها ، فناظر الشريف العثماني وهو أشعري ، ونصر مذهب الحنابلة أهل السنة ) <sup>٤</sup> .

وقد ملأ أطراف اليمن أصحاب وتلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير ، ونشروا ما أخذوا عنه في كل مكان حلوا فيه ، ومن أشهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي <sup>٥</sup> ، وقد كان شديد الغيرة على ذلك المذهب، حتى أنه عندما أظهر طاهر بن يحيى بن أبي الخير القول بمذهب الأشاعرة بعد موت أبيه ، غضب لذلك ، وقام فيه قياماً حسناً ، وآلف في الرد عليه ، قال الجندي وهو يتكلم على انحراف طاهر ونقض توبته التي أعلنها في حياة أبيه أثناء ترجمته لسيف السنة البر يهي : ( ولذلك أجمع الفقهاء على هجره

<sup>١</sup> الأنعام (٩١).

<sup>٢</sup> طبقات الفقهاء ص ( ١٨١ ) وقد أخرج كتاب الانتصار وطبع بعد أن حقق وقدم رسالة جامعية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

<sup>٣</sup> انظر ترجمته : طبقات الفقهاء ص ( ٩١ ) والسلوك ( ٢٣٠/١ )

<sup>٤</sup> طبقات الفقهاء ص ( ١٧٧ ) .

<sup>٥</sup> مسعود بن علي العنسي أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والساترين على منهاجه منهاج أهل السنة ، وله في ذلك مواقف مشهورة ومولفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، توفي سنة ( ٦٠٤ هـ ) انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ٢١٦ ) ، وهجر العلم ( ٧٣١/٢ ) .



والإنكار عليه مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وكان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود ، ولهذا في الرد عليه كتاب كبير وأخباره يطول ذكرها <sup>١</sup> ، وبهذا تعرف غيرة هذا الفقيه على مذهب أهل السنة ، وليس وحده ولكن أجمع جميع الفقهاء الحضارين في ذلك الوقت على ما أبدى على طاهر بن يحيى بن أبي الخير من الإنكار والهجر ، ثم تسلمت الراية مدرسة أخرى هي مدرسة الإمام سيف السنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البر يهي السكسكي .

قال الجندي : ( وله كتب عدة في الأصول ، يرد بها على المعتزلة والأشعرية ، وكان كبير القدر ، شهير الذكر ، صاحب كرامات عديدة ، وكتب مفيدة ) <sup>٢</sup> ، وقد حذا طلابه حذوه في الرد على الأشاعرة وغيرهم <sup>٣</sup> ، وبأصحاب الإمام البر يهي نقطع أن مذهب أهل السنة كان ظاهراً قوياً إلى ما بعد منتصف القرن السابع ، أي إلى بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن بنحو مائة سنة حيث كان دخولهم سنة ( ٥٦٩هـ ) <sup>٤</sup> .

وبعد منتصف القرن السابع بدأت تقل المعلومات عن وجود قائمين بمذهب السلف ، ولكن مذهب السلف الصالح ما كاد ينحسر عن المناطق الشافعية حتى لمع نجمه زاهراً مضيئاً في المناطق الزيدية على يد مفخرة اليمن الإمام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير الذي عاش في أواخر القرن الثامن و أوائل القرن التاسع ، فقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في تلك المناطق ، وأشاد أركانه ، وأوضح معالمه ؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي ، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى ، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به .

وقد كتب الله له النجاح في دعوته ، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية ، راسخة القواعد طيبة الثمار ، مازال سبيلها معموراً إلى الآن ، وقد سقنا الحديث عنها في هذا المبحث ، والغرض هو تقرير أن منهج السلف الصالح في العقيدة مازال موجوداً حاضراً فاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - إلى اليوم، وذلك تصديقاً

<sup>١</sup> السلوك ( ٣٢٢/١ ) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( ١٩٠ ) والسلوك ( ٣١٨/١ ) .

<sup>٣</sup> انظر : ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في حجر العلم ( ٢١٣٤/٣ ) ، وقد توفي سنة ( ٦٦٣ )

<sup>٤</sup> انظر : قرّة العيون ص ( ٢٦٥ ) .

لقول النبي ﷺ : (( لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ))<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> تقدم تخريجه ص ( ١٠٩ ) .

## المبحث الثاني

### الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

#### وفيه أربعة مطالب :

#### المطلب الأول : طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن :

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية التي دخلت اليمن فصيلان : أما الفصيل الأول فهم القرامطة ، ويمثلهم علي بن الفضل الجدني ، وقد انتهى هذا الفصيل بانتهاه دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء سنة ( ٣٠٤هـ ) كما سبق على يد آل يعفر الحواليين السُنيين .  
وأما الفصيل الثاني فهو المنتمي إلى العبيديين أصحاب الدولة الفاطمية بمصر ، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن .

وحينما قضى أهل السنة على الدولة الإسماعيلية ككيان سياسي ، وانتهى بذلك أثر علي بن الفضل ، لم ينته أثر ابن حوشب أو منصور اليمن ، بل إنه عهد بالدعوة من بعده إلى من يقوم بها كما سيأتي في المطلب الثالث ، ولكن الذي يهمنا هنا أن الإسماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقسمت إلى قسمين : مستعلية ، ونزارية ، تبعاً للإمام الذي تبعته كل فرقة منها ، وذلك أنه بعد موت الخليفة " المستنصر " اختلف على من يخلفه في الإمامة ، فبايع قوم ابنه الأكبر " نزار " وهم النزارية ، وبايع قوم آخرون ابنه الأصغر " أحمد " وسموه " المستعلي " وهم المستعلية ، والذي يهمنا أن الذين في اليمن من الإسماعيلية ومنهم الصليحيون هم من فرقة " المستعلية " <sup>١</sup> .

ثم انقسمت المستعلية باليمن إلى قسمين هما : " الداودية " أتباع الداعي " داهود قطب شاه " و السليمانية أتباع " سليمان بن حسن " ، فالداودية هم البُهرة ، والذين ولاؤهم للزعامة الإسماعيلية بالهند ، وهم الظاهرون والذين ينصبُّ الكلام عنهم كلما ذكرت الحركة

<sup>١</sup> الإسماعيلية لإحسان المهدي طهر ص ( ٧٣٥-٧٣٦ ) .

الإسماعيلية المعاصرة ، وهم أشد تطرفاً وأكثر قبورية ، وأما السليمانية فهم الذين يطلق عليهم المكارمة ولاؤهم لزعيمهم المتواجد بنجران ، وهم أقل عدداً وأثراً من البهرة<sup>١</sup> .

#### المطلب الثاني : لمحة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن :

بعد موت ابن حوشب أو منصور اليمن ، ظل التواصل جارياً بين خليفته في اليمن عبد الله ابن عباس الشاوري وبين المهدي " المزعوم " القائم بالمغرب ، وكان قد وصل تكليف رسمي من المهدي للشاوري بالقيام بأمر الدعوة ، وفعلاً قام بها ، ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يسلم له ، وأحب أن يكون هو قائماً مقام أبيه ، وتربص بالشاوري حتى أمكنته الفرصة فوثب عليه فقتله ، ثم أعلن نفسه قائماً مقام أبيه ، وتتبع من كان مع الشاوري فقتلهم .

ثم أعلن تخليه عن مذهب أبيه ورجوعه إلى مذهب أهل السنة ، وكان قد قضى على معظم الرجال البارزين من أعوان أبيه ، ولم يبق إلا من أمكنه الاستتار ، وكان من هؤلاء : يوسف بن موسى ابن أبي الطفيل فقام بأمر الدعوة ، ثم قام بعده جعفر بن أحمد بن عباس ثم عبد الله بن محمد بن بشر ثم محمد بن أحمد الشاوري ثم هارون بن محمد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم سليمان ابن عبد الله بن عامر الزواحي ، وكان هذا الرجل عظيم الجاه كثير المال ، فكلما همَّ به أحد من الناس رد عليه قائلاً : ( أنا رجل مسلم ، أقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فكيف يحل لكم دمي ومالي ؟ فيمسكون عنه ) وهو الذي سلم الأمر إلى الصليحي<sup>٢</sup> .

وكان أبو الصليحي محمد بن علي الصليحي قاضياً سنياً فاضلاً ذا مكانة في قومه ، وكان الشاوري يزور هذا القاضي الفاضل ، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والذكاء

<sup>١</sup> الفرقة الباطنية الإسماعيلية ( رؤية من الداخل ) قراءة جديدة وحقائق معاصرة وهذا الكتاب مصنف بالكمبيوتر ولم يطبع بعد، وفيه حقائق عظيمة جديرة بالاطلاع والاعتبار بما فيها قبل أن تفوت الفرصة ويقع الفأس في الرأس ، ومؤلفه يبدو أنه انتحل اسماً مستعاراً هو ( علوي طه الجبل ) ويحق له ذلك ؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفة ، وكان من المفيد أن يجعل بنشره بين الناس .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص ( ٤٩ - ٥٨ )

والشجاعة وغيرها من مؤهلات القيام بالدعوة بل بالإمارة ، فكان يجالسه ، ويفضي إليه بالدعوة ، ويرغبه فيها حتى أقنعه .

ولم يتعجل الشاب علي بن محمد الصليحي الأمر ، ولكنه بدأ يمهّد لنفسه بخطوات وثيدة ثابتة ، فأخذ يحج بالناس عن طريق السراة والطائف لمدة خمسة عشر عاماً حتى شاع ذكره ، وظهرت شخصيته ، وعرف مكانه ، وكان قد تردد على أسنة الناس أن ذلك الشاب سوف يملك اليمن ، فكان يسمعه من كثير من الناس ولكن يجيب باستبعاد ذلك ، وإن كان في قرارة نفسه يتوقّ إليه ويزيد تصميمه على بلوغه ، وعندما حضرت الوفاة سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله ، وكانت كثيرة لعلّي ابن محمد الصليحي ، فانكب على تلك الكتب ، فقرأها ، وفهمها ، وصار من العلماء بما فيها ، وبعد أن بثّ دعوته ، واستجاب له أعداد كبيرة من الناس ، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفاطمي " المستنصر بالله " ، وذلك من جبل مسار سنة ( ٤٣٩ هـ )<sup>١</sup> .

وهكذا تأسست الدولة الصليحية ، ومازال الصليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله ، ولم يكتف بذلك ، بل أدخل الحجاز ضمن دولته ، وملك مكة وما والاها باسم الفاطميين ، وبعد مكاتبات مع خليفته في مصر ولى العهد لابنه محمد ، ولكنه ما لبث أن مات مبكراً في حياة أبيه ، فأخبر الخليفة بذلك وطلب أن يقوم بولاية العهد ابنه الآخر المكرم أحمد ، فوافق الخليفة على ذلك<sup>٢</sup> .

وفي سنة ( ٤٥٩ هـ ) عزم على الحج ، وأخذ معه من الأموال والنفائس ما لا يقدر بثمن ، كما حمل معه جميع الملوك والأمراء الذين أجلاهم عن الملك ، وحبسهم لديه ؛ خوفاً من تمردهم ، أخذهم جميعاً معه إلى الحج ، وعددهم خمسون ملكاً ، وترك ابنه ولي العهد بصنعاء ، وسار من طريق تهامة في مرافقين آخرين ، وكان في موكبه ألفا فارس ، غير أن أولئك الفرسان لم يكونوا مرافقين له ، وإنما كان قد قدمهم أمامه ، وسار هو في مجموعة صغيرة من

<sup>١</sup> المفيد من أخبار صنعاء وزيد ص ( ٩٥ - ١٠٠ ) تأليف عمارة بن علي اليمني ، طبع دار السعادة بالقاهرة ، الطبعة الثانية

( ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ) .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص ( ٩٥ - ٩٨ ) .

آل الصليحي وبعض المقربين<sup>١</sup>. وكان من جملة الموتورين منه آل نجاح حكام زبيد الذين أزالهم عنها ، وسلبهم دولتهم ؛ فكانوا يتربصون به الدوائر ، فلما علموا بسفره رصدوه ، ثم تجهزوا في جهاز غير طائل ، ولكن توفيق الله سبحانه ، ونصره تنزل عليهم ففاجأوه بمنطقة يقال لها "المهجم" من تهامة ، فأعملوا في معسكره سلاحهم البسيط ، فقتلوه ، وقتلوا أخاه ، وغنموا جميع ما في المخيم من أموال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير ذلك ، ثم احتزوا رأسه ورأس أخيه ، وحملوهما مع النساء اللاتي أسروهن ، ومنهن أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي وأم أولاده ، وقد نصبوا رأس الصليحي وأخيه على رمحين ، ووضعوهما أمام أسماء على الراحلة ، ثم بعد ذلك نصبوهما أمام الطاق الذي تسكنه بحيث كلما نظرت من الطاقة رأتهما أمامها ، وتم لسعيد الأحوال النجاشي وإخوانه الاستيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاشية السنية هناك ، وكان قتله يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة سنة ( ٤٥٩هـ )<sup>٢</sup> ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة ، وقيل أقل من ذلك<sup>٣</sup>.

في أثناء ذلك كانت أم الملك المكرم قد هربت إليه رسالة ، تحثه فيها على العمل على فك أسارها ، وبالغت في ذلك حتى قالت في الرسالة : ( أنها حبلى من العبد سعيد الأحوال ) ، ولم يكن شيء من ذلك ، وإنما قصدها حثه على الإسراع حيث قالت : إن تأخرت عن إطلاقي تمت الفضيحة حين ألد بولد لذلك العبد ، واستغل المكرم تلك الرسالة أحسن استغلال ، فكان يقرأها على الناس في المساجد والمجامع ، ويثير بها نخوتهم ، فألب الناس ، وجهاز لاستعادة زبيد ، وفك أسر أمه ، وسار في عشرة آلاف شخص حتى داهموا زبيد ، واقتحموها ، وهزموا بني نجاح ومن معهم ، ويمم المكرم تحت الطاق الذي فيه أمه ، فأطلقها ، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق ، فغسلهما ، ودفنهما في زبيد ، وبنى عليهما مشهداً ، هو ثاني مشهد يثبت التاريخ في

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٩٩ ) .

<sup>٢</sup> المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص ( ١٢٦-١٢٧ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٨ ) ، وانظر : التعليق رقم ( ١ ) على نفس الصفحة

اليمن<sup>١</sup> ، وعند عودته مرّ بالمكان الذي قتل فيه أبوه وعمه ، فأخذ جثتيهما معه إلى صنعاء<sup>٢</sup> بوينى عليهما مشهداً في صنعاء ، ثم حاول استعادة ملك أبيه ، فأفلح في البعض ، وأخفق في البعض الآخر.

وكان قد أصابه الريح حين كشف عن وجهه أمام أمه<sup>٣</sup> في زيد ، وبقي مريضاً بذلك ، ولكنه بقي ماسكاً بزمام الملك حتى ماتت أمه أسماء سنة ( ٤٧٩ هـ ) ، بعد ذلك فوّض الأمر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية ، وهي التي يسميها العامة وأشباههم " الملكة أروى " ، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفر ، وهو الذي يسمى اليوم " إب " .

وفي عام ( ٤٨٤ هـ ) مات المكرم ، فأُسند أمر الدعوة إلى الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي ، وبقي الملك بيد السيدة بنت أحمد حتى ماتت سنة ( ٥٣٢ هـ ) ، ودفنت في جامع جبلة يسار القبلة ، وقيل أن قبرها كان في موضع خاص قد استتنته من الوقف حين أوقفت أرض المسجد على العموم فهو يعتبر ضمن المسجد .

وبعد موت الملكة بدأ التحلل في الدولة الصليحية وبدأت النواحي تستقل ، فبعد استقلال النجاشيين بتهامة وعاصمتها زيد في حياة الملكة استقل بعد موتها الزريعيون بعدن والجند وما بينهما والياميون بصنعاء و مخاليفها ومعظم اليمن الأعلى ، وهكذا تساقطت مدنها وحصونها حتى كانت نهايتهم سنة ( ٥٣٢ هـ ) .

#### سياسة الدولة الصليحية في تبني ونشر الإسماعيلية :

مرّبنا أن الدعاة الإسماعيليين توارثوا الدعوة بعد منصور اليمن على نفس المنهج ، وكان آخرهم سليمان الزواحي ، الذي سلّم الراية لعلي بن محمد الصليحي ، ودرّس علي بن محمد الصليحي الإرث الإسماعيلي ، وفهمه حتى صار من دعاة ، ولكنه بعد أن أقام دولته انشغل

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ١٣٤ ) .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص ( ١٣٤ ) . وانظر: الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري " العاشر الميلادي " وحتى نهاية القرن العاشر الهجري " السادس عشر الميلادي " " دراسة أثرية معمارية " ص ( ٣٩ ) ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الإسلامية من قسم الآثار كلية الآداب جامعة صنعاء د. علي سعيد سيف ، كتاب مصغوف بالكمبيوتر ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م )

<sup>٣</sup> المفيد ص ( ١٣٣ )

بالسياسة عن الدعوة ، وهكذا خلفاؤه : ابنه المكرم وسبأ بن أحمد لم يعرف عنهما الانشغال بالدعوة بأنفسهما ، ولكن هناك دعاة عاصروهما ، قاموا بما يجب نحوها ، ومع ذلك لم يظهر من الصليحيين إجبار لأهل السنة أو الزيدية الذين دخلوا تحت حكمهم على اتباع مذهبهم ، والذي يبدو أن الشعار الظاهر هو ترك أهل كل مذهب يعملون بمذهبهم في خاصة أنفسهم ، ولكن ولاتهم ودعاتهم كانوا يعملون في الخفاء ؛ للإيقاع بخصومهم الذين يعلمون بغضهم لهم وتكفيرهم إياهم ، ويعملون المكائد لتفريقهم وإشغال بعضهم ببعض ، و من الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجندي في ترجمة الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي بعد أن ذكر فضل الشيخ وسعة علمه وكثرة طلابه حتى لقد أصبح طلابه أكثر عدداً من طلاب شيخه أبي بكر ابن جعفر بن عبد الرحيم المحابي ، وقد كانا يدرسان في مسجد الجند جنباً إلى جنب ، ولم يكن بينهما شيء من المنافسة ، قال : ( ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم ، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند ، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما ، يقبرون وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين ، والمفضل يومئذ بقصر الجند ، فحانت منه نظرة إلى المقبرة ، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين ، فسأل عن ذلك فقيل : قبر ميت غالب من حضره من الفقهاء ، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتله ، و قال : " هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة ، فكيف مع الكثرة ؟ ثم قال لحاضري مجلسه : انظروا كيف تفرقون بينهم ، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف " ، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً ، ويعزلونه ، ويولّون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر ، ثم يولّون إمامة الجامع كذلك ، ثم النظر في أمر المسجد كذلك ، حتى ظهر السباب بين الحزبين ، وكاد يكون بين الإمامين ، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهاجراً إلى مكة <sup>١</sup> ، فالكيد والدس ثابت عليهم ، ولعلّ الجو لم يساعدهم بشكل كبير و واضح على دعوة عامة الناس إلى مذهبهم ، أما الدعوة السرية والفردية فهي قائمة لاشك ، وقد كسبوا لهم أتباعاً مازالوا يسيرون على منهجهم إلى اليوم .

<sup>١</sup> السلوك ( ٢٦٣/١ ) ، ملاحظة : على العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله الاعتبار بهذه الحادثة و الانتباه لمكائد الخصوم الذين يعملون على تفريق الكلمة وتشيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله .



ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحط الواجبات :

ذكر الحمادي اليماني - رحمه الله - أنه كان يسمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة "الصليحية الباطنية" ، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشاع تلك الأخبار : أتشهد بذلك ؟ قال : لا ، إنما سمعت الناس يقولون ذلك فقلته ، قال : ( فرأيت أن أدخل في مذهبه ؛ لأتيقن صدق ما قيل من كذبه ؛ ولأطلع على سرائره وكتبه )<sup>١</sup> ، ثم بدأ بذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم ، وكيف يحلون له الخمر ، وهم في كل ذلك يستدلون بالآيات بعد أن يحرفونها عن مواضعها ، ثم بعد اجتياز تلك المراحل ، يترقون به إلى ذلك الفعل الشنيع الذي أشيع عنهم ، فقال : ( فإذا صح عندك حاله ، فاذهب به إلى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول : سمعاً وطاعة لله و لمولانا ، فيمضي به إلى بيته ، ويبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب ، وقال : " قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكر ذلك المخدوع له فيقول : " ليس هذا من فضلي . هذا فضل مولانا " ، فإذا خرج من عنده تسمع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون ، ثم يقول : لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك " ، فيدفع اثني عشر ديناراً ، ويصل به ويقول : يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس ، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، و أطفئت السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده ، ثم أمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له ، فيقول له : " ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفره على ما أطلق من وثاقتكم ، ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ، ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ " )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> كشف أسرار الباطنية ( ٦٣ ) .

<sup>٢</sup> فصلت الآية ( ٣٥ ) .

قال محمد بن مالك -رحمه الله تعالى- : ( هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته عالم به ، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزي الله من كذب عليهم ، وأعد له جهنم ، و ساءت مصيراً ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته )<sup>١</sup>

هذا ما ذكره الحمادي عن علم وخبرة ، فهل يسلم له ذلك ويتابع عليه ؟

أقول : أما الحمادي فلم تُرو له ترجمة مفصلة في أي كتاب من كتب تواريخ اليمن التي يتداولها الناس ، حتى إن القاضي محمد بن علي الأكواع عند تحقيق كتابه ذلك لم يعثر له على ذكر إلا في طبقات فقهاء اليمن للجعدي ، حيث قال : ( وفي رسالة محمد بن مالك الحمادي ) ، وكذلك في كتاب السلوك للجندي ، قال في سياق كلامه عن علي بن الفضل : ( على ما ذكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك ابن أبي القبائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة ، وكان ممن دخل في مذهبهما منصور و "ابن الفضل أيام الصليحي و تحقق أصل مذهبهما ، فلما تحقق فساد ذلك ، رجع عنه ، وعمل رسالة مشهورة يخبر بأصل مذهبهم ، ويبين عوارهم ويحذر من الاغترار بهم )<sup>٢</sup> ، ولذلك فإن الجزم بصدق ما يقول لا يليق بالباحث المنصف ، غير أن بعض ما ذكره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنه ، فترتيب الدعوة عند الفاطمية الإسماعيلية بمصر تشبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي ، وقد ذكر ذلك المقرئزي ، وهو غير متهم عليهم ؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتاريخهم لا يفهم منه إلا احترامهم واعتبارهم من خيار الخلفاء ، كما أن له كتاباً خاصاً بتاريخهم أسماه " اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"<sup>٣</sup> ، وهو من بين العلماء القلائل الذين أثبتوا انتساب الفاطميين إلى علي عليه السلام ، فأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً .

<sup>١</sup> كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( ٦٣-٧٠ )

<sup>٢</sup> مقدمة كشف أسرار الباطنية ص ( ٤٥-٤٦ ) .

<sup>٣</sup> طبع في القاهرة سنة ( ١٣٨٧هـ ) .

وقد وصف المقرئ في خطه ترتيب الدعوة ، وقد جعلها تسع مراتب ، وفي المرتبة التاسعة قال : ( هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه ، فإذا تيقن أن المدعو تاهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة ، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية ، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه ، وقال : ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر ، وأن الوحي إنما هو صفاء النفس ؛ فيجد النبي في فهمه ما يلقي إليه ، ويتنزل عليه ؛ فيبرزه إلى الناس ، ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة ، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء ، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته ؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه ، وماعدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة ، لمعرفة الأعراض والأسباب ، ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة ، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة ، وأن الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه ، وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم ، وهذا حاصل علم الداعي ، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها ، اختصرت ما تقدم ذكره )<sup>١</sup> .

وفيما أورده المقرئ في شاهد لمراتب الدعوة ، وإن كان الحمادي قصر بها عن عدد تلك المراتب ، كما فيها شاهد على إسقاط الواجبات والتكاليف ، كما ذكر الباحثان إحسان إلهي ظهير في " الإسماعيلية " والدكتور سليمان عبد الله السلومي في " أصول الإسماعيلية " أن للإسماعيلية كتباً في تأويل أركان الإسلام وعباداته من أشهرها كتاب " دعائم الإسلام " و " تأويل دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن حيون المغربي ، ونقلنا عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركان والعبادات ما يلغيها فعلاً ، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لديهم معضون عنها )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> المخطوط المقرئ ( ١٣٣ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> الإسماعيلية تاريخ وعقائد من ص ( ٤٩٩ - ٥٢٢ ) ، وأصول الإسماعيلية ( ٢ / ٦٤٩ - ٦٦٢ ) .

كما اعترف بأصل ذلك أحد باحثيهم المعاصرين وهو الدكتور مصطفى غالب في "تاريخ الإسماعيلية"، حيث قال : ( وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية و ما جاء في القرآن هي معانٍ يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم )<sup>١</sup> .

وتبقى قضية إباحة الفاحشة سواء إحلال النساء بالانفراد أو في المشهد الأعظم - كما عبر عنه الحمادي - فهذا الجزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشهد له ، وإن كان مبدأ التأويل ونسخ الشريعة يسعه ويتضمنه ، ولكنهم أنفسهم ينكرون ذلك غاية الإنكار ، كما صرح بذلك الغزالي في رده عليهم<sup>٢</sup> ، ولذا فأنا عاجز عن نفيه أو إثباته على سبيل القطع ، ولا أحب أن أقذف أحداً بما لم يثبت لديّ بيقين ، خصوصاً في مثل هذه التهم القبيحة التي تنكرها الفطر السليمة ، والشيم الأصلية ، فضلاً عن الدين القويم .

#### المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن :

لم يثبت في تاريخ اليمن وجود قبر معظم عليه مشهد أو مسجد قبل العقد الثاني من القرن الخامس إلا ما ذكر مما يسمى مسجد الشهيد بن صنعاء الذي قيل أنه على قبري قثم وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن العباس ؑ ، والذين قتلها بسر بن أرطاة والي معاوية ؓ على اليمن الذي أرسله أثناء الفتنة بينه وبين علي ؑ ، فقد قيل : إنه بُنى على قبريهما مسجد ، وهذا الذي قيل ذكره المتأخرون من مؤرخي اليمن مثل الجندي حيث قال : ( وقبر الطفلين مشهور بصنعاء في مسجد يعرف بمسجد الشهيدين )<sup>٣</sup> والخزرجي حيث قال : ( فدفن الولدان حيث قتلوا وبني عليهما مسجد هو معروف<sup>٤</sup> ، وقال مثله ابن الديبع<sup>٥</sup> ، وقال العرشي :

<sup>١</sup> تاريخ الإسماعيلية ص ( ٤٢ ) .

<sup>٢</sup> فضائح الباطنية ص ( ٣٠ ) لأبي حامد الغزالي طبع دار البشير عمان ط الأولى ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ١٧٣/١ )

<sup>٤</sup> المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك - مخطوط مصور صورته وزارة الإعلام والثقافة ضمن مشروع الكتاب ١/٦ ( ٧٠ ) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ( ٣٩ ) تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني سنة ( ١٩٨٣ م ) . وفي قرة العيون مصدر سابق ( ٧٠ ) .

فقبرا بصنعاء بالشهيدين ، و بهما سمي <sup>١</sup> ، فهذه المراجع كلها كما ترى تثبت وجود المسجد على القبر ، ولكن متى بني ذلك المسجد ؟ ومن الذي بناه ؟.

عبارتهم بلفظ المبني للمجهول وهي لا تفيد تحديد من بنى أو متى بُني ، كما أن العرشي يثبت أن القبر بذلك المسجد ، وهو أيضاً لم يحدد تاريخ بناء المسجد ، فالذي نفهم من هذه العبارات أنه في أيام أولئك المؤرخين يوجد مسجد ، يقال : إنه على قبر ذينك الطفلين ، لم يحدد أحد منهم ولا من غيرهم متى بني ، ومما يؤكد أنه لم يكن موجوداً في الزمن الأول أن المؤرخ إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني المتوفى سنة (٤٥٠هـ) ذكر الحادثة وقتل الطفلين في باب المصرع ، ولم يذكر بناء المسجد عليهما <sup>٢</sup> ، وكذلك الرازي المتوفى سنة (٥٦٠هـ) ذكر المصرع ، وصرح بقوله : ( الموضع الذي يباع فيه السليط وموضع الحدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد ، وكانت مقبرة غمدان حيث يحدد الحدادون اليوم بصنعاء ، والله سبحانه وتعالى أعلم ) <sup>٣</sup> ، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكره ، وبهذا نعلم أن المسجد أو المشهد المشار إليه إنما بني بعد ذلك على عادة القبورية الذين يتتبعون المناسبات ، وعلى أثرها يبنون على البقعة التي يتوهمون أنها موضع القبر ، فتصبح بذلك مزاراً ، ولهذا فإن الدكتور "علي سعيد سيف" في رسالته الأضرحة في اليمن لم يثبت هذا المسجد ضمن الأضرحة التي تناولها بالدراسة ، وإنما ذكرها في التمهيد فقط ، وقال : ( ولكن يستشف من بعض الروايات ) <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديع عالم محدث مؤرخ ، من علماء زيد ، و إليه ينسب المولد المشهور بمولد "الديعي" ، لديه تناقض كبير ، فبينما هو من أهل الحديث والفقه إذ به يأتي في ذلك المولد بالطامات ، وهذا شأن من سلم لأهل التصوف ، فإنه لا يكاد ينفعه ما لديه من العلم ، وخير مثال على ما أقول هذا الرجل والشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح في الحديث وطبقات الخواص المليء بالدجل والخرافة . توفي ( ٩٤٤ هـ ) . انظر ترجمته : النور السافر ص ( ١٩ ) والبدر الطالع ( ٣٣٥/١ ) .

<sup>٢</sup> بلوغ المرام ص ( ٩ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ صنعاء للطبري المذكور ص ( ٢٥ ) تحقيق عبدالله الحبشي ، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ .

<sup>٤</sup> تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص ( ٨٥ ) تحقيق حسين عبدالله العمري ، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببيروت ، ودار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ( ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ هـ ) .

<sup>٥</sup> الأضرحة في اليمن ص ( ٢٨ ) .

وقد اجتهدت في توضيح هذه المسألة حتى لا يقال أن هناك مشهداً من أيام الصحابة ؛ فيتخذ حجة للقبوريين ، ومثل ذلك يقال في المسجد المبني على قبر الشريف العراقي ، وهو الطبيب العراقي الذي كان يعمل في اليمن في صنعاء ، فلما سمع بما يفعله علي بن الفضل بالإسلام والمسلمين نذر على نفسه أن يقتله ، فذهب إلى عاصمة ابن الفضل "المنذخرة" وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل ليكون طبيباً له ثم احتاج ابن الفضل إلى الفصد ففصده بمبضع مسموم فمات ابن الفضل وهرب الطبيب إلى موضع يسمى " قينان " بوادي السحول فقتل هناك ، قال الجندي : ( وقبره هنالك ، وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك به ، دخلته في المحرم أول سنة ست وتسعين وستمائة )<sup>١</sup> .

وقد علق على ذلك القاضي الأكوع فقال : ( والقبر لا يزال موجوداً ، وهذه القصة ظاهرة عليها الصنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشة )<sup>٢</sup> .

أما ابن الديبع فقال : ( فأدرك في السحول عند المسجد المعروف بقينان ، فأرادوا إمساكه ، فامتنع وقاتلهم حتى قتل ، وقبره هناك رحمه الله )<sup>٣</sup> . وهذا - كما ترى - ليس فيه ذكر المسجد الذي على القبر وعلى كل حال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتاريخ بناء المسجد الذي على القبر ولا من بناه ، فليس فيه أي حجة على وجود مسجد على القبر قبل التاريخ الذي ذكرته سابقاً ، وهو العقد الثاني من القرن الخامس ؛ لأن هذا المسجد لو صح أنه بني عند مقتل ذلك الرجل لكان في القرن الرابع ، حيث أنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيام ، ولكن ذلك لم يصح ، وبهذا يثبت أن المشاهد الثابت بناؤها هي التي أسستها الدولة الصليحية الإسماعيلية ، غير أنه - ومن باب الأمانة ومعرفة الحقيقة - قد ثبت أن هناك مشهداً واحداً ، سبق الدولة الصليحية بسنوات ، وهو لا يمت للقبورية بصله ؛ لأنه من مشاهد السلاطين لا من مشاهد الأولياء والصالحين ، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمراء بني زياد وعمته ، إذ إن وزير ذلك الأمير الطفل - ويسمى نفيساً - كان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المرأة كانت تكتب خصمه ومنافسها نجاحاً ، وكان وقتها فاراً من زييد بسبب

<sup>١</sup> السلوك ( ٢١٢/١ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق الموضع نفسه .

<sup>٣</sup> فرة العيون ص ( ١٥٠ ) .

تسلط نفيس، فقتلها، وقتل الطفل، ثم بنى عليهما جداراً، فلما علم نجاح بذلك اتخذه ذريعة للانقضاض على خصمه، وجمع الجموع، ثم هجم بهم على زبيد في عدة وقائع، آخرها سنة (٤١٢هـ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجاح زبيد سأل مولاه مرجان: (ما فعل مواليك وموالينا؟ قال: في ذلك الجدار، فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما، وبنى لهما مشهداً، وأعاد مرجاناً في موضعهما، فبنى عليه حياً وعلى جثة نفيس) <sup>١</sup>.

وقد ذكر مثل ذلك ابن الديبع في الفضل المزي <sup>٢</sup>، وقريباً منه الخزرجي في المسجد المسبوك <sup>٣</sup>، وهذا أول مشهد بني على قبر في اليمن حسبما اطلعت عليه في كتب التاريخ اليمني، وليس هو مما يخشى منه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينية، وإن كان هو من الأمور المحرمة، ومن نتائج الجهل وتوسيد الأمور إلى غير أهلها، مع أن النجاحيين من السنة، وليسوا من الشيعة رواد القبورية في العالم، ولكن السبب - والله أعلم - هو النزعة السلطانية والكسب السياسي بإظهار وتعظيم ذلك الوزير لأسياده ووفائه لهم بعد أن أصبح هو الوريث لدولتهم، وما أظن أن هذا سوف يحصل لولا أن ظاهرة تقديس القبور وتعظيمها قد فشت في البلاد الإسلامية المجاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

#### مشاهد آل الصليحي:

الدولة الصليحية إسماعيلية العقيدة، فاطمية الولاء، متأثرة كل التأثر بأسيادها العبيديين في مصر، وقد مر بنا دور العبيديين في نشر القبورية، فلا غرابة أن يكون الصليحيون على منوالهم، وأن يسيروا على طريقهم، ولا مانع أن نجزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

#### مشهد الرأسين:

مر بنا أن بني نجاح عندما قتلوا على بن محمد الصليحي وأخاه أخذوا رأسيهما، فنصبوهما بزبيد أمام طاق زوجة الصليحي "أسماء بنت شهاب"، وعندما هاجم الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي زبيد لاستنقاذ أمه من الأسر، واسترجاع ملك أبيه، أنزل الرأسين،

<sup>١</sup> المفيد ص (٨٥-٨٦).

<sup>٢</sup> الفضل المزي ص (٥٥).

<sup>٣</sup> المسجد المسبوك ص (١٠٤).

ودفنهما في زيد ، وبنى عليهما مشهداً . قال عمارة : ( وأنا أدركت مشهد الرأسين )<sup>١</sup> ، وكان ذلك سنة ( ٤٦٠ هـ ) .

مشهد الصليحي بصنعاء :

وعند عودة الملك المكرم إلى صنعاء نبش قبري أبيه وعمه ، ثم حمل جثتيهما في تابوتين ، ودفنهما في صنعاء وأمر ببناء مشهد جامع لهما<sup>٢</sup> ، وهو بذلك أخذ بسنة المعز الفاطمي الذي أحضر معه رفات آبائه عندما انتقل من المغرب إلى مصر ، وبنى عليهما التربة الشهيرة التي تسمى " تربة الزعفران " وقد سبق الحديث عنها .

قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة :

قال الهمداني : ( وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة توفيت الملكة الحرة عن اثنتين وتسعين سنة من العمر ، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجامع ، وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع ، وهيأت موضع قبرها فيه . وذكر إدريس : أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع ، ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى تابوت ، فوجدوا فيه قفصاً مقفلاً ، ففتحوه ، فأصابوا فيه كتباً وأحكاماً ، تشهد أنها استثنت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه ، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة الشهود الثابتة عند الحكام ، فردوا قبرها على ما كان عليه ، وردوا تربته وحجارته إليه ، " ويقول إدريس : " وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الإسلام ، ويعترف بفضلها الخاص والعام ، ويأتي إلى قبرها من أصيب بظلم ، أو حاجة ، أو علة في بدنه ، أو بليّة ، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها " )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> المفيد ص ( ١٣٤ ) .

<sup>٢</sup> الصليحيون ص ( ١٣٤ ) وفي الهامش يقول : ( نقل صاحب العيون " ١١٦/٧ " ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره ، وهدموا مناره ، فإن عنايتهم في ذلك كثيرة ، وفي هدم القبور أفعال نكيرة ، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ويسأفون عنه وهؤلاء يقدّمون ) ، قلت : وهذه هي حجح القبورية في كل زمان ومكان ، يتأكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة التي أمر النبي ﷺ بتسويتها . انظر للمزيد عن مشهد الصليحي بصنعاء : الأضرحة في اليمن ( ٣٩ ) .

<sup>٣</sup> الصليحيون ص ( ٢٠٧-٢٠٨ ) وانظر : الأضرحة ص ( ٢٤٠ ) وما بعدها .



وفيها وفي قبرها يقول القاضي حسين بن أبي عمران بن الفضل اليامي :

وقفت على قبر الوحيدة وقفة	وقد زين منها مسجدٌ وستورٌ
فقبلته واستفتُ رأياً ترابه	وعاود قلبي رنةً وزفير
وسالت دموع العين مني كأنها	بشطٍ مجاري المقلتين سطور
ولله منها روحٌ قدُسٌ تميزت	فصارت بأعلى الدائرات تطير <sup>١</sup>

مشهد العباس :

هذا المشهد كما يقول - الدكتور علي سعيد سيف - يقع في منطقة أسناف خولان إلى الشرق من مدينة صنعاء على يمين الطريق المار بين صنعاء وخولان الطيال ، ويبعد عن صنعاء بحوالي (٢٠) كم، ويحتل المسجد الضريح ربوة مرتفعة تقع جنوب قرية أسناف ، وتتبع إدارياً مديرية خولان التابعة لمحافظة صنعاء<sup>٢</sup> ، وذكر الدكتور أن العباس صاحب الضريح غير معروف ، ولكن بناء الضريح كان بتاريخ (شهر ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة)<sup>٣</sup> ، وهذا التاريخ يأتي أثناء حكم الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية غير أن الدكتور يرجح أن يكون باني الضريح واسمه "موسى بن محمد القطبي"<sup>٤</sup> كان من السلاطين السنيين الذين عاشوا في تلك الفترة ، وربما يكون أميراً أو شيخ قبيلة ، أطلق عليه لقب سلطان ، ولست أوافق الدكتور على ذلك الاستنباط ، فما دام العصر عصر الصليحيين ، وهم في عصر قوتهم فلن يكون هناك مجال لسلاطين سنيين ، فلم لا يكون ذلك الرجل وال من ولاية الصليحيين ؟ خصوصاً والدكتور يقول فيما بعد : (ومن المحتمل أن معمار هذا الضريح قد نهج نهج معمار الدولة الصليحية في جامع جبلة والذي يتشابه في كثير من الأوجه مع عمائر الدولة الفاطمية بمصر ؛ لما كانت بينهما علاقات)<sup>٥</sup> ، أليس نسبة هذا الضريح إلى الصليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السنة ؟ بلى ، والدلائل قائمة ، فهم الحاكمون ، وهم الذين ابتدأوا

<sup>١</sup> الصليحيون ص (٢٠٨)، وهذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبل قبر الملكة ، و أن يستف ترابه فهذه ديانتهم .

<sup>٢</sup> الأضرحة ص (٤٩) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق نفس الموضوع .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٤٩ - ٥٨) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (٥١) .

بإنشاء المشاهد في اليمن ، وطريقة بناء الضريح كطريقتهم ، وعليه فالمرجح أن هذا الضريح من عمل الصليحين ، والله أعلم .

#### المطلب الرابع : استمرار قبورية الإسماعيلية:

بانتهاؤ الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن ، ودخلوا دور السُّر الثاني ، ولكن دهاتهم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد ، ولذلك فقد كلف ( القاضي لمك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن ، وأنه لُقّب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي ، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة ، وقد اختار هذا الداعي نخبة من التلامذة الأفاضل البعيدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن لمك و الذؤيب ابن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي ، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر )<sup>١</sup> ، وبهذا كَوَّنوا الأساس المتين لصرح دعوتهم الذي يعول عليه في بقائها واستمرارها حتى إن ذهبَت الدولة ، بقيت الدعوة محافظة على كيانها ، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقول الهمداني : ( نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي ، وجمع شتات التراث الفكري ، وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين ، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية ، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي ، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج ، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوتها من العلوم إلى اليمن . ثم قررت

<sup>١</sup> الصليحيون ص ( ٢٦٨ ) .

السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة عن شؤون الملك ، وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية ، فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي ، و مأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري ، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ، و مأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي ، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد ، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به . وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته . وقد وصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة ، بل إلى أيامنا هذه . ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية ( ١ ) . وكانت هذه الجهود في أكثر الأحيان محاطة بالسرية التامة ؛ وذلك لمحاربة اليمنيين لها سواء في ذلك أئمة الزيدية أو سلاطين الشافعية ، ولكن كل ذلك لم يفت في أعضادهم ، أو يوهن عزائمهم ، فاستمروا ، وعندما جاءت التعددية الحزبية وحرية الرأي التي تجاوزت الحدود لإعطاء الحرية لأصحاب العقائد الضالة والمبادئ الهدامة والدعوات المشبوهة ، عندما جاء هذا العهد ، استغلت الإسماعيلية الفرصة ، وبدأت تزاوّل نشاطها بجرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بالخطر على البلاد اليمنية ، وتداعوا إلى اليمن من كل حذب وصوب ، وصار اليمن من أسكن حج البهرة الإسماعيلية ، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيريهم عشرات الآلاف كل عام ، والعمل الظاهر الذي يمارسونه هو تتبع الأضرحة والقبور المنسوبة إلى أئمتهم ودعائهم ، واليك قائمة بأهم المشاهد والقبور والمزارات التي يقصدونها :

- (١) قبر الداعي إبراهيم بن حاتم الحامدي الهمداني الحاشدي اليامي في قرية "الحطيب" عزلة شرقي حراز - قضاء حراز - ويعتبر أهم مزار للإسماعيلية الداودية البهرة ، ومتوسط من يزوره سنوياً من غير باطنية اليمن خمسة عشر ألف نسمة ، خاصة من الهند وباكستان ، والداعي المذكور مؤلف كتاب " كنز الولد " .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٢٩٨) .

(٢) قبر الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي في الجامع الكبير بمدينة جبلة محافظة إب .  
 (٣) قبر إدريس عماد الدين صاحب كتاب "زهر المعاني" المقبور تحت قمة جبل شمام حراز (٢٩٢٠ متر فوق سطح البحر) ، وتجري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسماعيلية لإقامة مسجد على قبره ؛ رغم عدم وجود سكان في هذا الجبل الإستراتيجي ، والذي يعد من أهم المواقع العسكرية في المنطقة متحكم في طريق صنعاء الحديدة ، ويطل على كل قضاء حراز .

(٤) قبر في جبل الصميع في عزلة هوزان قضاء حراز محافظة صنعاء ، لم يُعرف اسم صاحبه .

(٥) قبر الداعي لمك بن مالك في حصن زبارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء .

(٦) قبر الحسين و الحسن ابني إدريس عماد الدين في قمة جبل مسار ، من عزلة مسار ، قضاء حراز ، ونشك في أصل وجود هذين القبرين المندثرين بعد أن كشف عنهما بزعم الباطنية ، وهذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصليحية في اليمن ، وهو موقع هام واستراتيجي مرتفع عن سطح البحر (٢٧٦٠) متراً ، ولا زال أهله صامدين أمام هذه الطائفة رغم كثرة الإغراءات والضغط .

(٧) قبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة .

(٨) قبر في غيل بني حامد عزلة بني مونس ، قضاء همدان محافظة صنعاء .

(٩) قبر في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضاء همدان محافظة صنعاء .

(١٠) قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد .

وهناك مساجد يخصصونها بالزيارة وليس هناك سبب ظاهر لزيارتها :

(١) الجامع الكبير بصنعاء<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> قال زبارة في نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ط الثانية (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) (٣/٣١٢): قال صاحب مطلع الأعمار ، ونقلت من خطه أن القبر الذي غربي الصومعة الشرقية بجامع صنعاء هو قبر الحسن ابن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن العباس بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب انتهى . قلت : فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم .

( ٢ ) مسجد معاذ بن جبل بالجند .

( ٣ ) مسجد في حرف سفيان .

( ٤ ) حصن دمرمر من بلاد حضور ، وهذا الحصن قد كان يوماً مقراً لآل حاتم اليامين ، وقد قيل : إنهم كانوا إسماعيلية باطنية ، وممن ذكر من أهلها "محمد بن أحمد اليامي" ، ووصف بأنه عالم الإسماعيلية وشاعرها<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> انظر حجر العلم (٧٩٦/٢-٧٩٧)

### المبحث الثالث

## السلطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول : السلطين هم وراء مظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية :**

لعل أعظم نزعة لدى السلطين دفعت بهم إلى إنشاء المشاهد ومظاهر العظمة على القبور : هي أبهة الملك ، ومحبة استمرار ناموس الملك بعد الوفاة كما كان حال الحياة ، كما صرح به المقرئزي وهو يتحدث عن تربة أسرة آل قلاوون بالقاهرة<sup>١</sup> ، مع بواعث أخرى تقدم الحديث عنها في الفصل الثالث<sup>٢</sup>.

ومن أجل الباعث الأول المشار إليه أصبح السلطين وراء معظم مظاهر القبورية في اليمن ، فأول مشهد عرف وثبت وجوده في اليمن على الإطلاق هو مشهد الزياديّين ، الذي بناه مولاها نجاح على جثتيهما عندما أنزلهما عن الجدار ، وقد تقدم<sup>٣</sup> ، كما أن السلطان أسعد ابن وائل من أوائل من دفنوا في المساجد في الديار الشافعية إن لم يكن أولهم<sup>٤</sup>.

و أول قبة بنيت في حضرموت على الإطلاق هي قبة السلطان مسعود بن يمان المتوفى سنة (٦٤٨هـ) ° ، وهذه المشاهد كلها قبل رسوخ التصوف في اليمن ، وحتى أول مشاهد الدولة الصليحية التي سبق الكلام عنها والتي هي أول المشاهد المنظمة والمتوالية- والتي بقي أثرها إلى اليوم- هي كذلك في بدايتها كان لدافع عظمة السلطان دخل كبير فيها ، ثم جاءت الدولة الأيوبية وكان معظم سلاطينها يدفنون إما في قباب خاصة ، كما دفن المعز إسماعيل

<sup>١</sup> الخطط المقرئزية ( ٤٨٠/٣ ) .

<sup>٢</sup> انظر ص ( ٢١٩ ) .

<sup>٣</sup> انظر المفيد في أخبار صنعاء وزيد ص ( ٨٦ ) .

<sup>٤</sup> السلوك ( ٤٨٥/٢ )

° الفرائد في قيد الأوابد للعلامة المورخ عبد الله بن حسن بلفقيه ، مخطوط بمكتبة الأحقاف بترم ، لدي صورة منه .

ابن طغتكين في قبة خاصة به في زيد تعرف بقبة الخليفة<sup>١</sup>، أو في مدارس أو نحوها، وإعطاء صورة لما عليه سلاطين اليمن من اهتمام بالمشاهد والقباب لأهداف مختلفة أضرب مثالين، أحدهما لأئمة الزيدية، والآخر لسلاطين الدولة الرسولية، وذلك في المطلبين التاليين.

#### المطلب الثاني : أئمة الزيدية ودورهم في نشر القبورية في اليمن :

رغم أن الغلو لدى الزيدية الأولى لم يكن خارجاً عن الحد، ورغم أن اتجاهها هو اتجاه المعتزلة المعتمدين على العقل النافين للخوارق والكرامات كما هو معلوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن - وبعد قرون من إنشاء دولتهم وتتابع العشرات من أئمتهم- نجدهم ينحرفون انحرافاً شديداً في هذه المسألة، والذي يظهر - والله أعلم- أن باعث الأئمة لذلك كان باعثاً سياسياً أكثر منه باعثاً عقدياً، و لكن وجود المشاهد والقباب و وجود سدنة يتأكلون منه، و يبنون بها مجدداً و جاهاً على انقراض عقائد الأمة حولها إلى مزارات مقدسة يعتقد فيها العوام وأشباههم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، و من أجل السياسة أيضاً يتغاضى الأئمة عن ذلك و يتركون العامة يغرقون في بحر الخرافة والشرك و هم ينظرون .

وأئمة الزيدية يبنون المشاهد للسياسة و يهدمونها للسياسة كذلك : فالدليل على أنهم يبنونها للسياسة ما بدر من الإمام عبدالله بن حمزة وذلك أنه عاش في آخر القرن السادس وبداية القرن السابع<sup>٢</sup>، و هو أول من سن لأئمة الزيدية سنة البناء على المشاهد حيث لم يُسجل لأحد من الأئمة قبل عصره شيء من ذلك .

والذي يظهر لي- والله أعلم- أنه إنما فعل ذلك مضاهاة لعاصريه من الأيوبيين الذين عُرف عنهم أنهم يبنون على قبور سلاطينهم البنايات الضخمة في مصر والشام<sup>٣</sup> وفي اليمن

<sup>١</sup> المسجد المسبوك ص ( ٧٤ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ اليمن المسمى فرجة المموم والخرن في حوادث وتاريخ اليمن تأليف العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي، طبع مكتبة اليمن الكبرى صنعاء الطبعة الثانية سنة ( ١٩٩٠م ) ص ( ١٩٧ ) .

<sup>٣</sup> سبق الحديث عن مساهمة الأيوبيين في نشر القبورية في الفصل الثالث .

كذلك<sup>١</sup> ، فلعلة أراد أن يُظهر بذلك شيئاً من أبهة الملك للأئمة وهم أموات كما هي لهم وهم أحياء ، وقد لاحظ ذلك الأستاذ محمد محمود الزبيري في كتيبه " الإمامة وخطرها على وحدة اليمن " حيث قال : ( بهذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه ، وتكاد هذه الأعباء تنحصر في استصفاء ثروة الشعب باسم الزكاة وقمع الانتفاضات الشعبية باسم الجهاد و قتال البغاة ، ثم بناء مسجد باسم الإمام تضاف إلى جواره غالباً قبة الضريح لهذا الإمام تمد نفوذه الروحي حتى و هو في القبر )<sup>٢</sup> . وهذا الذي نسبته الزبيري إلى الأئمة يجب أن يحدد بأئمة القرن السابع فَمَنْ بعدهم ، و أن أولئك الأئمة قد عمرُوا على معظم قبور الأئمة السابقين مشاهد وقباًباً .

وقد خطأ هذا الإمام بالقبورية في الديار الزيدية خطوات كبيرة جداً ، إذ لم يكتف بأن يبني لنفسه مشهداً في حياته أو يوصي أن يبني له ذلك بعد وفاته ، وإنما سن ذلك عملياً في حياته بأمر إمامي وتهديد شديد اللهجة لأهل قرية " لصف " حيث قتل عندهم أخوه إبراهيم بن حمزة وهو يقاتل الأيوبيين ، فلما حصل ذلك كتب لهم الإمام عبد الله بن حمزة هذه الرسالة يهددهم فيها إذا لم يبنوا عليه مشهداً أنه سينقل جثمانه عنهم ، وهذا نص الرسالة : ( بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإننا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، ونسأله لنا و لكم التوفيق لما يحب ويرضى .

أما بعد : فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي توفى بين أظهركم ، وحط رحله بين أفنيتكم ، و جاد بنفسه دون بلادكم ، واستقبل بوجهه العدو صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً ، وبلغت القلوب الحناجر وجلاً ، وظن قوم بالله الظنون جزعاً ، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً ، و زلزلوا بالحادثة اختباراً ، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره ، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه ، وعلم القصد فتم العزم ، ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح مستقبلاً لكثرة العدو وعزمه ، ومستصغراً لعظيمة نجده ، فبلغنا أنكم

<sup>١</sup> انظر تراجم سلاطينهم في اليمن في الفضل المزيد من تاريخ زبيد وغيره من تواريخ اليمن ، وفيها يذكرون كيف يُقَر سلاطين الأيوبيين .

<sup>٢</sup> الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ص (١٣-١٤) للأستاذ محمد محمود الزبيري طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ .



هاجرون لقبره ، قالون لمصرعه ، قد صغرتُم منه ما عظمَ الله سبحانه جهلاً ، و جهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكاً ، كأنكم لم تسمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وآله فينا - أهل البيت خاصة - (( انهرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة و جعفر رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالماً فقتل )) ، فهلا - رحمكم الله - استشفيتُم بتراب مصرعه من الأدواء ، وسألتم بترية مضجعه رفع الأسواء ، واستمطرتُم ببركة قبره من رحمة ربكم طوابع الأنواء ، وعظمتُم حاله كما يعظمُ حال الشهداء ، وأوجبتم من حقه ما ضيَع الأعداء ، وعمرتم على قبره مشهداً وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً ، ونذرتُم له النذر تقرباً ، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبباً ، فقد رُوينا عن أبينا صلى الله عليه في حديث فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبنى فهابه أهل المنزل أن يسألوه ، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال : ما يبكيك يا أبتى ؟ فقال : إني سررت بكما اليوم سروراً لم أسرّ به قبله مثله ، فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى ، وأن مصارعكم شتى ، قال : يا أبتى فمن يزورنا على تباين قبورنا ؟ قال : (( قوم من أمتي يريدون بذلك برّي وصلتي إذا كان يوم القيامة آتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها )) .

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قلّينا له جواركم ، ورغبنا به عن داركم ، وعزمنا بعد لخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه ، ويتيقن فضله وسبقه ، فلو رعيتُم له حرمة القرابة وفضل وراثته النبوة (تأمل!) لعلمتم حرمة ذلك الدم الزكي ، وكثر عليه منكم الباكون والبواكي ، فإن كان ذلك من غرضكم فإننا نفعله إن شاء الله تعالى ، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا بتاركيه بتوفيق الله سبحانه، والسلام )<sup>١</sup> .

والرسالة لم تقتصر على بناء المشهد عليه بل تعدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسؤال بتريته ، والاستمطار بقبره ، فهل كان الإمام فعلاً - وهو من هو في العلم والعقل والدعاء - هل كان يعتقد ذلك ؟! أظنه لم يكن كذلك وإنما كما قلت سابقاً يريد

<sup>١</sup> مَجَر العلم (١/٢٢٢-٢٢٥)

إسباغ الهيبة وإضفاء المكانة على مشهد وقبر أخيه ، و لذلك فإنه حينما لم يتم الإصغاء إليه فإنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قبر هناك <sup>١</sup>.

والإمام الثاني الذي كرر نفس الأسلوب هو الإمام يحيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفي سنة (١٢٦٩هـ) والمدفون في "دار أعلام" من أرحب للتبرك به ، وهددهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاتة إلى مكان آخر ، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة ووضعوا على قبره تابوتاً <sup>٢</sup> ، والذي جعلني أدعي أن الباعث على ذلك هو السياسة أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً و عاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضاه ، ثم إنه في نفس الوقت أو بعده بقليل كان ابنه و ولي عهده الإمام أحمد بن يحيى يهدم قبور أولياء الصوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل .

تلك هي الحوادث والتصرفات التي تدل على أن أئمة الزيدية يبنون المشاهد لأجل السياسة وإن كان قد ترتب على ذلك خلل كبير في عقيدة الكثير من العوام و أشباههم ، كما صور ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله حين ذكر ما يجري عند مشهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين <sup>٣</sup> ، و بعد أن ألف علماء تلك البلاد هذه المشاهد - وكان القائمون وراءها أئمة مجتهدين - ركنوا إلى ذلك الواقع ، وأحسنوا الظن بمن سن تلك السنة وتابعوهم عليها ، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتاء أيضاً ، وهذه نقلة خطيرة جداً ، و تحول كبير في هذا المسار عند الزيدية ، والذي أفتى بذلك هو الإمام الجليل يحيى بن حمزة الذي أثنى عليه الإمام الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ثناءً عاطراً <sup>٤</sup> ، رغم رده عليه في هذه

<sup>١</sup> المصدر السابق (١/٢٢٤).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١/٢٥٥).

<sup>٤</sup> انظر : الدر النضيد ص(٤٨).

<sup>٤</sup> البدر الطالع (٢/٣٣٢-٣٣٢).

الفتوى ، و نستوى المقصودة هي ما نقلها عنه الإمام المهدي في البحر الزخار حيث قال :  
(مسألة ي) و لا بأس بالقباب والمشاهد على الفضلاء لاستعمال المسلمين ولم ينكر<sup>١</sup> .  
ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمام يحيى فقال في الأزهار وهو يتكلم عما يندب في  
القبر ومنه رفاهه قدر شبر ( وكره ضد ذلك و الإنافة بقبر غير فاضل )<sup>٢</sup> .  
و من العلوم أن الإمام الشوكاني قد ردّ على هذه الفتوى بكتابه المشهور " شرح الصدور  
في تحريم رفع القبور " .

هذا ما يتعلق ببناء المشاهد والقباب ، وأما هدم تلك المشاهد وكونه للسياسة  
كذلك فهو أظهر ، واليك هاتين الواقعتين :

أما الواقعة الأولى فهي ما حدث من هدم للقبور المشرفة والمشاهد المقامة عليها أيام  
الإمام المتوكل على الله المعاصر للشوكانى ، حيث إنه أجاب أئمة الدعوة النجدية إلى هدم  
بعض المشاهد في صنعاء وما حولها ، وكتب بذلك إلى سائر الجهات ، ذكر ذلك الإمام  
الشوكانى في " البدر الطالع " و صاحب كتاب " حوليات يمانية " و سيأتي نص كلامهما في  
الباب الثالث ن شاء الله<sup>٣</sup> ، وقد جزمّت بأن الأمر كان سياسة لا تديناً ؛ لأن ذلك الإمام بينما  
كان يرضخ للنجديين ويداهنهم كما عبر بذلك صاحب الحوليات كان في نفس الوقت  
يكتب الأتراك والمصريين للقدوم إلى الجزيرة والقضاء على الدولة النجدية<sup>٤</sup> .

و الواقعة الثانية التي تدل على أن من أئمة الزيدية من يهدم القبور لأجل السياسة  
هي حادثة هدم بعض القبور في الديار الشافعية من اليمن ، والتي قام بها الإمام أحمد بن  
يحيى حميد الدين حيث أزال القبة التي على قبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عام

<sup>١</sup> البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار تأليف الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (١٣٢/٢) ، طبع دار الحكمة اليمنية صنعاء  
تصوير عام (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) عن الطبعة الأولى (١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) (١٣٢/٢) .

<sup>٢</sup> الأزهار في فقه الأئمة الأطهار (٣٦١/١) للإمام المهدي صاحب البحر الزخار مع شرحه السيل الجرار تحقيق محمد إبراهيم زايد  
طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى الكاملة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

<sup>٣</sup> الباب الثالث (ص ٦٨٠) .

<sup>٤</sup> انظر ذكريات الشوكانى ص (١١٣ - إلى آخر الكتاب ) تحقيق د. صالح رمضان محمود طبع دار العودة (١٩٨٣ م) وحوليات  
يمانية ص (٢٢ - ٢٣) تحقيق عبد الله محمد الحبشي لم يسم المؤلف طبع دار الحكمة اليمنية صنعاء ط الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)

(١٣٤٨هـ) ، حينما كان والياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرائق - التي كانت تعرف من قبل بالمعارضة - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها و دخولها تحت حكمه ، كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشى عام (١٣٦٢هـ) <sup>١</sup> ، قد يقول قائل لم لا تحمل هذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقدير و تجعله من باب إزالة المنكر ؟

فأقول : إن الذي يمنع من حمله على ذلك هو عدم إقدام الإمام أحمد عندما كان ولياً للعهد ، أو بعد أن أصبح إماماً على إزالة شئ من مشاهد البلاد الزيدية ، فلو كان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخرى ، قد يكون بعض مشاهدها أشد من تلك التي هدمها ، كما قال القاضي إسماعيل الأكوع حفظه الله <sup>٢</sup> ، ومما يؤكد صلة المشاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم ، وقل أن تجد مشهداً لرجل فقير أو ضعيف ، وإليك قائمة بأهم المشاهد الزيدية وستكون إن شاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

- ١ ( مشهد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من منطقة ظفار ذيبين .
- ٢ ( مشهد الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة (أخو عبد الله بن حمزة) بمدينة كحلان .
- ٣ ( مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعروف بابي طير في مدينة ذيبين .
- ٤ ( مشهد الإمام يحيى بن حمزة ( وليس أخا عبد الله بن حمزة بل هو من ذرية الحسين وليس من ذرية الحسن ) <sup>٣</sup> ومشهده بمدينة ذمار .
- ٥ ( مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بصعدة ومعه عدد من أبنائه وأحفاده ومشهد الإمام المهدي باني تلك المشاهد .
- ٦ ( مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء .

<sup>١</sup> هجر العلم (١/٢٢٢-٢٢٣).

<sup>٢</sup> نفس المصدر نفس الموضع.

<sup>٣</sup> انظر البدر الطالع (٣/٣٣٢-٣٣٣).

<sup>٤</sup> وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن توفي سنة (٢٩٨هـ) ولكن المشهد لم يعمر إلا ما بين سنة (٧٣٣) و(٧٥٠هـ) وهي فترة حكم الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة على قبور الإمام الهادي وبنه ، انظر : الأضرحة ص (١٦١)

- ٧ ( مشهد الإمام المهدي لدين الله أحمد بن المرتضى حصن الظفير حجة .
  - ٨ ( مشهد الإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة .
  - ٩ ( مشهد الإمام الناصر محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى بمدينة ثلا .
  - ١٠ ( مشهد الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة . ١١ )
  - مشهد مدرسة الإمام شرف الدين بثلا ، وفيه عدد من أبنائه وبناته وذويه .
  - ١٢ ( مشهد الأمير صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين بمدينة ثلا .
- هذه بعض المشاهد وقد تركت الكثير سواها وهي كلها موجودة مشاهدة للعيان ، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الدكتور علي سعيد سيف في رسالته المقدمة للدكتوراه من جامعة صنعاء باسم "الأضرحة في اليمن من القرن الرابع إلى القرن العاشر" ، فيمكن لمن أراد معرفتها بـقوة أن يرجع إلى هناك .
- مع العلم أن أكثر هذه المشاهد تضم إلى جوار من هي باسمه عدداً من أبنائه وأحفاده وزوجاته ، وهذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ساهموا في نشر مظاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكام اليمن .

### المطلب الثالث : الدولة الرسولية ودورها في نشر القبورية في اليمن :

#### لمحة عن الدولة الرسولية :

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها " نور الدين عمر بن علي بن رسول " ( ت ٦٤٧هـ ) ، وقد قامت على انقراض الدولة الأيوبية ، حيث كان عمر بن علي من قواد هذه الدولة أيام آخر ملوكها الملك المسعود ، وحين عزم الملك المسعود على السفر إلى مكة حيث مات بها ، استبد بالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بذلك ، ثم توالى أبنائه وأحفاده في الملك والسلطنة ، وامتدت دولتهم من حضرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفار إلى مكة ، وعاشوا في صراع مع أئمة الزيدية حيناً يأخذون صنعاء ودمار و حجة ، و حيناً يصل أئمة الزيدية إلى زيد أو إلى تعز أو إب و هكذا ، و امتد حكمهم من سنة ( ٦٢٥هـ ) إلى سنة ( ٩٥٨هـ ) وهي مدة طويلة زادت على ثلاثة قرون ، وقد تميزت هذه الدولة بالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين .

ففي العمران فعلت ما لم تفعله دولة أخرى في اليمن ، وكان أكثر ملوكها مشاركين في العلم والأدب فبنوا المدارس وجلبوا العلماء والمدرسين ووقفوا الأوقاف العظيمة عليها ، كما جمعوا نفائس الكتب بل ألفوا الكثير منها في فنون مختلفة ، وفي عصرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عربي أصحاب وحدة الوجود .

وبالجملة فقد كانت هذه الدولة مفخرة من مفاخر اليمن في جوانب كثيرة ، كما كانت فاتحة شر كبير في جوانب أخرى ، ومن أهمها فتح الباب أمام التصوف المنحرف الفلسفي تصوف أصحاب وحدة الوجود الذي ما تزال آثاره ظاهرة إلى هذا التاريخ وإن أقل نجمه وذهبت دولته ، كما أنهم رسخوا القبورية في اليمن من خلال قبور سلاطينهم وتبنيهم لبناء بعض المشاهد على قبور بعض من يعتقدون فيه الصلاح ، هذه هي الدولة الرسولية .

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية :

**قبور الدولة الرسولية :**

- ١ ( الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول المتوفى (٦٤٧هـ) <sup>١</sup> دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هزيم في مدينة تعز ، بعد أن نقلوه إليها من الجند <sup>٢</sup> .
- ٢ ( الملك الأشرف عمر بن المظفر المتوفى (٦٩٦هـ) <sup>٣</sup> و دفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز <sup>٤</sup> .
- ٣ ( الناصر بن الأشرف المتوفى (٧٢٥هـ) <sup>٥</sup> و دفن في المدرسة الأشرفية مدرسة والده <sup>٦</sup> .
- ٤ ( الملك المجاهد المتوفى (٧٦٤هـ) <sup>٧</sup> و دفن في مدرسته المجاهدية بتعز <sup>٨</sup> .
- ٥ ( الملك الأفضل بن المجاهد المتوفى (٧٧٨هـ) <sup>٩</sup> ، و حمل من زييد إلى تعز ، و دفن في مدرسته الأفضلية <sup>١٠</sup> .

<sup>١</sup> نظر ترجمته في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٥١/١) تأليف علي بن الحسن الخزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوع طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ورقة العيون ص (٢٩٩) .

<sup>٢</sup> العقود اللؤلؤية (٨٢/١) .

<sup>٣</sup> انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (٢٣٩/١) ورقة العيون ص (٣٣٧) .

<sup>٤</sup> الفضل المزيد ص (٩٤) .

<sup>٥</sup> انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (١٣/٢) ورقة العيون ص (٣٤٩) .

<sup>٦</sup> الفضل المزيد ص (٩٦) .

<sup>٧</sup> انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (١٣/٢) ورقة العيون ص (٣٤٩) .

<sup>٨</sup> الفضل المزيد ص (٩٨) .

- ٦ (الملك الأشرف بن الأفضل المتوفى (٧٨٣ هـ) ، ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز<sup>١</sup> .  
 ٧ (الملك الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٧٨ هـ) ، ودفن في مدرسة والده الأشرفية<sup>٢</sup> .  
 ٨ (الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف المتوفى (٨٣٠ هـ) ، ودفن بمدرسة جده الأشرفية، وقد كان موته، بمدينة زبيد فحمل إلى تعز<sup>٣</sup> .  
 ٩ (الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل المتوفى (٨٤٢ هـ) ، ودفن في مدرسته الظاهرية بمدينة تعز<sup>٤</sup> .

١٠ (الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى المتوفى (٨٤٥ هـ) ، ودفن عند والده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز<sup>٥</sup> .

هؤلاء الملوك الذين وقفت على التصريح بدفنهم في المدارس التي بنوها ، ولا يبعد أن يكون غيرهم من الأمراء ومن الملوك الذين ولّوا ولايات قصيرة أو خرجوا على الملوك الرسميين أن يكونوا كذلك قد دفنوا في مدارس أو مشاهد ، بل لا يبعد أن تكون نساؤهم كذلك وقد وقفت على تصريح بواحدة منهن .

١١ قال بن الديبع : وفي السنة المذكورة (٨٣٦ هـ) توفيت أم السلطان الحرة الطاهرة ، أم الملوك جهة الطواشي ، جمال الدين فرحان بمدينة زبيد في الثاني عشر من صفر ، ودفنت قريباً من تربة الشيخ طلحة بن عيسى الهتار ، وأمر ولدها السلطان الملك الظاهر بإنشاء

<sup>١</sup> انظر ترجمته في : اعقود اللؤلؤية (١١١/٢) وقرة العيون ص (٣٦٨) .

<sup>٢</sup> الفضل المزيد ص (١٠١) .

<sup>٣</sup> انظر ترجمته في العنود اللؤلؤية (١٤١/٢) وقرة العيون ص (٣٧٦) .

<sup>٤</sup> الفضل المزيد ص (١٠٤) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (١٠٤) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص (١٠٨) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص (١٠٨) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص (١٠٩) .

<sup>٩</sup> الفضل المزيد ص (١٠٩) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (١١٣) .

<sup>١١</sup> المصدر السابق ص (١١٣-١١٤) .

<sup>١٢</sup> المصدر السابق ص (١١٥) .

مدرسة عظيمة على ضريحها ورتب فيها إماماً و خطيباً و أيتاماً و معلماً لهم و عشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة ، ورتب لهم ما يقوم بكفائتهم<sup>١</sup> .

(١٢) كما أشار الجندي إلى أن هناك تربية خاصة بخواص و أقارب بني رسول حيث قال في ترجمة محمد بن القاضي عمر الهزاز : ( وكان المظفر يحله ويعتقد صلاحه وربما زاره سرّاً إلى منزله - إلى أن قال - وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده سألهم أن يدفنوه في التربة التي هي قبلي جامع عدينه ، ففعلوا ذلك إذ خواص بني رسول من القرابة و السراري مقبورون فيها )<sup>٢</sup> .

وهذه التربة ربما كانت على غرار ترب الفاطميين و الماليك التي سبق ذكرها .

### مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبور من يعتقدون فيهم الصلاح:

بنى سلاطين الدولة الرسولية المشاهد و القباب على قبور من يعتقدون صلاحهم ، ولكن للأسف لم نجد النص الصريح على شئ من ذلك إلا على قبر الشيخ أحمد بن علوان ، ومشهد أحمد بن علوان يوجد بمنطقة يفرس محافظة تعز ، و هو معاصر للملكين عمر بن علي بن رسول و ابنه المظفر ، و يعد من أكابر أقطاب الصوفية في اليمن ، عَمَر مشهده ، و أول من عَمَره الملك المظفر ذكر ذلك صاحب الأضرحة ، و لم يحدد التاريخ الذي جرى فيه البناء ، كما أن المشهد و المسجد المجاور له قد شهد توسعة و ترميماً كثيراً في فترات مختلفة ، أهمها على يد السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري كما هو مكتوب هناك<sup>٣</sup> ، و آخرها على يد بعض ولاة الأتراك .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (١١١) .

<sup>٢</sup> السلوك ( ١١٧ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> الأضرحة ص ( ١٢٣ ) وما بعدها .



## المبحث الرابع

### نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

#### وفيه مطلبين :

#### المطلب الأول : نشأة الصوفية في اليمن :

سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام و بين التصوف المنحرف ، والإيضاح بأن كلامنا إنما هو منصب على التصوف الفلسفي المنحرف ، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصوف وعرفوا مصادره أم أخذوه تقليداً وثقة بمن قبلهم ، فالانحراف هو الانحراف إن أتى على يد خبيث ماكر أو على يد صالح مغفل ، وأما الأشخاص أنفسهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شيء مرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا ، إذا عرفنا هذا التذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته .

#### رواد التصوف في اليمن :

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف ، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو " عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله " حيث ذكر الشاطري في " أدوار التاريخ الحضرمي " أن من شيوخه أبا طالب المكي ، فقد تلقى عنه علم التصوف ، وقرأ عليه كتابه " قوت القلوب " ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف . وذلك لما حج سنة ( ٣٧٧ هـ )<sup>١</sup> غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت ، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم ، وهذا كما نرى من رجال القرن الرابع .

و في القرن الخامس : يطالعنا اسم الصوفي "سود بن الكميت" المتوفى ( ٤٣٦ هـ ) حيث ترجمه الشرجي في "طبقات الخواص" ، و ذكر قصة تحوله إلى التصوف ، وأنه كان له

<sup>١</sup> أدوار التاريخ الحضرمي ص ( ١٦٢ - ١٦٣ ) .

أصحاب ومريدون ، وأنه كان يجلس معهم في المسجد يأكل وينام معهم فيه <sup>١</sup> ، وهو أشهر من عرف بالتصوف أو من أشهرهم في هذا القرن ، مع وجود آخرين أشار إليهم السيد عبد الله الحبشي ولم يبين أسماءهم وذكر أنهم من المناطق المحاذية لتهامة ومن مدينة تعز <sup>٢</sup> .

وفي القرن السادس : اشتهر الصوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة ( ٥٧٩ هـ ) وقد كان رجلاً عادياً من عوام مدينة زبيد ، وعلى أثر رؤيا رآها تحول إلى التصوف ، وصحب الشيخ إبراهيم الفشلي الآتي ذكره في القرن السابع ، قال الشرجي بعد ذكر الرؤيا : ( ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف ) <sup>٣</sup> .

قلت : ثم اشتهر أمره ، وتجمع حوله المريدون وسجلت له الكرامات ، ونقلت عنه أقوال ذات قيمة عند أهل التصوف <sup>٤</sup> . والملاحظ أنه في هذا القرن بدأت تتكون جماعات التصوف ويلتف المريدون حول شيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتدع ، وليس هذا خاصاً بالصياد وحده بل قبله كان لشيخه إبراهيم الفشلي ، الذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع .

القرن السابع : هذا القرن هو في الحقيقة قرن التصوف ففيه نبتت وترعرعت البذور التي بذرت في القرون الماضية ، وشهد تحولات كبيرة منها :

(١) دخول مدرسة ابن عربي - مدرسة وحدة الوجود - إلى اليمن وكان ذلك على يد رجل غامض مشبوه يقال له "المقدسي" ، لا يعرف اسمه الحقيقي ولا شيء من ترجمته <sup>٥</sup> ؛ وذلك لشدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجره ، بل ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبية تدخل على إثرها السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ١٥٠ - ١٥١ ) .

<sup>٢</sup> الصوفية والفقهاء في اليمن ص ( ١٢ ) تأليف عبد الله بن محمد الحبشي توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء ( ١٣٩٦ - ١٩٧٦ ) .

<sup>٣</sup> طبقات الخواص ص ( ٦٤ - ٦٩ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق .

<sup>٥</sup> قال القاضي إسماعيل الأكرع في كتابه " المدارس الإسلامية في اليمن " طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ، ط الثانية ( ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ) ص ( ٨٣ - ٨٤ ) : ( لم نعرف اسم المقدسي كاملاً ولا تاريخ قدومه إلى اليمن ولا تاريخ ولادته ووفاته ومكانهما فيما بين أدينا من المراجع ، ولعل ذلك الإهمال كان مقصوداً من المؤرخين نكايته وتجاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطق ) ، قلت : ليس علمه علم منطق ولكنه الفلسفة الإلهادية .

ولأصحابه<sup>١</sup>، ولكن هذا الرجل لم يمت إلا وقد غرس تلك النبتة الخبيثة في اليمن، وقد قرر العلامة الأهدل أنه أول من قدم بكتب ابن عربي إلى اليمن<sup>٢</sup>.

كما ظهر هذا القول كذلك في هذا القرن لدى أبي الغيث بن جميل الملقب شمس الشموس المتوفى سنة (٦٥١هـ) وألف في ذلك كتاباً<sup>٣</sup>، ولدى معاصره أحمد بن علوان وله في ذلك عدة كتب منها: "البحر المشكل الغريب" و"الفتوح المصونة والأسرار المخزونة" و"التوحيد الأعظم"<sup>٤</sup>.

وقد ذكر مترجمو الرجلين أن لهما مكاتبة تشهد بمدى ما وصلنا إليه من التبجح والدعوى التي عرف بها أهل تلك النحلة، قال الشرحبي في ترجمة أبي الغيث: (وكتب إليه الشيخ أحمد المذكور "ابن علوان" مرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعد، فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا  
لا باسم ليلى أستعين على السرى  
حتى انتهيت مراتب الإبداع  
كلا ولا لبني ثقل شراعي

فأجابه الشيخ أبو الغيث بكتاب يقول فيه: من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل غزني نعمة الله تعالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

تجلئ لي الاسم القديم باسمه  
وحبائي الملك المهيم وارضى  
فاشقت الأسماء من أسمائي  
فالأرض أرضي والسماء سمائي<sup>٥</sup>.

قال الحبشي: (ويهذين الرجلين - أبي الغيث وابن علوان - قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن، إلا أن قريهما المباشر من عصر ابن عربي لم يجعلهما يستفيدان من كتاباته الخاصة، وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقي الذي عرفت به تعاليم هذه

<sup>١</sup> السلوك (١١١/٢ - ١١٣).

<sup>٢</sup> كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعرين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين ص (٢١٧) للعلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل طبع تونس. (١٩٦٤م).

<sup>٣</sup> أنكر العلامة الأهدل أن يكون هذا الكتاب للشيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي، ولكن السيد عبد الله الحبشي رد عليه في ذلك وأثبت أن الكتاب تأليف ابن جميل. انظر: الصوفية والفقهاء (ص ٧١ - ٧٢).

<sup>٤</sup> الصوفية والفقهاء ص (٧٢).

<sup>٥</sup> طبقات الخواص ص (٤٠٩ - ٤١٠).

المدرسة ، وهم ينهلون جميعاً من الاتجاه الذي سار عليه أسلافهم من دعواهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية)<sup>١</sup>.

(٢) في هذا القرن دخلت الطرق الصوفية من الخارج ، ونشأت الطرق الصوفية المحلية ، وإليك لمحة عن أهم الطرق الصوفية التي عرفت في اليمن في هذا القرن في المطلب التالي.

### المطلب الثاني : أهم الطرق الصوفية التي عرفت في اليمن : الطرق الوافدة :

(١) الطريقة القادرية : وهي أول وأشهر الطرق الصوفية في اليمن ، وقد أعاد الحبشي أول لقاء لليمنيين بهذه الطريقة وشيخها إلى سنة ( ٥٦١ هـ ) ، وهي سنة وفاة الشيخ الجيلاني - رحمه الله - حيث لقيه اثنان من اليمنيين في موسم الحج ، وهما الشيخ "علي بن عبد الرحمن الحداد" والشيخ "عبد الله الأسدي" ، أما الأول فالتقى به صدفة عند الكعبة ، وأما الثاني فقد سافر خصيصاً للقاء الشيخ عبد القادر عندما علم بأنه ناء على الحج تلك السنة ، فالتقى به في عرفات . ولم يوضح ما هو دور الرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن ؟ ولكن من بين من ذكر أنهم أخذوا الطريقة القادرية من صوفية اليمن " أحمد بن أبي الجعد " و وفاته ببضع وسبعين وسبعمائة<sup>٢</sup> ، ( و أبو بكر بن محمد بن أبي حريه ) وفاته ( ٧٩٤ هـ )<sup>٣</sup> ، وبهذا نقطع أن هذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل .

(٢) الطريقة المدينية : المنسوبة إلى الصوفي المغربي الشهير " شعيب أبي مدين التلمساني " ، وهذا الصوفي قد صدر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عبر تلميذه عبد الرحمن المقعد ، ولكن المقعد مات في الطريق فوكل إيصالها إلى رجل آخر هو

<sup>١</sup> الصوفية والفقهاء ص (٧٣)

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص ( ٧٢ - ٧٤ ) .

<sup>٣</sup> الطبقات الخواص ص ( ٣٨٠ - ٣٨١ ) .

"عبد الله الصالح المغربي" الذي وصل إلى تريم ، وإلى من سماه أبو مدين و وصفه الفقيه المقدم- محمد بن علي باعلوي- المتوفى سنة ( ٦٥٣ هـ ) ، فدخل خلصة إليه وهو في حلقة شيخه الفقيه "علي بن محمد بامروان" فغمزه وأخذه من بين يدي شيخه فأبلغه الرسالة و حكمه و ألبسه لباس الصوفية ، فعاد إلى شيخه وهو كذلك فغضب عليه شيخه وزجره وظل مقاطعاً له حتى مات "رحمه الله" ، ثم ذهب إلى قيّدون فلقى الشيخ "سعيد بن عيسى العمودي" المتوفى سنة ( ٦٧١ هـ ) فحكمه كذلك و أدخله في عداد الصوفية، و لقي في دوعن كذلك "باعمر" صاحب عورة وألحقه بالجماعة ، ثم توجه إلى ميفعة ولقى الشيخ عبد الله باحمران فحكمه كذلك و ألحقه بهم ، واستقر في ميفعة حتى مات ، وعند موته قسم تركته بين تلاميذه وأشار إليهم بأن هناك علامة على من يكون شيخهم وهو أن يقع من نصيبه السبحة فوقعت من نصيب الفقيه المقدم ، و بذلك أصبح شيخ صوفية حضرموت و شيخ الطريقة المدينية بها ، و عند وفاته نصّب زوجته أم المساكين في منصب شيخ الصوفية بحضرموت<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> انظر : قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في ( الجواهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب و كرامات السادة الأشراف ) تأليف عبد الرحمن الخطيب الأنصاري و هو مخطوط ، ولدي نسخة مصورة منه ( ٨١/١ - ٨٢ ) في الحكاية السابعة والعشرين ، وفي المشرح الروي ( ٢ / ٤ - ٥ ) ، وحتى لا يظن أحداً أنني بالغت في تعييري أو طعنت في ( عبد الله الصالح المغربي - ومرسله أبي مدين - أو في الفقيه المقدم ) ، أسوق قصتهم بحروفها من الجواهر الشفاف لعبد الرحمن الخطيب حيث قال : ( الحكاية السابعة والعشرون : روى المشايخ رحمهم الله أنه قيل لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي رحمه الله : إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد ، وكان الشيخ عبد الرحمن المقعد رحمهم الله إذ ذاك بمكة - حرسها الله تعالى - فسار الفقيه شيخ شيوخنا قاصداً نحوه ، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده ، وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور رحمهم الله من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين رحمهم الله ، وكان شيخه أبو مدين رحمهم الله قد أمره بالسفر إلى حضرموت ، وقال له : إن لنا فيها أصحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قال ، و قال له : ولكنك لاتصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك ، فسار الشيخ عبد الرحمن طالباً حضرموت ، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي - وكان من أولاد ملوك المغرب فآثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته و هما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفاتقة - وأمره بالمسير إلى حضرموت وقال له ما قال له الشيخ أبو مدين رحمهم الله ، وفي رواية أنه قال له أيضاً : اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان يستقي يعني يأخذ منه العلم ، طارح سلاحه فوق رجليه ، فاعمره من عند الفقيه وحكمه ، و اذهب إلى -

(٣) الطريقة الرفاعية : المنسوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي المتوفى (٥٧٨هـ) ، وقد دخلت اليمن على يد عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة (٦٨٨هـ) وكان الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الدين الأخضر ، فأخذ عنه الخرقة الرفاعية ، وتربى بين يديه تربية صوفية ، فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالك ، وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمداني وغيره ، ويقول الشرجي : أنه ( تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في

=يبدون تبعذ فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمه ، قال الشيخ عبد الله : فلما وصلت إلى تريم وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشيخ عبد الرحمن فغمزته وحكّمته - و ما شاور أبا مروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتاظ عليه وقال له : رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا و رجعت إلى زي الصوفية أو كما قال ، فقال له الفقيه محمد بن علي عليه السلام : الفقر خير . وهجره أبو مروان إلى أن توفي وستأتي حكايتهما في ذلك إن شاء الله تعالى ، فسار الشيخ عبد الله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه محمد بن علي عليه السلام وقال له الشيخ عبد الله : أي لؤلؤة عجماء لو ثقت ، فقال الشيخ محمد ، و ما الثقب قال : التحكيم ، فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم ، و تحكّم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة ، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية و رغب في صفة الصوفية ، قالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعوات ( الأولى ) بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقهاء ( الثانية ) أن لا يسلط الله تعالى عليهم ظالماً يؤذيهم ( الثالثة ) أن لا يموت أحد منهم إلا و هو مستور في دنياه - أي لا تكون به حاجة تضر بدنيه - قالوا : فقبلهن الله تعالى ، فما يموت أحد منهم إلا و هو بتلك الصفة ، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشيخ لهم عليه السلام . ) . الجوهر الشفاف (١/٨١-٨٣) .

وكذلك قال الشلي في المشرع : ( فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان قال له : أذهبت نورك وقد رجونا أن تكون كابن فورك و اخترت طريق التصوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر ، فقال الأستاذ : الفقر فخري و به أفتخر ، و به على النفس والشيطان أنتصر ، ولا أتباعد عنكم إعراضاً ، ولا تبدلت بكم معتاضاً . وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر ، و رأى أنه أعظم من الزجر ، واستمر مهاجراً له إلى أن مات . ) المشرع الروي ( ١/٢٠ - ٥ ) ، وفي هجر الإمام بامروان للفقيه المقدم دليل على أن أهل حضرموت كانوا على منهج الكتاب والسنة ، وأنهم لم يعرفوا ذلك الانحراف الصوفي إلى أن قدم ذلك المغربي بالتصوف وأخذته عنه الفقيه المقدم ، و لكن منذ ذلك التاريخ استفحل الشر و انخرط الأكثر بتأثير ذلك الفقيه و أتباعه من أبنائه وفقرائه و اللاتدين بهم ممن ينسبون إلى الفقه والعلم ، بعد أن ضعف الفقه وقل العلم ، و مازال التصوف يقشو والعلم ينقص حتى أظلم الكون ، وعم الانحراف ، وظهرت الدعاوى والرسوم ، وزالت الحقائق ، وأصبح من النادر وجود فقيه متضلّع مدرك للأدلة ومذاهب العلماء قادر على الترجيح والاختيار ، أما علم التفسير والحديث فلم يبق لهما أثر ، وسيأتي في الباب الثاني مزيد بيان لهذه القضية .

اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقه الرفاعية ، وانتشرت عنه انتشاراً كلياً لاسيما في مخلاف جعفر<sup>١</sup> .

٤ ( الطريقة الشاذلية : نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة ( ٦٥٦هـ ) ، وقد انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن دعسين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن<sup>٢</sup> .

٥ ( الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ( ٦٣١هـ ) ذكرها العيدروس في الجزء اللطيف ، و ذكر أن من أتباعها في اليمن إسماعيل الجبرتي والعلوي<sup>٣</sup> .

الطرق المحلية: أهم الطرق المحلية التي نشأت في هذا القرن :

١ ( الطريقة العلوية : المنسوبة إلى الفقيه محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدنية .

٢ ( الطريقة الأهدلية: نسبة إلى الشيخ علي بن عمر الأهدل المتوفى سنة نيف وستمئة ، و هو أخذها في الأصل عن رجل من أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني يسمى الأحوري وقد ( كثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر ، و ذكر منهم الشيخ أبو الفيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد )<sup>٤</sup> .

٣ ( الطريقة العلوانية : نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يفرس<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> طبقات الخواص ص ( ٢٤٥ ) والصوفية والفقهاء ص ( ٣٦ ) .

<sup>٢</sup> أنظر الصوفية والفقهاء ص ( ٣٥ )

<sup>٣</sup> أنظر الجزء اللطيف ص ( ٢٣ ) ضمن المجموعة العيدروسية .

<sup>٤</sup> طبقات الخواص ص ( ١٩٥ - ١٩٨ ) .

<sup>٥</sup> مقدمة كتاب الفتوح للشيخ أحمد بن علوان ، تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب ، طبع دار الفكر المعاصر ط الأولى

( ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ) بيروت لبنان .

### السماع الصوفي:

و في هذا القرن " السابع " فشى وانتشر السماع الصوفي ، وهو إنشاد الأشعار في المساجد ومواطن العبادة بقصد التقرب إلى الله تعالى ، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه و تزكّي النفس و تسمو بالروح ، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالدفّ والشبابة ونحوها أو لم يحصل ، و في كثير من الأحيان يصحب ذلك رقص و تمايل و طرب زائد ، وربما وصل إلى السكر والإغماء وفقدان الشعور ، و كل ذلك تُعطى له المسوغات ، ويُؤصل له بما يظهره و كأنه من أعظم القرب و أفضل الشعائر في العرف الصوفي ، و كان من رواده في هذا القرن ، الشيخ أبو الغيث بن جميل ، والشيخ أحمد بن علوان ، والشيخ محمد بن أبي بكر العواجي ، والشيخ محمد بن عيسى الزيلعي <sup>١</sup> ، والشيخ سفيان الأبيني وغيرهم <sup>٢</sup> وسيأتي مزيد من الحديث عن السماع في الباب الثاني إن شاء الله .

### الشطح الصوفي:

#### تعريف الشطح :

عرّفه المناوي بقوله : ( كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ، و لا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً ) <sup>٣</sup> ، و في قوله لا يرتضيه أهل الطريق نظر ؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتبرهم الصوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشطح بل المبالغون فيه ، بل في كثير من الأحيان نجد أعظمهم شطحاً أرفعهم رتبة ، ثم كيف لا يرتضونه وهم ينقلونه عن أولئك الشاطحين باعتباره من جواهر كلامهم ودرر أفاضلهم وخوارق كراماتهم ، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا .

لاشكّ أنهم يرتضونه و إنما يتظاهرون أمام الآخرين بعدم ارتضائه أو بتأويله .

<sup>١</sup> الصوفية والفقهاء ص ( ٣٢ ) .

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص ( ١٤٧ ) .

<sup>٣</sup> التوقيف على مهمات التعاريف ص ( ٤٢٩ - ٤٣٠ )



و كذلك قوله ( وإن كان محقاً ) الغالب في الدعاوى والشطح ألا يكون محقاً ، ومن تتبع تلك الشطحات عرف ذلك ، والحق في هذه القضية أن أقصى ما يمكن فعله هو التماس العذر للشاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْر و غيبوبة ، ومن كان هذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقات المجانين لا في طبقات الأولياء .

وقد نُقِلَ شطح كثير عن صوفية هذا القرن كان كالمدخل لأصحاب الدعاوى والباحثين عن الشهرة و المنزلة عند عوام الناس ، يتوسعون فيه ما شاء لهم هواهم واستخفافهم بحدود الشرع وعظمة الحق وعقول الخلق .

ومن الصوفية الذين سجلوا السبق في الشطح من أهل هذا القرن أحمد بن علوان ، وأبو الغيث بن جميل في قصتهما الشهيرة ومفاخرتهما التي ساقها معظم من ترجم لهما وقد سبق ذكرها <sup>١</sup> . والفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وهو من أعظمهم في ذلك <sup>٢</sup> . والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني <sup>٣</sup> .

#### انتشار التصوف في عموم اليمن :

وفي هذا القرن انتشر التصوف في عموم مناطق اليمن ، و ظهر في كل منطقة قطب من أقطابهم الذين لا يزال تأثيرهم وتعلق الناس بهم قائماً إلى اليوم ، وأكثر المناطق قبولاً للتصوف في هذه الفترة تهامة ، فقد ظهر في شمالها صاحباً عواجه محمد بن حسين البجلي ( ٦٢١ هـ ) <sup>٤</sup> ، و محمد بن أبي بكر الحكمي ( ٦١٧ هـ ) <sup>٥</sup> ، وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهدل ( نيف وستمئة ) <sup>٦</sup> ، وفي بيت عطاء أبو الغيث بن جميل ( ٦٥١ هـ ) <sup>٧</sup> ، وفي بيت الفقيه أحمد

<sup>١</sup> انظر (ص ٢٢٢) .

<sup>٢</sup> انظر بعضاً من شطحه في : الجوهر الشفاف ( ٣٥ / ١ ) وما بعدها والغرر ص ( ١٤٧ ) والمشرع ( ٩ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> مرآة الجنان ( ٣٥٠ - ٣٤٩ / ٤ ) .

<sup>٤</sup> انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ( ٢٦٧ ) .

<sup>٥</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( ٢٦٤ ) .

<sup>٦</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( ١٩٥ ) .

<sup>٧</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( ٤٠٦ ) .

ابن موسى بن عجيل (٦٩٦هـ)<sup>١</sup>، وفي التربية قرب زبيد عيسى بن إقبال الهتار (٦٠٦هـ)<sup>٢</sup>، فهؤلاء ستة من كبار الصوفية كلهم من تهامة، وفي محافظة تعز أحمد بن علوان (٦٥٥هـ)<sup>٣</sup>، وفي لحج سفيان بن عبد الله الأبيني (وفاته القرن السابع)<sup>٤</sup>، وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيني (٦٩٠هـ)<sup>٥</sup>، وفي عدن جوهر بن عبد الله الصوفي سنة (٦١٦هـ)<sup>٦</sup>، وفي محافظة شبوة محمد بن عبد الله بامعبد كان حياً سنة (٦٨٠هـ)<sup>٧</sup>، وفي حضرموت -دوعن- سعيد بن عيسى العمودي (٦٧١هـ)<sup>٨</sup>، وفي تريم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (٦٥٣هـ)<sup>٩</sup>، ورغم عدم الاستقصاء فإنك ترى أن معظم ديار الشافعية في اليمن قد عمها التصوف في هذا القرن.

### أثر الدولة الرسولية في ترسيخ التصوف وتقويته في اليمن :

في هذا القرن كانت الدولة الرسولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكان سلاطينها يدينون بالولاء التام للصوفية؛ لأن الصوفية قد اتخذوا عندهم أيادي جلييلة، من أهمها بشاراتهم بالملك واستمراره في أعقابهم، فجدهم عمر بن علي بن رسول بشره جماعة من الصوفية بالملك وقووا عزمه عليه<sup>١٠</sup>. وكذلك بشر إبراهيم الفشلي الملك المظفر باستمرار الملك في ذريته حينما نازعه إخوانه على ذلك<sup>١١</sup>. وبهذا حصل الاعتقاد التام في الصوفية لدى ملوك وأمراء بل وساء قصور بني رسول، وبذلك مكنت الدولة الرسولية للصوفية تمكيناً تاماً، فما من اعتراض من الفقهاء على الصوفية إلا ويقمعه ملوك بني رسول، وما من انحراف

<sup>١</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٧٥)، و امرأة الجنان (٣٩٥/٤).

<sup>٢</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٢٤٩)، و امرأة الجنان (٤٥٨/٤).

<sup>٣</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٦٩)، و امرأة الجنان (٣٥٧/٤).

<sup>٤</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (١٤٦)، و امرأة الجنان (٣٤٨/٤).

<sup>٥</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (٧٢)، و امرأة الجنان (٣٧١/٤).

<sup>٦</sup> انظر ترجمته في المصدر السابق ص (١٢٠)، و امرأة الجنان (٣٤٧/٤).

<sup>٧</sup> إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف منشور في مجلة العرب العدد (١٥).

<sup>٨</sup> القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار جمعه عبد الله أحمد الناحي مخطوط مصور لدي.

<sup>٩</sup> الغرر ص (١٤٥) وما بعدها و المشرع (٢/٢) وما بعدها.

<sup>١٠</sup> انظر العقود اللؤلؤية (٥٢/١).

<sup>١١</sup> الصوفية و الفقهاء ص (٤٧).

يحدثه الصوفية إلا و يتأولونه لهم ، و انظر على سبيل المثال قصة النزاع بين الفقهاء وبين أصحاب وحدة الوجود ، والتي شرحها وبيّن مراحلها وأحداثها الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه " الصوفية والفقهاء في اليمن " <sup>١</sup> .

هكذا تكامل نشر الصوفية ورسخت جذورها بل و بسقت و تمت فروعها وآتت ثمارها في هذا القرن ، و واصلت التطور و التوسع في القرون اللاحقة <sup>٢</sup> .

#### قبورية الصوفية :

سبق الحديث عن نشأة المشاهد وبناء المساجد على القبور في اليمن ، و أنها كانت على يد الدولة الصليحية الباطنية ، وعلى أيدي السلاطين وبالأخص الأيوبيين والرسوليين ومن جاء بعدهم ومن عاصرهم من أئمة الزيدية، ولم يسجل في ذلك الوقت مشاهد خاصة بالصوفية، و مما يؤكد أنه لم يكن للصوفية مشاهد و قبور شهيرة - يقصدها الناس للتبرك بها و عمّل ما يعملها الصوفية المتأخرون عند قبور أوليائهم - خلّو طبقات فقهاء اليمن للجعدي من ذلك تقريباً ، و قد كان فراغه منه في آخر القرن السادس في عام (٥٨٦هـ) <sup>٣</sup>، بينما نجد البهاء الجندي قد شحّن كتابه السلوك بذلك ، و أكثر من ذكر القبور التي تزار ويتبرك بها، وإن لم يذكر أن عليها مشاهد إلا نادراً، حتى أن القاضي الأكوّع في مقدمته للسلوك تبرّم من ذلك ، و أنكره و سجّل كلمة قيمة و ملاحظة طيبة عليه .

<sup>١</sup> المصدر السابق من ص ( ٨٥ ) إلى آخر الكتاب .

<sup>٢</sup> انظر الفصل الرابع عشر من كتاب " التصوف في تهامة " ص ( ١١٧ ) وما بعدها تأليف محمد بن أحمد العقيلي ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ولا دار طبع .

<sup>٣</sup> مقدمة الكتاب ص ( ل ) .

<sup>٤</sup> انظر الجزء الأول الصفحات ( ٣٥٦ ) و ( ٣٩٢ و ٣٩٣ ) و ( ٤٢٣ ) و ( ٤٥٥ ) و ( ٤٦٢ ) ، والجزء الثاني ( ٦٠ و ٦١ ) و ( ٦٢ ) ، ( ٦٥ ) و ( ٨٢ ) و ( ١١٧ ) ، ( ١٨٢ ) و ( ١٨٣ ) و ( ١٨٨ ) و ( ٢٣٠ ) و ( ٢٣٤ ) و ( ٢٤٢ ) و ( ٢٦١ ) و ( ٤٤٧ ) و ( ٤٥٧ ) و ( ٤٥٨ ) .

<sup>٥</sup> انظر : أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بني على قبره مسجد أو دفن في مسجد في الجزء الثاني ص ( ٢٦٣ ) و ( ٤٢٦ ) و ( ٤٨٥ ) .

### بداية الزيارات الحولية :

و في تراجم رجال هذا القرن تُطالعُك الزيارات الحولية و غير الحولية للقبور و بعض الأماكن الأخرى ، ففي ترجمة محمد بن ظفر الشميري قال الجندي : ( و بلغتُ تربته قاصداً زيارته ، و أقمت عندها أياماً ، وهو بمسجد وإلى جنبه امرأته ، و ببركته مازالت قريته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله ، و لم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة و قضاء الحوائج التي تطلب من الله ، و كثرة الندور لها ، و في ليلة الرغائب من رجب يجتمع عندها خلق ناشر )<sup>١</sup> .

كما يطالعك في هذا القرن بدايةً اتخاذ اجتماع موسمي لزيارة قبر نبي الله هود على يد الشيخ عبد الله باعباد المعروف بـ " القديم " وذلك بعد جذاذ النخل وتعبئة التمر ، و ليس على الأشهر القمرية<sup>٢</sup> .

وذكر الياضي قصة زيارة الشيخ أحمد بن أبي الجعد و أصحابه و الشيخ سعيد بن عيسى العمودي و أصحابه لقبر نبي الله هود عليه السلام وما جرى بينهما مما سيأتي في الباب الثاني<sup>٣</sup> ، كما ذكر زيارة الكتيب الأبيض بأبين ، ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين ، و هو كتيب يزوره أهل تلك البلاد و ما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب ، وفيه ذكر مؤرخو حضرموت أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كان يزور قبر نبي الله هود عليه السلام<sup>٤</sup> .

و هكذا في هذا القرن تكاملت فصول الصوفية و ظهر معظم مقوماتها و عرف أبرز رجالها ثم فشّت و ترسخت أكثر و أكثر حتى يومنا هذا .

<sup>١</sup> السلوك ( ٢٦٣/٢ ) و الرغائب : هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب ، وقوله " خلق ناشر " أي كثير .

<sup>٢</sup> انظر : تاريخ حضرموت ( ٦٩/١ ) .

<sup>٣</sup> انظر ص ( ٣٠٧ ) .

<sup>٤</sup> مرآة الجنان ( ٣٥٤-٣٥٢ / ٤ ) .

<sup>٥</sup> انظر : الفرائد في قيد الأوابد للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص ( ٢٥ ) .

## الباب الثاني

### آثار القبورية

وفيه مدخل وثلاثة فصول :

المدخل : وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

الفصل الأول : عقائد القبورية الضالة .

الفصل الثاني : تعظيم القبور .

الفصل الثالث : أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية .



## المدخل

سبق في الباب التمهيدي تعريف القبورية و أنها (طائفة غلت في أصحاب القبور و اعتقدت فيهم عقائد ضالة ، حملتها على تعظيم قبورهم و آثارهم ، و التقرب إليهم بأنواع من العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى ) .

فهذه الطائفة أهم سماتها الغلو و هو مجاوزة الحد في هؤلاء الناس الذين زعمتهم أولياء لله تعالى ، مما نتج عنه عقائد ضالة ، بعض هذه العقائد شرك و بعضها دون ذلك ، وبناءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبور والآثار المنسوبة إلى أولئك الأولياء ، و بهذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفوس هؤلاء القبورية و مقلديهم من العوام ، مثل المحبة و الخوف المتجاوزين حدود الطبيعة الذين أوجبا التذلل و الانكسار أمام هؤلاء الأولياء أحياء و أمواتاً ، و حملا على التقرب إليهم بما لا يتقرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر و الذبح و الطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلا من الله تعالى و هو الدعاء ، و بناءً على كل ذلك نشأت في الأمة أمراض فتاكة مثل السحر و الكهانة و الدجل و الخرافة و التمايز الطبقي و تجهيل الأمة .

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية ، وهناك آثار كثيرة لن أتكلم عنها لضعف أو خفاء ارتباطها بالقبورية التي حددت معالمها في هذا التعريف ، و التي قد يكون لها بواعث أخرى غير الغلو في أصحاب القبور ، و من أمثلة ذلك عقيدة وحدة الوجود و إضاعة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عند الصوفية و السماع الصوفي ، فهذه الثلاثة النماذج وغيرها قد يتطلع القارئ لبحثها و دراستها ، و لكنني لن أخوض فيها ؛ لخروجها عما رسمته و حددته لنفسي ، و لضيق المساحة المحددة لهذا البحث .





# الفصل الأول

## مقائد القبرورية الضالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عقيدة القطبية والتصرف في الكون .

المبحث الثاني : عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ

يقظة .

المبحث الثالث : الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام والالتقاء به .

## المبحث الأول : عقيدة القطبية والتصرف في الكون وفيه أربعة مطالب :

### المطلب الأول : تعريف القطب :

قال الجرجاني في تعريف القطب : ( وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، و هو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته ، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها )<sup>١</sup>.

هذا هو القطب ، و هو مأخوذ عن الإسماعيلية كما سبق عن ابن خلدون<sup>٢</sup> ، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسفة ، و ما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة .

### المطلب الثاني : اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن :

ما اشتمل عليه تعريف القطب السابق هو ما اعتقده صوفية اليمن ودانوا به .

<sup>١</sup> التعريفات ص ( ١٧٧ - ١٧٨ ) .

<sup>٢</sup> هو المؤرخ المشهور وواضع علم الاجتماع عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي توفي سنة ( ٨٠٨ هـ ) اشتهر بالتاريخ الذي سماه العبر وديوان المبتدئ والخبر ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتماع ، ترجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين ، انظر ترجمته في آخر كتاب التاريخ ( ٣٦٥/٧ ) وما بعده ، والضوء اللامع للسخاوي ( ١٤٥/٤ ) ، الأعلام للزركلي ( ٣٣٠/٣ ) ، انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

يقول الياضي<sup>١</sup> بعد أن ذكر حديث الأبدال الموضوع : (( و له واحد قلبه على قلب إسرائيل )) قال : ( و الواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب ، و هو الغوث و مكانته من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم )<sup>٢</sup>.

وقال الحداد : ( و القطب الغوث هو : إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف ، و هم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم )<sup>٣</sup>.

و تلك الصفات التي يتحلّى بها القطب قد أسبغها قبورية اليمن على أوليائهم ، وبهذا وصف الشيخ علي الأهدل صاحبي عواجة البجلي و الحكمي ، فقال أثناء حكاية ساقها الشرجي عن الياضي في بعض مصنفاته : ( يا أبا الغيث هذان في مقام التولية والعزل ، يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى و سوف أرثهما وترثني أنت )<sup>٤</sup>.

و بذلك وصف محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني أبابكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصرفات مالية تصرفها العيدروس على غير الوجه الشرعي فقال : ( أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل و الحل و العقد و التصرفات كلها ، و أشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً و باطناً )<sup>٥</sup>.

و وُصف بها الشيخ عبد الرحمن السقاف ، قال عبد الرحمن الخطيب : (الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السقاف عليه السلام عن عبد الرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعالى - قال : كنت يوماً في مجلس شيخنا الشيخ عبد الرحمن - رضي الله تعالى عنه - فتكلم الشيخ في الشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني<sup>٦</sup> ثم قال في أثناء مدحه : أتى فقهاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له : يا أبا الغيث ما عرفنا إيش

<sup>١</sup> عبد الله بن أسعد الياضي توفي سنة ( ٧٨٦هـ ) أحد أقطاب صوفية اليمن فقيه مؤرخ صاحب كتاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومروءة الجنان في التاريخ ، انظر : طبقات الخواص ص ( ١٦٢ ) ، البدر الطالع ( ٣٧٨/١ ) .

<sup>٢</sup> روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ( ١٦ ) تأليف عبد الله بن أسعد الياضي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص ( ١٤٨ ) لعبد الله بن علوي الحداد طبع دار الخاوي الطبعة الأولى ( ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ) .

<sup>٤</sup> طبقات الخواص ص ( ٢٦٦ ) .

<sup>٥</sup> مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص ( ١٤ ) .

<sup>٦</sup> توفي سنة ( ٦٥١هـ ) انظر هجر العلم ( ٢١٩/١ ) ، السلوك ( ١٨٤/١ ) .

مذهبك أخبرنا إيش مذهبك أنت شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي ؟ فقال لهم : ( لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي ) فقالوا له : فإيش أنت ؟ فقال : ( جنداري من جنادة السلطان ) ، ثم سكت الشيخ عبد الرحمن ؓ ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بأعلى صوته : أنا جنداري من جنادة السلطان ، قال عبد الرحيم ثم بعد ذلك بأيام قلت للشيخ عبد الرحمن ؓ : وما جنداري السلطان ؟ ، فقال : ما هذا معناه ، هو الذي يدخل على السلطان من غير إذن ولا عليه حجاب ، ويأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد ، وإذا دخل بلداً أو مكاناً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولا غيرهما ، بل الأمر أمر الجنداري والحكم حكمه ما شاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له (...)<sup>١</sup> .

قلت : وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشاهد على ما تضمنته هذه الحكاية من اعتقاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل .

و إليك نص حكاية منها ، وهي الحكاية الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف<sup>٢</sup> قال : ( كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ ) قال : فلم أشعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فرفعت رأسي فقال : ما أجراك تنام هنا ويطن أبيك ملانة كرعان<sup>٣</sup> ١ كم واحد قال سلبه ثم ولى عني ولم أعرفه فسأل الشيخ عمر ؓ عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعان<sup>٤</sup> أ فقال أخذ الخلق كلهم في بطنه يولي من يشاء ويعزل من يشاء ؓ )<sup>٥</sup> .

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية ( فقال : إني صاحب الوقت و أتصرف في أهله و أنت فلان ابن فلان ، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك و لم أفعل ، ثم قال لي : أتريد أن أتصرف في قلب الباشا بأن يقوم ؟ و كان

<sup>١</sup> الجوهر الشفاف ( ٨١/١ - ٨٢ ) .

<sup>٢</sup> نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت توفي سنة ( ٨٣٣ هـ ) انظر الغرر ص ( ١٩٢ ) ، المشرع ( ٢٤١/٢ )

<sup>٣</sup> هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص ( ٩٨٠ ) .

<sup>٤</sup> ما بين القوسين من الحاشية معلم أنه ساقط من الأصل .

<sup>٥</sup> الجوهر الشفاف ( ٨٠/٢ ) .

جالساً في الحرم فبمجرد قوله ذلك قام الباشا و أتباعه و ذهبوا خارجين من الحرم ، فلما قاربوا الخروج منه قال لي : أتريد أن أتصرف فيه بأن يرجع فيطوف ؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه و طافوا ، ثم قال لي : أتريد أن أتصرف في قلب الشريف عبد المطلب بأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي ؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته يقول لكم الشريف عبد المطلب لا يمتنع أحد من الخمسة الديواني <sup>١</sup>).

فانظر إلى هذا الذي إن صدق النقل عنه فهو ساحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية و أنه يتصرف حتى في قلوب الناس و مقاصدهم و يحملهم على فعل ما يشاء دون اختيار منهم ، و كيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صوفية حضرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسلماً بها مريداً منهم أن يصدقوها ويعتقدوها ، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه ؟

### المطلب الثالث : التصرف في الكون أهم وظائف القطب :

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوض من قبل الله تعالى في التصرف في الكون ، وربما أطلقوا على مرتبة القطبية ( الخلافة العظمى ) <sup>٢</sup>، والمعنى : أن يكون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون.

ولعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تبين سعة ذلك التفويض و شموليته من حيث الزمان و المكان ، و من حيث الدنيا والآخرة .

نقل السيد علي بن محمد الحبشي <sup>٣</sup> - أحد أقطاب حضرموت - على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبد العزيز الدباغ قوله : ( إن تصر في يصل حتى إلى الجنان ، و إن الحور ما

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٢١٦ )

<sup>٢</sup> أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ( ٢ / ٦١٩ ) .

<sup>٣</sup> علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيون و منشئ رباط العلم بها المسمى باسمه " رباط الحبشي " من أشهر علماء زمانه و مربي جيله تلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا و أصبحوا من العلماء والأدباء غير أنه مع علمه قد نقل عنه من الحرافات و الهذيان ما لا مزيد عليه و ذلك ما حواه كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بحضرموت توفي رحمة الله سنة ( ١٣١٢هـ ) انظر تاريخ الشعراء الحضرميين ( ٤ / ١٢٨ ) تأليف المؤرخ عبد الله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سنة ( ١٤١٨هـ ) الطائف ، ولوامع النور ( ١ / ١٩٧ ) .

يفعلن شيئاً إلا بأمر مني ) ، و كان يقول لمريده : ( إن كنت تعتقد أن اليُسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفأر بغير إذن مني فما أحسنت الأدب معي ) ، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقول : ( انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد )<sup>١</sup> .

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الدنيا والآخرة و جميع أقطار الأرض وجميع العوالم من عالم الحور العين إلى عالم اليُسَّ والفأر .

و إليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة و بعد الموت ، قال الشلي : ( و قال بعض العارفين : الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصرفوا بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم و هم القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي و حيوة بن قيس ) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خرد باعلوي<sup>٢</sup> صاحب الغرر :

تصرف شيخ في الوجود معظم	على السادة الأسياف أهل المعارف
على السيد الشيخ الفتى عبد قادر	ومعروف الكرخي منج لتالف
وقيس عقيل المنبجي و شيخنا	لتصريفه لا يصرفون الصارف
و تصريفهم في كل شيء محقق	سوى في جمال الدين عين لواقف <sup>٣</sup>

وتأكيداً لذلك تجدهم في الحضرات و بعض الموالد ينشدون إلى اليوم :

ربي اسألك بأسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقول صاحب شرح العينية : ( وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم ، قال المشايخ العارفون : ما صلينا على جنازة إلا و الفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها )<sup>٤</sup> ، فانظر الشمول الزماني لهذا التصريف من الأزل إلى الأبد ! بل زاد في

<sup>١</sup> كنوز السعادة الأبدية ص ( ١٧٩ ) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

<sup>٢</sup> صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة ( ٧٦٠هـ ) انظر ترجمته في الغرر ص ( ٣-١١ ) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ( ١٤٢/١ )

<sup>٣</sup> المشرع الروي ( ٢ / ٦ - ٧ ) ، وقال بعد أبيات ( قوله : وقيس صوابه حيوة ) .

<sup>٤</sup> شرح العينية ص ( ١٦١ ) نظم عبد الله بن علوي الحداد تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع مطبعة كرجاي المحدودة سنغافورة ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ) .

الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته : ( فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه )<sup>١</sup> .

و في مناقب عبد الرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد : ( ومنها ما روي عن السيد عبد الرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور ، قال كنت في عدن ، وقد أصابني في عيني وجع ، و لقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن ، و أريته إياها و كان عارفاً بعلم الطب ، و قيل ، إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها ، ما يسأله أحد عن شيء منها ، و قلت له يا فقيه : أعطني لها دواء ، فلما نظرها قال : ( هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر و ليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها ، و إن أردت لها دواءً قبل ذلك دلناك عليه فقلت : ما هو ؟ فقال : اقصد جدك الشيخ عبد الرحمن ، و قل له : يسلم عليك محمد بن سعيد كبن ، و قل له : في عيني وجع أريدك تزييله بإذن الله فإنه يزول ، فقلت له : تحولني على ميت ؟ فنهض من مقعده و ارتعش ، ثم قال : والله ، ثم والله ثم والله ، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته ، كتصرفه في حياته ، وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته ، و في رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبد الله باقشير ، ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن ، قال : لما رأى الفقيه عين عبد الرحمن رآها عمياء لكتيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة ، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه ، فقال عبد الرحمن : ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له : إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك ، فأخذ بإذني وقال لي : ( أنا ابن محمد بن علي ، ما تصدق إلا إن قال : لك ابن كبن ؟ أنا كذلك وأزید و أزید ، ﷺ ونفع به )<sup>٢</sup> ، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك و أزید و أزید ولا أدري ما هو الأزید من ذلك ؟ .

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن : ( من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفيين القاطعين أعني

١ الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث للأستاذ الأعظم الفقيه محمد بن علوي باعلوي دفين تربة تريم ص ( ٢١٣ ) مع البرقة المشيقة للسيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة ( ١٣٤٧هـ ) .

٢ الغرر ص ( ٣٩٨ ) .

أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المذكورين ، و ذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت ، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا ، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت و يزور في وقت آخر ، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار و رجع ، و الشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد : توجه عليك حق الفقراء في رجوعك فقال : لا ما توجه علي حق ، فقال له الشيخ أحمد : بلى قد توجه عليك الحق فقم و أنصف ، فقام الشيخ سعيد وقال : من أقامنا أقعدناه ، فقال الشيخ أحمد : ومن أقعدنا ابتليناه ، و أصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه ، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى ، و صار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما .

وهذه لعمرى أحوال تكل في جب بعضها السيوف القاطعة ، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافئين أو قريباً من التكافئ ، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف ، و قد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر ، والله أعلم .<sup>١</sup>

ومنهم من يدعي ذلك لنفسه ، كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات :  
( أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها )<sup>٢</sup> .

وقال أحمد بن حسن العطاس قال : ( فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبد الله قال لي : لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي ) ، وقال أيضاً : ( قال الحبيب أبو بكر بن عبد الله انسدت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت : لعله عالم الذر قال : نعم ، فقلت لعله لما ولوكم عليه ؟ قال : نعم )<sup>٣</sup> ، و هذا واضح أن الرجل يدعي أنه بيده مفاتيح

<sup>١</sup> امرأة الجنان للياضي ( ٤ / ٣٥٢ - ٣٥٤ ) .

<sup>٢</sup> من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديلمي ص ( ٩٣ - ٩٥ ) .

<sup>٣</sup> الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية محمد بن عوض بافضل ص ( ٢٥ ) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .



الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى ، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذرأي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد .  
وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبنوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها، حتى لقد قال عبد الرحمن بن محمد السقاف باعلوي<sup>١</sup> : ( في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشراف )<sup>٢</sup> فهؤلاء فقط في تربة تريم ، فكم في باقي ترب اليمن ، والسقاف توفي عام ( ٨١٩ هـ ) فكم جاء بعده من الأقطاب ، وهذا كله في اليمن إلى ذلك التاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا ، لاشك أن عدد الأقطاب لا يمكن أن يأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولون إن القطب واحد فقط ولا يولي غيره حتى يموت .

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض .

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصوفية في عقيدة القطبية شاركوهم كذلك في اعتقادهم بدولة الأولياء وديوان شورايم ، يقول أحمد بن حسن العطاس : ( وعقد أي الديوان مرة في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس و رأيت الحبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه ، و كان رئيس المجلس الحبيب أبو بكر ، و رأيت بالجانب البحري من القبة ، رجلاً فسألته : من هو ؟ فقال : نقيب الأولياء بالقدس ، والذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مدة بعد موته ، قال سيدي : والرجال الذين هم رجال ما يطلبون مقام القطبية ، و لا غيرها ويفرون منها ، ومثالها مثال مَنْ قال لك : ( هذه البلدة و نفقة أهلها ، و خرج معاشهم ودوابهم ، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك ؟ ) .

وقال أيضاً : ( و في ليلة وفاة الحبيب أبي بكر عبد الله العطاس ، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والباطن، وجلست أنا بالقرب منهم ، وكان ذلك في جامع حريضة ، فكان رئيس المجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني فدعاني الشيخ عبد القادر فقلت له : أنا ما لي طاقة لشيء إن معكم شيء لي اطرحوه

<sup>١</sup> جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص ( ١٤١ / ٢ )

<sup>٢</sup> الغرر ص ( ٩٦ )

في القرآن ، فطلع أحد من الأولياء لم أعرفه إلا من بعد ، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شبام ، بالقرب من العقاد ، وجعل الأمر بين اثنين ، واحد على المعالي وواحد على المسافل <sup>١</sup> .

**المطلب الرابع : فروع عقيدة التصرف في الكون :**

**الفرع الأول : درجة الكونية :**

و المراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون ، وهذا مما اختص الله به ، ولم يقم دليل على أن الله تعالى منحه أحداً من خلقه ، و لم يدعه أحد من رسل الله فضلاً عن غيرهم من البشر ، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعاء الكاذب المبني على الادعاء الكاذب الأول .

و من أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم و إقرارهم من ادعاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع قال : ( و حكى أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال : ( ظهر لي ثلاث أحيي و أميت بإذن الله ، و أقول للشيء كن فيكون ، و أعرف ما سيكون ، فقال الشيخ عبد الله : نرجو فيك أكثر من هذا ) <sup>٢</sup> . وأعجب من ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة الشيخ إبراهيم بن يحيى بن أحمد بن محمد بافضل : ( و قال في بعض مصنفاته وردت إلي رقعة من الفقيه ابن العربي ؓ فإذا فيها ورد علينا فقير و قال لنا : الفقير يحيي و يميت بإذن الله تعالى ، و الفقير يقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى ، و الفقير لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد . فأشكل علينا ما فيها <sup>٣</sup> ، فقال الشيخ إبراهيم بن يحيى ؓ شعراً :

إذا لم افتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني

بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعد هذا كذبوني

<sup>١</sup> نظر الحكايتين في : تذكير الناس ص ( ٢٠٦ - ٢٠٧ ) .

<sup>٢</sup> المشرع ( ٢ / ٢١١ ) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص ( ٢٨١ ) : ( يقول للشيء كن فيكون بإذن الله ) ، وانظر الفرر ص ( ٣٧٢ ) .

<sup>٣</sup> هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل و أظنها فيها .

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن) <sup>١</sup>.

وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة، وأخذ بها.

### الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات التي لا شريك له سبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصفتين في آيات كثيرة جداً، أقتصر على ثلاث منها، ففي آل عمران يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ <sup>٢</sup>، وفي التوبة يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَنِ وَلِيَ وَلَا نَصِيرٌ﴾ <sup>٣</sup>، وفي يونس يقول الله تعالى: ﴿هُوَ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ <sup>٤</sup>، ولما كانت هاتان الصفتان من أكبر البراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿رَبِّی الَّذِیْ یَحْیِیْ وَیَمِیتُ﴾ فعاند الطاغية و كابر فقال: ﴿أَنَا أَحْیِیْ وَأَمِیتُ﴾ قال المفسرون: فلما رأى إبراهيم سفهه و سخافة دعواه عدل إلى دليل آخر أكثر ظهوراً ولا يستطيع أن یغالط فیهِ سفهاء الأحلام ممن حوله، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِیْ كَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ﴾ <sup>٥</sup>، وقد عد المفسرون هذا الطاغية مدعیاً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الذي صرح بذلك حين قال: ﴿أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلَى﴾ <sup>٦</sup> وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَکُم مِّنْ إِلَهِ غَیْرِی﴾ <sup>٧</sup>.

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصفتين فقد ادعى الربوبية، ومع ذلك فإن الصوفية القبورية يدعون ذلك لبعض أوليائهم، أو يدعيها بعضهم فيقرونه عليها، وإذا أردنا أن نعتذر لهم نقول: إنهم لم يدعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعوا الخلافة العظمى عن الحق سبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة التي فوضها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها

<sup>١</sup> الجوهر الشفاف (١ / ١٤٦ - ١٤٧).

<sup>٢</sup> آل عمران (١٥٦).

<sup>٣</sup> التوبة (١١٦).

<sup>٤</sup> يونس (٥٦).

<sup>٥</sup> البقرة (٢٥٨).

<sup>٦</sup> النازعات (٢٤).

<sup>٧</sup> القصص (٣٨).

من الصفات التي يزعمونها لأوليائهم ، وأما ادعاؤهم ذلك فثابت لا شك فيه ، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعاء علوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول .

#### الفرع الثالث : علم الغيب :

من مسلمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشاركه فيه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾<sup>١</sup> ، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قال تعالى: ﴿ و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾<sup>٢</sup> ، وقد بينها سبحانه وحصر علمها عنده ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ؛ لا يعلم ما في غير إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ))<sup>٣</sup>.

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به ، وأن من ادعاه فقد كذب وأنه طاغوت<sup>٤</sup>.

ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدوه من كراماته ومناقبه .

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه : ( يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون ) . ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف أنه يقول : ( أعرف من الفرش إلى العرش )<sup>٥</sup> ، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبد الرحمن السقاف : ( كان يقول : أنا أعرف

<sup>١</sup> الجن ( ٢٧ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ٥٩ ) .

<sup>٣</sup> رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) ( ١٧٣٣ / ٤ )

<sup>٤</sup> انظر : فتح القدير للشوكاني ( ١٢٣ / ٢ ) .

<sup>٥</sup> انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٢٨٢ / ٣ ) .

<sup>٦</sup> المشرع ( ٣٣ / ٢ ) .

السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالشيم) <sup>١</sup>، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ : ( وقال والده عبد الرحمن السقاف : ولدي شيخ كعشرة شيوخ ، وما سميته شيخاً إلا أنني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً ) <sup>٢</sup>.

وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل .

#### الفرع الرابع : إعطاء الولد :

هذه الخصلة ( إعطاء الولد ) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال ﷺ : ﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير ﴾ <sup>٣</sup>.

ولو قيل : إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ما كان عليه من نكير ، و لكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه ادعاء ما هو من خصائص الربوبية ، و القبرية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياء وأمواتاً ، والدليل عليه ما جاء في تذكير الناس قال جامعهم : ( وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي ﷺ فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له : حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار ، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة ، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له : يا بياتيك ولد ، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له : يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد ، وأنت ياتيك نصف ولد ، فاتاه نصف ولد على رجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه ، نسال الله العافية ) <sup>٤</sup>.

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله ، وإنما يقول على جهة الوعد ( بياتيك ولد ) وهذا باللهجة الحضرية معناه سوف ياتيك ولد ، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء ، و يؤكد ذلك إنكار العامي و غضب الحبيب من ذلك الإنكار ، ثم تصريحه بأنه قسم ، و قسم من أين ؟ قسم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم ، فأبو بكر بن سالم عنده

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٨٩ / ٢ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ١١٦ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> الشورى الآية ( ٥٠ - ٤٩ ) .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص ( ٣٢١ ) .

القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسم من ملك جده ، أليس هذا صريح في أنهم يدعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه .

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم ، قال صاحب تذكير الناس : ( قال سيدي : وزنا مرة تربة الفريط بتريم نحن و الأخ حامد بن أحمد الحضار ، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال : - والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبوده بنت عبد الله بن عمر القعيطي ، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعد أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش )<sup>١</sup> .

و صاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلماهم ، و مع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها ، و"حامد الحضار" من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر ، إذاً هي قضية مسلمة يرون عليها أتباعهم .

و يقول آخر من كبارهم وُصف بأنه : " العالم الجليل نسخة السلف وقودة الخلف " في رحلته الموسومة ب"النفحة الشذية إلى الديار الحضرية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت" في نفس الموضوع : ( ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ، و يروى أن من طرح عند قبره حجرة يرزق ولداً ، وقيل : لنا أن الحبيب علي بن محمد الحبشي زاره ويصحبه الحبيب عمر بن عيروس العيروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر ، فقال له الحبيب علي : كثرت جم ، فقال : أريد نسمات تذكر الله أو قال تعبد الله ، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هذه النية )<sup>٢</sup> ، فإذا كان هذا فعل علماهم فماذا يا ترى يصنع عوامهم وجهالهم . ٩

#### الفرع الخامس : إنزال المرض ورفعته :

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فالمرض لا يصيب به إلا رب العالمين ، قال تعالى حاكياً عن إبراهيم أنه قال لقومه وهو يدعوهم ويبين لهم حقيقة دعوته وعقيدته : ﴿ وإذا

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٣٢٢ - ٣٢٣ ) .

<sup>٢</sup> النفحة الشذية إلى الديار الحضرية ، وتليه رحلته تلبية الصوت من الحجاز وحضرموت ص ( ٧٥١ - ٧٦١ ) ، تأليف العالم نسخة السلف وقودة الخلف الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ، طبع على نفقة أحد المحبين من المحسنين ( ١٣٩٧ هـ ) .

مرضت فهو يشفين<sup>١</sup>، وقال الرسول ﷺ : (( لا عدوى ولا طيرة ))<sup>٢</sup>، وقد صرح العلماء بأنه ليس المقصود نفي العدوى من أصلها بدليل قوله ﷺ : (( لا يورد ممرض على مصح ))<sup>٣</sup>، لأنه واضح أن في ذلك اعتبار العدوى ولكنه نفي على المعنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم ﷺ هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شاء وأنه يرفعه عمن يشاء، إن ذلك لاشك ادعاء لخاصة من خصوصيات الربوبية وتعليق للخلق بغير الحق وهذا أيضاً مضاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى .

و إليك الدليل على زعمهم وضع الأمراض على أناس ورفعها عن آخرين، فقد ذكر الشرجي في ترجمة إسماعيل الجبرتي قال : ( و من ذلك ما يروى عن رجل من أهل مكة يقال له الفقيه عبد الرحيم الأميوطي أنه قال : ( كنت لا اعتقد الشيخ إسماعيل، وكنت أحط منه، فبينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، وإذا بي أرى الشيخ قد دخل عليّ في جماعة، فسمعتة وهو يقول لآخر : هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ ثم قال : هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليّ، ثم مازال يقول هات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدرَ عشرين وجعاً حتى كدت أموت، وخرج، قال : ( فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي و يومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليّ فرفع ذلك كله عني، و قمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به )<sup>٤</sup>.

إذا فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بالمرض من قبلهم، فهذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع ( ... وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة

<sup>١</sup> الشعراء آية ( ٨٠ ) .

<sup>٢</sup> البخاري في صحيحه ( ٢١٥٨/٥ )، كتاب الطب باب الجذام، ومسلم في صحيحه ( ١٧٤٣/٤ )، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

<sup>٣</sup> مسلم في صحيحه ( ٧٤٣/٤ ) في الكتاب والباب السابقين، كلاهما من حديث أبي هريرة .

<sup>٤</sup> انظر: ( ١٦٠/١٠ - ١٦٢ ) من الفتح .

<sup>٥</sup> طبقات الخواص ص ( ١٠٣ ) .

أيام ، فقيل له : أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال : إني لم أدعُ على أحد ، و لكنني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب )<sup>١</sup>.

#### الفرع السادس : إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً ، منها قوله تعالى : ﴿ أفرايتم الماء الذي تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾<sup>٢</sup> ، فلو كان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً ؟ والجواب : لا قطعاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا الله ، بل حتى علم الوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾<sup>٣</sup> ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد الله ، بل إن رسول الله ﷺ قد حسم الأمر بشكل أوضح ، وأبعد المؤمنين عن توهم ذلك أو التلفظ بلفظ يؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني ؓ قال : ((صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف ، أقبل على الناس فقال: ( هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال: ( أصبح من عبادي مؤمن وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب ))<sup>٤</sup>.

و من الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخواص حيث قال : ( و كان للفقهاء أيضاً ولد يقال له علي ، كان من الصالحين ، وكان لا يلزم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك ، وكان يقال له صاحب الماء )<sup>٥</sup> ، وقد كان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منها : ( أنه

<sup>١</sup> المشرع ( ٢٤٢ / ٢ - ٢٤٣ ) .

<sup>٢</sup> الواقعة الآية ( ٦٨ - ٦٩ ) .

<sup>٣</sup> لقمان الآية ( ٣٤ ) .

<sup>٤</sup> البخاري في صحيحه ( ٢٩٠ / ١ ) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم ( ٥٩ / ٢ - ٦٠ ) مع النووي كتاب الإيمان

باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

<sup>٥</sup> طبقات الخواص ص ( ٧٧ ) .



وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة ، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه ، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ثم قال : ( يا ميكائيل كل ، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية و مطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى )<sup>١</sup> .

ومنها قول صاحب الطبقات : ( وكان أهل الوادي خُلب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة يصحبونه و يعتقدونه ، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلوا يلزمونه في السيل فقال لفقيه له : ( اذهب إلى رأس الوادي وقل له : يقول لك الفقيه سل الآن ، ففعل الفقير ذلك ، فسال الوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئاً بفضل الله تعالى )<sup>٢</sup> ، فلاحظ أمره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانية ، هل يدل على أن الأمر مجرد دعاء ؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه .

و في تذكير الناس : ( قال سيدي : و وقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد ، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة ، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد : سنجينكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله ، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة )<sup>٣</sup> .

وأوضح من هذا ما ذكره ، أيضاً في تذكير الناس قال : ( قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبد الله بن أحمد بلعيف كان من أولياء الله المستجابة دعوتهم ، ويقال له بياح السيول ، وصل إلى تريم في بعض زياراته ، فاجتمع ببعض السادة آل العيدروس فقال له أنت : بلعيف بياح السيول ، فقال له الشيخ : نعم حاجة خدمة ، فقال له الحبيب : نعم مرادنا سيل ، فقال الشيخ لا بأس ، بكم تشتري ؟ فقال له الحبيب بالذي تريده ، فقال الشيخ : نبيع لك سيل بكبش سمين ، وخمس قهاول<sup>٤</sup> بر ، فقال الحبيب : لا بأس تم الكلام ، فقال الشيخ تبغي السيل لأي أرض ؟ قال الحبيب : للشرح الفلاني حقي ، فقال الشيخ : هات الكبش والبر و أخرج رُعاضك لشرحك ، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُعاض<sup>٥</sup> وشرب الشرح بإذن الله وبركة أولياء الله )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٧٥ ) .

<sup>٣</sup> تذكير الناس ص ( ١٨٧ ) .

<sup>٤</sup> القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .

<sup>٥</sup> الرُعاض جمع راعض وهو الذي يعدل السيل في الحقول .

قلت : وحكى لي جدي - رحمه الله - أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسليمان " وكان حراثاً عارفاً بقوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض ، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يأت سيل آخر ، فيقول : ( ما بيني وبين السيل إلا صاع طحين ) ، يعني أنه يتزود صاعاً من الطحين و يزور الشيخ سعيد بن عيسى فيأتي السيل ، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي و أمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل ١٩ .

#### الفرع السابع : إجابة الداعي وإغاثة المستغيث :

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها ، فإن المرید الصوفي أو العامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون و التولية و العزل فيه ، و اعتبره الواسطة بين الله و بين عباده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته ، وأنه قد فوّض إليه تصريف الكون ، و أن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش و حتى البس لا يأكل الفار في جميع أقطار الأرض إلا بإذنه ، و أنه يعطي و يمنع و يشفي و يمرض بل يميت و يحيي و ينزل الغيث و يهب الولد ، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات ، ماذا سيتصور ذلك المسكين ، هذا الولي ؟ لاشك أنه سيتصور أنه هو السميع المجيب و أنه على كل شيء قدير ، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة ، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهوب إلا بالالتجاء إليه ، و هذا هو الذي يحصل في كثير من الأحيان و الأحوال و لدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبرورية على الناس .

و هم لم يكتفوا بما مضى من دفع الناس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطئ ، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يسمعون من ناداهم و يجيبونه و يغيثون من استغاث بهم وينقذونه مما هو فيه ، و يروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثة ، بصور وأساليب متنوعة كلها تتأزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقاد في ذلك الشخص بأنه يفعل ويفعل ، و أن على الجميع الالتفات إليه و الاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٨ ) .

وهذا هو الشرك بالله تعالى ، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضع ، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبات أنهم يعتقدون في أهل الولاية منهم أحياء وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويفيئون المستغيث ، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة .

واليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشاهدة على ما نقول :

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسمونه ( قطب الدعوة والإرشاد عبد الله بن علوي الحداد ) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصائده لدى القوم ، وهي " العينية " حيث يقول فيها في صفة الولي :

من كل طود في العلوم وفي الحجا	متبحر متفنن متوسع
داع إلى الله العظيم بفعله	ومقاله والحال غير مضيع
ذي عفة وفتوة وأمانة	وصيانة للسرا حسن من يعي
وزهادة وعبادة وشهادة	منه الغيوب بمنظر ويمسمع
جمع الرياضة والكشوف ولم يزل	يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي <sup>١</sup>

إذا فهي حقيقة مسلمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن يستجيب إذا دعي<sup>٢</sup>، فعند القوم أن الولي "يدعى" و ليس فقط يتوسل به و"يجيب إذا دعي" و ليس الله ﷻ يجيب من دعاه متوسلاً به .

و بناءً على تلك الحقيقة المعروفة لديهم منذ عرف التصوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيته ، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم .

و من ذلك ما ذكره شارح العينية المذكورة في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم حيث قال: ( و كان ﷺ سريع الغوث لمن استغاث به ، قال السيد الجليل العلامة المحدث الإمام محمد بن علي علوي خرد باعلوي في كتابه " الغرر " أخبرني الشيخ عبد الرحمن بن علي أن العارفين قالوا : ( ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجابتهم مسرعة ملجمة من دعا

<sup>١</sup> شرح العينية ص ( ب ) من المقدمة .

<sup>٢</sup> انظر : شرح هذا البيت في العينية ص ( ١٧-١٨ ) .

بهم أجيب و هم علوي المذكور وابنه علي والشيخ عمر المحضار ، وقال صاحب كتاب الغرر المذكور في ذلك شعراً :

إذا خفت أمراً أو توقعت شدة      فنوّه بهم كي يدركوك ويحضروا  
فنوّه بعلوي الفتى وابنه علي      كذا عمر فيما يجلب ويعسر  
فغارتهم تنجيك من كل شدة      وعسر وضيق أو بصدرك يكبر<sup>١</sup>

ولا يقتصر الأمر على أناس ينسبون إلى الولي أنه يغيث من يستغيث به ، ولكن الولي يدعي ذلك لنفسه ويفخر به ، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة مازالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف .

إني سريع الغوث في      كل الشدائد فاهتف  
باسمي تجدني أسرع  
قل يا شهاب الدين إن      يعرفك خطب يا فطن  
فأنا لخطبك أدفع

وقال شارح العينية في ترجمة عبد الرحمن السقاف : ( و كان يرد على من غلط في مسجده و هو بالعجز<sup>٢</sup> ويسمعه الغالط ، وكان يقلب التراب دراهم بإذن الله تعالى ، و كان يظهر لمن استغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً )<sup>٣</sup> .

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس ، قال المؤلف : ( ومما أكرم الله به صاحب المناقب ، وخصه به من سنيات المراتب ، وكان ينفرد به دون أقرانه من أهل المظاهر والمناصب ، أنه يحضر عند من ناداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية )<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> شرح العينية ص ( ٧٤١ ) وانظر أيضاً : المشرع الروي ( ٢١٢ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> العجز : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق ترم تبعد عنها مسافة .

<sup>٣</sup> شرح العينية ص ( ١٨٨ ) .

<sup>٤</sup> تاج الأعراس ص ( ٩٤ / ١ ) .

وتقول الشيخة سلطنة الزييدية كما في ترجمة السقاف من المشرع : ( ما رأيت أحداً أسرع إجابة عند الاستغاثة من السيد محمد بن السقاف ، وكانت تقول : إذا حدث أمر واستغثت بالأولياء فأول من يغيثني هو )<sup>١</sup> .

وقال صاحب " تاج الأعراس " في ترجمة صالح بن عبد الله العطاس : ( وممن أثنى على صاحب المناقب واعترف له بمقام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور ، وعالمها وإمامها المشهور ، شيخ الإسلام ببلد الله الحرام السيد أحمد بن زيني دحلان قال : ) إنه حصل عليّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بالحبیب صالح بن عبد الله العطاس صاحب عمد وهو إذ ذاك بحضرموت ودعوته بثلاثة أصوات ، فإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي ، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعون جندياً كلهم مسلحون ، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته )<sup>٢</sup> .

وقال كذلك في ترجمة هادون بن هود العطاس : ( ومن كرامات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرني به والدتي الشريفة العفيفة شيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من الباب السادس عن والدتها الشريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت : لما كان والدي يجدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يوم وليس عندنا في الدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقال : لا بأس ، و لكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشعر العمال بأن غداهم يطبخ كالعادة ، ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين ينقلون المدر منهم و أمرهم أن يرتجزوا به ، و كان قد استنجد فيه بجده الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله :

مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد<sup>٣</sup> القبة وغافل

<sup>١</sup> المشرع الروي ص ( ١ / ١٨٤ ) .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ١ / ١٠٤ ) .

<sup>٣</sup> هذه الكلمة باللهجة الحضرمية معناها ( لا تبقى ) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا .

قالت : فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي غير مرسلّة لمقام المشهد من أهل حجر بن دغار وفيها الذرة والتمر والدهن وغير ذلك ، و بمعية العير أناسٌ من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن و معهم ثلاثة أكباش سمان للمقام ، فذبحنّا وقدحنّا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم ، انتهى .

قلت<sup>١</sup> : وقول الحبيب هادون لجدّه علي ( وهز الرمح ) لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حرية وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجراة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحريته فيخبرون قراياتهم بذلك موقنين بالموثوق ويموتون في الحال بإذن الله القائل : (( من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب )) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول ؛ لأن الحبيب علي قد جعله عُرْضه بضم العين أي أماناً مؤيداً في كل سنة بين المحاريين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البال إلى المشهد لحضور قصة مولد نبيهم محمد ﷺ و سماع شمانله الشريفة وما يضاف إلى ذلك من المواعظ الدينية ، فكان مما أكرم الله به الحبيب علي وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل و نقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عدد من أولاده و قبيلته بمقدار الأيام الماضية من ذلك الشهر ، فمن قتل فيه في اليوم الخامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أسرع وقت ، و من قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله سبعة و هكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من المجربات التي لا خلاف فيها )<sup>٢</sup> .

وأعتذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثيرة يجدها المتأمل وليعرف كيف يسخر القبوريون الناس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم .

وأسألُ صاحب التاج وكل من ينشر هذه الحكايات ويغرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسلمين أين كان الحبيب علي وحريته يوم هجم الجيش النجدي على المشهد فأخربه وهدم قبهه و كسر توابيته<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٢٠٧-٢٠٩ ) .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب مقدمة ديوان العيدروس قال : ( وأخبرني السيد لفيقه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال : ( كنا في سفينة سائرين إلى الهند فحصل في السفينة خرق عظيم فأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ ، فقال نعمان : فهتفت بشيخي أبي بكر بن عبد الله العيدروس ، فأخذتني سنة فرأيت شيخي وهو داخل السفينة ويده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق ، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جاء الفرج ، فقالوا لي : ماذا رأيت ، فقلت لهم : رأيت شيخي ﷺ دخل السفينة الساعة وبيده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجدوا الخرق مسدوداً بمنديل أبيض )<sup>١</sup>.

و في نفس الكتاب في آخره قال : ( وأخبرني الأمير مرجان بن عبد الله عبد السلطان عامر بن عبد الوهاب قال: كنا في محطة صنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل ، وأنا إذ ذاك في جماعة ، فحمل علينا العدو فضر أصحابي و وقع في فرسي جملة أكوان<sup>٢</sup> فسقط بي ، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصالحين ، ثم ذكرت الشيخ الأجل أبا بكر بن عبد الله العيدروس فهتفت به فإذا هو قايم فو الله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً أخذ بناصيتي وناصية فرسي و شلني من بينهم حتى أوصلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته )<sup>٣</sup>.

فهذه النماذج إن شاء الله كافية لإثبات أن القوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم ، وأنهم يغيثونهم عند ذلك ، فحيناً يحضرون بأنفسهم ، وحيناً يحصل المطلوب بدون حضورهم ، وعليه فإن دعاءهم لأوليائهم ليس مجرد توسل إذ التوسل إنما هو دعاء لله تعالى مع ذكر المتوسل به وسؤال الله سبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو ببركة ذلك المتوسل به ، ولذلك فإن الذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصرون عليها لا يجيزون دعاء المتوسل بهم ويصرحون بأنهم لا يدعون ولا يجيزون دعاء غير الله ، وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونوا سبباً في عطاء الله .

<sup>١</sup> مقدمة ديوان العيدروس المسمى (محجة السالك وحجة الناسك) ص ( ٢٤٢ ) ، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن

باوزير ضمن المجموعة العيدروسية.

<sup>٢</sup> أي جراح .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢٤٧ ) .

## المبحث الثاني

### عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة

#### وفيه أربعة مطالب :

#### المطلب الأول : تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية:

##### التعريف :

قال الراغب الأصبهاني : (الرجوع : العودة إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء ، مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً ، و بذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله ، فالرجوع العودة ، والرجع الإعادة ، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات ، ويقال فلان يؤمن بالرجعة )<sup>١</sup>.

و قال ابن الأثير : ( و الرجعة مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم ، ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع و الأهواء يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كما كان ، و من جملتهم طائفة من الرافضة يقولون : إن علي بن أبي طالب مستتر في السحاب ، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء اخرج مع فلان )<sup>٢</sup>.

##### أصلها الشيعي :

هذه هي الرجعة وهي من عقائد الرافضة كما هو واضح من كلام ابن الأثير .  
وقد عرفوا الرجعة بأنها : ( رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة و عودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها )<sup>٣</sup> و يرون أن الراجعين إلى الدنيا بعد موتهم هم : ( النبي الخاتم وسائر الأنبياء والأئمة المعصومون و من محض في الإسلام و من محض في

<sup>١</sup> نقلاً عن : تقديس الأشخاص (٩/٢) .

<sup>٢</sup> النهاية في غريب الحديث ( ٢٠٢/٢ ) للإمام محمد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير ، طبع دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ( ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ) .

<sup>٣</sup> انظر : أصول مذهب الشيعة ( ٩١٣/٢ ) .



الكفر دون الطبقة الجاهلية المعبر عنها بالمستضعفين<sup>١</sup> و يقصدون بمن ( محض في الإسلام ) أنفسهم و أتباعهم و من ( محض في الكفر ) أعداءهم من أهل السنة سيما كبار الصحابة الذين يزعمون أنهم غصبوا أهل البيت حقهم .

و بما أن الصوفية قد أخذوا جُلَّ عقائدهم عن الرافضة ، فمن تلك العقائد عقيدة الرجعة ، وإنما لم يسموها باسمها عند الرافضة ، بل لم يجعلوها لها اسماً خاصاً ، وإنما يدل على ذلك تعريفهم العملي وتصريحهم بعودة بعض المقدسين إلى الحياة و لقاءهم بهم وأخذهم عنهم يقظة عياناً بأجسادهم التي تراها عيونهم الشحمية كما سيأتي .

و مما يدل على أخذ الصوفية من الرافضة ما ذكره الشعراني في ترجمة علي بن محمد وفاء : ( وكان يقول : إن علي بن أبي طالب ﷺ رفع كما رفع عيسى عليه السلام و سينزل كما ينزل عيسى عليه السلام ) قال الشعراني قلت : ( وبذلك قال سيدي علي الخواص ﷺ )<sup>٢</sup> .  
فالقول برفع علي عليه السلام ثم عودته إلى الأرض لاشك أنه من عقائد بعض فرق الشيعة الغالية وكون الصوفية يعتقدونه بهذه الصيغة يدل دلالة واضحة على أخذه عنهم .

#### المطلب الثاني : إثبات اعتقاد قبرية اليمن للرجعة :

قبل أن أنقل أمثلة مما قاله القبرية في رؤية النبي ﷺ يقظة واجتماعهم به ، وأخذهم العلم عنه أو مباركة ما يفعلون من بدع ومخالفات عقدية وعملية ، أثبت نقلاً عن أحد منظريهم المعاصرين وهو يؤكد هذه العقيدة ويؤصلها وهو الدكتور محمد علوي المالكي في كتابه " الذخائر المحمدية " يقول : ( أما قوله ﷺ "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة " قال العلماء : هو في الدنيا قطعاً ، ولو عند الموت لمن وفق ذلك وأما قول من أوله برؤيا اليقظة في الآخرة ، فقد رد عليه العلماء وقالوا : إن في الآخرة يراه كل مؤمن من رآه في منامه ومن لم يره كما ورد في أحاديث عدة صحيحة ، بل ويراه الكفار في الآخرة والمنافقون فيعرفون قدره العظيم و شرفه الكبير ﷺ ، و قد يكون في الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين وصفاء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم و معارفهم بقوله : ﴿ كمشكاة فيها مصباح . المصباح

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٩١٣/٢ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات الكبرى ( ٤٠/٢ ) .

في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نورٌ على نور<sup>١</sup> .

وهو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف ، وما فيه من المعارف ، فمثل هذا القلب هو المؤهل لرؤيا النبي ﷺ في اليقظة وسائر المغيبات أيضاً<sup>٢</sup> .

و الدكتور هنا لا يكتفي بأن قلب العارف يرى النبي ﷺ يقظة فقط ، بل ( و يرى سائر المغيبات أيضاً ) فأي ضلال وقع فيه هذا الدكتور أبعد من هذا الضلال وقد سبق ما يتعلق بعلم الغيب عند القبورية .

ومن دعاة الصوفية القبورية في اليمن وحضرموت رجل يُسمى زين العابدين العلوي الذي ألف كتاباً في العقائد اسماء : " الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية " أورد سؤالاً قال فيه : ( هل يمكن رؤيته ﷺ يقظة ؟ فأجاب : ) رؤيته ﷺ في اليقظة ممكنة و واقعة ، فقد ذكر العلماء نفع الله بهم كثيراً من العارفين بالله رأوه في المنام ثم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم )<sup>٣</sup> .

واليك بعض الأمثلة الدالة على اعتقاد قبورية اليمن هذه العقيدة وادعائهم أن النبي ﷺ يحضر بعض حضراتهم أو شعائهم أو مناسباتهم أو يلقنهم بعض الأحاديث أو نحو ذلك . فمن ذلك ما ذكره صاحب "تذكير الناس" في قصة طويلة وقد ذكر معارضة بعض الفقهاء لاستخدام البرك للظهور في المسجد ، فقال محتجاً عليهم : ( ... ولما بنى سيدنا عبد الرحمن السقاف مسجده بتريم و وضع هذه الجوابي المعروفة في الجهة ، وهو أول من أشار بوضعها وقال : ) أسست مسجدي هذا والنبي ﷺ واقف في محرابه ، والأئمة الأربعة كل واحد على ركن من أركانه ، ارتفع الخلاف وما قاله بعض الناس من الكراهة بحضوره ﷺ )<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> النور ( ٣٥ ) .

<sup>٢</sup> الذخائر الحمديّة بواسطة مغناطيس القبول في الوصول إلى رؤية سيدنا محمد ﷺ ص ( ٢٠ ) تأليف حسن محمد شداد ابن عمر باعمر مطبعة الصباح ، دمشق بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية ص ( ١٠٠ ) تأليف الحبيب زين العابدين العلوي ، الطبعة الأولى ( ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ) .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص ( ٥١ ) .

فانظر كيف جعل حضور النبي ﷺ حقيقياً وأنه بذلك الحضور ارتفع الخلاف القائم في تلك المسألة ، وهذا غاية الاعتقاد بحضوره حضوراً حسيّاً كاملاً بجسده الشريف لا مجرد روحه .

وفي الكتاب المذكور يقول في قصة طويلة للشيخ عمر بامخرمة : ( فدخل الشيخ عمر إلى المدينة وأتى رباط أنس أو غيره فجلس به ينتظر الإذن في الدخول على الحضرة النبوية ، فلما كان ضحوة النهار أتى إليه سيد الوجود ﷺ فوضع على رأسه كوفية مدنية ... الخ )<sup>١</sup> وفيه : ( وقال سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي لسيدي أحمد : ( أخبرني عمي علوي بن عبد الله بن حسين بن طاهر عن أبيه الحبيب عبد الله أن الحبيب عبد الله بن أبي بكر عبيد ممن يجتمع بالنبي ﷺ يقظة وهذه شهادة عارف بالله رواها ثقة محتاط في كلامه )<sup>٢</sup> .

وقال الحامد في " تاريخ حضرموت " في ترجمة سلطنة الزبيدية : ( وصارت فيما يروى أيضاً ترى النبي ﷺ ورجال الغيب يقظة وتكلمهم ، ولها في التصوف أحوال غريبة )<sup>٣</sup> .

وفي رسالة " الدلائل والأخبار في خصائص مدنية ظفار " : ( وروي عن العالم العامل إسماعيل الحضرمي أنه قال لبعض درسته : حضرت في موضع شريف ، وحضر النبي ﷺ والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي فسمعت من قلبي عن ربي : من أحببته من خلقي جعلته رحمة لخلقي ، أقر به قرارهم ، وأعتمر به ديارهم ، وأقضي به أوطارهم ، وأمحو به أوزارهم )<sup>٤</sup> ، الشاهد منه قوله : ( وحضر النبي ﷺ والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي ) فهو دليل على اعتقاد رجعة النبي ﷺ إلى هذه الدنيا كما تزعم الصوفية .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٢٧٦ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢٧٧ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٧٩٤ ) .

<sup>٤</sup> رسالة الدلائل والأخبار في خصائص مدنية ظفار ، تأليف عبدالله بن جعفر الكثري ضمن كتاب تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة ( ١ / ١١٣ ) للمورخ سالم بن محمد بن حميد الكندي المتوفى سنة ( ١٣١٠ هـ ) طبع مكتبة الإرشاد صنعاء ، الطبعة الأولى ( ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ) .

**المطلب الثالث :** في الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ يقظة :

إن عقيدة الرجعة وما ترتب عليها من إمكانية رؤية النبي ﷺ و بعض البشر الآخرين بعد موتهم من أوضح العقائد بطلاناً ، فهي تخالف العقل والنقل ، أما مخالفة العقل فلأن الميت إذا مات وضع في قعر قبره وأهيل عليه التراب وسدت جميع المنافذ ، ثم رجعوا وتولوا عنه فقسّموا أمواله و أنكحوا نسائه ولم يبق له أي تعلق بالأحياء ، ولو كان في الإمكان رجوعه لآخذ بعض الإجراءات لذلك ، فلما لم يشرع لنا الشرع الإسلامي شيئاً من ذلك علم أنه لا أصل له .

ثم إن كثيراً ممن يقال أنهم يخرجون من قبورهم فيراهم الناس بأجسادهم كاملة صحيحة قد نُبشت قبورهم لغرض أو لآخر فلم يعثر في قبورهم إلا على عظام بالية أو تربة لا أثر فيها إلا لفتات لتلك العظام ، ومن أقرب الأمثلة وأحدثها ما جرى لقبر الولي المشهور والقطب المذكور أبي بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن والذي يقول عنه أبو بكر بن عبد الله العطاس أنه كلما دخل تلقاه ( في ستمائة ألف راية من الأولياء وأخذ بيدي حتى وصلنا القبة )<sup>١</sup> في حكايات كثيرة يطول شرحها هذا هو القطب الذي في زعمهم أنه لم يميت ؛ لأنه لا يموت إلا الحمار ، عندما قامت الجماعة المحتسبة بعد نهاية حرب الانفصال في عدن بتسوية قبره ، وتعدّى بعضهم إلى نبش القبر لم يجدوا من القبر إلا عظاماً مبعثرة محطمة فأين هو ؟ ولم لم يدفع عن نفسه ؟ ولم لم يسلم جسده من البلى ؟ كل ذلك يدل على فساد هذه العقيدة .

وأما النقل : فالآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾<sup>٢</sup> الشاهد قوله : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ فهو صريح أنهم في ذلك البرزخ إلى يوم القيامة لا يرجعون عنه ، وإن كان قصدهم من طلب الرجوع هو العمل الصالح فكيف إذا كانت الرجعة للانتقام من أبي بكر وعمر وإقامة الحد عليهما<sup>٣</sup> ؟ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ ألم يروا

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٢٢٥ ) .

<sup>٢</sup> المؤمنون ( ٩٩ - ١٠٠ ) .

<sup>٣</sup> انظر مختصر الإثني عشرية ص ( ٢٠١ ) .

كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون<sup>١</sup> فنفى الرجعة عنهم و منها قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردُّو ولا نكذبَ بآياتِ ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون<sup>٢</sup>﴾ ، فعند الموت وفي البرزخ وعند العرض على رب العالمين يتمنون الرجوع فلا يُجابون إليه ، بل يؤكد لهم عدم امكان ذلك .

وبهذا أكتفي لوضوح المسألة واتفاق أهل السنة عليها ، وحتى الصوفية لا يتظاهرون بالقول بها وإن كان ما يعتقدون من رؤية النبي ﷺ وبعض أوليائهم يستلزم ذلك و يقتضيه ولكن حيث لا يحتاجون في أصل الرجعة فلا داعي للإطالة .

الرد على القبرية في زعمهم رؤية النبي ﷺ :

الأصل أن من مات فقد انتقل إلى عالم آخر هو عالم البرزخ ، وليس هناك لقاء حسي بين من في ذلك العالم وبين الأحياء الذين مازالوا في هذه الحياة الدنيا ، إلا ما يثبت من ذلك بدليل صحيح صريح من آية صريحة أو حديث صحيح صريح ، ومعظم القبرية إن لم يكونوا كلهم هم من المخالفين للسلف الصالح ، فهم لا يثبتون العقيدة إلا بالخبر المتواتر وليس بخبر الآحاد وهذه المسألة مسألة علمية عقدية لا مدخل للقياس فيها ، إذن فعلى أصلهم لا تثبت إلا بآية صريحة أو حديث صريح قطعي الثبوت ، وهم لم يأتوا من ذلك بشيء فلا آية تدل على ذلك ولا حديث متواتر يدل عليه كذلك ، وإنما أهم أدلتهم ما دل عليه حديث أبي هريرة ؓ عند البخاري ولفظه : (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي)<sup>٣</sup> .

والرد على ذلك من جهتين : جهة السند و جهة المعنى :

أما جهة السند فهنا مخالفتان : المخالفة الأولى للأصل القطعي المتفق عليه أن الأموات قد صاروا في عالم آخر ، وأنهم لا يرجعون عنه ولا يبعثون إلا يوم القيامة كما قال

<sup>١</sup> يس ( ٣١ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ٢٧ - ٢٨ ) .

<sup>٣</sup> البخاري في صحيحه ( ٢٥٦٧/٦ ) كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ، ومسلم ( ٧٧٥/٤ ) كتاب الرؤيا ، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام : (من رآني في المنام فقد رآني) .

تعالى : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون »<sup>١</sup> ، فليس هناك بعث إلا يوم القيامة ، و معلوم أن خروج النبي ﷺ أو أي ميت من قبره بروحه وجسده إنما هو بعث ، فهذه المخالفة وحدها لو كان الحديث صحيحاً للزم منها القول بشذوذه فكيف و هذه اللفظة مشكوك أصلاً في صحتها .

أما المخالفة الثانية فإن الحديث روي عن اثني عشر صحابياً كلهم بلفظ ( فقد رأي ) أو ( فقد رأى الحق ) أو ( فكأنما رأي في اليقظة ) ولم يرد ذلك اللفظ إلا من حديث أبي هريرة و بالشك فيه : ( فسيراني في اليقظة أو فكأنما رأي في اليقظة ) و هذا اللفظ بالشك عند أحمد و البخاري و مسلم و أبي داود ، و لم يرد لفظ فسيراني بالجزم إلا من رواية واحدة عند البخاري فقط<sup>٢</sup> ، و لذلك قال الحافظ : ( قوله " من رأي في المنام فسيراني في اليقظة " زاد مسلم من هذه الوجه " أو فكأنما رأي في اليقظة " هكذا بالشك ، و وقع عند الإسماعيلي من الطريق المذكورة " قد رأي في اليقظة " يدل قوله " فسيراني " ومثله من حديث ابن مسعود عند ابن ماجه ، وصححه الترمذي وأبو عوانة و وقع عند ابن ماجه من حديث أبي جحيفة ، " فكأنما رأي في اليقظة " ، فهذه ثلاثة ألفاظ : " فسيراني في اليقظة ، فكأنما رأي في اليقظة ، فقد رأي في اليقظة " ، و جل أحاديث الباب كالثالثة إلا قوله " في اليقظة " )<sup>٣</sup>.

فهذا التحقيق من الحافظ ابن حجر - رحمه الله - يتضح منه أنه يرى شذوذ هذا اللفظ ، خاصة وأن رواية أبي هريرة نفسه قد أتت بالشك وسقطت كلمة ( أو كأنما رأي ) في هذا الموضوع إما للاختصار من بعض الرواة أو على سبيل السهو والغفلة .

و الخلاصة أن الروايات التي بصيغة الجزم من حديث أبي هريرة وغيره وهم كثيرون بخلاف هذه اللفظة المشكوك فيها فلا يمكن لعامل منصف أن يتمسك بها مخالفاً تلك الروايات ، خصوصاً في مثل هذا الموضوع الخطير الذي ينتج عن اعتقاده فساد في العقيدة والعمل و المخالفة لأصول ثابتة قطعية ، هذا من ناحية السند .

<sup>١</sup> المومنون ( ١٥ - ١٦ ) .

<sup>٢</sup> انظر تفهيم الأشخاص ( ٤٠ / ٢ - ٤١ - ٤٢ ) .

<sup>٣</sup> الفتح ( ١٢ / ٣٨٣ ) .

و أما من ناحية المعنى فقد قال الإمام النووي - رحمه الله - عند شرح حديث أبي هريرة هذا في مسلم بلفظ : ( فسيراني في اليقظة أو كأنما رأي في اليقظة ) قال : ( قال العلماء : إن كان الواقع في نفس الأمر فكأنما رأي فهو كقوله ﷺ فقد رأي أو فقد رأي الحق كما سبق تفسيره ، و إن كان سيراني في اليقظة ففيه أقوال : ( أحدها : المراد أهل عصره ، و معناه أن من رآه في النوم و لم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة و رؤيته ﷺ في اليقظة عياناً ، و الثاني : معناه أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة ، لأنه يراه في الآخرة جميع أمته من رآه في الدنيا و من لم يره ، و الثالث : يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه و حصول شفاعته و نحو ذلك ، و الله أعلم )<sup>١</sup> .

و قوله : ( يرى تصديق تلك الرؤيا ) أي يحصل به ما رأي في تلك الرؤيا من عطاء أو بركة أو نحو ذلك .

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي ابن العربي قوله : ( و شذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة ) ، فقوله : ( شذ بعض الصالحين ) إشارة إلى مخالفة الإجماع القائم على عدم رجوعه ﷺ و عدم رؤيته ، حيث قال الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع : ( و اتفقوا أن محمداً ﷺ و جميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس )<sup>٢</sup> ، وبناءً على ذلك لم يقع حقيقة ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : ( إن جمعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، و خبر الصادق لا يتخلف )<sup>٣</sup> .

هذا تلخيص للرد على القائلين بهذا القول ، و من أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى فتح الباري ( ١٢ / ٣٨٣ ) و ما بعدها ، و تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ( ٢ / ٧ ) و ما بعدها الفصل الأول من الباب الثاني ، ففي هذين المصدرين الرد الكافي على السيوطي في رسالته ( تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي و الملك ) و كل من قال بذلك القول .

<sup>١</sup> النووي على مسلم ( ٢٦ / ١٥ ) .

<sup>٢</sup> مراتب الإجماع لابن حزم ص ( ١٧٦ ) .

<sup>٣</sup> الفتح ( ١٢ / ٣٨٥ ) .

المطلب الرابع : لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد :

القول بعقيدة الرجعة يترتب عليه عدة لوازم باطلة ، ذكرها العلماء في مواطن مختلفة ، وجمعها صاحب تقديس الأشخاص ، ويمكن بالتتابع الزيادة عليها واليك تلخيصها :

(١) أن يحيا الآن ويخرج من قبره ويلزم منه أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى فيه شيء ، فيزار مجرد القبر ، ويسلم على غائب ؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار ، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من العقل . " من كلام القرطبي " .

(٢) ويلزم منه القول باستمرار التشريع .

(٣) ويلزم منه أن يكون من رآه في اليقظة صحابي ... ولا يمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة .

(٤) ويلزم من هذا الاعتقاد . حسب ما يراه الصوفية . أن النبي ﷺ مفتقر إلى الحكمة ، حيث ترك الحضور في المواقف الحاسمة من حياة الأمة على عهد أصحابه و من بعدهم ، وصار يتابع حضرات الصوفية وموالدهم وقضايهم التافهة<sup>١</sup> .

قلت : وهناك لوازم أخرى منها :

(أ) فتح الباب أمام الدجاجة لإضلال الأمة والاستخفاف بعقولها وفرض ما يريدون عليها بحجة أنهم رأوا النبي ﷺ وأمرهم بذلك أو دلهم عليه .

(ب) فتح الباب لأن يتلاعب الشياطين ببعض العباد الجهلة بادعائهم أنهم رأوا رسول الله ﷺ أو بإسماعهم ندائه وكلامه فيفترون ، ويعملون بما تدعوهم إليه تلك الشياطين .

(ج) إن ادعاء حضور النبي ﷺ والأولياء من المتقدمين والمتأخرين يعمق اعتقاد الضر والنفع في المخلوقين ، و من ثم التوجه إليهم ودعائهم من دون الله على اعتبار أنهم ينفعون من دعائهم ويحضررون لدى من استغاث بهم ، وهذا شرك لا يماري فيه أحد حتى القبوريون أنفسهم ؛ لأنهم يقولون : إن من اعتقد النفع أو الضر في أحد دون الله فقد أشرك بالله تعالى .

و من الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة السقاف في المشرع : (و كان يقول إنا لا نعتد بشيء من أعمال الظاهر ، و كان عزم على الحج ونوى أنه بعد الحج يسيح في الأرض ولا يعود إلى حزموت ، فلما وصل إلى الجوف أتاه النبي ﷺ في جمع من الصحابة والأولياء ومعهم

<sup>١</sup> انظر : هذه اللوازم مشروحة بأدلتها في رسالة تقديس الأشخاص (٤٥/٢ وما بعدها) .



والده ، و أمره بالرجوع إلى بلده و قالوا له : مقامك بها أنفع ، فرجع ولم يحج ظاهراً ، و قد شوهده في مشاعر الحج سنين عديدة وسأله بعض خواصه ، هل حججت ؟ فقال : أما في الظاهر فلا )<sup>١</sup> ، فلفظ "أناه" ظاهر في اعتقاد إثباته إثباتاً حسياً .

وفي تذكير الناس يقول : ( إني رأيت النبي ﷺ فقلت له : ( إنا رتبنا قراءة الصلاة المضرية كل يوم جمعة بعد صلاة الصبح في قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس فهل تبلغكم ؟ قال : بلى إني في كل جمعة عند قراءتكم لها استأذن ربي في الحضور معكم )<sup>٢</sup> ، وفيه أيضاً : ( فقيل لسيدي : هل قيل في المولد المنسوب إلى المحدث الديبعي أن النبي ﷺ يحضر قراءته من أوله إلى آخره ؟ قال : نعم ، ولكن إذا رتب السلف شيئاً لا تغيره وخله ، إلا إن كنت من السلف فانت وذاك ) ، والحبيب صالح بن عبد الله العطاس يقول : ( يحضر النبي ﷺ في كل مولد ، عند المقام فيه ، إلا مولد الديبعي فإنه يحضره كله )<sup>٣</sup> ، بل رآه أحمد بن حسن في سيئون كما في تذكير الناس : ( ورأيت النبي ﷺ خارجاً من بعض البيوت في سيئون فسألته فقال : جئت لأحضر مولداً في هذه الدار لكن رأيت فيه تنباك فخرجت )<sup>٤</sup> ، وقال علوي بن طاهر الحداد : ( قال سيدنا الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس : كان السيد أحمد بن علي بحر من السادة آل القديمي يجتمع بالنبي ﷺ يقظة ، فقال له : يا رسول الله أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة ، فقال له : أحدثك بثلاثة أحاديث :

الأول : مازال ريح قهوة الين في فم الإنسان تستغفر له الملائكة .

الثاني : من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كتب من الذاكرين الله كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر بها .

الثالث : من وقف بين يدي ولي لله حي أو ميت فكانما عبد الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً إرباً )<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> المشرع ( ١٤١/٢ ) .

<sup>٢</sup> تذكير الناس ص ( ١٨٢ - ١٨٣ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٢ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢٧٠ ) .

<sup>٥</sup> مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلته إلى مكة و دو عن مخطوط ، الرحلة الدعوية لعلوي بن طاهر الحداد ص ( ٢٣٤ - ٢٣٥ ) .

### المبحث الثالث

#### الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام والالتقاء به

#### وفيه أربعة مطالب :

##### المطلب الأول : حقيقة الخضر عند أهل السنة والجماعة :

الخضر عند جماهير أهل السنة نبي من أنبياء الله ، عاش كما عاش غيره من الأنبياء ومات كما مات غيره ، وما جرى منه مع موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار كان بوحى من الله تعالى ، وليس فيه حجة على العلم اللدني ولا على خروج أحد من أتباع الأنبياء عن شريعتهم .

أما أن هذا هو قول جمهور أهل العلم فللنقل المستفيض إن لم يكن المتواتر عنهم .  
فالقضية الأولى كونه نبياً نقلها عنهم القرطبي في تفسيره<sup>١</sup> ، وأبو حيان كذلك<sup>٢</sup> ، والحافظ ابن حجر في الإصابة<sup>٣</sup> ، والبدر العيني ولفظه : ( النوع الثالث في نبوته فالجمهور على أنه نبي وهو الصحيح )<sup>٤</sup> ، والألوسي في تفسيره قال : ( فالجمهور على أنه عليه السلام نبي وليس برسول ، وقيل : رسول ، وقيل : ولي ، وعليه القشيري<sup>٥</sup> وجماعة ، والمنصور ما عليه الجمهور وشواهد من الآيات والأخبار كثيرة )<sup>٦</sup> .

وأما الأدلة على ما ذهب إليه جمهور أهل السنة فقد أورد وجوهاً منها الإمام ابن كثير في ( البداية والنهاية ) فقال : ( وقد دلّ سياق القصة على نبوته من وجوه :

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن ( ١٦ / ١ ) .

<sup>٢</sup> البحر المحيط ( ٢٤٧ / ٦ ) .

<sup>٣</sup> الإصابة ( ٤٢٩ / ٢ ) .

<sup>٤</sup> عمدة القاري ( ٣٧ / ١٣ - ٣٨ ) بواسطة تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ( ٢٩١ / ١ ) .

<sup>٥</sup> الصوفي صاحب الرسالة .

<sup>٦</sup> روح المعاني ( ٤٦٢ / ٤٦١ / ٩ ) .

أحدها : قوله تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا و علمناه من لدناً علماً <sup>١</sup> 》 .

و الثاني : قول موسى له : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً . قال فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً <sup>٢</sup> 》 ، فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ، ولم يرد على موسى هذا الرد ، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه ، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ، و لم تكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة ، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عنه ولو أنه يمضي حقاً من الزمان قيل ثمانين سنة ، ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه وأتبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله ، يُوحى إليه ، كما يوحى إليه وقد خُص من العلوم الدنية والأسرار النبوية بما لم يُطلع الله عليه موسى الكلبي نبي بني إسرائيل الكريم ، وقد احتج بهذا المسلك بعينه " الرماني " على نبوة الخضر عليه السلام .

و الثالث : أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام ، وهذا دليل مستقل على نبوته ، وبرهان ظاهر على عصمته ؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في خلدته ؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق ، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه فضي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته ، دل ذلك على نبوته ، وأنه مؤيد من الله بعصمته ، وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً .

<sup>١</sup> الكهف ( ٦٥ )

<sup>٢</sup> الكهف ( ٦٦ - ٧٠ ) .

الرابع : انه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى ، قال بعد ذلك كله ﴿ رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾<sup>١</sup> ، يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمرت به وأُوحى إليّ فيه ، فدلّت هذه الوجوه على نبوته ، ولا ينال ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون . وأما كونه : ملكاً من الملائكة ، فغريب جداً وإذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه ولا معتمد يعتمدون عليه )<sup>٢</sup> .

وقال الحافظ ابن حجر "باب ما ورد في كونه نبياً" : قال الله تعالى في خبره مع موسى حكاية عنه : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ وهذا ظاهره أنه فعله بأمر الله ، والأصل عدم الواسطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكر وهو بعيد ، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام ، لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحيّاً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق ، فإن قلنا أنه نبي فلا إنكار في ذلك وأيضاً فكيف يكون غير نبي أعلم من النبي ؟ وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن الله قال لموسى : (( بلى عبدنا خضر )) ، وأيضاً فكيف يكون النبي تابعاً لغير نبي ؟ وقد قال الثعلبي : هو نبي في سائر الأقوال ، وكان بعض أكابر العلماء يقول : أول ما يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً ؛ لأن الزنادقة يتذرعون لكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي<sup>٣</sup>

وفي هذه الأدلة مقنع لمن طلب الحق .

القضية الثانية قضية موته وهذه القضية كذلك جمهور أهل السنة قائلون بها ، نقل ذلك عنهم القرطبي<sup>٤</sup> بل قال ابن الجوزي - رحمه الله - كما نقله عنه ابن القيم في المنار المنيف : ( والدليل على أن الخضر ليس بيباق في الدنيا أربعة أشياء : القرآن ، والسنة ،

<sup>١</sup> الكهف ( ٨٢ ) .

<sup>٢</sup> البداية والنهاية ( ٣٢٨ / ١ ) .

<sup>٣</sup> الإصابة ( ٤٢٩ / ١ ) .

<sup>٤</sup> جامع الإحكام القرآن ( ٤١ / ١١ ) .

وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول<sup>١</sup>. ففي قوله: (إجماع المحققين من العلماء) تأكيد لما قاله القرطبي بل زيادة عليه حيث ذكر إجماع المحققين وهو إشارة إلى أنه لم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد به، وقد عدد الشيخ محمد أحمد لوح القائلين بموته فقال: (ومنهم: البخاري، وإبراهيم الحربي الذي سئل عن بقائه فقال: "من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان"، وأبو الخطاب بن دحية، وأبو الحسين بن المنادي الذي قال: "بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باقٍ أم لا فإذا أكثر المفضلين مغترون بأنه باقٍ من أجل ما روي في ذلك"، وابن الجوزي حيث حكم على الأحاديث الواردة في حياته بالبطلان، وحيث ألّف كتاباً مستقلاً في الموضوع أورد فيه أدلة دامغة على موته، والقاضي أبو يعلى حيث ذكر جملة من الأدلة على موته، والقاضي أبو بكر بن العربي، وأبو حيان الأندلسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "والصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا" وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألّف جزءاً في وفاة الخضر، وكذلك ابن القيم، والحافظ ابن حجر، حيث استعرض أدلة الجانبين ثم قال: "والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته" ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي وغير هؤلاء من العلماء المحققين<sup>٢</sup>، وقد استدل جمهور أهل السنة على ذلك بالكتاب والسنة وإجماع المحققين والعقل، كما قال ابن الجوزي - رحمه الله -، وهذه الأدلة حسب ترتيب ابن الجوزي: (أما القرآن فقولته تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾<sup>٣</sup> فلو دام البقاء كان خالداً، وأما السنة: فذكر حديث: ((أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد))<sup>٤</sup> متفق عليه.

<sup>١</sup> المنار المنيّف في الصحيح والضعيف (٥٢) للإمام ابن القيم، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦ - ١٩٩٦).

<sup>٢</sup> تقديس الأشخاص (٤٠١/١) (٤٠١/١).

<sup>٣</sup> الأنبياء (٣٤).

<sup>٤</sup> البخاري مع الفتح (٤٥/٢) كتاب مواقيت الصلاة باب ذكر العشاء والعتمة، ومن رآه واسعاً ومسلم مع النووي (٨٩/١٦) كتاب فضائل الصحابة باب بيان معنى قوله على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قبل موته بقليل : (( ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية )) ، ثم ذكر عن البخاري ، وعلي بن موسى الرضا : أن الخضر مات ، وأن البخاري سئل عن حياته فقال : كيف يكون ذلك ؟ وقد قال النبي ﷺ : (( أرايتكم ليلتكم هذه ؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد )) متفق عليه .

قال : وممن قال : إن الخضر مات : إبراهيم بن إسحاق الحربي ، وأبو الحسين بن المنادي وهما إمامان ، وكان ابن المنادي يقبّح قول من يقول إنه حي ، وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد وذكر عن بعض أهل العلم : أنه احتج بأنه لو كان حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ .

قال أحمد : حدثنا سريح بن النعمان ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( والذي نفسي بيده ، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني ))<sup>١</sup> .

فكيف يكون حياً ولا يصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة والجماعة ويجاهد معه ؟ ! .  
ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه الأمة ، ولا يتقدم ، لئلا يكون ذلك خدشاً في نبوة نبينا ﷺ . قال أبو الفرج : وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طي إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة .

وأما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه :

أحدها : أن الذي أثبت حياته يقول : إنه ولد آدم لصلبه . وهذا فاسد لوجهين :  
أحدهما : أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة ، فيما ذكر في كتب بعض المؤرخين ، ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر .

<sup>١</sup> مسلم مع الترويض ( ٩١/١٦ ) كتاب فضائل الصحابة باب بيان معنى قوله عل رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة .

<sup>٢</sup> رواه الإمام أحمد في المسند ( ٣٤٩/٢٣ ) ، تحقيق الارناؤوط وضعف المحقق استاده لضعف مجالد بن سعيد ، وقال الشيخ الألباني في " تحقيق مشكاة المصابيح " ( ٦٣/١ ) ( وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف ، ولكن الحديث حسن عندي ؛ لأن له طرق كثيرة عند اللالكائي والمروزي وغيرهم ) .

والثاني : أنه لو كان ولده لصلبه ، أو الرابع من ولد ولده - كما زعموا - وأنه كان وزير ذي القرنين ، فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا ، بل مُفَرَطٌ في الطول والعرض . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (( خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعد ))<sup>١</sup> ، وما ذكر أحد ممن رأى الخضر : أنه رآه على خلقة عظيمة ، وهو من أقدم الناس .

الوجه الثالث<sup>٢</sup> : أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ، ولم ينقل هذا أحد .

الوجه الرابع : أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نزل من السفينة مات مَنْ كان معه ، ثم مات نسلهم ، ولم يبق غير نسل نوح .  
والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾<sup>٣</sup> وهذا يبطل قول من قال إنه كان قبل نوح .

الوجه الخامس : أن هذا لو كان صحيحاً أن بشراً من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ، ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب ، وكان خبره في القرآن مذكوراً في غير موضع ؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من استحياه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وجعله آية ، فكيف من أحياه إلى آخر الدهر ؟ ولهذا قال بعض أهل العلم : ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان .

الوجه السادس : أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم ، وذلك حرام بنص القرآن .

أما المقدمة الثانية فظاهرة ، وأما الأولى : فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن ، أو السنة ، أو إجماع الأمة ، فهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر ؟ وهذه سنة رسول الله ﷺ فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه ؟ وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته ؟ .

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح ( ٣٦٢/٦ ) كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته ومسلم ( ٢١٨٣/٤ ) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب يدخل الجنة أقوام أفندهم مثل أفندة الطير .

<sup>٢</sup> باعتبار الوجهين في الأول .

<sup>٣</sup> الصفات ( ٧٧ ) .

**الوجه السابع :** أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها : أنه رأى الخضر ، فيالله العجب ، هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر ، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله ، فأين للرائي أن المخبر له صادق ، لا يكذب ؟

**الوجه الثامن :** أن الخضر فارق موسى بن عمران كلیم الرحمن ، ولم يصاحبه ، وقال له : ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ فكيف يرضى لنفسه بمفارقتها لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة ، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ، ولا مجلس علم ، ولا يعرفون من الشريعة شيئاً ؟ وكل منهم يقول : قال الخضر ، وجاءني الخضر ، وأوصاني الخضر !

فيا عجباً له ! يفارق كلیم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ ، ولا كيف يصلي ؟ ! .

**الوجه التاسع :** أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول : أنا الخضر ، لو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله ، ولم يحتج به في الدين ، إلا أن يقال : إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ ولا بابعه ، أو يقول الجاهل : إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه .

**الوجه العاشر :** أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ، ورياضه في سبيل الله ، ومقامه في الصف ساعة ، وحضوره الجمعة والجماعة ، وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات ، وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له ؟ <sup>١</sup> .

**أما القضية الثالثة :** وهي أنه ليس في قصة الخضر مع موسى ما يدل على إثبات العلم اللدني ولا خروج التابع عن شريعة رسوله ، فهي أشد وضوحاً : لأن من قال ذلك إنما بنى ما بناه على كون الخضر ولياً وليس بنبي ، وبذا أثبت العلم اللدني وجواز خروج التابع عن شريعة رسوله ، وما دام أهل السنة قد أبطلوا تلك المقدمة وهي ولاية الخضر فقد بطلت

<sup>١</sup> الكهف (٧٨) .

<sup>٢</sup> المنار المنيف ص (٥٦-٥٢) .



النتيجة بلا شك ، و سيأتي بيان بطلان هذه النتيجة في المطلب الثالث من هذا المبحث إن شاء الله .

### المطلب الثاني : حقيقة الخضر عند الصوفية :

لأن واضعي علم التصوف قد أخذوه عن الباطنية فإنهم قد تابعوهم في العمل على هدم الشريعة الإسلامية من وجوه مختلفة ، و من تلك الوجوه عقيدتهم في الخضر حيث أقاموا مقدمتين هما كونه ولياً وليس برسول ، وأنه عمل بما وهبه الله من العلم اللدني الباطني دون التقيد بشريعة موسى كما مر .

هاتان المقدمتان نتج عنهما أن من عباد الله من يحصل على العلم اللدني الذي هو علم الحقيقة والذي هو مقدّم على علم الشريعة ، وأن من كان كذلك حق له الخروج عن الشرع الظاهر ومخالفة ما جاء به النبي ﷺ كما ساغ ذلك للخضر عليه السلام ، ثم زادوا أمراً آخر هو تكريس اعتقاد أنه حي ، وأنه يمكن الالتقاء به والأخذ عنه ، وأن يتعلم الولي الذي حظي بلقائه منه عبادات وأعمالاً يتعبد الله بها ثم يأتي بها النبي ﷺ ، وربما كشف الخضر لذلك الولي بعض الأسرار و أفاض عليه بعض البركات ، هذا ما عمل رواد التصوف على إثباته ، وتسخير الناس لاعتقاده ، حتى أصبح عند كثير من الأتباع حتى من الصالحين المخلصين عقيدة راسخة لا تقبل الجدل ، فليس كل من قال بهذه العقيدة واعتقدها يُعتبر زنديقاً ، بل منهم من هو صالح غير أنه مقلد لأولئك مخدوع بباطلهم ففي نفسه أمره إلى الله ، وأما في علمه و ما يلقيه إلى الأمة فيجب كشفه و بيان خطئه لئلا يغتر به مغفلون آخرون ، وهناك ممن يروج هذه العقيدة من المتأخرين من هو عالم بحقيقتها ، ولكنه مراعى لمصالح يضحّي في سبيلها بكل شيء ، و على كل فخلاصة عقيدة الصوفية القبورية في الخضر أنه : ولي و ليس بنبي و أنه قد أوتي من العلم اللدني الذي هو علم الحقيقة ، و بذلك العلم ساغ له الخروج عن شريعة موسى و أنه ما زال حياً يرزق و لن يموت إلا على يد الدجال آخر الزمان ، وأنه يظهر لبعض الأولياء و يخاطبهم و يعلمهم و يأتيهم بالهبات و البركات من رب العالمين .

النصوص الشارحة لعقيدة الصوفية في الخضر من كتبهم :

كان من أوائل من تكلم في الخضر وأبرزه في مؤلفاته الحكيم الترمذي<sup>١</sup>، وذلك في كتابه " ختم الولاية " الذي يقول عنه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق : ( وهذا الكتاب بنظري هو أخطر كتاب صوفي على الإطلاق )<sup>٢</sup> ، حيث قال في جوابه عن علامات الأولياء : ( وللخضر عليه السلام قصة عجيبة في شأنهم وقد كان عاين شأنهم في البدء ، ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم ، فأعطى الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زميرتهم ، حتى يكون تبعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل ، وذي القرنين و كان على مقدمة جنده ، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر في قصة طويلة . وهذه آياتهم وعلاماتهم فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله .

قال له قائل : وما ذلك العلم ؟

قال : علم البدء ، وعلم الميثاق ، وعلم المقادير ، وعلم الحروف .

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا ، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ، ويقبله عنهم من له حظ من الولاية )<sup>٣</sup> ، فقد لخص هذا النص معظم عقيدة القوم في الخضر ومع ذلك أردفه ببعض النصوص لزيادة الإيضاح ، فأما اعتقادهم أنه كان ولياً فيقرره التيجاني : ( وأعلم أن الخضر عليه السلام ولي فقط وليس بنبي عند الجمهور )<sup>٤</sup> ، قال الشيخ الأكبر - يعني ابن عربي - : الخلاف فيه عند أهل الظاهر لا عندنا ، فإنه عندنا مقطوع به من الأولياء لا من النبيين )<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> هو محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي أحد كبار الصوفية وروادهم توفي سنة ( ٣٢٠هـ ) انظر : ترجمته في

السير ( ٤٢٩/١٣ ) ، طبقات الشافعية ( ٢٤٥/٢ ) ، طبقات الصوفية ص ( ٢١٧ ) .

<sup>٢</sup> الخضر في الفكر الصوفي ص ( ١٨ ) طبع الدار السلفية ، الكويت بدون تاريخ .

<sup>٣</sup> نفس المصدر نقلاً عن كتاب " ختم الولاية " ص ( ٣٦٢ ) .

<sup>٤</sup> يعني جمهور الباطنية الصوفية وإلا فجمهور علماء أهل السنة على أنه نبي وليس بولي .

<sup>٥</sup> جواهر المعاني ( ٢٤٦/١ ) ، بواسطة تقدس الأشخاص ( ٣٨٩/١ ) .

و أما اعتقاد أنه ما يزال حياً فيقررره ابن عطاء الله في لطائف المنن فيقول : ( قد تواتر عن أولياء كل عصر لقاءه والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ حد التواتر الذي لا يمكن جرده )<sup>١</sup> .

كما قرر المسألتين ولاية الخضر واستمرار حياته اليافعي في " روض الرياحين " وبالع حتى قال : ( ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين )<sup>٢</sup> ، وهذه مبالغة مردودة بما سبق نقله عن العلماء والمحدثين من أهل السنة والمحققين ، ولم يذكر دليلاً له ولا لأحد ممن قال بذلك إلا أن جمعاً كبيراً من الصالحين أخبروا بمشاهدته ولقياه .

و أما المسألة الثالثة وهي : خروجه عن ظاهر الشرع والاحتجاج بذلك على ما يصدر من أوليائهم من مخالفة للشرع ، فقد قرره اليافعي كذلك ، فقال في الفصل الأول من الخاتمة الذي عقده في ( الجواب عن إنكار وقوع من بعض الفقهاء المصنفين على الفقراء )<sup>٣</sup> ، فقال بعد عدد من الحكايات ومحاولة تأويل ما فيها من المخالفة : ( وعلى الجملة ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر فله محامل : أحدها : أن لا نسلم نسبته إليهم حتى يصح عنهم ، و الثاني : بعد الصحة أن يلتبس له تأويل يوافق العلم الظاهر ، فإن لم يوجد له تأويل ، قيل لعل له تأويلاً في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى ، ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ، والثالث : أن يكون صدر عنهم في حال السكر والغيبة ، والسكران سكرًا مباحاً غير مكلف في ذلك الحال ، فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق ، نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع أنواع البلاء )<sup>٤</sup> ، الشاهد

<sup>١</sup> لطائف المنن بواسطة الأخوة الغالية ( ١٠٢ ) .

<sup>٢</sup> روض الرياحين ص ( ٤٧٨ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٤٧٢ ) .

<sup>٤</sup> روض الرياحين ص ( ٤٧٧ ) . أقول : حينما لا نسلم أن ذلك وقع منهم يلزم عليه أولاً : ألا ننقل ونشيع شيئاً مما وقع من ذلك للإنسان يعرضه للذم والنهم ، هذا هو الواجب وإلا كنا ممن يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فإذا وجدنا أن محي ذلك الإنسان ومعظميه هم الذين ينشرون ذلك عنه ويعدون من جلائل أعماله وعقائده ، ماذا نقول ؟ الجواب : نقول إنهم موقنون مسلمون بأن ذلك ، واقع منه و أنهم كذلك راضون به و مؤمنون أنه من كراماته ومزاياه ، فكيف إذن يصح هذا المخرج . ثانياً : حينما لا نسلم بوقوع ذلك الشيء من ذلك الشخص إنما نرى ذلك الشخص ، أما المنهج الذي ارتضى إشاعته ونشره فلا يمكن أن يتبرأ منه أبداً ، وكذلك عندما نعتبر أن ذلك حصل في حال السكر فهذا أقصى ما يمكن أن يحسن به إليه أن يستتر =

قوله : (لعل له تأويلاً في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالى ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام) وهو واضح في أن القوم عندما يصدر من أقطابهم أو مجاذيبهم أمر ظاهره مخالفة الشريعة ، وليس له مساغ فيها ولا يقره علماؤها أنهم يحيلون ذلك إلى التأويل الباطني الذي يعرفه علماء الباطن ، وذلك تأسيساً بالخضر الذي كان في زعمهم ولياً أعطى علم الباطن الذي لا يعلمه موسى ، فموسى رمز لعلم الظاهر " الشريعة " ، والخضر عندهم رمز لعلم الباطن " الحقيقة " ، والتي هي أرفع من علم الشريعة ، وبذلك يمررون كل انحراف علمي أو عملي تحت هذا التأويل وحتهم في ذلك الخضر عليه السلام.

ومن تناقض هؤلاء القبورية الصوفية أن عندنا في وادي عمد بحضرموت وبالقرب من مدينة عمد التي يزعمون أنها مدينة علم وولاية ومن أهلها قطبان هما - صالح بن عبد الله الحامد وصالح بن عبد الله العطاس - ومع ذلك ففي " غيل حبيب " الشعب الرئيس لعمد قبر مجصص عنده مكان مهيباً للجلوس والاعتكاف ، وفيه بعض الأواني التي يمكن أن يستخدمها الزوار ، هذا القبر شائع عند العوام أنه قبر الخضر عليه السلام.

فكيف يتناسب هذا الأمر مع اعتقادهم بأن الخضر حي ، وادعاء بعض أولياء عمد نفسها أنه يلتقي بالخضر ؟ إنه التناقض البين ، فهم لا يريدون أن يهدموا معلماً من معالم القبورية ، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يفرضوا في اعتقاد حياة الخضر ؛ لأنه منهج القوم واعتقاد أكابرهم ، قد يقال إنهم ليس هم الذين روجوه بل ولا يعتقدونه ، أقول : إذا كانوا لا يعتقدونه وهذا ممكن جداً فلماذا يقرون وجود ذلك القبر الذي يهدم عقيدة مهمة عندهم هي عقيدة حياة الخضر ؟ وهم قادرون لو أرادوا هدمه لما يتمتعون به من نفوذ روحي على أهل المنطقة ، بحيث لو أمروا بذلك لما خالفهم فيه أحدٌ مطلقاً .

الذي يظهر لي والعلم عند الله أن العوام ليس بالضرورة أن يتفطنوا لهذا التناقض والأمر أن كليهما يستفاد منه ، فاعتقاد حياته معلومة أهدافه ، واعتقاد دفته في ذلك الموضع

---

- ولا يذكر ويطرى ولا يروى ، وكل من ساهم في نشره وإشاعته وتعداده من فضائل ذلك الشخص هو مؤمن بمسؤولية ذلك الشخص عنه ونسبته إليه لا باعتباره سكراناً بل باعتباره قد وصل إلى درجة عالية من القرب من الله الذي يقتضي الإذن له بذلك وأمثاله .

له هدف كبير، وهو إعطاء مزيد من القداسة لتلك المدينة، أما في العالم الإسلامي فالقبور المزعومة للخضر أكثر من أن تُحصى .

بعض ما يترتب على اعتقاد حياة الخضر وولايته :

هناك مفسد عظيمة تترتب على اعتقاد حياة الخضر وولايته منها :

أولاً : فتح الباب أمام كل دجال يروج ما شاء من الأكاذيب ويسوغ ما شاء من الأعمال ، بزعم أنه قد لقي الخضر وأمره بذلك أو أخبره به أو أقره عليه .

ثانياً : نشر الكثير من البدع بزعم أن الخضر قد علمها للولي الفلاني والشيخ الفلاني .

ثالثاً : تعظيم بعض الأشخاص ، حيث يشاع عنهم أنهم يلتقون بالخضر ، وقد غرس في نفوس العامة أنه لا يلتقي بالخضر إلا الأولياء الكبار والأقطاب المتمكنون .

### المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية :

#### رؤية الخضر عليه السلام :

رؤية الخضر والاجتماع به عند الصوفية القبورية لا تكاد تحصر، إذ جعلوا من مزايا الولي والأدلة على كماله وبلوغه المراتب العالية أنه يرى الخضر ويجتمع به ، وفي بعض الأحيان يذكرون عنه ما لا يليق بأحقر الناس فكيف بنبي من أنبياء الله ، وقبورية اليمن كغيرهم من القبورية لهم من ذلك دعاوى عريضة، وكذبات شهيرة .

فممن قيل عنه أنه لقي الخضر " أبو بكر بن سالم" قال في المشرع : ( وكان يجتمع بالخضر وإلياس )<sup>١</sup>، وسعد بن علي بامدحج " المعروف بسعد السويني " نقل عنه في النور السافر قوله : ( ولقيت الخضر عليه السلام مراراً فاستفدت منه فوائد كثيرة )<sup>٢</sup> ، ومنهم إسماعيل بن عبد الملك بن مسعود البغدادي قال الشرجي : ( وكان الفقيه المذكور معروفاً بصحبة الخضر )<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> المشرع (٢٨/٢). وشرح العينية ص (٢٣٣) .

<sup>٢</sup> النور السافر ص (٤٢٠) .

<sup>٣</sup> طبقات الخواص ص (١٠٨) .

وإليك بعض قصصهم معه :

منها قصة الشاذلي صاحب المخا حين صار قطباً فكثرت أذية الجن في نوبته ، فشكا ذلك للخضر عندها حل الخضر مشكلته ، قال صاحب تذكير الناس : ( وذكر سيدي عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس ، أن الشيخ علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا ، تولى القطابة و كثر في وقته أذية الجن للإنس ، فشكا ذلك إلى الخضر ، وقال له : لم لم تحصل هذه الأذية إلا في نوبتي ؟ فقال له الخضر : نأتيك بعودين من شجر البن من أرض الحبش تغرسهما تحت الميزاب الذي تتوضأ فيه ، فأتى بهما الخضر وغرسهما الشيخ ، فلما انمرا أخذوا ثمرهما ، وطبخوه في القدر ، وشربوه ، فرفع الله عنهم أذية الجن )<sup>١</sup> .

قلت : انظر إلى هذا التناقض فالقطب عندهم هو المتصرف في الكون وأهله ، وهذا القطب لا يستطيع إزالة ضرر الجن حتى يأتيه الخضر بما يزيل ذلك .

ومنها ما ذكره شارح العينية في ترجمة عبد القادر الجيلاني قال : ( وقال الشيخ العارف بالله أبو سعيد القيلاوي : رأيت رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، في مجلس الشيخ عبد القادر ، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرون طوائف بعد طوائف ، ورأيت رجال الغيب والجان ، يتسابقون إلى مجلسه ، ورأيت الخضر يكثر من حضوره ، فسألته ، فقال : من أراد الفلاح ، فعليه بملازمة هذا المجلس )<sup>٢</sup> ، ومنها ما ذكره صاحب المشرع في ترجمة علي بن علوي وهو يتكلم عن فضائل زوجته قال : ( وحكي أن أمها الشريفة خديجة بنت محمد بن أحمد لما حملت بها آتاها الخضر عليه السلام ، وقال : جئت زائراً لحملك ، فقالت : أتدري ما هو ذكر أو أنثى ؟ فقال : مالي عليه تصرف ، وأعطاه شيئاً من مسك الجنة )<sup>٣</sup> .

ومنها ما حكاه صاحب المشرع في ترجمة محمد بن أحمد بن الأستاذ الفقيه المقدم : قال : ( وكان يحب الاجتماع بالخضر عليه السلام ، وكانت عادته يوم الجمعة أنه يمكث معتكفاً في المسجد

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٥١-٥٢ ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٠١ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٢٢٨/٢ ) .

حتى يأتي إليه من يقوده إلى الجامع ، فجاءه الخضر يوماً وقاده حتى أدخله الجامع و الناس ينظرونه و لا يرون معه أحدا فسألوه عن ذلك ، فعرف أنه الخضر )<sup>١</sup> .

قلت : أنظر إلى الدليل على أن ذلك الشخص هو الخضر ، فالرجل كان ضريباً وجاء حسبما ذكر من يقوده إلى المسجد ، فدخل المسجد و الناس يرونه وحده ، فلما سألوه من جاء به عرف أو عرف أنه الخضر ، من الذي عرفهم ؟ و لم لا يكون كشأن كثير من العميان يستطيعون المشي و دلالة الطريق بدون قائد ؟ و لم لا يكون القائد إذا صح وجوده جنياً ؟ .

و من تلك الحكايات ما ذكره بافضل عن أحمد بن حسن العطاس أنه قال : ( خرج بعض الأولياء فرأى الخضر مع الكفار في حرب يسحب مدافعهم بسلسلة ، فقال له : كيف هذا الحال ؟ فقال الخضر : أمر اقتضته القدرة الإلهية بانسرع عليه )<sup>٢</sup> .

و هذه الحكاية ربما لو قرأها كثير من الناس لحكموا على فاعلها بالزندقة ، حيث تجعل الأمة تستكين للكفار و ترضى باستيلائهم على بلاد المسلمين باعتبار أن ذلك أمر اقتضته القدرة ، و لسنا نظن ذلك بالسيد أحمد العطاس و لا بالشيخ بافضل ، فبرغم ما أخذ به عليهما من انحراف و خرافة و اعتقادات باطلة إلا أنني لا أظن بهما الزندقة و النفاق مطلقاً ، و لكنها الثقة الزائدة بمن حدثوا بذلك من دجاجة الصوفية و تأثير التربية الصوفية تربية (سلم تسلم) و قاعدة :

و إذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

المطلب الرابع : إبطال دعوى القوم في ولاية الخضر عليه السلام و حياته و رؤيتهم له :

قد تقدم ما يفيد ذلك في المطلب الأول ، و أفرد هنا بعض الأدلة الأخرى و النقول عن أهل العلم في إبطال ذلك ، فأول دليل تمسك به القائلون بولاية الخضر هو ما فهموه من قصة الخضر مع موسى ، كما جاءت في سورة الكهف قالوا إن موسى اعترض على الخضر و أنكر عليه ، حيث قال حينما خرق السفينة : ﴿ لقد جئت شيئاً إمرأاً ﴾<sup>٣</sup> و حينما قتل الغلام :

<sup>١</sup> المشرع ( ١٧٥/١ ) .

<sup>٢</sup> الرحلة المكية ص ( ٥١ ) لأحمد بن حسن العطاس ، جمع محمد بن علي بافضل ، ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطار الكهف ( ٧١ ) .

﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴾<sup>١</sup> ولو كان نبياً لما أنكر عليه موسى ذلك ؛ لأن النبي معصوم و موسى يعلم ذلك ، فدل على أنه ولي وليس بنبي ؛ لأنه لا يمكن أن ينكر موسى على من يعلم أنه نبي معصوم .

و الدليل الثاني : أن الله لم يعلم موسى بنبوة الخضر ، ولو كان نبياً لأخبره حتى لا يقع الإنكار على المعصوم ، إذ الإنكار على المعصوم تضليل له و المضلل للنبي كافر .

و الدليل الثالث : و هو أول دليل على عدم نبوته ، رؤيا رآها إبراهيم التيمي - رحمه الله - فإنه تلقى كلمات من الخضر ، و كان الخضر سمعها من جبريل حين لقنها للنبي ﷺ ، فسأل إبراهيم في نومه النبي ﷺ عما ذكر الخضر فقال له : صدق الخضر إلى أن قال له : هو سيد الأولياء<sup>٢</sup> .

و هذه الاستدلالات لا تنهض لتجعل الخضر مجرد ولي خال من النبوة لما يأتي :

١- لقوة الأدلة القاضية بكونه نبياً لا مجرد ولي ، و ستأتي هذه الأدلة في حينها إن شاء الله تعالى .

٢- أن الدليل الأول و الثاني لا يتم الاستدلال بهما على نفي نبوة الخضر إلا بعد إثبات أنه يلزم لزوماً أن النبي لابد أن يكون عالماً بجميع أنبياء الله تعالى ، و هذا أمر لم تؤيده الأدلة .

أما أولاً : فلأن محمداً ﷺ سيد البشر لم يتوفر له العلم بسائر الأنبياء فكيف بغيره ؟ قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك ﴾<sup>٣</sup> .

و أما ثانياً : فلأن موسى عليه الصلاة و السلام لم يكن يعرف الخضر ، و كذلك الخضر عليه الصلاة و السلام لم يكن يعرف موسى ، لذلك لما قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ قال : أنا ، فعتب الله عليه ، إذ لم يزد العلم إليه ، فقال له : (( بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك )) ، و لذلك أيضاً لما أتى موسى إلى الصخرة و

<sup>١</sup> الكهف ( ٧٤ ) .

<sup>٢</sup> بتصرف يسير من تقدس الأشخاص ( ٣٨٩/١ ) ، و هو نقلها عن جواهر المعاني للتيحاني .

<sup>٣</sup> غافر ( ٧٨ ) .



وجد الخضر فسلم عليه ، فرد عليه الخضر ، ثم قال (( له : أنى بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ))<sup>١</sup> . متفق عليه .  
و من تأمل هذا ظهر له :

أ - أن موسى لم يكن يعرف الخضر .

ب - أنه لم يكن مبعوثاً إليه ؛ لأنه كان نبياً إلى بني إسرائيل فقط .

ج - أن الخضر كان قد بلغه اسم موسى وخبره ، و لم يكن يعرف عينه ، ولا شك أنه لو كان واحداً من أفراد أمة موسى لوجب عليه أن يبحث عنه و يتبع دينه قبل هذه الحادثة وبعدها .

٣ - أما المنامات فهي تجارة غير نافقة في سوق المناقشات العلمية .

قال الإمام الشاطبي : "إن الشريعة حاكمة لا محكوم عليها ، فلو كان ما يقع من الخوارق والأمور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عموم ، أو تقييد إطلاق ، أو تأويل ظاهر ، أو ما أشبه ذلك لكان غيرها حاكماً عليها ، وصارت هي محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق "<sup>٢</sup> .

و أما القضية الثانية : وهي قضية استمرار حياته إلى الآن ، فقد استدل القائلون بها بنوعين من الأدلة :

النوع الأول : أحاديث وآثار .

و النوع الثاني : إخبار الجم الغفير من الصالحين بأنهم رأوه ، و نحن نناقش كل نوع على حده .

أما النوع الأول : وهو الأحاديث والآثار فقد صرح علماء الحديث المعنيون به أولو الدراية بتصحيحه وتضعيفه بأنه لا يصح منها شيء سوى أثر واحد ، سيأتي نصه ومناقشة إسناده .

<sup>١</sup> البخاري مع الفتح ( ٤٣١/٦ ) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ومسلم مع النووي ( ١٣٧/١٥ ) كتاب الفضائل باب فضائل الخضر عليه السلام .

<sup>٢</sup> تفهيم الأشخاص ( ٣٩٠/١ - ٣٩١ ) .

يقول الإمام ابن الجوزي في موضوعاته بعد أن روى حديثين فيهما التقاء الخضر وإلياس كل موسم ، كما روى حديثاً فيه التقاء جبريل وإسرافيل مع الخضر يوم عرفة ، ثم قال : ( قلت : وأما حديث اجتماعه مع جبريل ففيه عدة مجاهيل لا يعرفون ، وقد أغرى خلق كثير من المهوسين بأن الخضر حي إلى اليوم ، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طالب وبعمربن عبد العزيز ، وأن خلقاً كثيراً من الصالحين رأوه ، وصنف بعض من سمع الحديث ولم يعرف علله كتاباً جمع فيه ذلك ، ولم يسأل عن أسانيد ما نقل ، وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصنعين بالزهد يقولون : رأيناه وكلمناه فوا عجباً ، ألهم فيه علامة يعرفونه بها ؟ وهل يجوز لعقل أن يلقي شخصاً فيقول له الشخص : أنا الخضر فيصدقه ) ، ثم ذكر أثراً عن علي بن أبي طالب أنه لقي الخضر متعلقاً بأستار الكعبة ... الخ . ثم قال : هذا حديث لا يصح ، ومحمد بن الهروي مجهول ، وابن - محرز - [محرز] متروك .

وقال أحمد : ترك الناس حديث عبد الله بن - محرز - [محرز] .

وقال ابن المنادي : لقيته وكانت بعرة أحب إلي منه <sup>١</sup> ، وقد ضعفه وهّاه العراقي في (المغني عن حمل الأسفار تخريج الإحياء) <sup>٢</sup> .

وقال الإمام ابن القيم في المنار المنيف : ( والأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد ) <sup>٣</sup> .

وقال الإمام ابن كثير : ( وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين ، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد . وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ ، والله أعلم ) <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> هكذا أورد ابن الجوزي هذه الأحاديث والآثار في موضوعاته ( ١ / ١٩٥ - ١٩٨ ) تحقيق عبد الرحمن عثمان طبع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٢</sup> انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ( ٢ / ٧٨٤ - ٧٨٥ ) للعراقي وابن السبكي والزيدي ، استخراج أبي عبد الله محمود ابن محمد الحداد ، طبع دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ( ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٣</sup> المنار المنيف ص ( ٥٠ ) .

<sup>٤</sup> البداية والنهاية ( ١ / ٣٣٤ ) .

ويقول الحافظ ابن دحية : ( ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى ، كما قص الله تعالى من خبرهما ، قال : وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل ، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها ، وإما لوضوحها عند أهل الحديث )<sup>١</sup>.

بعد هذه الأحكام العامة على الأحاديث والآثار الواردة في حياة الخضر ، وأنها لا يثبت منها ما تقوم به الحجة ، بعد هذا أرى أن هناك أثرين جديرين بالمناقشة الخاصة ، لأن كثيراً من القائلين بحياة الخضر يحتجون بهما وهما :

**الأول :** الأثر الوارد في التعزية والذي رواه الحاكم في مستدركه شاهداً لحديث قبله فيه : ( صيغة التعزية ) متحدة معه من حديث جابر بن عبد الله ، وهذا الحديث من حديث أنس رضي الله عنه قال : ( لما قبض رسول الله ﷺ أحرق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا ، فدخل رجل أصهب اللحية جسيم فصيح ، فتخطا رقابهم فبكى ، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال : ( إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل فائت ، وخلفاً من كل هالك ، فإلى الله فأنبيوا وإليه فارغبوا ، ونظرة إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر ، وانصرف ، فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر و علي : نعم هذا أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام . ) ثم قال الحاكم : ( هذا شاهد لما تقدم وإن كان عباد بن عبد الصمد ليس من شرط هذا الكتاب )<sup>٢</sup> . فالحاكم لم يصحح الحديث كعادته ، وإنما جعله شاهداً للحديث قبله في لفظ العزاء فقط دون ذكر الخضر ، وبين علته وهي وجود عباد بن عبد الصمد في سنده ، وهو وإن لا يجوز الاحتجاج بخبره حتى عند من يقول بقبول الضعيف في فضائل الأعمال ، فليس فيه حجة على حياة الخضر .

<sup>١</sup> نقله عنه الحافظ ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضر ( ٢٠٣ ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية إدارة الطباعة المنيرية ( ١٣٤٣هـ ) .

<sup>٢</sup> المستدرک ( ٦٠٣ / ٣ ) ، وكذلك رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ( ٦ / ٣ ) ، وقال : ( وفيه عباد بن عبد الصمد أبو معمر ضعفه البخاري ) قلت : قال فيه : منكر الحديث ، وقال مرة : " فيه نظر " ولا يقول هذه العبارة إلا في التهم عنده غالباً ، قال ذلك الذهبي ، و وهاب ابن حبان ، وقال الذهبي في حديث من منكراته : " هذا إلفك مبین " . انظر : الميزان ( ٣٦٩ / ٢ ) تحقيق علي محمد البجاوي طبع دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ .

أما الأثر الثاني : فهو منسوب إلى عمر بن عبد العزيز حيث دخل المسجد وهو متكئ على شيخ ثم سئل عنه فقال : إنه الخضر ، وقد رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في " المعرفة والتاريخ " قال : ( حدثني محمد بن عبد العزيز قال : حدثنا ضمرة عن السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة قال : رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه ، فقلت في نفسي إن هذا الرجل حاف ، قال : فلما انصرف من الصلاة قلت : من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً ؟ قال : وهل رأيته يا رياح ؟ قلت : نعم . قال ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً قال ذاك أخي الخضر بشرني أني سالي وأعدل )<sup>١</sup> .

وفيه محمد بن عبد العزيز الرملي قال فيه الحافظ : ( صدوق بهم ، وكانت له معرفة )<sup>٢</sup> ، وقال ابن الجوزي ( هو مجروح عند العلماء )<sup>٣</sup> ، وقال أبو حاتم : ( كان عنده غرائب ثم لم يكن عندهم بالمحمود هو إلى الضعف ما هو<sup>٤</sup> ) ، وقال أبو زرعة : ( ليس بالقوي )<sup>٥</sup> . وقال الفسوي : ( حافظ )<sup>٦</sup> ، قلت : وصف ( حافظ ) لا ينافي الجرح إذ قد يكون الطعن من جهة العدالة ، ثم قول ابن حجر أنه بهم معارض لوصفه بالحفظ ، ولعل هذا الأثر من غرائب التي أشار إليها أبو حاتم .

نعم قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : ( هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب )<sup>٧</sup> ، وهذه العبارة لا تدل على تصحيح الأثر ، لما قرر في كتب المصطلح أن قول المحدث : هذا أصح شيء في الباب ونحو ذلك من العبارات ، لا تدل على تصحيح الحديث وإنما تدل على أن غيره أشد ضعفاً منه ، ثم النكتة الثانية أنه قال ذلك في الإسناد وهو لو صرح بصحة

<sup>١</sup> المعرفة والتاريخ ( ٥٧٧/١ ) ليعقوب بن سفيان الفسوي ، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ( ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ) وعزاه المحقق إلى ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز .

<sup>٢</sup> التقريب ص ( ٨٧٢ ) رقم الترجمة ( ٦١٣٣ ) .

<sup>٣</sup> نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية . ( ٣٣٤ / ١ ) .

<sup>٤</sup> الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ( ٨/٨ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٨/٨ ) .

<sup>٦</sup> الميزان ( ٦٢٨/٣ ) .

<sup>٧</sup> الزهر النضر ضمن الرسائل المنيرة ( ٢٣١/٢ ) .

الإسناد فلا يعتبر تصحيحاً للمتن فكيف و عبارة ( أصلح ) التي تشعر بالتوهين أكثر من أشعارها بالتصحيح ، وإذا عرفت هذا فإن المتن لا يصح لعدة أمور.

منها : أنه مخالف لنص القرآن في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾<sup>١</sup> ، فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة ، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح والأصل عدمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله )<sup>٢</sup> ، وأكد ذلك الشيخ الشنقيطي رحمه الله - فقال في تفسير الآية المذكورة : ( بقوله ( لبشر ) نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله ، والخضر بشر من قبله ، فلو كان شرب من عين الحياة و صار حياً خالداً إلى يوم القيامة لكان الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد )<sup>٣</sup>.

ومنها : أن غاية ما في أثر عمر بن عبد العزيز أخباره أن ذلك الشخص الذي كان متكئاً عليه هو الخضر ، ومن المحتمل أن يكون ذلك الشخص من الجن ، وعمر مع جلالاته ليس معصوماً من الخطأ أو أنه كذب عليه بقوله " أنا الخضر " ، وليس للخضر علامة يعرف بها ، والإنسان مهما علا قدره ليس معصوماً من تلاعب الشيطان ، فكيف مع كل هذه العلل في السند والمتن يحتاج بذلك ، وقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد لوح عدداً آخر من الأدلة على موت الخضر ورد هذا الأثر ، آثرت تجاوزها للاختصار فمن شاء التوسع فعليه بالرجوع إليه<sup>٤</sup>.

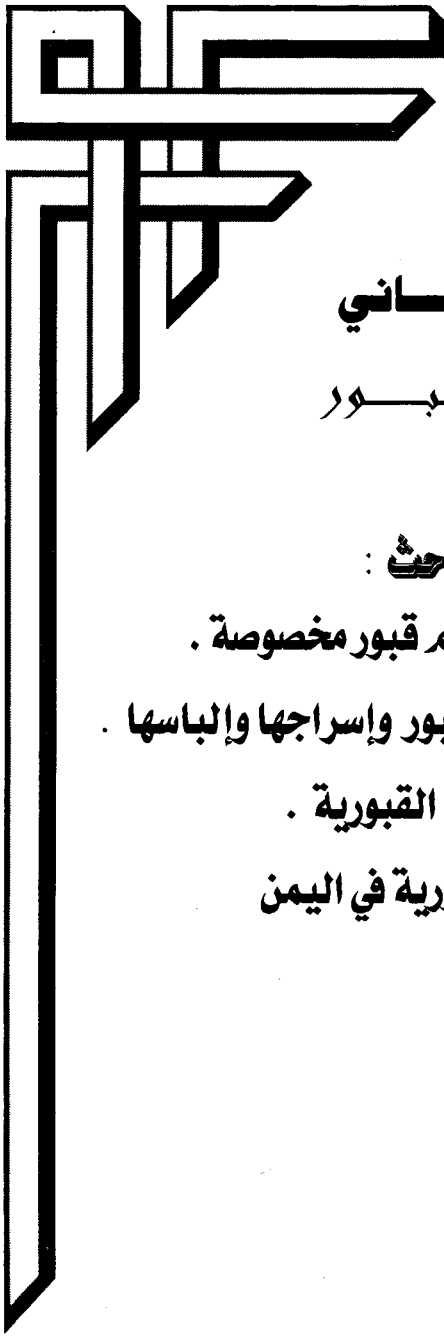
<sup>١</sup> الأنبياء آية ( ٣٤ ) .

<sup>٢</sup> البداية والنهاية ( ٣٣٤/١ ) .

<sup>٣</sup> أضواء البيان ( ١٦٤/٤ ) .

<sup>٤</sup> انظر ذلك في : تقديس الأشخاص ( ٤٠١/١ - ٤١٠ ) .





## الفصل الثاني

### تعظيم القبور

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة .

المبحث الثاني : ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها .

المبحث الثالث : الزيارات القبورية .

الفصل الرابع : نشأة القبورية في اليمن

## المبحث الأول

### اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة

وفيه ستة مطالب:

#### المطلب الأول : اعتقادهم تعظيم وبركة مقابر مخصوصة:

منذ أن بدأ المتصوفة تعلقهم بالقبور و قالوا قولتهم المشهورة : (قبر معروف الكرخي الترياق المجرب ) و هم يتوسعون في الانحراف ، و يتيهون في الضلال ، و يضيفون الجديد من الدجل و الخرافة ، ينسبون بهما الفضائل و الفواضل إلى قبور أوليائهم ، فحيناً تعم البركة مقابر بأكملها ، و حيناً تخص قبوراً معينة ، و هناك مقابر قد عمم قبورية اليمن البركات عليها و أعطوها القداسة و التعظيم .

فمن تلك المقابر مقبرة المسدرة بقرية المخادر محافظة إب ، قال الجندي في ترجمة علي بن أبي بكر التباعي : ( و قبره بمقبرة المخادر و تعرف بالمسدرة بخفض الميم بعد ألف و لام و سكون السين المهمة و فتح الدال المهمة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هاء ، و هي من المقابر المشهورة بالبركة ، إذ رأى بعض الصالحين النبي ﷺ و هو في طرفها يزور ، و جماعة يسألونه الشفاعة فقال هذا خاتمي ذمام على أهل المسدرة من النار و لما كان مستفيضاً لم يكد أحد من أهل القرية و نواحيها يحب أن يقبر إلا فيها تعلقاً بهذا الأثر )<sup>١</sup> ، فانظر إلى هذه الرؤيا كيف أثرت في الناس فصدقوها و عملوا بمقتضاها ، حتى إن أهل تلك النواحي لا يقبرون إلا فيها .

<sup>١</sup> السلوك ( ١٨٣/٢ ) ، و طبقات الخواص ص ( ٢١٢ ) .



و منها مقبرة الكثيب الأبيض بأبين ، قال الياضي : ( و هو كثيب يزوره أهل تلك البلاد و ما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلوم في رجب ... و يقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين )<sup>١</sup> .

و قد ذكره كذلك الجندي بشيء من البسط فقال : ( و قد تطلع النفوس إلى خبر الكثيب : أما الشأن فيه فهو موضع في أبين عدن و هو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة فيما رواه الرازي مقدم الذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفاق منها الكثيب الأبيض عند وادي يرامس أرض أبين ، ومنها الجند ، ومنها زبيد ، ومنها نجران ، و لم يزل الناس ينتابون الكثيب لاسيما في رجب و يجتمعون فيه ليلة سبع وعشرين من الشهر ويزعمون أنها سنة العلماء المتقدمين<sup>٢</sup> ، سئل بعض فقهاء تلك الناحية من المتأخرين هل يذكر شيئاً من فضله ؟ فقال : لا أعلم إلا أني رأيت و سمعت الإجماع منعقد على قصده وزيارته و ما يكون مجاناً عن باطل )<sup>٣</sup> .

و منها مقابر تريم الثلاث : زنبل ، و الفريط ، و أكدر ، و التي يجمعها اسم شامل هو "بشار" للثلاث الثرب ، و هذه المقابر قد بلغ فيها الغلو مبلغاً لم تبلغه أي مقبرة أخرى في اليمن ، و اسمع إلى فضلها من مؤرخ القوم و ناشر مناقبهم و فضائلهم بغتها و سمينها و عجرها و بجرها المؤرخ الشلي في مشرعه : ( و أما مقابر مدينة تريم فأعظمها و أحقها بالتقديم مقبرة " زنبل " بفتح الزاي و سكون النون و فتح الموحدة آخرها لام ، و هي مقبرة السادة الأشراف و فيها من العلماء العاملين و الأولياء والصالحين ما لا يحصى ، و كان الشيخ عبد الرحمن السقاف يقول : " فيها من أكبر الأولياء أكثر من عشرة آلاف و فيها ثمانون قطباً من الأشراف " ، و نحو ذلك حكى عن الشيخ الولي سعد بن علي ، و يقال أن فيها عصابة من الصحابة ؓ أرسلهم الصديق الأكبر ؓ لقتال أهل الردة مع زياد بن عبيد<sup>٤</sup> الأنصاري فمات كثيرون منهم بتريم و لم تعرف قبورهم ، لكن حكى عن الشيخ عبد الرحمن

<sup>١</sup> مرآة الجنان ( ٤ / ٣٥٤ ) .

<sup>٢</sup> في الأصل . المتقدمون و هو خطأ .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢ / ٦١٥ ) .

<sup>٤</sup> كذا في الأصل والمعروف زياد بن لبيد .

السقاف أنه قال: إن قبورهم شرقى قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بنحو رمية حجر، وذلك بقرب مشهد العارف بالله أبي بكر باشميلة ؑ ونفعنا بهم ، ( و بالجملة ) فهي بقعة تارجت بطيب تربها و أشرق أرضها بنور ربها .

( الثانية ) مقبرة الفريط تصغير فرط وهو كما في القاموس : الجبل الصغير أو رأس الأكمة والعلم المستقيم يهتدي به جمعه أفرط و أفرط سميت باسم الجبل الذي بقربها وهي مقبرة آل بافضل والخطباء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة ، وفيها أيضاً من العلماء والفضلاء والأولياء ما لا يحصى ، وحكى عن الشيخ عبد الرحمن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف ولي ، وقد شاهد كثير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنزل من السماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات .

وحكى عن عبد الرحمن السقاف وحكاه السيد الجليل عبد <sup>١</sup> بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالاً : إن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة ، و حكى عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقاً بعنان السماء ، و عن الشيخ حسن الورع بن علي أنه قال : من نظر منارة الجامع و الفريط حتى سفر <sup>٢</sup> عليه لم يكتب عليه ذنب ، و كان بعض الأولياء العارفين يقول : من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار ؛ و لأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها .

( الثالثة ) مقبرة أكدر بفتح الهمزة و سكون الكاف و فتح المهملة فراء ، و تسمى هذه المقابر الثلاث "بشار" بفتح الموحدة وتشديد المعجمة آخره راء و هو اسم الواقف لها ، و هذه المجنات مشهورة بالبركات في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين و مستورين ، من آل بصرى و جديد و علوي ، و من آل بافضل ، والخطباء ، وآل باحرمي ، وآل بامحسون ، وآل بامروان ، وآل باعيسى ، وآل باعبيد ، وغيرهم ، إلا أن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته ؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور و إنما استحسنة المتأخرون لأمر منها : أن يعرف الميت هل بلي أو لا ؟ لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين

<sup>١</sup> كذا في الأصل .

<sup>٢</sup> كذا في الأصل .

سنة أو نحوها ، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار ، ويتبرك به ، ويدفن عنده أقاربه ، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة ، وكان الشيخ محمد بن أفلاح يقول : مِنْ مسجد عبد الله بن يمانى إلى آخر زنبل كلها قبور ، ومن ثم يقع لكثير من المشايخ أنه يخلع نعليه إذا جاوز المسجد المذكور ، وقد كان كثير من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان ، وشاهد غير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسيم ، ورأى جماعة رسول الله ﷺ يزورهم ، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحكى أن الشيخ أبا سعيد قرأ سورة هود فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾<sup>١</sup> ، جعل يردد الآية و يتفكر ، ثم قال يا أهل القبور ليت شعري من الشقي منكم ومن السعيد ؟ فأجابه الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن محمد بافضل من قبره بقوله : أمض يا سعيد في قراءتك ليس فينا شقي ، وقيل إن الذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت .

وحكى عن الشيخ الزاهد الورع السيد حسن بن علي ، وكان من أهل الكشف أنه قال : سأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقال : خيلنا تحمل رجلنا ، وسأله عن أهل مقبرته فقال : زنادقتنا<sup>٢</sup> حشو جنتنا .

وللشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف :

وكم بدور بذاك الحي قد برزت	تمد زوارها من فيضها الزخر
وكم عز بيته الأسرار قد غمرت	بفضل هطالها الزوار كالمنطر
وذا دن دنت ترمي يحس بها	زوارها في سواد الليل والسحر
وذا أكدر للأكدار مجلية	تشفى بمرهمها الزوار عن ضرر
وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفة	خصوا بها صفوة صُفُوا عن الكدر
وامنحوا من عظيم الفضل كم منح	وكم عطايا وكم جود وكم غمر
وكم حقائق توحيد لها وهبوا	وكم جواهر أنوار وكم درر
وكم مواقيت أسرار ومعرفة	وكم تماكين تصريف وكم قدر

هرد (١٠٥) .

<sup>٢</sup> زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود الظرفاء والمهزجون .

شيوخنا في بحار من حقائقها  
حظوا وخصوا بجاه لا يحد له  
رسوخ أقدامهم يحكي رواسيها  
بحور علم شمس في دياجرها  
أئمة الدين آل المصطفى فلهم  
وراث طه على التحقيق أن لهم  
أولو الصفا والوفا أجناد خالقهم  
هم عمدة الكون أحبار العلوم بهم  
فلا مزيد على مدح الإله لهم  
فالقحط عنا مع البلوى يزال بهم  
وهم بدور لنا في كل مظلمة  
قوم إلى الله طاروا عن هياكلهم  
أهل التقى والنقى طابت مغارسهم  
فحسن الظن واعتمد يا أخي بهم  
واقصد رضى الله في الدنيا بحرمتهم  
وقال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس:

في جنان بشّار  
كم بها من أقمار<sup>١</sup>  
وقال :

ولم يزل عني الكدر  
وأهل الفريط المشتهر  
العيدروس بحر الدرر

قد مكنوا الكل بالأسرار والسير  
وسع ولافضلهم يحصى بمستطر  
أسود نهام تحمي الجار عن ضرر  
تهدي الضوائل والسيالك في السفر  
مكارم عدها يريو على الزهر  
محاسن أدهشت الباب ذي الفكر  
أولو العبودة حقاً صفوة البشر  
باهى المهيمن للأملاك في الخبر  
وذكره فضلهم في الآي والسور  
أيضاً وفي الجذب نسقي وابل المطر  
وهم لنا عمدة في اليسر والعسر  
حق دنوا من رياض القدس والقدر  
فأينعت بثمار القصد والظفر  
كي في معاد تفز بالأمن والوطر  
لعل تحظى بحور الخلد والظفر

خيامهم قد طنبت والأخدار  
تلألأت أنوارهم بالأقطار

إلا إذا زرت آل أكردر  
وقبر الشيخ المنور  
ليث الضراغيم الغضنفر

<sup>١</sup> في الأصل "قمار".

فانظر إلى هذه الخصائص والفضائل وما جعل فيها من كرامات ينالها الزوار ويحصل عليها الراغبون ، أفلا يحمل ذلك ضعاف العقول على التعلق بهذه المقابر و مَنْ فيها و اعتقاد النفع والضرر فيهم ؟.

و غير مقابر تريم هناك مقابر أخرى في حضرموت مباركة مجرية - هكذا يزعمون - ، يقول الشلي : ( و المقابر المشهورة في حضرموت أربع : مقبرة تريم ، و مقبرة شبام ، و مقبرة الهجرين ، و مقبرة الغيل الأسفل )<sup>١</sup> .

### المطلب الثاني : اعتقاد بركة قبور معينة بركة عامة :

لن أستطيع و لن يستطيع أي باحث حصر و إحصاء القبور التي أطلق عليها المدح والثناء ، و نسبت إليها البركات ، و ما يضيئ منها من الأنوار ، و ما يفوح منها من الروائح العطرة و المسكية ، و ما يتحقق لزارئها من الأُنس و الارتباط ، ثم نجاح الحاجات و تفريج الكربات ، إن إحصاء ذلك أمر غير متيسر قطعاً و لكنني سأكتفي بذكر بعض ذلك و من أماكن متفرقة من اليمن .

و أول تلك الأماكن "زبيد" فقد ذكر عن كثير ممن قُبِرَ بها من الصالحين الثناء على قبره ونسبة الكثير من الفضائل إليه ، و أكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة "باب سهام" ، و مقدمو تلك المقبرة سبعة نفر ، قال الشرجي في ترجمة إبراهيم الفضلي : ( وقبره بمقبرة باب سهام ، من مدينة زبيد من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك ، و هو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته ، و هم هذا الفقيه إبراهيم والشيخ أحمد الصياد ، و الفقيه عمر بن رشيد ، و الشيخ مرزوق بن حسن ، و الشيخ علي بن أفلق ، و الشيخ علي المرتضى ، و في السابع اختلاف ، فمن الناس من يجعله أحد بني عقامه و منهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض ، و منهم من يقول غير ذلك ، و الله أعلم )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> المشرع ( ١٤٦/١ - ١٤٨ ) .

<sup>٢</sup> المشرع ( ١٤٨/١ ) .

<sup>٣</sup> طبقات الخواص ص ( ٤٥ ) .

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم ، فقال :

بياب سهام سبعة من مشايخ      لقاصدهم ذخروكنز لقلل  
فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي<sup>١</sup>      وأفلح صياد كذا ابن الرضى علي  
زيارتهم نجح لكل حوائج      وفي الخلد سكنى للذى زار مقبل<sup>٢</sup>

و لأن هذه مضخرة عند القوم لمدينة زييد قد تسمو بها على غيرها من المدن لم يرتض أهل تريم ذلك ، بل عارضوهم بذلك ما في مقابر تريم من فضائل وفضلاء ، قال الشلي بعد أن نقل تلك الأبيات : ( فعارضه الإمام مبدي العلوم الغربية والأخبار العجيبة الشيخ على بن أبي بكر فقال :

تريم بها منهم الوف عديدة      بساحة بشار شمس الورى قبل  
زيارة كل منهم صح أنها      لما شئت من جلب ودفع تحصل  
وإن قيل ترياق بيغداد جريا      ففي ريع بشار شفا كل معضل  
ويا حبذا ذاك الفريط وظله      فكم قد حوى من كامل السر منهل  
فكم معدن كم مورد كم معظم      وكم حبر تحقيق وشيخ مدلل  
ويلبل قلبي نفح مسك بزنبيل      بها من كنوز السر كم من مجلل  
وكم جهنم فيها بنوا كدر بها      بهم ينزل الله الغيوث لمحل  
فلا تحتقرها رب أشعث خامل      سما سره فضلا على كل معضل<sup>٣</sup>

و إليك بعض القبور المفردة التي ذكرت لها بعض البركات والأسرار وتعلق بها الناس واعتقدوا فيها العقائد الضالة :

و من مدنية زييد أيضاً : قال الشرجي : ( و من ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له الملبك ، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وآخره كاف ، ما كان يعرف ولا سمعنا به إلا في هذا الزمان ، ذكر رجل من عوام أهل زييد أنه نبه عليه إنسان و هو في المنام

<sup>١</sup> كذا في الأصل ولست أدري من يعني .

<sup>٢</sup> المشرع (١٤٨/١) وقد اختلفت بعض الأسماء ولا أراه يضر إذ المقصود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء .

<sup>٣</sup> المشرع ص (١٤٨/١) .

وقال له : إن صاحب هذا القبر من الأولياء وإن من لازمه في حاجة قضيت ، وشاع هذا في أهل البلد ، حتى صار لهم فيه معتقد عظيم ، يزورونه ويتبركون به ، لاسيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد )<sup>١</sup>.

و كذلك يقول الشرجي في ترجمة عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال : ( وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به ) ، ثم ترجم لولد له وقال في آخر ترجمته : ( و دفن عند والده وقبره يزار ، ويتبرك به ، على تربتهم أنس ظاهر وبركة )<sup>٢</sup> ، وفي ترجمة إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قال : ( و دفن بمقبرة باب سهام من مدينة زبيد ، وله هنالك مشهد عظيم لم يكن في تلك المقبرة أعظم منه ، عليه أثر النور والبركة ظاهر )<sup>٣</sup>.

#### نماذج من القبور المعظمة في محافظة تعز :

قال الشرجي في ترجمة أحمد بن علوان : ( و دفن في قريته قرية "يَفْرُس" بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الفاء وضم الراء وآخره سين مهملة ، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعز ، وقبره بها ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب ، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع ، أهل تعز وغيرهم ، ويخرجون بالنساء والأولاد ، و قرية الشيخ المذكور محترمة ، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه )<sup>٤</sup>.

و في ترجمة الفقيه الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي قال الشرجي : ( وقبره بالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشهور مقصود للزيارة والتبرك ، قال الجندي : " لم أر في اليمن تربة تتجدد معرفتها و يكثر زوارها كترية الفقيه زيد ، و لا تكاد تخلو تربته من زائر ، و قلما

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٤١٨ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٩٥ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٠٦ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٧١ ) .

قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته ، قال : و لقد أخبرني جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأخبار يطول شرحها في ذلك نفع الله به ويسلفه آمين " )<sup>١</sup> .

قلت : هل يقصد الجندي أن ذلك متواتر بالمعنى الاصطلاحي إن كان كذلك فممن أخذ هذا الجمع ؟ إنه في الغالب عن جماعة من تجار الخرافة والكرامات .

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن ظفر الشميري قال الجندي : ( وقد بلغت تربته قاصداً للزيارة ، فأقمت عنده أياماً وإلى جنبه قبر امرأته المذكورة ، قال : و ببركته لم تزل تربته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله تعالى ، و لم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة و قضاء الحوائج التي تطلب من الله تعالى و كثرة النذور و غير ذلك ، و في ليلة الرغائب من شهر رجب يجتمع عندها خلق ناشر قال : و تراب تربة الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به )<sup>٢</sup> .

قلت : أما رائحة المسك التي تكررت و لا تزال في ترب كثير من المقدسين فإنها لعبة من لعب السدنة ، يصبون الروائح العطرية على التراب ليوهموا الزوار بأن ذلك من ربح التربة والقبر المقدس .

نماذج من قبور إب :

منها قبر الشيخ علي بن عمر قال الجندي في ترجمته : ( وتربته من التراب المشهورة في البركة واستجابة الدعاء ، و من عجيب بركتها ما أخبرني بعض الثقات من أهل العناية والبحث عن أحوال هذا الرجل وأمثاله أنه كان على قبره شجرة سدر يتبرك بها الناس بويأخذ أصحاب الحموات من أوراقها يطلون بها رؤوسهم فيبرأون ، واستفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لذلك من الأماكن البعيدة ، ويعتمد في الأمراض الشديدة ، و من عادات أهل إب في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة كما هو متحقق فلا يألو من ظفر منهم بصاحبه غير مفكر بالأذية بقتل أو غيره ، فحصل في بعض الأعياد حرب انتصر بها أهل البادية فانهزم أهل إب إلى البيوت ، و وصل أهل القرية إلى قريتهم ولم يطبقوا دخولها فقال بعض شياطينهم اذهبوا بنا إلى هذه الشجرة التي يعبدونها ،

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ١٣٨ ) .

<sup>٢</sup> السلوك ( ٢٦٣/٢ ) وانظر : طبقات الخراس ( ٣٠٢ ) .



ولنعقرها عليهم فلا ينتفعوا بها فنهاهم العقلاء ، و أسرع إلى ذلك الجهلاء ، فضربوا العلبة بفأس حتى أوقعوها الأرض ، وألقى الله بقلوب أهل المدينة القوة و الأنفة فخرجوا مسرعين نحوهم فهزموهم هزيمة شنيعة و قتلوا منهم جمعاً أولهم عاقر الشجرة ، و حين وقع هبّروه بالسيوف تهبيراً عظيماً ، و تعرف هذه التربة بتربة من سمع النداء بالصلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي )<sup>١</sup> .

ومنها قبر محمد بن عبد الله الهمداني بناحية السحول ، قال في ترجمته الشرجي :  
( وقبره في الرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج )<sup>٢</sup> .

ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمام المشهور قال الشرجي في ترجمته : ( و كانت وفاة الشيخ يحيى بقرية ذي السفال كما قدمنا سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، وقبره هنالك من القبور المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج ، وله عند أهل الجبال كافة مكانة عظيمة ، ولهم فيه معتقد حسن ، و يروون له كرامات كثيرة ، و يتوجهون به في مهماتهم ويستغيثون به في ضروراتهم ، وهو كذلك وفوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به )<sup>٣</sup> .

من قبور لحج وأبين :

منها قبر الحسن علي بن الحسن الأصابي قال الشرجي في ترجمته : ( توفي سنة سبع وخمسين وستمائة بقرية المحفد بفتح الميم والفاء وسكون الحاء المهملة بينهما وآخره دال مهملة ، وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به ، ويوجد منه رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة ، ذكر ذلك الجندي رحمه الله )<sup>٤</sup> .

ومنها قبر عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ علي ، قال الشلي : ( و لقي ربه سنة سبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشهيرة ، وقبره بها كالشمس وقت الظهيرة مقصود

<sup>١</sup> السلوك ( ٣٥٦/١ - ٣٥٧ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٣١٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣٦٥ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢١٣ ) .

بالزيارات و قضاء الحاجات و نيل المطلوبات و من استجار به نجا من جميع المخاوف و الردى ،  
وعمل الباشا محمد باشا على قبره قبة عظيمة )<sup>١</sup> .

من قبور عدن :

منها قبر أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الباطل الصريفي ، قال الشرجي في ترجمته : ( ...حتى توفي بها - عدن - وتبرته هنالك من التراب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك ، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكرهه ، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم ، وله عندهم محل جسيم ، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به )<sup>٢</sup> .

ومنها قبر الشيخ عبد الله بن أحمد العراقي ، قال الشرجي في ترجمته : ( ولأهل عدن فيه معتقد حسن ، وله هنالك تربة معظمة )<sup>٣</sup> .

ومنها قبر الشيخ جوهر بن عبد الله ، قال الشرجي في ترجمته : ( وتبرته هنالك من أكبر التراب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك ، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكرهه ، ومن تعدى إلى ذلك عوقب عقوبة معجلة ، وقد جرب ذلك غير مرة ، ولم أتحقق تاريخ وفاته - رحمه الله تعالى - ونفع به آمين )<sup>٤</sup> .

من قبور شبوه:

قبر الشيخ محمد بن عمر الحباني ( وهو يقع على مكان مرتفع في المقبرة الحبانية القديمة فوق طين الجديدة و بجانبية بعض أولاده وأحفاده وقبورهم منورة ومقصودة بالزيارة )<sup>٥</sup> .

قبر الشيخ أبي بكر بن إسماعيل بن محمد بن عمر الحباني ( وهو في مجري السيل في شعب الشقبة ، ويمر الماء من حواليه دون أن يأخذ منه شيئاً ، وقد كان أهل البلاد أيام

<sup>١</sup> المشرع ( ١٩٣/٢ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٢٨٣ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٤١٩ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٢١ ) .

<sup>٥</sup> ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوت الحضار بدون تاريخ ولا سنة طبع .

الاستسقاء يتوسلون به إلى الله ، ولا يأتي الليل إلا ويأتيهم الغيث بإذن الله ، وقد حضرنا هذا مراراً ونحن صغار) <sup>١</sup>.

قبر الفقيه علي بن محمد بن عمر الحبائي صاحب الحوطة ، قال المحضار : ( ودفن بجوار المسجد وقد كانت عليه قبة وانهدمت ) <sup>٢</sup> ، وقال قبل ذلك ( أخبرني الثقة من أهل الحوطة أن السيد الصوفي محسن ابن عبد الله بن عبد القادر المحضار صاحب مرخة جاء إلى الحوطة وكان يزورها دائماً ، و ليلة دخل إليها بعد العشاء فقدم المسجد بعد أن خرج المصلون ، وكان جائعاً ودق على التابوت إلى أن خرج إليه قرص حار و لحمه ، فأكل نصف القرص واللحمة ، ومع الفجر جاء أحد المشايخ الكرام .. وقال للسيد محسن أعطني من عشاء الشيبة فأعطاه النصف الباقي ) <sup>٣</sup>.

من قبور حضر موت :

ومنها قبر عبد الله بن شيخ العيدروس ، قال الشلي في ترجمته : ( وعمل عليه قبة حسنة الباطن والظاهر والنور في أرجائها لائح و باهر ) <sup>٤</sup> ، ومنها قبر الشيخ أبي بكر بن سالم ، قال الشلي في ترجمته : ( وتربيته بها مشهورة كالشمس وسط النهار ، تقصده الزوار من جميع الأقطار ، بأنواع الأنداز ، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس ، لا يقدر أحد أن يناله بيؤس ، وبني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعنى ) <sup>٥</sup> ، ومنها في مدينة الشحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف ، قال الشلي : ( ومشهده في الشحر مشهور وبالألوان مغمور وبالزيارة معمور ) <sup>٦</sup> ، ومنها قبر الفقيه المقدم ، قال الشلي في ترجمته : ( وقبر الأستاذ بمقبرة زنبيل المشهورة ، وبالزيارة والقراءة معمورة ، وقبره بها كالبدر ليلة الكمال ، وكالشمس وقت الزوال ، مقصود بالزيارة من كل البلاد ، ويهرع إليه عند النوائب من كل

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٢٥ - ٢٦ )

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٣٥ )

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣٤ ) .

<sup>٤</sup> المشرع ( ١٧٧ / ٢ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٢٩ / ٢ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ( ١١٥ / ٢ ) .

ناد ، ويسعى الناس كل يوم لزيارته سعياً حثيثاً ، ويستسقى به قديماً وحديثاً ، و كان حفيده الشيخ الإمام عبد الله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده :

يا دار إن غزالاً فيك هيمني      لله درك ما تحويه يا دار  
لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها      إذن رأيت بناء الدارينهار

وكان يقول إذا رآه " كل الصيد في جوف الفراء " و كان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبله، فقليل له :كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبور فقال ما صبرت عنه )<sup>١</sup>.

#### قبور من نواح مختلفة :

فمن كمران قبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبد ربه، قال الشرجي في ترجمته :  
( حتى توفي سنة خمس وعشرين وخمسائة ، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المذكورة بقرية هنالك من التربة المشهورة ، مشهورة الفضل ، وآثار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك ، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والظاهرين، وقد تقدم في ترجمه الشيخ أحمد الصياد ما يدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين )<sup>٢</sup>.

ومن قبور بلاد الزيدية قبر الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم المعروف بأبي طير، قال الأكوع في ترجمته : ( وقبره معروف يزار ويتبرك به ، وقد اندفع عوام الناس يعتقدون فيه اعتقادات باطلة حتى أخرجوه من آدميته ، كما ذكر الإمام الشوكاني في رسالته " الدر المنضيد في إخلاص كلمة التوحيد " ص ( ١٢ ) جاء فيها ما يلي :

(وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع ، والبخور ينفخ في جوانبها ، وعلى القبر الستور الفاخرة فقال عند وصوله إلى الباب : أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين " )<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> المصدر السابق (١٠/١١).

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٢٧٨ ) .

<sup>٣</sup> مخرج العلم ( ٧٤٣/٢ ) .

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بدمار، قال الإمام الشوكاني في ترجمته : ( ومات في سنة ٧٠٥ خمس وسبعمائة بمدينة دمار ودفن بها وقبره الآن مشهور مزور، ومما شاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يزوره ومعه شيء من الحديد لم تعمل فيه النار بعد ذلك، و قد جربت ذلك فلم يصح، وكذلك اشتهر أنه إذا دخل شيء من الحيات قبته مات من حينه )<sup>١</sup>، ونقل المعلق على الكتاب هذه الأبيات التي كتبت على قبته وهي :

أرسي كلاكله ولم يتحول	نور النبوة والهدى المتلهل
وأشرف في الفخار وأفضل	في قبة نصبت على خير الوري
والجود والمجد الأثيل الأكمل	وعلى الإمامة والزعامة والندا
وعلى المليك الأوحد المتطول	وعلى السماحة والرجاحة والنهي
المتعبد المتنفل المتبتل	والعالم المتوحد المترهب
لب اللباب من النبي المرسل	يحيى بن حمزة نور آل محمد
لملة ورجاء كل مؤمل	كشاف كل عزيمة وملاذ كل
عن قبره وضريحه لا تعدل	يا زائراً ترجو النجاة من الردى
واطلب رضاك من المهيمن واسئل	لذ بالضريح وقف به متضرعاً
وتنال خيراً من علو المنزل	تحى بكل فضيلة ووسيلة
شرفت مدينة يثرب بالمرسل	شرفت دمار بقبر يحيى مثلما
فيما مضى وكذاك في المستقبل <sup>٢</sup>	فليهنأ أهل دمار حسن جواره

#### المطلب الثالث : اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور :

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقاداً شاملاً لها كما تقدم اعتقادهم في بعض القبور، واسباغ الفضائل عليها بدون تخصيص نوع معين من الكرامات التي تدرك لديها، وفي هذا المطلب أذكر إن شاء الله بعض القبور التي قيل أن الدعاء عندها مستجاب، وما دام أن

<sup>١</sup> البدر الطالع ( ٣٣٣/٢ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٣٣٣/٢ ) .

الأمر مخصوص باستجابة الدعاء فإنني سأقتصر على ذكر القبر واسم صاحبه مع المرجع فقط طلباً للاختصار إلا ما رأيت في غير إيراد نص كلام المترجم فائدة فإنني سأذكره .  
فمن تلك القبور :

- قبر أبي الخير الشماحي بزبيد ذكره الشرجي <sup>١</sup> .
- قبر علي بن الحسن الأصابي بأبين ( المحفد ) ذكره الشرجي <sup>٢</sup> .
- وقبر محمد بن علي مولى الدويلة بتريم ذكره الشلي <sup>٣</sup> .
- وقبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ ذكره الشلي <sup>٤</sup> .
- وقبر عبد الله باعلوي ذكره الشلي <sup>٥</sup> .
- وقبر عبد الله بن محمد بن علي صاحب الشبيكة بمكة ذكره الشلي <sup>٦</sup> .
- وقبر عقيل بن عمر أبي المواهب بالرياط قرب ظفار ذكره الشلي <sup>٧</sup> .
- وقبر محمد بن عبد الرحمن السقاف ذكره الشلي في كيفية زيارة مقابر تريم <sup>٨</sup> .

#### المطلب الرابع : اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور:

ومن تلك الاعتقادات الباطلة التي يعتقدها القبورية في قبور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبور قضيت حاجته، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسطة فيها، وكلا الأمرين مبني على ولاية أصحاب تلك القبور وما أعطوا من التصرف في الكون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس .

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٨٤ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢١٣ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٢٠٢/١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ٤٧/٢ - ٤٨ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ٧٣ / ٢ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ( ٢٠١/٢ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ( ٢٠٥/٢ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ( ١٤٩/١ ) .

فمن تلك القبور قبر محمد بن عبد الله بن يحيى الهمداني، قال الشرجي في ترجمته : ( وقبره بالرباط المذكور مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج )<sup>١</sup>، ومنها قبر مرزوق بن حسن الصريفي، قال الشرجي : ( قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت )<sup>٢</sup>، ومنها قبر الإمام زيد بن عبد الله اليفاعي، قال الشرجي : ( ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت )<sup>٣</sup>، ومنها قبر صاحبي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسين البجلي، قال الشرجي في ترجمة البجلي : ( وقبره بقرية عواجة إلى جنب قبر صاحبه الشيخ محمد الحكمي، تستنجح بهما الحوائج ويستنزل بهما القطر )<sup>٤</sup>، ومنها قبر محمد العيدروس ابن عبد الله بن شيخ بالهند، قال الشلي في ترجمته : ( ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونواله )<sup>٥</sup>، ومنها قبر أبي الحسن علي بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي، قال الشرجي : ( يروى أنه من قرأ عند قبره سورة ياسين إحدى وأربعين مرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضيت حاجته كائنة ما كانت، وقد جربت ذلك وصح والحمد لله على ذلك )<sup>٦</sup>، ومنها قبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قال الشرجي في ترجمته : ( وقبره بمقبرة باب سهام من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج والمطالب )<sup>٧</sup>، ومنها قبر أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري، قال الشرجي في ترجمته : ( وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به، ويروى أن من قرأ عند قبره سورة ياسين (إحدى وأربعين) مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت وقد جرب ذلك وصح )<sup>٨</sup>، ومنها قبر القاضي أحمد بن محمد باعيسى، قال الشلي وهو يتحدث عن كيفية زيارة مقابر تريم :

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٣١٩ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٣٣٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٣٨ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢٦٩ ) .

<sup>٥</sup> المشرع ( ١٨٦/١ ) .

<sup>٦</sup> الطبقات ص ( ٢٠٨ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص ( ٢٠٩ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص ( ٣٧٨ ) .

كالقاضي أحمد بن محمد بن محمد باعيسى حكى عنه أنه قال : من زارني بنية صادقة وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال ﷺ <sup>١</sup>.

### المطلب الخامس : اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين :

من القضايا المسلمة عند القوم أن بعض من ينسبون إلى الصلاح تظل مقابرهم محترمة مبدلة يأمن فيها الملتجئ إليها سواء كان محقاً في التجائه أو مبطلاً ، وسواء كان طالبه والباحث عنه محقاً أو مبطلاً ، مادام الاثنان مؤمنين بقداصة تلك البقعة ، معتقدين لولاية صاحبها وكراماته التي فيها تأمين اللاجئين إليه ، ولكن عندما يأتي من لا يؤمن بقداصة ذلك المحل خصوصاً الطالبين ولا يعتقدون ما يعتقدوه عامة الأمة فيه فإنه لا يحصل شيء من ذلك ، فابن علوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثير قيل في تراجمهم أن تربتهم مأوى اللاجئين وأمان الخائفين من التجأ إليها آمن ومن تعدى عليها عوجل بالعقوبة ، ويحكون حكايات كثيرة فمنها وقائع وقعت لمن تعدى على حرمة تلك التراب حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده ، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر ، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا <sup>٢</sup>.

إذن فالأمر محقق عند القوم بينما نجد أن هناك اعتداءات ( بحسب تعبيرهم ) سافرة وقعت لا على الملتجئين إليهم بل عليهم أنفسهم فلم يدفعوا عن أنفسهم ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر ؟ .

السر والله أعلم عدة أمور :

**الأمر الأول :** الحالة النفسية لأولئك المتعلقين فهم عندهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبور ، وهذا يضعف المقاومة ويهيئ السبيل لوقوع تلك الأحوال التي يعدونها عقوبات لمنتهك حرمة ذلك المقام ، وهذا أمر شائع ومعروف ، فالمجتمع الذي يكثر

<sup>١</sup> المشرع ( ١٤٩/١ ) .

<sup>٢</sup> انظر : تاج الأعراس ( ٢٠٩/١ ) .



الحديث عن الجن ويسرد القصص الكثيرة يصيبه من أذى الجن ما لا يصيب المجتمع المعرض عن ذلك الذي لا يلتفت إليه ، وكذلك قل في العين والطيرة ونحو ذلك ، ولعل القرآن أشار إلى ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾<sup>١</sup> ، فحينما وجد الجن ذلك الضعف من الإنس نحوهم زادوا من أذيتهم .

والأمر الثاني : وجود خدم لبعض الأضرحة من الجن هم كما صرحوا هم بذلك وسيأتي بيان هذا في موضع آخر إن شاء الله .

والأمر الثالث : حيل السدنة ومكرهم ودهاؤهم الذي يجعلهم يفعلون أفعالاً بطرق خفية وملتوية يتوهم من لا يعرف حقيقة الحال أن تلك الأفعال صادرة عن الولي بينما هي من أفعال السدنة .

والأمر الرابع : وجود فئات من القبائل ترى أنها ملتزمة لذلك الولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائذين به من واجباتهم ، فهم يقومون بالانتقام ممن أخضر ذمة ذلك الولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائذين به ، فيقومون بذلك طبيعياً ثم يشاع أنه عقوبة من الولي ، بينما نجد أن الذين لا يفكرون في تلك العقوبات والتصرفات المنسوبة إلى الولي لا يضرهم شيء ، فالجيش النجدي الموحد المتوكل على الله حين هاجم حضرموت ضرب تلك القرب وأزال توابيتها وسواها كما أمر الرسول ﷺ فلم يحصل عليهم شيء ، ولم ينتقم منهم أولئك الأولياء بشيء بل عادوا إلى بلادهم سالمين وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشان الحروب فروكر ، ونصر وهزيمة والعاقبة للمتقين .

وكذلك ما فعله الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بقبري ابن علوان وابن العجيل وغيرهما لم يصبه من أثره شيء ، وأوضح من ذلك وأقرب ما فعله الشباب المحتسب بعد حرب الانفصال ( ربيع الأول ١٤١٥ هـ ) من تسوية القبور المعظمة في عدن ومنها قبر العيدروس لم ينتج عنه شيء عليهم ، وهذا كله دليل على بطلان تلك المزاعم وعلى صحة التفسير الذي تقدم ، والله أعلم .

<sup>١</sup> الجن (٦) .

ومن تلك القبور ، قبر عيسى بن إقبال الهتار، قال عنه الشرجي : ( ودفن بقرية التربة بضم التاء المثناة من فوق تصغير تربة ، قرية من قرى الوادي زبيد وقبره هنالك مشهور يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة ، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه ، ومن تعدى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركته )<sup>١</sup> ، ومنها قبر أبي الغيث بن جميل، قال الشرجي : ( ودفن بقريته بيت عطاء المشهورة ، وترتبه هنالك من التراب المشهورة المعظمة قل أن يوجد لها نظير في اليمن ، لا تكاد تنقطع من الزوار من كل ناحية ، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه من أهل الدولة والعرب وغيرهم )<sup>٢</sup> ، ومنها قبر أحمد بن عجيل ، قال الشرجي في ترجمته : ( ومن استجار به سلم من جميع المخاوف بل من وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه ، وليس للملوك وغيرهم على أهل قريته تصرف ولا ولاية كما في سائر القرى كل ذلك ببركته )<sup>٣</sup> ، ومنها قبر أحمد ابن علوان ، قال الشرجي في ترجمته : ( وقرية الشيخ المذكور محترمة ، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه )<sup>٤</sup> ، ومنها قبر سفيان بن عبد الله الأبيني ، قال الشرجي في ترجمته : ( وترتبه هنالك من التراب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك ، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه أبداً ، ومن تعدى شيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال ، وقد جرب ذلك غير مرة )<sup>٥</sup> ، ومن تلك القبور في عدن قبر محمد بن عبد الله الصريفي ، قال الشرجي في ترجمته : ( ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه ، ولأهل عدن فيه معتقد عظيم وله عندهم محل جسيم وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به )<sup>٦</sup> ، ومنها في حضرموت قبة عبد الله بن شيخ العيدروس ، قال الشلي في ترجمة سقاف العيدروس : ( ودفن بقبة جده عبد الله ابن شيخ ، وقبره مشهور عند الناس ، ومن استجار به أمن من كل بأس )<sup>٧</sup> ، ومنها

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٢٥١ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٤١٠ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٦٣ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٧١ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ١٤٩ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص ( ٢٨٣ ) .

<sup>٧</sup> المشرع ( ١٣٩/٢ - ١٤٠ ) .

كذلك قبر الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات ، قال الشلي في ترجمته : ( ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس لا يقدر أحد أن يناله ببؤس )<sup>١</sup> ، ومنها قبر علي بن حسن العطاس ، بالمشهد بحضرموت ، قال صاحب " تاج الأعراس " ضمن حكاية ساقها : ( قلت : وقول الحبيب هادون لجده الحبيب علي " وهز الرمح " لما اشتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بأبي حرية ، وسبب تلقيبه بذلك أنها تواترت الأخبار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجراة على مقام المشهد بعد وفاته أنهم يرونه في مناماتهم يطعنهم بحريته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بإذن الله القائل : " من أذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب " ، لا سيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشهد أي ربيع الأول ؛ لأن الحبيب علي قد جعله عُرْضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة ... الخ )<sup>٢</sup> ، فهذه عدد من الأمثلة على ذلك الاعتقاد من مواطن مختلفة من اليمن .

#### المطلب السادس : اعتقادهم بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة :

للناس عند زياراتهم لبعض القبور حاجات كثيرة يستغيثون بها من أجل الحصول على الولد والاستسقاء والاستشفاء ؛ وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية :

##### الحصول على الولد :

سبق في فروع الاعتقاد بتصرف الأولياء في الكون أن من الناس من يعتقد بأن فلاناً يعطي الولد ، وذكرنا هناك أمثلة لذلك وبعض القبور التي يعتقد ذلك في أصحابها ، ومن تلك القبور قبر الشيخ القرشي في مقبرة الفريط بتريم حتى أنهم يسمونه صاحب الذرية ، وليس الأمر مجرد دعاء عند قبره ذلك ولكن فقط وضع " حصاة " عند القبر<sup>٣</sup> .

##### الاستسقاء :

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٢٩/٢ ) .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ١/٢٠٨-٢٠٩ ) .

<sup>٣</sup> انظر : ص ( ٢٣٩-٢٤١ ) .

كذلك مرّ في فروع عقيدة التصرف في الكون أنهم يعتقدون في بعض الأولياء ، أنهم ينزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك .

ومن القبور التي ذكرناها هناك قبر الشيخ جنيد باوزير صاحب النقعة ، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطاس وقوله لأهل حريضة : يا نجيكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله <sup>١</sup> ، كما ذكرت قصة باسليمان واعتماده على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في إنزال الغيث <sup>٢</sup> ، وذكر الجندي في ترجمة الشيخ أبي بكر بن أكدر قال : ( أخبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومتى عطش أهل حضرموت واشتد بهم الجهد وصلوا قبرهما واستسقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا ) <sup>٣</sup> .

الاستشفاء :

سبق أيضاً في فروع عقيدة التصرف بعض الأمثلة في الاستشفاء ، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره صاحب تذكير الناس : ( قال سيدي : ولما خرج الحبيب أحمد بن محمد المحضار من دوعن ، لزيارة تريم وعينات ، و وادي ابن راشد ، بات ليلة بذي أصبح عند السادة آل البحر ، فاشتدت الحمى بابنه محمد ، حتى غاب عن إحساسه ، فأشفق عليه والده منها ، فخرج ليلاً إلى ضريح الحبيب حسن ابن صالح ، وكان شيخ فتحه ، ووقف تجاهه ، وقال : و عزة المعبود ، إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر ، عند بن علي جابر ، فلما كان آخر الليل ، عرق ابنه محمد و خرجت منه الحمى ، وطلب الأكل ، وأصبح كأنما نشط من عقال ، وسرحوا من يومهم ) <sup>٤</sup> .

ومنها ما قاله عبد القادر العيدروس : (... وذلك أن بعض الأصحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت : هلا أهديت لي من تراب قبر سيدي الشيخ سعد بن علي ؑ ؟ فإن ذلك عندي من أشرف الهدايا ، وأفخر أنواع الطيب ، ثم أنشدت في هذا المعنى :

<sup>١</sup> انظر : ص ( ٢٤٣ ) .

<sup>٢</sup> انظر : ص ( ٢٤٤ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٤٦٢/١ ) .

<sup>٤</sup> في الأصل ( كما غما ) .

<sup>٥</sup> تذكير الناس ص ( ٢٢٠ ) .

سألت العرفاء عن طب دائي      فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس  
على الخبير سقطت فاغنم داؤك      وريسي إنه درياق أنفَسُ  
داوني يا سعد وأدرك قبل تَلَا في      وحقك أنني لك عبد أكيسُ

فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشريف في قارورة زجاج ولله الحمد...<sup>١</sup>

وقد جاء في ترجمة عمر المحضار: ( مات ﷺ وهو ساجد في صلاة الظهر، يوم الاثنين ثاني عشرة في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب يعرف استجابة الدعاء وكذلك مسجده )<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> النور السافر ص ( ٤٢٧ ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٩٥ ) ، والغرر ص ( ١٩٨ ) .

## البحث الثاني

### ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها

وفيه خمسة مطالب:

#### المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:

أقصد بهذا المطلب إعطاء صورة تقريبية للحالة التي وصل إليها القوم من نشر لمظاهر القبورية على الرغم من النهي الصحيح الصريح عن البناء على القبور واتخاذها مساجد وإسراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتها... الخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

ومع ذلك النهي وتقريره في كتب علماء الإسلام ومنهم علماء الشافعية والهادوية الذين صرحوا إما بالتحريم أو بالكراهة، بل إن ابن حجر المكي -وهو عمدة علماء اليمن الشافعية في الفقه- عدّ ذلك كله من كبائر الذنوب، ولو أنني فصلت في هذا المطلب وتتبع جميع القبور المعظمة لطال جداً بل لاستغرق مجلداً كاملاً، ولكن الأمر لا يحتاج إلى حشد الكثير من الأدلة لظهور ذلك للعيان واستطاعة كل إنسان أن يرى تلك المشاهد والقباب والقبور المخصصة والشواهد الكبيرة ذات الكتابات الواضحة الحاملة لمناقب ومزايا أصحابها في كل مكان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصيب من ذلك يقل أو يكثر وكلمة كانت المدينة أعرق في التصوف والتشيع كان حظها أكبر كزييد وعدن وتريم والشحر وصعدة وغيرها من المدن والقرى على امتداد الساحة اليمنية.

وحتى يسهل الوقوف على ذلك سوف أستعرض ذلك محافظةً محافظةً وليس من شرطي الاستقصاء والإحاطة وإنما إعطاء فكرة فقط كيفما تيسر.

#### محافظتي الحديدة وزبيد:

وأبدأ من حيث بدأت القبورية وانتشرت وفاقت غيرها وسبقت سواها سبباً زمنياً وسبقاً من حيث الكثرة والكثافة من "تهامة"، وسأذكر الأسماء فقط دون أي اعتبار للترتيب لا من حيث الزمن ولا من حيث المكان ولا حتى من حيث ترتيب الأسماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل / بيت الفقيه )
- (أحمد بن محمد الرديني / قرية عازب الحلّى )
- (إسماعيل بن محمد الحضرمي / الضحى )
- (بكر بن محمد بن حسن بن مرزوق / زبيد )
- (سليمان بن أبي القاسم الهاجري / المهجم )
- (طلحة بن عيسى الهتار / التريبة )
- (علي بن محمد المعروف بابن الغريب / قرية السلامة )
- (علي بن الحسين بن رطاس / زبيد )
- (محمد بن أبي بكر الحكمي / عواجة )
- (محمد بن عمر بن حُشِير / بيت الفقيه )
- (أحمد بن أبي بكر بن يحيى المساوى / حرّض )
- (عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال / القرتب )
- (أحمد بن عبد الله بن أحمد الصريدح / المدائله )
- (عثمان بن هاشم الحجري / بيت حسين )
- (أبو القاسم بن عثمان بن أبي القاسم / القرتب )
- (علي بن عبد الملك بن أفلح / زبيد )
- (علي بن أبي بكر بن شداد / زبيد )
- (عيسى بن حجاج العامري / بيت حسين )
- (محمد بن عبد الله الحقيص / زبيد )
- (محمد بن عمر بن محمد بن شوعان / زبيد )
- (محمد بن أبي بكر بن شبيح / العامرية )
- (مفتاح بن عبد الله الأسدي / بيت مفتاح )
- (يوسف بن علي الأشكل / وادي سررد )
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري / زبيد )
- (أبو بكر محمد بن حسان المضري / التحيتا )
- (أبو القاسم بن محمد السهامي / زبيد )
- (رجل يقال له ابن سيرين / زبيد )
- (إبراهيم بن علي الفضلي / زبيد )
- (أحمد بن عمر الزيلعي / اللحية )
- (أحمد بن أبي بكر الرداد / زبيد )
- (إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي / زبيد )
- (سعد بن محمد العرضي / بيت حسين )
- (علي بن عبد الله الطواشي / حلّى )
- (علي بن المرتضى الحضرمي / زبيد )
- (عمر بن محمد بن رشيد / زبيد )
- (محمد بن حسين البجلي / عواجة )
- (محمد بن يعقوب أبو حرية / وادي مدرر )
- (علي بن أبي بكر الأجهف / الحرجة )
- (مسعود بن عبد الله الحبشي / رمع )
- (أحمد بن أبي الخير الشماحي / زبيد )
- (محمد بن عمر النهاري / سهام )
- (علي بن قاسم العليف الحكمي / زبيد )
- (علي بن نوح بن علي الأبوي / زبيد )
- (عيسى بن إقبال الهتار / التريبة )
- (عيسى بن مطير الحكمي / بيت حسين )
- (محمد بن إبراهيم بن دحمان / زبيد )
- (محمد بن أبي بكر الزوقري / زبيد )
- (محمد بن أحمد الزجاجي / زبيد )
- (مهدي بن محمد المنسكي / المهجم )
- (محمد بن أبي بكر الأشكل / وادي سررد )
- (يوسف بن عمر المعتب / حد القحرية )
- (أحمد الجندح / المثينة )
- (عبلة ورزم / زبيد )
- (الشيخ البكاء / زبيد )

- (أبويكر السلاسل / القرتب) - (الملبك / زبيد)
- (محمد بن يوسف الضجاعي / وادي رمح) - (الصديق بريش / زبيد)
- (محمد بن عبد الله المؤذن / قرية الغصن من وادي مور) - (محمد بن مهنا القرشي / وادي مور)
- (محمد بن إسماعيل المكش / قرية الأنفة وادي سهام) - (محمد بن مهنا الشريف / قرية البرزة)
- (محمد بن أبي مليكه / وادي سرود) - (مرزوق بن حسن الصريفي / زبيد)
- (أبويكر بن محمد بن علي الجندح / حيس) - (أبويكر بن محمد الحداد / زبيد)
- (الفيروز آبادي صاحب القاموس / زبيد) - (أبو الغيث بن جميل / بيت عطاء)
- (قراء ياسين العشرة / زبيد) - (الشيخ يونس / زبيد)
- (الحجب / التريبة) - (عمر بن أبي القاسم الخزان / القطيع)
- (الشيخ صديق / الحديدة) - (علي بن عمر الأهمل / المراوعة)
- (الساكت / القطيع) - (المقدم / القطيع)
- (حباك الماء / التريبة) - (أحمر العين / المنيرة)
- (الشيخ أدهل / الزيدية) - (حامي الحمى / القناوس)
- (سود بن الكميث / الفاشق) - (طاهر أبو الغيث / حرص)

#### محافظة تعز:

- (أبو العباس أحمد بن محمد الصبعي / سهفنه) - (محمد بن عبد الله بن الخطيب / موزع)
- (عبد الملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي / الجوه) - (السروي / منطقة جبا)
- (أحمد بن محمد الشكيل / المخلاف) - (أحمد بن محمد الجماعي / سهفنه)
- (عبد الرحمن بن عقيل بن محمد صاحب المخا / المخا)
- (الواسطي / الجند) - (محمد بن ظفر الشميري / الجند)
- (أبو السرور بن إبراهيم / الدملوة) - (الشيخ سلمان / حبل سلمان تعز)
- (عفيف الدين سليمان بن عمر / تعز) - (أحمد بن علوان / يفرس)
- (زيد بن عبد الله اليفاعي / الجند) - (علي بن أحمد الرميمة / صبر تعز)



- (علي بن عمر الشاذلي / المخا )
- (عمر بن عبد الرحمن / صاحب الحراء)
- (أحمد بن محمد الضبعي / سهفه )
- (محمد بن عبد الله الخطيب / موزع )
- (أبو بكر محمد بن ناصر الحميري / الذنبتين قرب الجند )
- (عبد الله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري / الجند )
- (عبد الله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري / الجند )
- (علي بن يوسف صاحب المجرية / جبل شمير ) .

#### محافظة إب :

- (الحسين بن محمد بن الحسين السحولي / السحول )
- (عمر بن عبد الرحمن بن حسان / الذهب)
- (أبو موسى عمران الصوي / جبلة )
- (يحيى بن أبي الخير العمراني / ذي السفال )
- (علي بن أبي بكر التباعي / المخادر )
- (عمر بن سعيد الهمداني / ذي عقب )

#### محافظة لحج والضالع :

- (عبد الله بن علي بن حسن بن الشيخ / الوهط لحج )
- (سفيان بن عبد الله / سفيان لحج )
- (عبد الله بن حسن الجوهرري / المحلة لحج )
- (عمر بن علي / الوهط )
- (حسن البحر / الحمراء لحج )
- (طهرور / قرية طهرور )
- (بهية بنت موسى / عديد لحج )
- (موسى بن حسين / الجفاية لحج )
- (مزاحم / لحج )
- (سعيد بن عيسى / مقبيرة لحج )
- (علي بن زين / الشرح )
- (عبد الله بن حسن الجوهرري / المحلة )

#### محافظات عدن وأبين وشبوة :

- (ريحان بن عبد الله العدني / عدن )
- (علي بن حسن الأصايب / المحفد أبين )
- (عبد الله بن محمد بن عبد ويه / كمران )
- (أحمد بن علي الحرازي / عدن )
- (أحمد بن محمد بامعبد / رضوم شبوة )
- (محمد بامعبد / عين بامعبد / شبوة )

- ( جوهري بن عبد الله الصوفي / عدن )
- ( علي بن أحمد بن قي دار القريضي / عدن )
- ( أبو بكر بن عبد الله العيدروس / عدن )
- ( أبان بن عثمان بن عفان / عدن )<sup>١</sup>
- ( العثماني / الشيخ عثمان عدن )
- ( الهاشمي / الشيخ عثمان عدن )

#### محافظة حضرموت :

هي أكبر المحافظات تلوًا بالقبورية بعد تهامة ، بل ربما زادت على تهامة خصوصاً هذه الأيام فإن حركة إحياء القبورية فيها قائمة على قدم وساق في شتى مناحيها من حيث إشادة وترميم المشاهد وإحياء الزيارات والشعائر القبورية ، ونشر كتب الخرافة والدجل، وتأليف الرسائل لتأصيل تلك الخرافات أو الرد على المعارضين عليها .

- ( عبد الرحمن بن محمد يعرف بسقاف العيدروس " / تريم )
- ( أبو بكر أكر / تريم )
- ( عبد الله بن عبد الرحمن الشهير بالنحوي / روجه )
- ( عبد الله بن أبي بكر العيدروس / تريم )
- ( عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس / تريم )
- ( عبد الرحمن السقاف / تريم )
- ( أبو بكر بن سالم صاحب عينات / عينات )<sup>٢</sup>
- ( محمد بن علي الفقيه المقدم / تريم )
- ( أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس / تريم )
- ( أحمد بن محمد الشهير بالحبشي / الحبيسة )
- ( أحمد بن الأستاذ الأعظم / العجز )
- ( حسين بن عبد الله العيدروس / تريم )
- ( محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل / تريم )
- ( سالم بن بصري / تريم )
- ( أحمد بن عبد الرحمن المشهور بـ (شهاب الدين/ تريم )
- ( محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ / تريم )
- ( عبد الله باعلوي / تريم )
- ( حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة / تريم )
- ( علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم / تريم )
- ( عبد الله بن الأستاذ الفقيه / تريم )
- ( علي بن محمد صاحب مرياط / تريم )
- ( محمد بن عبد الله باعلوي / تريم )
- ( علي بن علي خالع قسم / تريم )
- ( علي بن أبي بكر السكران / تريم )
- ( الشيخ عمر المحضار / تريم )
- ( حسن الورع / تريم )

<sup>١</sup> قال باخرمه في تاريخ ثغر عدن : ( وأظنه أبان بن عثمان بن عفان ) ص (٣٣) طبع دار الجليل بيروت - ودار عمار الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

<sup>٢</sup> هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة أشهرها سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت .

- २८२

وهناك مناطق لم تذكر وقبور كثيرة تركتها كذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر .

### المطلب الثاني : القبور المنسوبة إلى الأنبياء والقبور المجهولة :

لم يكتف القبورية بتعظيم قبور الأولياء والصالحين أو من يدعون أنهم كذلك ممن عُرِف شخصه وتحقق موقع قبره ، بل جمع بهم الخيال ، وأعطوا لأنفسهم أعتنتها لا اختراع قبور ما أنزل الله بها من سلطان ، مستحلين في ذلك الكذب ، أو مستسلمين للدجل ، أو مصدقين الرؤى التي لا تثبت بها حجة ولا توجب عملاً ، ويا ليتهم اكتفوا بأحد الناس لكان الأمر مع قبحه أخف وأهون ، ولكنهم ذهبوا يكذبون على أنبياء الله كهود وصالح وشعيب وغيرهم ، أو يثبتون أنبياء ما جاء بنبوتهم دليل لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب أو مفسر معتمد ، بل بموجب رؤى أو كشوف صوفية كاذبة أصبحت حقائق عند القوم ، وعلى إثر ذلك أقيمت الأبنية والمشاهد وعملت التوابيت وشرعت الزيارات إليها وغرس لها في قلوب العامة الاعتقادات التي لا تجوز إلا في الله تعالى ، وما هي الحكمة من ذلك ولصلحة من تلك الخزعات ١٩ .

لا يجد الباحث المنتصف جواباً شافياً كافياً إلا أن يقول إن وراء ذلك مصالح وجاهات وسلطة على عوام المسلمين ، هذا ما يمكن فهمه من هذه المظاهر ولا أريد أن أجزم وأعمم ولكن هذا هو أقوى الاحتمالات .

القبر الأول : قبر رسول الله هود عليه السلام :

ومن أشهر تلك القبور في اليمن على الإطلاق القبر المنسوب إلى رسول الله هود عليه السلام شرقي حضرموت ، وهو أشهرها وأكثرها زواراً وأكثرها كذلك فضائل وكرامات مزعومة ، بل إنه من أعجب وأغرب القبور المعظمة في العالم ، حيث لزيارته مناسك مكانية مرتبة ، ومناسك زمانية محددة ، وحوله من المآثر المزعومة ما لا يوجد عند أي قبر من القبور إلا أن يكون قبور أئمة الشيعة في العراق وإيران ، فهناك نهر من أنهار الجنة ، ويثر معطلة تضم أرواح الأنبياء والأولياء ، وناقة هود المتحجرة التي هي عبارة عن صخرة ضخمة جداً ومعظمة جداً عند القوم ، حتى لقد مهدوا ما حولها

ووسعوه وجعلوه موضع صلاتهم وموقع تعبدهم الجماعي عندما يقيمون صلاتهم وسماعهم وموالدهم ومواعظهم ، و تحتها في الطريق إليها صخرة صغيرة مقعرة قالوا : إنها موطن قدم هود عليه السلام ، كما أن في مكة حول الكعبة مقام إبراهيم الذي فيه موطن قدميه .

أما المناسك الزمانية والعملية فهي تجمع عند مشاهد أبي بكر بن سالم وبنيه عند نية التوجه إلى شعب هود ، ثم المرور بـ " المحذفة " أي المرجم الذي يرمجه جموع من الزوار ، ثم المرور بـ قبور الكافرة الذي يُسَبَّ ويُشْتَم ويُثَمَل عليه ، ثم الوصول إلى الشعب والاعتسال في نهر هود الذي هو في زعمهم " من أنهار الجنة " ، ثم الصلاة عند " حصاة " عمر المحضار أي الموقع الذي كان يتعبد ويصلي فيه ذلك الصوفي الكبير المقدس هندهم " عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف " نقيب السادة في وقته ، ثم الوقوف على البئر المعطلة والسلام على الأرواح التي فيها وحي أرواح الأنبياء والأولياء ، ثم الوقوف على القبر المزعوم ، ثم النزول إلى تحت الصخرة المقدسة " الناقة المتحجرة " - كما يزعمون - ، وعند العودة إلى تريم يختمون بالطواف سبعة أشواط حول مقابر تريم الثلاث المسماة بشار .

#### المناسك الزمانية :

- ١) جمادى الآخرة وشهر رجب شهرا التحريض على الزيارة .
- ٢) ليلة السابع والعشرين من رجب تقرأ قصة الإسراء والمعراج ثم تكون التهويد<sup>١</sup> .
- ٣) ليلة آخر ربوع من رجب ليلة الإشهار الرسمي للزيارة وهي ليلة سعد لديهم .
- ٤) الأيام المحددة للزيارة هي الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من شهر شعبان ، ويوم العاشر يوم عيد الزوار فينحرون ويذبحون الأغنام ، ويتلذذون بأنواع الطعام .
- ٥) الوقفة : تكون يوم الحادي عشر وهي مأخوذة من وقفة عرفة ، فمن حضرها فقد أدرك الزيارة ومن فاتته فاتته الزيارة كما هو الحال في وقوف يوم عرفة للحجاج .
- ٦) دخلة القبائل آخر الزيارات ويعدها ينصرف أكثر الناس .

<sup>١</sup> وهي تسجيحات تحت على زيارة قبر هود ، وعند آخر تسجيعة تغني لفظة الجلالة ، ثم يقول الجميع بأصوات مرتفعة : هود ياهود ، يا غافل أذكر الله وقل لا إله إلا الله ، موجود في الكون الله الله ، ياهود ياني الله ، ياللي كلمه الغزال وحنث عليه الجمال ، رسول الله مولى بلال شفيق الخلق عند الله ، ياهود ياهود ياني الله .

( ٧ ) النفرة الأولى عصر يوم الحادي عشر من شعبان .

( ٨ ) النفرة الأخيرة يوم الثاني عشر من شعبان .

( ٩ ) الحلق والتقشير ، عندما يقبل الزوار على بلدانهم فينزلون خارج البلد ثم يحلقون أو يقصرون ويتطيبون وربما ذبحوا الأغنام ، ( هذا ما ذكره بعض المؤرخين ولعله لم يعد قائماً الآن بسبب توفر المواصلات السريعة ) .

( ١٠ ) عصر يوم الثالث عشر تبدأ الدخلات بالألعاب الشعبية والخابه<sup>١</sup> ، وترديد هذه العبارة ( زرنا وقد رجعنا عسى القبول ) .

( ١١ ) تختتم المناسك بالشعبانية عصر يوم الرابع عشر (ليلة الخامس عشر من شعبان ، حيث يقرأون دعاء ليلة النصف من شعبان ، وقد يحصل احتكاك بين الحويف<sup>٢</sup> المتنازعة ، وفي تلك العصرية يكون الطواف بمقابر تريم )<sup>٣</sup> .

هذا بعض ما يمكن قوله عن هذه الزيارة فالقبر غير محقق ، ولئن سلمنا احتمال وجوده في حضرموت عموماً باعتبار قربها من مواطن قوم هود فإننا ننفي بقوة أي دليل على وجوده في تلك البقعة بالذات كما سبق إلى نفيها عدد من المؤرخين من قبل ، فأصبحت بذلك تلك الزيارة ظلمات بعضها فوق بعض .

القبر الثاني : قبر نبي الله صالح عليه السلام :

قال صالح بن علي الحامد : (وللنبي صالح عندنا بحضرموت قبر معروف مشهور يقصده الزوار. وهو واقع في شعب (عَسْتَب) من وادي (سَر)، وقد زرته أنا مع شيخنا العلامة محمد بن هادي السقاف مرتين ، وزاره الكثير من العلماء والصلحاء في هذا القرن والقرن الذي قبله ، و من أشدهم

(١) نوع من الألعاب الشعبية .

(٢) جمع حافة أي الحارة أو الحي .

(٣) كل ما تقدم ملخص من كتاب الكشف المبين عن حقيقة القبورين زيارة هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات للباحث

عناية به السيد العارف بالله عمر بن سقاف الصافي العلوي ، فقد زاره مرات ، وله في هذا الشعب أشعار منها قصيدته التي يقول فيها :

( في رُبَى عَسْنَبَ محط الأمانى ❖ مهبط الوحي والبها والجلالة )

وقبره مستطيل جداً كقبر هود عليه السلام تقريباً أو أطول على سفح جبل ، وعليه حائط ، وحوله خدور ومنازل مبنية من الحجر مطلية بالكلس زاهية منيرة يشعر الزائر حوله بالأنس والروحة وحوله بئر يستقي منها الزوار والسكان القريبون من هذا الموضع )<sup>١</sup> .

وقد نقل بعض النقول المتناقضة قبل ذلك ، وكلمة للشيخ عبد الوهاب النجار قال فيها : (ويقول أهل حضرموت : إنهم ذهبوا إلى حضرموت ، وأقاموا بها لأن أصلهم من تلك الناحية أو هي فصيلة من أهل الأحقاف . وهناك قبر يزعمون أنه قبر صالح ، وقال آخرون : إنهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم ، وآخرون : إنهم ذهبوا إلى مكة وأقاموا بها إلى أن ماتوا . وقبورهم غربي الكعبة ، وأقرب الأقوال عندي إلى التصديق أنهم ذهبوا إلى الرملة ونواحي فلسطين لأنها أقرب بلاد الخصب إليهم ، والعربي إنما يطلب الكلأ لمرعى ماشيته والأرض ذات الماء )<sup>٢</sup> .

ثم قال الحامد بعد أن ذكر قبر حنظلة بن صفوان والبئر المعطلة والقصر المشيد ، قال : (وبعد فإني وإن كنت لست على يقين تام بكون صالح وحنظلة عليهما السلام قبرا بحضرموت كما كنت على يقين في قبر هود عليه السلام ، فإن هذه الدلائل والروايات تورث غلبة الظن بذلك )<sup>٣</sup> .

و واضح من هذه النقول أنه ليس فيها شيء يعتمد عليه حتى في كونه في حضرموت ، ولئن تنزلنا وأخذنا بذلك واعتمدناه فمن أين لنا أنه في ذلك الموضع ؟

وفيما ذكر المؤرخ الحامد ، ما يشير إلى ابتداء الاعتناء بهذا القبر وذلك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، مع إفادته بالاعتناء التام من قبل السيد عمر ابن سقاف الصافي

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص (٧١-٧٢) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٧١ - ٧٢) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٧٩) .

وإشادته بذلك الموضع في قصائده وهو متوفى سنة (١٢١٦هـ)<sup>١</sup>، إن في ذلك إشارة واضحة أن ذلك الرجل ربما كان هو المظهر لهذا القبر، ومنذ ذلك الحين عرف وبدأ الناس يزورونه، وهذه من مخاريق الصوفية التي يقصدون بها تأسيس أثر يذكرون به ويكون جاهاً لهم ولذرياتهم، ولكل امرئ ما نوى.

القبر الثالث: قبر نبي الله شعيب عليه السلام:

بجبل حضور غرب صنعاء بحوالي ثلاثين كيلومتراً، وعندما يطلق اسم النبي شعيب، فأول ما ينصرف الذهن إلى نبي الله ورسوله شعيب المبعوث إلى مدين إذ لا ذكر في القرآن والحديث الصحيح إلا له، ولكن المقصود هنا ليس هذا النبي وإنما هو نبي آخر اسمه شعيب بن مهدم بن ذي مهدم، قال الهمداني في "الإكليل": (فاولد مهدم بن ذي مهدم: شعيب النبي عليه السلام بن مهدم بن ذي مهدم، ومسجده اليوم في رأس جبل حدة حضور بن عدي، وجبل حضور يعرف بهذا الاسم وهو جبل عظيم البركة لا يزال متعصباً بالغمام، ولم ينزل الثلج على جبل باليمن إلا عليه وعند المسجد معين ماء، ولا يزال الناس يزورونه ويصلون فيه)<sup>٢</sup>. ثم أورد الهمداني ما يذكر من قصته وتكذيب قومه له وتسليط الله بختنصر عليهم، ثم قال: (هذا خبر العامة في شعيب عليه السلام وحضور).

والصحيح ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول: نزلت هذه الآية<sup>٣</sup> في أهل حضور وعربايا فبعث الله إليهم شعيباً بن مهدم بن ذي مهدم فكذبوه وقتلوه.

قال الهمداني: (وقيل إن هذه الأمة كانت ما بين الإمامة والبحرين ويبرين)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> انظر ترجمته في التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي ص (٥٨-٦٢)، تأليف علوي بن عبد الله بن حسين محسن السقاف، المطبوع (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).

<sup>٢</sup> الإكليل لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكواع (٢٨٥/٢)، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).

<sup>٣</sup> هي قوله تعالى (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين). الأنبياء الآيات (١١-١٢-١٣-١٤-١٥). والأثر غير صحيح عن ابن عباس؛ لأنه عن = طريق الكلبي عن ابن عباس، وهي طريق واهية، وهناك آثار أخرى لا يصلح شيء منها لتقوية هذا الأثر، وانظرها في الدر المنثور للسيوطي، (٦١٨/٥-٦١٩). طبعة دار الفكر.



وقد ذكر الرازي في تاريخ صنعاء رواية أخرى في تفسير تلك الآيات عن رجل مبهم ومن غير أن يسمى النبي<sup>١</sup>، وعلى كل حال فلا يثبت شيء من ذلك، وإثبات نبي باسم معين إلى قوم معينين لا يمكن إثباته بمثل هذه الآثار.

القبر الرابع: قبر حنظلة بن صفوان :

قال الحامد : ( وهنا قبر بحضرموت منسوب لحنظلة ، وهو واقع بسفح الجبل الذي غرب بورعلي فوهة وادي مدرمو من العجيب أن إلى جانبه قبراً آخر في مثل طول هذا الضريح المفرط ، وأهل تلك الناحية ينسبون القبرين إلى حنظل وحنظلة ، فيضيفون إلى اسم حنظلة حنظلاً ، ولعل العوام رأوا أن اسم حنظلة الملحق بقاء التأنيث لا يليق إلا بامرأة فجعلوها زوجه ، واللائق في نظرهم أن يسمى هو حنظلاً لا حنظلة ، وقد زرت أنا هذا الضريح أو الضريحين مرتين ، وهما مكشوفان ليس عليهما حائط ولا سقف ، وهذا يدل على نقص اعتناء القدماء بهذين القبرين )<sup>٢</sup>.

ثم ذكر كعاداته بعض أقوال الإخباريين ومنها حكاية عن كتاب " مبتدأ الخلق " للكسائي عن كعب الأحبار ، وهي واضحة الصنعة ، ولا يشرف أهل حضرموت أن يكون أسلافهم بتلك الصورة القبيحة صورة انتزاع الغيرة من رجالهم بحيث كانوا - كما قيل - يتهادون النساء فيما بينهم ، وأنهم انصرفوا إلى الصبيان فانصرف النساء على إثر ذلك إلى السحاق . فهذا كله يدل على بطلان القصة من أصلها ، ثم لو فرض مع التنزل التام أن شيئاً من ذلك صحيح ، فمن أين له أو لغيره إثبات أن ذلك النبي دفن في ذلك الموضع ؟! كلام لا يمكن إثباته أبداً .

وفي المقابل هناك روايات أخرى يتمسك بها قوم آخرون ، فقد أبرز الرازي في تاريخ صنعاء هذا العنوان: ( ذكر الرواية أن في مسجد صنعاء قبر نبي يسمى حنظلة وأن صنعاء طريق من طرق الغيث

<sup>١</sup> المصدر السابق (٢٨٧/٢) .

<sup>٢</sup> تاريخ مدينة صنعاء للرازي ، ص (١٨٧-١٨٨) .

<sup>٣</sup> تاريخ حضرموت ص (٧٣-٧٤) .

(<sup>١</sup>)، وتحت هذا العنوان روي عن مطرف بن أيوب أنه يقول : ( في مسجد صنعاء قبر نبي ) ، ثم قال في آخر المبحث : ( وسمعت العامة بصنعاء يقولون هذا النبي المقبور في مسجد صنعاء حنظلة ) (<sup>٢</sup>) .

فالرواية بذلك غير صحيحة ولا معتمدة ، وعلى فرض صحتها فإنها مبهمة لاسم النبي ، والعامة تقول إنه ( حنظلة ) فيعتمد ذلك المؤرخ الرازي ويثبته ، فالأمر كله أمر عامة وأشباه عامة ، أو من له مصلحة من وراء إغراء العامة .

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه رواية أخرى أن حنظلة هو نبي أهل حضور<sup>٣</sup> ، وحضور قريبة من صنعاء ، ولكن الرواية كذلك من روايات الإخباريين .

والصحيح أن حنظلة لا يصح أنه نبي من الأنبياء أصلاً ولكنها روايات تولد بعضها من بعض ، وقد سبق في القبر الثالث أن نبي أهل حضور اسمه شعيب ، وفي الشامل في تاريخ حضرموت لعلوي بن طاهر الحداد عند كلامه عن بلد قيل بدوعن قال : ( وفي موضع هناك قبراً حنظل وحنظلة يزعمون أنهما نبيان والواجب هو الإيمان برسول الله إجمالاً ، وإثبات ما ليس بثابت شرعاً خطر كإنكار الثابت ، والورع سبيل المتقين ) (<sup>١</sup>) .

القبر الخامس : قبر هادون بن هود :

يقع هذا القبر بقريّة هدون بوادي دوعن بحضرموت ، والغريب هنا أن قبورية حضرموت اخترعوا الرجل وكذبوا على الله فجعلوه نبياً من أنبيائه ، ثم حددوا مكانه في قصة لم أدر كيف بلغت بهم الوقاحة أن يرووها ، ويعتمدها ، ويبنوا عليها أحكاماً ، ويؤسسوا عليها مشهداً عظيماً ، وقيموا لذلك المشهد زيارة سنوية ، وينسبون إليه كرامات وخصائص .

والقصة الهزيلة ذكرها أحمد بن حسن العطاس ونقلها جامع كلامه في "تذكير الناس" ، قال : ( وصافحت نبي الله هادون عليه السلام مناماً في هذا الشباك الذي عليه ، وبلغنا أنه نبي مرسل إلى أهل

<sup>١</sup> تاريخ صنعاء للرازي ص (٢٤٩) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٢٥٠) .

<sup>٣</sup> البداية والنهاية (٢٢٧/١) ، وقد ذكر الرازي أن أهل حضور قتلوا نبهم وأنه لم يذكر اسم ذلك النبي . انظر تاريخ مدينة صنعاء، ص (١٨٧) .

عكرمة<sup>١</sup>، وبلغني أن الشيخ علي باراس - توفي سنة (١٠٩٤هـ) - قال : لما مرض نبي الله هادون ، خرجنا به إلى هدون ، أنا والخضر والياس ، ورابع معنا ، ولما وصلنا الخريبة ، جلسنا تحت حصاة قريباً من خرابة ، والحصاة معروفة الآن قريباً من دار باصمد ، وفي الخرابة امرأة ، جاءت لنا بماء ، فدعا نبي الله هادون بأن يبارك الله في تلك الخريبة ، فيرون أن بركة الخريبة من تلك الدعوة ، ثم لما مات حملوه فدفنوه بمكانه المشهور بهدون ، وأوصى الشيخ علي باراس بأن يدفنوه في محله المعروف ، وقال لهم: تجدون عصا خضراء في محل القبر ، أنا دفنتها في ذلك الوقت ، لما جئنا بنبي الله هادون إلى دوعن ، ولما مات حضروا قبره في ذلك المحل ، فوجدوا تلك العصا ، هكذا بلغنا والله أعلم<sup>٢</sup> .

ولما كانت هذه القصة عجيبة وغير معقولة لجأوا إلى تأييدها بأخرى لا تقل عنها غرابة ولكنها ما دام أنها قد صدرت عن القطب فإن كلامه حجة ودليل لا يجوز رده ، قال جامع كلامه بعد ذكر تلك الحكاية : (فقل لسيدي رضي الله عنه : إن هذه من الغرائب؛ لأن ظهور الأرواح قبل خروجها إلى الأجسام غير معهود ، بخلاف بعد خروجها من الأجساد ؛ فقال سيدي : لا ، ليست من الغرائب، وقد وقعت مرة واقعة كبيرة في حريضة ، فلما كان الليل ، أتى إليّ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وولده الحبيب حسين ، والحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس ، ورابع معهم صغير ، فتشاورنا الخمسة في تلك الواقعة ، ثم سألتهم عن الصبي من يكون ؟ فقالوا : إن فلاناً يعنون أحد السادة الموجودين ، جده الرابع أي وثلاثة من أجداده لم يظهروا بعد إلى عالم الأجساد ، وعلامة الأرواح التي لم تخرج من الأجساد ، أنها لا ظل لها ، والأرواح جميعها في الصور كل روح في ثقب ، وإذا نزلت الروح إلى عالم الأجساد ، فلا ترجع إلى ثقبها الأولى بل ترجع إلى أخرى )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> الشامل في تاريخ حضرموت ص (١٩٢).

<sup>٢</sup> وهي بلدة قديمة مندثرة في ريدة الدين بحضرموت .

<sup>٣</sup> تطلق الحصاة عند أهل حضرموت كما تطلق على الحصاة الصغيرة .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص (٢٢٧-٢٢٨) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص (٢٢٨) .

وبناءً على تلك الخزعات شهر هدون ، وأقيم عليه مبنى تعلوه قبتان ، وجعلوا القبر طويلاً طويلاً مفرطاً لا يقل عن أربعين ذراعاً ويجواره مسجد ، وتقام له زيارة سنوية ، وصارت حوله مقبرة كبيرة<sup>١</sup>.

القبر السادس : قبر دانيال بن هادون بن هود :

يقع هذا القبر في منطقة ميفعة ، محافظة شبوة ، وهذا القبر المخترع هو من القبور المزعومة المكذوبة التي ظهرت بالكشف الصوي ، فقد ذكر المحضار في ترجمة الفقيه علي بن محمد الحباني أن من كراماته أنه أول من أظهر قبر نبي الله ( دانيال بن هادون بن هود عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم بأسفل وادي " هدى " وكان يكثر من زيارته )<sup>٢</sup>.

واستمر الناس يعتقدونه قبراً لهذا النبي المزعوم ، ويوزرونه كل عام في شهر رجب ، ويدعونه وينذرون له ، وقبل حوالي أربعين سنة رجع بعض أبناء المنطقة المغتربين من المملكة العربية السعودية وقد جالسوا العلماء هناك ، وعرفوا الحق في هذه القضية ، وأرادوا أن يزيلوا هذا المنكر ، فذهبوا إليه وهدموا البناء الذي على القبر وما ارتفع منه ، فظهرت المفاجأة التي كانوا يتوقعونها هم ولا يتوقعها بقية أبناء المنطقة أبداً ، وذلك بأن وجدوا ذلك البناء على صخرة صماء ليس فيها قبر أصلاً وإنما أشيد البناء على الصخر ، وصورت صورة القبر كذباً ، فظهر لذوي العقول حقيقة الأمر وبقي البعض الآخر يؤول وينتحل الأعداء وربما يوهم الناس بأن الله تعالى أخفاه عن عيون الناس ... الخ .

القبر السابع: قبر النبي مولى رخيّم<sup>٣</sup> :

ذكر ذلك صاحب " تذكير الناس " ، فقال : (ومرة دخلنا معه يعني أحمد بن حسن العطاس إلى عمد ، وعبرنا معه إلى النبي مولى رخيّم ، ومعنا أناس آخرون ، فقال لهم ابتعدوا هناك لا تؤذوا النبي ، ثم قام فتوضأ وصلى فوق القبر ، ثم نام فوق القبر ، فقلت له: كيف تنهاهم وتفعل ١٩. فقال: من أفضل سيد شريف حسيني علوي أو عشرون بهاراً حصى مطروحة فوقه )<sup>٤</sup> . وهذه الحكاية فيها

<sup>١</sup> انظر الشامل في تاريخ حضرموت ص (١٥٣) .

<sup>٢</sup> ما جاد به الزمان من اخبار مدينة حبان ص (٣٣) .

<sup>٣</sup> رخيّم بالتشديد منطقة بوادي عمد بحضرموت .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص (١٦٣) .

أمور لا أدري من أيها أعجب أمن الزعم الذي لا دليل عليه بوجود ذلك النبي الذي لا يعرف له اسم وإنما سمي باسم الموضع الذي ظهر فيه ، أم من استخفاف ذلك السيد بالناس ونهيههم من قربان النبي حتى لا يتأذى بهم ، أم من صلاته فوق القبر وهو فقيه يزعمون أنه مجتهد عارف بهذه الأحكام وكان يحمل زاد المعاد لابن القيم معه إذا سافر من شدة إعجابه به ، أم من الاستخفاف بالنبي المزعوم حيث ينام فوق قبره ، أم من التسويغ البارد لفعله ذلك وهو أنه بنومه ذلك على القبر أحسن من كوم التراب والحصى الموضوعة هناك ، أم أعجب من اعتبار هذه الحكاية من نفائس كلام ذلك الرجل الذي يستحق التسجيل والإثبات في المؤلفات وتخليده للأجيال ؟

كلها عجائب ولكن العقول إذا ألغيت ، والمنهاج الصحيح إذا فقد فلا عجب عندئذ .

هذه بعض القبور المنسوبة إلى الأنبياء والتي قيل أنها موجودة في اليمن ، وقد أفردتها لشهرتها أو لوجود تفاصيل عنها ، وهناك قبور أخرى ذكرت جملة بدون تفصيل ، من ذلك ما ذكره محمد بن سالم بلخير فيما جمعه من كلام أحمد بن حسن العطاس قال : (أخبرني رجل من (دلى) من علماء السادة أن في حضرموت خمسة وثلاثين نبياً ، فقلت له : بم عرفت ذلك ؟ فقال : وجدناه في كتب تواريخ حضرموت عندنا ، ثم قال السيد المذكور : منهم سيدنا نبي الله هود ، وولده نبي الله هادون ، ونبي الله صالح بوادي سر بحضرموت ، ونبي الله رخير بوادي عمر ، واثنين بوادي حموضة واثنين بشرح فيل ووادي النبي ومولى مطر وحنظل وحنظلة بيور) <sup>١</sup> .

وقيل إن قبر نوح عليه السلام . ببلاد نهم ، وهذا من المحال والله أعلم .

والخلاصة إن تعلق القوم بالقبور جعلهم يبدعون في اختراع أنواع منها بشيء باسم الأنبياء ، وشيء باسم الصحابة ، وشيء باسم الأولياء ، وليس على شيء من ذلك إثارة من علم ، ومع ذلك تجد تعلق الناس بها ، وركونهم إليها ، واعتمادهم عليها ، لا يكاد يحد فإننا لله وإنا إليه راجعون .

<sup>١</sup> كلام أحمد بن حسن العطاس ص (٣١٣) رواية محمد سالم بلخير، ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

وقد اقتصرنا على هذه القبور المنسوبة إلى الأنبياء لأن غيرها لا يمكن حصره، وهناك قبور مجهولة كثيرة لا يعرف أصحابها أصلاً أعرضت عنها ماعداً قبراً واحداً أرى أن أذكره للقصة المصاحبة لذكره، فقد ذكر أحمد بن حسن العطاس كما قال في "تذكير الناس" أنه (كان ببلد الرحب من وادي عمد، قبر لا يعرف صاحبه، يزوره الناس، وهو قريب من محل الحراثة والزراعة، فجاء رجل يقلب الطين ويهيئها للزراعة، فأصابته المسحاه جانب القبر فانهاالت ترابه، وظهرت عظام الميت، فجعلها الرجل إلى جانب القبر ودفنها، فلما كان الليل رأت امرأة الرجل كأن صاحب القبر يقول لها إن زوجك نبش عظامي ولم يردها كلها حتى إن ولياً من أولياء الله أتى إلى قبوري يزورني، فأردت القيام لاستقباله فما قدرت فقولي له يرد كل شيء إلى محله، فانتبهت، وقصصت الرؤيا على زوجها فأصبح زوجها إلى المحل، فوجد بعض فقرات الظهر، فدفنها في القبر، وسواء بالتراب، وسأل عمن زار القبر ذلك اليوم فإذا هو السيد محمد بن حسين الحامد، ثم رآته زوجة الرجل في الليلة الثانية وكأنه يقول لها: قولي له: جزاك الله خيراً لما فعلت) <sup>١</sup>.

فانظر إلى هذه الرؤيا العجيبة! وهل أراد السيد العطاس بذلك إثبات ولاية صاحب القبر المجهول، أم أراد إثبات ولاية السيد "محمد بن حسين الحامد"؟ الله أعلم.

وهكذا تبرز القبور المجهولة بمثل هذه الحكايات!

وقد وجدت لعلوي بن طاهر الحداد وهو من مراجع قبورية حضرموت كلاماً جميلاً في هذا الموضوع لا بأس من إيراده كونهم يجلسون هذا الرجل، ويرونه حجة في التاريخ على الأقل، قال في كتابه الشامل عند الحديث على بلدة (بلاد الماء) من وادي (دوعن): (وفوق مجرى وادي مراه عند منعطفه في الجبل غار فسيح مضيء مرتفع السقف يقال له ويره بفتح فسكون وهو من المواضع التي كان يتعبد بها سيدي الجد ويمكث فيها أياماً، وهناك صورة قبر يقال إنه قبر نبي، وهذه المواضع كالتى بوادي فيل وفي ناحية بوروي وادي عسنب، يوجد لها

<sup>١</sup> تذكير الناس ص (١٩٨-١٩٩).

نظيرها في البلاد الإسلامية كالمغرب ومصر وأكثرها في الشام، ولا توجد أحاديث مروية في ذلك ولا أخبار صحيحة، وأكثر العلماء ينكرون صحة ذلك، وقد ذكر السيد الشريف يوسف بن عابد الحسني في رحلته أنه وصل في طريقه إلى قرية فيها شباك من حديد وقال أهل هذه القرية: هذا قبر قديم ولربما قالوا هذا قبر النبي خالد بن سنان الذي بعث لقومه بعد عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ووقعت فيه مراجعة بيني وبين علماء المكان إلى أن قلت لهم: إنني سمعت ممن أخذنا عنهم العلم في مدينة فاس أن الأنبياء عليهم السلام قبورهم غير ظاهرة الأثر إلا قبر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.. إلى آخر ما ذكره، وللحافظ ابن حجر والسيوطي وابن تيمية في هذه المسألة كلام مشهور<sup>١</sup>. يعني أنهم ينكرون مثل هذه القبور.

### المطلب الثالث: طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها:

لقد عرفنا عن صوفية المسلمين في الأماكن والأزمنة المختلفة ولعهم في القبور وتعلق الناس بها، وقد مر معنا سابقاً أن شيوخ الطرق ورثة الأقطاب ومشاهير الأولياء يتخذون من قبور أولئك الشيوخ مناطق نفوذ ومصادر دخل ومعابر إلى الجاه والمكانة عند عامة المسلمين المتعلقين بالأولياء وقبورهم، فمن كان له ولي معروف أشهر قبره ونسج له من الكرامات والمناقب ما يجذب الزوار إليه ويعلق المؤمنين به، وهناك رجال طامحون ليس لهم آباء ولا شيوخ مشهورون بولاية وقد رأوا ما عليه أبناء وخلفاء الأولياء وما صاروا عليه من الحياة الكريمة في نظرهم والمنزلة العالية عند الناس فأعملوا عقولهم للحصول على ما حصل عليه أولئك ولم تعجزهم الحيلة، بل اتخذوا وسائل كثيرة للوصول إلى ما وصل إليه القوم، ومن تلك الوسائل اختراع مرائي ومكاشفات ينشرونها بين الناس قائلين إنهم رأوا في المنام أو عن طريق الكشف أن في الموضع الفلاني نبياً من الأنبياء أو صحابياً أو رجلاً صالحاً معلوماً أو مجهولاً، وبذلك يقام المشهد أو يرفع القبر، بل تتحول تلك البقعة القفر إلى مدينة تسمى باسم ذلك الولي المخترع<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> الشامل ص (١٧٢)

<sup>٢</sup> انظر: دعدة على التوحيد "قبور الأضرحة بين الحقيقة والوهم" ص (٢٨).

وصوفية اليمن في الغالب مقلدون ناقلون عن سبقهم من صوفية الشام ومصر والمغرب والعراق وغيرها من البلدان ، وهذا التقليد في نواحي كثيرة منها هذا المسلك في اكتشاف القبور وإشهارها ، ولهم فيها طرق منها : الاستناد إلى نصوص شرعية أو تاريخية قد تكون أحاديث موضوعة أو واهية ، وقد تكون آثاراً عن الصحابة كذلك ، وقد تكون إسرائيليات أو من كلام الإخباريين ، وقد تكون آيات أو أحاديث صحيحة لكنها لا تدل على مرادهم وإنما يتعسفون في الاستدلال بها وتنزيلها على ما يريدون كما فعلوا في إثباتهم وإظهارهم لقبر نبي الله هود عليه السلام بحضرموت<sup>١</sup> ، وقد يستندون تلك النقول بالكشف أو الرؤيا<sup>٢</sup> . ومثل ذلك فعلوا عندما حاولوا إثبات تقدم قبر نبي الله شعيب عليه السلام في جبل شعيب منطقة حظور محافظة صنعاء وقد تقدم في هذا الفصل<sup>٣</sup> ، وعندما لا تكون لديهم نصوص منقولة فإنهم يعتمدون اعتماداً كلياً على الكشف أو الرؤيا ، واليك بعض الأمثلة :

المثال الأول : ما ذكره الجندي في السلوك في ترجمة المقرئ عمر بن أحمد بن الحذاء قال : ( ومن عجيب ما أخبرت به عنه عام قدمت جبا أنني لما عولت على الفقيه علي بن أبي بكر المقدم ذكره بأن يصل معي إلى المقبرة ليريني القبور التي تزار ففعل ذلك ووقف بي على قبر فقال : هذا قبر رجل يعرف بالسروي ، كان درسياً صالحاً ، دخل المقرئ عمر بن الحذاء هذه المقبرة فجعل يزور أهله ومعاريقه والمشهور من الفقهاء ، وإذ به يسمع من هذا القبر منادياً ينادي يا مقريء عمر أنت ما تزور إلا أصحاب الجاهات ، فالتفت إلى القبر وزاره ، ولم يبرح يزوره كلما دخل المقبرة قبل كل يوم أحد ، وأعلم الناس بالخبر فصار القبر مزوراً إلى عصرنا )<sup>٤</sup> ، فبمجرد سماع هذا النداء صار القبر مزاراً واستمرت زيارته قروناً .

المثال الثاني : ما ذكره الشلي في ترجمة أحمد بن الفقيه المقدم قال : ( ودفن بالقرب من مسجد العارف بالله الشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير وكان قبره معروفاً ثم دثر حتى

<sup>١</sup> انظر : كتاب الكشف المبين عن حقيقة القبرين زيارة هود عليه السلام ، وما فيها من ضلالات ومنكرات ( للباحث ) ص ( ٩ - ٢٨ ) فقد أوردت ما احتجوا به من ذلك ، ورددت عليه رواية ودراية والحمد لله رب العالمين .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٣٢ - ٣٥ ) .

<sup>٣</sup> انظر ص ( ٣٠٥ )

<sup>٤</sup> السلوك ( ١ / ٣٩٢ - ٣٩٣ ) .



نسي محله ، ثم جدد أوائل القرن العاشر وعمل عليه قبة عظيمة ثم رأى السيد الجليل فدعق بن محمد في المنام بعض العارفين وهو يقول له أن قبر السيد أحمد هنا وأشار إلى محل بقرب المجدد فجدد السيد فدعق قبراً في محل ما أشار إليه العارف المذكور وعمل عليه بنياناً<sup>١</sup> ، فالقبر قد نسي ولكن محبة إظهاره وتعظيمه حملتهم على التخرص فبنوا القبة العظيمة على ذلك الخرص ، ثم جاءت الرؤيا فاعتبروها يقيناً وجددوا بناءً ثانياً وخسروا خسارة كبيرة لاشك ، فماذا يستفاد من ذلك الجهد والغرم ؟ .

المثال الثالث : ما ذكره الشرجي في ترجمة محمد بن عبد الله المقيبي ، قال : ( وقبره بمقبرة باب سهام منها مشهور يزار ويتبرك به ، وهو على قرب من تربة الفقيه إبراهيم الفضلي المقدم ذكره في أول الكتاب ، وأكثر الناس يزورون القبر ولا يعرفون قبر من هو ، وعند رأس القبر جدار قصير ، رأى بعض الصالحين في المنام النبي ﷺ قائماً عند القبر المذكور متكئاً على هذا الجدار بذراعه الأيسر مستقبلاً للقبلة يدعو ، وقد رأيت جماعة من الناس يفعلون ذلك تمسكاً بهذا الأثر ، ويجدون بركة ذلك ، وقد فعلت ذلك مراراً ووجدت تأثيره والحمد لله رب العالمين )<sup>٢</sup> ، فانظر إلى الشرجي وهو محدث معروف كيف صدق هذه الرؤيا وعمل بها وأقر عمل الناس بها ، والمحدثون يردون الحديث بأدنى علة ولا يعملون به فكيف بأحاديث الرؤيا ولكنه منهج القبورية عندما تمكن من قلبه .

المثال الرابع : ما ذكره العطاس قال : ( وسال شعب القرين بدوعن بسيل عظيم ؛ فأخذ قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار وجهل قبره ؛ ولما أرادوا بناء القبة ، جاء للحبيب حسن بن صالح البحر إلى دوعن زائراً فسأله الحبيب يس البار والحبيب عبد الله بن عيروس عن موضع القبر الذي أخذه السيل فأراهم موضعه ، وقال لهم في القبة ، ولا في الكعب<sup>٣</sup> )<sup>٤</sup> .

المثال الخامس : ما ذكره الشرجي في آخر الكتاب تحت عنوان " فصل في الإجمال " قال : ( ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقال له الملبك ، بضم الميم وفتح اللام وتشديد الباء

<sup>١</sup> المشرع ( ٨٤/٢ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٣٠٣ ) .

<sup>٣</sup> الكعب جمع كبة والكبة باللهجة الحضرية الرأس .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص ( ١٩٢ ) .

الموحدة وآخره كاف ، ما كان يعرف ولا سمعنا به إلا في هذا الزمان ، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنسان وهو في المنام وقال له : إن صاحب هذا القبر من الأولياء وإن من لازمه في حاحه قضيت ، وشاع هذا في أهل البلد حتى صار لهم فيه معتقد عظيم يزورونه ويتبركون به ، لاسيما العوام والنساء فإنهم يخرجون في ذلك عن الحد <sup>١</sup> ، لقد قبلوا هذا الخبر من ذلك العامي وسلموا به وبنوا عليه ذلك الاعتقاد العظيم لأن نفوسهم مهياة لذلك .

والخلاصة أن القوم قد بلغوا إلى درك سحيق من التضريط بعقولهم والتسليم لكل من قادهم حتى العامي الذي لا قدم له في علم ولا ولاية يمكن أن يغبر مجرى تفكيرهم وأن يملأ نفوسهم اعتقاداً بكلام في الغالب من باب الكذب أو مما لا تقوم بمثله حجة .

#### المطلب الرابع : المشاهد التي لا قبور فيها :

لقد رأينا في باب سابق كيف حرص الفاطميون على توسيع القبورية فوضعوا للناس قبوراً نسبوها إلى أهل البيت كذباً وزوراً ، كما حرصوا على تعداد القبور للشخص الواحد ومن أثر ذلك ظهرت عدة قبور للحسين بن علي عليه السلام .

وقد انتقد ذلك علماء السنة وجعلوه من الدلالة على وثنية أولئك الناس ، وأنه من الوسائل التي وضعوها لجر الناس إلى الشرك وزعزعة عقيدة التوحيد ، ولكن الصوفية نحو ذلك المنحى واعدوا القبور لأوليائهم ، فهذا - عبد القادر الجيلاني رحمه الله - معروف أنه ببغداد وقبره ومسجده هناك ولكنك قلما تدخل بلداً إسلامياً إلا وتجد فيه قبراً منسوباً إلى عبد القادر الجيلاني والناس يزورونه ويتبركون به ويعبدونه ويندرون له .

وهنا صوفية اليمن قد سنوا تلك السنة فهناك قبورٌ صورية لأناس مقبورين في مواضع أخرى رأيت منها اثنين في ناحية زبيد في قرية الحمى أحدها منسوب لإبراهيم بن أدهم ، والآخر منسوب لأويس القرني .

أما عندنا في حضرموت فعادتهم إذا مات أحد كبارهم في موضع بعيد وضع له عند أهله أو من يحبه من المريدين ( نصباً ) يسمونه مشهداً للزيارة والتبرك به ، يقول أحمد بن

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٤١٨ ) .

حسن العطاس : ( ولما توفي الحبيب عمر البار المذكور ، شق فراقه على أخيه الحبيب عيديرس فقال له جدي علي بن عبد الله العطاس : إن عادة السلف إذا مات أحد منهم في مكان بعيد يجعلون له مشهداً يتذكرونه به ، ويتبركون بزيارته ، فأنشأ المشهد المعروف ، نجدي القرين )<sup>١</sup> ، وقد انتشرت تلك الأنصاب ( المشاهد ) في أماكن كثيرة من حضرموت لأجل تلك العادة السيئة .

وهنا كلام جميل للعلامة علوي بن طاهر الحداد فقال وهو يتكلم عن قرية الباقحوم وذكر أن عندها علم مشيد بالنورة وهم يسمونه مشهد الحبيب عبد الله الهدار .. ثم قال : ( ولم أر من تكلم على حكم مثل هذه الأعلام من فقهاء الشافعية ، ومن المقطوع به أنه إن ترتب عليها ما يخل بالإيمان من اعتقاد ضرر أو نفع لغير الله تعالى فلا شك في حرمة إقامتها وسوف يتعب نفسه من أراد أن يجد لها أصلاً من كتاب أو سنة أو يجعلها من قسم البدع المطلوبة )<sup>٢</sup> .

#### المطلب الخامس : إلباس القبور وكسوتها :

من مظاهر التعظيم للقبور عند القبورية كسوة القبور بالثياب الفاخرة المزركشة المكتوب عليها بعض الآيات القرآنية والأدعية والاستغاثات بأصحاب تلك القبور وتعداد بعض مناقبهم وهي ظاهرة دالة على مدى اعتقادهم بل مغالاتهم في الاعتقاد في تلك القبور وأصحابها وهذه الظاهرة منتشرة في الكثير من تلك القبور على امتداد المقابر اليمنية ومنها ما يبدل سنوياً ويكون ليوم تبديله ميزة على سائر الأيام كما يحصل مثلاً في يوم إلباس تابوت علي بن محمد الحبشي في مدينة سيئون بحضرموت فله مراسم معروفة حيث تبدأ ببروز ( منصب المقام ) من بيته ومعه الثوب الجديد ليجد الناس بانتظاره عند الباب ثم يزفونه باللهو والطبول والأهازيج المناسبة المشتملة على تمجيد صاحب المقام والاستغاثة به مع ضرب الطبول ورفع الرايات إلى أن يقتحموا المقبرة ويدوسوا على قبور عامة المسلمين ليصلوا إلى قبة

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٢١٦ ) .

<sup>٢</sup> الشامل في تاريخ حضرموت ص ( ١٣٦ ) .

الحبيب علي الحبشي فيطوفون بالقبور حاملين الثوب الجديد ، ثم ينزع الثوب القديم ويحل محله الثوب الجديد ، وأما الثوب القديم فظني أنه يقطع ويعطى عزائم للزوار ويعلقونها على أنفسهم وأبنائهم ونسائهم ومع ظهور قبح ذلك وأشعاره بالغلو المنهي عنه في الصالحين وتشبيه قبورهم بالكعبة وإغراء الجهلة من العوام بالتمسح بها والطواف والتبرك وكلها إما شرك وإما من وسائل الشرك مع كل ذلك لا يبقى الأمر مجرد عمل يقوم به الناس وعند إنكاره يقول القائمون عليه هذا من فعل الجهال كما هو شأنهم في التنصل من هذه الأمور عند ظهورها ومحاربتهم بها ، أقول لم يبق الأمر كذلك بل لقد ظهر من يؤصل لها فقد صدر كتيب بعنوان " رفع الباس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس " <sup>١</sup> وقال في مقدمته : ( أما بعد : فقد ضمني مجلس مع بعض الإخوان من طلبة العلم ودار البحث فيه عن بعض عادات وترتيبات أسلافنا الصالحين العلويين بحضرموت خاصة ، وبغيرها من البلدان الأخرى ، وزياراتهم وحضراتهم وما أثير حولها في هذا الزمن من التشكيك في صلاحيتها وأصالتها ، وطال النقاش حول بعضها ، وتركز حول الاحتفال الذي يقام سنوياً بمناسبة ( إلباس تابوت ) الإمام العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي في مدينة سيئون بحضرموت والذي استمر العمل به من عام " ١٣٦٨ هـ " ، والاحتفالات المماثلة له في عدن وغيرها من البلاد الأخرى ، وبناء على طلب ممن يهمه الأمر فقد سجلت ما يحضرنى في هذا الموضوع لعله يفيد من يطلع عليه من شبابنا المتعطشين لمعرفة الحقيقة ، والحريصين على سلوك هذه الطريقة .

أما المنتقد لمجرد النقد ، أو حاجة في نفسه مبعثها الجهل والحق ، فليس لنا معه كلام ، وإذا خاطبنا الجاهل نقول له : سلام ، فأقول وبالله التوفيق :

إن الحديث في هذا الموضوع يتفرع إلى قسمين :

( ١ ) القسم الأول : حكم رفع القبر و تجسيصه ووضع التابوت عليه والإلباس .

<sup>١</sup> نشرت دار المهاجر للنشر والتوزيع التي لم تضع لها عنواناً كسائر دور النشر وهي من الدور التي أنشئت لبعث الفكر الصوري

القبوري ونشره بين الناس وقد طبع الكتيب عام ( ١٤١٥ هـ )

(٢) القسم الثاني : حكم الاحتفالات عامة ، وحكم الاحتفال بالإلباس خاصة ، وما يترتب عليه وسأحاول مراعاة الاختصار بقدر المستطاع حتى يتمكن الشباب من قراءته ويعم به الانتفاع )<sup>١</sup>.

وقد احتوى الكتيب مع صغره على الكذب على العلماء والمخادعة للقارئ : أما الكذب ففي قوله : ( اختلف العلماء في جواز رفع القبور وتخصيصها ووضع التابوت على القبر ، وقد أجاز ذلك أكثر العلماء وجمهور الفقهاء لاسيما في الأرض المملوكة والموقوفة وقفاً خاصاً وليست مسبلة ولا موقوفة وقفاً عاماً ، ونصوصهم في ذلك صريحة واضحة تزخر بها كتب الفقه والحديث بل قال بعضهم بنديها واستحبابها )<sup>٢</sup> ، فهذا كذب صريح على العلماء فأين الذين صرحوا بجواز ذلك وأين الذين صرحوا باستحبابه من العلماء لا من الصوفية الداجلة الجاهلين ؟ .

وقد سبق في الباب التمهيدي الرد على ذلك وبيان شبهات القوم ودحضها . وأما المغالطة فهي تتمثل في نقله إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك أي ( رفع القبور وتخصيصها والكتابة عليها ) وهي مغالطة فقط في قضية الرفع ، إذ معلوم أن الصحابة ومن بعدهم من العلماء وإلى اليوم يرون رفع القبور إلى أربع أصابع ونحوها وهذا معلوم مقرر ، ولكن هذا المغالط جعل ذلك إجماعاً على الرفع المعروف لدى القبورية المشتملة على البناء المحكم الذي يرتفع أشباراً بل أذرعاً في بعض الأحيان ووضع التركيبات الحجرية أو التوابيت الخشبية أو البناء حولها المشاهد ونحو ذلك ، فأين ما أجمع عليه الصحابة من الرفع ( أربع أصابع ) من ذلك ؟ ، إنها المغالطة والمغالطة فقط واعتقاد أن الناس لا يعقلون ، فيجب أن يلقنوا ما يحب الكاتب وطائفته أن يلقنهم إياه . وأما نسبة الإجماع إلى الصحابة بجواز الكتابة والتخصيص عليها فهو كذب صريح ، أتحدّاه أن يأتي به بسند صحيح إلى واحد منهم فضلاً عن جميعهم . وأما إلباس التابوت فلم يأت فيه بشيء أصلاً وإنما أدخله في الاسم وتجنبه في المناقشة ، وهذا من الحيل البارة للمخادعين حيث يتضمن العنوان أموراً كثيرة

<sup>١</sup> رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس ص ( ٣-٤ ) تأليف عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد طبع دار المهاجر الطبعة الأولى ( ١٤١٥ هـ ) .

<sup>٢</sup> رفع البأس ودفع الالتباس ص ( ٣-٤ ) .

ويبرزها وأنها مقصودة في البحث ثم يتكلم عما تيسر له الكلام عليه ويتجنب الكلام عن بعض المسائل وبذلك يخرج القارئ بانطباع أن الكاتب قد بحث المسألة وأشبعها وأقام الأدلة على ما يريد فيخرج مقتنعاً بما حواه العنوان دون النظر إلى التفاصيل وهذا ما فعله الكاتب ولكن حبل الكذب قصير وقد قيض الله لهذه الأمة من يكشف عنها غشاوة الجهل وحيل المغالطين .

## المبحث الثالث

### الزيارات القبرية

### وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول : علة زيارة القبور عند القبرية وأصلها الفلسفي :**

زيارة القبور سنة سنّها رسول الله ﷺ بقوله وفعله وتقديره ، أما قوله فقد قال ﷺ : (( نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزورها فإنها تذكر الموت ))<sup>١</sup> ، فهذا الحديث واضح في الإذن بزيارة القبور ، وبيان العلة المقصودة من تلك الزيارة ، وقد سبق في الباب التمهيدي بيان تلك العلة وأقوال العلماء في ذلك الحديث ، ومشروعية الزيارة بصفاتها وعلتها الشرعية عند جماهير المسلمين ، ولكن القبوريين لم يرتضوا تلك الصفة ولا تلك العلة واخترعوا واقتبسوا لأنفسهم علة جديدة لزيارة القبور وهي : الاستمداد منهم والاستشفاع بهم ، ومن تأمل تلك العلة التي ذكروها عرف كيف تسرّبت إلى نفوس المسلمين العقائد الوثنية الفلسفية ، وكيف قبلتها ودانت بها كأنها من نصوص الوحي ، وقد شرح أبو حامد الغزالي ذلك في كتابه " المظنون به على غير أهله " فقال : ( أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ، فإن المقصود منه الزيارة والاستمداد ، من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة ، وهذا يحصل من جهتين : الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ، ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين ، أما الاستمداد فهو بانصراف همه صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ، ويقبل بكلية على ذكره وخطوره بباله ، وهذه الحالة سبب منه لروح ذلك الشفيع أو المزور ، حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منه ، ومن أقبل في الدنيا بهمته وكلية على إنسان في دار الدنيا فإن ذلك الإنسان يحس بإقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى

<sup>١</sup> تقدم ترجمته ص (٤٠) .

بالتنبية ، وهو مهياً لذلك التنبيه ، فإن اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض أحوال العالم ممكن ، كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة أهو مثاباً أو معاقب ، فإن النوم صنوا الموت وأخوه ، فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم تكن مستعدين في حالة اليقظة لها ، فذلك من وصل إلى الدار الآخرة بومات موتاً حقيقياً كان بالإطلاع على هذا العالم أولى وأحرى ، فأما كلية أحوال هذا العالم في جميع الأوقات لم تكن مندرجة في سلك معرفتهم ، كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا ، ولأحاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة ، وهي استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة ، وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره ، وخطورة نفسه بالبال ، فذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قلبه ، فإن أثر ذلك الميت في النفس عند غيبة قلبه ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قلبه ومشهده ، ومن ظن أنه قادر على أن يحضر في نفس ذلك الميت عنده غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده ، فذلك ظن خطأ ، فإن للمشاهدة أثراً بيناً ليس للغيبة مثله ، ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلوا من أثر ، كما قال النبي ﷺ : (( من صلى عليّ مرة صليت عليه عشراً ))<sup>١</sup> ، ((ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتي))<sup>٢</sup> ، (( ومن زار قبري حلت له شفاعتي ))<sup>٣</sup> ، فالتقرب بقلبه الذي هو أخص الخواص له وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد تولد وتناسل ، والتقرب بمشده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ما له منها مناسبة إليه تقرب موجب للقرب إليه مقتضٍ لشفاعته ، فإنه

<sup>١</sup> رواه الطبراني في الأوسط برقم (٢٦٩٢) (٣/٣٢٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٦٦) : ( رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ) قلت : رواه النسائي إلا أنه قال ( صلى الله عليه بها عشراً ) .

<sup>٢</sup> رواه الطبراني بلفظ ( وجبت له شفاعته محمد ﷺ يوم القيامة ) كما في مجمع الزوائد ( ١/٣٣٨ ) وقال : وفيه صدقة ابن عبد الله السمين ضعه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري .

<sup>٣</sup> رواه البزار كما في كشف الأستار باب زيارة قبر سيدنا رسول ﷺ ( ٥٧/٢ ) طبع مؤسسة الرسالة ط الثانية ( ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي وقال عبد الله بن إبراهيم لم يتابع على هذا ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ( ٥/٤ ) : رواه البراز وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف .



لا فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة لا في طريق المعرفة ، فإن آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبى آلة يعرف بها الغيب إما في كسوة مثال ، وإما على سبيل التصريح ، وأما الأحوال الأخرى في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير ، والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة الممد ، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك الممد ، فإنه لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب ، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء ، وإن لم يشعر بها صاحب الدار وساكن البلدة ، فإن اهتمام النبي ﷺ وهو في العقبى مصروف إلى ما هو به منسوب ، ودفع المكارم والأمراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى إلى الملائكة ، وكل ملك حريص على إسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمة إليه عن غيره ، كما كان في حال حياته ، فإن تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربه به في حال حياته .<sup>١</sup>

هذه هي علة الزيارة، الشفاعة والاستمداد على طريقة فلسفية تنبعث من العقل وتقبلها النفوس وتنساق لها الجوارح ، وقبورية اليمن وهم تلامذة الغزالي على كتبه بل مقدسوه ومقدسو كتبه حتى بالغوا في ذلك فجعلوا لكل من انتسخ جزءاً معيناً من الإحياء الجنة ، وبالمقابل قالوا: ( من لم يقرأ الإحياء فليس عنده حياء ) ، وهذا تقديس ليس بعده تقديس للإحياء ومؤلفه ، وهو يسري على جميع كتبه ولأجل ذلك اقتبسوا تلك العلة من الغزالي ودانوا بها ونشروها في أتباعهم ، ففي كتيب بعنوان " بذل المجهود في خدمة ضريح سيدنا نبي الله هود " لعبد الرحمن بن محمد العيدروس طبع عام ( ١٣٢٨ هـ ) وهم يوزعون هذه الأيام مصوراً ويبيعونه في مكتبات صوفية حضرموت ، في هذا الكتيب ساق العيدروس جزءاً كبيراً من كلام الغزالي السابق مقرأً له بعد أن قدم له بقوله : ( وقد تقرر أن زيارة ضرائح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سنة ثابتة لكل أحد ، وإن توقفت على سفرو إن طال ، كيف وهي من أعظم القربات وأجل الطاعات وأجزل الرغبات ، ويتفاوت طلبها بتفاوت فضيلة الأنبياء المزورين عليهم الصلاة والسلام والأئمة رضي الله عز وجل عنهم ، فإن المقصود من

<sup>١</sup> المظنون به على غير أهله ص ( ٣٥٦-٣٥٧ ) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي

الزيارة الاستمداد ... الخ<sup>١</sup>، وقد أتى بأكثر كلام الغزالي دون عزو إليه وهو أكد في تبني ذلك القول . ثم نقل عن الإمام فخر الدين الرازي كلاماً يشبه كلام الغزالي من بعض الوجوه ، بل ربما يكون أوضح خصوصاً أنه صرح فيه بأن ذلك هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة وإليك نص كلامه : ( وذكر الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله ﷺ - أن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان آخر من الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء أو الصالحاء ، وكان ذلك الزائر قوي النفس ، كامل الجوهر ، شديد التأثير ، ووقف هناك ساعة ، وتأثرت نفسه من تلك التربة ، حصل لنفسه تعلق بتلك التربة وحينئذ يتلاقى مع نفس ذلك الميت على تلك التربة كتلاقي مرأتين صقيلتين وضعنا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهن إلى الأخرى ، فكلما حصل في نفسه من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضاء بقضائه ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت ، وكلما حصل في نفس الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة فإنه ينعكس منها نور إلى روح ذلك الإنسان ، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزار ، قال : فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة ، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرناه ، وتام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله ﷻ )<sup>٢</sup> ، وهناك إشارات إلى ذلك في كلام أحمد بن حسن العطاس في تذكير الناس يرجع إليه من أراده<sup>٣</sup>.

**والخلاصة :** أن علة زيارة القبور عند القوم للاستمداد ، واعتقاد أنهم بحضورهم بين يدي الأولياء والصالحين تفيض عليهم أسرارهم وأنوارهم وبركاتهم وكراماتهم ، ولذا فهم يحرصون على هذه الزيارات ويسافرون إليها إلى الأماكن البعيدة ، ولو كان الغرض هي الزيارة الشرعية لعلتها الشرعية لاكتفوا بزيارة مقابر بلدانهم أو ما تيسر لهم دون تكلف ، وقد كان أهل حضرموت يزورون القبور على تلك الطريقة ، سواء قبر نبي الله هود حسب

<sup>١</sup> بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هود ص ( ٢٠-٢٢ ) تأليف عبد الرحمن بن محمد العبدروس ، طبع بالمطبعة الفيضية حيدر آباد ( ١٣٢٨ هـ ) .

<sup>٢</sup> بذل المجهود ص ( ٢٢-٢٣ ) .

<sup>٣</sup> تذكير الناس ص ( ١٩٦-١٩٧ ) .

زعمهم أو غيره، حتى إذا كان القرن التاسع غيّرت تلك الطريقة التي يسمونها طريقة الفقهاء إلى الطريقة الصوفية التي الغرض منها ليس فقط السلام والترحم ولكن التوسل والاستمداد والتبرك بالمزور والذي فعل ذلك هو عبد الله العيدروس المولود ( ٨١١ هـ ) والمتوفى سنة ( ٨٦٥ هـ ) كما يقول عبد الله<sup>١</sup> بن حسن بلفقيه في كتابه " الفرائد في تقييد الأوابد " حيث توقف العيدروس لمدة ثلاث عشرة سنة لأجل الحصول على الإذن بذلك ثم جاء الإذن الرياني<sup>٢</sup> ، فانظر كيف غير سنة الزيارة من الزيارة السنوية إلى الزيارة البدعية ، ولم يكتفوا بنسبة ذلك إلى أنفسهم بل نسبوها إلى الله ، تعالى الله عما يافكون .

### المطلب الثاني : ظاهرة الزيارات القبرية :

بناءً على العلة التي وضعها القبوريون لزيارة القبور ، فقد كثرت تلك الزيارات كثرة يستحيل إحصاؤها وحصرها ، فمن زيارات مستمرة طول الأسبوع والشهر والسنة ، إلى زيارات أسبوعية يخصص لها يوم الجمعة أو غيره ، إلى زيارات حولية في تاريخ معين من السنة إما لاعتبار يوم ميلاد المزور أو يوم وفاته أو لكونه قد أسسها هو على ذلك في حياته ، حيث يختار لها يوماً ذا مناسبة عظيمة عند القوم كيوم الثاني عشر من ربيع الأول يوم ميلاد الرسول ﷺ ، أو السابع والعشرين من رجب يوم الإسراء والمعراج بزعمهم ، أو آخر جمعة منه ، أو يوم النصف من شعبان لما فيها من فضائل حسب اعتقاد القوم ، أو لتحري يوم زيارة الحسين بن علي عليه السلام عند الشيعة في كربلاء ، فإن أعظم زياراته أو من أعظمها زيارة النصف من شعبان ، أو يوم عاشوراء وهي كذلك يوم زيارة عظيمة للحسين عليه السلام .

وقد كنت عزمت على حصر وتتبع تلك الزيارات زماناً ومكاناً مع اسم الولي صاحب الزيارة ثم رأيت أن في ذلك تطويلاً لا فائدة منه ، فالزيارات موجودة مشاهدة أكثرها ما يزال كما هو لم يتغير أو يُزَلّ والكل مسلم به ، ومن إضاعة الوقت والجهد إثبات ما لا نزاع فيه ، وإنما يحرص الباحث على إثبات ما ينازع فيه الخصم ، لذا فسأكتفي بالإشارة إلى أن تلك

<sup>١</sup> هكذا يكتب زينطق وهو عُرف عند بعض أهل حضرموت .

<sup>٢</sup> انظر الفرائد ص ( ٨ - ٩ )

الزيارات موجودة على امتداد اليمن من أقصاه إلى أقصاه ، سيما البلاد الشافعية ، فما من محافظة إلا وفيها عدد من تلك الزيارات ، وهي تتفق في معظم أمورها وتختلف في بعضها ، وسيأتي تفصيل ما يحصل فيها في المطلب الثالث إن شاء الله ، والمهم هنا هو التنويه بهذه الزيارات والإشارة إلى كثرتها واستمرارها ، بل إن القوم هذه الأيام يسعون لتجديد ما اندثر منها ، ففي كتاب يُعد من آخر ما نشره صوفية حضرموت وهو " الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم " والغرض منه كما يقول مؤلفه : ( ودونته للحفاظ على تلك القيم الدينية لينتفع بها الجميع و ليرسخ في الأذهان على ممر الأزمان )<sup>١</sup> ، وختَمه بعبادة النزهة والمناد في آخر بحثه ، ثم قال : ( وهكذا إلى أن يحين وقت صلاة العصر ، فيصلون العصر في جماعة وينفضون من المجلس عائدين من مواقع النزهة لذلك المنذر في طريقهم إلى أحيائهم ببلدهم الغناء " تريم " مسقط رأسهم ، فيجمعون ما عندهم من أدوات ومن فرش ، ويحملونها على الإبل والحمير ، ويركب كبار السن والأطفال ، ويعودون إلى حيهم بالخليف وعبيد ، مارين بمسيال التربة وهم يترزحون فيما يسمى بالخابة ، وأمامهم البقارة ينعشون ، والنساء على حافة الشوارع ومن شرفات ونوافذ البيوت يحجرن ويعيطن<sup>٢</sup> ، والجماهير محتشدة تتفرج وتشارك في تلك الأفراح يغمرها الفرح والسرور ، ويعتبر هذا المنذر عيداً كبيراً ويوم سعيد ، يسجل بماء الذهب وموسم عظيم جداً جداً ، نسأل الله تعالى أن يحفظ لنا هذا التراث القيم ، ويقيض من يقوم بأحيائه وبإعادة طابعه على ما كان وزيادة ، وأن يجمع الله الشمل ويهلك ويدمر من ضيَع أو من أمات وفوت علينا هذه العادات الحسنة ، وأن يوفق الله آباءنا وشيوخنا ومقادمتنا وقياداتنا السياسية للحث على إحياء هذه العادات وهذا التراث الخالد ، وأن يكون في عون الجميع ويأخذ بأيديهم ويعينهم ويعاونهم على الحرص والسعي لإحياء ما اندرس من تلك الذكريات والله الموفق والمعين ، وبهذا يكون الختام لذكر نزر يسير من بعض عادات تريم الذي تضمنته صفحات هذا الدليل القويم ، سائلاً المولى الكريم أن يكون جمعي لهذا الدليل

<sup>١</sup> الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم تأليف حامد بن محمد بن شهاب طبع مكتبة تريم الحديثة - تريم ط الأولى (١٤٢٢-٢٠٠٢) ص (٨) .

<sup>٢</sup> المراد بالحجر والتعيط ما يسمى بالزغردة وهي صوت تردده المرأة بلسانها في فمها عند الفرح . انظر : المعجم الوسيط (٣٩٤/١) .

خالصاً لوجه الله العلي العظيم لينتفع به الجميع ، وتريم غنية عن الشهرة وحرصاً مني على إثبات ما جاء في هذا الدليل ولغرض التبرك وحصول المدد جمعت هذه السطور تطبيقاً لقول القائل : " ما كتب قروما حفظ فر " والله خير شهيد وهو حسبنا ونعم الوكيل ... الخ )<sup>١</sup> .

وهذه العادات مع ما فيها من تجميع للنساء و حجير وتعيط منهن أمام الرجال ونظرهن إلى أولئك الذين ينعمون أي يرقصون برؤوسهم كالنساء ، هذا كله يقول عنه المؤلف أنه يسجل بماء الذهب ويدعو الله أن يحفظه ، ثم يدعو بالهلاك والتدمير على من ضيع وأما ذلك التراث وتلك القيم - ولعل القارئ يعجب من ذلك ، فأقول : لا تعجب فإن هذا الأمر رتبته سلفهم وجعلوه عادة ، وما كان كذلك فلا اعتراض مهما اشتمل عليه من انحراف وفساد فإنها ( من عادات رجال الهدى القادات الملحقة بالعبادات لقيامها على أسس العلم والمتابعات )<sup>٢</sup> ، هكذا يقول عمر بن حفيظ في تقييده لهذا الكتاب ، وقبله قد قال أحمد بن حسن العطاس : ( وهكذا السلف في عاداتهم فإنها ملحقة بالعبادات عندهم<sup>٣</sup> ، وهذا كلام خطير أن يجعل ترتيب وعادة إنسان مهما كان ، ملحقة بالعبادات ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾<sup>٤</sup> .

وبخصوص هذه الزيارات الحولية يقول المؤلف عند كلامه عن زيارة أحمد بن عيسى : ( وتجدر الإشارة بالزيارة السنوية العامة لسيدنا المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى وبحضرها جمع كبير من الناس من تريم وسيئون وغيرهما ، في يوم يتفق عليه من أيام شهر محرم ، أملين إعادة تلك الزيارة حسب المعتاد وبالله التوفيق )<sup>٥</sup> ، فهو يأمل أن تعود تلك الزيارة ، إذن من يحلم بانتهاء تلك المظاهر البدعية والشركية دون عمل ودعوة وبيان لما فيها من المخالفة للسنة والوقوع في البدع والخطر على العقيدة واستمرار الفساد من يحلم بذلك فهو واهم .

<sup>١</sup> الدليل القويم ص ( ٢٢٢-٢٢٣ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢٣٥ ) .

<sup>٣</sup> الرحلة الدوعنية لعلوي بن طاهر الحداد مخطوط ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ورحلته إلى مكة ودوعن .

ص ( ٨ ) .

<sup>٤</sup> الشورى ( ٢١ ) .

<sup>٥</sup> الدليل القويم ص ( ١٦-١٧ ) .

### المطلب الثالث : شعائر الزيارات القبورية :

مادام أن لكل عمل هدفاً يُقصد من ورائه فلاشك أن القائم على ذلك العمل سيجتهد أن يكون العمل مشتملاً على كل ما يحقق الهدف المقصود منه ، ولاشك أن مرتبي الزيارات القبورية ولاسيما الحولية منها ، قد وضعوا جملة أهداف لتلك الزيارات ، من تلك الأهداف : إظهار شرف المزار ، وإظهار شرف القائمين على مقامه ، والكسب المادي من وراء تلك الزيارة ، واغتنام الزيارة لتعميق نهج القائمين على تلك الزيارات ، وغرسه في نفوس العوام ، هذه أهداف عامة عائدة إلى القائمين على الزيارات ، وهناك أهداف خاصة بالمزار ، منها : الحصول على بركة المزار ومدده كما مر في علة الزيارة ، ومنها : المشاركة في السوق التجاري الذي يقام بتلك المناسبة ، ومنها الفرجة والمشاركة في الملاهي التي هي من أبرز سمات الزيارات .

ولأجل إظهار شرف المزار تراهم في بعض تلك الزيارات يلبسون تابوته الثياب الجديدة ، وينصبون عليها الأعلام الخاصة به ، فإذا أقبل الزوار أقبلوا ولهم زجل عظيم ، وأصوات عالية بأنواع الأراجيزو التي تكون في الغالب تمجيداً له وطلباً منه واستغاثة به ، ومنها تلك العبارة التي ربما تكون عامة في معظم الزيارات على الأقل في حضرموت وهي :

يا ولي الله جئنا إليك و طرحنا الذنب بين يديك

وحيثما يأتون بطبولهم ومزاميرهم و لهوهم حتى يدخلون إلى داخل القبة ، ويطوف بعضهم بالتواييت التي على القبور ، وخذ وصفاً لواحد من تلك المشاهد بقلم من لا يهتم عند القوم في عقيدته ولا في أمانته وهو علوي بن طاهر الحداد ، يقول - وهو يصف زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي - : ( ...ثم يرتحلون إلى قيدون وقد خرج أكثر أهل البلد ولاسيما النساء والأطفال فيقومون على جانبي الساقية ، وفيها تمر الطريق ينظرون إلى الواردين حتى إذا كان آخر العشية جاء أهل الخابة يلعبون ويرقصون على طاسة يضربونها وأناشيد خشنة تشابه حركاتهم ، وهم يخبون أي يسرعون في مشيهم ولذلك سموه " الخابة " بالمد والتشديد " وأهلها من سكان الهجرين ، ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء ، فيصلون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب فتمتلئ جوانب المسجد

بضجيج مزاميرهم ونقرهم<sup>١</sup> وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضريهم التوابيت فلا يسمع خطبة الخطيب ولا قراءة الإمام إلا من دنى، وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين وتضحك لها الشياطين)<sup>٢</sup>.

واليك وصفاً آخر لزيارة شهيرة أخرى هي زيارة "الحول" لعلي الحبشي صاحب سيئون فإنها ما تزال ماثلة إلى اليوم لم تنقص بل تتطور، وقد كان الحزب الاشتراكي في آخر أيامه يشارك فيها بإرسال الجنود لحفظ النظام، قال صاحب الدليل القويم: (ثم نأتي إلى المراسيم التي يتم بها حول الحبيب علي بن محمد الحبشي بمدينة سيئون، فتبدأ تلاوة القرآن من العاشر من شهر ربيع الثاني في قبة الحبيب علي، ما بين وقتي الظهر والعصر وتنتهي بأداء صلاة العصر بمسجد الرياض<sup>٣</sup>، ثم تستأنف الجلسة بالقبة بين العشائين بتلاوة القرآن، وتختتم الجلسة بإنشاد قصيدة للشيخ بكران بأجمال قالها مديحة في الحبيب علي، وهكذا في كل ليلة تختتم الجلسة بالنشيدة للشيخ بكران أو غيره، وبعد ذلك يوهب المعلم ثواب القراءة إلى روح الحبيب علي ثم يرتب القائم بالمقام الفاتحة، وبعد قراءتها يقف عند بوابة القبة في الجهة الشمالية ويقوم معه البعض من السادة آل الحبشي وغيرهم وينشدون الموحذ<sup>٤</sup> "الله الله يا الله لنا بالقبول" ويضربون الدفوف أثناء الموحذ وبعد الانتهاء من ذلك يؤذن لصلاة العشاء وبعد الصلاة ينصرفون، وهكذا تستمر هذه الجلسات بالقبة المذكورة وتضاف لها جلسة قبيل الفجر وتنتهي بصلاة الصبح في مسجد الرياض).

ويتوافد الكثير من الناس إلى مدينة سيئون ويمكثون بها عدة أيام لغرض حضور الجلسات بالقبة وحضور جلسة الحول، وخلال إقامتهم بسيئون يتبادلون الزيارات لبعض الحبايب

<sup>١</sup> في القاموس: النقر هو صوت تزعج به الفرس ولعل المؤلف يريد به الأصوات المزعجة.

<sup>٢</sup> الشامل في تاريخ حضرموت تأليف علوي بن طاهر الحداد طبع بسنغافورة (١٣٥٩-١٩٤٠). مطبعة أحمد المعروف، سنغافورة ص (٢١٦).

<sup>٣</sup> مسجد الرياض اسم المسجد الذي بناه علي الحبشي بسيئون.

<sup>٤</sup> الموحذ: نوع من السماع الصوفي يحتوي على إنشاد بعض القصائد مع استخدام الدفوف في حال المشي.

والأعيان لالتماس البركة وطلب الإجازة والإلباس والإطعام، وتعتبر تلك الأيام أيام فرح وابتهاج بقاء أهل العلم والخير والصلاح بعضهم بعضاً .

وفي اليوم الثامن عشر من الشهر في الفترة الصباحية يعقد اجتماع كبير بمناسبة التلبيسة للتأبوت الذي على ضريح الحبيب علي فيتم التجمع أولاً في بيت الحبيب القائم بالمقام، وتحتوي الجلسة على السماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المنشدين، ويدار البخور أثناء الجلسة ثم يُرتب الفاتحة القائم بالمقام، ويدعوا الله، وينصرف الحاضرون ويتجمعون تحت البيت، ويتحرك الموكب الكبير تتقدمه فرقة آل باصالح، ويليهم القائم بالمقام والسادة الأعيان الذين حضروا لغرض المشاركة في التلبيسة، ثم تليهم مجموعة تحمل التلبيسة، في شكل مثال خاص بها، يرددون ألحان وأراجيز أثناء مشيهم، وتأتي خلف هذه المجموعة فرقة الشبواني<sup>١</sup> من رجال الحافة، ويستمر ذلك الركب مواصلاً السير حتى يصلون إلى قبة الحبيب علي فينشدون الموكب المعتاد "الله الله يا الله لنا بالقبول" ثم ينشد المنشد بقصيدة للحبيب علي، وبعد ذلك يتكلم القائم بالمقام ويشرح ما يتعلق باللباس، وما يقوم به الحاضرون وما جاءوا من أجله بحسن نية والتماس البركة وتعظيماً للعلم ولرجال العلم وما يستحقه أهل العلم، ويختم كلمته بتلقين الحاضرين بالجلالة وبالفاتحة والابتهاج بالدعاء، ثم يخرجون من القبة بالسماع والشبواني والمرائح<sup>٢</sup> عائدين إلى بيت المقام وعلى ملامح الجميع الفرح والسرور، وجلسة ما بين العشائين لتلك الليلة تحتوي على ختم القرآن من سورة الضحى إلى سورة الناس ثم الوهبة والنشيدة المعتادة وقراءة الترجمة الخاصة بالحبيب محمد بن علي الذي توي في بتاريخ ( ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٨ هـ )، وتعتبر هذه الجلسة حولاً سنوياً للحبيب محمد بن علي، وذكرى تاريخية لما قام به من عمل وما رتب له حول والده نفعنا الله بهما آمين .

<sup>١</sup> الشبواني: وهي رقصة الحرب والسلام بقسميها، مسيرة العدة، والرقصة عقب الشعر، وتقام هذه الرقصة في كل مناطق حضرموت انظر: (الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ص (٤٦) تأليف عبد الله سعيد سليمان الجعيد، دار الثقافة العربية جامعة عدن، ط الأولى (١٩١٨ هـ - ١٩٤٥ م).

<sup>٢</sup> وهي القيام بحركات وخطوات بالرجلين بصورة إيقاعية إلى الأمام والخلف أو بالقفز الجماعي في مواقعهم، انظر: (الفكر والمجتمع في حضرموت) تأليف: كرامة مبارك بامومن ص (٢٩٥) ط الأولى.



وفي يوم عشرين من الشهر نفسه يتم الاحتفال الكبير الذي يضم الجموع الغفيرة التي تفد من معظم مدن وقرى حضرموت وغيرها من البلدان الأخرى ، لحضور جلسة الحول المشهودة ، ويكفي الحبيب علي ما قاله فيه شيخه الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس : (ستكون يا علي مغناطيس القلوب ) ، وتحتوي جلسة الحول على تجمع الناس والتفافهم داخل القبة وخارجها من جميع الجهات ، وتبدأ الجلسة بإشارة القائم بالمقام على المعلم فيلهج ويقول : ( فاعلم أنه لا إله إلا الله فيتبعه الحاضرون مرددين معه كلمة التوحيد ويعد ذلك يبدأ ختم القرآن من الضحى إلى سورة الناس ، وبعد الانتهاء من الختم يقوم المعلم بالوهبة إلى روح صاحب المناسبة وأصوله وفروعهم ، ثم يقرأ الدعاء الخاص بختم القرآن ، ويعد ذلك يأتون بالمؤخذ الذي مطلعته : يا الله ارحم علي الحبشي وحق متابة ... الخ ، ثم الإنشاد بالقصيدة :

لكم بشرى الإجابة والقبول من المولى بواسطة الرسول .

وبعدها تقرأ الترجمة التي جمعها ابنه الحبيب محمد ، ويدار خلال الجلسة البخور والماء ، وبعد قراءة الترجمة يقوم القائم بالمقام بكلمة الوعظ والتذكير ويعطي المناسبة حقها ويختتم كلمته بتلقين الحاضرين الجلالة والفاتحة ، ثم يرتب الفاتحة الختامية للجلسة ، ثم يبتهل بالدعاء وبعد ذلك يصلون صلاة العصر ، وبعد أداء الصلاة ينصرف الجميع مؤملين القبول والعيادة في عافية وسلامة ، سنينا عديدة وأعواماً مديدة ؛ وتبقى جلسة أخرى مهمة جداً وتعتبر مكملية للحول تسمى بالروحة فتعقد تلك الجلسة بالقبة بين العشائين من مساء اليوم نفسه فيأتي الحبيب القائم بالمقام ويصحبه ركبه العظيم بعد أن صلوا المغرب بمسجد الرياض ، تتقدمهم فرقة آل باصالح والجموع محتشدة داخل القبة وخارجها ، وقد أدوا فريضة المغرب مترقبين وصول ذلك الموكب ليأخذ كل مكانه ، ثم تبدأ الجلسة من قبل آل باصالح وغيرهم من المسمعين الذين يشير عليهم القائم بالمقام ، وهكذا تستمر جلسة الروحة إلى أن يحين وقت صلاة العشاء فيصلون وبعد الصلاة تقام المرازح يشاركونهم القائم بالمقام أفرأحهم بمشاركته الفعلية بينهم وتنتهي بوصوله إلى بيته العامر . ومما نشير إليه استضافة الكثير من الوفود التي ترد من المكلا والشحر وغيرها إلى بيت القائم بالمقام خلال أيام الحول ، فيمكنون عنده ببيته لمدة أيام ، وفي مساء ليلة الحادي

والعشرين من الشهر يوجه المتصدر الدعوة للكثير من المناصب والأعيان وغيرهم إلى بيته لحضور حفل الحول الختامي ، ويحتوي ذلك الحفل على الحديث المتبادل من قبل المدعوين ويتخلل ذلك السماع من قبل آل باصالح وغيرهم من المسمعين ثم تقدم وجبة العشاء ، وبعد تناول الطعام تستأنف الجلسة ويدار الشاي ويتبادل الحاضرون القصص الترفيحية والتسميع من آل باصالح ويتم عليه الزفين المعروف ، وتستمر الجلسة إلى وقت متأخر من الليل ، وتختتم الجلسة بتدوير البخور على الحاضرين ويرتب الفاتحة ويدعو الله ، ويودع ضيوفه وزواره الكرام وبذلك يحصل الختام ، أعاد الله على الجميع تلك المناسبة سنيماً عديدة وأعواماً مديدة ببركة الحبيب الأعظم حبيبنا محمد ﷺ وآله وأصحابه خير الأمم ، وخيرة العرب والعجم ، ومن سار على ذلك القدم )<sup>١</sup> .

ويرى الشيخ علي بن أحمد باصبرين أن مايفعل من ذلك يراد به تعظيم ذلك الولي كما أن الحجاج يرفعون أصواتهم بالتلبية تعظيماً لله تعالى . قال - رحمه الله - في الحادية والعشرين من المناهي الشرعية : ( لا يتقرب ويعظم بالصلاة والنسك - عين الذبح - لغيره تعالى ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا إلى الله العلي الأعلى الملك الكبير الأكبر ، فالذبح لغيره المسمى بالعقيرة عند أهل إقليم دوعن و توابعه من أعظم البليات التي ابتلوا بها وذلك حرام بالإجماع لأمر منها : قطع عصبه البهيمة متى وصلت إلى تحت مكان المعظم لتعذيب ذلك الحيوان ، ومنها : كون العاقر كالإله الأعظم وذلك حرام حيث والأصل تقرب إليه بما شرع الله التقرب إليه بخصوصه ، ومنها : كون العاقر يأتي بالعقيرة بجمع حافل ولربما اختلط فيه النساء بالرجال أو نظرن إليهم بزامل هو عند الجهلة لتعظيم المعقورله بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة ، وهذا من أعظم المنكرات ، وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> الدليل القويم ص ( ٣٤ - ٤٠ ) .

<sup>٢</sup> المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ص ( ٩ ) تأليف الشيخ علي بن أحمد باصبرين تحقيق أكرم مبارك عصبان ، مصنف بالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف .

فهذه بعض الشعائر العائد أثرها على صاحب المقام أو على القائم على ذلك المقام مما يتعلق بتعظيمه وإظهار شرفه ، وأما الكسب المادي فيتمثل في النذور والذبائح التي يأتي بها الزوار وهي من أصناف متنوعة ما بين حبوب ونقود وأغنام وأبقار وسمن وعسل وغير ذلك ، وأما ما يتعلق بما يعود على الزوار أنفسهم فهو استمداد البركات والشفاء من الأمراض والعاهات والاستسقاء عند القحط واسترضاء الولي فيما لو صدر منهم ما يتوهمون أنه أغضبه .

وقد صور علوي بن طاهر الحداد ذلك تصويراً حسناً فقال : ( قيدون هي مثابة أهل بوادي الدّين والمشاجرو البلعيد وما والاهم ، ولاسيما في فصل الخرف وهو موسم نزول الأمطار وهو إحدى وتسعون يوماً أولها من دخول نجم النعام الموافق لأول يوم في جولي أو لثانية على الخلاف الآتي شرحه ، تأتي هذه القبائل يتلو بعضها بعضاً زائرة للشيخ سعيد تطلب الغيث لبلادها والعادة أنهم يصلون إلى رأس الجبل المشرف على قيدون عشية الخميس فإذا أشرفوا عليها هللوا يقولون : عموم ! عموم ! يا شيخ سعيد ! يا شيخ سعيد ! ثم ينزلون العقبة يزملون بالزاي المعجمة أي يرتجزون ، قال في شرح القاموس : والزمل محرّكة الرجز وسمعت ثقيفاً وهذياً يتزاملون أي يتراجزون أ هـ ، ويقال له الزمل والزامل ، ولهم في زملهم أشعار رصينة يصفون فيها سيرهم وبُعد شقتهم وأنهم جاءوا إليك أيها الشيخ سعيد يبتغون السيل والغيث فبلادهم مستنة وعار عليك إذا رجعنا بلا كرامة .

وأشعارهم تدور حول هذا المعنى ، وكل طائفة منهم تحرص أن يكون معها شاعر ينظم لها الزوامل فيذهبون إلى ضريح الشيخ سعيد ويدورون بتابوته ، وبما عنده من التوابيت وهم يزملون ، ومنهم من يأتي بآنية السمن ويسمونها " صمرة " ، واحداً صمار فيصبونها على التابوت ، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه ، وأما ما يأتون به من النذور من غنم أو نقد أو حبوب فإنهم يسلمونها للخطيب أي القائم من قبيلة آل باراسين وهم خطباء مسجد الجامع ، وإليهم تساق النذور ويذهب منهم رسل يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي فيجمعون له حصة من العشور أي الزكاة وما لديهم من نذور ، فإذا قضوا الزيارة دخلوا إلى المسجد وهم يزملون ، وطلعوا منارته فإذا علوها صاحوا بقولهم : عموم ! عموم ! يا شيخ سعيد

ولا يزالون على هذا الديدن طول ليلة الجمعة ويومها قلما يرقدون أو يستريحون ، ويعودون إلى بلادهم يوم السبت والخطيب القائم المذكور يضيفهم ليلة ورودهم .

وإذا مرت لهم سنين ولم يغاثوا أو توهموا أن الشيخ سعيد عاتب عليهم فإنهم يأتون بعقيرة والمراد بها بقرة أو جمل يأتون بها يزفونها بزاملهم حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين : يا شيخ سعيد ! بحرك ( مع نحرها أو ذبحها ويعنون بقولهم : بحرك ) نطلب بحرك ، وبحرك معناه عندهم بحربرهانه ، والبرهان هو التصرف والتأثير والكرامات ، ثم يتركونها فيتكالب عليها من ضري يأكلها فيجرونها إلى بعض الدور ويوصدون الباب ثم يعملون فيها سفارهم بسرعة يبادر بعضهم بعضاً مع ضجة وتهديد وهرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور ؛ لأنه أخذ منها قطعة جزلة ، ومنهم المتبرم والغاضب والمحروم ، والنصيب الأكبر لبعض كبراء أهل البلد ، وإذا كثر طبخوه وجفوه وكنزوه لأيام المقبلة ، وقد يأتي القبائل بعدة من العقائر ، وهم يقولون العقير بفتحتين على التخفيف والمراد بها تلك القرايين ، كما فعل ذلك قبيلة الزي حين غلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة ، وقد تقدمت الإشارة إليه فإنهم جاءوا بعدة منها يطلبون بها النصر من الشيخ سعيد على أعدائهم وهذه العقائر " القرايين" مما أهل به لغير الله فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها ، قال الله تعالى : ﴿ وما أهل لغير الله به ﴾<sup>١</sup> ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب العلم )<sup>٢</sup> .

هذه صورة مبسطة عن علل الزيارات وشعائرها وبعض مايجري فيها مما يفسد العقيدة والأخلاق وينشر الفساد والأمراض الاجتماعية ، وكثير من القبرية يزعمون أنهم هداة للخلق ومرشدون للأمة ، وهم مع ذلك ساكتون عن هذه المناكر ، لست جازماً أنهم يعدونها مناكر فقد مرّ في أول هذا المطلب أنهم يمجّدونها ويرون أنها ملحقّة بالعبادات ، فإن كانوا يرونها منكراً فقد أमतوا شعيرة إنكار المنكر لأجل ما وجدوا عليه آباءهم ، ولأجل

<sup>١</sup> المائدة ( ٣ ) .

<sup>٢</sup> الشامل ص ( ٢١٤-٢١٥ ) .

استرضاء أتباعهم ، وإن كانوا لا يرون ذلك منكراً فهو تغيير للدين كما سيأتي تعليق علوي بن طاهر الحداد على ذلك في المطلب الرابع إن شاء الله .

و أختتم هذا المطلب بكلام نفيس للقاضي العلامة عبد الله بن عوض بكير ختم به رسالته المسماة " رفع الخمار عن مثالب المزار " فقال - رحمه الله - : ( ومنه يعلم أن جميع الزيارات المعروفة في الجهة مناصرة وضلالة بما اشتملت عليه من الأمور المخالفة للشرعية ، فكيف يسوغ الحضور فيها وهي سبيل من السبل المشار إليها فيما رواه الدارمي من أنه ﷺ خط خطاً ثم قال : (( هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه و عن شماله ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، وقرأ : ﴿ وأن هذا صراط مستقيم ﴾ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ))<sup>(١)</sup> فالقائمون في فعلها نواب أنابتهم الشياطين عنهم ، فعليك أيها الأخ بالاتباع ، ولا تغتر بمدعي العلم ، المثابرين على مائدة المزار ، فإنهم ممن لا خلاق لهم ، فقد قال ﷺ : (( لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل به ... ))<sup>(٢)</sup> الحديث .

و أخرج الشيخان : (( يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان ما شأنك ، أليس كنت

<sup>١</sup> الأنعام ( ١٥٣ ) .

<sup>٢</sup> أخرجه أحمد في المسند ( ٤٣٥ / ١ ) ، وابن أبي عاصم في السنة ( ١٣ / ١ ) طبع المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ( ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ) ، والدارمي في السنن ( ٦٧ / ١ ) طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ " باب كراهية أخذ الرأي " ، والحاكم في المستدرک ( ٣١٨ / ٢ ) كتاب التفسير باب تفسير سورة الأنعام وقال : ( صحيح الإسناد ولم يخرجاه ) وقال الشيخ الألباني في تخريج السنة : ( إسناده حسن ) .

<sup>٣</sup> رواه الترمذي ( ٤ / ٦١٢ ) كتاب صفة القيامة باب في القيامة ، وقال : هذا حديث حسن صحيح والدارمي في سننه ( ١ / ١٣٥ ) ( باب من سره الشهرة والمعرفة ) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ( ٢ / ٢٩٠ ) رقم ( ١٩٧٠ ) وفي السلسلة الصحيحة رقم ( ٩٤٦ ) .

تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية<sup>١</sup> .

وأخرج الطبراني : (( أن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون : لم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم ، فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل<sup>٢</sup> )) وورد : (( شرار الناس ، شرار العلماء ))<sup>٣</sup> .

أقول : وإنما كان وزر العالم أقبح ، وعذابه أعظم ؛ لأنه قدوة لغيره ، فإذا خاض في المخالفات ذراعاً خاض فيها غيره باعاً ، فلذا لما لم يزل طلبة العلم يتهافتون على مائدة المزار تهافت الفراش على النار غروا الجهلة بإيراد موارد الهلاك فتراهم مسارعين إليها ، مثابرين عليها ، حتى اقتدت العامة بهم ، فباءوا بإثمهم وإثم أتباعهم ، وليحملن أثقالهم ، وأثقالاً مع أثقالهم ، ولو اجتنبوها واعتزلوها لتقهقرت العامة عنها<sup>٤</sup> .

#### المطلب الرابع : الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلته بالعقائد القبورية :

الفساد الأخلاقي في الزيارات القبورية لا شك في وجوده ، وليس بالضرورة الزنا واللواط بالذات فإنهما قد يحصلان في بعض الزيارات وقد لا يحصلان في البعض الآخر ، ولكن اختلاط الرجال والنساء ونظر كل منهما إلى الآخر في حال الغناء والطبول والمزامير المهيجة للشهوات ، كما يحصل أيضاً القمار في بعضها والسكر والمخدرات في البعض الآخر ،

<sup>١</sup> رواه البخاري ( ٣٣١/ ٦ ) كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ومسلم ( ٤/ ٢٢٩٠-٢٢٩١ ) كتاب الزهد ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعل وينهى عن المنكر ويفعله .

<sup>٢</sup> أخرجه الطبراني في الكبير ( ١٥٠/ ٢٢ ) عن الوليد بن عقبة ، وقال : قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٨٥/ ١ ) : ( وفيه أبو بكر الداهري ، وهو ضعيف جداً ) وضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية ( ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ) رقم ( ١٨١٩ ) ، وضعيف الترغيب والترهيب طبع مكتبة المعارف بالرياض ط الأولى ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ) رقم ( ١٣٩٦ ) .

<sup>٣</sup> رواه البزار كما في كشف الأستار ( ٩٦/ ١ ) رقم ( ١٦٧ ) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ( ٣٣٨٠ ) .

<sup>٤</sup> رفع الخمار عن مثالب المزار ص ( ٣٠-٣٢ ) للشيخ عبدالله عوض بكير تحقيق فائز سالم بن سعيدان طبع عام ( ١٩٩٨ م ) .

وأنواع من الفساد قد لا نعرفها ، ولذلك فإنهم إذا أرادوا مدح بعض الزيارات قالوا إن الفساد فيها قليل أو أقل من غيرها أو نحو ذلك .

يقول العلامة ابن عبيد الله وهو يتحدث عن زيارة المشهد - وهي من أشهر زيارات حضرموت الحولية تقام في الثاني عشر من ربيع الأول - يقول : ( ولا تزال تلك العادة متبعة إلى اليوم وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط الرجال بالنساء ، ولكن لم يشتهر عنه فساد ولا مانع أن يكون ذلك ببركة إخلاص مسؤوله وحسن نيته )<sup>١</sup>.

والشاهد من هذا النقل قوله : ( وهذا المولد من أقل الموالد بدعاً ومفاسد إلا ما قد يقع من اختلاط ... الخ ) ، إنه بمثابة اعتراف أن غير هذه الزيارة أو هذا المولد فيها ما هو أعظم من مجرد الاختلاط ، ولا شك أن ذلك موجود ، وقد صرح لي بذلك الكثير من المعاشين لتلك الزيارات بكثير من ذلك في تهامة ومحافظة تعز ولحج وشبوة وحضرموت - المكلا والشحر و سيئون ودوعن وبعض البوادي - والذي وجدته مكتوباً صريحاً مفصلاً هو كلام العلامة علوي بن طاهر الحداد ، وهو كلام قوي متين ، بنبرة المنتقد المنكر لما يقع في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ببلدة المتكلم قيئون ، وأنا عندما أنقل هذا المثال فليس غرضي الإساءة إلى أهل قيئون أو إلى الشيخ سعيد بن عيسى وزريته فالشيخ سعيد قطعاً لا يعلم بما يفعل الناس عند قبره ، وإن كان القبورية يزعمون أنه يعلم ذلك ويتحمله عن فاعليه كما سيأتي في كلام الحداد منكرهم عليهم ، وزريته العقلاء لا يقرون ذلك ومع هذا كله فبجهد الأخيار من ذريته وغيرهم قد زال معظم ذلك الآن حتى أنهم أخرجوا موقع السوق المصاحب للزيارة إلى خارج البلد ، وأصبح من يزور القبر قليل جداً من الناس ، وإنما هم الناس الآتين في ذلك الموسم هو التسوق لا غير ، ولكني مضطر لإثبات هذا النقل للتدليل على ما تتضمنه تلك الزيارات من فساد ، وإن كان في غابر الدهر فإن الداعين اليوم إلى إعادتها جادون في إعادتها بكل ما فيها ، وكل ما فيها قبيح إلا ما شاء الله ، وهذا المثال هو مثال تقريبي لباقي الزيارات وإن كان لكل زيارة خصوصيتها .

<sup>١</sup> إدام القوت ص ( ١٥٩ - ١٦٠ ) .

قال السيد علوي بن طاهر الحداد واصفاً ما يقع في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي من فساد أخلاقي وعقائدي : ( ويدخل العبيد ضحوة يوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء فيصلون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب ، فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج مزاميرهم ونقرهم وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضربهم التوابيت ، فلا يسمع خطبة الخطيب ولا قراءة الإمام إلا من دنى ، وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض ، ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين ، وتضحك لها الشياطين ، والنساء مزيينات يستترن بشقة وبرقع تبدو منه المحاجر ، وترمى منها النصال ، وتسلسل الخناجر ، ويظهر المتبرجات منهن وهن الأكثر من أعناقهن ونحورهن وأذرعتهن وأسوقهن ما يستجلبن به نظر الرجال إليهن وتتبع الفساق لهن ، ويقع مع شدة الزحام وتضاغط الأجساد ما لا يعبر عنه ، وهذا المنكر الذي يغضب الله على فاعليه إنما حدث منذ سبعين سنة أو نحوها ، وما كان النساء يأتين لهذه الزيارة ولا يخرجن إلى الأسواق بهذه الصفة ، وقد قام في منعه شيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد فعُورض من بعضهم وكاد الأمر يفضي إلى تعب شديد ، وذو العقائد الزائفة من الجهلاء والحمقى يعتقدون أن بحر الشيخ سعيد يحمل إثمهم ، ويسكت لهم على ذلك ، موهماً لهم صحته من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ، ويسعى في بقاء الحال على ما هو عليه من اجتماع له الجاه ونفوذ الكلمة والجهل والبعد عن الدين والجفاء عن الإسلام .

وقد رُفِعَ إلى الحبيب عبد الله بن علوي الحداد خبر اجتماع نساء في محل قريب من محل الرجال في الواسط قرية من أعمال الشحر ، بحيث تسمع أصواتهن ، فشدد في ذلك ، فكيف بمثل ما يقع في هذه الزيارة وهو الإختلاط وتضاغط تتلاحم فيه الأجسام ، وتتدافع فيه الأعضاء ، وأكثر المتسمين بالعلم تجبن نفوسهم من إنكار ذلك خوفاً أن يرميهم العوام والمتظاهرون بالتعاليم والصالح بفساد العقيدة ؛ لأنهم لا يقرون بحل الزنا والفسق للزنا والفساق في زيارة الشيخ سعيد مع أن بحره يسع ، وعندهم أن بحره ينسخ الشريعة الإسلامية ويمحو حكم القرآن ويرد نهي الله ، ويحل ما حرم الله ، ومن صدق قول الله ورسوله ﷺ وكتابه العزيز في حرمة الزنا والفسق هنالك فهو زائف العقيدة ، فهل سمعت بجهل أغلظ من هذا الجهل ؟ وهل كانت الجاهلية التي كان عليها العرب قبل الإسلام إلا دون هذه



الجاهلية : لأن أولئك لم يكن عندهم دين محفوظ ، ولا قرآن يتلى ، وإنما كانوا في فترة من الرسل بخلاف هؤلاء .

وليعلم كل من وقف على كتابنا هذا أن من كذب بحرف واحد من القرآن كفر فكيف بمن كذب بآيات منه كثيرة ، وقد أخبرنا الله فيه أنه لا يغفر أحد الذنوب إلا الله ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾<sup>١</sup> وأنه لا يحمل أحد ذنب غيره كائناً من كان قال الله تعالى : ﴿ ولا تزروا وزارة ووزر أخرى ﴾<sup>٢</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنهم لكاذبون ﴾<sup>٣</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ﴾ ، وقال تعالى في أمر الزنا : ﴿ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾<sup>٤</sup> فمن كذب بما دلت عليه هذه الآيات ممن له إسلام صحيح فقد ارتد وطلقت منه زوجته وصار ماله فيناً لمصالح المسلمين ، ومن كان من صغره مصراً على هذا الاعتقاد فهو على غير ملة الإسلام وعليه إذا أراد أن يكون مسلماً أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويؤمن بالقرآن وما جاء به ﷺ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين .

ومنهم من يقول : بضّر الشيخ سعيد ، يعني أن الأمر راجع إليه إن أراد أن يغير ذلك الفسق أو يبقية ؛ فردوا إليه الأمر والنهي والشرع والقدرة والتغيير ، ومنهم من يقول : لو ما بغاه الشيخ سعيد ما وقع ! وهذه الكلمة كالتي قبلها تعود إلى الكفر بالله وتكذيب الرسل والشرائع ، ومعارضة أمر الله وحكمه ، وقد نعى الله على المشركين مثل هذا القول مع أنهم أرجعوه إليه ﷺ لتضمنه تكذيب الرسل والكتب المنزلة ومحو الدين ، فإن رسل الله دعوتهم إلى عبادة الله وحده وأن لا يحرّموا شيئاً لم يحرّمه الله ، فاحتجوا على الرسل بأنه لو أراد الله لما فعلنا شيئاً من ذلك فردوا أمر الله وشرعه وما جاءتهم به الرسل بقولهم المذكور في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا

<sup>١</sup> آل عمران ( ١٣٥ ) .

<sup>٢</sup> الإسراء ( ١٥ ) .

<sup>٣</sup> العنكبوت ( ١٢ ) .

<sup>٤</sup> الفرقان ( ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ) .

حرماناً من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين<sup>١</sup> يعنون به أن الله قادر أن يمنعنا عن هذا الفعل فلما تركنا عليه كان ذلك دليلاً على أنه يحبه ويرضاه ، وهو مثل قول هؤلاء : " بُصِرَ الشيخ سعيد " أي أن الشيخ سعيد قادر على إزالة الفسق المذكور فتركه له مع قدرته على إزالته دليل على محبته له ورضاه فجعلوه مع اعتقادهم أنه من الصالحين محباً للزنا والزناة ، والفسق والفساق راضياً بذلك ، وكان قول المشركين أدل على الفهم من قولهم : لأن أولئك ردوا الأمر والتغيير إلى الخالق ، وأما هؤلاء فردوه إلى المخلوق ساء ما يحكمون وساء ما يتوهمون ، وسينكشف لهم الغطاء يوم القيامة و يظهر لهم ما لم يحتسبوا ﴿ ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾<sup>٢</sup>.

واعلم أنا سمعنا هذه الكلمة منهم مراراً وتكراراً عند ذكر كل منكر يقع في هذه البلدة من السرقات والظلم وغير ذلك ، ونسخوا بقولهم هذا الشرع ومحوه ، فنسخوا مشروعية الموعظة والنصيحة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والفرض والمندوب وأحكام الحدود والجنايات بل سائر أحكام الشرع ، بل لا حاجة مع قولهم هذا إلى إرسال الرسل ، ولا إنزال الكتب ولو تنصرت الناس أو صاروا يهوداً أو عبدوا الأوثان لما وجب نصحهم ولا نهيهم بل ولا حاجة لذلك عندهم ، ومع أن ما ذكرته هنا من ضروريات الدين ، فلا بدع أن ترى من يشك فيه في هذا الزمان الذي عادوا فيه إلى الجاهلية الأولى : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾<sup>٣</sup>.

ويؤكد ما ذكره علوي بن طاهر ، ويبين أن تلك المنكرات شائعة منتشرة في كثير من تلك المواطن ما ذكره العلامة عبد الله بن عوض بكير في كتابه " رفع الخمار عن مثالب المزار " قال - رحمه الله - : وأما الاجتماعات على الهيئات المعروفة في الجهة عند بعض القبور في أيام السنة ، وهو المسمى بالمزار تارة وبالزيارة تارة ، فحرام قطعاً لما فيه من اختلاط الرجال بالنساء ، مع ما يترتب عليه من المفساد والقبايح مثل الزنا واللواط ونظر الأجنبية ونشوز

<sup>١</sup> النحل ( ٣٥ ) .

<sup>٢</sup> الزمر ( ٤٧ ) .

<sup>٣</sup> الشعراء ( ٢٢٧ ) .

<sup>٤</sup> الشامل ص ( ٢١٦ - ٢١٧ ) .

الزوجات ، و خروج النساء متعطرات متزينات ، و مخالفة الآباء و غير ذلك من القبائح الظاهرة و الباطنة ، و المتصدي لذلك القائم فيه ممقوت عند الله و عند خلقه فإنه هو السبب في ذلك و ما يترتب عليه من الشرور ، و قد اتخذ ذلك عادة<sup>١</sup> مؤكدة في الجهة لبعض القبور في كل سنة ، حتى إنه إذا ترك في بعض السنوات تعتقد العامة وجود القحط والجذب بسبب ترك ذلك<sup>٢</sup> .

ولعل هذا يكفي في إثبات وجود الفساد الأخلاقي و بيان حجمه و مظاهره ، و هذا هو الغرض ، إذ بعد تشخيص المرض يكون العلاج إن شاء الله ، و قد بدا واضحاً من كلام العلامة الحداد أن ذلك الفساد مرتبط بالاعتقاد في الولي بأنه هو المتحمل له والرافع لعقوبته ، وهذا مظهر آخر من مظاهر شرك الربوبية؛ لأن التشريع والتحليل والتحريم من حق الله وحده سبحانه ، وكذلك مغفرة الذنوب والتجاوز عنها إنما هو من حق رب العالمين سبحانه : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾<sup>٣</sup> إذن لقد تعانق فساد الأخلاق مع فساد العقائد في هذه الزيارات .

#### المطلب الخامس : الانحراف العقائدي المترتب على تلك الزيارات:

تلك الزيارات في الأصل مرتبة على عقائد ضالة ، فعلة الزيارة نفسها مبنية على عقيدة شركية، حيث يعتقد الزائر أنه بزيارته يتلقى المدد من المזור ، أو يكون المזור واسطة بينه وبين الله في إيصال ذلك المدد كما كان المشركون الأولون يعتقدون ذلك في أصنامهم ، ونقل الله ذلك عنهم في قوله : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾<sup>٤</sup> ، وهذا الكلام ليس كلامي ولكنه كلام الفخر الرازي الذي يعظمه القبرية ويعتمدون عليه وهو أحد من وضّح علة زيارة القبور على الطريقة الفلسفية التي اقتبسها القبرية من الفلاسفة الوثنيين ، فقد وقف وقفة طويلة عند هذه الآية ، وحلل الغرض من اتخاذ الأصنام شفعاء لهم عند الله ، وأورد عدة احتمالات لذلك ثم قال : ( ورابعها : أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم

<sup>١</sup> في الأصل "عبادة" وهو خطأ والصحيح ما أثبت .

<sup>٢</sup> رفع الحمار ، ص ( ٢٣-٢٥ )

<sup>٣</sup> آل عمران ( ١٣٥ ) .

<sup>٤</sup> يونس ( ١٨ ) .

وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله )<sup>١</sup> .

وهذا الذي ذكره يتوافق مع العلة التي وضعها القبرية للزيارة ، وكون القبوريين يعتقدون ذلك في أوليائهم قد صرحوا به يقول الشرجي في ترجمة أبي عبدالله محمد ابن عبدالله بن أبي البطل الصريفي : ( ولأهل عدن فيه معتقد عظيم ، وله عندهم محل جسيم يوهو فوق ذلك - رحمه الله تعالى - ونفع به )<sup>٢</sup> .

وقال في ترجمة إبراهيم الفشلي : ( وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته )<sup>٣</sup> ، وقال في ترجمة علي بن أحمد بن قيدار القريضي : ( وقبره بمقبرة مدينة عدن مشهور مقصود للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج ، وأهل عدن يعتقدونه ويعظمون تربته ويروون كراماته - رحمه الله تعالى - ونفع به آمين )<sup>٤</sup> ، وقد ذكرت هذه المواضع للتصريح فيها بالاعتقاد وإلا فجميع المعظمين يعتقد فيهم معظموهم تلك العقائد في الغالب .

ومما يدل على ذلك الاعتقاد إتيانهم بالنذور لأصحاب المقامات ، ومن ذلك أن هذا الزائر أو من بعث معه بالنذر قد استغاث بذلك الولي وجعل له نذراً إن تحقق ذلك المطلوب ، فإذا تحقق ذلك المطلوب اعتقد أن الولي هو الذي استجاب له وأعطاه ، ومن حقه عليه أن يوفي له بما نذر ، فيرسل بذلك النذر وقت زيارته أو حينما يأتي مندوبه لجمع نذور الولي من أهل البوادي والقرى .

يقول الشلي في ترجمة محمد العيدروس بن عبدالله بن شيخ العيدروس المقبور بيندر سورة في الهند : ( وقبره فيها كالشمس في رابعة النهار ، وأشهر من علم على رأسه نار ، وتأتي

<sup>١</sup> سبق كلام الرازي كاملاً في الباب التمهيدي ، انظر : ص ( ٣٨ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٢٨٣ ) .

<sup>٣</sup> السابق ص ( ٤٥ ) .

<sup>٤</sup> السابق ص ( ٢٣١ ) .

إليه الأنداز من جميع الأقطار، ومن زاره بحسن نية وسلامة طوية أعطى سؤاله ونال مأموله ونواله <sup>١</sup> .

وقال علوي بن طاهر الحداد في أثناء كلامه عن زيارة الشيخ سعيد بن عيسى :  
( ومنهم من يأتي بآنية السمن ويسمونها " صمرة " واحدها " صمار " فيصبونها على التابوت، وقد يثب أحدهم إلى أعلاه ليتمكن من صبه ، وأما ما يأتون به من النذور من غنم أو نقد أو حبوب فإنهم يسلمونها للخطيب أي القائم من قبيلة آل باراسين وهم خطباء مسجد الجامع ، وإليهم تساق النذور ، ويذهب منهم رسل يبعثهم القائم المذكور إلى البوادي فيجمعون له حصة من العشور أي الزكاة وما لديهم من نذور ) <sup>٢</sup> .

وهذه النذور في الغالب لا تكون إلا لتعظيم ذلك الولي واعتقاد أنه يفعل ما علّق عليه النذر ، وذلك هو الشرك بالله تعالى ، وقد نبه أحد علماء تريم على ذلك فقال في خاتمة فتوى حول النذر لقبور بعض الأولياء . بعد ذكر الأقوال والاحترازا في ذلك ، وما يصح من ذلك وما لا يصح على مذهب بعض فقهاء الشافعية . : ( أقول : وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه مثل ملاحظة أن هذا التصديق لا ينعقد إلا في القرب ، ومعرفة ما هو قرية وغير قرية ، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت فإن الغالب يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل كما تقدم والله أعلم بالصواب ) <sup>٣</sup> .

هذا عندما يطلبون شيئاً أو يتحقق لهم شيء يعتقدون أنه من جهة الولي ، أما حينما يشعرون أنهم قصروا في حقه أو أغضبوه بشيء فإنهم يسارعون إلى إرضائه ، وخصوصاً عندما تنزل بهم عقوبة كتأخر المطر عنهم أيام مواسمها أو نحو ذلك ، ولهم في استرضاء الولي طريقته الخاصة والتي يظهر فيها الشرك عياناً .

ويقول علوي بن طاهر الحداد : ( وإذا مرت لهم سنين لم يُغاثوا أو توهّموا أن الشيخ سعيد عاتب عليهم فإنهم يأتون بعقيرة والمراد بها بقرة أو جمل يأتون بها يزفونها بزاملهم حتى

<sup>١</sup> المشرع ( ١٨٦/١ ) .

<sup>٢</sup> الشامل ص ( ٢١٥ ) .

<sup>٣</sup> الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة ص ( ٢٤٩ ) ، تأليف الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب - رحمه الله - طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى ( ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ) .

إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين: يا شيخ سعيد! بحرك مع نحرها أو ذبحها ويعنون بقولهم: بحرك! نطلب بحرك، وبحرك: معناه عندهم بحر برهانه والبرهان هو التصرف والتأثير والكرامات! ثم يتركونها فيتكالب عليها من ضري بأكلها فيجرونها إلى بعض الدور ويوصلون الباب ثم يعملون فيها شفارهم بسرعة يبادر بعضهم بعضاً مع ضجة وتهديد وهرير ثم يخرجون ركضاً منهم المسرور لأنه أخذ منها قطعة جزلة، ومنهم المتبرم والغاضب والمحروم، والنصيب الأكبر لبعض كبراء أهل البلد وإذا كثر طبخوه وجففوه وكنزوه للأيام المقبلة؛ وقد يأتي القبائل بعدة من العقائر وهم يقولون العقير بفتحيتين على التخفيف والمراد بها تلك القرابين كما فعل ذلك قبيلة الزي حين غلبوا مراراً في حربهم مع الحالكة، وقد تقدمت الإشارة إليه، فإنهم جاءوا بعدة منها يطلبون بها النصر من الشيخ سعيد على أعدائهم وهذه العقائر "القرابين" مما أهل به لغير الله فهي ميتة حرام أكلها والانتفاع بها قال الله تعالى ﴿وما أهل به لغير الله﴾<sup>١</sup>، ونص على ذلك العلماء في كتب الفقه لا يخفى على طالب علم<sup>٢</sup>.

ومما يؤكد اعتقادهم في الأولياء أنهم قادرون على إعطاء ما طلب منهم ما سبق أن ذكرناه عند الكلام على اعتقادهم أن الأولياء يغيثون من استغاث بهم، ومما يخص الزيارات ويحسن إعادته هنا ما ذكره العطاس من تهديد ذلك الزائر لعلي بن حسن العطاس في يوم زيارته وقد طلب منه مطالب أنه إذا لم يعطه تلك المطالب فسوف ينخلع عن الاعتقاد فيه ويلتحق بصالح حبيب وهو شيخ قبيلة آل علي جابر ببلدة خشامرين القطن وشبام، هذه القبيلة التي وصلها جيش ابن قملا الذي أرسله أئمة الدعوة النجدية للدعوة إلى الله تعالى في حضرموت وجهاد من يخالف المنهج القويم من معتقدي القبور ونحوها، فتأثرت تلك القبيلة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودانت بها وتخلت عن الاعتقاد في أصحاب القبور، كما هو سائد في بقية قبائل ومناطق حضرموت، لذلك فهذا الزائر يهدد الولي إذا لم يعطه الكرامة في وقتها المناسب فإنه سيتخلى عن الاعتقاد فيه كما تخلت تلك القبيلة، ونص أبياته:

<sup>١</sup> البقرة (١٧٣).

<sup>٢</sup> الشامل ص (٢١٥).

زوّار جينا با نزورك يا علي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب

إن شيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعنا لا قدا صالح حبيب<sup>١</sup>

وينفس هذا التهديد توجه أحد الزوار من ذرية الشيخ سعيد بن عيسى العمودي حيث  
كرر الزيارة أكثر من مرة لغرض مجيء السيل ولكن السيل لم يأت أي لم يعطه الشيخ ابن  
عيسى لأولئك الزوار، لذلك جاء هذا التهديد:

مرة قفا مرة وأنا مخروس لك ذولا عيالك ما دخل فيهم جنيب

إن شيء كرامة با تقع في حلها والا طلعت الدار زولت الخطيب

وقد سبق كذلك في الموضع السابق، والشاهد أن هذا الزائر يهدد الولي لأنه قصر ولم  
يعطه ما هو قادر على إعطائه فلذلك فسوف ينتقم منه بإخراج الخطيب من دار الشيخ سعيد  
، والخطيب هو سادن القبر كما مر من كلام علوي الحداد وكلمة " زولته " أي أزلته من  
المكان وأبعدته عنه ولا أدري أي الشاعرين أخذ عن الآخر، ففكرة الأبيات واحدة وكان أحدهما  
اقتبس من الآخر .

وبهذا نجزم أن للزيارات القبرية بعلتها المعروفة عند القوم الأثر البالغ في هدم عقيدة  
التوحيد ، وغرس عقيدة الشرك في نفوس الناس .

<sup>١</sup> تذكر الناس ص ( ٢١٩ ) .





## الفصل الثالث

أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن

المبحث الثاني : نشر الخرافة في الأمة .

المبحث الثالث : التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه

المبحث الرابع : انتشار الجهل والأمية في الأمة .

## المبحث الأول

### أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : إثبات أن من الصوفية ( القبورية ) من يتعاطى علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوقاف :

إن التفريق بين السحر والكرامات لا يكاد يميزه كل أحد بل أنه ليشتهه على أكثر العوام في كثير من الأحوال، وقد يشتهه على بعض أهل العلم حيث يتعجلون في إصدار الحكم قبل الخبرة والدراية التامة بأحوال من تجري الخوارق على يديه ، وذلك لأن بعض السحرة قد بلغ مبلغاً كبيراً من الدهاء والمعرفة بحيث يُخفي أعماله الخبيثة ، ويتظاهر بالأعمال الصالحة ، فإذا نظر إليه الناظر أحسن به الظن وسلكه في عباد الله الصالحين ، ثم إذا ظهر على يديه خارق ظن أن ذلك كرامة له ، فمن هنا حرص بعض الساعين إلى الجاه والمكانة والتصدر والتسمي بأسماء الولاية والاتصاف بصفاتها عند الناس أن يتظاهر بالزهد من جهة ويستخدم بعض أنواع السحر من جهة أخرى ليحسب من الأولياء ، ولقلة العلم وغلبة الجهل ورواج الخرافة وما يحصل عليه من سمعة ويلتف حوله من مريدين وربما يزكّيه بعض الأخيار اغتراراً بحاله ، لهذه العوامل مجتمعة فشت أنواع من السحر لدى بعض مدعي التصوف وبعض القبوريين .

يقول ابن خلدون- رحمه الله - في المقدمة: ( الفصل التاسع والعشرون " علم أسرار الحروف " وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص ، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر ، وتدوين الكتب والاصطلاحات ، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه ، وزعموا أن الكمال الإسمائي مظاهره أرواح الأفلاك

والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء ، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام .

والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتُعربُ عن أسرارها ، فحدث لذلك علم أسرار الحروف ، وهو من تفاريع علم السيمياء ، لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله ، تعددت في تاليف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما ، وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعية بالأسماء الحسنی والكلمات الإلهية الناشئة على الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان <sup>١</sup> .

وما قاله ابن خلدون عليه أدلة كثيرة ، فإن من مؤسسي التصوف جابر بن حيان <sup>٢</sup> الذي قيل أنه أول من تسمى بالصوفي ، ومعاصره أبو هاشم الكوفي الذي قال صاحب طرائق الحقائق فيه أنه " مخترع الصوفية " <sup>٣</sup> ، كانا يعانيان السحر والجفر وهو من أنواع السحر أو الكهانة وكذلك علم الكيمياء <sup>٤</sup> . وجاء بعدهم الحلاج وقد نسبته إلى السحر كثير من العلماء <sup>٥</sup> ، والصوفية يعتبرونه من أكابر قدمائهم وأفاضل أوليائهم ، وقد سبق إثبات نسبته إليهم وثنائهم عليه <sup>٦</sup> .

واستمرت علاقة الصوفية بالسحر ، يقول الدكتور كامل الشيبني : ( وقد دخلت هذه الكتب السرية في التصوف ، وقد نقل لنا الأستاذ سعيد محمد حسن أنه : " كان تناول هذه

<sup>١</sup> مقدمة ابن خلدون ص ( ٦٦٤ ) .

<sup>٢</sup> هو الفيلسوف الكيميائي جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ، تَزَعُم الشيعة أنه منها ، وهو من أوائل الذين لقبوا بـ " الصوفي " ، ووصفه ابن خلدون بأنه كبير السحرة في هذا الأمة ، انظر ترجمته في : هدية العارفين لإسماعيل باشا مع كشف الظنون ( ٢٤٩ / ٥ ) ، والأعلام ( ١٠٣ / ٢ - ١٠٤ ) .

<sup>٣</sup> الصلة بين التصوف والتشيع ( ٢٠٢ / ١ ) للدكتور كامل مصطفى الشبي .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ( ٢٠٠ / ١ - ٢٠٢ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ( ١ / ٣٩٧ - ٤٠٣ ) .

<sup>٦</sup> انظر : ص ( ١٨٣ ) .

الكتب وشرحها موضع اهتمام المشتغلين بالسحر والطلاسم ، وكثيراً ما أسهم الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي وحجة الإسلام الغزالي<sup>١</sup> بنصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب<sup>٢</sup> . وقد صرح الصوفية أنفسهم بأن من علومهم علم الحروف وعلم الأوقاف ، فابن سبعين يقول في رسائله : ( وهذه السيمياء<sup>٣</sup> تنقسم إلى خمسة أقسام : الكاذبة منها الذي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب رسائل " إخوان الصفا " ، والمشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله ، والصحيح منها الذي إذا وصف للفتية سماه " كرامة " وإذا ذكر للحكيم سماه " تصريفاً " وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة )<sup>٤</sup> .

ويقول أحمد بن محمد الصاوي في حاشيته على " شرح الخريد البهية " : ( سيدي محمد الخلوتي أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه - أي أدخله الخلوة - مراراً وظهرت نجابته ، وجدّ واجتهد ، واشتهر وتلقى عنه علم الأوقاف والحرف والزائرجا والرمل فأتقن ذلك )<sup>٥</sup> ، وأحمد الصاوي شيخ الطريقة الخلوتية في زمنه ، كما أن تلك " العلوم الأوقاف والحرف والزائرجا والرمل " من علوم السحر والكهانة .

وهناك حقائق أخرى ذكرها الشيخ محمود القاسم كلها تثبت علاقة الصوفية بالسحر وعملهم به واستخدامه لإظهار الخوارق التي يقولون للناس إنها كرامات .

ومن أكبر تلك الحقائق ما ذكره الشيخ أحمد البوني في كتابه " شمس المعارف الكبرى " وهو من أشهر الكتب التي يعتمد عليها من يتعامل بالسحر في هذه الأيام والأيام الخالية ، حيث ذكر سنده بعلم الحرف الذي هو موضوع الكتاب ، وقد نقل عن البوني أسانيده بعلم أسرار الحروف الذي يمثله شمس المعارف وكانت تلك الأسانيد تدور على أقطاب

<sup>١</sup> نسبت إلى حجة الإسلام الغزالي كتب ورسائل في السحر وجد عليها اسمه ، ولكن الدكتور عبد الرحمن بدوي يشكك في صحة نسبتها إليه. انظر : موقف الإسلام من السحر ( ٤١/١ ) أ . حياة سعيد با أخضر ، طبع دار المجتمع جدة ، الطبعة الأولى ( ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ) ولكن هناك وفق مشهور باسم وفق الإمام الغزالي ، الظاهر أنه صحيح النسبة إليه .

<sup>٢</sup> الصلة بين التصوف والتشيع ( ٢٠٠ / ١ )

<sup>٣</sup> السيمياء فرع من فروع السحر ، انظر : المطلب الرابع من هذا البحث .

<sup>٤</sup> الكشف عن حقيقة الصوفية ص ( ٨٦٦ ) تأليف محمود عبد الرؤوف القاسم ، طبع المكتبة الإسلامية عمان الأردن ، الطبعة

الثانية ( ١٤١٣هـ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٨٦٧ ) .

الصوفية كما أن البوني نفسه قد ترجمه النبهاني في جامع كرامات الأولياء فقال في ترجمته : ( أبو العباس أحمد بن علي البوني من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار ، وممن أخذ عنه المرسي ، فمن كراماته أنه كان مجاب الدعوة توفي سنة ( ٦٢٢ هـ ) قاله المناوي )<sup>١</sup> .  
و واضح من هذه الأسانيد أن رجالها هم رجال التصوف وأقطابه ومن بينهم القطب أبو مدين المغربي الذي صدر التصوف إلى حضرموت .

### المطلب الثاني : إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم :

عرفنا من المطلب السابق أن الصوفية المتقدمين والمنتشرين في البلاد الإسلامية سيما مصر والمغرب كانوا يتعاطون أنواعاً من السحر والكهانة ، ويتعلمه المتأخر منهم عن المتقدم ، كما يتناقلون سائر العلوم ، وبما أن صوفية اليمن إنما أخذوا بطريقهم وسلكوا منهجهم فإنهم ساروا على طريقهم في تعلم السحر والكهانة واستعمالها ، واليك شواهد تثبت ذلك عليهم وليس على شواذ منهم ولكن على أناس وصفوا بالولاية التامة وربما بالقطبية والبدلية.

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي في رحلته المسماة " الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية " وهو يذكر تنقلاته بين تريم وما حولها وأخذه عن كبار شيوخها وأئمتها : ( ثم زرنا العالم الجليل المنور سيدنا عبد الله بن محمد بن عقيل مطهر - وذكر إجازته لهم في بعض الأذكار ثم قال : وأجازنا أيضاً في الأذكار والأدعية التي في شمس المعارف الكبرى والعمل بما فيها من الفوائد )<sup>٢</sup> .

ولم يكتفوا بمجرد النقل والرواية بل صنفوا فيها ، فهذا أحد رجال المشرع الذي قال عنه في مقدمة ترجمته : ( سالم بن أحمد بن شيخان بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن عبد الله عبود بن علي بن محمد مولى الدويلة رحمه الله ، وهو جد المذكور قبله نادرة الأعصار وغرة الأمصار - ثم ذكر له ترجمة مطولة دليل على الاعتناء والاهتمام به وتعظيمه هذا الرجل

<sup>١</sup> الكشف عن حقيقة الصوفية ص ( ٨٦٢ - ٨٦٣ ) .

<sup>٢</sup> الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ص ( ٢٥ - ٢٦ ) للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي - طبع مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد - الطبعة الأولى ( ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ) .

قال :- ومن مصنفاته في غريب العلوم " مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع " و " وغرر البيان عن عمر الزمان " و " المشروط الأسمى الأسنى في شروط الأسماء الحسنى " و " العقد المنظوم في بعض ما يحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم " و " إيوان المقعد الحر في وديوان المشهد الوصفى " يتضمن ما يتعلق بالوفق المثلث و " مرهم العطف ودرهم الصرف " و " أسفار الهالك في العمل بوبر بن مالك " و " موائد الفضل الجامعة لباباً في موارد الرمل النافعة أحياناً " و " الماء السلسال ، الرحيق الأصفى في التعلق بالأسماء التي اقتضت ربوبيتها تخليق الموجودات الإمكانية ومآلها منزلة وحرفاً " و " حل المغنم في حل الطلسم " و " البرهان المعروف من موازين الحروف " و " منتهى الطلب في قسمة الرتب على الكواكب السبعة والرأس والذنب " ، و " الجدول العذب الأهنى من شرب الأسماء الحسنى " و " عقد الحكم في ورد الاسم " و " عقد اللآلئ الفخام في ورد الليالي والأيام " و " التحسينات الموانع بالدعوات الجوامع " و " التحبير في التسخير " و " وفق الطباق الوفاق " وغير ذلك أضربت صفحاً عن ذكره لا لعله ، والاختصار عن ميدانه عالي الذرا صعب المجرى بنا ولنا أخرى وليس على الله بمستكثر أن يجمع العالم في واحد <sup>١</sup> .

لقد حرصت أن أسوق كلام المصنف كما هو ، وفيه من المصنفات ما هو واضح أنه من علوم السحروما يلحق بها ، وفيها ما لم يتضح مع الاحتمال ، من الواضح :

- ١ ( مصباح السر اللامع بمفتاح الجفر الجامع .
- ٢ ( العقد المنظوم في بعض ما يحتوي عليه الحروف من الخواص والعلوم .
- ٣ ( إيوان المقعد الحر في وديوان المشهد الوصفى يتضمن ما يتعلق بالوفق المثلث .
- ٤ ( مرهم العطف ودرهم الصرف .
- ٥ ( موائد الفضل الجامعة لباباً في موارد الرمل النافعة أحياناً .
- ٦ ( حل المغنم في حل الطلسم .
- ٧ ( البرهان المعروف في موازين الحروف .
- ٨ ( منتهى الطلب في قسمة الرتب على الكواكب السبعة والرأس والذنب .
- ٩ ( التحبير في التسخير .
- ١٠ ( وفق الطباق الوفاق .

<sup>١</sup> المشرع ( ١٠٦/٢ ) .

فهذه عشرة مصنفات التي تبينتها ورجحت أنها في علوم من علوم السحر، وربما بعض ما لم أذكره هو من نفس القبيل، وكذلك ما اضرب عنه المترجم صفحاً .  
وقد وصفوا البعض منهم ممن بالغوا في مدحه حتى قال الشلي : ( شيخ بن عبد الله العيدروس رحمه الله الشيخ الإمام ، و الصديق الهمام رأس الرؤوس ، وبهجة الجلوس ، ذو المكارم التي أبد الدهر لا تبلى ، والمجد الذي يعلو ولا يُعلى ، والكشف الظاهر الجلي ، والمنصب الشامخ العلي ، إمام أهل عصره والمشار إليه في قطره )<sup>١</sup> وفي ترجمة هذا الإمام قال : (و كان له معرفة تامة بعلم الحروف والأسماء كثير التصرف ويقول إن والدي علمني ذلك في حياته وأنا صغير)<sup>٢</sup>، فهذا إذاً على معرفة تامة ويتصرف بذلك العلم والأدهى أن الذي علمه ذلك أبوه ، ومن أبوه ؟

إن أباه هو : ( السيد الشريف محيي الدين وإمام الأولياء والصالحين ، وقطب الأقطاب الواصلي ، وشيخ المشايخ وغوث الأكابر ، وسيد الجماعة ، وسلطان الوجود ، السيد عبد الله ابن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف كنيته أبو محمد ولقبه العيدروس )<sup>٣</sup> هذا هو أبوه الذي علمه السحر ! ولا أستبعد أن يكون أخوه الآخر أبو بكر العدني قد تعلم ذلك ، شأن أبيه وإخوانه ومن يشابهه أبه فما ظلم<sup>٤</sup> .

ومن هؤلاء الأولياء الذين يعرفون هذا العلم ويستخدمونه ( شيخ بن عبد الله بن الشيخ علي رحمه الله أحد الأولياء الصالحين والمشايخ العارفين مرشد السالكين وقدوة الناسكين )<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> ، المصدر السابق ( ١١٦ / ٢ - ١١٧ ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٩٥ ) .

<sup>٣</sup> ومن هذه الأسرة كذلك رجل آخر أحسن ذلك الفن هو أخو عبد الله العيدروس علي بن أبي بكر قال الشلي : ( وأدخله أبوه الخلوة وأمره أن يقرأ أسماء الله الحسنى بغير صيام فما تمت سبعة أيام إلا وقد ظهر له بكل اسم روحانياً وسمع قائلاً يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ أنا روح عمك علي بن السقاف ثم خرج من الخلوة ، المشرع ( ٢١٥ / ٢ ) .

<sup>٤</sup> المشرع ( ٢٥٤ - ٢٥٥ ) الذي في المشرع ( شيخ ) ولكن الصحيح هو مشيخ لأن الذي يعرف بهذا الاسم هو مشيخ وليس شيخاً ، ومما يدل على ذلك أن من اسمه شيخ قد تقدم في حرف الشين وهذا ترجمته في آخر الكتاب بين آخر حرف العين والنون ..

قال الشلي : ( ويقال أنه كان يعرف علم الحرف علمه إياه بعض السياحين ، بعد أن اختبره بأشياء يعجز عن احتمالها أكثر الكاملين ، وكان يحكم الوقف الثلاثي ويتصرف به ، وله كرامات كثيرة وأنفاس منيرة شهيرة ، فكان يأتي بالشيء قبل أوانه ، ويحضر بعض الأشياء التي لم توجد إلا في البلاد البعيدة " حكي " أنه أطعم بعض أصحابه فاكهة الصيف أيام الشتاء وأطعم بعضهم بحضرموت القات المشهور باليمن (١) .

فانظر إلى منهج القوم في الكرامات ، هذا الرجل قد صرح المترجم له أنه يعرف علم الحرف الذي هو من أنواع السحر وكان يحكم الوقف الثلاث وهو كذلك ، ومعلوم أن من هذا شأنه بسحره وعلمه بتلك الحروف والأوقاف يأتي بخوارق كثيرة مثل ما ذكره المترجم من كرامات لهذا الرجل وأكثر ، ومع ذلك لا يتردد في أن يجعل ما صدر منه وهو من جنس أفعال السحرة أن يجعله كرامات .

فلو أنه لم يعلم بمعرفته بعلم الحروف والأوقاف كان يسوغ له إحسان الظن واعتبار ذلك من الكرامات ، لكن بعد معرفته بذلك وإصراره على عدّ ما يصدر منه كرامات يجعلنا ذلك نشك في أكثر ما ينسب إلى أوليائهم من كرامات ، ويجعلنا نقيسها على هذا الولي وكراماته ، خصوصاً هذه الكرامة المباركة جلب القات من اليمن إلى حضرموت (١) .

ومن هؤلاء من أولياء تهامة ( يوسف بن أبي بكر القليصي ) قال الشرجي في ترجمته : ( وكان عالماً عارفاً وكانت له معرفة تامة بكتب البوني ، وكان كثير الاشتغال بالأسماء عارفاً بخواصها ، وكانت آثار بركة ذلك عليه ظاهرة )<sup>٢</sup> .

ومن الذين ظهر لي أنه استخدم السحر وعمل به رجل سماه صاحب تاج الأعراس ووصفه بـ ( أعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه والمتحدي بولايته لمعاصريه وأقرانه ، الحبيب المحبوب والفرد المطلق المجذوب محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الرحمن العطاس المعروف بالزنقلي ، المقيم والمتوفى بquam دَرْمَغُورَ قريباً من بندر بمبي بأرض الهند ، كان في أول أمره يتعبد في الغابات ، وينظر من الناس كما هو شأن السالك المجد ، حتى تكمل رياضته ، قال : وكثيراً ما يأتي لزيارته أهل جهتنا المهاجرين من حضرموت إلى الهند العارفين بأنساب السادة

<sup>١</sup> المشرع (٢/٢١٥) .

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص (٣٦٨) .



آل العطاس ، فلا يزيدهم على هذا وربما تجرأ عليه بعض من قبائل الجعدة ، بالسؤال وقال له : نحن نعرف أنساب آل عطاس ، فيقول الحبيب محمد : أين جنبيتك أين خنجرك ؟ فينظر إلى قرابه فإذا هو فارغ فيقول: له الحبيب محمد انظر إلى فوق فإذا هي معلقة برأسها في ورقة من ورق شجرة عنب بفتح وسكون ، كان الحبيب محمد يجلس للناس تحتها وذلك الجنبية مصوب فوق رأس ذلك السائل فيندهش عند ذلك ، ثم يقول له الحبيب محمد : الزم أدبك انتهى .

قلت : وما ذاك إلا لكرامته على مولاه وثمرة إخلاصه في أقواله وأفعاله لوجه الله - قال- : ( ومن كرامات الحبيب محمد المذكور أنه يستخدم الأساد على رؤوس الأشهاد ويركب عليها ، ويرسلها لحراسة بعض زائريه فتذهب معهم حتى تبلغهم مأمّنهم ولا تضرهم بأدنى شيء ثم ترجع إليه ولا تزال عاكفة حواليه ، حتى إنها بقيت تحرس ضريحه بعد وفاته ولا تتعرض لنزواره بسوء وهم كذلك ، ويأتون لها باللحوم غالباً كالهدية ، وكان يقول لي : إنه لا يستريح إلا بحضرة الذكر أو قراءة المولد النبوي ومن جاور عنده يحته على الطاعات وأداء الصلوات في أوقاتها ، وإذا علم أنه يتهاون بها حالاً يطرده من القرية بالكلية ، وقد قال لي مرة في معرض التبجح: من الذي من الأولياء الأحياء بآيبارز عمك - هذا وأشار إلى نفسه- الذي رأسه مثل القروفاني<sup>١</sup> أبرز له ، وأما الأموات معنا لهم مدفع شرشرة عمر بن عبد الرحمن العطاس - قال - وكان عادته أنه إذا انتهى السمر أول الليل يختم ذلك بالذكر ، ثم يدخل إلى سرير له في ذلك المكان فيرقد عليه ، وكان يحذرني أشد الحذر أن يدخل عليه أحد أو يحرك سريريه : لأنه إذا رقد فيه لم تسمع له فيه حركة ولا نفس ولا صوت ، حتى يظهر عمود الفجر الصادق فيرتعش عند ذلك وتتحرك جثته في سريريه فيهلل ثم يقوم ويبتدئ في تفقد شؤون المنزل وترتيب أهل الوظائف والحراثة ، ولم أره يصلي ظاهراً على أعين الناس ، فلما أخبرت أخي صالح يعني صاحب المناقب بذلك قال لي : إنه أي الحبيب محمد المذكور من الذين تتجرأ أشخاصهم شخص منه يعبد الله ، وآخر يقوم بخدمته وإصلاح شؤونهم ووظائفه العادية ، وهذا مقام معروف عند الأولياء ، ثم استشهد بقول سيدنا عبد الله الحداد :

<sup>١</sup> القُرو : إناء كبير من الخشب يوضع فيه اللبن وغيره .

وسلم لأهل الله في كل مشكل  
 لديك لديهم واضح بالأدلة<sup>١</sup>  
 ثم قال : وخرج لموادعتي إلى بعض الطريق بمقدار مسافة العدوى ، فمرينا براعي غنم فدعاه الحبيب محمد وأعطاه إناء من نحاس وأمره أن يحلب فيه شيئاً من اللبن فأتاني به ، فمال بنا الحبيب محمد عن الناس إلى تحت شجرة هي موجودة عندنا في حضرموت بكثرة ثم أخذ شيئاً من ورقها ووضع فوق اللبن ثم أمرني بقراءة آية كذا من القرآن الحكيم فقرأتها فحمد ذلك اللبن وصار سبيكة من أجود أنواع الفضة وقال لي : ( إن أرضكم حقيرة المعاش فإذا احتجت إلى شيء من الدراهم فأعمل هكذا و أجازني في ذلك من غير شرط ولا قيد ، فقبلت منه الإجازة امتثالاً لأمره واستودعت منه و رجع إلى منزله ، وبقيت أنا انظر إليه وأفكر في الدنيا وسرعة زوالها فما غاب عني شخصه حتى حلفت بالله أن لا أفعل ذلك ، ولا أعلمه أحداً خوفاً من الطغيان ، فلما أخبرت أخي صالح بذلك قال: إن الدنيا لا تطغينا ولا نطغى معها ، فقلت له : إن أردتني أفعل ذلك فعلته وكفرت عن يميني ، فقال: إن الدنيا كلها لا تساوي حنثك في يمينك )<sup>٢</sup> .

قلت : من خلال النظر إلى تلك الحكاية نجد فيها أموراً :

أولها: ما نجده من المجاهدة الشديدة والرياضة الشاقة التي اتبعها ، وهي أمر مشترك بين صوفية المسلمين وصوفية الهند ، والذين بواسطتها يصلون إلى مرحلة من الروحانية التي تنخرق لهم بسببها العادة ، ويصلون إلى فنون من معرفة الغائبات والتصرف في بعض الكائنات بما يشبه السحر أو به على الحقيقة ، وقد ألمح الشعرائي إلى أن بعض الطامحين في حصول الكرامات يتبعون تلك الطريقة للحصول على الخوارق<sup>٣</sup> .

وثانيها: نجد تلك ( الكرامة ) التي هي في الحقيقة إرهاب فكري يسلطه على من يعارضه ولا يعترض عليه على جهة التحدي ، هذه في نظري ليست من صفات الأولياء الذين يحرصون على الخمول والتواضع وإخفاء كراماتهم إن وجدت ، وإنما هي بحال السحرة والمشعوذين أشبه

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٣٥٦ - ٣٦٢ ) .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ) .

<sup>٣</sup> الطبقات الكبرى ص ( ١٠٨ ) .

ومثل ذلك خدمة الأسود ، وقد عرف عن أهل الهند أنهم يسحرون الوحوش من أسود وغيرها حتى تطيعهم وتمتثل أمرهم وتخدمهم ، وما يحصل في السيرك شاهد على ذلك .

ثالثها: تحديه الأولياء الأحياء والأموات هل من الولاية والتقوى والصدقية أن يكون الولي مخلصاً لإخوانه الأولياء متحدياً لمبارزتهم وغلبتهم ؟ .

رابعها :كونه لم يشاهده يصلي في الظاهر حسب زعمه ، لم يصل في الظاهر ؟ وعند الصوفية قاعدة لتبرير جرائم أوليائهم هي أن ذلك من ( الملامتية ) أي الذين يعرض نفسه للوم حتى لا يظهر عمله خوفاً على نفسه من الرياء والافتتان ، وهي قاعدة باطلة ، ولكن هذا الرجل لا يجري أمره حتى على هذه القاعدة الباطلة ؛ لأنه غير متخف بولايته بل مظهرها متحدياً بها ، يستخدمها لإرهاب الناس ، فلماذا لا يتخفى بالولاية التي كانت طريق الأولياء حقاً إخفاؤها ؟ وإنما يخفي الصلاة التي لا يجوز بحال تركها خوفاً من الرياء أو من غيره ، بل الرجل المسلم وولي الله مطالب بأدائها مع جميع المسلمين ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾<sup>١</sup> ، فالشاهد يقول إنه لم يره يصلي ظاهراً فكيف يكون ولياً من لم ير يصلي لمدة سنة على الأقل مدة إقامة ذلك الرجل عنده ؟ وهل يكفي في إعفائه عن ذلك أن من الأولياء من يتجزأ ، فجزة يعبد الله ، وجزة يتصرف في إصلاح شؤونه الأخرى ؟ هل هذا الأمر يعفي من شاء من الأولياء من الصلاة في الظاهر ؟ ، إذن هو ليس بولي أصلاً أو هو ولي من أولياء الشيطان .

والذي يؤكد الاحتمال الأخير ويؤكد زعمي أن الرجل يستخدم السحر القصة الأخيرة وهي القراءة على اللبث حتى يتحول إلى سبيكة فضة متى شاء<sup>١</sup> ، إن هذا من السحر ولا شك ولا يفرنك أن المقروء آية من القرآن فالقوم لا ينزهون القرآن عن استخدامه في السحر ، وانظر شمس المعارف وغيره ترى كيف تخلط آيات القرآن بالألفاظ الأعجمية التي لا تعرف معانيها ، بل بالشرك بشياطين الجن والإنس .

خلاصة الأمر أن هذا ضرب من السحروان كان قطب زمانه الحبيب صالح بن عبد الله الغطاس قد تمنى لو أن أخاه استعمله .

<sup>١</sup> سورة البقرة ( ٤٣ ) .

وفي الهند أيضاً ولي آخر أتقن عدداً من علوم السحر والكهانة هو عبد الله بن حسين بن محمد بن علي بن أحمد المعروف كسلفه بـ "بافقيه"، قال عنه الشلي: (وكان - رحمه الله تعالى - من علو همته أنه لا يسمع بشيء إلا وأحب أن يقف على أصله ومادته، ويتطلب أريابه من سائر الآفاق حتى أحكم علم الرمل والهيئة والأسماء والأوقاف، واجتهد في علم الكيمياء غاية الجهد، وجد في طلبه من تهامة ونجد، ويقال أنه ناله وأصاب غرضه من بعض أهل الرياضة)<sup>١</sup>.

ومنهم ولي آخر، قال عنه صاحب المشرع: (محمد بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن الشيخ جمل الليل أحد خلفاء الله على عباده، وأمنائه على فيوضات إمداده، أمدده الله بمواد نعمه الوافرة، ومنحه نعمه الباطنة والظاهرة)، هذا الولي - خليفة الله على عباده - ذكر في ترجمته تعلمه علم الأسماء الشريفة والأوقاف واستعماله، بما لا يدع مجالاً للشك، قال: (وحكي أنه كان يحكم علم الأسماء الشريفة والأوقاف ويتصرف بها، وكان يفتح القفل والضبة من غير مفتاح، ولما مات السيد عبد الله بن الطيب بمكة وكان ماله في مخازن مقفلة ولم يجد الوصي مفاتيحها ففتحها له صاحب الترجمة، وقال عبد الرحمن الجون كنا بطيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فإذا ضاع علينا مفتاح الرباط أو الخلوة فتحه السيد محمد باهارون باسم الله تعالى، وإذا جاء من به علة أو مرض قرأ عليه عوفي من ذلك، وكل من أصابه أذى من أنسي أو جني وأتى إليه يقرأ عليه أو يدعو له فلا يعود عليه، وكل من ضاع عليه شيء أخبره بموضعه، وجاء إليه بدوي فقال له: ندد بعيري وطلبته في الأماكن المعهودة فلم أجده، فقال: هو في وادي كذا، فذهب إليه فوجده فيه، وضاع على بعض التجار حمل سمسم فطلب من السيد أن يدعو له فأخبره بمحله فذهب إليه فوجده، وكان كل من خطر بباله شيء بحضرته كاشفه به، كان له شهرة تامة في الحرمين والديار اليمانية، وكانت ملوكها تعتقده لا سيما صاحب دثينة فإنه لما أتى إليه - كانت بلده كثيرة السرقة - فكان كل من سرق أخبره به السيد فعُد السراق فيها، وأقام بها وولد له فيها أولاد، وكان له مكارم عظيمة وأيادي جسيمة ومنح كريمة ...) <sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> المشرع (١٧١/٢).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١٢-١١/٢).

كما قلت سابقاً كونه يوجد من يستعمل السحر هذا ليس غريباً ، ولكن أن يجعل ذلك الساحر من أولياء الله هو الغريب والدال على فساد منهج القوم في تعريف وتحديد الكرامات والأولياء ، ويشكك في أكثر الذين يصفونهم بالولاية وينقلون عنهم كثيراً من الكرامات وخصوصاً التي لا تليق بأولياء الله حقاً أو التي يحيل العقل وقوعها على يد المستقيم الصالح .

تنبيه :

قد صرح السيد أحمد بن حسن العطاس أن عادة سلفهم العلويين عدم التصرف بشيء من ذلك ، كما جاء في تذكير الناس فقال : ( ويلغنا أن الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه الذي قال فيه الحبيب عبد الله الحداد : والله ما في الأكوان مثل عبد الرحمن ، كان له اطلاع على جملة من العلوم الظاهرة والباطنة ، وله اطلاع أيضاً على علم الكيمياء وما أشبهه من العلوم ، ولكنه لم يتصرف بشيء من ذلك كعادة سلفه العلويين ، مع ما عرفه من علوم العقل والنقل والباطن والظاهر ، وسلفنا ﷺ لا يميلون إلى علم الكيمياء ، وليس هو طريقهم ، ولا يتعاطون إلا الأسباب الظاهرة ، ولا يتوغلون فيها ، ولما كنت بمكة وقت الصغر والفراغ تعلمت أنا وجماعة شيئاً من علم الأسماء ، وعملت بها ليلة فظهر علي أربعة نفر من خدمتها ، وقالوا ما حاجتك ؟ فقلت : لهم لا حاجة لي إليكم ، ولم أعمل بها من بعد ذلك ، ثم سألني جماعة ، وقالوا : هل رأيت شيئاً ؟ قلت نعم رأيت كذا وكذا ، فقالوا : أما نحن فما رأينا شيئاً .

ويحكى أن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى أتاه بعض أهل ذلك الشأن ، وأعطاه مسرجة وقال له : إذا بدت لك حاجة فأسرج فيها ، فأخذها منه وأسرج فيها ليلة ، فحضر حولها أربعة نفر ، فسألهم من أنتم ؟ قالوا : نحن خدمة هذا السراج ، ما حاجتك ؟ قال : إيتوني بكيس ريالات من البحر ، فغابوا ساعة وأتوه بها تقطرماء ووضعوها بين يديه ، فنظر إليها ثم أمرهم بردها إلى البحر ، فردوها وقالوا له : هل لك حاجة أخرى ، و إلا فأطفئ الشمعة فإنها تحرق أجوافنا ، فأطفأها وذهبوا ، فلما أصبح جاء إلى خاله الحبيب عبد الله ابن

حسين بن طاهر يصفحه فقبض يده عنه ، فقال : لم لا تصافحني ؟ قال هات المسرجة التي معك ، فأتى بها إليه فأمره أن يكسرها فكسرها ، زهداً في الدنيا وثقة بالله وما عنده )<sup>١</sup> .

قلت: أما ما ذكره من قصة عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه فيرده ما جاء في تاج الأعراس حيث قال- وهو يتحدث عن عبد الرحمن بلفقيه المذكور- : ( ثم توجه إلى مكة ولما كان يوم الوقوف بعرفات وقعت قضية حار فيها أهل الموقف كلهم ، وقع رصد على النار فلم توقد لهم ذلك اليوم نار ، فاجتمع علماء مكة مع الشريف أي أمير مكة وقالوا : ما لهذه القضية إلا السيد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ، فقال لهم: دوّروا له ، فدوّروا له في الموقف ، فوجدوه جالساً تحت شجرة متظللاً بثوبه من الشمس ، فقالوا له : أجب الشريف ، فقال وما ذاك ؟ فأخبروه بالواقعة ، فقال : لهم هاتوا جريدتين من جريد النخل فكتب عليهن شيئاً وأمرهم أن يتبعوها بالخيول ، وقال لهم : تنتهي بكم إلى مكان فيه رجل يكتب "يرصد على النار" خذوا ما بيده وأمحوه ، فمشيت قبلهم وتبعوها حتى أوصلتهم إلى مكة فوجدوا رجلاً يكتب كما وصف لهم فأخذوا ما معه ومحوه فأنحل العقد في الحال )<sup>٢</sup> ، فظهر من الحكاية أن الرجل مشهور بذلك ومعروف ، ولذلك دل الشريف عليه واستخدم ذلك ونجح فيه .

وأما الحكاية الثانية - حكاية أحمد بن حسن العطاس وتعلمه ما تعلم من علم الأسماء- فهو دليل أن البعض كانوا يتورعون عن ذلك ، وأنا أوقن بذلك ، وما قلت ولن أقول أن الجميع سحرة أو أنهم يعرفون تلك العلوم ويعملون بها .

ومثل ذلك قصة عبد الله بن عمر بن يحيى وخاله عبد الله بن حسين بن طاهر فهاتان القصتان تدلان على أن من القوم من يتورع عن ذلك ، وما سبق من حكايات أخرى تدل على أن جماعة منهم ومن يعدون من كبارهم وأقطابهم يمارسون ذلك ويتصرفون به حسب تعبيرهم وما يصدر عنهم من ذلك يحسب عند أتباعهم ومروّجي دعاياتهم من الكرامات الخارقة وأدلة على قربهم من الله وإكرامه لهم ، مع أن هذا مادام صادراً عن ذلك النوع من السحر إنما هو من عمل الشيطان وتسويله ، ودليل بُعد عن الله لا قرب منه .

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ٣٨٠ - ٣٨١ ) .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ٣٤٠/١ )

ومما يلتحق بذلك ما هو مشهور مما يفعله المجاذيب المنتسبون لابن علوان من طعن أنفسهم بالحرب والخناجر في عيونهم وأماكن أخرى من أجسادهم ، فإن ذلك من السحر أو ما يلتحق به ، وهم عندما يفعلون ذلك يقولون : ( سرك و بحرك يا ابن علوان ) أو كما يقولون ، أي لتكن هذه الصفات في بحرك أي نلقاها بحالك أي مما أكرمك الله به من التصريف .

وقد حكم العلامة حسين بن عبد الرحمن الأهدل على ذلك بأنه أحوال شيطانية فقال - وهو يتحدث عن السيد أحمد الرفاعي - : (وتبعه خلق أحسنوا الاعتقاد فيه ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية ، والنزول في النار وهي تضطرم فتطفئ ، ويركبون الأسد ، ولهم مواسم يجتمع بها عندهم عالم كثير قلت : الأحوال المذكورة أحوال شيطانية كما ذكره الحافظ ابن تيمية ثم الذهبي فاعلم ذلك والله أعلم) <sup>١</sup> .

قلت : فهذا الحكم ينطبق على أفعال مجاذيب ابن علوان لعدم الفارق ، والله أعلم .

#### المطلب الثالث : إثبات أن منهم من يستخدم الجن :

استخدام الجن دائر بين السحر والكهانة ، وقد سبق الكلام عن السحر وأشهر نوع مستخدم منه عند قبورية اليمن ، هو علم السيمياء أو علم أسرار الحروف و الأوفاق ، وسبق كذلك أن منهم من يحسن الرمل وهو من علوم الكهانة ، وربما كان هناك أنواع أخرى من تلك العلوم لم يُفصَح عنها . وأحبُّ أن أضيف هنا أن هناك نوعين آخرين من استخدام الجن على اعتبار أن ذلك من الكرامات .

أما النوع الأول: فهو الاستخدام المباشر للجن واعتبار ذلك من كرامات المستخدم لهم ، وعندي عليه حكايتان لشخص واحد ذكرهما صاحب تاج الأعراس .

أما الأولى: فذكرها أثناء كلامه عن مساعي آل العطاس في الصلح بين القبائل قال : ( فلما وصل الركب قبيل المغرب إلى محلة تلك القبيلة تشاور رجالها أن يغلّقوا أبوابهم في وجه الركب العطاسي ، فحاول السادة قرع الأبواب والنداء بأسماء كبارائهم فلم يجبههم أحد

<sup>١</sup> تحفة الزمن ص(٢٧٤) مخطوط ولدي نسخة مصورة منه .

فغضب رجال الركب بأجمعهم لهذا الجفاء، ونادى الحبيب أحمد بن حسن بأعلى صوته متحمساً : ( أين سالم بن محسن وجنه ) وكان حاضراً في مقدمة رجال الركب فعند ذلك التبس الحبيب بحال مهيب وأخذ يحرك يده يميناً وشمالاً فانطلق مزنقب<sup>١</sup> في داخل تلك الديار على أهلها بالصيحات المضجعة التي كادت تجن منها نساؤهم وصبيانهم فخرج رجالهم في الحال إلى محطة الركب ، وقدموا لهم العدائل - العرباين - فيما سبق منهم ، وما لحق من الخطأ على مقام العطاس ، وبات الكل على خير سمر ، وعادت المياه إلى مجاريها )<sup>٢</sup> .

والقصة الثانية: ما وقع لذلك الرجل نفسه بمكة مع أميرها الشريف عون ، قال العطاس : ( ومنها ما وقع للحبيب سالم المذكور مع أمير مكة الشريف عون وكان مشهوراً بالبطش من غير تفكير في القضايا ، فحينما دخل الحبيب سالم إلى مكة لأداء حجة الإسلام قيل له : إن الشريف عون قد منع دعوى السيادة والمخاطبة بلقب سيد بتاتاً وأنه يعاقب من بقي مصراً على ذلك ، فقال الحبيب سالم : إنما جئنا إلى هذه البلاد لنؤدي ركناً من أركان الإسلام ونزور شفيح الأنام ونزداد شرفاً إلى شرفنا ، وأنه لا مسوغ لي في ترك لقبى الذي وضعه علماء المسلمين على أهل بيت نبيهم كما أني لا حاجة لي بالشريف عون ، فانتشر كلام الحبيب سالم بين الناس وسرعان ما بلغ الشريف عون فاستدعى الحبيب سالم وقال له : أنت القائل كذا وكذا ، قال : نعم ، قال برهن لي الآن على أنك من أولاد فاطمة عليها السلام فنخس الحبيب سالم الجدار ، وقال: صب الماء يا مزنقب من هاهنا ، فما تم كلمته حتى ثجا الماء بقوة وأخذ يفترش في جوانب المجلس أي غرفة استقبال الناس ويطفئ على الفرش الملكية الثمينة ، والشريف يقول : الأمان الأمان ، يا سيد سالم أنت سيد أنت حبيب ، فضرب الحبيب سالم الجدار ثانياً وقال: يكفي وخرج من عند الشريف والشريف مبهوت مما رآه ، فدخل على الشريف بعض أعوانه في ذلك الحين وقال له: إن هذا من عمل السحر ثم دخل عليه أحد علماء مكة في حاجة له فأخبره الشريف بما وقع وما قيل ، فقام العالم ونظر إلى الخدم يغرفون الماء وينشرون الفرش المبلولة في الشمس ، فقال للشريف : يا مولانا هذه كرامة من الله لهذا السيد فإن السحر لا جرم له وإنما هي خيالات تتراءى للناس كما وصفه الله بذلك

<sup>١</sup> مزنقب اسم الجني خادم ذلك الحبيب .

<sup>٢</sup> تاج الأعراس ( ٥٦/٢ ) .



في كتابه العزيز في قوله: ﴿ سحرُوا أعين الناس ﴾<sup>١</sup> وفي الآية الأخرى: ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾<sup>٢</sup> أي والحال أنها واقفة واستشهد له بمجيء الذي عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس فانبسط الشريف بجواب هذا العالم<sup>٣</sup>.

فانظر إلى ما هو مغروس في فطر الناس من استنكار ذلك وعدّه من أعمال الشياطين ، وقارنّه بما جاء به ذلك العالم من التأويل واعتبار أن ذلك كرامة باعتبار أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو خيال وخداع ، وهذا خلاف ما عليه أهل التحقيق من أن الساحر قادر على أن يعمل أشياء لها حقيقة ووجود في الخارج ، وأما اعتبار المصنف ذلك من قبيل ما حصل لجلساء سليمان من نقل عرش بلقيس فإنه مع الفارق الكبير جداً ، كما أنه ما كان ليسلم لولا أن الله ذكره في القرآن وهو الخبر الذي لا يُكذَّب .

**والنوع الثاني :** استخدام الجن لخدمة أضرحة الأولياء ، وهذا النوع من أخطر مكائد الشيطان للمتعلقين بالقبور والأولياء ، كما أنه كان من أعظم مكائده لعباد الأصنام حيث كان يتلبس بالأصنام ويخاطب عبّادها ويخبرهم ببعض الأمور ويجيبهم على بعض أسئلتهم ، وربما حقق لهم بعض ما يطلبونه منها ، وفي هذا السياق نفسه نجد أن الشيطان كاد المتعلقين بالقبور وبالذات الذين يدعون أصحابها فنجد أولئك الشياطين يأتون إلى أولئك المستغيثين في صور الأولياء الذين استغاثوا بهم فيوقنون حينها أن الذي أغاثهم واستجاب دعاءهم هو الولي بينما هو أحد خدام ضريحه.

واسمع إلى هذه الحكاية التي يرويها أحمد بن حسن العطاس قال صاحب التذكير :  
( وقال ﷺ : سافر الحبيب طالب بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وهو أصغر أولاد الحبيب حسين بن عمر إلى صنعاء اليمن ، فصرعت في ذلك الوقت بنت للإمام بسبب الجان ، فأحضروا أهل العزائم والطلاسم ، وبذلوا وسعهم فنطق الجني على لسانها ، وقال : لا أخرج من هذه البنت إلا إن جاء حبيبي طالب بن حسين العطاس ، فقالوا : وأين حبيبك هذا ؟

<sup>١</sup> الأعراف ( ١١٦ ) .

<sup>٢</sup> طه ( ٦٦ ) .

<sup>٣</sup> تاج الأعراس ( ٥٦/٢ - ٥٧ ) .

فقال: هو مقبل عليكم في هذه القافلة التي تجيء من حضرموت إلى صنعاء بعد يومين أو ثلاث.

فأمر الإمام فرساناً من عنده يخرجون لتلقي القافلة ، والاستخبار عن الحبيب طالب بن حسين ، فلما بلغوا إلى القافلة وجدوه فيها فقالوا له : نحن رسل الإمام إليك لتحضر إلى بيته سريعاً ، فقال لهم وما الخبر ؟ فأخبروه به ، لئلا ينزعج فركب معهم ، ولما وصل إلى صنعاء استقبلوه بالإكرام ، وطلب منه الإمام معالجة البنت وأدخلوه إلى المنزل المعد لها فحين بدا وجه الحبيب طالب من الباب نطق الجنى ، وقال مرحباً بحبيبي طالب بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن ، فأخذ يوبخه ، ويقول له : لآحياك الله تعمد إلى هذه الشريفة وتؤذيها وتؤذي أهلها ، فقال له : لا تعجل عليّ واستخبرني أولاً عن بلادك حريضة وأهلها فإني خرجت منها بعد سفرك بأيام ، فقال له : هات ما عندك فقال له : بعد مسيرك وقعت الرحمة وسالت الأودية ، وشريت حريضة ، وفلانة توفيت ، وأخبره بأخبار كثيرة ، فقال له ومن أنت ، فقال أنا من أخدام عمك سالم بن عمر مولى حميشة وأنا من التسعة نفر الذين حضروا المكسر في جريك الفلاني لما اهترت وقلت : يا سالم بن عمر يا ذكري ، وريدنا المكسر حقه ، قال له : مرادنا خروجك حالاً من هذه البنت ، وأعطنا العهد والميثاق على أنك لا تعود ، فقال : أما إذا جئت أنت فلا عذر لي عن الخروج ، وعاهده على أن لا يعود أبداً ، وخرج منها ، فقامت البنت كأنما نشطت من عقال ، وأكرمه الإمام إكراماً عظيماً ، وأعطاه أربعمائة أو خمسمائة من الأشرفيات ، وأعطاه جيباً من أكسية الحرير وطاسة شراب ، فيها كتابات نفيسة ، وهي موجودة عند ذريته إلى الآن <sup>١</sup> .

وفي هذه الحكاية دالتان :

الأولى : أن الجن المسخرين لبعض من زعم الولاية أو لبعض الأسر تخدمهم بما يحقق لهم الشهرة والجاه ، وعلى ذلك فكثير مما يذكر من كرامات لبعضهم مثل أن فلاناً أصيب بمرض ثم جاء فلان فضربه أو تفل عليه فقام كأنما نشط من عقال وأن فلاناً جُنَّ أو تلبست

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٥٢ - ١١٥٣ ) .

به الجن... الخ ، و معظم ذلك من هذا القبيل فلا كرامة ولا ولاية ولكنها كهانة وتسخير للجن بواسطة السحر أو نحوه .

**الدلالة الثانية :** أن ما يشاهده ويحس به المستغيث بالأولياء والصالحين من حضور أولئك المستغاث بهم إنما هم شياطين تصوروا بصورهم وأدوا عنهم تلك الخدمة ليعلقوا الناس بأولئك الأولياء ، وهذا واضح من سياق الحكاية فالرجل ( اهترا ) أي دعا ذلك الولي وهو مكروب حيث كسر جريه ويخشى أن يتسع الكسر فاستغاث بمن يعتقد فيه فحضر عنده تسعة نفر لرد الكسر وإصلاح الجرب ، ولذلك فسوف يزداد اعتقاداً في ذلك الولي وسوف ينقل ذلك ويشيعه بين الناس وتنتشر له بذلك دعاية كبيرة ، و سترسخ بذلك اعتقاد الناس فيه بأنه ينفع من استغاث به ، وهذا هو الشرك الذي لا يخالف فيه أحد من المتقدمين أو المتأخرين ويشهد لهذا الاستنتاج شواهد أخرى :

**الشاهد الأول :** ما حدثني به أحد أحفاد الفقيه علي بن محمد المالكي صاحب الحوطة من مديرية ميفعة محافظة شبوة والمعروف اختصاراً ( بالفقيه علي ) قال : كان هناك جماعات من العبيد أو الأخدام كانوا يعتقدون في الفقيه علي ويؤرونه في مواعيد محددة و ربما تأخروا بعض السنين ، فإذا حصل ذلك وجاءوا في السنة التي بعدها هم ونسأؤهم فإنهم عند دخولهم إلى الضريح يتلبس الجن بنسائهم فيُصرعن حتى يأتي أحد ذرية الشيخ المذكور أياً كان منهم فيضرب النساء قائلاً : ( نقضى يا فقيه علي ) وعند ذلك يفقن ويتخلى عنهن الجن دون أي علاج آخر أو قراءة .

و واضح من هذه الحكاية أن أولئك الجن موكلون بذلك الضريح من أجل ترسيخ الاعتقاد فيه بين الناس الذي قد تهيأت نفوسهم له .

**الشاهد الثاني :** ما حدثني به كذلك أحد أحفاد الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات قال : كان أبي إذا مرض يهتري بجده أبي بكر بن سالم ، وفي أحد أمراضه تأخر الشفاء رغم اهترائه المتكرر ، فاهتري بشخص آخر فبينما هو كذلك إذ سمع جدلاً بين شخصين لا يراهما ، يقول أحدهما : أنا أتولاه ، ويقول الآخر: بل أنا أتولاه ، أنا أحق به فهو من ذرية مخدومي أبي بكر بن سالم ) .

إن هذه الحكاية صحيحة إن شاء الله حدثني بها ابن ذلك الرجل الذي كان مريضاً وهو ثقة معروف بالاستقامة وجرى له ما جرى ودلائلها واضحة في التأكيد على ما قلته سابقاً من وجود خدام لأضرحة الأولياء ، ولو تتبعنا لوجدنا الكثير والكثير من مثل هذه الشواهد ولكن نكتفي بهذا إذ به يحصل الغرض .

#### المطلب الرابع : إثبات أن علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوفاق من علوم السحر:

تقدم في المطلب السابق استخدام قبورية اليمن لعلوم السيمياء و أسرار الحروف والأوفاق وأنهم شاركوا في التنجيم والتسخير واستخدام الجن ، وفي هذا المطلب نثبت إن شاء الله أن تلك العلوم من علوم السحرويعضها من الكهانة ، ثم نردف ذلك ببيان الحكم الشرعي لها .

أما علم أسرار الحروف وعلم الأوفاق فإنهما يرجعان إلى شيء واحد وهو علم الأوفاق ، إذ عرفوا الوفاق بأنه : ( علم يتوصل به إلى توفيق الأعداد والحروف ، واستوائها في الأقطار والأضلاع وعدم التكرار غالباً )<sup>١</sup> ، قالوا : ( ومصطلح الأوفاق يطلق على اللفظية والحرفية والعديدية والغرض منها هو العددي والحرفي ، أما اللفظي فلا يطلق عليه اسم الوفاق إلا على طريق المجازية )<sup>٢</sup> .

وقد عرف الأنطاكي علم الحروف فقال : ( علم الحرف علم باحث عن خواص الحروف أفراداً وتركيباً ، وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق ، والتراكيب وصورة تقسميها كماً وكيفاً وتآليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها ، وفاعله المتصرف ، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعاً وانتزاعاً ، ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> انظر : موقف الإسلام من السحر ( ٢٧٤/١ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ( ٢٧٤/١ ) .

<sup>٣</sup> تذكرة داود الأنطاكي بواسطة رسالة شريفة فيما يتعلق بالأعداد والحروف والأوفاق و كم بقي من عمر الدنيا ص ( ٢١ - ٢٢ ) للإمام الصنعاني ، تحقيق مجاهد بن حسن الوصافي ، طبع مكتبة دار القدس صنعاء الطبعة الأولى ( ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ) .

وقد صرَّح بأن هذا العلم من علوم السحر العلامة ابن خلدون ، والإمام الصنعاني حيث قال - بعد أن نقل تعريف الأنطاكي - : وهذا شأن الأسحار والابتداع ، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع ، ومعلوم أنها طريقة سحرية إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة من جاء عند العباد ، وجلب رزق من أيديهم ، والقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك ، ولا يتم إلا بالرواتب بالفاظ غير مأثورة بل غير لغوية ، فإن من ألفاظ الرواتب ما ذكر البوني في ( اللمعة النورانية ) في دعوات الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء أن تقول : " هو هو هو هو ولا لا لا أو آه آه أو ها ها ها ها ها ها " وكل دعاء فيها فإنه يلاحظ فيه أحوال الكوكب التي ساعة النداء ساعته ، وكل ذلك الدعاء خطاب للنجوم ، وإن رأيت فيه ألفاظاً من أسماء الله فليس المراد به الرب تعالى ، وإنما هو على طريقة الذين يدعونهم الحكماء وهم المشركون عباد الأفلak ، فإنه قال البوني في " لمعته " في سياق ساعة عطارد : وهي الثالثة من يوم الأحد ثم ذكر خاتم عطارد وأنه عند الحكماء وأن شكله على هذه الصورة ومعدنه الزئبق ، وحجاره الزمرد الأخضر ، ويخوره العنبر ، ومداده اللازورد انتهى .

وله في كل كوكب من السبعة مثل هذا خاتم وشكل ، ويخور ومداد ، وكل مؤمن يعلم يقيناً أن هذا ليس من الشرع المحمدي ، وأنه من طرق الكهانة والسحر والخطاب للكوكب وأنه الفعال ، فإذا لم يكن هذا من المحرمات فأي شيء الحرام ( ١ ) ؟ وأما ابن خلدون فقد تقدم كلامه في أول هذا البحث.

ومما يؤكد أن علم الحروف والأوفاق من السحر ما جاء في كتاب " سر العالمين " المنسوب لحجة الإسلام الغزالي حيث قال : ( أما السحر فهو عمل وكلام تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة ، فإذا أردت أن تولد طلسماً يصلح لما تريد ، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً ، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد ، فانظر في الإسطرلاب عند ساعة التأليف ، فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة ، ومثال : أ ب ت ث فتأخذ الجيم ، والثاء أليق عوضاً عن الجيم ، ج ح خ خذ الصاد ، ص ط ظ خذ العين ، فيصير عقرباً ، لتدوير الحروف ، فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاميتها عنك أذى النساء ، ترمي الخاتم في الماء فينفع سقياه الملسوع وتلقي

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٢٢-٢٣ ) .

به سواءً بين من أردت ، وترش من مائه على سطح المبغض أو طريقه أو داره فإنه ستضرر منه سنة ...

" ذكُرُ كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم " تأخذ أفرداً من شعير حزام ، وتقول عليه أربع مرات : " ها طاش ما طاش هطاشنة ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة " ، وترميه من حيث لا يشعرون ، وتنظر ما يصنع الله ... وكثير مثل هذا ، وقد حصرناها وشرحنها في كتاب " عين الحياة " وهو صغير الحجم كثير الفوائد .

ومما قال : " واعلم أن هذه الصناعة " صناعة الإكسير " هي صناعة ريانية لا يقدر عليها إلا الأبدال والرجال والأبطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم ، وهذه لا تصح إلا للطائع ... ونحن نذكر خواصاً دالة مظهرة لبدائعها وصناعاتها مذكورة في كتاب " عين الحياة " <sup>١</sup> .

وللتأكد أكثر خذ هذه الشذرة من عقد " شمس المعارف الكبرى " عمدة القوم الذي يروونه بالسند ويجيز فيه أكابر مريديهم قال :

### ( باب رياضة " قل أوحى " المشهورة )

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلك ، صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء ثم الأربعاء والخميس ، وهو صيامك عن غير ذي روح ، وأن تتبخر بحصى لبان و جاوي ليلاً ونهاراً ، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام ألف مرة في تلك المدة المذكورة ... واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثالث الأوسط من الليل ، فإنه يحضر لك خادمها ، وهو رجل قصير طويل اليدين ، فيجلس قدامك ، ويقول لك : " السلام عليك " ، فتبّت جناحك ، فإن عليه هيبة عظيمة ... والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور . واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة وأنها من كتب الأنبياء والأولياء وأسرارهم ، وهي هذه تقول : " بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى إلي ... " ، اللهم إني أسألك يا منزل الوحي من فوق سموات ... " ، "إلا من ارتضى من رسول ... وأحصى كل شيء عدداً " اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين ... يا خدام هذه الدعوة الروحانيين ... أقسمت

<sup>١</sup> بواسطة الكشف عن حقيقة الصوفية ص ( ٨٥٩ - ٨٦٣ ) .

عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش ، كلهوش ، بططهوش ، كمطهلوش ، بهوش ، قانوش ، أقسمت عليك يا روقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس <sup>١</sup> ، فهذه هي حقيقة علم الحروف والأوفاق ويدخل فيها التسخير .

يظهر مما مثل به لهذه العلوم أن فيها استعانة بالشياطين ووضع آيات الله تعالى في غير مواضعها ، والضرر الكبير بعقيدة الساحر وعقيدة من يأتيه ومن يتعامل معه ، وحتى اختصر الطريق فإني أنقل كلام نخبة من العلماء يقررون حكم تعاويذ السحر وينقلون الإجماع على تحريم تعلم السحر والعمل به وإتيان السحرة .

يقول ابن قدامة في المغني : ( تعلم السحر وتعليمه حرام ، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم ، قال أصحابنا : ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ) <sup>٢</sup> .

وقال النووي : ( عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع ) .

وقال الذهبي : ( الكبيرة الثالثة : السحر ؛ لأن الساحر لا بد وأن يكفر ، قال الله تعالى ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ <sup>٣</sup> ، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به ، قال الله تعالى عن هاروت وماروت : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ إلى أن قال : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ﴾ <sup>٤</sup> ... الآيات ، فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنون أنه حرام فقط وما يشعرون أنه الكفر ، فيدخلون في تعلم السيمياء وعملها وهي محض السحر ، وفي عقد المرء عن زوجته وهو سحر ، وفي محبة الزوج لامراته وفي بغضها وبغضه وأشياء ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال ) <sup>٥</sup> .

وفي كلام الذهبي فائدة كبيرة هي : التنصيص على أن السيمياء من السحر الذي ذلك حكمه .

<sup>١</sup> شمس المعارف ص ( ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ ) بواسطة الكشف عن حقيقة الصوفية ص ( ٨٦١ ) .

<sup>٢</sup> المغني ( ٣٤/٩ ) المغني لموفق الدين بن قدامة .

<sup>٣</sup> البقرة ( ١٠٢ ) .

<sup>٤</sup> البقرة ( ١٠٢ ) .

<sup>٥</sup> الكليات ص ( ٤٥ ) للحافظ محمد أحمد الذهبي ، مؤسسة علوم القرآن دمشق الطبعة الأولى ( ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ) .

وقال الحافظ ابن حجر : ( وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو الكواكب ، أما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً )<sup>١</sup> .

### المطلب الخامس : تعريف الرمل وأنه من علوم الكهانة وبيان حكمه في الشرع :

#### تعريف الرمل :

( هو علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج )<sup>٢</sup> ، وقد أدخله بعضهم في علوم التنجيم<sup>٣</sup> وعده بعضهم من أنواع الكهانة<sup>٤</sup> ولا تناقض فهو مرتبط بالاثنتين وقد عد التنجيم من الكهانة .

وإذا عرفت ذلك فالكهانة محرمة بل من أكبر الكبائر ، قال العلامة ابن حجر المكي : ( الكبيرة الرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعشرون ، والثلاثون ، والحادية والثانية ، والثالثة ، والرابعة والخامسة ، والثلاثون بعد الثلاثمائة : الكهانة والعرافة والطيرة والطرق والتنجيم والعيافة وإتيان الكاهن وإتيان عراف وإتيان طارق وإتيان منجم وإتيان ذي طيرة ليتطير له أو ذي عيافة ليخط له - وبعد أن سرد الآيات والأحاديث في ذلك قال- : ( تنبيه ) : عد هذه المذكورات هو- وإن لم أره كذلك- صريح هذه الأحاديث في أكثرها وقياساً في البقية وهو ظاهر ؛ لأن الملاحظ في الكل واحد ، والكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضررات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك ، وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال : هي تعاطي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان ، وادعاء علم الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك ، والعراف بفتح المهملة وتشديد الراء قيل الكاهن ، ويرده الحديث السابق : عرافاً أو كاهناً ، وقيل الساحر ، وقال

<sup>١</sup> الفتح ( ٤٢٤/١٠ ) .

<sup>٢</sup> كشف الظنون ( ٩١٢/١ ) لحاجي خليفة .

<sup>٣</sup> انظر : التنجيم والمنجمون وحكم الإسلام فيهم ص ( ٣٠ ) تأليف عبدالمجيد بن سالم المشعي ، طبع مكتبة الصديق بالطائف ، ومكتبة ابن القيم بالمنورة ، الطبعة الأولى ( ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ) .

<sup>٤</sup> مرقف الإسلام من السحر ( ٢١٦/١ - ٢٢٦ ) .



البغوي : هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه ، ومعرفة مكان الضالة ونحو ذلك ، ومنهم من يسمي المنجم كاهناً ، قال أبو داود : والطرق ، أي بفتح فسكون الزجر أي زجر الطير ليتيمن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن أو إلى جهة الشمال تشاءم ، وقال ابن فارس : الضرب بالحصى وهو نوع من التكهين .

والمنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره ، فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدي به ذلك إلى الكفر ، أما من يقول : إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف فإنه لا إثم عليه بذلك ، وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي من الوقت فإنه لا إثم فيه بل هو فرض كفاية ، وفي حديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : (( صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في إثر سماء - أي مطر - كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : أتدرون ماذا قال ربيكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطربنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب . وأما من قال مطربنا بنوء كذا - أي وقت النجم الفلاني - فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ))<sup>١</sup> .

قال العلماء : من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر أو أنه علامة على نزول المطر ومنزله هو الله وحده لم يكفر ، ويكره له قول ذلك ؛ لأنه من ألفاظ الكفرة . وروى الشيخان (( أن أناساً سألوا النبي ﷺ عن الكاهن أو الكهان فقال : " ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بشيء أو بالشيء فيكون حقاً ، قال رسول الله ﷺ :

<sup>١</sup> البخاري ( ٢٩٠/١ ) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، مسلم ( ٦٠-٥٩/٢ ) مع النووي ، كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطربنا بالنوء .

(( تلك الكلمة من الوحي يخطفها الجني فيقرها - أي يلقيها في أذن وليه - فيخلط معها مائة كذبة )) .

وللبخاري (( إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوجه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم ))<sup>(١)</sup> .

وفي خصوص الرمل يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح مسلم : ( قوله " ومنا رجال يخطون قال : كان نبي من الأنبياء عليهم السلام يخط فمن وافق خطه فذاك " ) يختلف العلماء في معناه فالصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح ، والمقصود أنه حرام ؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها ، وإنما قال النبي ﷺ فمن وافق خطه فذاك ولم يقل : هو حرام بغير تعليق على الموافقة لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط ، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا ، فالمعنى أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها .

وقال الخطابي : هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذ كان علماً لنبوة ذاك النبي وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك .

وقال القاضي عياض : " المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول لا أنه أباح ذلك لفاعله ، قال : ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن )<sup>(٢)</sup> .

وبعد هذا التصوير البسيط لتلك الأنواع من علوم السحر والكهانة التي يتعاطاها القبرورية أو بعضهم وبيان حكمها من أقوال أئمة أهل العلم وهي كلها محرمة كيف يسوغ تعلمها أو تعليمها أو العمل بها أو إقرار العاملين بها ؟ خصوصاً أن لها آثاراً مدمرة في

<sup>١</sup> البخاري ( ١٨٠٤/٤ ) كتاب التفسير باب حتى إذا فرغ عن قلوبهم ، ومسلم ( ١٧٥٠/٤ ) كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، واللفظ الأخير للبخاري ( ١١٧٥/٣ ) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة .

<sup>٢</sup> الزواجر عن اقتراف الكبائر ( ١٠٩/٢ - ١١٠ ) .

<sup>٣</sup> شرح مسلم ( ٢٣/٥ ) .

المجتمعات ، وإذا كان ذلك غير سائغ فكيف يُجعل العالم بها والمتعاطي لها ولياً ، وما يظهره من خوارق بواسطتها كرامات ، إن هذا لشيء عجاب !.

استخدام الجن :

وأما استخدام الجن بالصورة التي مرت فإنما هي غالباً تقع بواسطة تلك العلوم ، فتلك العلوم عمدتها تسخير الجن ، وبهذا تعرف حكم من يدعي أنه يسخر الجن في مصالحه ، أو لما يشاء من أغراض سواء في علاج بعض الأمراض أو إخراج السحر والجن من المصروعين والمسحورين أو كشف بعض المغيبات ، أو يستعين بهم على إثبات قدرته ويتحدى بهم من ينازعه ويخوف بهم من لا يقدره ولا يحترمه .

وفي خصوص هذا الموضوع يقول الدكتور عمر بن سليمان الأشقر - حفظه الله - في كتابه "عالم الجن والشياطين" : ( هؤلاء الذين يزعمون الولاية - والحقيقة أن الشياطين تخدمهم - لا بد أن يتقربوا إلى الشياطين بما تحبه من الكفر والشرك كي يقضوا بعض أغراضه .

ويذكر ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٣٥/١٩ - " أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة ، وقد يقلبون حروف كلام الله ﷻ ، إما حروف الفاتحة ، وإما حروف قل هو الله أحد ، وإما غيرهما ، ويذكر أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات ، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك ، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم إما تغوير ماء من المياه ، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس ، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به وإما غير ذلك " <sup>١</sup> .

وأختم هذا المطلب بكلام جميل حافل بالتحقيق والتدقيق مؤيد بالأدلة من الكتاب والسنة يلقي الضوء على كثير مما مر في هذا المطلب وما سبقه من مطالب ، ويتناول مع موضوع هذا المطلب موضوعاً آخر طالما لهج به القبورية ووصفوا أجلة أوليائهم به ، وهو التقاؤهم برجال الغيب .

<sup>١</sup> عالم الجن والشياطين ص ( ٩٦-٩٧ ) ، للدكتور عمر سليمان الأشقر ، طبع مكتبة الفلاح بالكويت الطبعة الرابعة ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ) .

قال : ابن أبي العز<sup>١</sup> - رحمه الله - : ( وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه ، والأكثر يقولون : إنه قد يؤثر في موت المسحور وممرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه ، وزعم بعضهم أنه مجرد تخيل .

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة ، أو غيرها أو خطابها ، أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك ، فإنه كفر ، وهو من أعظم أبواب الشرك ، فيجب غلقه ، بل سده وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام ، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله : ﴿ فنظر نظرة في النجوم . فقال إني سقيم ﴾<sup>٢</sup> وقال تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ﴾<sup>٣</sup> الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾<sup>٤</sup> واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به ، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه فلا يتكلم به وإن أطاعته به الجن وغيرهم ، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف ، ولهذا قال النبي ﷺ : (( لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً ))<sup>٥</sup> ولا يجوز الاستعاذة بالجن ، فقد ذم الله الكافرين على ذلك ، فقال تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾<sup>٦</sup> قالوا : كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه ، فبييت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿ فزادوهم رهقاً ﴾ يعني : الإنس للجن ،

<sup>١</sup> هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين بن أبي العز الدمشقي الحنفي ، ولد سنة ( ٧٣١ هـ ) وتوفي سنة ( ٧٩٢ هـ ) ، له عدد من المؤلفات النافعة من أشهرها شرح الطحاوية الذي يعد أفضل شروحها وأنقأها من الانحراف والبدع . انظر ترجمته : كشف الظنون ص ( ١١٤٣ ) ، وهدية العارفين ( ٧٢٦/١ ) ، ومقدمة شرح الطحاوية طبع مؤسسة الرسالة

( ١ / ٦٣ - ١٠٤ ) ، تحقيق الدكتور عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط طبع مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ( ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ) .

<sup>٢</sup> الصافات ( ٨٨ - ٨٩ ) .

<sup>٣</sup> الأنعام ( ٧٦ ) .

<sup>٤</sup> الأنعام ( ٨٢ ) .

<sup>٥</sup> مسلم ( ١٧٢٧/٤ ) كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

<sup>٦</sup> الجن ( ٦ ) .

باستعادتهم بهم ، رهقاً أي إثمًا وطغياناً وجراًءاً وشرّاً ، وذلك ، أنهم قالوا : قد سُدنا الجن والأنس ، فالجن تعاطف في أنفسها ، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة ، وقد قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾<sup>١</sup> فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم ، وأنها تنزل عليهم ضالون ، وإنما تنزل عليهم الشياطين ، وقد قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾<sup>٢</sup> فاستمتع الإنسي بالجن في قضاء حوائجه ، وامتنال أوامره ، وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك ، واستمتع الجن بالإنس تعظيمه إياه ، واستعانته به ، واستغاثته وخضوعه له .

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية ، والكشوف ومخاطبة رجال الغيب وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله ، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ! ويقول : إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين ، لكون المسلمين قد عصوا !! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين .

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب : حزب يكذبون بوجود رجال الغيب ، ولكن قد عاينهم الناس ، وثبت عن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه ، وهؤلاء إذا رأوهم ، وتيقنوا وجودهم ، خضعوا لهم .  
وحزب عرفوهم ، ورجعوا إلى القدر ، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء .

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول ، فقالوا يكون الرسول هو ممداً للطائفتين ، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه .

والحق : أن هؤلاء من أتباع الشياطين ، وأن رجال الغيب هم الجن ويسمون رجالاً ، كما قال تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾<sup>٣</sup> . ولا

<sup>١</sup> سبأ ( ٤٠ - ٤١ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ١٢٨ ) .

فالإنس يؤنسون أي يشهدون ويُرون ، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس ، ومن ظن أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله ، وسبب الضلال فيهم وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن .

ويقول بعض الناس : الفقراء يسلم إليهم حالهم ، وهذا كلام باطل ، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية ، فما وافقها قبل ، وما خالفها رد ، كما قال النبي ﷺ : (( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ))<sup>١</sup> وفي رواية (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ))<sup>٢</sup> .

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا شريعة إلا شريعته ، ولا عقيدة إلا عقيدته ، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> رواه البخاري ( ٩٥٩/٢ ) كتاب العلاج باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ومسلم ( ١٣٤٣/٣ ) كتاب الأفضية باب نقض الأحكام ورد محدثات الأمور .

<sup>٢</sup> مسلم الموضع السابق .

<sup>٣</sup> شرح العقيدة الطحاوية ( ٧٦٨-٧٦٤ / ٢ )

## المبحث الثاني نشر الخرافة في الأمة وفيه أربعة مطالب :

### المطلب الأول : تعريف الخرافة

في اللغة :

قال ابن الأثير : ( وفي حديث عائشة : " قال : لها حدثيني ، قالت : ما أحدثك حديث خرافة " خرافة : اسم رجل من عذرة استهوته الجن ؛ فكان يحدث بما رأى ، فكذبوه وقالوا حديث خرافة ، وأجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث ، وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : (( خرافة حق )) والله أعلم )<sup>١</sup> .

وقال ابن منظور : ( والخرافة الحديث المستملح من الكذب ، وقالوا : حديث خرافة ، ذكر ابن الكلبي في قولهم خرافة أن خرافة من بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه فجري على ألسن الناس ، وزوي عن النبي ﷺ أنه قال : (( وخرافة حق )) وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، قال لها : حدثيني قالت : ما أحدثك حديث خرافة ، والراء فيه مخففه ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن يريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل أجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه )<sup>٢</sup> ، فهو إذن في اللغة ما يستملح من الكذب ويتعجب منه .

<sup>١</sup> الحديث رواه أحمد في مسنده ( ١٥٧/٦ ) وأبو يعلى ( ٤١٩/٧ ) ، من حديث مجاهد بن سعيد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة والحديث ضعيف لوجود مجاهد بن سعيد قال عنه في التقريب : ( ليس بالقوي ) وقد ضعفه الشيخ الألباني في سلسلته الضعيفة ( ٢٠٢/٤ ) حديث رقم ( ١٧١٢ ) ، وضعفه كذلك حسين أسد محقق مسند أبي يعلى ( ٤٢٠ / ٧ ) .

<sup>٢</sup> النهاية في غريب الحديث ( ٢٥ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> لسان العرب ( ٦٥/٩ - ٦٦ ) .

### في الاصطلاح :

الناس يقرنون الخرافة بالبدع فيقولون " البدع والخرافات " و " هذا من خرافات الصوفية "

ويقصدون به بدعهم ومحدثاتهم ، والصحيح التفريق ، فالبدع هي " المحدثات في الدين " وأما الخرافات فهي " ما يشيعه القبوريون وغيرهم من المبتدعة من المناقب والكرامات المخترعة التي لا أصل لها ، ولا يثبت وقوعها بسند شرعي أو دليل مادي ، فتردها العقول وتمجها الأذواق السليمة " .

### المطلب الثاني : الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية :

لقد حدد الله تعالى مفهوم الولاية وحقيقة الولي بسهولة بعيداً عن التكلف ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>١</sup> ، فولي الله هو المؤمن المتقي له ، ليس له سيما غير الإيمان والتقوى ، فكلما تحقق بهما زاد ولاية وقرباً من الله تعالى ، ولا يشترط ظهور الخوارق على يديه ولا صدور الشطح ولا التبجح عنه ، ولا أن يكون من نسب معين أو من أتباع طريقة معينة : بل نسبه الإسلام ومتبوعه محمد ﷺ وكفى ، يسلك للهداية سبلها ويدخل الولاية من أبوابها ، ويترقى فيها كلما ازداد بعد الفرائض بالنوافل ، وبعد الإيمان باليقين والإحسان ، يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>٢</sup> ، ويقول الرسول ﷺ : (( إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيَنَهُ وَلِئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمَنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَ تَهُ ))<sup>٣</sup> ، فجعل المدخل فعل الفرائض ، والمصعد الذي يرتقي به في درجات

<sup>١</sup> يونس ( ٦٢-٦٤ )

<sup>٢</sup> سورة العنكبوت ( ٦٩ ) .

<sup>٣</sup> البخاري ( ٥ / ٢٣٨٥ ) كتاب الرقاق باب التواضع من حديث أبي هريرة .



القرب فعل النوافل يورثب على ذلك الحفظ التام والرعاية الكاملة والمعية الشاملة ، هذا هو الولي الذي جاء الوحي بصفته وحدد طريق وصوله إلى تلك الولاية .

والصوفية القبورية المنحرفة لم ترضَ ذاك السبيل ولم تسلك ذلك المنهج ؛ بل اتخذت للوصول سبلاً مبتدعة ؛ إما بالمجاهدات التي تشبه مجاهدات البراهمة والبوذيين ، أو بدعوى الوهب الذي لا يستند إلى سبب من الأسباب المعروفة ، أو بمنحة من الولي الأكبر والقطب الأعظم الذي أوكل إليه تصريف هذا الكون فقالوا : " إن نظرة واحدة منه تنقل المرید إلى مواطن الرجال " <sup>١</sup> ، وحيناً يمنحون الولاية للمجانين أو الفسقة المجرمين ، قد يتعجل بعض القراء فيتعجب أو يغضب من هذا الكلام ولكن لو أنه صبر حتى أقص عليه بعضاً من أخبار القوم لزال تعجبه وذهب غضبه إن شاء الله .

#### طريقة عرض الخرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الولاية :

الخرافات في هذا الباب كثيرة جداً لا يمكن حصرها وضبطها ، ولكن مادام الغرض هو إعطاء أدلة على ما ذكرته في المقدمة فسوف أبوب ما أورده من تلك الخرافات ؛ حتى يسهل استيعابها ويتيسر لي حسن عرضها .

#### نشأة الولاية وتكوينها :

ابتداء الولاية منذ الحمل بالولي وقبل خروجه إلى هذه الحياة ، بل والولي ما يزال في صلب الوالد قبل أن يقذفه في رحم أمه بل قبل أن يتزوج بها ، جاء في شرح العينية في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم : ( ولما أبطأ عن التزوج ، نطق ذريته من ظهره : نحن في ظهرك تزوج وإلا خرجنا من ظهرك ، وكان لا تحمل له امرأة إلا نطق حملها : أنا ابن صالح أو عبد صالح ) <sup>٢</sup> .

#### الجنين يفصل النزاع الدائر بين أبويه حول تسميته :

جاء في الجزء اللطيف: ( وأخبرني بعض الثقات أن الشيخ عبد الله بن أبي بكر رحمته الله تنازع هو وزوجته عائشة بنت الشيخ عمر المحضار رضي الله عنها في تسمية ولدهما الشيخ أبي

<sup>١</sup> انظر : تذكير الناس ص ( ٢٦٠ ) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٧٣ ) .

بكر ، وهو يقول نسميه أبا بكر وهي تقول نسميه عمر ، وهو إذ ذاك حمل في بطنها ، فلم يلبث قليلاً إلا وجاءهم الشيخ سعد ابن علي مدحج فقال لهما : إن الولد الذي في بطنك يا عائشة أتاني الآن إلى المسجد وقال : إن اسمي أبو بكر <sup>١</sup> .

ويقرأ في اللوح المحفوظ حين ولادة أمه به :

وقال علي بن محمد الحبشي : ( وقالوا : إن سيدنا أبو بكر العيدروس العدني لما تعسّرت به أمه في الولادة قال أبوه سيدنا عبد الله بن أبي بكر : هذا ولدي ما با يخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ باقي معه أسطربا يتمها وبا يخرج ) <sup>٢</sup> .  
وليّان يتنازعان في بطن أمهما أيهما يخرج أولاً ثم يقع الصلح على أن الذي يتأخر يكون له الظهور في المستقبل :

في كتاب " الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر " قال : ( وفي مجموعة العلامة الكبير المحقق الحبيب علي بن محمد الحبشي جمع السيد الفاضل محمد بن عمر مولى خيله قال " إن الشيخ أبا بكر وأخاه عقيلاً تكلموا في بطن أمهما الشريفة طلحة بنت عقيل بن أحمد بن أبي بكر السكران ، فقال الشيخ لأخيه ما معناه : إن أردت الخروج قبلي فأخرج والظهور في المستقبل سيكون لي وإلا فأخرج قبلك ولك ذلك ، فاختار أخوه الخروج وارتنى به وكان الظهور لصاحب الترجمة نفع الله بهم ) <sup>٣</sup> .  
وولي يؤدّن في بطن أمه :

في التعليق على الموضوع السابق من الجواهر قال : ( وفي كتاب أنيس السالكين جاء فيه : أن صدر الدين بن الشيخ بهاء الدين كانوا يسمعونهُ يؤدّن في بطن أمه وقت الأذان انتهى ) <sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> الجزء اللطيف تأليف أبي بكر العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص ( ٩ ) .

<sup>٢</sup> كنوز السعادة الأبدية ص ( ٢٢٧ ) .

<sup>٣</sup> الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر تأليف عبد الله بن أحمد الهدار ( ٣١/١ ) طبع دار الفكر الحديث القاهرة ( ١٣١١ - ١٩٧١ ) ، وانظر : تاج الأعراس ( ٣٨ / ١ ) .

<sup>٤</sup> الجواهر ( ٣١/١ ) .

وولي آخر يعطس في بطن أمه ويحمد الله :

قال صاحب تاج الأعراس : ( وقال الإمام المحقق والبحاثة المدقق الحبيب علي بن حسن العطاس في السفر الأول من كتابه " القرطاس في مناقب العطاس " : ولقبّ بالعطاس لأن ذلك كان كرامة له فإنه عطس في بطن أمه فحمد الله وسمع ذلك منه وهو في بطن أمه وهي أعني العطسة لا تزال في ذريته تسمع منهم أن بعد أن في كل زمان على تعاقب الأحيان حتى لا يندرس أثر تلك الكرامة ، و أول من عطس في بطن أمه هو سيدنا عقيل بن سالم شقيق الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات فصارت باقية في عقبه غير أنه لم يشتهر بها من أولاد سيدنا عقيل إلا سيدنا عمر بن عبد الرحمن فإنها صارت علماً عليه وعلى أولاده بل و أولاد أخيه عقيل بن عبد الرحمن و عبد الله بن عبد الرحمن ، وأما بقية أولاد سيدنا عقيل بن سالم فإنه يقال لهم آل عقيل بن سالم ، فائدة : اسم العطاس إذا قلبته صار الساطع فافهم )<sup>١</sup> .

إنشاء الأولياء وتلقيهم الولاية والعلم :

قلت في المقدمة أن الصوفية قد انحرفوا في مفهوم الولاية ، وترتب على ذلك الانحراف عدد كبير من الانحرافات، من ذلك الحصول على الهداية والولاية والعلم ، وهذه أمثلة تبين بعض تلك الانحرافات .

الأقطاب تصنع الأبدال :

قال الشرجي في ترجمة علي بن المرتضى الحضرمي : ( يروى أنه خرج يوماً من مدينة زبيد إلى ناحية البحر ومعه فقير من فقرائه ، فمروا في طريقهم بشيء من زرع الذرة ، فقال الشيخ للفقير : خذ معك شيئاً من هذا القصب ، ففعل الفقير وبقي متعجباً في نفسه من ذلك ، حتى بلغا محلة لعبيد يقال لهم السناكم ، بفتح السين المهملة و قبل الألف نون و بعده كاف مكسورة ، يأكلون الميتات ويشربون المسكرات ، ولا يعرفون الصلوات ، ولا شيئاً من الشرائع ، فوجدهم الشيخ يشربون ويلعبون وفيهم شيخ طويل يضرب لهم في طبل ، فقال الشيخ للفقير : ادع لي هذا الذي يضرب بالطبل فدعاه فلما وصل إلى الشيخ قال للفقير : أضربه بالقصب الذي معك ، فضربه حتى استوفى منه حد السكر ، ثم قال له الشيخ : امش معنا ، فمشوا حتى بلغوا البحر ، فأمره الشيخ أن يغتسل ويغسل ثيابه ، ففعل ثم علمه كيفية

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٣٨ - ٣٩ ) .

الوضوء والصلاة ثم صلى بهم الشيخ صلاة الظهر ، فلما فرغوا قام الشيخ وفرش سجادته على البحر ، وقال له : تقدم ، فقام و وضع قدميه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين ، فالتفت الفقيه إلى الشيخ وقال : وامصبيته لي معك كذا وكذا سنة ما حصل لي شيء من الأمر ، وهذا حصل له هذا المقام في ساعة واحدة ، فقال له الشيخ : يا ولدي إيش كنت أنا ، هذا فعل الله تعالى ، قيل لي فلان من الأبدال توي في الأرض الحبشة ، فأقم فلاناً مقامه ، فامتثلت أمره )<sup>١</sup> .

فانظر إلى هذا الولي الذي جاءه الأمر من رب العالمين ينصب لأهل أفريقيا بدلاً مكان البديل الذي كان لديهم ، وكأن الأمر تخصصات إدارية ، لكل جهة مسؤول هو يولي ويعزل فيها ، ثم انظر كيف كان الاختيار لذلك الجاهل المغرق في الجهل الذي لا يعرف من طاعة ربه شيئاً ولا يتورع عن شيء من معصيته كيف تحول في ساعة واحدة إلى بدل ! والبديل عندهم له منزلة خطيرة ، ثم كيف أعطى تلك الكرامة ؟ ولا أدري أهي كرامة للولي الأول أم الثاني ؟ فسبحان الله عما يفترون !.

#### طرق أخذ بعضهم للعلم :

طائر يصب العلم في فم الولي فيصبح فقيهاً عالماً إماماً عارفاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة :

قال الشرجي في ترجمة محمد بن حسين البجلي : ( يروى أنه كان في بدايته يقرأ على الفقيه إبراهيم بن زكريا مقدم الذكر ، فاتفق أنه مرض فلم ينتظره أصحابه الذين زاملوه في القراءة فلما عوفي ذهب إلى بلد شيخه هو وأخوه الفقيه علي ، كان صحبه ليستمع منه القراءة ، فلما حمي عليهما النهار عدلا إلى ظل شجرة ، فنام الفقيه محمد فجاء طائر ، فجعل فمه في فمه ، وجعل يصب فيه شيئاً له رائحة طيبة ، وأخوه ينظر إليه ، فلما استيقظ الفقيه قال لأخيه : ارجع بنا ، فرجعا إلى بلدهما فاتفق أن مرض الفقيه محمد بعد ذلك ، فوصل إليه شيخه الفقيه إبراهيم يزوره في جماعة من الدراسة ، وألقى عليه الفقيه إبراهيم عدة مسائل ، فأجاب عنها جواباً شافياً ، فقال له : يا فقيه محمد هذا علم أعيطته ليس هذا

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٢٢٢ ) .

من القراءة ، ثم فتح الله عليه بعد ذلك بمعرفة تامة في دقائق العلوم ، وكان له في الحقائق مصنف سماه الباب <sup>١</sup> .

ويتكرر المشهد و يأتي الطائر الأخضر ليصب العلم في فم ولي آخر وزيادة على ذلك تنفلق الصخرة ليظهر منها كف أبي بكر الصديق ليصافحه وينصبه شيخاً :

وقال الشرجي كذلك في ترجمة أحمد بن علوان : ( كان أبوه كاتباً يخدم الملوك ونشأ هو على طريقة أبيه من الاشتغال بالكتابة ، وقرأ في النحو واللغة وغير ذلك من فنون الأدب ، ثم قصد إلى باب السلطان ليخدم معه مكان أبيه ، فبينما هو في الطريق إذا وقع على كتفه طائر أخضر و مد منقاره إلى فمه ، ففتح الشيخ فاه فصب فيه الطائر شيئاً فابتلعه ، ثم رجع من فوره ، ولزم الخلوة من حينه ، واعتكف أربعين يوماً ، ثم خرج وقعد على صخرة عظيمة يذكر الله تعالى ، فانفلقت الصخرة عن كف ، وسمع قائلاً يقول له : صافح هذا الكف فقال : ولئن هو ؟ فقبل له : كف أبي بكر الصديق ﷺ ، فصافحه ، وسمع قائلاً يقول له قد نصبتك شيخاً . وإلى ذلك أشار في بعض كلامه يخاطب أصحابه حيث قال : وشيخكم أبو بكر الصديق ﷺ ، ثم ألقى الله تعالى له القبول والمحبة في قلوب العالم ، وتبعه خلق كثير من الناس ، وظهرت كراماته وتواترت مكاشفاته ، وكان له كلام حسن في الوعظ على طريق ابن الجوزي ، حتى كان يقال له : جوزي اليمن بجمع من كلامه في ذلك كتباً كثيرة ، وله في التصوف فصول كثيرة أيضاً يتكلم فيها على لغات شتى .

سئل بعض أصحابه عن معرفة الشيخ لتلك اللغات وهو عربي ، وأهل بلده لا يعرفون غير العربية ، ولم يعلم له خروج عن بلده ، فقال : كان روح الشيخ مهبطاً لأولياء الله تعالى ، ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ ، فكان ينطق بها كما يقولون ، والدليل على ذلك أنه كان يكتب كلامه ثم يستعرضه ، فما لم يدركه من ذلك غسله ، وكان متى علم أن في الحاضرين من لا يفهم كلامه قال : يا قائماً في الماء وهو عطشان ) <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٢٦٧-٢٦٨ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٦٩ ) .

وولي ثالث يخرج إليه الولي الميت يقرؤه القرآن :

قال صاحب تذكير الناس : ( وقال سيدي علي بن محمد الحبشي مخاطباً لسيدي أحمد عليه السلام صلينا مرة خلف الحبيب أحمد بن محمد المحضار صلاة الصبح ، فلما قضى الصلاة التفت إلينا ، وقال قراءتي برزخية هل أعجبتكم ؟ قلنا : ما أحسنها قراءة ، فقال : إني لما كنت أتعلم القرآن ضريني المعلم ذات يوم ضرباً مؤلماً فهربت منه ، وجئت إلى قبر الشيخ يوسف ابن أحمد بحر النور ؛ فلما دخلت عنده ظهر لي الشيخ من قبره ، وعليه حلة من ذهب ، وقال : أنا أقرئك القرآن ، تعال إلى عندي كل يوم فكنت آتية فيخرج من قبره يقرئني ، وكنت إذا جن علي الليل وأنا عنده يطلع قدامي حامل المصباح إلى بيتي ، فقال سيدي أحمد لسيدي علي : وأنا سمعت هذا منه )<sup>١</sup> .

تجزؤ الولي وتضخم جسمه وسريانه في الكون وتحول أعضائه إلى نور ورؤية الآيات

مكتوبة عليها وسماعها وهي تذكر الله تعالى :

قدمنا في مطلب سابق قول صالح بن عبد الله العطاس بأن الولي يتجزأ ؛ فيكون جزء منه يعبد الله وجزء آخر يتصرف في أمور معاشه ، وذلك عند ذكر الولي الذي لم ير يصلي أبداً ، وفي المشرع في ترجمة حسين بن أحمد بن عبد الرحمن اشتهر والده ببا بريك ، قال الشلي : ( وشهد له غير واحد أنه كان يتجزأ ، منهم الشيخ عبد الرحمن بن علي قال : رأيته في مسجد العيدروس ورأيته في مسجد سرجيس ، ورجعت إلى مسجد العيدروس فرأيته ، ورجعت إلى مسجد سرجيس فوجدته فسألت أهل المسجدين فقالوا ما غاب عنا ، وكذا حكى عن السيد الجليل محمد بن علوي الملقب سطيحه )<sup>٢</sup> ، فانظر إلى هذا التأكيد والاستدلال على تجزؤ الأولياء وهو أمر مستحيل عقلاً و لم يأت ما يثبت شرعاً .

وقال الشرجي في ترجمة الشيخ عبد الله باعباد : ( وكان الشيخ عبد الله نفع الله به قد تطرقه في بعض خلواته حالة حتى يعلوه نور عظيم ، وقد يغيب شخصه في ذلك النور ، وربما عظم جسمه حتى يملأ البيت )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٢٨ ) ..

<sup>٢</sup> المشرع ( ٨٨/٢ ) .

<sup>٣</sup> الطبقات ص ( ١٧٨ ) .

وقال علي بن محمد الحبشي : ( ولما جاء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى إلى قرسي وفيها الحبيب أحمد بن عبد الله بافقيه وأولاده شيخ ومحمد ، وكلهم رجال فحضرت صلاة فقدموا فيها الحبيب عبد الله ابن عمر إماماً وكان الحبيب علوي بن هاشم جالساً في ناحية لم يصل معهم ، فقال الحبيب محمد في نفسه : كيف هذه الولاية وفيها خرق الشريعة ؟ وكيف تكون ولاية بلا صلاة ؟ فكاشفه والده الحبيب أحمد وقال له يا محمد : فقال : مرحباً فقال له : ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا تسع صور على صورة الحبيب علوي يصلين في الهواء فقال له هل تضر صورة واحدة جالسة لا تصلي وتسع يصلين ؟ ويذكر عنه أنه رؤي في نحو عشر بلدان ، وفعل في كل بلد ضيافة في وقت واحد .

والتجزيء لا يكون إلا للرجال ، أخبرني محمد محروس ، وكان من الرجال ، قال : إن عمر مشغان كان يتردد على عقيل بن حسن الجفري ، وأنه مرة جاء سأل عنه وسار على ستة ديار أو سبعة فوجده فيهن كلهن ، ولا هو في الظاهر متهم بهذا الأمر كله ، ولكنه له تعلق بالحبيب أبي بكر والحبيب حسن )<sup>١</sup> .

وولي آخر يسمع ذكر الله من قلبه وجميع جوارحه :

قال الشلي في ترجمة عبد الرحمن السقاف : ( ولما ضعف آخر عمره عن تلك المجاهدات اتخذ قارئاً يقرأ القرآن عنده وهو يسمعه ، وربما قرأه معه مدراسة ، وكان مع ذلك لا يدخل وقت الصلاة إلا وهو في المسجد ، متطهراً منتظراً للجماعة ، وإذا قام للصلاة قام لها كأنه شاب ، وربما اقتصر على الفرض ، وحكى أن تلميذه عبد الرحيم بن علي الخطيب وقع في نفسه شيء في ذلك فكاشفه الشيخ ، وقال له : إن إسماعيل بن محمد الحضرمي صلى الفرض وقام ليصلي النفل فنودي صل الفرض ونم عرض<sup>٢</sup> ، وكانت أعماله قلبية وأكثر طاعاته مخفية ، وكان لا يفتر قلبه ولسانه عن ذكر الله بالليل والنهار ، وكان يسمع لقلبه رجيف بالذكر والاستغفار ، وكان جمع من المشايخ الكبار يسمعون جميع أعضائه وشعره

<sup>١</sup> كنوز السعادة ص ( ٥٥-٥٦ ) .

<sup>٢</sup> كذا في الأصل .

وبشره يذكر الله ، واعترض بعض فقرائه عليه مخاطرة في مخالطته للعوام فسمع قلبه في حال خوضه في الحديث معهم يذكر الله فتاب عما خطر بباله <sup>١</sup> .

وقبل هذا كان يذكر في ترجمة السقاف أيضاً أن أخاه العارف بالله <sup>٢</sup> قال : ( وقعت بيني وبين أخي عبد الرحمن خصومة في نخل السوم ، فقلت في نفسي بماذا يفتخر علي يصوم وأصوم ويصلي وأصلي وأبونا واحد وضيضي أكثر من ضيفه ، فرأيت في منامي شخصاً يقول لي : قلت كذا وكذا قلت : نعم ، قال فسر معي فأتى بي إلى أخي عبد الرحمن فوجدنا جسده نوراً وعلى أعضائه مكتوب بالنور صورة الإخلاص ولا إله إلا الله محمد رسول الله ثم قال لي : إذا وصلت إلى هذا المقام فتكلم فأذعنت له من يومئذ ) <sup>٣</sup> .

ومن الرتب التي يدعونها لأوليائهم :

ما جاء في تذكير الناس قال : ( وجرى ذكر سيدي الحبيب الإمام الحسن بن صالح البحر ، في مجلس حضرة سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي ، وسيدي الحبيب أحمد ابن حسن العطاس ، فقال سيدي الحبيب علي : رأيت الأخ علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر ابن سالم ، فقال لي : إن فوق العرش رتبة ، يترأها أهل العرش كما يترأى النجوم أهل الدنيا ، فسألت لمن هذه الرتبة ؟ فقل لي : هذه رتبة حسن بن صالح البحر ) <sup>٤</sup> .

### الأقطاب الجهال :

أما ولاية الله تعالى فليس من شرطها التبخر في العلم وأن يعرف كل ولي لله بالعلم ويعد من أهله ، ولكن شيخ الطريقة أو الجماعة والمرشد لها لابد له من ذلك لحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه : (( إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا

<sup>١</sup> المشرع ( ١٤٤/٢ ) .

<sup>٢</sup> كذا في المشرع .

<sup>٣</sup> المشرع ( ١٤٣/٢ ) .

<sup>٤</sup> تذكير الناس ص ( ٢١٩ - ٢٢٠ ) .



واضلو))<sup>١</sup>، فواضح من الحديث أن المتصدر للناس على جهل أنه يضل ويضل، وهكذا وضع الصوفية قاعدة نظرية جيدة : فقال : " من تصوف قبل أن يتفقه تزندق " ، ولكن هذا لم يطبقوه فجعلوا كثيراً من الجهلاء والعوام مرشدين ومشايخ طريق ، هذا واقعهم .

وأنا أقول : فعلاً إن ذلك قد حصل ، وكثير من أولئك الجهال المتصدين قد تزندقوا وخرجوا عن حدود الشرع ، ولم يبق بأيدي معظمهم إلا التأويل لكلامهم وأفعالهم التي لو صدرت من إنسان غير مشهور لحكم الكل أنه زنديق .

يقول الشرجي في ترجمة جوهر بن عبد الله الصوفي : ( كان عبداً عتيقاً لبعض التجار، وكان يتعاطى التجارة في مدينة عدن ، وهو مع ذلك يحب الصوفية والفقراء ويكثر المجالسة لهم ، فلما حضرت الشيخ سعد الحداد الوفاة وكان له رباط وأصحاب ، فقال له أصحابه : ياسيدي من يكون الشيخ بعدك ؟ قال : الذي يقع على رأسه الطير الأخضر في اليوم الثالث من وفاتي ، فلما كان ذلك اليوم اجتمع الفقراء وحضرهم جماعة من الفقهاء وجمع كثير من عامة الناس ، وكان الشيخ جوهر من جملة من حضر ، وإذا بالطائر الذي وصفه الشيخ جاء وحط في طاقة من الرباط ، فعند ذلك استشرف للمشيخة أكابر أصحاب الشيخ سعد ، فجاء وحط على رأس الشيخ جوهر من بين سائر الحاضرين ، فقام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكى وقال : أين أنا من هذا وأنا رجل عامي لا أصلح لذلك ، فقالوا له قد أقامك الحق في هذا المقام فسيعلمك ما تجهل ويتولى عنايتك ، فقال : إن كان ولا بد فأمهلوني ثلاثة أيام أسعى في رد حقوق الناس ، فأمهلوه ، ثم قعد بعد ذلك في منصب المشيخة ، وكان جوهر كاسمه ، وظهرت له الكرامات ، ولاح عليه للخيرات إمارات )<sup>٢</sup> .

وآخرون منهم ينقلون الفتوى مباشرة عن رب العالمين :

قال في تذكير الناس : ( وسئل الشيخ أحمد الرملي عن مسألة وهو راكب على بغلة فأطرق وطأ رأسه إلى الأرض ، والتفت يمناً ويسره ، ثم رفع رأسه وأجاب السائل ، فسأله السائل عما صنع ، فقال له : إنك لما سألتني لم يكن لي علم بها فتصفحت كتب المشرق

<sup>١</sup> البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ( ٥٠/١ ) ، ومسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في

آخر الزمان ( ٢٠٥٨/٤ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ١٢٠ - ١٢١ ) .

والمغرب فلم أظفر بها ثم نظرت اللوح المحفوظ فلم أجدها ثم أخبرني قلبي عن ربي أو قال نزل بها ملك<sup>١</sup> .

#### الأولياء المجانين :

المجنون غير مكلف ولا يحكم عليه بعدالة ولا بفسوق ، كما أنه لا يوصف بولاية ولا بشقاوة ؛ لأن مناط التكليف العقل وهو غير موجود ، وإنما تكون المراتب تبعاً للأعمال والاعتقادات والمقاصد ، وكل ذلك في حق المجنون غير متوفرة ، ولكن الصوفية لأن ولايتهم ليست دائماً متعلقة بأشخاص الأولياء ، وإنما بما يجري على أيديهم أو ألسنتهم مما قد يكون من إلقاء الشيطان ينظرون لما يجري على يد المجنون الذي قد ركبه الشيطان وتوصل من خلاله إلى مآرب كثيرة من إضلال الناس ، ينظرون إلى ذلك المجنون على أنه ولي من أولياء الله أو قطب أو بدل .

يقول الشرجي في ترجمة الصديق الملقب بربش : (كان رجلاً مجذوباً لا يزال مقيداً لما تغير عقله ويطش بالناس ، وكان كثير الكشف ، قل أن يأتيه أحد إلا ويكاشفه بحاله ، وبما جاء بسببه ، فكان لأهل زبيد فيه معتقد عظيم )<sup>٢</sup> ، وفي ترجمة أبي بكر السلاسل قال عنه : ( كان قد تنسك في بدايته وصحب الصوفية ، وكان كثير المجاهدة ، فحصلت جذبة خرج بها عن حسه ، فكان يمشي عرياناً في الشوارع ، ولا يتستر بشيء وإن ألبسه أحد ثوباً طرحه ، وكانت هذه حاله حتى توفي سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ولأهل البلد فيه معتقد عظيم حياً وميتاً نفع الله به أمين )<sup>٣</sup> .

#### الأولياء المتظاهرون بالفسق وترك الفرائض :

من أولئك الذين أظهروا أموراً غير لائقة "عمر بن مدافع الصوفي" قال الجندي في ترجمة والده : ( ثم عمر كان يخالط الأمراء والكبراء ، وكان محبوباً عند أبيه وحصل له منه نصيب وافر بحيث أنه ما هم أحد بالإساءة إليه إلا وبلى ببلاء ظاهر ، و كان من المترفين يلبس الثياب الفاخرة ، و يذكر عنه أمور غير لائقة بالشرع ، فحملت ذلك على ما جاء في

<sup>١</sup> تذكر الناس ص ( ٢٥ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٤١٨ ) .

<sup>٣</sup> الطبقات ص ( ٤١٧-٤١٨ ) .

الأثار " من سبقت له العناية لم تضره الجناية " ، ذكر بعض الثقات أن المظفر لما كثر سماعه ما هو عليه من الخلطة هم أن يغير عليه شيئاً من المسامحات فرأى الشيخ في المنام قائلاً يقول له : يا يوسف إن غيرت على عمر غيرنا عليك ، ولم يزل محترماً له حتى توفي سنة ثمانين وستمائة <sup>١</sup> .

ومنهم ربحان بن عبد الله العدني قال الشرجي في ترجمته : ( كان عبداً حبشياً عتيقاً لبعض أهل عدن وكان صاحب كرامات خارقة ومكاشفات صادقة وكانت طريقته التخريب ، يظهر الوله و ربما يكشف عورته ، وذكر بعض كرامات ، إلى أن قال وقال الإمام الياضي أيضاً: سمعت بعض الفقهاء الكبار من أهل عدن يقول : رأيت الشيخ ربحاناً يفعل بعض الأشياء المنكرة فقلت في نفسي انظر هذا الفاعل التارك الذي يقال إنه صالح يقدم على هذه المنكرات ، قال : فلما كان الليل احترق بيتي <sup>٢</sup> .

قلت : هذا هو البرهان والدليل على صدق الأولياء وصلاحهم ، من اعترض عليهم نزلت به كارثة فعند ذلك يسلم لهم حالهم ، وهذا والله عكس الحقيقة ؛ إذ أن ذلك إنما هو تأكيد لولاية الشيطان لهم ودفاعه عنهم وإخضاعه خصومهم بتلك الكوارث ينزلها بمنتقديهم .

ومن أولئك عيسى بن طلحة الهتار ، قال عنه الشرجي : ( ويحكى عن الشيخ المذكور أنه كان يجتمع بالنساء وله معهن محادثات وأخبار كثيرة والله أعلم بما يصح منها ، ويروى أنه لما حضرته الوفاة نهى أولاده وأصحابه عن مثل ذلك وقال لهم : إنكم لا تطيقون ذلك ، وكان قد ذكر قبل ذلك كرامة من كراماته المتعلقة بذلك فقال: ومن كراماته أنه كانت امرأة مغنية مشهورة بالفجور ، جاءت إلى الشيخ يوماً تزوره وتبرك به ، فلما وقع عليها نظر الشيخ نفع الله به ، تابت إلى الله ورجعت عما كانت عليه ، فزوجها الشيخ بعض الفقراء ، وعمل لهم وليمة ، وجمع عليها الفقراء وكانت عصيدة لم يجعل لهم عليها شيئاً من الإدام كما جرت العادة ، وكان قاعداً ينتظر من يصل ، وكان للمرأة صاحب من أمراء الدولة ، فلما علم بذلك أرسل لهم بزجاجتين من الخمر ، وقال للرسول : قل لهم يجعلون

<sup>١</sup> السلوك ( ١٤٠ / ٢ - ١٤١ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ١٣٥ - ١٣٦ ) .

هذا إداماً على طريق الاستهزاء ، فلما وصل الرسول إلى الشيخ قال له : هات يا ولدي أبطأت علينا وأخذ الزجاجتين فصب من إحداهما سمناً لم يرمثله ، ومن الأخرى جلاباً لم يرمثله ، ثم قال للرسول : اقعد كل مع الفقراء ، فقعد وأكل شيئاً لم يطعم أحسن منه ، فلما رجع إلى الأمير أعلمه بذلك ، فجاء إلى الشيخ واعتذر منه ، وقبل يديه ورجليه ، فعفا عنه الشيخ ، ويقال : أنه تحكم على يده هو ورسوله ، وأن الرسول ترك خدمة الأمير ولزم صحبة الشيخ ، وكان من جملة الفقراء <sup>١</sup> .

ومن أصحاب المخالفة الظاهرة التي لا تأويل لها إلا عند الباطنية ، ما جاء في تاريخ النور السافر في ترجمة عبد الرحمن بن عمر باهرمز قال العيدروس : ( وحكي أنه " نفع الله به " كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال ، فيغنين بين يديه ، ويرقصن ، فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات ، وكان الفقيه عمر أبا مخرمه على طريقة الفقهاء ، فسمع بذلك فقصد الإنكار على الشيخ ، ومنعه من ذلك ، فسافر من بلده إليه بهذه النية فلما وصل إلى أثناء الطريق بدا له أن يرجع فرجع إلى بلده ، ثم سمع عنه أيضاً أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة الشرع ، فما أمكنه الصبر عن ذلك فسار إليه ثانياً ، ودخل عليه ، فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له : عمر عاد وقتك ما جاء ، فرجع كذلك إلى بلده وامتل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سبق له من الفتح على يديه ، ثم سار إليه ثالثاً ، فلما دخل عليه أمر الشيخ " نفع الله به " بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده أن تعتنقه ، فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه ، فلما أفاق تلمذ للشيخ وحكمه في ذلك الوقت ، وفتح الله عليه ببركة الشيخ وصار من كبار العارفين المربين ، وقيل إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له : صل ركعتين إلى الشرق ، فامتثل ، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه <sup>٢</sup> .

فانظر هذا الولي القطب ، فإن حاله لا ينفع فيه إلا غناء النساء الأجانب الحسان ورقصهن : بل إن ذلك الرقص والغناء يكون سبباً لإدخال الرجال في دائرة الولاية كما ترى ،

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٢٥٠ - ٢٥١ )

<sup>٢</sup> النور السافر ص ( ٥٩ ) .

وأعظم من ذلك الذي يعتبر كفراً لا فسقاً أمره لذلك الرجل بالصلاة إلى عكس القبلة ؟  
فأي ولاية هذه التي تكون من كراماتها الكفر بالله تعالى ؟

قال العطاس في ترجمة أحمد بن عبد الله العطاس وهو يعدد أخوانه : ( فمنهم علوي ابن عبد الله ذو الأشعار الرايقه والجذبات الصادقة والكرامات الخارقة - ثم أسهب في وصفه إلى أن قال - : ومن كرامته في حياته ما اشتهر عنه بمكة المحمية حينما كان مجاوراً بها ، أن الشيخ العلامة محمد البسيوني كان يحب الحبيب علوي المذكور ، ويتردد عليه إلى رباط السادة بسوق الليل ، فدخل يوماً على الحبيب علوي ، وهو جالس في خلوته وحده حين ورود الحال عليه ، فقام الحبيب علوي ، وأقفل باب الخلوة ، ثم تناول كأساً من الطاقة فيها خمر وهو يهدر كالجمل الهايج وقال للشيخ اشرب هذا بوجه السرعة واخرج من عندي ، فخاف الشيخ على نفسه من الحالة التي رأى الحبيب عليها وأخذ الكأس وصبه بين صدره وثيابه ، وأظهر للحبيب علوي أنه قد شربه ، وخرج مرعوباً فلما وصل إلى بيته خلع ثيابه وأمر جاريته بغسلها وأخبر أهله بما كان من أمره مع الحبيب علوي وأمرهم بكتن ذلك فأخذت الجارية في غسل الثياب ، وبقيت لمعة صغيرة في القميص لم يخرجها الصابون فجعلت الجارية تمصها بفمها حتى ذهب أثرها ، وكان من عادة هذه الجارية أنها تتدارس القرآن في أوقات الفراغ مع أهل الشيخ وبناته ، ففتح الله عليها من ذلك اليوم في تفسير القرآن بالعلم اللدني فأخذت تفسر لهم معاني الآيات تفسيراً بليغاً سهلاً ، فتعجب من ذلك أهل الشيخ وسألوها عن سبب هذا الفتح ، فلم تعرفه ، فأخبروا الشيخ بما صار إليه أمر الجارية فاختفى يوماً في منزل من البيت وأمر أهله أن يتدارسوا القرآن معها كعادتهم فشرعت تفسر لهم ذلك فلم يطق الشيخ صبراً لما سمعه من التفسير الذي لم يطرق سمعه من عالم ، ولا رآه في كتاب ، وخرج إليهم وجعل يسأل الجارية عن أول يوم وجدت فيه انشراح صدرها ، فقالت له : في اليوم الذي وقعت لك فيه الواقعة مع السيد المجذوب ، فتفطن الشيخ لذلك ، وقال لها هل ذقت شيئاً من آثار الخمر الذي أساب الثياب ؟ فقالت : لا ، ولكنها بقيت لمعة في القميص لم يخرجها الصابون فمصصتها بفمي حتى زالت فأخذ الشيخ من الأسف ما لا مزيد عليه ، وعاد إلى الرباط يسأل عن الحبيب علوي فقيل له : إنه قد سافر إلى حضرموت ، فاعترضته المنية بجدة ، فزاد أسفه

وعرف أنها خمر من عالم الأمر، وأن الحبيب علوي من نقباء نوبة ذلك العصر الذين تواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر، انتهى<sup>١</sup>.

ومن ذلك ما ذكره علي الحبشي في كنوز السعادة حيث قال عن الحبيب أحمد الهدار الذي يقال له " المحجوب " والذي قبته بالقرب من مسجد بازعه بالكلال : ( وذكروا أن الحبيب أحمد المذكور كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها في ثديها ، والحكمة في ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها ، فقال بعض السادة لزوجته: إن خليتي عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت ، فلما كان في بعض الأيام أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق ، فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبت خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها ، فخب الحبيب أحمد وراءها وقال لها ما لك عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبيتي، فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر، وقال لها : تأتين بسبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك ، فقال زوجها: إن كان هكذا فلا بأس ، فولدت الأولاد السبعة وركبوا الخيل كما ذكر الحبيب )<sup>٢</sup>.

ومثل ذلك وأشنع ما ذكره أحمد بن حسن العطاس قال : ( وكان بمكة عند باب السلام واحد من المجاذيب وإذا خرج أحد من الناس ذكراً كان أو أنثى قبض على فرجه ، ومن قبض على فرجه ذلك المجذوب لم يعص الله أبداً )<sup>٣</sup>.

ومن أولئك الأولياء عندهم زين بن أحمد بن سميط ، قال ابن عبيد الله : ( فمن ذلك أن لآل الشحر اعتقاداً فيه حتى أنهم ببساطتهم يمكنون نساءهم من مصافحته ، فدخل عليه الشيخ أبو بكر بن سعيد الزبيدي ، وعنده فتاة جميلة فعلقته نفسه وتبعها هواه ، فتوسل إليه أن يخطبها له ، فقال له: ما يمنعك عنها بخلك ( فقال له : اطلب ما تريد ، فخرج ثم عاد ، وقال : إن أهلها يطلبون ثلاثمائة ريال فنجع بها طيبة نفسه ، فوعده أن يجيء إلى ذلك المكان من آخر ليلته ، وعقد له بعجوز قد تغضن وجهها وانتشرت أسنانها وانطبق عليها قول البحري:

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٩ )

<sup>٢</sup> كنوز السعادة الأبدية ص ( ٢٣٧ ) .

<sup>٣</sup> رواية محمد عوض بافضل ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس ص ( ٧٢ ) مخطوط .

والسِّنُّ قد بَيَّنَّتْ فَنَاءَكَ فِي شَدَقَ عَلَى الْمَاضِعِينَ مَنْخَسَفٌ

ودفع لتلك العجوز عشرة ريات ، وهرب هو بالباقي إلى شبام<sup>١</sup>.

قلت : انظر إلى جهل أولئك الناس وغفلتهم وسيطرة الخرافة على عقولهم حتى

أصبحوا يعتقدون الولاية في مثل هذا الرجل ويمكنونه من الخلوة بنسائهم<sup>١</sup>.

وأختم هذه الفقرة بنقل من كتاب مواهب القدوس ، ولا أعلق عليه ولكني أدع التعليق عليه للقارئ فلربما فهم منه أفضل من فهمي ، قال العلامة بحرق عن القطب العيدروس : ( وكان سهر سيدي قدس الله روحه من أعظم الكرامات الخارقة للعادة عند الأطباء والحكماء ، فإنه ضخم الصورة مواظب على الأغذية الحارة الرطبة كثير الشرب بحيث يتدعى بالماء وهو في مجلس طعامه مرتين فأكثر ، والحكماء تقول " من شرب كثيراً نام كثيراً " ، وذلك مشاهد بالتجربة ، وما ذاك إلا للملكة حصلت له حتى صار التطبيع طباعاً ، والتكلف هوى مطاعاً ، وكان سيدي قدس الله روحه يروض العوام من الفقراء والغلمان ليحفظهم عن المعاصي بالسهر فيوهمهم أنه يريد الأنس بهم ، ويجعل لكل من واطب منهم معه على سهر الليل كله مرتباً يعطيه إياه في صبيحة كل ليلة في مقابلة سهره ، ويزيد من يخشى عليه الانهماك في المحرمات في المرتب فتراهم ملازمين للسهر ليلاً والنوم نهاراً ، حتى تمضي على أحدهم مدة سنين ولا علم له بما الناس فيه رغبة في تحصيل ذلك المرتب ، وقد حفظه الله ببركته من حيث لا شعور له بذلك من الفواحش بالليل ومن الغيبة وغيرها بالنهار ، فله درّه ما أطفه في سياسته ، وما أظرفه في تربيته ، وما أرافه بعباد الله ، وما أرحمه بخلق الله ، وكثيراً ما كان يقول : إني إذا رأيت المؤمن قد وفقه الله لأداء الفرائض واجتناب الكبائر أرحت خاطري منه ، لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه ، وإنما أشغل خاطري واصرف عنايتي وابذل جهدي في خلاص من رأيتهم مكملاً في العصيان واقعاً في حبال الشيطان .

<sup>١</sup> إدام القوت ص ( ٢٠١ ) .

قلت : ولا يخفى أن هذا مقام عظيم وقد وصف الله نبيه الكريم بقوله تعالى: ﴿ عزيز عليه ما عنتم <sup>١</sup> أي عنكم وهي المشقة ﴾ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم <sup>٢</sup> .  
قال ❸ : (( لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم )) <sup>٣</sup> متفق عليه .

ويروى عن الشيخ الكبير العارف بالله " عمر بن ميمون " صاحب أحور أنه كان من أصحاب الفقيه القطب الرباني " إسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليميني " قدس الله أرواحهم لما توطن أحور كتب إليه الفقيه إسماعيل يقول : كيف أثرت سكنى أحور على تهامة ؟ فأجابه: إن أكثر أهل تهامة مشاة على أقدامهم ، واني وجدت أحور بلداً ساقطاً لكثرة الزنا فيها والربا والخمر وغيرها من الفواحش فأرجو أن ينقذ الله أحداً منهم من النار على يدي ، فرد عليه الفقيه إسماعيل: هنيئاً لك قد ظفرت بما لم يظفر به ، فهدى الله به خلقاً كثيراً ومن أجل ما انتفع به الشيخ القطب الفرد " شهاب الدين بن أبي الجعد " قدس الله أرواحهم ولهم ❹ مقاصد صالحة يرشدهم الله إليها ويكون هو المتولي لهم فيها لقوله تعالى: ﴿ وهو يتولى الصالحين <sup>٤</sup> 》 .

فيجب تسليم أحوالهم ، وتطلب التأويلات الحسنة والمحامل الجميلة ، وقد قال الفقيه العالم الرباني الشيخ محيي الدين النووي قدس الله روحه بعد أن حث على ذلك : لا يحرم التأويل أي لما يصدر من المشايخ إلا شقي ، قلت : ولقد كنت استشكل أشياء تصدر من سيدي الشيخ قدس الله روحه تقصر عنها عقول أمثالنا القاصرة ، وكنت بتوفيق الله أعرضها على أرباب البصائر يوماً منهم أحد إلا ويأمرني بالتسليم ويشهد عندي بعلو مقام سيدي ، وأنه على هدى من العليم ، ومنها إني عرضت على سيدنا وشيخنا الفقيه العالم العارف بالله الجليل الرباني محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني رحمه الله تصرفات مالية يباشرها سيدي في قبضها

<sup>١</sup> التوبة ( ١٢٨ ) .

<sup>٢</sup> التوبة (١٢٨) ..

<sup>٣</sup> رواد البخاري ( ١٠٧٧/٣ ) كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . ومسلم ( ١٨٧٢/٤ ) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب ؓ .

<sup>٤</sup> الأعراف ( ١٩٦ ) .



وصرفها في ظاهر الأمر في غير مصارفها ، فقال لي : أنا أشهد إنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل ، والحل والعقد والتصرفات كلها ، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً ، فقلت له : أما الباطن فبصائرنا عنه قاصرة و أما الظاهر فما وجهه ؟ فقال : وجهه أن أهل البيت أفضل من سائر الناس ، وآل باعلوي أفضل من سائر أهل البيت باتباعهم السنة وبما استقر لهم من العبادة والزهادة والكرم وحسن الأخلاق ، والشيخ أبو بكر أفضل آل باعلوي بالاتفاق فهو أفضل أهل زمانه . وتوفي الفقيه محمد باجر فيل المذكور في ربيع الأول سنة ( ٩٠٣ هـ ) ثلاث بعد التسعمائة بغيل أبي وزير أعمال الشحر وجرفيل بجيم ثم فاء .

قلت : وأما سيدي قدس الله روحه فكان يقول ليزيل الإشكال عن خواص أصحابه : إذا كان صاحب المال يجب عليه بذله لسلامة أبدان المضطرين إليه ولو وجب عليهم غرم العوض ، فبذل المال من أي جهة كان لسلامة أديان الهالكين الواقعين في حبال الشيطان أوجب ، ولو لزم الباذل غرم بذله ، والرجاء من الله أن يبيريء ذمة الفاعل ذلك بمنه وكرمه ، ولا يخفى أن هذا مسلك دقيق ، وإنما الأعمال بالنيات التي لا يطلع عليها إلا عالم الخفيات ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، واعترضت مرة بخاطرة<sup>١</sup> ولساني على سيدي قدس الله روحه في إلباسه غلमानه ثياب المخيطة بالذهب ، فأجابني بأنا قلدنا من يبيع ذلك من العلماء ، ثم رأيت في النوم كأن النبي ﷺ أقبل من مكان في بموكب عظيم والطبول والنقود تضرب بين يديه ﷺ فقلت لي : إنما فعله ليعلم أمته بجواز ذلك ، فلما ولى ﷺ رأيت في صورة سيدي الشيخ أبي بكر راكباً على بغلته ، وسمعت قائلاً يقول : يجب على القطب الوارث للمقام المحمدي أن يعمل بكل مسئلة قال بها عالم من علماء أمة محمد ﷺ ولو مرة واحدة لئلا يقع ذلك العالم في الحرج ، فعلمت بذلك وبتصور النبي ﷺ في صورة سيدي الشيخ أن سيدي هو القطب الوارث للمقام المحمدي<sup>٢</sup> .

### الدعاوى الكاذبة:

١ كذا ولعله ( بخاطري ولساني ) .

٢ مواهب القدوس في مناقب ابن العبدروس للعلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي ، ضمن المجموعة العبدروسية نشرها طاهر ابن محمد العبدروس ص ( ١٣ - ١٤ ) .

يقول الرسول ﷺ : (( إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي ))<sup>١</sup> ، ويقول ﷺ : (( رب أشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره ))<sup>٢</sup> ، وعلى ذلك كان الصالحون يحرصون غاية الحرص على إخفاء ما يمكن إخفاؤه من أعمالهم ، وكانوا يخفون أكثر ما يتوهم أنه من الكرامات ، وللصالحين في إخفاء الكرامات كلام طويل .

والصوفية كثيراً ما يمدحون بعض الأولياء بحب الخمول وكراهة التظاهر بالولاية وإظهار الكرامات ، ولكن يبدو أن هذه الكلام نظري فقط عند كثير من الصوفية ؛ إذ كثيراً ما ترى التنافس العظيم بين أوليائهم والتحدي لمن انتقدهم أو أنكر عليهم ، والتباهي بإظهار الخوارق التي لا يصلها غيرهم ، أو الزعم بما وصلوا إليه من مقامات لأنفسهم أو لبعضهم البعض ، وهذا باب كبير لا أستطيع الإحاطة به وإنما أذكر نبذاً منه .

استخدم الشيطان حتى غرس له نخلاً : قال الشلي في ترجمة محمد بن حسن المعلم المشهور بأسد الله : ( ومما اشتهر عند الناس أن الشيطان تعرض له بالأذى الفاحش فأمسكه صاحب الترجمة واستخدمه في أموره حتى إنه غرس نخلاً وجعله يسوق الماء فيه ، وهذا النخل معروف عند أهل الجهة )<sup>٣</sup> .

وآخر يقول إنه هو الله :

ومنها ما ذكره الشلي أيضاً في ترجمة الفقيه المقدم بعد ما ذكر ما يرد عليه من الواردات والتجليات قال : ( وحكي أنه قيل له وهو في تلك الواردات كل نفس ذائقة الموت ، فقال : ليس لي نفس ! فقيل له : كل من عليها فان ، فقال : ما أنا عليها ! فقيل له : كل شيء هالك إلا وجهه ، قال : أنا من نور وجهه !! ) وسمع أعرابياً يقول : هل محمد بن علي هو الله ؟ فقال : أنا الله ، وخر مغشياً عليه ، وقال : مالي حاجة إلى محمد ومحمداه )<sup>٤</sup> .

وهذه الدعاوى التي تقشعر منها الأبدان قد حاولوا تأويلها بأساليب شتى ولكن لو كانت في حالة سكر أو جنون فلم لا يعترفون بذلك ؟ وأنه كان مجنوناً من الخمرة الربانية !

<sup>١</sup> مسلم ( ٢٢٧٧/٤ ) كتاب الزهد والرقائق .

<sup>٢</sup> مسلم ( ٢٠٢٤/٤ ) كتاب البر والصلة باب فضل الضعفاء والхамلين .

<sup>٣</sup> المشرع ( ١٧٨/١ ) .

<sup>٤</sup> المشرع ( ٩/٢ ) .

ثم يسترون عليه ما يدور منه حال غياب حسه وذهاب عقله ، والواقع أنهم لا يعتقدون ذلك ، ولكنهم يعتقدون أن ذلك من أعظم مناقبه وأشهر كراماته ؛ لأنه يتكلم بلسان الحق الذي أذن له بإظهار ذلك ، ومن يقرأ تراجمه في الغرر أو المشرع أو الجواهر أو شرح العينية أو غيرها يجد فيه من المبالغة في المدح بما لا يُقبل حتى في الأنبياء ، ولم يدعوه صلوات الله وسلامه عليهم .

بل قد صرحوا بأنه خاتم الأولياء ، قال الشلي : ( وصح لمحبيه أن ينشدوا فيه :

والمقضى ما بعده من ولي      فهو لا شك خاتم الأولياء

وخاتم الأولياء في اصطلاحهم : من بلغ مقام الوراثة المحمدية ، وهو مقام القطبية الكبرى كما يقال لمن ملك الروم قيصر والفرس كسرى )<sup>١</sup> .

وقد مر معنا تعريفهم للقطب الأكبر وما نحلوه له من صفات الربوبية ، فكيف وهو يحمل تلك الصفات لا يحق له أن يتبجح بمثل هذه الدعاوى ؟ إلا أن طريقة القوم أنهم عند من يقبل ويسلم يقصون هذه القصص على أنها حقائق وعند من يعترض يحاولون تأويلها والله أعلم .

وثالث يقول :

إنه يسحق الدنيا ويسحق الآخرة ثم يرمي بهما حتى لا يبقى إلا الله ، وأنه يذكر الله حتى تقف الحروف ، وأنه أسرى به ليلة أسرى بالنبي ﷺ ، وإليك ذلك كله بقلم الشلي حيث قال في ترجمة محمد ابن علي مولى الدويلة : ( وترد عليه أحوال آثار بركتها عليه بادية ، وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة وخاض من العلوم في بحر عميقة ، وسأله ولده عن ذلك فقال : ما تقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة ، أول ما تبدو لنا الدنيا نسحقها ، ثم تظهر الآخرة فنسحقها ، ثم ننبتنهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله فحينئذ يقع الوجد ، وأنشد :

أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار	ولما حضرنا للسرور بمجلس
يطوف بها في حضرة القدس خمار	وظافت علينا للعوارف خمرة
أضاءت لنا منها شمس وأقمار	فلما شربناها بأفواه كشفنا
وتبدو لنا وقت المسرة أسرار	تخاطب أرباب القلوب بلطفها

<sup>١</sup> المشرع ( ٣/٢ ) .

رفعنا حجاب الأنس بالأنس عنوة  
وجاءت إلينا بالبشائر أخبار  
وغبنا بها عنا ونلنا مرادنا  
ولم يبق منا بعد ذلك آثار  
وخاطبنا في سكرنا عند صحونا  
كريم قديم فائض الجود جبار  
وكاشفنا حتى رأينا جهره  
بأبصار فهم لا تواريه أستار

وكان إذا طرقه الحال يضطرب جسده ويلين حتى أن بعضهم وضع إصبعه في جسده فانخسف محل إصبعه ، و ورد عليه حال مكث به سبعة أيام حتى تقيأ دماً أسوداً ، قال ولده العارف بالله الشيخ عبد الرحمن السقاف : لو لم يتقيأ لقتله ذلك الحال ، وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبد الله بن علوي حتى غشي عليه ، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم ، فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبد الله : صلى ابن أخيك بلا وضوء لأنه زال عقله ، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم ، فقال : وعزة الحق إني توضأت وشريت من الكوثر ونفض لحيته فتقاطر منها الماء ، ثم قال : يا فقيه نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت ، ثم أنشأ يقول :

الحب حبي والحبيب حبيبي  
والسبق سبقى قبل كل مجيب  
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً  
وغطست في بحر الهوى وغدى بي  
لي تسعة وثلاثة مع تسعة  
والعقد لي وحدي وعلا نصيبي  
ما تعلموا أنني المقدم في الملا  
ليلة سرى باليثيري سري بي )<sup>١</sup>

ومن الدعاوى المتعلقة بدخول الجنة وهم في الدنيا :

ما جاء في العقود العسجدية قال : ( فكان الشيخ القطب الكبير سيدي عبد الرحمن السقاف يقول لبعض جلسائه : اروحوا رجلي فإنها كانت في الجنة ، وكذلك سيدي وشيخي أبو بكر العطاس رحمته الله يقول : وكان سيدي القطب الغوث الفقيه المقدم محمد بن علي يطوف

<sup>١</sup> المشرع ( ١ / ٢٠٠ - ٢٠١ ) .

بالجنة فلم أر فلاناً في الجنة ، وما يدخل فقيري النار ، أما الجنة فهو من أهلها يعني في اللوح المحفوظ )<sup>١</sup> .

وهنا ننقل قصة باخریصة فقال : عبد الرحمن الخطيب صاحب الجوهر الشفاف : ( روى المشايخ رضي الله عنهم أن فقيراً من فقراء شيخ شيوخنا الشيخ محمد بن علي رحمته واسمه أبو خريصة سافر إلى أرض بعيدة ومكث مرابطاً فيها حتى انقطع خبره ، ثم بعد ذلك جاء إنسان إلى شيخ شيوخنا وقال له : إن أبا خريصة مات فأطرق الشيخ ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : أبو خريصة ما مات ، فقل : كيف تقول هذا وقد جاء الخبر بموته ؟ فقال الشيخ رحمته نظرت إلى قصور الجنة قصراً قصراً فما رأيت أبا خريصة فيها ، ولا يدخل فقيري النار ، ثم بعد ذلك بمدة قدم أبو خريصة بنفسه من ذلك السفر سالماً غانماً معافاً بحمد الله تعالى وعونه ، ثم بركات الشيخ محمد بن علي )<sup>٢</sup> .

وقال الحبشي في كنوز السعادة الأبدية : ( وكان الشيخ عمر الحضار يكبس رجلَي والده الشيخ عبد الرحمن السقاف فرأى فيهما صفرة ، فقال له : ما هذا ؟ فقال له : إن أباك كان هذه الساعة يطوف في الجنة ، وإن هذه الصفرة من زعفرانها ، وأخاف يا ولدي أن يكون هذا استدراجاً )<sup>٣</sup> .

ومارلنا مع الحبشي في دعاواه ، فهاهو يحكي خرافة أخرى يقول : ( قال الحبيب أبو بكر العطاس : صلينا نحن والحبيب محمد المشهور في مسجد باعلوي ، فقال لي : يا أبا بكر بانتنسم بانزور السماء " مثل ما تقول بانروح النخل " قال : فطلعننا من سحاب إلى سحاب ، إلى أن وصلنا إلى السماء ورجعنا وصلينا المغرب في باعلوي )<sup>٤</sup> .

وأما هذا الولي فأمره أعجب إنه يختار دخول النار ليخرج منها أهل تريم ، قال في شرح العينية : ( قال السيد الشيخ الكبير محمد بن حسن المعلم : أشهد أن الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة ، وقف بين يدي الله تعالى بعد وفاته ، وخطوب بهذا الخطاب ثلاث مرات ﴿ يا أيها

<sup>١</sup> العقود العسجدية ص ( ٢٣٨ ) بواسطة أو هام العوام جمعه أحد طلبة العلم لم يذكر اسمه ، مخطوط .

<sup>٢</sup> الجوهر الشفاف ( ٩٦ / ١ - ٩٧ )

<sup>٣</sup> كنوز السعادة ص ( ٣٩٣ ) ويشهد له ما في شرح العينية ص ( ١٨٥ ) فهو غريب جداً من هذا .

<sup>٤</sup> كنوز السعادة ص ( ٣٨٨ - ٣٨٩ ) ..

الإنسان ما غرك بريك الكريم<sup>١</sup> فلم يرد جواباً ، والملائكة محيطة به ، وإذا النداء من قبل الحق سبحانه وتعالى يقول لملائكته : اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب ، فقال : اذهبوا بي إلى النار ، فلما وصلها رمي بنفسه فيها ، وجعل يسير فيها ذاهباً ومقبلاً ، ويخرج منها كل من رآه فيها من أهل تريم حتى أخرجهم الجميع ، إلا اثنين أو ثلاثة ، كلما أخرجهم عادوا إليها ، فبقي يشفع لهم<sup>٢</sup> .

ويقول أيضاً : ( قد ذكرنا الله باللسان والقلب ، ثم تفنى الحروف ، ثم تفنى اللسان فيبقى في القلب شمعاً من نور متصلة بالله تعالى )<sup>٣</sup> .

وقصة الإسراء والمعراج قد أغرم بها القوم وادعاهم جماعة منهم ، قال أحمد بن زين الحبشي في ترجمة الفقيه المقدم : ( وكان من جملة ما كتب به إلى الشيخ سعد أنه قال : عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات وفي رواية سبعة وعشرين مرة في ليلة واحدة وفي رواية سبعين مرة )<sup>٤</sup> .

وليس الإسراء خاص بالأولياء بل حتى مواشيهم تعرج إلى السماء ، فأثنان الفقيه محمد بن علي قالوا إنها : ( تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض )<sup>٥</sup> .

وأخيراً خذ هذه الدعوى مع تأويلها وتبريرها وبيان ما يلبسون به من صرف لهذه المعاني عن ظواهرها قال صاحب تاج الأعراس : ( قال المترجم وحين انتهى صاحب المناقب رضوان الله عليه من دور التخلية واستمر في طور التحلية حصل معه في أواخر أقامته بمكة جذب قوي في الظاهر غير أنه لم يخرج عن بساط الشريعة : لأنه من أهل الرسوخ والتمكين ، بل هو من أهل عين اليقين كما شهدت له بذلك الفحول وتناقلته عنهم وعنه الأئمة العدول ، أخبرني الشيخ الثقة عبد القادر بن عمر بايزيد يعني الآتي ذكره في الباب السادس قال : كنت مجاوراً بمكة المحمية أيام إقامة الحبيب صالح بها يعني صاحب المناقب رضوان الله

<sup>١</sup> سورة الانفطار (٦) .

<sup>٢</sup> شرح العينية ص ( ١٨٠ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٨١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٥٨ ) .

<sup>٥</sup> الجوهر الشفاف ص ( ٩٥ ) .

عليه ، وكان يساورني بما يقع له في سلوكه ، فقال لي مرة : إني خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطففت بالكعبة فحصل لي الإسراء إلى السماء إلى آخر ما قال الشيخ عبد القادر المذكور في محادثة بينهما طويلة لا تخرج عن هذا الموضوع ، وهذا الإسراء هو حال معروف عند الأولياء وأمر مألوف لدى أهل القرب والاصطفاء ، تعرفه أرواحهم المباشرة لهذه الحكمة ، وتحدث به أشباحهم عند الإذن لهم في التحدث بالنعمة ، قلت : ولعل ذلك حين ورد عليه الحال ، وجذبتة عناية ذي الجلال ، إلى مواطن القرب والكمال ، حيث تنتهي الأعمال وتخلع النعال ، وهناك تخلع على ذلك الواصل خلعة معنى الحديث لا يزال عبيد يتقرب إلى بالنوافل :

رتب تسقط الأمانى حسرى      دونها ما وراءهن وراء

فإياك ثم إياك أيها القارئ والانزعاج وتحريك الرأس والاشمئزاز ، فلكل فن مصطلح ولكل قوم منهج ومسرح ولكل بحر ساحل ومجدح ، وبالمثال يتضح الإشكال ، فإن لفظة الكلام يكون المراد منها في عبارة الفقهاء : ما أبطل الصلاة من حرف مفهم أو حرفين وإن لم يفهما ، وفي عبارة النحويين : ما جمع قيوداً أربعة كما هي معروفة لديهم ، وفي عبارة علماء التوحيد : هو نفس الفن كله يسمى علم الكلام وهلم جراً ، بينما لفظه عندهم واحد باتفاق الجميع ، فمن هو المخالف منهم يا ترى ! وهنا يحسن الاستشهاد للمتسرعين بمثل الحريري حيث يقول : ( سائل الركبان قبل المنتجع ) ، قلت : ومعناه أنك إذا رأيت قوماً سافراً فإياك أن تأخذ فراشك وتهول وراءهم بل اسألهم أولاً من هم وأين يريدون لتكون على بصيرة من أمرك وذا خبرة في سيرك ، وها أنا أرشدك إلى ما نقله صاحب الفتوحات المكية في اصطلاح رئيس الصوفية إن لم تكتف بهذا ، فإن اكتفيت به فأقول لك : إن الإسراء في اصطلاح القوم يكون بمجرد الروح لا الجسد كما هو معروف عندهم ويتداول بينهم ، ولعلك تقول هنا ، كيف تفارق الروح الجسد ولا يموت صاحبها ؟ فخذ الجواب دفعة واحدة قال : العلامة المحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني في كتابه التعريفات ما نصه : الروح الإنساني هو اللطيفة العالة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر ، تعجز عن إدراك كنهه العقول ، وتلك الروح قد تكون مجردة ، وقد تكون منطبقة في البدن ، بخلاف الروح الحيواني التي هي جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق

الضوارب إلى سائر أجزاء البدن أي فإنه ملازم للجسد لا ينفك عنه إلا بالموت المعبر عنه بزهوق الروح انتهى . المراد من كلام الجرجاني ، وأعلم أنني قد تثبت قبلك في هذا المقام الذي تزل فيه الأقدام وتتصادم دونه فرسان الأقلام بين إقدام وإحجام ، فحين وصلت عند هذه الجملة ترددت في إثباتها فأرسلت إلى سيدي الحبيب العلامة ترجمان الشيبان المشير إليّ بالاعتطاف من تلك الأغصان ، ومن إليه المرجع في هذا الشأن ، الحبيب علوي بن محمد الحداد استفتيته في ذلك ، فكتب إليّ الحبيب علوي المذكور بما نصه حرفياً : الحمد لله والسلام على سيدي الحبيب العلامة علي ابن الحسين ورحمة الله وبركاته أكتب هذا وأنا مزكوم وشبه محموم ،وصلني تعريفكم الذي تقولون فيه أن معكم تردداً في إثبات تلك الجملة التي أشار فيها الحبيب إلى الإسراء به ، وقد ظهر لي أن هذا الإسراء الذي وقع له إنما هو بروحه ولا مانع من ذلك إذا كان بالروح ، وقد وقع للحبيب عبد الله الحداد ما يشبه هذا أظنه في مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بقم ، وقال سيد العارف بالله محمد مولى الدولة " ليلة سرى باليثيري سرى بي " فالأولى ، إبقاء الكلمة على ما هي مادام أنها لم تصادم قاعدة من القواعد الشرعية ، وهذه أمور معروفة عند أهلها ولا يسع أهل حسن الظن إلا التسليم لهم ، وقد سألت سائل الحبيب عبد الله الحداد عن عبارة في غنية الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله توهم الجهة فقال: الحبيب عبد الله إن في القرآن ما هو أعظم من ذلك انتهى . وليس يخفى على سيدي أن أهل الحجاب والإنكار وأهل سوء الظن والاستكبار لا ينفعهم دليل وحسبنا الله ونعم الوكيل فلندعهم وشأنهم وما أقامهم الله فيه ، قال الإمام مالك : أو كلما جاءنا لكع غيرنا سنة انتهى ، فالله يجعلنا من أهل التسليم والقلب السليم ولا يحرمانا مما تفضل به على من أحبههم وصفى مشربهم ، وأنت يا فقيه أهدى من أن تُهدى ، وأعلم من أن تُعلم ، قال سيدي الحبيب علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر بن سالم في كتابه فيض الله العلي : كلامنا هذا إنما هو مع أهل مشاهد الجمال المتجلي عليهم به ، وأما أهل الجلال فليس لنا معهم كلام انتهى . والمحنة على المتعرضين أن يكون معهم في بعض الأحوال سلاح أهل الظاهر فيجعلونه على القوم سلاحهم الباتر ، قال سيدي الحبيب محمد بن عيروس الحبشي من قصيدة في هذا المعنى :

❖ وأما الشريعة حد سيف باتر ❖



انتهى ، وعسى الله أن يرفع عنا السواتر ، حتى نبصر ما أبصره أهل البصائر ، والسلام من الفقير إلى الله علوي بن محمد الحداد ، انتهى كلام الحداد الخبير بالرمز والمراد من كلام الآباء والأجداد والله المراد فيما أراد <sup>١</sup> .

فانظر إلى القوم يمشون ما هذا به أولياؤهم بالترغيب حيناً ، وبالترهيب حيناً آخر ، وبالتأويل البعيد حيناً ثالثاً ، وقد ظهر أنهم يشعرون بغربة الأمر واستبعاد تصديقه ، ولكنهم يحتجون على إثبات القضية بأن فلاناً قد قال بمثلها وهو من الأقطاب ، ولا يمكن أن يقول بغير الصواب ، والأصل أن هذه الأمور مستحيلات عقلاً فإن ثبت ما يؤيدها من الشرع قدم الشرع على العقل وإن لم يثبت إلا دعاوى قلنا لأرباب تلك الدعاوى : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ <sup>٢</sup> ، وتمثلنا بقول الشاعر :

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

قول على الله بغير برهان ، مع إنزال المرض بمن يغضب عليه :

وفي ترجمة عمر المحضار من المشرع ذكر أنه قال لابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس : ( إن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات وأشار إلى نفسه ، وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام ، فقيل له : أما تخشى أن ينالك بهذا شيء ؟ فقال : إني لم أدع على أحد ، ولكنني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب ) <sup>٣</sup> .

المطلب الثالث : الانحرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة :

إن الانحراف في مفهوم الكرامة تابع للانحراف في مفهوم الولاية ، فحينما غلا القوم في الولي ، وأعطوه خصائص من خصائص الإلهية ؛ نسبوا إليه من الكرامات ما لا تكون إلا من رب العالمين ، حتى الرسل الكرام لم يدعوها لأنفسهم .

هذا جانب وجانب آخر هو الإساءة إلى الولي من حيث إرادة الإحسان إليه ، حيث تنسب إلى بعضهم كرامات يستحي المرء من ذكرها ؛ إلا لإثبات ذلك وتعرية ذلك المنهج الذي

<sup>١</sup> تاج الأعراس ( ١ / ٤٧ - ٥١ ) .

<sup>٢</sup> سورة النمل آية ( ٦٤ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ) .

أدى إلى هذا المستوى من السخافة ، كما أن هناك كرامات هي إدانات لمن نسبت إليهم ، ومن هنا فإن العقلاء من القوم قد تنبهوا لذلك وضجوا من إغراق قومهم في هذا الباب .

من تلك الكرامات رد الشمس أو إيقافها :

قال الشرجي في ترجمة إسماعيل الحضرمي : ( ومن ذلك ما يحكى أنه قصد مدينة زبيد في بعض الأيام ، فقاربت الشمس الغروب وهو بعيد عن المدينة ، فخشى أن تغلق الأبواب دونه ، فأشار إلى الشمس أن تقف فوقفت حتى بلغ مقصده ، وهذه الكرامة مشهورة بين الناس مستفيضة )<sup>١</sup> .

وقريباً منها وقع لأهل تريم ، فقد جاء في تذكير الناس قال : ( وحكى سيدي ﷺ أنه دخل بعض الأولياء السياحين إلى تريم مع غروب الشمس فحبس الشمس عن الغروب ليصلي العصر فأشرفت عليه امرأة من بيتها وكاشفته وقالت له : فك الشمس علينا لنفطر )<sup>٢</sup> .

التآلي على الله :

التآلي على الله سبحانه وتعالى معناه: أن يقول العبد على الله سبحانه وتعالى قولاً جازماً بأنه سيفعل، أو سينزل أو سيغفر لفلان أو لا يغفر لفلان ،وقد ثبت في ذلك حديث صحيح زجر عن هذا التآلي ، فعن جندب أن رسول الله ﷺ حدث : (( أن رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتآلى عليّ أن لا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك ))<sup>٣</sup> . ومن أسس عقيدة أهل السنة والجماعة ألا يقطعوا لأحد بجنة أو بنار ، كما جاء ذلك في عقيدة الإمام الطحاوي - رحمه الله - حيث قال : ( نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ... )<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٩٧ ) .

<sup>٢</sup> تذكير الناس ص ( ٢٥٥ ) .

<sup>٣</sup> رواد مسلم ( ٢٠٢٣/٤ ) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكبر .

<sup>٤</sup> العقيدة الطحاوية ص ( ١٩ ) بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

ولكن القوم رفعوا أنفسهم فوق ذلك واستغلوا التولية والعزل التي يزعمون أنها أعطيت لهم ، فهبوا يجزمون أن فلاناً نجى من فتنة القبر ، وفلاناً لا يدخل النار، ومن فعل كذا فأنا ضمين له بالجنة، وأكثر ذلك لربط الناس بهم وحثهم على تعظيمهم وتقديسهم . فقيره لا يدخل النار :

ذكر الشلي في ترجمة الفقيه المقدم من جملة خصائصه وكراماته قال : ( ومنها أن خادمه باخریصة سافر سافراً طويلاً فبلغ أهله أنه قد مات فتعبوا وآتوا إلى الأستاذ فأطرق ساعة ، وقال : لم يمت باخریصة فقل له : قد جاء الخبر بموته ؛ فقال : إني أطلعت على الجنة فلم أجده فيها ؛ ولم يدخل فقيري النار ، ثم جاء الخبر بحياته وقدم هو بعد مدة )<sup>١</sup> . وهذا عندما يسأل في قبره عن ربه يقول ( شيخي عبد الله باعلوي ) فيعفى من السؤال ويقال له مرحباً بك وبشيخك :

جاء في المشرع ترجمة عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم : ( ومنها أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحساب فتواجد صاحب الترجمة وخر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال للرجل : أعد الأبيات ، فقال الرجل : بشرط أن تضمن لي الجنة ، فقال : ليس ذلك إلي ، لكن أطلب ما شئت من المال ، فقال الرجل : ما أريد إلا الجنة ، فقال : إن حصل لنا شيء ما كرهنا ، ودعا له بالجنة ، فحسنت حالة الرجل ، وانتقل إلى رحمة الله وشيعه صاحب الترجمة وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة ، فتغير وجهه ؛ ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك ، فقال : إن الرجل لما سألاه المملكان عن ربه فقال شيخي عبد الله باعلوي : فتعبت لذلك فسألاه أيضاً فأجاب بذلك ، فقالا مرحباً بك وبشيخك عبد الله باعلوي ، قال بعضهم : هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته )<sup>٢</sup> .

رؤيا بأن من قرأ على فلان دخل الجنة وتمسك الناس بذلك وقرعوا عليه من أجلها :

<sup>١</sup> المشرع ( ٩ / ٢ ) .

<sup>٢</sup> المشرع ( ١٨٨ / ٢ ) .

قال الشرجي في ترجمة محمد بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الزوكي : ( رأى النبي ﷺ في المنام يقول له : من قرأ عليك دخل الجنة ، وقد أخذ عنه غير واحد من العلماء تمسكاً بهذا المنام )<sup>١</sup>.

وذاك يضمن لمن حصل إحياء علوم الدين وجرّاه الجنة :

قال الشلي : ( ولما بلغني أن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس رحمته الله قال : من حصل كتاب إحياء علوم الدين وجعله في أربعين مجلداً ضمنت له على الله بالجنة ، فحصلته كذلك بهذه النية والله الحمد )<sup>٢</sup>.

وأخريقول من رآني دخل الجنة :

قال الشلي في ترجمة عمر بن عبد الله العيدروس : ( وكان السيد الجليل المعروف بصائم الدهر القديمي الحسيني القائل من رآني دخل الجنة ، يعظم صاحب الترجمة )<sup>٣</sup> .  
أما هذا فمن قبل قدمه دخل الجنة :

قال الشرجي في ترجمة إسماعيل الحضرمي : ( ومن ذلك أنه كان قد اشتهر بين الناس أن من قبل قدم الفقيه إسماعيل دخل الجنة . وحكى الفقيه إبراهيم العلوي عن الفقيه أحمد بن أبي الخير عن والده الفقيه أبي الخير ، أنه سأل الفقيه إسماعيل عن ذلك فقال : قدم علينا بقرية الضحى رجل من أهل الخير ، فلما صلينا الجمعة صعد المنبر وقال: يا أيها الناس رأيت النبي ﷺ في المنام وسمعتة يقول من قبل قدم الفقيه إسماعيل الحضرمي دخل الجنة ، قال الفقيه أحمد بن أبي الخير، وكان يقال للرجل المذكور ابن الزعب من أهل حصي، وهؤلاء بنو الزعب قوم أهل ولاية وصلاح ، وسيأتي ذكرهم في حرف العين إن شاء الله تعالى .

ويروى عن الفقيه أحمد بن سليمان الحكمي المفتي بمدينة زيد أنه قال : لما سمعت حديث تقبيل قدم الفقيه إسماعيل وقع في نفسي من ذلك شيء ، ثم اتفق أني قصدت الفقيه

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٣٢٨ ) .

<sup>٢</sup> المشرع ( ١٤٩ / ٢ ) .

<sup>٣</sup> المشرع ( ٢ / ٢٤٦ ) .

إلى منزله بزييد لقصد السلام والزيارة، فلما دخلت عليه قال : مرحباً بك جئت تقبل قدمي ، ثم مد رجله فقبلتهما قال الإمام الياضي : وكان الجلة من العلماء يقبلون قدمه )<sup>١</sup> .

وهذا يستجاب الدعاء عند تواجده :

قال الشلي في ترجمة محمد بن الشيخ عبد الرحمن السقاف : ( وكان والده يحبه ويثني عليه وكان يقول إن الدعاء يستجاب عند تواجد ولدي محمد ، فكان الناس عند ذلك يسألون الله ويدعونه فينالون ما يطلبون )<sup>٢</sup> .

كرامات ممجوجة لا تستساغ :

منها قلب الغائط إلى ذهب :

جاء في كنوز السعادة الأبدية : ( كان الحبيب أحمد الهدار هذا المتأخر عظيم جم ، وكان له تلميذ في الشحر من السادة آل البيض وكان صاحب ثروة فتقاصرت عليه الأشياء فقال : ما معي لهذه الشدة إلا شيخي ، فتوجه إليه فلما وصل وادي عينات أطلع عليه الحبيب أحمد فتلقاه إلى الوادي ، فلما أقبل على السيد جاء إليه ليصافحه فقال له : جئت إلينا بغيت من القزة الخامة ، قف هنا أولاً وأعطني رداءك فأعطاه السيد رداءه ، فغاب الحبيب خلف حصاه وتخلّى في ذلك الرداء وطواه وما فيه ، ثم جاء إلى السيد ورتب له الفاتحة وقال له : هاك الرداء ولا تفكه إلا في الشحر ، فلما وصل السيد إلى الشحر فكه فوجد ما فيه قد تحول ذهباً خالصاً ، فانظر إلى هذه الكرامة العظيمة من هذا الحبيب أراد أن يريه قدر الدنيا وخستها وأنها خراء وقدر )<sup>٣</sup> .

وفي تذكير الناس قال : ( بلغنا أن السيد حاتم الأهدل كان حريصاً على مجلس الإخوان في الله ويشق عليه فراقهم ، وكان له مملوك أمره أن يجلس بالباب ، فإذا أراد أحد من إخوانه قضاء الحاجة والخلاء نظر إلى ذلك العبد فينتقل الحدث إليه فيروح العبد إلى

<sup>١</sup> الطبقات ص ( ٩٨-٩٩ ) .

<sup>٢</sup> المشرع ( ١١٣/١ ) .

<sup>٣</sup> كنوز السعادة ص ( ٢٣٦ ) .

الخلاء وينوب عنه <sup>١</sup> ، وفي نفس الكتاب قال : ( و وقع للحبيب هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس أنه لما زار المدينة المشرفة بات ليلة بالحرم فتحركت عليه بطنه وذهب ليخرج فوجد الأبواب مقفلة فراح إلى ناحية في أخريات الحرم و وضع الخارج في ثوبه ، فلما كان الصباح ذهب إلى خارج المدينة ليرميه فإذا هو ذهب يتلألاً <sup>٢</sup> .

#### المطلب الرابع : آثار انتشار الخرافة :

لقد ترك الاستسلام للخرافة وإساعتها وتقبلها لدى الأمة آثاره المدمرة في نفوس الناس ، وظهرت تلك الآثار على ملامح حياتهم في شتى مناحيها ، ففي العقائد ضعف الاعتماد على الله حينما ربيت الأمة على أن الله قد فوض أمورها إلى الأولياء فهم يحيون ويميتون وهم يشفون ويمرضون ويرزقون ويسلبون ، بل هم يجمعون من شاءوا ويفرقون بين من أرادوا ، فبهذا أصبح الاتجاه إليهم والاعتماد عليهم ، فإليهم يتوجه بالدعاء والاستغاثة ، وإليهم يهرع بالندور والذبائح ، وفي أعتاب أضرحتهم يرتمي المضرور والبائس ، وحتى في أحلك الظروف التي كان مشركو الجاهلية يتخلون فيها عن معبوداتهم ويلجئون إلى الله كما صور الله حالهم بقوله : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا آياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ﴾ <sup>٣</sup> الآية . وقال سبحانه : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾ <sup>٤</sup> وقال سبحانه : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ <sup>٥</sup> .

وعوام المسلمين بل وبعض المحسوبين على العلم لم يصلوا وللأسف إلى ذلك الإدراك ، فإذا نزلت الشدة الشديدة والكارثة العظيمة هرع كل منهم يدعو شيخه ويستغيث به وينذر له

<sup>١</sup> تذكر الناس ص ( ٤٨ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٤٨ ) .

<sup>٣</sup> الإسراء ( ٦٧ ) .

<sup>٤</sup> لقمان ( ٣٢ ) .

<sup>٥</sup> يونس ( ٢٢ ) .

من دون الله ، وعظم خوفهم منهم حتى إن الإنسان ليخاف أن يغضب الولي أكثر مما يخاف أن يغضب الله ، وأوضح دليل على ذلك قضية الحلف بالله والحلف بالأولياء ؛ فإن الناس في تلك الأعصار التي ترسخت فيها الخرافة كان الواحد منهم يكون له اليمين على أخيه فيعرض عليه أن يحلف بالله فلا يقبل إلا أن يحلف بمعظمهم ، وبالفعل فإنه يجترئ على الحلف بالله كاذباً ولا يجترئ على الحلف كاذباً بالولي ، وقد خرجوا ذلك تخريجاً مقبولاً لديهم قالوا : إن بحر الله تعالى واسع ، وأما بحر الولي فهو ضيق ، أي أن عفو الله وحلمه واسع فلا يعجل بالعقوبة ، وأما الولي فهو شديد الغيرة على مقامه ومكانته فمن تجرأ عليه وحلف به كاذباً عاجله بالعقوبة ، وحسبك ما في هذا من التنقص لجنان الله تعالى وإفراغ القلوب من خوفه .

وكما انعكس أثر الخرافة على النفوس فإنه كذلك انعكس على العقول ، فسيطر عليها الأهوام ، واستسلمت لما يلقي إليها ، ولم يبق مجال للتأمل والتفكير والإبداع ، كما انعكس الأثر على الحالة الاجتماعية فتميز فئات بالجاه والمنصب والميزات السياسية والاقتصادية على حساب فئات أخرى .

كما أثرت الخرافة حتى على النواحي السياسية فلم تعد الأمة تفكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيقاف الحاكم المنحرف عند حده ؛ لأن أصحاب السلطة الروحية في نظر العوام أدري بالمصالح والمفاسد ولو كان هذا الحاكم غير صالح لأزالوه بالبرهان وما يملكون من القوى الخارقة ، والحال أن القوتين الروحية والسياسية في كثير من الأحيان تكونان متحدتين ضد الأمة <sup>١</sup> .

<sup>١</sup> ومن أصدق ما يعبر عن هذه الحالة ما جاء في قصيدة الشاعر الواعي المحرب المغترب عن البلاد البعيد عن آثار تلك الخرافات ( صلاح أحمد الأحمدي ) وهي وإن كانت باللغة الدارجة إلا أنها بدعية وقوية ومعبرة ، فلذا أثرت أن أنقلها كاملة هنا كما جاءت في كتاب "إثبات ما ليس بثبوت من تاريخ يافع في حضرموت" تأليف عبد الخالق البطاطي الطبعة الأولى ( ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ) ص ( ١٠١ - ١٠٢ ) يقول رحمه الله :

يا حي يا قيوم يا مطلق من الساق القيود  
قال القعيطي طول ليلي ما تهنيت الرقود  
شبية في التسعين متوجه إلى دار الخلود  
ولا على قاصر ولا السلطان يطلبني نقود

أبديت بك وأدعوك يا جيد وغمرك ما يجمود  
أسألك غفرانك إذا بيت وحدي في اللحد  
لا هم من دنيا ولا من عشق منسوع الجعود  
عسى يقع مسكني في الجنة وعالجورود

وهكذا تجد التأثير في النواحي المختلفة ، حتى لقد ملّ وسئم من ذلك المفكرون ، حتى من المنتمين إلى الأسر المستفيدة من ذلك ، فهذا ابن عبيد الله السقاف له في ذلك صولات وجولات في كثير من كتبه وقصائده<sup>١</sup> .

وهذا حسن بن علوي بن شهاب قد صرح بأعلى صوته شاكياً ومندداً بتلك الحال داعياً إلى إصلاحها<sup>٢</sup> ، وغيرهما كثير بين مقل ومكثر .

سلطان بن سلطان بن سلطان عافرة يذود  
أخبار بلغت ماسر القلب من أرض النحود  
راحت مع الصاحب بلا قيمة ولا عسكر يقود  
آه على لوطان ياغي علي مشوى الجلود  
لكننا معذور واحد عود مامني وقود  
وين ابن مطلق وين ربعة وين بن سالم عبود  
ذي يرعوضون السيل محري يطلعونه في سنود  
وين التميمي والمناهل وين بن عبد الودود  
أين الجعدي أين كنده لي تعزوا بن كنود  
وين باصرة وبن صالح محمد بو عمود  
هم حضروا البيعة وهم كانوا على البيعة شهود  
والخمر في لسواق باتسط به أفرار اليهود  
يامر جوفي يا حياة النذل يامر الكبود  
والإ إلى مكة ونزعوى لفصيل بن سعود  
وجاور الكعبة وزور المصطفى فخر الوجود

ساكن في الدكن بلد عثمان سلطان المنود  
ولكنني اتأثرت من خفض الشرف بعد الصعود  
راحت جهة لحفاف لحمة فاس سرحت بالبرود  
وشيدوا فيها الكنائس والبراكس للجنود  
كم صحت كم ناديت قد بينت به قبل الوجود  
أين الدول أين آل عبد الله و همدان الأسود  
أين القعيطي أين يافع لي تطرح في الربود  
اللي لهم عادات بالجودات من عباد أو ثود  
أين الشافر أين نهد اللي يزررون الشدود  
والعوثاني هم وباسيان شرحان الحدود  
أين الذي قالوا حينها بأسوار الجودود  
وباعادون المدارس والمساجد والسجود  
وتبرجت مرات في لسواق حلسوات الحدود  
يامر جوفي يا حياة النذل يامر الكبود  
ابن الإمام العادل المنصف على رغم الحسود

عليه صلى الله داتم عد حنات الرعود

<sup>١</sup> ديوان ابن عبيد الله ص ( ٤٠٥ ) وما بعدها قسم التركيات و ص ( ٤٣٨ ) وما بعدها القصائد الإمامية للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف . وغير هذين الموضعين من الديوان .

<sup>٢</sup> انظر : مقال الشيخ علي سالم بكر عن هذا الرجل وكتاب (نحلة الوطن ) في مجلة الحكمة اليمنية العدد ( ١٣٧ ) إبريل

( ١٩٨٧ م )



## المبحث الثالث

### التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه

وفيه أربعة مطالب :

#### المطلب الأول : عدالة الإسلام وتسويته بين الناس :

إن من أعظم المبادئ التي جاء بها الإسلام العدل بين الناس والتأكيد على المساواة بينهم من حيث الأنساب ، فهم كما قال النبي ﷺ : (( لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ))<sup>١</sup> ، وحذر من الفخر بالأنساب فقال : (( لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرع بأنفه ، إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ))<sup>٢</sup> ، وأبان الحكمة في جعلهم شعوباً وقبائل وأنها لمجرد التعرف فيما بينهم وجعل علة التكریم والتفاضل بينهم هي التقوى قال تعالى : \* يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير \*<sup>٣</sup> ومع ذلك أكد على أخوتهم ووجوب العدل بينهم فقال : \* إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون \*<sup>٤</sup> وأكد وحدتهم فقال : \* وإن هذه أمتكم أمة واحدة \*<sup>٥</sup> وأبان النبي ﷺ أن الميزة في الآخرة بالأعمال لا بالأنساب فقال : (( ومن

<sup>١</sup> رواه الإمام أحمد : (٤١١/٥).

<sup>٢</sup> رواه أحمد ، كتاب الأدب باب في التفاحر بالأحساب ( ٢ / ٣٦١ - ٥٢٤ ) ، و الترمذي ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجرات ( ٥ / ٣٨٩ ) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وصححه الشيخ الألباني في غاية المرام تفريغ أحاديث الحلال والحرام ( ١٥٤ )

طبع المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ( ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ) .

<sup>٣</sup> سورة الحجرات (١٣).

<sup>٤</sup> سورة الحجرات (١٠).

<sup>٥</sup> سورة المؤمنون (٥٢).

بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))<sup>١</sup> وأندر فاطمة فمن دونها من قرابته بأن مجرد قرابتهم له لا تغنيهم يوم القيامة فقال : ((يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً))<sup>٢</sup> وإذا كان هناك فضل بالنسب ، وهذا الفضل قد حدد وفصل ، وجب على الأمة الاعتراف به وأدائه كما ينبغي ، كالخصائص التي خص بها أهل البيت من حبهم واحترامهم والصلاة عليهم وحققهم في الضياء والخمس ومنع الزكاة عليهم ، هذه الأمور معروفة وقد أقرها المسلمون وعملوا بها أو على الأقل أثبتوها في كتب العقائد والأحكام وطالبوا الأمة بأدائها ، وما تكونت بسبب ذلك طبقة متميزة مترفعة على الناس بحكم نسبها في القرون الفاضلة ولا في سائر القرون ، خلا في نطاق نفوذ الشيعة : فإنها الفرقة الوحيدة التي جعلت قضيتها الأولى تمييز آل الرسول ﷺ عن سائر المسلمين ، وأسبغت عليهم أوصافاً وقضت لهم بأحكام ومنحتهم مزايا ما أنزل الله بها من سلطان وما ادعاه آل البيت من العلماء الأفاضل في عهد الصحابة والتابعين قبل بروز نحلة التشيع الغالي ، وكذلك الترفع على الناس بالعلم أو بالصلاح ، فما هي طبقة أبناء العشرة المبشرين بالجنة بين سائر المسلمين وهم أفضل أمة أمة محمد ﷺ بشهادة الرسول ﷺ لا بشهادة دجاجة الصوفية أو رجال الغيب الذين هم شياطين من شياطين الجن أو الخضر المزعوم أو المرائي الموهومة أو الكاذبة هل عرفت بين المسلمين طبقة مترفعة عنهم هي طبقة أبناء العشرة ؟ كلا والله ما حصل بل كانوا يزوجون الناس ويتزوجون منهم ، وكذلك طبقة العلماء والفقهاء هل ظهرت هذه الطبقة في غير نطاق الصوفية والقبورية أو الشيعة الغالية ؟ الجواب : لا .

**المطلب الثاني : إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب والعلم والولاية**  
قد أخبر النبي ﷺ بأن عدداً من أمور الجاهلية ستعود إلى الأمة وتستمر فيها من الفخر بالأنساب والطعن في الأنساب، فعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : (( أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ،

<sup>١</sup> رواد مسلم (٢٦٩٩)، وأحمد (٢٥٢/٢)(٤٠٧)، وأبو داود (٣٦٤٣) ، انظر : جامع العلوم والحكم (٢٨٤/٢) للإمام الحافظ ابن

رحب تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحس طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) .

<sup>٢</sup> انظر مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ص (٣٦) تحقيق الألباني المكتب الإسلامي الطبعة السادسة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

والنباية ))<sup>١</sup> وعادت تلك الأمور كلها إلى الظهور ومنها التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب .

ومعقول أن يتفاخر ملك مستكبر بأبائه وأجداده ، وأن يتعاضم تاجر جاهل بماله ، وأن يتباهى قبيلي متعصب بنسبه وحسبه ، لكن من أغرب الأمور أن يتباهى صالح بصلاحه أو عالم بعلمه أو مدع أنه من آل الرسول ﷺ ، وهو يعرف طريقهم ثم يتعالى على الناس بذلك ، لكن قوماً من اللاتئين بهذا النسب والمستفيدين منه هم الذين سنوا سنة التفاخر والتعالي وادعاء أحقية الملك والخلافة بهذا النسب ، وهم الذين ضخموا قضية أهل البيت وأحقيتهم بالإمامة حتى جعلوا ذلك أصل عقيدتهم ، ومن قرأ أصول الإثني عشرية والإسماعيلية عرف ذلك ، وعندنا في اليمن طائفتان تدعيان ذلك ، وتسخران كل جهودهما لتبنيه هما أئمة الزيدية الهاديوية الذين ركزوا على الخلافة الظاهرة وجعلوها محور عقائدهم وأحكامهم ويسببها كفروا وضللوا وفسقوا واستحلوا أموال مخالفيهم واشتد غضبهم على فرقة المطرفية وهي في الأصل منهم ؛ حينما خالفت في مبدأ التفاضل بالنسب بواجازت الإمامة في غير قریش فانتدب لهم معاصرهم الإمام عبد الله بن حمزة ووضع تلك القاعدة الظالمة التي يقول فيها :

أما الذي عند جدودي فيه      فيقطعون لِسَنَه من فيه  
ويؤثمون ضحوة بنيهِ      إذ صار حق الغير يدعيه<sup>٢</sup>

وبناءً على ذلك قام بإبادة فرقة المطرفية إبادة كاملة ، حتى لقد هدم مساجدهم وقراهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ولا ذنب لهم إلا أنهم خالفوا في ذلك الأصل<sup>٣</sup> ، ومن عجيب ما فعل أنه كتب على جدار أو باب مسجده :

أقسمت قسمة حالف بروي      لا يدخلنك ما حييت مطرفي  
وقد وُضِعَتْ في ذلك أحاديث وقُعِدَتْ قواعد ليس لها أصل .

<sup>١</sup> رواد مسلم ( ٢٣٥/٥ ) مع النووي ، كتاب الجنائز ، باب تحريم النباية .

<sup>٢</sup> هجر العلم ومعاقله في اليمن ( ٥٤٧/١ ) .

<sup>٣</sup> انظر : تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ص ( ١٨٢ - ١٩٢ ) علي محمد زيد .

وفي بلاد الشافعية وخصوصاً في حضرموت قامت خلافة باطنة إمامها القطب وسلاحها البرهان ووسليتها لبسط نفوذها تفريق الأمة وتقسيمهم إلى طبقات ، لكل طبقة وظيفتها التي تتكامل مع بقية الطبقات الأخرى في قيام تلك الخلافة الباطنة وترسيخها وحمايتها ومدها بكل ما تحتاجه من دعم معنوي وعسكري واقتصادي ، وحتى السلطات السياسية جندت لخدمة هذه الخلافة ، واليك الأدلة على ذلك من كتب القوم أنفسهم .

قال ابن عبيد الله في رسالته " نسيم حاجر " : ( إن العلويين الحضرميين ومن لف لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه ، إذ ظالما سمعنا ممن لا يحصر عدأ أو لا يضبط كثرة منهم من يقول : إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عوضوا بالخلافة الباطنة ، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه ثم علي زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق ، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم ، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء ، وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها ، واذكر في الكتاب ما اتفقوا عليه من قطبانية الفقيه المقدم ، ما يزعم له بعضهم من الخلافة الراشدة ، وتأمل ما جاء في الحكاية ( ٣٣٧ ) من الجوهر الشفاف وما علق به عليها مؤلفه ، فإنها صريحة في أن الشيخ السقاف ليس بحنبلي ولا شافعي ولا مالكي ولا حنفي ، وإن تلك هي صفة القطب الذي يولي من يشاء ويعزل من أراد ، لا راد لحكمه ولا معقب لأمره ، وما جاء في النور السافر ، وتناقله من بعده الشيخ محمد بن أحمد باجر فيل من الاعتذار عن تصرفات الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس ( العدني ) وحاصله : أن العلامة بحرق سألته عن تصرفات مالية يباشرها الإمام العدني يقبضها ويصرفها بغير مصارفها في ظاهر الأمر ، فقال له : أنا أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصرفات كلها . انتهى ، وذكر هو وغيره أن الشيخ علي بن أبي بكر كان يشهد للعدني بالقطبية وهي الخلافة التامة الباطنية ليس غير ، ولا ننس ما جاء في عقد الجواهر والدرر للشلي أن الشيخ علي بامحسون كان ناظراً على مسجد سرجيس "بتريم" فطلب الإذن للتصرف فيما يتعلق بالمسجد من السيد عبد الله بن الشيخ العيدروس الأوسط وقال له : إذا تحقق أنك صاحب الوقت ، فأذن له بعد إلحاح ، وما أكثر ما يتمثل به أعيانهم من قوله :

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا رسمه وعقابه

وممن تمثل به سيدي الإمام أحمد بن محمد المحضار في قصة طويلة ملخصها أنه حج في سنة وبمعيته السادة الأجلاء : عبد الرحمن بن علي بن عمر السقاف المتوفى "بسيئون" سنة (١٢٩٢هـ) ومحمد ابن علي بن علوي بن عبد الله السقاف المتوفى وهو ساجد بمسجد الشيخ عسمر المحضار "بتريم" سنة (١٣٠١هـ) وصديقي السيد شيخ بن محمد الحبشي المتوفى "بسيئون" سنة (١٣٤٨هـ) فاجتمعوا بأحد الأمراء من الأشراف إما في "المخا" وإما في "أبي عريش"، فالعهد بالرواية بعيد، ولما أخبروه عن أمراء بلادهم بعد أن أحفاهم السؤال، قالوا له: إن أحدهم (وهو القعيطي) من حمير، والثاني (وهو الكثيري) من همدان، اقتحمتهما عينه، ولامهم على خضوعهم لمن سواهم، فقال له المحضار: إنما هم خدام لنا، والأمر أمرنا، وتثل بالبيت، والقصة مبسوبة بالبضائع، فتراهم لا ينظرون إلى غيرهم من الأمراء إلا ما ينظره الفقيه إلى ولادة الضرورة من نفوذ أحكامهم بقدرها خشية الاضطراب.

ومنهم من يرى أنه لا يقوم سلطان من غيرهم إلا كان عليه نظر من القطب صاحب الوقت، فيصير كالنائب عنه ليس إلا وهو موجود في كلامهم بكثرة، ورأيت بخط شيخ مشائخنا السيد عبد الرحمن بن علي السابق الذكر عن أبيه ما معناه: إن هؤلاء الأمراء لا يعدون إلا باغين ظالمين، وما أدري أقال ذلك من تلقاء نفسه أم كان ناقلًا عن أحد من الأئمة؟ فإن العهد بالإطلاع عليه قد تقادم، وسواء كان من مقوله أو منقوله فإن له اتصالاً بالقصة التي جرت لهم مع ذلك الشريف)<sup>١</sup>.

وكذلك يقول صالح بن علي الحامد في تاريخ حضرموت: (ولما لدى العلويين في تلك العهود من الفضل والعلم يضاف إلى ذلك ما هم عليه من النسك والصلاح والقيام بوظيفة الدعوة والإرشاد وإخماد الفتن، كان لهم من الود والإجلال لدى جميع الطبقات في الشعب الحضرمي والثقة ما حوّل لهم قيادة الشعب وإدارة دفة الثقافة والتعليم فيه، وكون لهم بحضرموت سلطة دينية جعلت لهم بين السكان المكان المرموق والكلمة النافذة).

ويعلم باستقراء أخبار ذلك العصر أن الزعامة في العلويين بعد الإمام الفقيه المقدم بقيت في أبنائه يتداولونها، ثم إنها انحصرت بعد الإمام السقاف المتوفى سنة (٨١٩هـ) في ذريته

<sup>١</sup> نسيم حاجر ص (٨-١٠).

خاصة . قال الطيب أبو مخرمة في تاريخه في ترجمة الإمام السقاف ما نصه : ( ولأولاده و نسله إلى الآن الميزة والرئاسة على آل أبي علوي ) أ.هـ .

وقد شهدت الدلائل والآثار على أن العلويين في تلك الأزمنة أداروا دفة الحياة الثقافية والإصلاحية بكل إخلاص ، وساروا بالبلاد سيراً مرضياً في تواضع لا تشوبه أنانية ، وفي نزاهة تامة وذلك ما جعلهم يرغبون عن الإمارة ، ويتنحون بكل قواهم عن كراسي الحكم ، تاركين ذلك عن رضى واختيار لغيرهم ، حتى قال البرزنجي : ما في آل أبي علوي إلا أنهم بلدهم لغيرهم ، وهم وإن ابتعدوا عن الحكم ورغبوا عن الولايات اعتباراً لأنها من حظوظ الدنيا أو لغير ذلك ، فإنها لا تقوم إلا على تأييدهم ، ولا ترسخ قوائمها إلا على إرادتهم غالباً منذ نزلوا بحضرموت ، ولذلك لما ذكر الشيخ الشواف في منظومته الدارجة السيد علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى أشار على ما ذكرنا إذ قال :

والشيخ علوي الأول      هو ذاك ذي قد دول  
والأرض منها زول      من كان جاهل بالله

وكلمات دول الأرض وزول لها مدلولاتها في الإشارة إلى التأثير في إقامة دولة وإزالة غيرها .

ومع ذلك فهم لا يزالون يراعونها عن كذب أشد الرعاية ، ويتابعون تطوراتها وتغييراتها في حيطة وحذر ، باذلين في كل ذلك إرشاد وتقديم جهد المستطاع )<sup>١</sup> .

وقال أحمد بن حسن العطاس : ( وأهل البيت يستحقون الخلافة جميعهم بالنيابة عن متبوعهم الأعظم ﷺ ، وإنما لا تظهر بكمالها إلا في فرد واحد ، إذا جاءت نوبته المطلقة فحينئذ تحن إليه الأرواح وتعكف عليه الأشباح ، بمعرفة خفية وشؤون جلية )<sup>٢</sup> .

هذه هي مكانة صوفية حضرموت وبالذات آل أبي علوي عند أنفسهم ومن يدين لهم بالولاء والاتباع ، وقد سخرها الخرافة أسوأ تسخير لتثبيت ذلك فأظهروا للناس أن كل قيام دولة أو سقوطها إنما هو بإرادتهم وكل نصر أو هزيمة لقبيلة فإنه مرتبط بسلطتهم أو سلطة

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٦٤١ - ٦٤٢ )

<sup>٢</sup> تذكير الناس ص ( ٣٦٦ ) .

أقطاب الصوفية الآخرين " المنطويين فيهم " يقول صالح بن علي الحامد : ( ولم تتبدل الدولة " بتريم " حتى شاء الله ، وذلك بعد أن رضي العلويون ، ورأوا في ذلك المصلحة العامة )<sup>١</sup> .  
وتلك السلطة الظاهرة عند أئمة الزيدية قد أذاقت الأمة صنوفاً من القهر والاستعباد والسخرة ضج منها الأحرار وسجلها المؤرخون وحملت المخلصين على العمل على محاربتها محاربة لا هواده فيها ، ذو الفكري بفكره وذو السياسة بسياسته وذو المال بماله حتى هباً الله الانعتاق منها<sup>٢</sup> .

وفي بقية المناطق كانت المعاناة أطول وأشمل غير أن وقعها لم يكن بذلك الظاهر المزعج كما هو شأن سلطة الأئمة خصوصاً أن التمهيد لها والتربية عليها وإقناع الناس إن هذا هو واجبهم وأنه في مصلحتهم حيث سينالون بذلك بركة الأولياء وستفيض عليهم إسرارهم وإمدادهم إن ذلك قد خفف المعاناة وأطال أمر الاستسلام لها .  
وفي المطلب التالي ما يلقي الضوء على تلك السلطة وأساليب الاستفادة من سائر طبقات المجتمع .

### المطلب الثالث : مظاهر التمايز الطبقي :

وقد ترسّخ ذلك التمايز وظهر بعدة مظاهر :

المظهر الأول : تقسيم المجتمع إلى طبقات متفاوتة لكل طبقة ميزاتها وحدودها ، وعليها مهام وحقوق يجب أن تلتزم بها ، مع أن للطبقة العليا الاستفادة من كل ما هو من حقوق الطبقات الدنيا ولا عكس

الطبقة العليا ( السادة ) : وهي ذات أرفع وأوسع امتيازاً وهم ذرية أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ؑ ويسمون في حضرموت بـ ( آل باعلوي ) وهم فيما بينهم يتفاضلون كذلك كما سيأتي رغم أنهم ينتمون إلى رجل واحد .

الطبقة الثانية : المشايخ وهي مرتبة اصطلاحية لا تقوم على نسب معين إذ تنتمي فئة المشايخ إلى عدة قبائل، منهم من تنتسب إلى آل البيت ، ومنهم إلى بقية بطون قريش ومنهم

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٦٤١ ) .

<sup>٢</sup> انظر على سبيل المثال : كتاب ابن الأمير وعصره ، وكتب الإمامة وخطرها على وحدة اليمن للأستاذ الزبيري .

إلى غيرهما من سائر القبائل العربية ، فميزتهم لا على سبيل النسب ولكن على مقياس التصوف فأكبر أجدادهم إغراقاً في التصوف أرفعهم منزلة وأكثر أجدادهم " انطواءً في أهل البيت " أي تبعية لهم أرفعهم كذلك ، مع ما يضاف إلى ذلك من صفة الفقه في الدين التي تحرص هذه الطبقة أن يكون منها من يتصف بها وخصوصاً في السابق .

والطبقة الثالثة : القبائل حاملة السلاح وهي التي بقيت متمسكة بأنسابها متعصبة لها متماسكة فيما بينها معتمدة على قوتها وحميتها .

الطبقة الرابعة : وهم القبائل العربية التي اندمجت في المجتمع وانشغلت بالحرف المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وما يلتحق بذلك ، وهؤلاء قد يتفاوتون أيضاً فيما بينهم بحسب مهنتهم ، وهذا التقديم والتأخير قد يختلف من منطقة إلى أخرى ، ويسمون القرار أو الحرثان أو المساكين بحسب اصطلاح المناطق المختلفة .

والطبقة الخامسة : هم " الصبيان " أي الخدم و" العبيد " أي الموالي الذين كانوا مماليك وقد يفرق بين هاتين الفئتين فتصبحان طبقتين يقدم الصبيان على العبيد في بعض المناطق ، ويقدم العبيد على الصبيان في مناطق أخرى <sup>١</sup> ، وفي بقية مناطق اليمن تفاوت وإنما قد يكون علة هذا التقسيم بشكل أقل وقد تكون درجات سلم التفرقة أقصر .

والذي يظهر أن أساس هذه التفرقة وهذا التفاضل هو التسلط الروحي الذي فرضه شيوخ الطرق الصوفية يضاف إليه النسب الهاشمي الذي يفاخر به أولئك الشيوخ ، وقد لعبت الخرافة دوراً بارزاً في هذا التمايز إذ قد بنى شيوخ التصوف لأنفسهم تلك المنازل وأشادوها بما يبثون في المجتمع من تلك الخرافات والتي هيأوا المجتمع للقبول بها وتصديقها والعمل بما تدعوا إليه ، وهكذا تكونت وتطورت عبر الأيام فمن جمع بين شرف النسب العرقي والنسب الروحي فهو القمة في الشرف ، وكلما كان غالياً في التصوف كثير الشطح والمجازفات والتبجح كان أرفع وأسمى ، والدليل على ذلك أن آل باعلوي في حضرموت كلهم من ذرية رجل واحد وكلهم قد اعتنقوا التصوف ودانوا به ، بل إن معظمهم إن لم يكونوا جميعهم

انظر الفكر والمجتمع في حضرموت ( ٥٨ - ٦٦ ) . والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في حضرموت

ص ( ٢٥ - ٤٠ ) .



يرجعون إلى الصوفي الكبير " الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي " ومع ذلك يتفاوتون فيما بينهم ، ويرى بعضهم لأنفسهم ميزة على غيرهم لانتسابهم لمن كان أكثر تصوفاً بل أكثر سطحا ودعاوى ، فهذا واحد من آل حامد من ذرية الشيخ أبي بكر بن سالم الذين يعدون أرفع السادة الحضارم منزلة يقول في أبيات له مفتخراً بنفسه وجماعته :

حامدي حامدي                      ما نا كاف ولا خرد  
حامد وترياه رحية              ند عشرة يهد

يقول هو من آل الحامد وليس من آل الكاف ولا من آل خرد ، فال حامد أشرف وأرفع قدراً من تلك القبيلتين رغم أن الجميع من آل باعلوي .

وقوله ترياه رحية أي من سكان وادي رحية حيث تحولت تلك القبيلة من السادة إلى القبليّة وحملت السلاح فلذا فإنه " ند عشرة " أي مقابل عشرة في الحرب والضراب ، وهي المعنية بقوله " يهد " أي يقاتل .

وفي المقابل يقول أحد المنتمين إلى إحدى القبائل التي تعد من المستوى الأقل عندهم :

لاجئت باماري صحابي              ماشي معي بيرق وقبه  
نحننا على دين الصحابة              والكافر إلا في الهريه

يقول إذا جئت لأفأخر أصحابي من القبائل المتعالية ليس معي حجة أقدمها ؛ لأن ميزان التقدم هو البيرق والقبه شعار السلطة الصوفية ، فكل ولي معترف به مسلّم له بالولاية والتقدم ، فشعار الفضل والتقديم أن يكون على قبره قبة ولخليفته ومنصب مقامه بيرق<sup>١</sup> وقوله في الهريه أي في ( أوروبا ) .

وبهذا يتضح أن للقبورية أثراً كبيراً في هذا التمايز وأنه بقدر الإغراق في القبورية تكون الرفعة والمنزلة ؛ ولأن الصوفية من عاداتها أن تجعل موضع شيخ طريقته مقدساً وتسبغ على خلفائه القداسة المقتضية للتسلط ؛ ولأن تلك السلطة بحاجة لدعم معنوي ودعم سلاح ودعم مادي واتباع تظهر بهم مكانة المتبوع فقد جاءت بقية الطبقات .

<sup>١</sup> يقول صاحب تاريخ العرب : والغالب أن مؤسس كل طريقة كان يصحح إمام مذهب صوفي ، ويكتسب شيئاً من الصفات الإلهية ويصبح مفرق بعد موته مقام تقديس واحترام انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ( ١ / ٤٧٤ ) .

فطبقة المشايخ وهم الطبقة المثقفة الوحيدة في الغالب بعد السادة فإن مهمتها الدعم المعنوي من نشر لفصائل أولياء السادة وترويج لخرافاتهم وتعظيم لمقاماتهم بين بقية الناس ، وكلما كان الواحد منهم أكثر تقليداً وفناءً فيهم كلما كان مقامه أرفع وثناؤهم عليه أكثر ؛ ولذا فإنهم يمدحونه بأنه "منطوي في أهل البيت "

كما قالوا في الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان ، أو " خزانة آل باعلوي " كما قالوا في الشيخ سعيد ابن عيسى العمودي وهكذا ، وطبقة المشايخ قد حصلت هي الأخرى على امتيازات متقاربة بقدر شهرة جدودها وسعة ولايتهم وسطوع برهانهم .

وأما القبائل فإنها القوة الضاربة في المجتمع ، وقد تعتمد السادة بدرجة أساسية وربما بعض المشايخ إبقاء هذه الشريحة جاهلة غير متعلمة ليسهل التحكم فيها وتسخيرها في مصالح أولئك الأسياد ، فما من قبيلة من قبائل اليمن الشافعي إلا ولها اعتقاد في ولي من الأولياء وتدين بالتبعية لخلفائه وتعطي العهود والمواثيق لكل من يتقلد المنصب من خلفاء ذلك الولي ، وهذا أمر متواتر لا ينكره أحد وقد نص عليه في بعض كتب التاريخ والتراجم وغيرها ، ولدى تلك القبائل اعتقادات جازمة أنه متى ما أغضبت القبيلة خليفة الولي أو خفرت ذمة أحد من أفراد ذريته أنها معرضة للعقوبة من ذلك الولي ، ولذلك فإنها تبادر باعتذار للأحياء والأموات وتقدم العقاير للأضرحة كما مر شرحه في فصل سابق .

وقد يحرك مناصب السادة والمشايخ مجاميع القبائل ويزجون بهم في حروب يكون المستفيد الوحيد منها هو ذلك المنصب وأصحابه ، وكم تراق من دماء وتذهب من أنفُس في سبيل ذلك ، وقد تسلط قبيلة على قبيلة أخرى يحركها المنصب ؛ لأن إحدى القبيلتين خرجت عن الطاعة أو خفرت الذمة ، كما أنهم قد يستخدمون تلك القبائل أو البعض منها في تطويع بقية الشرائع المنزوعة السلاح المستضعفة فيما إذا قصرت في أداء ما عليها من إتاوات مالية لمقامات المناصب والأولياء أو للحكام من السادة أو المشايخ ، وهكذا فيما لو قصر أحد أولئك المستضعفين فيما هو متعارف عليه من السخرة والخدمة بل وبعض العادات التي تتجلى فيها إهانة للمساكين والعظمة والكبرياء للمتعاليين<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> وللإنصاف فإن السادة و المشايخ كثيراً ما يتدخلون في حال نشوب الحرب بين القبائل ويوقعون الحرب ويعقدون هدنة بينهم لا يجرؤ أحد منهم في الغالب على نقضها وبذلك يصدون شروراً كثيرة ويجولون دون وقوع المزيد من إراقة الدماء . ولكن الالاف للنظر أنهم -

وخذ مثلاً على تلك السلطة بذكر بعض الأسر ذات السلطة ومن يتبعها من القبائل، قال الشاطري : ( ومن أبرز العائلات التي تحدت منها المناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولهم وجاهة عظيمة لدى القبائل الياضية والمهرة والمناهيل وغيرهم ، وآل العطاس ووجاهتهم أكثر لدى قبائل الجعدة ونهد ، وآل العيدروس ووجاهتهم لدى القبائل الشنفرية والتميمية ، وهذه أسر علوية شهيرة ، وللمشايع العموديين وجاهة عظيمة لدى قبائل دوعن ، كما أن لآل أبي وزير وجاهة لدى قبائل الساحل ، ولآل أبي عباد وجاهة لدى بعض القبائل البدوية ، وهذه أسر شهيرة من المشايخ تحدت فيها مناصب معروفة .

وهناك أسر أخرى علوية وغير علوية لها منصبها ووجاهتها ألتمس العذر لعدم الإطالة بذكرها ؛ لأن المقام يقتضي ذلك ، كما أنني من أجله لم يمكنني التفصيل بتعداد أسماء القبائل المتعلقة لتنفيذ المناسبات ، والمهم إعطاء صورة عامة عنها طبق الواقع إذ ذاك ، ولكثير من المناصب خدم وحشم وخيول ومماليك ، وعلم وطبول قل أن تفارقهم )<sup>١</sup> .

وأما طبقة الحرثان " المزارعون " والتجار فإنها تمثل البعد الاقتصادي ، فإنه من المعروف أن أرباب المقامات وخصوصاً المقامات الشهيرة كمقام منصب آل الشيخ أبي بكر في عينات ، ومناصب آل العطاس في حريضة وعمد ومنصب مقام الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في "بضة" وغيرها من المقامات فإنه قد فرض لها على كثير من الحرثان والذين يسمون " فقراء " فقراء الشيخ أبي بكر أو فقراء الشيخ سعيد نصيب معلوم من زكاة أموالهم يوردونه إلى تلك المقامات ، هذا بالإضافة إلى النذور والصدقات التي تشترك فيها جميع الطبقات وربما طلبوا منهم طلبات محددة في مناسبات معينة وهم لا يستطيعون بحال رفض الطلب ؛ لأنهم يخافون من بطشهم أحياناً بتسليط بعض القبائل عليهم ، أو لخوفهم من الأولياء أن يغضبوا عليهم وينتقموا منهم .

= لا يسعون لحل القضايا حلاً جذرياً وإنما يوقفون الحرب القائمة فقط لتعود بعد الهدنة إلى ما كانت عليه أو أكثر ، وهم كذلك لم يحاولوا إخراج تلك القبائل من جهلها أبداً ولم يقضوا على أسباب تلك الفتن والحروب ولست أستطيع الجزم إن كان لهم في ذلك أهداف ومصالح أم أن الوضع غير قابل لها ، مع أن تراجم الكثير من أقطابهم توحى بقدرتهم الفائقة على ذلك لو أرادوا .  
١ أدوار التاريخ الحضرمي ص ( ٢٩٠ - ٢٩١ ) .

وأما طبقة الصبيان والعبيد فإنها للخدمة في شتى شؤون المناصب والمقامات في كثير من الأحيان دون مقابل ، ولا يستطيعون أن يرفضوا ذلك كما هو الشأن في الطبقة السابقة بل أشد ، وتلك الطبقات المتسلطة لا تجد أي حرج من الاستهزاء والازدراء بالطبقات الدنيا وذمها وإظهار حقارتها ، بل إذا أرادوا أن يمثلوا لدناءة الأصل ولؤم الطبع فإنهم يمثلون بهم دون أي تحرج ، ولو على مسامعهم ، وكمثال على ذلك استمع إلى هذه الحكاية من عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مفتي حضرموت يرويها عن علي بن حسن العطاس صاحب المشهد والموصوف بالقطبية والعلم والأدب .

يقول ابن عبيد الله واصفاً شعر الحبيب علي بن حسن العطاس : ( وله ديوان عذب كأنه اللؤلؤ الرطب وهو يمر في منظومه ومنثوره مع خاطره لا يتكلف ولا يتنطع ولا يدع شيئاً بباله إلا نثب به لسانه وعسل به قلمه ، من ذلك أن جماعة من قرار شبام أتوا عنده فأكرمهم وأسبغ قراهم ومعهم جمال من آل مهري سأل عنه الحبيب عند حضور العشاء فقالوا له : إنه عند المراكيب فأخبر عشاءه حتى تفرغ ، قال : لا يمكن أن نأكل إلا ويده مع أيدينا ، واتفق أن الحبيب دخل شباماً بعد أمة من الزمان واجتمع بكل أولئك في الجامع ، ولم يقل له أحد تفضل إلى منزلي وأبوا بلسان الحال أن يضيفوه ، فاضطر إلى الخروج من شبام قريب المغرب فلاقاه ابن مهري وعزم عليه وألح وذبح له منيحة ولده ، فأنشأ الحبيب قصيدة يقول فيها :

علي بن حسن حوط الحيوار وامسى مزار وامسيت يا جحي جنة بعد ما كنت نار  
يا القروى القار يا عرق الحدج يا الحمار حب القبيلي وقيراط القبيلي بهار  
وان جئت صر القبيلي ما لطف في الصرار<sup>١</sup>

الشاهد من الأبيات قوله : ( يا القروى القار يا عرق الحدج يا الحمار ) فهذا سب واضح فقول " القار " أي المرو هو كناية عن الخبث فقد وصفه بالخبث وكنى عن ذلك بالمرارة التي شبهها بعرق الحدج " أي الحنظل " الذي يضرب به المثل في عدم الاستساغة ، وأفحش من ذلك وأظهر جعله هذه الطبقة حميراً ولا يخفى ما في هذا الوصف من الفحش والبذاءة ،

<sup>١</sup> إدام القوت ص ( ١٦٠ ) .

ووصف أفراد الطبقات الضعيفة بـ " الحمار " عادة مستمرة إلى اليوم من قبل الثلاث الطبقات المتسلطة إلا القليل ممن عصمه الله بالعلم والخوف من الله تعالى .

المظهر الثاني : اعتبار الكفاءة بالأنساب ، فالطبقة العليا لا تزوج الطبقة السفلى مع إعطاء العليا الحق في الزوج ممن هي دونها ، وهذا مخالف لأصل العدل والمساواة في الإسلام الذي جعل التفاضل والتكريم بالدين لا بالنسب ، وهو مخالف كذلك لأصل الكفاءة التي اعتبرها النبي ﷺ حين قال : (( إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ))<sup>١</sup> وفي رواية كبير)<sup>٢</sup> ، وهذا المظهر ما زال قائماً إلى اليوم إلا ما شاء الله .

ومن الأدلة على أن هذا الأسلوب مقصود ، وله أهدافه التي هي ليست مجرد الجهل والعصبية ، ما حدث بين الحضارم العلويين والإرشاديين في جنوب شرق آسيا من خصام بل صراع وصل إلى حد القتال وإراقة الدماء وما ترتب على ذلك من آثار كبيرة ، وكان السبب في ذلك كله هو إفتاء الشيخ أحمد السوركتي شيخ الإرشاديين بجواز زواج العلوية من غير العلوي ، فثارت ثائرة العلويين وأقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل ذلك ، وألقت ردود كثيرة من كتب ومقالات صحفية وخطب ومحاضرات وغير ذلك ، وقد ظهر من مجموع تلك الردود أن هذه الفتوى خطيرة غاية الخطورة على الترتيب الاجتماعي المستقر في حضرموت ، وهدم له وإفقاد العلويين ميزة ظلوا محتفظين بها قروناً طويلة .

ولا أريد الإسهاب في هذا الموضوع فمن أحب الاطلاع عليه فليرجع إلى كتب ورسائل الطرفين ومن أشهرها رسالة " صورة الجواب " للشيخ أحمد السوركتي و " فصل الخطاب " للشيخ أحمد العاقب زمبل السوركتي وأبرز مناصريه ، وكتاب " القول الفصل فيما لقريش وسائر العرب من الفضل " للسيد علوي ابن طاهر الحداد ، وديوان ابن شهاب فله قصائد في الموضوع تمثل وجهة نظر العلويين ، وفتوى السيد عمر بن سالم العطاس بتحريم زواج العلوية

<sup>١</sup> رواه الترمذي ( ٣٨٥/٣ ) كتاب النكاح - باب ما جاء إذا جاء من ترضون دينه فزوجوه ، وابن ماجه ( ٦٣٢/١ ) كتاب النكاح باب الإكفاء ، والحاكم ( ١٦٤/٢ - ١٦٥ ) كتاب النكاح . والخطيب في تاريخ بغداد ( ٦١/١١ ) وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء ( ٢٦٦/٦ - ٢٦٨ ) .

<sup>٢</sup> أخرج هذه اللفظة البيهقي في سننه ( ٨٢/٧ ) وانظر التخرج كاملاً في : إرواء الغليل ( ٢٦٦/٦ - ٢٦٨ ) .

بغير العلوي ومجلة المنار<sup>١</sup> الصادرة بالقاهرة ففيه مقال ضاف للشيخ محمد رشيد رضا ، وكتب التاريخ المعاصرة لتلك الحقبة والتالية لها .

أقول إن مجمل ما دار في تلك المعارك وما ترتب عليها ليؤكد مدى اعتماد العلويين على هذا الأصل واهتمامهم به لما يترتب عليه من ميزة اجتماعية لهم .

المظهر الثالث : التميز بلقب " سيد " الذي كان مختصاً بالعلويين لا يشاركونهم فيه غيرهم حتى من المشايخ الذين هم أرفع الطبقات بعدهم ، وقد تناولت معاركهم المشار إليها سابقاً هذه الميزة ، وقد جد الإرشاديون في تعميم هذا اللقب على كل رجل من أي طبقة كانت ، وذلك بعد أن فقد معناه اللغوي، فلجأوا للعرف السائد لدى المعاصرين من العرب في شتى البلاد العربية من إطلاق سيد على الرجل وسيدته على المرأة المتزوجة ، وقد نجحوا إلى حد كبير في تعميم هذا اللقب ، والأسوأ من اختصاصهم بلقب سيد اختصاص رجالهم بوصف " الشريف " ونسائهم بوصف " الشريفة " والمبالغة في ذلك ، حتى أن بعض الألفاظ أو التصرفات ليدل ظاهرها على اختصاص الشرف بهم وأنه لا شريف سواهم ، من ذلك أن يقف الرجل في بعض المناطق على المجلس الذي يضم عدداً كبيراً من الناس فيقول : ( حد شريف في المجلس ) أي : هل يوجد شريف في المجلس ؟ فإن وجد أحد منهم قيل له : نعم هو ذاك ، وإن لم يوجد قيل له : لا ، فانظر كيف يترتب على هذا السؤال وجوابهم نفي الشرف عن جميع الحاضرين .

المظهر الرابع والخامس : تميز العلويين دون سواهم بتقبيل الأيدي ولباس العمامات بشكل خاص لا يشاركهم فيه غيرهم ، يقول صاحب تذكير الناس : ( وسئل سيدي عن تقبيل أيدي الأشراف هل هو سنة أم بدعة ؟ فقال رضي الله عنه : لما خرج السادة العلويون إلى جهة حضرموت ميزهم أهل الجهة بعلامتين العمامة ، وتقبيل اليد ، فالتقبيل بقي إلى الآن ، والعمامة شاركهم فيها غيرهم ، وكان سيدي إذا قابل أحداً من المشتهرين بالعلم والفضل أول مقابلة يقبل ما بين عينيه ويقول : هذه خاصة للعلم ثم يصافحه ، وكان لا يدع أحداً يقبل باطن كفه بل يعاتب كل من أراد ذلك ، ويقول : ما الفرق بين باطن الكف وظاهرها ؟

<sup>١</sup> الجزء ( ١٥ ) العدد غرة شعبان ( ١٣٢٣ - ٣ سبتمبر ١٩٠٥ م ) .

أما يكفي ظاهرها عن باطنها ، ولا يدع أحداً يضافه قبل صلاة الصبح ويقول المصافحة بعيد الصلاة أولى <sup>١</sup> .

**المطلب الرابع : نماذج من الخرافات التي استخدمها القبرورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم :**

**النموذج الأول :** ما ذكره الشرجي في ترجمة الفقيه إسماعيل الحضرمي : ( أن من قَبْلَ قدمه دخل الجنة ) <sup>٢</sup> .

**النموذج الثاني :** ما ذكره الشرجي كذلك في ترجمة عبد الله بن عمر الناشري قال : ( وبلغ في آخر عمره مبلغاً عظيماً من الصلاح حتى كان يقال : ( أن من قَبْلَ بين عينيه دخل الجنة ) <sup>٣</sup> .

**النموذج الثالث :** ما ذكره الشرجي في ترجمة علي بن أبي بكر بن شداد قال : ( ومن كراماته أنه كان يقال : ( من مشى خلفه أربعين خطوة غفر له ) <sup>٤</sup> .

**النموذج الرابع :** ما ذكره الشرجي في ترجمة الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمران قال : ( وكانت له كرامات ظاهرة ، منها أن بعض الناس رأى النبي ﷺ في المنام يقول له : من قبل قدم الفقيه أبي بكر دخل الجنة ) <sup>٥</sup> .

**النموذج الخامس :** ما ذكره الشرجي في ترجمة عيسى بن حجاج العامري قال : ( ويروى أنه دخل عليه بعض الفقهاء فرأى جماعة من أصحابه يقبلون يده ورأسه عند الدخول وعند الخروج ، فقال له : يا شيخ ما هذا التقبيل الذي ليس بسنة ؟ فقال له : يا فقيه العبد المؤمن ريحانة الله في أرضه ولا بأس بشم الريحان عند الدخول وعند الخروج ) <sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٠٦-١٠٧ ) .

<sup>٢</sup> طبقات الخواص ص ( ٩٨-٩٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٦ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢٣١ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٣٨٥ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص ( ٢٥١-٢٥٢ ) .

النموذج السادس : ما ذكره صاحب تذكير الناس قال : ( وجاء في القراءة على سيدي في مناقب الشيخ سعيد بن عيسى العمودي أنه قال : من صافحني أو صافح من صافحني ، فهو في الجنة ، فقال سيدي أحمد : الحمد لله ، قد صافحناه مراراً ، فقال الحاضرون : ونحن نريد أن نصافحك ، فقام الحاضرون فصافحوه ، قال سيدي : وجاءت إلي شريفة من الصالحات من دوعن ، وقالت : دعني أقبل رأسك فإني رأيت رسول ﷺ يقول : من أراد الخير والبركة ، فليقبل رأس السيد أحمد بن حسن العطاس ، فلم يرض ذلك ، ثم جاء رجل آخر من الصالحين المحبين لأهل البيت وقص مثل الرؤيا السابقة ، وطلب من سيدي تحقيق الرؤيا فتركه سيدي ، وما أراد من تقبيل رأسه الشريف )<sup>١</sup> .

النموذج السابع : قال صاحب تذكير الناس وهو يحكي كلام أحمد بن حسن العطاس فيما يتعلق بتقبيل الأيدي : ( وقال : إني إذا دخلت على أحد من الصالحين يعني من أهل البرزخ ، أبداً أولاً بتقبيل قدمه ، ثم تقبيل ركبتيه ، ثم يده ثم رأسه ووجهه ، وحضر عند سيدي جماعة من السادة أهل تريم ، ومنهم الحبيب محمد بن سالم السري ، فطلب الحبيب محمد المذكور من سيدي المصافحة كما صافحه النبي ﷺ والتشبيك كعادة السلف الصالحين ، فصافحه وشابهه بيده ، ثم طلب منه جميع الحاضرين المصافحة فصافحهم جميعهم )<sup>٢</sup> .

فهذه سبعة نماذج كلها تدل على تعبيد الناس لهذه الطبقة المتعالية واعتبار أن تقبيل أيديهم وأرجلهم ورؤوسهم أمر مطلوب من قبل الله تعالى موعود عليه بالجنة ومغفرة الذنوب ، وقد أخذ الناس بهذا وتداولوه وتزاحموا عليهم يقبلون رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم ، بل إن العادة في كثير من القرى والبوادي قديماً أن عوام الناس من شيوخ قبائل فمن دونهم كانوا إذا دخلوا مجلساً فيه أحد من السادة جثوا على ركبتهم وزحفوا كذلك من عند الباب إلى عند ذلك الرجل ثم قبلوه .

<sup>١</sup> تذكير الناس ص ( ١٠٧ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٠٧ ) .



## المبحث الرابع

### انتشار الجهل والامية في الأمة

#### وفيه ثلاثة مطالب :

#### المطلب الأول : حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية :

لقد كانت العلوم الشرعية شائعة سائدة منتشرة قبل ورود الصوفية وانتشارها في القرن السابع في جميع البلاد اليمنية زيدية وشافعية ، ولكن بعد ورود التصوف وانتشاره بدأ العلم ينحسر في البلاد التي سيطر عليها ، فيما عدا فترات متفرقة تكون الدولة فيها قوية محبة للعلم والعلماء فيزدهر العلم إلى جانب التصوف ، ولكن لكل منهما كيانه المتميز بل ربما حصل الصراع العنيف بينهما كما حصل في زيد أيام الدولة الرسولية ، ولتصور حالة العلم فيما قبل انتشار التصوف يمكن مراجعة طبقات فقهاء اليمن للجعدي ، فقد ذكر أعداداً كبيرة من العلماء من سائر مخاليف اليمن ، ومن قرأ الطبقة السابعة من طبقاته<sup>١</sup> علم ذلك ، فقد أورد أعداداً من العلماء من زيد وسائر بلاد تهامة ومن إب والجند ولحج وعدن وأبين وشبوة وحضرموت وظفار وسائر بلاد اليمن الشافعي ، وقد ذكر مؤرخو حضرموت أن العلم اندثر في أوائل القرن السادس حتى رحل الشيخ سالم بأفضل لطلب العلم إلى أماكن عديدة منها العراق ، وغيره ، وأطال الغيبة حتى ظن أهله أنه قد مات ، ثم عاد بأحمال من الكتب فعكف على نشر العلم حتى ( حصل العلم على يديه خلق ، حتى أنه ربما بلغ في تريم ثلاثمائة مفتي في عصر واحد )<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> انظرها في الطبقات ص ( ١٥٤ ) .

<sup>٢</sup> انظر الجوهر الشفاف ( ٦٢/١ - ٦٣ ) ، وتاريخ حضرموت للحامد ص ( ٤٧٢ - ٤٧٣ ) وقد مات الشيخ سالم بأفضل رحمه الله سنة

( ٥٨١ هـ ) .

ومع أن هذا الكلام فيه مبالغة ظاهرة ، إلا أنه يدل على كثرة العلم وتوفره في البلاد ، ويشهد لانتشار العلم وظهوره في حضرموت ما ذكره الشلي في ترجمة الفقيه المقدم حيث قال : ( وكان أهل حضرموت مشتغلين بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية ، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية ولا من يكشف اصطلاحاتهم السننية فأظهر الأستاذ " الفقيه المقدم " علومها ونشر في تلك النواحي أعلامها )<sup>١</sup> .

فظهر من مجموع هذه النقول ومما أورده الجعدي في الطبقة المشار إليها كثرة العلم والعلماء وسعة انتشار العلم في جميع مخاليف اليمن ، وأن تلك العلوم تشمل علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة وغيرها من العلوم النافعة ، ولكن ما مصير تلك العلوم بعد ورود التصوف ؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني .

### المطلب الثاني : أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية :

التصوف يعتمد على ما يسمى بالعلوم الباطنة أو علوم " الباطن " والعلوم الدنيوية التي سبيلها الكشف والذوق والمرائي ، قلت : بل والدعاوى الكاذبة . وهذه السبل لا يمكن أن يحصل بها علم الشرع قطعاً ، إذ منهج تلقي العلم الذي سار عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم إلى يوم الناس هذا هو التعلم والجلوس إلى العلماء والرحلة إليهم والأخذ عنهم بمختلف طرق الأخذ المبينة في مواضعها ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك حيث قال : (( إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشريوة ))<sup>٢</sup> .

فلما تمكن التصوف في اليمن وانتشر ، عزف الناس أو كثير منهم عن الطرق الصحيحة واعتمدوا على تلك الطرق الواهية التي هي مقتبسه من وحي الشيطان لا من وحي الرحمن ، فتأثر بذلك العلم الشرعي ونضب معينه ، ولا يعني هذا أن العلم انتهى من اليمن ولا أنه ليس ممن ينتسب إلى التصوف عالم أو فقيه فهذا موجود ، ولكنه ضعيف جداً ، أما بعض العلوم كالحديث والتفسير وعلوم العقيدة فقد كادت تنتهي في بعض المناطق ، ولم

<sup>١</sup> المشرع ( ٥/٢ ) .

<sup>٢</sup> رواه الخطيب في تاريخ بغداد ( ١٢٧/٩ ) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٦٠٥/١ ) .

يسجل من هو عالم بها ، مع إقامة الدليل على ذلك من وجود مؤلفات جلييلة في ذلك العلم أو تخرج محدثين أو مفسرين على يد ذلك الشيخ .

وأما كثير مما نقراه من تراجم أقطاب الصوفية وأوليائهم من أنه مفسر محدث فقيه فمعظم ذلك دعاوى لا دليل عليها في الواقع ، والآفاين مؤلفاتهم فيما يزعمون أنهم علماء فيه من تلك الفنون ، وخصوصاً كبار الأقطاب والأولياء الذين تُسبغ عليهم صفات من قرأها حسب أن مؤلفات ذلك القطب تفوق في عددها مؤلفات السيوطي وفي إتقانها مؤلفات ابن حجر وفي تنوعها مؤلفات ابن الجوزي ، فأولئك لم يثبت لأحدهم كتاب محرر محقق اعتمده الناس ودانوا به ، ولم يذكر في كتب مؤرخي العلماء ولا في طبقات الفقهاء إلا ما ندر ولا في طبقات المحدثين ولا المفسرين ، بل لا يكادون يذكرون في كتب غير اليمينيين من المؤرخين ، رغم تقدم تاريخ وفاة بعضهم .

وعلى كل حال فقد اعترف بعض مؤرخيهم بجناية التصوف على العلم وأثره في إضعافه ، قال السيد صالح الحامد في تاريخه : ( ومع ما أثره التصوف على العلويين بالخصوص بحضرموت من حيث الاجتهاد في النسك والعبادة وما أثره على الحياة العلمية والأدبية من أثر فعال صرف مجرى النشاط الدراسي للعلم عن مجراه السابق من المبالغة في التماس الفقه والحديث ، وتلقفه عن الشيوخ والمحدثين والفقهاء ، إلى تلقي التصوف والانقياد والتحكيم للشيوخ الصوفية ، والتزام تعليمات ذلك ورسومه ، أجل إنه مع ذلك فهو يراعي الأسباب المعاشية ويتخذ في فهم التوكل السبيل الوسط القائم بين الإفراط والتفريط ، ويقدر ما فترت الوجهة العلمية شيئاً ما في ميدان الحديث والفقه والفنون العربية في الظاهر حينئذ في أبناء حضرموت ، ازداد نشاطهم في مسرح التصوف ، وإكبابهم على النسك والعبادة والمجاهدة )<sup>١</sup> .

ثم ذكر تصوف القوم وما نالوا به من محبة الله وما فتح به عليهم من أذواق وتجليات ثم قال : ( وبالجملية ، فبمقدار ما نقصت العلوم الأخرى كالحديث وفنون العربية والأدب والشعر من إكباب وجد من جانب المتنورين والخواص بحضرموت في تلك العهود ، زاد ذلك في ناحية التصوف والزهادة والاجتهاد في العبادة ، أي أنهم بقدر ما فقدوا من كسب العلوم

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت ص ( ٧١٨ ) .

الظاهرة وفنون الأدب ، قد حظوا بما منحوه من أذواق التصوف ومشاربه القربية ، فكان لهم بذلك خير عوض <sup>١</sup> .

وهكذا المؤرخ المعاصر السيد محمد بن أحمد الشاطري مع ثنائه على أهله وأهل بلده بالعلم والثقافة وتضخيم ذلك جداً ، نجده لا يستطيع إخفاء ما لحق بالعلم من نقص بسبب التصوف الذي هيمن على حياة الناس فيها هو يقول : ( إلا أنه مع الأسف نجد في كل جيل لاحق نقص في المستوى عن الجيل السابق من ناحية الغزارة العلمية ، وكمال الاستقامة ، وإن كان قد يوجد فيه أفراد ممتازون لا يدانيهم أحد من متوسطي الأجيال التي سبقت ، وبلغ الحال بجمهور الأجيال المتأخرة ، وحتى عصرنا هذا نقص الوعي العلمي والصوفي إلى درجة جعلت الفرق فاضحاً وواضحاً بينهم وبين جمهور من سبقهم ، فشاهدنا كثيراً منهم يشتغلون بسرد كتب التصوف في المجامع ويتصوفون تصوفاً معكوساً ، يستغنون بهذا عن الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية والعقلية والكونية ، فتقلص ظل العلم والثقافة والعبادة والتصوف الحقيقي بهذا الإقليم الذي هو بأشد حاجة إلى نهضة علمية خلقية تجمع بين محاسن القديم والحديث .

فنحن لا نجازف وإنما نقرر الحقيقة إذا قلنا أن رجال العلم والثقافة كثيرون في هذا الدور ويعدون بالآلاف وأكثرهم يتخصصون في العلوم التي أشرنا إليها ؛ إلا أن روح الصوفية الفلسفية التي تأثروا بها جعلت أكثرتهم الساحقة ينكرون ذواتهم ولا يهتمون بالمظاهر ولا بكثرة التأليف رغماً عن غزارتهم العلمية ، وعمق معرفتهم ، ولا بتنميق العباثرو بهرجة الألفاظ ، ونجد كتب التواريخ مشحونة بتراجم العديد منهم ومثلهم في علمهم بعلومهم والتزامهم بالمبادئ الإسلامية ، وملازمتهم للطاعات وتهذيب النفوس مثل الغني الخبير في فنه بحيث لم يترك فيه زيادة رحمهم الله ) <sup>٢</sup> .

ولم يكن الأمر مجرد انشغال بعلم الباطن والتصوف عن علوم الشريعة والعقيدة ؛ ولكنه وصل الأمر إلى الحط من علوم الشريعة وتفضيل علوم الباطن عليها ، وإليك بعض النماذج من ذلك :

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٧١٨ ) .

<sup>٢</sup> أدوار التاريخ الحضرمي ص ( ٢٥٥-٢٥٦ ) .

النموذج الأول : ما أورده الشلي في ترجمة عبد الرحمن السقاف قال : ( وكان يقول لهم اجتهدوا في الأعمال القلبية فإن الأوقية من أعمال الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر ، وذكر في بعض الأيام في درسه فضل الفقه فعزم ولده عمر أن يفني عمره في الفقه ويترك غيره من العلوم فلما انقضى المجلس ناداه وقال له : يا عمر اجتهد في أعمال القلوب إن الفقهاء معهم قبس ومع الصوفية جذوة وأوقية من عمل الباطن تعدل بهاراً من عمل الظاهر )<sup>١</sup> .

النموذج الثاني : ما ذكره الشرجي في ترجمة سفيان الأبيني قال : ( كان فقيهاً عالماً فاضلاً عارفاً ، اشتغل في بدايته بالعلم اشتغالا كلياً ، فسمع ذات يوم قائلاً يقول له : إن أردتنا فأترك القولين والوجهين فترك ذلك واشتغل بالله تعالى حتى ظهرت عليه علامات القبول )<sup>٢</sup> .

النموذج الثالث : ما قاله أحمد بن حسن العطاس : ( " أهل البيت " طريقتهم العمل ولهم من العلم إلا ما يرشدهم إلى العمل ويحفظه لهم وأما باقي الأشياء يتلقونها من حضرة الفيض ويأخذون العلوم المطلقة والمقيدة من حضرة التقوى المشار إليها في قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » ( ٣ ) )<sup>٤</sup> .

### المطلب الثالث : تجهيل الأمة :

مر بنا في المطلب الثاني كيف أثر انتشار التصوف في انحسار العلم بشكل عام حتى لدى الطوائف الساعية إلى التصدر والعلو ، وإذا كان الأمر كذلك فليس من المستغرب أن ينعدم العلم لدى غيرهم من الطبقات ؛ بل هذا هو الواقع الذي لا ينكره أحد ، ولقد جأر بالشكوى الكثير من الغيورين حتى من السادة والمشايخ أنفسهم ، غير أن ذلك لم يجد ولم يغير من الواقع شيئاً إلا في الفترة القريبة التي يسميها البعض عصر النهضة الحديثة .

وقد سبقت الإشارة إلى الشكوى المرة التي أطلقها صاحب نحلة الوطن ، أما علوي بن طاهر الحداد فقد بالغ في نسبة الجهل إلى بوادي حضرموت حتى شكك في إسلامهم ونقل عن عبد

<sup>١</sup> المشرع ( ١٤٢/٢ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ١٤٦ ) .

<sup>٣</sup> البقرة ( ٢٨٢ ) .

<sup>٤</sup> الرحلة المكية ص ( ٩ ) .

الله بن علوي الحداد ما يشهد لما يقول ، حيث قال وهو يتكلم عن أسباب إنشاء رباط قيدون : (يحيط بقيدون من الجانب الغربي والجانب الغربي الجنوبي أهل بوادٍ في مسافة أيام يكثرون التردد إليها ، فإذا كان فيها معهد علمي كان معيناً على ثباتهم على اسم الإسلام ، والانتساب إليه ، وإن كانوا خلوا من عقائده وأعماله وقد استبدلوا الجبت والطاغوت بأحكامه ؛ وإنما بقوا على هذا الانتساب لعدم من يستجرهم إلى دين سواه ، ولو وجد لم يكن عندهم ما يمنعه من اتباعه لا من معرفة ولا تربية ، ولا مخالطة لأهله ولا ثبات على شيء من عقائده وأركانها ؛ فإنهم قد استبدروه جملة إلا أفراداً لا يبنون على مثلهم حكم ، وعلى هذا أكثر البوادي بجهات حضرموت الباقية ، حتى لقد قال الحبيب عبد الله ابن علوي الحداد : إنا لا نقطع بإسلام أهل بوادي حضرموت ، ولا نجد منهم ما يدل على إسلامهم إلا محبتهم للصالحين . أ هـ . وكلامه ﷺ يفهم أن أهل زمانه منهم كانوا يحبون الصالحين لما هم عليه من الدين ، وتلك محبة دينية لاشك فيها ، ولكن أكثر أهل البوادي اليوم لا يعقلون لمثل هذه المحبة معنى ، وإنما يعظمون من اشتهر عندهم بأنه يكرم<sup>١</sup> ويلوح<sup>٢</sup> ، فالحامل على تعظيمهم الرغبة في الكرامة ، والرغبة من اللوحة ، سمعت سيدي وشيخي وعمي الحبيب العارف بالله العالم العامل الزاهد صالح بن عبد الله الحداد يقول : جاء جماعة من البادية للزيارة ، وجاءوا إلى العرض عشية وأخذ الأخ محمد يعلمهم " مراده به شيخنا الحبيب محمد بن طاهر " فلما ذكر لهم البعث ، قال أحد شبانهم : من التقت عليه الصروف ما عاد يثور أي لا يعود فيقوم ، ومراده بالصروف جمع صرف وهي الأحجار الرقاق التي تسد بها اللحود ، قال : فقال له شيوخه : هه ! اسكت ما أحد يكذب بكلام الصالحين ، فكان عمي إذا حدث بهذه القضية يقول ما معناه : انظر فما هنا رب ولا نبي ولا قرآن ، وإنما غاية ردهم : ما أحد يكذب بكلام الصالحين ، فبوادٍ قد عادت إلى مثل هذه الجاهلية ما أحقها بدعوة دينية يصرخ بها صاحب علم يهزم<sup>٣</sup> هذا<sup>٤</sup> ولا يكون ذلك إلا بكثرة الدعاة إلى الله ولن يوجدوا بغير تعليم )<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> أي أن له كرامات يد بها من يشاء .

<sup>٢</sup> يلوح في لهجتهم أي يضرب ويؤذي من لم يعتقد أو من يؤذيه .

<sup>٣</sup> هكذا قرأناها لأنها غير واضحة في الأصل المنقول منه .

<sup>٤</sup> الشامل في تاريخ حضرموت ص ( ٢١٨ ) .

وكفى بهذا النص تصويراً للجهل الذي خيم على البلاد رغم الدعاوى الكبيرة بوجود علماء أعلام ودعاة عظام ومرشدين كبار ؛ بل أقطاب و أغواث أقامهم الله تعالى لحفظ الكون وأهله ، فأين كل أولئك عن هذه البوادي وهؤلاء العوام لينقذونهم من هذا الجهل البالغ والضلال البعيد ؟ إن المتأمل للنص تظهر حقيقة مُرة هي أن هناك انحرافاً في منهج الدعوة والإرشاد والتعليم ، فحب الصالحين الذي جعله عبد الله الحداد دليلاً على إسلامهم بل هو الدليل الوحيد على ذلك في نظره لم يأت من فراغ ؛ بل هو ناشئ عن تعليم وتعبئة وتربية والذي علمهم ذلك كان بمقدوره أن يعلمهم محبة الله ورسوله ويعلمهم ولو بعض واجباتهم ، فلما تعلموا محبة الصالحين ولم يتعلموا ذلك دل على أن من يأتيهم ويطوف بهم ويلتقي بهم في الملتقيات والزيارات من الوعاظ والمرشدين إنما كانوا يذكرونهم بمحبة الصالحين ويسردون على مسامعهم حكاياتهم ويعددون كراماتهم ، مما أورثهم محبتهم والتعلق بهم والخوف من مخالفتهم أو اسخاطهم ، ومن أوضح الأدلة على أنهم قد ربّوا على ذلك خوفهم الشديد من الأولياء مع عدم خوفهم من الله تعالى والتجاؤهم إليهم ونذرهم لهم عند الأزمات والشدائد مع عدم التجائهم إلى الله أو النذر له ، كل ذلك يدل على سوء التربية والانحراف في التعلم ، وإن دعاة ومرشدي تلك الأزمان بدل أن يعبدوا الناس لرب العالمين عبودهم لأبائهم وأجدادهم .

وحقيقة أخرى يجب أن يقال وهي: أن ما ذكرناه آنفاً ليس هو الوصف الوحيد للجميع بل إن هناك أفراداً من العلماء والصلحاء كانوا سالمين من ذلك الانحراف فهم يسوؤهم انتشار الجهل ، ويودون تعليم الأمة بعض أمور دينها وخصوصاً العبادات ؛ ولكننا نجد أن بعض أولئك أيضاً يفرقون بين الناس ، فأبناء السادة والمشايخ ومن يلتحق بهم يفتح لهم باب التعليم كاملاً ويحثون عليه ويدفعون إليه دفعا ؛ بينما أبناء الطبقات الأخرى يرون أن يقتصر على تلقينهم ما يحتاجون إليه من أمر العبادات مع منعهم من القراءة والكتابة حتى لا يلجوا باب العلم ويترقوا في سلمه ؛ لأن ذلك مضر بهم ومضر بالأمة حسب زعمهم .

واليك وثيقة مهمة تثبت ما أقول وتجلي حقيقة تفكير القوم ومنهجهم في التعليم ، وهي عبارة عن رسالة أرسلها أحد العلماء الغيورين والحرصيين على تبصير الأمة بأمور دينها مما يتعلق بالعبادة فقط ، ومع رغبة السيد المذكور في تعليم الناس على اختلاف طبقاتهم ؛

إلا أنه لم ينسَ التأكيد على أن يكون ذلك التعليم عبارة عن تلقين فقط دون تمكينهم من الاعتماد على أنفسهم والسماح لهم بالانطلاق في ميادين العلم الواسعة، والرسالة نقلها بنصها محمد بن هاشم في تاريخ الدولة الكثيرة، قال - رحمه الله - : ( وإليك مكتوباً عثرنا عليه كتبه بيده الحبيب أحمد بن عمر بن سميح العلوي إلى السادة العلويين بالجهة الشرقية ننقله هنا بنصه تبركاً وإفادة للقراء بمثال من تلك المساعي الطاهرة، قال : ( بسم الله الرحمن الرحيم وبه الثقة، يخص سادتي الحبايب الأجلاء الأعلام الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد وكافة السادة من آل أبي علوي حفظهم الله وأدام النفع بهم لنا ولسائر المسلمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نعلمكم أنه وصل خط للفقيه من السلطان عمر بن عبد الله بن علي بن مقيص الأحمدي، وعرف بالشأن الذي تصدى للقيام به فالله يبارك له ولنا ولجميع المسلمين في ذلك، ويسخر له على ذلك أعواناً وبطائن من أهل العلم والفضل والصلاح، إذا نسى ذكره، وإن ذكر أعانوه، ويشرح صدره لقبول نصحهم وإرشادهم في عافية للجميع . وإن رأيتم يا سادتي أن ترشدوه وتعملوا عليه في أن يقيم علماً خاصة لتعليم مهمات الدين التي يلزم الكل تعلمها ولو بالرحلة ولو إلى الصين، ويحمل الكل من جهال طبقات الناس على دخولها من شريف وقبيلي وحراف وساني وسائل سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، ويكون ذلك تلقيناً من غير حضور قلم ولا دواة لما فيهما من المضرة لبعض الناس ممن يقل خوفه من الله كما تفيدون ذلك، ويُجعل لذلك ما يُرغب أهل الفاقة والحاجة في دخولها للتعلم، كما لا يخفاكم أن ذلك من أهم المهمات ومن أقوى داعي لحصول النفحات، ورسخوها في الجهة، المشار إلى ذلك بحديث إن لريكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها . وهذا إن شاء الله من التعرض، ولا ترون علينا فالحاضر يرى ما لا يرى الغائب :

ومن عجب إهداء تمر لخبير وتعليم زيد بعض علم الفرائض

والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من المستمد : أحمد بن عمر بن زيد بن سميح )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الكثيرة ص ( ١٦٢ ) تأليف محمد بن هاشم الجزء الأول طبع على نفقة الخاصة السلطانية سنة ( ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ) .



## الباب الثالث

مواجهة علماء اليمن للقبورية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : أساليب القبورية في محاربة خصومها.

الفصل الثاني : موقف علماء اليمن من القبورية وبيان

جهودهم المشكورة في مواجهتها.



## **الفصل الأول**

**أساليب القبورية في محاربة خصومها**

**وفيه ثلاثة مباحث :**

**المبحث الأول : أساليب الاحتواء والاختراق .**

**المبحث الثاني : الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية .**

**المبحث الثالث : استخدام القوة في محاربة الخصم .**

## المبحث الأول : أسلوب الاحتواء والاختراق وفيه مطلبان :

### المطلب الأول : محاولة احتواء المخالف :

إن رواد القبرورية في الأمة الإسلامية هم الباطنية الشيعة ، ومن جاء بعدهم من الصوفية ، إنما هم تلاميذهم وأتباعهم والناقلون لعقائدهم وأساليب دعوتهم وطرق تثبيت دولتهم ، مع شيء من التطوير الذي يتناسب مع وضعهم بين أهل السنة ، ولا يخفى على من قرأ التاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف ، والتأثير عليه بالطرق والأساليب الملتوية الكثيرة ، وسنرى في هذا المطلب صورة منها ، وهكذا تلاميذهم الصوفية استخدموا تلك الطرق والأساليب مع مخالفينهم هنا في اليمن ، واليك بعض الأدلة على ذلك :

سبق عند الحديث عن الإسماعيلية بيان طرقهم في الدعوة ، وكيفية الوصول إلى إقناع المدعو ، والترقي به درجة درجة حتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليه ، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم ، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضياً من علماء أهل السنة خصوم الإسماعيلية ، وكيف استطاع داعية الإسماعيلية احتواء ابنه علي حتى كان هو الذي أسس دولة الإسماعيلية الفاطمية في اليمن ، قال الخزرجي : ( أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سني المذهب ، وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة ، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره ، وكان الداعي عامر بن عبد الله الزواحي يلوذ به ، ويركب إليه كثيراً ؛ لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه ، فرأى يوماً ولده علياً فلاحته له فيه مخايل النجابة ، وكان يومئذ دون البلوغ ، وكان الداعي عامر بن عبد الله الزواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور ، ويخلو به ، ويطلععه على ما عنده حتى

استماله ، وغرس في قلبه ولبّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبه ، وقيل : كانت عند الداعي عامر بن عبد الله الزواحي حلية الصليحي في كتاب " الصور " ، وهي من الذخائر القديمة ، فأوقفه منه على مستقبل حاله وشرف مآله ، وأطلعه على ما أطلعه عليه سرّاً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً ، ثم مات الداعي عامر بن عبد الله الزواحي ، فأوصى له بجميع كتبه ، وأعطاه مالاً جزيلاً قد كان جمعه من أهل مذهبه ، وقد كان رسخ في ذهن الصليحي ما رسخ ، فعكف على الدرس ، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها ، وبالجهد السعيد تدرك غاية الأمل البعيد ، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية ، متبصراً في علم التأويل ، ثم صار يحج بالناس دليلاً على طريق السراة ، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة ، وكان الناس يقولون له : بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، فكره ذلك ، ونكره على من يقوله مع كونه قد شاع على السنة الخاصة والعامة ، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى جبل في تلك الناحية <sup>١</sup> .

تلك صورة من صور الاحتواء الإسماعيلي للمخالفين ، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصور ، من ذلك قصة الصوفي عبد الرحمن بن عمر باهرمز مع الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة ، فقد كان الصوفي باهرمز له طريقة قبيحة في تصوفه ، وهو أنه عندما يرد عليه الحال - كما يقولون - يجمع النساء الحسنات بآحسن الزينة فيغنين ويرقصن حتى يذهب ما به ، وهذا أمر منكر لا إشكال فيه ، وقد سمع عمر بامخرمة بذلك فأنكره ، وعزم على الذهاب إليه للإنكار عليه ، فرحل أول مرة ، ثم رجع من الطريق ، ثم عزم وصمم حتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له : ( عاد وقتك ما جاء ) ، فرجع إلى بلاده ، ثم عاد الثالثة ، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسنات اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه ، قال العيدروس : ( فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه ، فلما أفاق تلمذ للشيخ ، وحكمه في ذلك الوقت ، وفتح الله عليه ببركة الشيخ ، وصار من كبار العارفين المربين ، وقيل : إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال : له : صل ركعتين إلى المشرق ، فامتثل ، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه ) <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> المسجد المسبوك ص (٥٦) ، وانظر : قرة العيون ص (١٧٣-١٧٤) .

<sup>٢</sup> النور السافر ص (٥٩) .

### المطلب الثاني : محاولة اختراق صفوف المخالفين وبت الفتنة في أوساطهم :

إن البدع في الغالب تكون مخالفة للفتنة ، مناقضة لأدلة الشرع وأصوله ، يرفضها العقل السليم الذي لم يتلوث بأمراض الشبهات ؛ ولهذا لم يبق أمام دعاة البدع إلا الكيد والمكر وأساليب اللف والدوران لمقاومة الخصوم والتغلب عليهم ، وقبورية اليمن من أولئك المبتدعة ، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعوه ، ومن ذلك أسلوب الدس والمكيدة وبت الفتنة في صفوف المخالفين ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

**المثال الأول :** ما فعله والي الدولة الصليحية على الجند من بث الفتنة بين فقهاءها حتى يسلم هو وأهل نحلته من انصرافهم لمقاومتهم والعمل على إزالة دولتهم ، قال الجندي في ترجمة الفقيه الإمام زيد ابن عبد الله اليفاعي : ( وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر ، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر ، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه ، في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة ، وكانوا يملئون ما بين الباب والمنبر كثرة ، وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرئ في الزاوية التي تحت جدار بئر زمزم<sup>١</sup> ، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً ، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم ، ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل<sup>٢</sup> في التفريق بينهم ، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند ، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون ، وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين ، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة ، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين ، فسأل عن ذلك ، فقيل : قُبراً ميتاً ، غالب من حضره من الفقهاء ، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع<sup>٣</sup> مع أخيه حيث قتله ، وقال : هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة ، فكيف مع الكثرة ؟ ثم قال لحاضري مجلسه : انظروا كيف تفرقون بينهم ، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف ، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً ، ويعزلونه ، ويولّون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر ، ثم يولّون إمامة الجامع

<sup>١</sup> بئر في مسجد الجند يسمى بذلك .

<sup>٢</sup> المفضل والي الصليحيين على الجند .

<sup>٣</sup> ابن المصوع أحد فقهاء أهل السنة ثار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحيين فقتلوه واستولوا مدة على قصره ثم أمسك بهم .

كذلك ، ثم النظر في أمر المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين ، وكاد يكون بين الإمامين ، فعلم الإمام زيد ذلك ، فارتحل مهاجراً إلى مكة <sup>١</sup> .

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسماعيلي إلى الدس بين هؤلاء الفقهاء الطيبين ! وكيف استطاع بخبثه و طيبته أن يفرقهم ، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضهم البعض حتى قضى على دعوتهم ! .

المثال الثاني : ما ذكره الأستاذ صلاح البكري في " تاريخ الإرشاد باندونيسيا " من عمل القبورية أصحاب الرابطة العلوية لزراعة الفتنة بين أصحاب الإرشاد- لولا أن سلم الله - وقضى على الفتنة قبل استفحالها .

قال الأستاذ البكري تحت عنوان " أول مؤامرة ضد جمعية الإرشاد " : (من الأحداث الخطيرة التي قام بها دعاة العنصرية ، تلك المؤامرة ضد حياة جمعية الإرشاد الإسلامية ، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصارهم برئيس الجمعية الشيخ سالم بالوعل ، وسيطروا على عواطفه بأوهام فارغة ، وهيمنوا على أفكاره حتى صار كالألة الصماء في أيديهم ، ولا غرابة ، فهو أمة ساذج أو كما يقول الحضارم : " على تَوْه " ، واقترحوا عليه إبدال اسم " جمعية الإرشاد " بالجمعية الكثيرة ؛ ليدخل في الإدارة أعضاء من قبيلته آل كثير ؛ ليفوزوا بالأكثرية عند اجتماع الإدارة ، وأزمع الشيخ بالوعل على ذلك ، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا ) ، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصمة ومن خارجها ، فشك البوليس الهولندي في هذا التجمع الذي لم يسبق له مثيل ، فاتصلوا بنقيب العرب الشيخ عمر منقوش ، يستفسرون منه الأمر حتى اطمأنوا ، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسمى . ولكن وفود الإرشاد قررت إقامة الاجتماع كما نُشر في الصحف ، وفعلاً اجتمعوا في دار الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً ، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد ، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم :

رئيساً

الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع

كاتباً

الشيخ محمد عبيد عبود

<sup>١</sup> السلوك ( ٢٦٣/١ ) .

الشيخ عبد الله بن عبد القادر بن هريرة  
أميناً للصندوق  
مستشاراً

الشيخ سالم عمر بالفاس  
كان ذلك عام ١٩٢٠ م .

بذلك سلّمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة  
العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين .  
أما الشيخ بالوعّل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة ؛  
لذلك رفع دعوى ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل  
حضور الوفود ، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس ، فعاد إلى منزله  
بزملائه الأعضاء ، وهناك قرروا إبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد ، ثم رفع دعوى ضد  
الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية ، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في  
إندونيسيا ، ثم أسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد <sup>١</sup> .

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ص ( ٢٢ - ٢٣ ) تأليف صلاح عبد القادر البكري ، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي ،  
جاكرتا - إندونيسيا ط الأولى ( ١٩٩٢ م ) .



## المبحث الثاني

### الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

#### وفيه مطلبان :

#### المطلب الأول : تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم :

وهذه سمة أخرى من سمات الباطنية أن يربوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم ، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان ، وما أفصح من اعترض ، والفوز والقبول في التسليم للقادة والأئمة والأولياء ؛ وذلك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها ، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها ، فما بقي إلا أن يسلم السامع ، وأن يلغي عقله حتى لا يحرم ، وكذلك تصرفاتهم المخالفة للشرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بذلك ، ولو ذهبتُ أبحت عن الأمثلة ، وأحصرتها لضاعت عنها مساحة هذا المطلب ، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها :

المثال الأول : في كتاب " السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية " التي ألهاها صاحبها ( علي الحبشي ) في مجالسه التي كان يعقدها ؛ لتعليم الناس وإرشادهم ؛ وتدریس وتربية طلابه ، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو ( محسن بن عبدالله بن الحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف ) ، وردت هذه الحكاية ، قال : ( وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً ، وإن لم يكن المعتقد فيه متصفاً بذلك ، فقال : كان رجل تاجراً وله مال كثير ، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال ، وعزم أن يتجرد إلى الله ، وينقطع إليه ، وكان في البلد رجل مشهور بالصلاح وتربية المريدين ، وهو في الباطن على خلاف ذلك ، فكان إذا رجع إلى خلوته يأتون إليه ناس من أصحابه على طريقته ، فيلهون ويسكرون ، فباع الرجل التاجر جميع ما معه وصيره نقداً ، ثم سار إليه ومعه ذلك المال ؛ ليتحكم له ويوصله إلى الله ، فصادف وقت خلوته ، فلما دق الباب أشرفت جارية ، فقالت : من بالباب ؟ فقال : عبدالعال ، وكان واحد من أصحابه أهل الملاهي اسمه عبدالعال ، فلما أخبرت

الشيخ باسمه ظن أنه صاحبه ، فقال لها : افتحي له الباب ، فطلع الرجل ، فوجد الجواري والشراب وآلات اللهو عنده ، فما التفت إلى شيء قط بل جثا بين يدي الشيخ ، فخجل لما رآه غير صاحبه ، وهو يظهر الصلاح ، فقال له : يا سيدي ، أنا رجل أريد الطريق إلى الله ، وأريد أن تسلكني ، وتدلني على الله ، وهذا ما معي من المال ، فلما وضعه بين يديه تقاصرا لخجل ، فقال : إن الوظائف جميعها مشغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيدة ، خذ المكتل والمسحاة ، وسر إليها ، واشتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك ، فامثل أمره ، ولم يغير حسن ظنه فيه ما شاهده عنده ، وحين وصل إلى الحديقة ، ابتداء في العمل ، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة ، فاجتمعوا هم والقطب ، فقالوا : من يصلح بدله ؟ فقالوا : فلان ، يعنون ذلك الرجل الذي في الحديقة ؛ بسبب حسن ظنه ، فدعوا منه ، وقالوا له : خذ هيل بلا كيل ، واتصل بربه ، فاطلع على حالة شيخه ، فقال : أنا قد أدركت مطلوبي ، وهو يصطلع هو وريه <sup>١</sup> .

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم ، وينشئون عليها أجيالهم ، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم ، والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهما بلغت في القبح والسوء ؟ ( وليس هذا هو المثال الوحيد ، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

المثال الثاني : ما ذكره الشلي ، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها ، وإن ظهر منهم أي مخالفة ، فإنهم لاشك أن لهم في الباطن ما يسوغ ذلك ، قال : ( وأنا أورد قصة ، فيها أبلغ زجروا أكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتم حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن ، وهي ما حكاه إمام الشافعية في زمنه " أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون " قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فرافقت ابن السقاء بالنظامية ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء ، فقصدنا زيارته ، ومعنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقاء : لأسأله مسألة لا يدري جوابها ، وقلت : لأسأله مسألة ، وأنظر ما يقول ، وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته ، فدخلنا عليه ، فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر إلى ابن السقاء مغضباً ، وقال : ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها ، وهي كذا

<sup>١</sup> كنز السعادة ص ( ٣٧٤ - ٣٧٥ ) .

وجوابها كذا ، إنني لأرى نار الكفر تتلهب فيك ، ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله تسألني ؛ لتتظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا ، لتخرن<sup>١</sup> عليك الدنيا إلى شحمة أذنك بإساءة أدبك ، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر ، وأدناه منه ، وأكرمه ، وقال له : يا عبد القادر ، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأنني أراك ببغداد ، وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ ، وقلت : قدمي هذه على رقبة كل ولي ، وكأنني أرى الأولياء في وقتك ، وقد حنوا رقابهم ؛ إجلالاً لك ، ثم غاب عنا ، فلم نره بعد . قال : فأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام ، وقال : قدمي هذه على رقبة كل ولي ، فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا ، قال جماعة : و أولياء الجن ، وطأطأوا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلاً بأصبهان فسلب حاله ، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردي ، وأحمد الرفاعي ، وأبو مدين ، والشيخ عبد الرحيم القناوي ، قال ابن أبي عصرون : وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسمت مليح ، فأدناه الخليفة ، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم ، فأعجب به ، وجمع له القسيسين ، وناظرهم ، فأفحمهم ، وعظم عند الملك ، فأراد فتنته فترأت له بنت الملك ، فافتتن بها ، فسأله أن يزوجه ، فقال : لا إلا أن تتنصر ، فتنصر والعياذ بالله ، وتزوجها ، ثم مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت ، فمر عليه من يعرفه ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : فتنة حلت بي بسببها ما ترى ، فقال : هل تحفظ القرآن ؟ قال : لا إلا قوله تعالى : ﴿ رِمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>٢</sup> ، ثم جاز عليه وهو في النزاع ، فقلبه إلى القبلة ، فاستدار عنها ، فعاد فاستدار عنها ، فخرجت روحه لغير القبلة ، وكان يذكر كلام الغوث ، ويعلم أنه أصيب بسببه . قال ابن أبي عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان نور الدين الشهيد ، وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فوليتها ، وأقبلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً ، فقد صدق الغوث فينا كلنا انتهى .

<sup>١</sup> كذا في الأصل .

<sup>٢</sup> سورة الحجر ( ٢ ) .

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقلها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك <sup>١</sup>.

قلت : هذه من خرافات القوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتواتر ، فأين أسانيده بذلك ؟ ثم لو فرض تواترها ، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخبرون ببعض المغيبات ، ويصدقون في بعضها : لأن الولي الحق ليس من شأنه أن يظهر متى شاء ، ويختفي عن الأبصار متى شاء ، وليس من شأنه أن يبشّر عبد القادر بذلك العلو والاستكبار الذي يجعله يتحدى الأولياء ويقول : ( قدمي على رقبة كل ولي ) ، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرأته بالتسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم ؛ لما يترتب على التسليم من الفوز والفلاح ، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان .

المثال الثالث : ما نقله الشرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعسين في ترجمته أنه : ( كان يقول : أقل درجات الإيمان أن تسلم للأولياء أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم ، فإن لم تعرف معناها ، ولا اهتديت إليه ، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها ، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب وكرامة ) <sup>٢</sup>.

قلت : هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى ؟ .

المثال الرابع : ما ذكره صاحب تذكير الناس ، قال : ( وقال سيدي أحمد : وقد أمدّ الله الوقت للشيخ عمر أبا مخرمة من بعد العصر إلى المغرب ثلاثين ألف سنة ، فاستشكل بعضهم هذا ، فقال له سيدي : أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة ، وأنه يكون على المؤمن كأخف صلاة صلاها في الدنيا وهذا منه ، فقليل له : وكيف صارت تلك المدة ليالي أو أياماً أو غير ذلك ، فقال : هذا علم تصديق وإيمان ، ما هو علم ها توه أشوفه ) <sup>٣</sup>. فقوله : ( هذا علم تصديق وإيمان ما هو علم ها توه أشوفه ) ، واضح جداً أنه ليس من علم الدليل والحجة التي يصح أن يطالب بها السامع ، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد ، وقوله : ( ها توه أشوفه ) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه .

<sup>١</sup> المشرع ( ١٦٧/١ ) .

<sup>٢</sup> الطبقات ص ( ٣٩٠ ) .

<sup>٣</sup> تذكير الناس ص ( ١٢٥ ) .

المثال الخامس : من قواعدهم المسلّمة وكلماتهم الدارجة المنتشرة ، قول عبدالله ابن

علوي الحداد :

وسلم لأهل الله في كل مُشْكِلٍ      لديك، لديهم واضح بالأدلة<sup>١</sup>

وقول الآخر :

وإذا لم تر الهلال فسلم      لأناس راوه بالأبصار

هذه خمسة أمثلة تدل كلها على ما عنوانا له في هذا المطلب ، وهو تربية الأمة على الرضوخ والاستسلام والغناء العقول وتجاوز القواعد والأصول الشرعية ؛ لأجل أن يمشي ما يريده القوم ، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعال دون حاجة إلى أدلة شرعية أو عقلية ، وقد اقتصرنا على هذه الأمثلة الخمسة مع وجود الكثير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن ، أما صوفية البلاد الأخرى فلا أخال قواعدها في هذا الموضوع خافية على المتابع لتواريخهم.

المطلب الثاني : استخدام الخرافة<sup>٢</sup> والشعوذة<sup>٣</sup> والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأولياء ، حتى لقد بالغوا في ذلك ، فوصفوهم بعلم الغيب وتصريف الكون والقدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء ، وأنهم قادرون على أن يتجزؤوا بأجسادهم ، وأن يكون الواحد منهم في عدة أماكن في آن واحد ، وكل ذلك قد مر ، حتى أصبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخوارق مع ادعاء الولاية ، وعندما ترسّخ ذلك في أذهان المجتمع ، وتربى عليه ، بادروا بافتراء الأكاذيب ورواية الخرافات عمن يريدون أن يسبقوا عليهم صفة الولاية حتى يقنعوا الناس بولايتهم ، كما بادروا طلاب الجاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات ، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر ، حتى أتقنوا ذلك ، وعملوا به ، وعقدوا الصلح مع الجن ؛ ليقوموا لهم بأعمال خارقة يطلعونهم على مغيبات واقعة ، ثم جعلوا ذلك كله

<sup>١</sup> الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم لعبدالله بن علوي الحداد ص(٤١)، طبع مطبعة المدي بالقاهرة سنة (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م)

<sup>٢</sup> تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص ( ٣٦٤ )

<sup>٣</sup> الشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ، وهو مُشْعُوذٌ ، ومشعوذٌ . انظر: القاموس

المحيط ص( ٤٢٧ ) .

سلاحاً يشهرونه في وجه كل من يخالفهم، وينكر عليهم، وهذه عدة أمثلة توضح ذلك وتثبتته :

المثال الأول : ما ذكره الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدولة، قال : ( وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبدالله بن علوي حتى غشي عليه ، ثم أقيمت الصلاة ، فصلى معهم ، فلما فرغوا ، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله : صلى ابن أخيك بلا وضوء ؛ لأنه زال عقله ، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال : وعزة الحق إني توضأت ، وشربت من الكوثر ، ونفض لحيتي ، فتقاطر منها الماء ، ثم قال يا فقيه ، نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت ، ثم أنشأ يقول :

الحب حبي والحبيب حبيبي	والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعاً	وغطست في بحر الهوى وغدي بي
لي تسعة و ثلاثة مع تسعة	والعقد لي وحدي و علا نصيبي
ما تعلموا أني المقدم في الملا	ليلة سرى باليثيري سرى بي ) <sup>١</sup>

فانظر إلى هذه الدعوى العريضة والتي برهانها أنه نفض لحيته ، فتقاطر الماء منها ، ولو كان ذلك الماء من ماء الكوثر ، هل سيذهب هكذا هدرًا ولا يعرف له ميزة عن غيره من المياه ، ولا تظهر له رائحة ، ولا يبقى في موضعه ؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الدلائل ، ثم أعجب لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتسليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه !.

المثال الثاني : ذكر الشلي في ترجمة الشيخ عمر المحضار أنه قال : ( قال لابن أخيه الشيخ عبدالله العيدروس : أن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات ، وأشار إلى نفسه )<sup>٢</sup> ، ثم استدل الشلي على إثبات ذلك بقوله : ( وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام ، فقيل له : أما تخشى أن ينالك بهذا شيء ؟ فقال : إني لم أدع على أحد ، ولكني إذا غضبت على أحد ، وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض ، أو يتوب )<sup>٣</sup> . هذه الحكاية الله أعلم بصحتها ولكن على فرض صحتها ، فإنها رادع قوي لكل من

<sup>١</sup> المشرع (١/٢٠٠-٢٠١) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق (٢/٢٤٢) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق (٢/٢٤٢-٢٤٣) .

يفكر أن يخالف هذا الشيخ ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه ، والقصة بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى ، ويتداولها الناس ، فإنه يترتب عليها هيبة عظيمة من التعرض لإغضاب من يدعي الولاية .

المثال الثالث : ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون<sup>١</sup> عن " مرآة الجنان " <sup>٢</sup> في قصة أحمد ابن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي ، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد : للإنصاف من نفسه ، قال : ( من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد : ومن أقعدنا ابتليناه ، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه ، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى ، وصار الشيخ سعيد مبتلىً في جسمه حتى لقي الله تعالى ) ، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض ، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم .

المثال الرابع : ما ذكره صاحب " تذكير الناس " عن أحمد بن حسن العطاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس دخل مصر ، قال : ( وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة ، وقال لهم : أنا أحق بها منكم ؛ لما اجتمع في من الشرف والعلم والتبرع ، فقالوا له : لا نسلم لك إلا بدليل ، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها ، فقالوا له : هذه ولاية ، ومسلمون لك فيها ) <sup>٣</sup> .

والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر .

المثال الخامس : ما حكاه الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة ، قال : ( وأكثر أعماله قلبيات ، وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله ، وربما اعترض عليه بعض من اتصف بالعلم وليس من أهله ، حتى إن بعضهم قام يصلي ، والسيد عنده نائم ، فقال في نفسه : أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم ، ويدعون أنه قدوة للعالم . فلما سجد عجز عن رفع

<sup>١</sup> انظر : ص ( ٢٣٥ ) .

<sup>٢</sup> وانظر أيضاً : طبقات الخواص ص ( ٧٣ ) .

<sup>٣</sup> تذكير الناس ص ( ١٢٩ - ١٣٠ ) . وانظر : تاج الأعراس ( ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ) .

رأسه ، فتاب عما وقع له في نفسه ، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود ، ولما فرغ اعتذر إليه ، وعاهده على أن لا يعود )<sup>١</sup> .

فانظر إلى ما لقي هذا العالم من العقوبة والتأديب لقاء اعتراضه على هذا الولي ، ثم كيف سلّم له ولايته ، وتاب من الاعتراض عليه .

المثالان السادس والسابع : ما تقدم<sup>٢</sup> نقله عن " تاج الأعراس " في مطلب استخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سأل العطاس الذي كان له جني ، اسمه " مزنقب " ، وكيف سلطه على تلك القبيلة التي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبير المؤلف : ( فصرخ بهم مزنقب صرخات ، روع بها نساء القبيلة وأطفالها ؛ مما اضطر رجال القبيلة إلى الرضوخ لآل العطاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم ) .

وحكايته مع شريف مكة وكيف فجر " مزنقب " الماء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك .

<sup>١</sup> المشرع ( ٢٠٠/١ ) .

<sup>٢</sup> انظر ما تقدم ص ( ٤٤٣ ) .



## المبحث الثالث

### استخدام القوة في محاربة الخصم

#### وفيه أربعة مطالب:

##### المطلب الأول : اللجوء إلى السلطان :

اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمان ومكان ؛ لفقدهم الدليل المقنع ، فيلجئون إليه ، يداهنونه ، ويطرونه ، ليدافع عنهم وعن باطلهم ، ويدفع خطر خصومهم

لا يفزعون إلى الدليل وإنما في العجز مفزعهم إلى السلطان

ويقول العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل في كلامه عن الصوفية : ( فإن عادة هذه الطائفة أعني "ابن عربي" وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم ، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال<sup>١</sup> والعاذل هو القطب ، وربما القوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج ؛ ولذلك لم يكذب يتبع<sup>٢</sup> إنكار العلماء من قديم الزمان وهذا من مكرهم ، قاتلهم الله )<sup>٣</sup> ، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاد ، بل تواتر معناه ، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم ، والذي يعنينا هم صوفية اليمن وقبوريتها ، فإليك بعض تلك المواقف : من ذلك تبشيرهم بالملك أو بخلوده في أعقابهم ، ومنه ما ذكره الخزرجي في "العسجد" في ابتداء أمر الدولة الرسولية ، قال : ( قال صاحب السيرة المظفرية : أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن حزينة قال : لما وصل الملك المسعود<sup>٤</sup> ، وعبر

<sup>١</sup> في الأصل ( الأبدال ) وهو غلط واضح وقد صححه كذلك عبد الله الحيشي عند نقله في الصوفية والفقهاء ( ٧٤ ) .

<sup>٢</sup> كذا هو يتبع ، وهو محتمل ، ومحمّل أن يكون ( ينفع ) هو الصحيح

<sup>٣</sup> كشف الغطاء ص ( ٢١٨ ) .

<sup>٤</sup> آخر ملوك الأيوبيين في اليمن .

طريق خبت القهرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدهما المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر<sup>١</sup>.

ومن ذلك بشارة صاحب عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقال الملك إليه وتقوية عزمه عليه.

قال الأستاذ عبد الله الحبشي تحت عنوان "تاريخ الصوفية في عهد بني رسول": (ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدئ ببداية هذه الدول، بل قبل البداية بسنوات عدة، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول - حكمه من ٦٢٩ - ٦٤٧هـ - وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سنة ٦١٧هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن. ويقال أنهما اللذان قويا عزمه في الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم. ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات، ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول: (عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبأ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهم وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطعمه البعيد، فأخذوا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سراً، ثم يذيعانه مقدماً: لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فتقبلها الناس بالترقب)<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> العسجد ص (١٩٢).

<sup>٢</sup> التصرف في ثامة ص (١١٩)، الصوفية والفقه ص (٤٥-٤٦).

إذا فالدولة الرسولية، تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه. ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي والعقيلي .

ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته : ( وكانت له كرامات ظاهرة ، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور ابن رسول ، ولازمه في الملك بعد أبيه ، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر ، وقال له : المُلْك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين ، يعني بني عمه . وكان المظفر يخاف أن ينازعه في الملك بعد أبيه ، فكان كما قال : تولى الملك المظفر وذريته من بعده ويطل أسد الدين وفخر الدين ، فلما صار الملك إلى الملك المظفر ، سامح الفقيه في خراج أرضه وأراضي أهله ، ولم يزالوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده )<sup>١</sup> .

ومن تلك البشارات بشارة إسماعيل الجبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصده ، فكان كما قال الشوكاني : ( وصارت له عنده منزلة وكلمة لا ترد )<sup>٢</sup> . ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة ، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه ، أو يزيد عليه ، من ذلك ما ذكره صاحب " تاريخ الدولة الكثيرة " في ترجمة بدر أبي طويرق تحت عنوان " نسبه واهتمام العلويين به " قال : ( تصدّى جماعة من السادة العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه ، ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي :

هو بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بن ظنة بن عبد الله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر ، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود عليه السلام .

هكذا جاء في دشته العلامة زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس العلوي ، قال : ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه ، أن يقيض هذا السلطان ؛ لحفظ القطر كله . قال وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها ، إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية ، واستولى عليها من عين با معبد غرباً إلى ظفار شرقاً ، وذلت له رقاب أهلها في

<sup>١</sup> الطبقات ص (٤٧ - ٤٨) .

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ١٣٩/١ ) وسيأتي كلام الشوكاني كاملاً في هذا المطلب .

بضعة شهور، ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة، استكملها فيما بعد، كما سيأتي<sup>١</sup>. فالقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان، لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو ست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبتته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم "النبتة": (وفي هذه النبتة التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه قال: قال: "أي الحبيب عبد الله الحداد" فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون<sup>٢</sup> ومن في تربته، وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة ومن آل العمودي الشيخ عبد القادر والشيخ مطهر والشيخ عبد الرحمن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبد الله بن عبد الرحمن بوست، وهو والي منصب آل العمودي أعني الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع لأنه شبيه، بعبد الله بن عبد الرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين وهو، حق وصدق، وقد أمر ﷺ بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ﷺ، وهذا منه<sup>٣</sup>، ثم قال: وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحبيب عبد الله الحداد عند ذكر الشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله أبو ست وانتساب آل العمودي إلى أبي بكر الصديق، وقوله: "على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم" فمراده بالبعض المذكور السيد الشريف أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقدين عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الكثيرة ص (٣٦).

<sup>٢</sup> موقع بالقرب بضة بوادي دوعن.

<sup>٣</sup> الشامل ص (١٦٣).

عبدالرحمن السقاف ، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والنام وما بينهما ، وهي إطلاعات روحية ، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح ، ذكر أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى ، وسأله عن نسبه ، فذكر له سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق ﷺ ، والقصة أطول مما ذكرنا ، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي <sup>١</sup> ، ثم قال : ( وقد نقل الشيخ عبدالرحمن بن عثمان - الأنف الذكر - تلك الواقعة ، وكتبها في مصحفه ، ومنه نقلتها ، وهي : وذكر الشريف عبدالرحمن بن علي : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق كان له ست أصابع ، السادسة على صورة الإبهام تليها . وكان ذا فراسة وفهم في الأمور . كان إذا دخل البلد ، لا يستطيع أحد من أهل البلد ، أن يكذب خشية أن يعرفه ، ويسمع كذبه بفراسته . وكان يقول له والده عبدالرحمن : سيخرج من صلبك ولد اسمه كاسمك ، وصورته كصورتك ، والله إنني أنظر إلى أصبعه الزائدة تتحرك عند حركتك ، وتكون له فراسة كفراستك ، وفهم كفهمك ووالله لولا أنه في غرة كل موجود ليس كمثلته شيء ، لقلت أنك هو ، وهو أنت . وكان الشيخ محمد بن عمر باعيف يقول لشيخه الشيخ عبدالرحمن : يا سيدي ، أهو قد ظهر ؟ فيقول . لا ، إلا أنه قريب الظهور انتهى . والحبیب السید الشريف عبدالرحمن بن علي المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية ولد سنة ( ٨٥٠ ) ، وتوفي سنة ( ٩٢٣ هـ ) . وقد تحققت بولادة الموعود به الشيخ المعمر عبد الله بن عبد الرحمن المذكور في أواخر القرن العاشر ، وتوفي سنة ( ١٠٧٢ هـ ) ، وكان له في كل يد ست أصابع ، الزائدة على صورة الإبهام تليها . وهذه الحكاية من أغرب ما يروي <sup>٢</sup> ، وقد كان عبد الرحمن أبوست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة .

وهذه النماذج وغيرها كثيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكام ؛ لكسب تأييدهم ، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفاتهم ، ولم ينته هذا المنهج أو يتغير ، فصوفية اليوم هم صوفية الأمس ، وإن ما حدث أيام حرب الانفصال - ربيع الأول ١٤١٥ هـ من صوفية حضرموت لكافر في الدلالة على ذلك . فقد وقفوا مع الانفصاليين بكل ما أوتوا من قوة ، وقد تبارى خطباؤهم في تأييد حركة الانفصال ، وأصدروا البيانات المؤيدة لها ،

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ١٦٥ - ١٦٦ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٦٦ ) .

وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله ؛ لأنه دفاع عن الأنفس والأعراض والأموال إلى غير ذلك من المواقف ، بل إن بعض من يكتب اليوم في التنظير للصوفية والدفاع عنها قد قبل أن يكون وزيراً للأوقاف في حكومة الاشتراكيين الانفصاليين ، ولكن سرعان ما تغيرت المواقف ، وتبدل الولاء ، وتناقضت الخطب والبيانات بمجرد انتصار القوات ( الحكومية ) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها ، وأنهم كانوا مؤيدين لها طيلة المحنة التي مرت بها البلاد ، ولا أدري كيف يثق الحكام بمن هذه مبادئهم ومواقفهم ؟ أم أنها مناورات من الطرفين على حد قول الأول : ( كلانا عالم بالترهات ) .

واليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفاتهم :

الموقف الأول : ما ذكره الخزرجي في ترجمة الفقيه حسين بن أبي بكر السوداني ، قال : ( وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح ، وشهدت له كرامات كثيرة ، وكان معظماً عند الناس ، ولكن بلغ الملوك عنه أنه يتصل بإمام الزيدية في عصره ، وهو محمد بن مطهر ، فكرهوه ، وهموا بأذيته ، فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه ، وكان ينكر على الفقراء الرقص والسماع ؛ فلذلك أجمع الفقهاء والفقهاء عليه ، ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفى في السنة المذكورة سنة ٧٠٤هـ )<sup>١</sup> .

الموقف الثاني : ذكره شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - في ترجمة إسماعيل الجبرتي ، قال : ( وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانزاع جند قصده ، وكان الأمر كذلك . وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد ، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات ، فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة ، وأهل البطالة للسماع واللغو ، وأهل الحاجات لوجاهته ، فإنه تتلمذ له أحمد بن الرداد ، ومحمد المزجاجي ، فجالسا السلطان ، وكان مغرماً بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار ممن لا يحصل نسخة من الفصوص ، تنقص منزلته عنده ، واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق ، بسببه وفيه يقول بعض الأدباء ، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصلاح صالح المصري :

<sup>١</sup> العقود اللؤلؤية ( ٣٠٢/١ ) .

صالح المصري قالوا : صالح  
وعمري إنه للمنتخب  
كان ظني أنه من فتية  
كلهم إن تمتحنهم تختلب  
رهط إسماعيل قطاع الطر  
يق إلى الله وأرباب الرب  
سفل حمقى رعاع غاغة  
أكلب فيهم على الدنيا كلب

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة ، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند ، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه ، ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه ؛ لئيل السلطان إليه <sup>١</sup> . فانظر كيف استغل نفوذ هذا الصوفي على السلطان إلى هذه الدرجة من الظلم والاضطهاد للخصوم ، وهناك مواقف كثيرة سيجدها المتبع لو بحث عنها .

ولصوفية حضرموت مواقف تندرج في نفس هذا المسلك الدنيء ، وتسير على ذات المنهج الرديء ، وكان أبرزها في أثناء الصراع الذي نشب في إندونيسيا بين العلويين والإرشاديين ؛ فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصلها في العاصمة الإندونيسية بتافيا ( جاكرتا ) بأن الإرشاد ، تعمل ضد السياسة البريطانية ، قال صلاح البكري : ( وقد تأثر القنصل لجهله حقيقة الإرشاد ، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية ؛ ليأخذوا حذرهم من كل إرشادي يدخل حضرموت ، ويرسل المسؤولين في الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسيا ) <sup>٢</sup> . ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشاد ، ويصفه بأنه عدو لوطنه ولوطنه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفكارهم <sup>٣</sup> ، ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل تحول إلى اضطهاد حقيقي للإرشاديين في بلدهم الأصلي حضرموت ، قال البكري : ( لم يكتف آل باعلوي وغيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد ، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت ، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين بن حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية بمدينة

<sup>١</sup> البدر الطالع ( ١٣٩/١ - ١٤٠ ) وقد ذكر طرفاً من قصة صالح المصري الخزرجي في العقود اللؤلؤة ( ٢٢٥/٢ ) في حوادث

سنة ( ٧٩٧هـ ) ، وعبد الله الحبشي في الصوفية والفقهاء ص ( ١١٨ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ٧٩ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٨١ ) .

المكلا . فقد كان هذا الوزير يتلقى الرسالة تلو الرسالة من قريبه السيد محمد المحضار ببندووسو بجواه ، يحرضه على عرقلة كل إرشادي يأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت . وقد تأثر الوزير بتلك الرسائل إلى حد كبير ، فأخذ يضطهد كل إرشادي قادم إلى حضرموت ، وأسهم في ذلك والي دوعن عمر بن أحمد باصرة ، أسهم في التعذيب ؛ إرضاء لوزير الحكومة القعيطية )<sup>١</sup> .

ولم يكتفوا بالتنكيل بالمنتمين إلى جمعية الإرشاد فحسب ، بل تعدى الضرر والاضطهاد إلى أسرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد ، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري ، و أوضح أن نائب السلطنة بدوعن ، تولى ذلك ، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقرباء عضو من أعضاء الإرشاد . هذا نصها :

( الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

إلى جناب الأكرم المكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد با مصفر سلمه الله تعالى آمين . وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام . صدر المرقوم من قيئون ، والعلم خير ولطف وعافية ، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية .

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية ، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية "جمعية الإرشاد" ؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا ، وقد وصّالنا المقدم ، وبتينا إلى عنده ، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان ، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب محمد بن أحمد المحضار ولعاد عليه شيء ، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله وأنت بضرّك . الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاه والسلام .

حرر في ١٢ ربيع الثاني سنة : ١٣٣٨ هـ

طالب الدعاء

محمد بن أحمد با مصفر)<sup>٢</sup>

ولم يكتف العلويون بذلك ، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة ، وحذروه هؤلاء الإرشاديين ، ووصفوه لهم بأنهم نواصب ، ييغضون آل البيت ، ولديهم أفكار سامة ، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز ؛ حرصاً على سلامة أهله

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٨٤ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص (١٢١) .



وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم ؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على شاكلتهم ، يعنون اتباع الدعوة النجدية ، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك<sup>١</sup> .

هذه بعض الأدلة على لجوء القبوريين إلى السلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً ، مادام أن الالتجاء إليه سيحقق لهم غرضاً .

وقد لفت نظري سقاف بن علي الكاف في مؤلفه " حضرموت عبر أربعة عشر قرناً " . حين أرخ لهذه الحوادث ، وقد حاول أن يضبط نفسه ، وأن يقاوم مشاعره ، فلم يتحامل تحاملاً ظاهراً على أصحاب الإرشاد ، ولكنه أورد رسالتهم إلى وزارة الخارجية البريطانية ليومئى إلى القارئ أن هؤلاء القوم حملهم بغضهم لخصومهم وهواهم المتبع على أن يلجئوا إلى العدو الكافر ، ويستعينوا به على خصومهم . وقد نسي أن أصحابه قد فعلوا أكبر من ذلك وأكثر وليس فقط مع بريطانيا ، بل مع بريطانيا وهولندا وغيرهما من دول المسلمين والكفار وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجارتهم على رغبتهم ، وضايقت الإرشاديين في بعض مستعمراتها<sup>٢</sup> .

#### المطلب الثاني : اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع خصومهم :

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سلطة ونفوذ على القبائل ، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفها ، وتسخرها لتهديد وأذية خصومها ، وقبل أن نذكر تسخير الصوفية للقبائل في ضرب الخصوم الأبعد ، نذكر قصة طريفة تؤدي الغرض ، وتظهر مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، قال محمد بن هاشم تحت عنوان " قضية التابوت " : ( الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة ، لا تعرف المرونة ، ولا تنجح إلى المجاملة . وربما تغلب على القوم التعسف الأناني ، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول ،

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ٨٢ - ٨٣ ) .

<sup>٢</sup> قد يقول قائل : وأنت فعلت نفس الشيء ، فذكرت ما صدر عن العلويين ، ولم تذكر ما صدر عن الإرشاديين . قلت : لا سواء ، فالكاف مؤرخ لحضرموت ومن المفترض أن يكون عادلاً منصفاً لكل أهل حضرموت ، وأما أنا فقد حددت منهجي وهو الكلام عن الصوفية فقط ناقداً وكاشفاً عن حقيقتها ، ولست بمجرد مؤرخ ناقل للأحداث .

وتمتجه الأذواق ، وتقف الطبائع السليمة حسرى دون شأوه . وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه ، ويعلم منها مبلغ التخطيط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد واليك ما قالوه عنها ، قالوا : " وفي سنة ١١٦١ هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد ، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار " . فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس ، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه . وأصاب رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه . وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي ، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع .

وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور . ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة <sup>١</sup> .

ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قاموا به إزاء الحملة النجدية على حضرموت ، والتي استهدفت وادي حضرموت من المشهد جنوباً غربياً إلى عينات في الشمال الشرقي ، أو إلى قبر هود شرق عينات ، فبعد الكرو والضر والأخذ والعطاء ، وحينما هم النجديون بدخول وادي عمد والذي أول مدنه مدينة حريضة ، جمع آل العطاس قبائل تلك المنطقة وكونوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يدب فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صاحب تاج الأعراس في عدة مواضع <sup>٢</sup> ، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام لجيش حضرموت علي ابن جعفر العطاس : ( ومما أكرمه الله به من دقة النظر ، فمن فطانتها ودقة سياسته أنه جعل على

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الكثيرة ص ( ١١٥ - ١١٦ ) . وانظر : جواهر تاريخ الأحقاف ( ٢ / ٢١٨ - ٢١٩ ) . تأليف العلامة محمد بن علي

بن عوض باحان ، طبع مكتبة الفحالة الجديدة ، القاهرة ( ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م ) .

<sup>٢</sup> انظر : ( ١ / ١٧٤ ) و ( ١ / ٢٣٠ - ٢٣١ ) و ( ١ / ٢٣٤ )

كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره <sup>١</sup>، وكانت القبائل التي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعدة قال: (ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري لما بلغه الخبر بهجوم الوهابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه آل باصليب سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد منجداً للسادة آل العطاس وقبائل الجعدة ففرحوا بهم ومنهم وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه .. الخ) <sup>٢</sup>.

وهذا نموذج آخر من استخدام القبائل للحفاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن يظهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية والقبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في رده وصدده هم القبوريون أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة "الشريف غالب بن مساعد" من البدر الطالع قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد "عبدالعزیز بن سعود": (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعده غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجمله فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممثلاً لأوامره خارج عن الإسلام) <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> تاج الأعراس ص (٢٣٣-٢٣٤).

<sup>٢</sup> المصدر السابق (١/ ٢٣٤).

<sup>٣</sup> البدر الطالع (٥/٢).

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضة من "إدام القوت" حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلأ، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي ابن سهل بدون مبرر من الدليل)<sup>١</sup> مع أن أهل حضرموت في تلك الفترة بأمر الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمال. فكان قيام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصالح سادتهم، ولما لم يكن هناك مقاومة تذكر من علماء حضرموت تستحق التصدي القوي لها باستخدام القبائل لم أرى شيئاً واضحاً في ذلك إلا في الصراع العلوي الإرشادي، فقد حاول آل باعلوي أن يستفيدوا من نفوذهم الروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم يحرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحوال قد تغيرت، والعقول قد تفتحت، والعقائد التي كانوا يعتقدونها فيهم قد ظهر زيفها، فلم يسعفهم ولم يستجيبوا لمطالبهم، بل سخرها بها واليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

**الرسالة الأولى:** من محمد بن أحمد الحضار إلى علي بن حسن بن نقيب اليافعي قال فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهدي السلام الخاص من الشيخ المكرم والمحب المحترم علي بن حسن ابن نقيب وعلى من بقي له اتصال بالحبيب والشيخ مولى الكتيب<sup>٢</sup> وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكلب أو الذئب، وماله في الأمر من نصيب وكتاب الشيخ علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدم إلى خير وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذرون وبالنسبة حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وريح التجارة وفرحنا له، ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد أما أهل الفساد "يعني الإرشاديين" فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد والتناد يوم لا

<sup>١</sup> إدام القوت ص (١٢٢-١٢٣) الحلقة (٤٠) المنشور في مجلة العرب.

<sup>٢</sup> مولى الكتيب هو أبو بكر بن سالم صاحب عينات سمي مولى الكتيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال: (إذا ما لحقنا حد متأهل با نظر حه في كتيب عينات) فاشتهر الكتيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه أنه ترياق بحرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعديّة) ... الخ، انظر: الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص (١١٧).

ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . وبلغنا أن الإمام " يحيى إمام اليمن " مجهز على يافع ، ويافع لا يصلح الأمر ويطفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحبيد لأن الإمام يكاتبه ويافع قد هم حقه<sup>١</sup> أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح على يده ، وخبر الإمام واجب الانتباه له - يعني إمام اليمن - لأن الأمر مهم جم جم ، ومعه قصد - لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت - لا يقدر يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار .

حرر في بندووسو في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ هـ

الداعي / محمد بن أحمد الحضار .<sup>٢</sup>

**والرسالة الثانية :-** أيضاً من المحضار ذاته ( الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ ومحبههم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك مازال الكل في مسلك المصطفى سالك والشيخ أبو بكر ضامن لهم بذلك وفوق ما هناك<sup>٣</sup> ونهدي السلام للجميع ونخص منهم الشيبان والشبان ، جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأول ، والحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على الكثير من أهل الزمان الذين استحوز عليهم الشيطان وخرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان . بلغنا أنه وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنو النكير . وإن بلغنا دخول شيء المكان تركنا كليان ( بومي أيو ) والله المستعان .

محمد بن أحمد الحضار<sup>٤</sup>

وقد علق الأستاذ البكري على هذه الرسائل فقال : ( لم يستطع السيد المحضار الوقوف أمام تيار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا لتهديداته ثمناً ، بل كان الأمر بالعكس ، كانوا يهزءون برسائله كل الهزء )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> قوله : " قدم حقه " أي إنما هم حقه أي ملكه وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكريهم وهكذا .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١١٨ - ١١٩ ) .

<sup>٣</sup> انظر : هذه العبارة وقارنها بكلام دعائم اليوم الذين يقولون إنهم موافقون لخصومهم بأن من أعتقد الضر والنفع لغير الله فهو مشرك فأني نفع أعظم من هذه العظيمة باستمرار السلوك على سبيل النبي ﷺ .

<sup>٤</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١١٩ - ١٢٠ ) .

### المطلب الثالث : اعتماد التصفية الجسدية للخصوم :

مرَبنا الأذية الكبيرة التي قام بها إسماعيل الجبرتي وأعوانه ضد الذي كان ينكر عليهم في زبيد " صالح المصري " <sup>١</sup> ، وقد ذكر الشوكاني العجائب من ذلك مما يحاول القبرية والمنحرفون فعله بدعاة السنة كما في كتابه أدب الطلب سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل الأمير أو له شخصياً أو لغيرهما ، وقد تناقل الناس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال و التهائم وحضرموت وما بين ذلك ومما تناقلوه : الضرب ومحاولة القتل بالسلاح واستخدام السم ولكني في مثل هذه القضايا لا أعول على ما كان متداولاً بين الناس دون أن يكون مكتوباً وعليه فإنني أقتصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصحاب الإرشاد بإندونيسيا . فقد قال تحت عنوان " محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية " :

( حاول جماعة من آل باعلوي اغتيال الشيخ أحمد محمد السوركتي ، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى " بلمنبتق " وكان الشيخ مولعاً بأكلها فابتاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاستدعى طبيباً ، وبعد الفحص قرر الطبيب أنه مسموم ، ولولم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشيخ إلى رحمة ربه ، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في تأدية رسالة الإسلام . وفي مدينة بوقور هاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز الكويتي ضيف إندونيسيا ومؤيد الحركة الإرشادية الحرة وضريوه بألة حادة في رأسه ولكن عناية الله أحاطت به وأنقذته من الموت ) <sup>٢</sup> .

وهناك حادثة أخرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحدث عن حاكم تريم ، فيقول : ( وكان ينكر بطبعه غلوا القبوريين ، فوافقته آراء الوهابية ، وأكثر التعليق بوحيد عصره ، وفريد دهره ، مقدم الجماعة ، وشيخ الصناعة ، الذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم ، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان ، المتوفى بتريم سنة ١٢٤٨ هـ ، وقد اتهمه العلويون

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ١٢٠ ) .

<sup>٢</sup> تقدم في هذا البحث .

<sup>٣</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١٣٥ ) .

بأنه هو الذي يعلم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير<sup>١</sup>.

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الذي حاولوا أن يلحقوه به وبغيره من دعاة السنة والتوحيد، فقال - رحمه الله - : (ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السمع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جم لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد، فحملة ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسيًا في مسجد من مساجد صنعاء، بمكان يسرح له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملئ عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لما شاهد وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة وأسئعائنا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل إنني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من

<sup>١</sup> إدام القوت ص (١٢٢). الحلقة (٤٠) من مجلة العرب.

العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة . ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيت أنه يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكسبون منزلي ويهجمون مسكني ، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب ، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لدي لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس ، وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشردّه أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوق وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة ، ولا يظلم ربك أحداً<sup>١</sup> .

#### المطلب الرابع : تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة :

هذا مسلك لأهل الباطل قديم ، فأعداء الرسل قد استخدموه وقريش قد أكثرت منه لتشويه صورة النبي ﷺ فقالت " ساحر " و " شاعر " و " مجنون " و : كذاب " و «إنما يعلمه بشر»<sup>٢</sup> الخ تلك الألقاب الكاذبة والإشاعات المغرضة المضللة ، وما زال ذلك شأنهم مع العلماء القائمين مقام النبي ﷺ والوارثين له ، وهو نفسه يتكرر مع علماء اليمن ودعائه كلما واجهوا جهالاً ومنحرفين قومهم في سائر أنحاء اليمن ، فأئمة التجديد قد عانوا أشد المعاناة من ذلك المسلك الظالم لدى خصومهم ، وعبروا عنه بأساليب مختلفة ، يقول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصبة عصره : ( واني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة ، وسلكت سنن الطريقة العتيقة ، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السنة النبوية ، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة ، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على ألا يتبّع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين ، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس مازالوا هكذا :

<sup>١</sup> أدب الطلب ص ( ٣٢-٣٣ ) للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء .

<sup>٢</sup> النحل ( ١٠٣ ) .



ما سلم الله من بريته  
ولا نبي الهدى فكيف أنا<sup>١</sup>  
ثم جاء دور المقبل ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:  
قَبِّحُ إِلَهَهُ مُفَرِّقاً  
بين الصحابة والقراية  
أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:  
أطرق كرا يا مقبلي  
فلأنت أحقر من ذباية  
وقال الآخر:

المقبلي ناصبي  
فرق ما بين النبي  
وأخيه حيدر  
لا تعجبوا من بغضه  
أعمى الشقا بصره  
فرق ما بين النبي  
لا تعجبوا من بغضه  
للعنرة المطهرة  
فأما معرفته  
لكن أبوه نكره<sup>٢</sup>

والبيت الأول فيه وقاحة وخسة، والأبيات الأخرى فيها كذف له ولأمه . وقد أعرب الإمام العلامة محمد بن إسماعيل عن ذلك وشكى منه أمر الشكوى قال في قصيدته النجدية :

وأقبح من كل ابتداع سمعته  
مذاهب من رام الخلاف لبعضها  
يصب عليه سوط ذم وغيبة عمد  
ويعزى إليه كل ما لا يقوله والنجدي  
وإنكاه للقلب الموفق للرشد  
فيرميه أهل الرفض بالانصب فرية والجحد  
يتابع قول الله في الحل والعقد  
وليس له ذنب سوى أنه غدا  
ويتميمه أهل الرفض بالانصب فرية والجحد  
وليس له ذنب سوى أنه غدا  
ويتابع قول الله في الحل والعقد  
وهل غيره بالله في الشرع من يهدي  
لئن عدّه الجاهال ذنباً فحبذا  
به حبذا يوم انفرادي في تحديد<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> من مقال محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم للقاضي إسماعيل الأكرع ( ٢١/١ - ٢٢ ) .

<sup>٢</sup> هجر العلم ( ٢٧١/١ ) .

<sup>٣</sup> ديوان الأمير الصنعاني ص ( ١٦٧ ) طبع منشورات المدينة الطبعة الثانية ( ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ) .

وأما الشوكاني فقد جمع إلى همه هموم المتقدمين عليه ، وشكى مما أصابه وأصابهم وحل به وبهم ، وهو لا شك أصدق تعبيراً فالنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة ، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث فأرجع إليه

وعندما نشب الخلاف بين العلويين وأصحاب الإرشاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه سمعتهم وإطلاق الألقاب المنفرة عليهم فكان مما أطلقوا عليهم من الألقاب : ( أنهم وهابيون ، ونصاري ، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري ، وأنهم خوارج ييغضون أهل البيت )<sup>١</sup> .

وهذه عبارة مقتطعة من رسالة محمد بن أحمد الحضار إلى يافع في منطقة " يومي أيو" في إندونيسيا يقول أثناءها عن أحد الإرشاديين : ( وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنوا النكير )<sup>٢</sup> . وقد وصفوهم في رسالتهم إلى شريف مكة بما يلي : ( وينهون إلى مقامكم السامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد ، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي ﷺ واث الدسائس وإيقاد الفتن ، ولهم من النشرات الجمة ما يبين خبيث قصدهم )<sup>٣</sup> هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم .

<sup>١</sup> الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ص ( ١٥٢ ) .

<sup>٢</sup> تاريخ الإرشاد ص ( ١٢٠ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٨٢ ) .

## الفصل الثاني

موقف علماء اليمن من القبورية  
وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتهما

**وفيه تمهيد وأربعة مباحث :**

**التمهيد :** في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد .

**المبحث الأول :** موقف علماء اليمن من القبورية

الإسماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها .

**المبحث الثاني :** المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية

المختلفة لعموم القبورية .

**المبحث الثالث :** الردود الواردة أثناء كتب الفنون المختلفة .

**المبحث الرابع :** الجهود العملية لمواجهة القبورية .

**التمهيد :** في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات :

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، لا يقضي عليه عدو من الكافرين ، ولا يطمس معالمه مبتدع من المبتدعين ، حتى تغيب السنة كلها ، وتحل البدعة محلها ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾<sup>١</sup> ، وقد فصل رسول الله ﷺ وسائل ذلك الحفظ ، فوعده بوجود طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين في قوله ﷺ : (( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ))<sup>٢</sup> .

ولا يمنع وجود هذه الطائفة القائمة على الحق ؛ من تسرب بعض البدع ، واندثار بعض السنن ، وانحراف بعض المفاهيم على مرور الأيام ؛ لذلك فقد أخبر النبي ﷺ بأنه بعد كل فترة ، يقبض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، فقال : (( إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ))<sup>٣</sup> .

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله ، وحُفظ الدين ، وجُددت معالمه ، رغم هدم الهادمين وكيد الكائدين وبدع المبتدعين ، ولقد حظي اليمن بما سبق له من عناية الله سبحانه ولطفه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من ذلك ، وصار مجدوده وأعلام علمائه ودعاته مجددين للأمة كلها ، وليسوا مجددين لليمن وحده ، فرزقهم الله القبول التام والثقة المطلقة عند سائر الطوائف وفي سائر البلاد الإسلامية ، فكتبهم هي من أهم مقررات جامعات العالم الإسلامي المرموقة ومراكزه العلمية ، وقد أقبل الباحثون على دراسة شخصيات المجتهدين اليمنيين ومناهجهم في العقيدة والدعوة والعلوم المختلفة من تفسير وحديث وعقائد وغير ذلك .

<sup>١</sup> المحرر (٩) .

<sup>٢</sup> تقدم ترجمته ص (١٠٩) .

<sup>٣</sup> رواه أبو داود (٥١٢/٢) كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، والحاكم (٥٤٢/٤-٥٤٣) كتاب الفتن والملاحم . وانظر : تصحيح شيخنا الألباني - رحمه الله - للحديث في سلسلته الصحيحة (١٥٠/١١-١٥١) .

وبرغم ما سلف في الفصل الأول من أساليب مختلفة، سلكها القبورية؛ لمواجهة علماء أهل السنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهود والأساليب الماكرة الكثيرة، كلها لم تفلح في صد العلماء عن معارضتهم وكشف ضلالهم وبيان حالهم، وإن كانت مناطق اليمن تختلف في قوة وضعف تلك المواجهة، فعلماء البلاد الزيدية بحكم قوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفوذ الروحي في بلادهم، ولسعة أفق المذهب الزيدي والفقه الهادي وحته على الاجتهاد؛ كانت جهودهم أكبر ومواجهتهم وسلطان علمهم على القبورية أقهر، وقد شاركوا في مقاومة كل أنواع القبورية من إسماعيلية وأصحاب وحدة الوجود وعموم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلماء زبيد موقف مشرف في صد أهل وحدة الوجود ومقاومتهم حتى اندثر مذهبهم أو كاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعدن وحضرموت، فقد كانت مواقفهم أضعف وأقل، وذلك أنه وبعد دخول التصوف ورسوخه في هذه المناطق في القرن السابع وما بعده، احتوى المتصوفة الساحة العلمية، وهيمنوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لا حكم له، ثم الأسر التي ثوالت هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها "منطوية فيها" حسب تعبيرهم، وفي المقابل فقد أعطى العلويون لهذه الأسر امتيازات كبيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولذلك فقد أصبح العالم الذي يستطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حرج عظيم حيث يرى الحق، ولا يستطيع الإفصاح عنه والعمل به، فتجده يرضخ لما عليه القوم، وإن كان في قرارة نفسه منكراً له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهياهم لإقامة الحجة وسلوك المحجة، وتحمل التبعة وهم، أقل من القليل، متناثرون عبر القرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكان، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علماء هذه البلاد بعلمائها في الحجاز ونجد، وإطلاعهم على كتبهم ورسائلهم، فقد هزت تلك الدعوة الجزيرة العربية

كلها ، وحركت ذلك الركود الذي خيم عليها قروناً طويلة ، ووصل أثرها إلى كل أرجائها ، بل وكل أرجاء العالم الإسلامي ، كما أسهمت حركة الإرشاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقاظ علماء وطلبة العلم في حضرموت وما جاورها ، وأزالت كثيراً من الحجب التي كانت تغطي الحقيقة ، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسفون فيها ، وأسقطت تلك الهيبة التي صنعها القبوريون لأنفسهم وأوليائهم ، وسيروا بها الناس كما أرادوا .

هذا هو موجز موقف العلماء من القبورية ، واليك تفاصيله في المباحث الآتية .

## المبحث الأول

### موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية

#### وجه ودهم المشكورة في مواجهتها

#### وفيه ثلاثة مطالب:

#### المطلب الأول : موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية :

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البدع الطارئة كإجماعهم على كفر ومروق الطائفة الإسماعيلية الباطنية ؛ مما حملهم على التصريح بكفرها ونشر قبائحها ، ومحاربتها بشتى الوسائل من القتال إلى الردود العلمية ، ومما يوضح ذلك عبارات المؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها ، وقضوا على دولتها وكيانها ، وإن كان مقتهم والتصريح بالتفكير في حق علي بن الفضل وصاحبه منصور اليمن أشهر وأظهر من مقت الصليحي ، وما ذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقه ومستفيداً من أخطائهما ، فتجنب إظهار الكثير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتة ، وكان بالرعية أرأف وألطف ، وبذلك كسب شيئاً من التعاطف لشخصيته لا لنحلته ، وكذلك الملكة الحرة والمعروفة عند العامة بـ " الملكة أروى " كانت ذات شخصية عظيمة وحنكة سياسية كبيرة ، ثم كونها امرأة ظهرت بتلك القوة وذلك الدهاء في ذلك العصر ، كل ذلك خفف من حدة المقت نحو الصليحيين كشخصيات .

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفاق من سائر اليمنيين كلهم بمقتها وبذمها ، حتى لقد نحتوا من اسم هذه الطائفة عبارة مختصرة فقالوا " السمعة " ، وجعلوها شعاراً للذم ، والطنن فيمن تطلق عليه .

وهذه بعض عبارات المؤرخين يصفون دخول هذه النحلة إلى اليمن على يد علي ابن الفضل وصاحبه ، ومن أوائل المؤرخين الذين أبدوا الموقف اليمني من هذه الطائفة العلامة ابن

سمرة صاحب طبقات فقهاء اليمن ، فقد قال : ( "فصل" ثم لحق باليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فنتنان عظيمتان :

فتنة القرامطة : وقد عمت العراق والشام والحجاز ، وإن اختلف تأثيرها في البلدان فَمَلَكَ المخلاف اليميني علي بن الفضل - لعنه الله - وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله :

خذي الدف يا هذه والعبي وغني هزاريك ثم اطربي

فذكر القصيدة ، ثم قال : ( والشعر طويل ، وكله تحليل محرمات الشرع والاستهانة به ، فقتل أهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا ، وملك الحصون والأموال العظيمة )<sup>١</sup> .

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال : ( قال ابن جرير<sup>٢</sup> : وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد : من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد ابن أبي يعفر ، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره ، فنسأل الله العصمة )<sup>٣</sup> .

وقال الخزرجي في العسجد المسبوك بعد أن ذكر طرفاً من أخبار منصور وعلى ابن الفضل : ( فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم ، وارتكب محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات )<sup>٤</sup> ، وقد نقل ابن الديبع كلام الخزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه ، وهو إقرار له<sup>٥</sup> .

وقال الأكوغ في تعليقه على قرة العيون : ( القرامطة فرقة من الباطنية ، واحدها قِرْمَطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة وياء النسبة ، والقرمطة

<sup>١</sup> طبقات فقهاء اليمن ص ( ٧٥-٧٦ )

<sup>٢</sup> ابن جرير هو : إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعائي ، توفي سنة ( ٤٥٠ هـ ) صاحب تاريخ صنعاء ، وقد قال الأكوغ في تعليقه على السلوك ( ٢١٠/١ ) : أنه لم يعثر على هذه الرسالة فيما لديه من تاريخ ابن جرير ، وأنا كذلك لم أعثر عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال ( لعنه الله ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢١٠/١ ) .

<sup>٤</sup> العسجد ص ( ٣٩ ) .

<sup>٥</sup> قرة العيون ص ( ١٤٢ ) .



تقارب الشيء بعضه من بعض ، يقال "خط مقرمط" إذا كان متقارب الحروف و"ومشي مقرمط" أي متقارب الخطو ، سمي به أبو سعيد الأشعب ؛ لأنه كان قصيراً دميماً مجتمع الخلق أسمر كريهاً ؛ فلذلك سمي قرمطياً . فنسبت إليه القرامطة لأتباعه ، قال الإمام نشوان<sup>١</sup> : والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة ، وصاحبها عندهم قرمطي ، وجمعه قرامط ، وقرامطة .

قلت : وهي منظمة سرية خطيرة ، تكونت من جماعة فارسية من المجوس ، اندست بين المسلمين متظاهرين بالدين والورع ، وهدفها تقويض دعائم الإسلام وإعادة السيادة الفارسية ، ثم اتخذت التشيع لها شعاراً لما أعجزتها الحيل . وكان منشؤها بفارس ولها خلايا بكل مكان ، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكراً التشيع ، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعيول على ما نال أهل البيت من التشريد والتنكيل ، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس ، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغايات والأهداف ، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال ، واستفحل أمر هذه العصابة ، وعمَّ خطرها ، وتطايير شررها ، وقوّضت ممالك ، وكانت فتنة صماء ، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها ، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين )<sup>٢</sup> .

ويقول نشوان بن سعيد ، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية : ( وسار علي بن الفضل الخنصري إلى أرض يافع ، فاشتدت وطأته باليمن ، واستولى على أكثر مخاليفه ، وأعلن بالكفر ، وأحل جميع المحرمات ، وخرّب المساجد ، وكان يدّعي أنه نبي ) ، ثم ذكر بعض تلك الأبيات ، ثم قال : ( وابن الفضل أول من سنّ القرمطة في اليمن ، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة ، وصاحبها عندهم قرمطي ، فجمعه قرامطة )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> نشوان بن سعيد الحميري ، توفي سنة ( ٥٧٣ هـ ) . انظر : الأعلام ( ٢٠/٨ ) ، ومقدمة الحور العين لنشوان الحميري ص ( ١٦ - ٢٥ ) تحقيق كمال مصطفى طبع دار آزال بيروت ، والمكتبة اليمنية صنعاء الطبعة الثانية ( ١٩٨٥ م ) والسلوك ( ٩٩٢/١ ) .

<sup>٢</sup> قرّة العيون تعليقاً ص ( ١٢٢ - ١٢٣ ) .

<sup>٣</sup> الحور العين ص ( ٢٥٣ - ٢٥٤ ) .

أما القاضي حسين بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطل في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية - أخزاهم الله تعالى - أضرت على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم يبطنون الكفر، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة، وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع، ويسمون "بالإسماعيلية"؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و"بالعبيدية"؛ لدعائهم إلى عبد الله بن ميمون القداح الذي نسبته الباطنية إلى مايزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيدون من أولاد عبيد الله، ولادة مصر ذلك الزمن، والآن يسمون "شيعة"؛ لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق، والدخول إلى دهليز الكفر، إلا بإظهار المحبة والتشيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه النور الإيماني، واستولى على قلبه الهوى الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار، ولولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم لأنكروها.

وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولا يكاد يظهر مذهبهم لأتباعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبه، وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمناوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة، وأن ينهشوا عباد الله، وقد أفصح السيد "الدفاعي" عن أطراف من أحوالهم في رسالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقوة، أن يعرف منهم أحداً يقتدر عليه، فيتركه وشأنه، فإنهم - أهلكهم الله تعالى - شياطين الأرض<sup>١</sup>.

وكلامه عام يشمل ابن الفضل ومنصور اليمن والصليحيين، بل إنه قد بين في مقدمة كتابه هذا أن من جملة ما حمّله على تأليفه أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذكر عندهم بنو الصليحي، وما فعلوه من جوامع وصدقات، فترحموا عليهم جهلاً بأنهم دعاة الباطنية

<sup>١</sup> بلوغ المرام ص (٢١-٢٢).

وأصحاب الطائفة العبيدية، فقلت: الآن اتخذ الجهل من الناس مأخذه، وفتح لهم فاه، وأطبق نواجذه، فقلت قصيدة مستغرية وكلمة منظومة معربة، سميتها مسك الختام<sup>١</sup>.

هذا هو موقف علماء ومؤرخي اليمن من الإسماعيلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفيرهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحالهم وسوء معتقدتهم وخطورة مكائدهم ودسائسهم، وربما كان للأوليين العذر في ذلك كونهم قد حاربوهم حرباً عسكرية وسياسية حتى أزالوا دولتهم، وظهروا اليمن من وجودهم.

ولكن يجب ألا يخفى على علماء اليمن وحكامه أن مجرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فدولتهم قد زالت قديماً بزوال ابن الفضل ومنصور اليمن وأتباعه، ولكن نارها ما زالت تدب تحت الرماد حتى مرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلوم، ثم زالت دولته، وبقي فكره وعقائده ودعوته، وبقي دعااته يخلف بعضهم بعضاً، ويوصي بحفظ الدعوة والحفاظ عليها في دور الستر كما يقولون حتى يحين دور الظهور الجديد، وبقيت كتبهم متوفرة، وهي أعظم ما يقوم عليه منهج الإسماعيلية في العالم كله، هذه الكتب محفوظة كما يؤكد ذلك الدكتور حسين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالمية، وقد بدأت موجة إحياء لهذه الكتب ونشر وتحقيق في أكثر من بلد؛ وذلك للتحويل الجديد في العالم وطغيان الحرية الفكرية والعقائدية، فبعد أن كان الباطنية يتخفون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نحلتهن حتى يصلوا إلى مستوى معين من الفهم والقناعة بما لديهم، أصبحوا اليوم يتباهون بما هم عليه، وينشرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهرون بعض الباحثين بانتسابه إليهم، ويؤرخ لهم مادحاً شارحاً لبعض قضاياهم التي كانت في غاية السرية.

إذاً هذا الفكر الضال والمعسول في نفس الوقت الذي ينبني على الفلسفة والخطاب العقلي والعاطفي في آن واحد، جدير بالاهتمام والحدور واتخاذ التدابير الواقية من بعثه وافتتان الناس به في المستقبل.

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٤).

واسمع إلى الدكتور حسين الهمداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحدثين، وهو يمني حيث يقول في كتابه "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن" تحت عنوان "الثروة العلمية الفاطمية في اليمن": ( ترى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي، قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية. فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد ابن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي ابن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه، ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية )<sup>١</sup>.

كما أن الأستاذ عبد الله الحبشي ذكر في كتابه مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ذكر ستة عشر داعياً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الذين خلفوا ثروة علمية

<sup>١</sup> الصليحيون ص (٢٩٧-٢٩٨)

وعقائدية ضخمة ، كلها يقصد بها تعميق وترسيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين<sup>١</sup>.

ذلك المخزون الفكري وإن كان ضالاً غير مستساغ لدى العقلاء ، فإنه قد يستساغ لدى الجهلاء ، ولدى المفتونين بالغرائب ، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة . هذا بالإضافة إلى الاهتمام الكبير والمتزايد باليمن من قبل هذه الطائفة هذه الأيام ، وما يعتمل داخل تجمعات هذه الطائفة في مناطق تواجدها وعلاقاتها المريبة مع جهات أجنبية ، ربما عملت على زعزعت أمن اليمن واستقراره .

وكذلك الظاهرة التي برزت في السنوات الأخيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخارج " الحج إلى اليمن " ؛ وذلك لتتبع قبور دعائهم في مناطق مختلفة في اليمن ، سبقت الإشارة إلى بعض منها ، ومما يدل أن وراء الأكمة ما وراءها ، أنهم لم يقتصروا على زيارة تلك القبور والانصراف عنها ، ولكنهم يشتركون ما حولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء ، حتى يتحول الضريح وما حوله إلى ملك خاص بهم ، يقيمون فيه المساكن في الظاهر ، ولا ندري ما وراء المساكن ، وقد شاهدت قبراً لهم معظماً في زبيد ، وقد ملكوا سكناً واسعاً بجواره ، فإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه ، وانطلقوا منه إلى بقية المزارات ، كما رأيت قبراً آخر في قرية الحمى من نواحي زبيد ، يسمونه قبر " حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسول الله ﷺ " هكذا مكتوب عليه ، وقد دخلته وهو ضمن مباني مدرسة صغيرة قديمة ، فاشترتوا حسب إفادة بعض أهالي المنطقة مساحة من الأرض ، وبنوا عليها مدرسة جديدة على أن تكون المدرسة القديمة والقبر لهم ، ورأيت قبراً عالياً مغطى بثوب موشى ، لعله من الحرير مطرز بآيات من القرآن وبعض العبارات الأخرى ، وهو في غاية من النظافة ، ومفروش بفراش من السجاد والبخور يضح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر .

فهذه الأماكن ، ما يدرينا أنها تتحول إلى مقار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيام ! وهل كانت بدايات اليهود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة ؟ أو ما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه لابد من وطن قومي لهذه الطائفة ؟

<sup>١</sup> مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن تأليف عبد الله محمد الحبشي الصفحات (٩٥) و (١٠٠) و (١٠٢) و (١٠٦) و (١١١) و (١١٢) و (١١) و (١٢١) و (١٢٣) و (١٢٥) و (١٢٦) طبع مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

ولا يسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره :

أرى خلل الرماد وميض نارٍ      ويوشك أن يكون لها ضرامٌ  
لئن لم يطفها عقلاء قوم      يكون ضرامها جثثاً وهامٌ

### المطلب الثاني : أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن :

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة ، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تخل الساحة تماماً من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة ، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسد ذلك النقص .

#### العلم الأول

#### محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي

هذا الإمام هو أشهر من رد على الإسماعيلية من اليمنيين ، بل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري ، والذي لم يُعثر له على ترجمة ، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمة كتابه<sup>١</sup> غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل : ( على ما ذكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة ، وكان ممن دخل في مذهبهما - منصور وابن الفضل - أيام الصليحي ، وتحقق أصل مذهبهما ، فلما تحقق فساد رجوع عنه ، وعمل رسالة مشهورة ، يخبر بأصل مذهبهم ويبيّن عوارهم ويحذر من الاغترار بهم )<sup>٢</sup> ، وقد استنبط القاضي الأكوع أن وفاة الحمادي كانت في أيام علي بن محمد الصليحي ما بين عامي ( ٤٣٩ هـ - ٤٥٩ هـ ) حيث لم يدرك مقتل الصليحي سنة ( ٤٥٩ هـ ) .

<sup>١</sup> ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوع في تحقيقه لكتابه كشف أسرار الباطنية ، وذكره فواد سيد في تحقيقه لكتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمر الجعدي ص ( ٧٨ ) ، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم .

<sup>٢</sup> كشف أسرار الباطنية ص ( ٤٥ ) .

<sup>٣</sup> السلوك ( ٢٠١/١ ) .

وكتاب الحمادي من أهم الكتب الكاشفة عن حقيقة الإسماعيلية في اليمن ، بل هو أهمها ؛ وذلك لما انطوى عليه من مشاهدة واحتكاك وخبرة من الداخل ، قال - رحمه الله - في فاتحة كتابه : ( قال محمد ابن مالك - رحمة الله تعالى عليه - : اعلّموا أيها الناس المسلمون ، عصمكم الله بالإسلام ، وجنبنا وإياكم طرق الآثام ، وأرشدكم ، ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ، إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة ، فإذا قال القائل : هو يفعل ، ويصنع ، قلت : أنت تشهد عليه غداً ، فيقول : ما شهدت ، ولا عاينت ، بل أقول كما يقول الناس . فكنت أتعجب من هذا أولاً ، ولا أكاد أصدق بولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم ، إنما هذه عداوة له من الناس للمال الذي بلغه من غير أصل ولا أساس ، وكنت كثيراً ما أسمعهم يقول : حكم الله لنا على من يظلمنا ، ويرميننا بما ليس فينا .

فرايت أن أدخل في مذهبه ؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ؛ ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها ، وعرفت معانيها ، رأيت أن أبرهن على ذلك ؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته ؛ نصيحة لله وللمسلمين ؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين وأوضحه ، أن له نواباً يسميهم الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم بالكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد ؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل ، ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها باطل . يحضنونهم على شرائع الإسلام ، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير ؛ ليقع في شراكه ، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانتقياد لما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ، ولا ترض لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه ، واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي ﷺ بالرموز والإشارة ، دون

التصريح في ذلك والعبارة ، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة ، لمثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه ، فيقول : عم أسأل ، فيقول : قال الله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾<sup>١</sup> ، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن : لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان ، والحج حجان ، وما خلق الله - سبحانه - من ظاهر إلا وله باطن ، يدل على ذلك : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾<sup>٢</sup> ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾<sup>٣</sup> ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصّر علم الناس به عن العلم به ، فلا يعرفه إلا القليل ، من ذلك قوله : ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾<sup>٤</sup> ، وقوله : ﴿ وقليل ما هم ﴾<sup>٥</sup> ، وقوله : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾<sup>٦</sup> ، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم<sup>٧</sup> .

وقد بدأ كتابه بذكر الدعاة المأذونين ، وكيفية قيامهم بتلك الدعوة ، وكيف يؤوّلون ، ويعلمون الناس أن لكل شيء ظاهراً وباطناً ، فالصلاة لها باطن والزكاة لها باطن ... الخ ، ثم ذكر تدرجهم بالمدعو حتى يصل إلى الدرجة التي يبيع له الإمام المبيت مع زوجة الداعي ، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك الرتب العالية عندهم<sup>٨</sup> : ثم ذكر المشهد الأعظم وما فيه من إباحية ، ثم يختم الفصل بقوله : ( قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى - : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله - تعالى - لهم بالمرصاد ، والله - تعالى - عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ

<sup>١</sup> البقرة ( ٤٣ ) .

<sup>٢</sup> الأنعام ( ١٢٠ ) .

<sup>٣</sup> الأعراف ( ٣٣ ) .

<sup>٤</sup> هود ( ٤٠ ) .

<sup>٥</sup> سورة ص ( ٢٤ ) .

<sup>٦</sup> سبأ ( ١٣ ) .

<sup>٧</sup> كشف اسرار الباطنية وأسرار القرامطة ص ( ٦٣ - ٦٥ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص ( ٦٩ ) .



بجميع ما ذكرته عالم به ، ومن تكلم عليهم بباطل فعلية لعنة الله واللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم ، وأعد له جهنم وساءت مصيراً ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه ، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته .

فأدبت هذه النصيحة للمسلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هذه الشهادة ، فإن الله - سبحانه - أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها ، قال الله ﷻ : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾<sup>١</sup> ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الإسلام بعد أن آتانا بمنه ورحمته )<sup>٢</sup> .

ثم قال تحت عنوان " المقالة في أصل الدعوة الملعونة " : ( وقد رأيت أيها الناس ، وفقنا الله وإياكم للصواب ، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب ، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة : لئلا يميل إلى مذهبهم مائل ، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظره ، وإنذار لمن وقف عليه واعتبره )<sup>٣</sup> ، ثم ابتداء في تاريخ تلك الدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب .

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشفة عن حقائقهم خصوصاً باطنية اليمن ؛ ولذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً ، وقد طبع عدة طبعات من آخرها وأفضلها طبعة " مركز الدراسات والبحوث اليمني " بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع سنة ( ١٤١٥ هـ ) .

ولقد حاول البعض التشكيك في بعض ما احتوى عليه الكتاب ، إما باعتبار ذلك غير معقول ، أو بدافع قومي أو وطني ، ولكن الشهادة التي صدره بها القاضي الأكوع عن المقريري تشهد للحمادي بصدق ما ذكره ، وكذلك يشهد له كثير من النقول عن كتب الإسماعيلية أنفسهم التي أوردها الباحث الكبير إحسان إلهي ظهير في كتابه الفذ " الإسماعيلية تاريخ وعقائد " ومن أراد التأكد فليرجع إليه في الباب السادس " الإسماعيلية والتأويل الباطني " <sup>٤</sup>

<sup>١</sup> الزخرف ( ١٩ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٧٠ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٧٠ - ٧١ ) .

<sup>٤</sup> الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ( ٤٧٣ - ٥٣٨ ) .

و"الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه"<sup>١</sup>، إلا موضوع "المشهد الأعظم" أي جمع الرجال مع النساء، وكذلك المبيت مع زوجة الداعي وزوجات من يليه فلم أجد إلى الآن ما يشهد له فلا أستطيع الجزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه .

## العلم الثاني

### الإمام يحيى بن حمزة

وهو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ؑ، وهو خلاف أكثر أئمة اليمن الذين يرجعون إلى الحسن بن علي ؑ، ولد بصنعاء سنة (٦٦٩ هـ) واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون<sup>٢</sup>، (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة ؑ، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله)<sup>٣</sup>، وله في ذلك "الرسالة الوازنة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين"<sup>٤</sup>.

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتاه اللتان رد فيهما على الباطنية، وهما "الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام" و"مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" وقد طبعتا، ولكني لم أحصل على أي منهما .

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفه وسانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية<sup>٥</sup>، ولست أدري شيئاً عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ .

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٥٤٦ - ٥٩٢)

<sup>٢</sup> البدر الطالع (٣٣١/٢)

<sup>٣</sup> المصدر السابق (٣٣٢/٢)

<sup>٤</sup> المصدر السابق (٣٣٢/٢) .

<sup>٥</sup> أعلام المؤلفين الزيدية ص (١١٢٤) .

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي الفضل، وهذه الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوع في ترجمته في كتابه هجر العلم<sup>١</sup>.

وقد توفي - رحمه الله - في موضع اعتزاله بعد أن تولى عن الإمامة بقصر هران بدمار سنة (٧٤٩ هـ)<sup>٢</sup>.

### المطلب الثالث : المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية :

لقد عثرت - أثناء بحثي عن هذه الطائفة وتاريخها وموقف العلماء منها - على عدد من الردود عليها من علماء اليمن، ولا أزمع أن هذه الأسماء التي سأذكرها في هذا المطلب هي كل ما كتبه اليمنيون في ذلك، ولكن هذا ما وقفت عليه .

(١ - ٣) ما سبق ذكرها ؛ وهي رسالة الحمادي "كشف أسرار الباطنية"، و"الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام" و"مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" وكلتاها للإمام يحيى بن حمزة .

(٤) "الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار" ؛ للشيخ حميد بن محمد المحلي الهمداني المعروف بحميد الشهيد، وكان من كبار الهادوية في عصره، قتل سنة (٦٥٢) <sup>٣</sup>.

(٥) "الرسالة القاطعة في الرد على الباطنية" (جزآن) ؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد ابن حنش، توفي سنة (٧١٩) <sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> هجر العلم (٥٠٢/١) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته في البدر الطالع (٣٣١/٢ - ٣٣٣) ، وهجر العلم ص (٥٠١ - ٥٠٦) ، وأعلام المؤلفين الزيدية ص (١١٢٤ - ١١٣١) .

<sup>٣</sup> هجر العلم للأكوع (٨٨٢/٢) ، ومصادر الفكر للحبشي ص (١٠٧) .

<sup>٤</sup> هجر العلم (١٣٠٦/٣) ، ومصادر الفكر ص (١١٢) .

٦) "العضب المسلول في الرد على الباطني المخذول" لأبي العطايا عبد الله بن يحيى بن المهدي ، توفي سنة ( ٨٧٣ )<sup>١</sup> .

٧) ومن أوسع وأفضل تلك الأعمال كتاب معاصري حمل عنوان " الشيعة الإسماعيلية ، رؤية من الداخل " لعلوي طه الجمل .

هذه هي الكتب المفردة ، وهناك من تعرض لهم أثناء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للرد عليهم منها :

أ) ما كتبه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، المتوفى سنة ( ٨٤٠ هـ ) ؛ في كتابه " إيثار الحق على الخلق " في عدة مواضع .

ب) محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة ( ٧١١ هـ ) ، في كتابه "قواعد عقائد آل محمد" ، وغير ذلك من كتب العقائد والتاريخ .

وعندما بدأت موجات الحجاج الإسماعيلية تتوافد على اليمن ، وظهر نشاطهم ونشاط إخوانهم من اليمنيين ، تحرك بعض العلماء والدعاة من المعاصرين ؛ لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً ، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمام على مستوى الخطر الذي تشكله .

<sup>١</sup> مصادر الفكر ص ( ١٢٢ ) .

## المبحث الثاني

### المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : جهود علماء اليمن الأعلى "صنعاء وما يليها ":

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية ،وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية ،وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية ،ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها ،ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك :

الأول : هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة ،فاتسعت آفاقهم ،وزالت الموانع من طريقهم ؛سواء موانع النظر العلمي ،أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها .

الثاني : أنه لا يوجد من يتبنى القبورية ،ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار ،وانما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد ؛بل لدوافع إظهار العظمة لديهم ، فلم يكن لهم حماس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية .

ولذا فسوف تطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة ، ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً ، وهما الإمامان شيخا الإسلام "محمد ابن إسماعيل الأمير" و"محمد بن علي الشوكاني" ، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال ، وأما بقية الأسماء فسأذكرها مجردة ، مع تاريخ الوفاة وبعض مصادر الترجمة ، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه .

## العلم الأول

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام محمد بن إسماعيل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها، البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأولى سنة (١٠٩٩هـ)<sup>١</sup>، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء، وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، ويرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن)<sup>٢</sup>، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه<sup>٣</sup>.

وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور، هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله، وهذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذه الترجمة، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبد الوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحاً شديداً، وتقوى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وقال مبدئياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام :

لقد سرني ما جاءني من طريقة وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع،

وأثنى على الإمام ابن عبد الوهاب بذلك .

<sup>١</sup> حجر العلم (١٨٥٤/٤).

<sup>٢</sup> البدر الطالع (١٣٣/٢).

<sup>٣</sup> المصدر السابق (١٣٦-١١٣/٢).

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبد الوهاب ؛ وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني ، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى ، من أهمها أن القصيدة انتشرت ، وسار بها الركبان ، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبد الوهاب فيها أعداء ، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير ، يلومونه على مدحه لابن عبد الوهاب ، ويختلقون المطاعن والمثالب ، ويهوئون الأمر بحيث يصورونه له أنه بسبب هذه القصيدة ، ارتفع شأن هذا الرجل ، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء ، ويحملون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته ، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه ، كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع غير أنه بعد فترة ، ورد إليه رجل من أهل نجد ، يزعم أنه من طلاب محمد ابن عبد الوهاب ، وذكر لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه ، لم ترق له ، ولم يُعِر ذلك اهتماماً ، ثم ورد رجل آخر ، يظهر عليه سمت وسيما صلاح ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير ؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضر حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة ، والوجهة في قتل مخالفه ، وأخذ أموالهم ، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى ، من دعاية لابن عبد الوهاب ، فنظم قصيدته التي مطلعها :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبد الوهاب ، مما لا يرتضيه وأهمه تكفير الأمة قاطبة ، والتجاري على الدماء والأموال ، وأقول :

أما القضية الأولى فهي قطعاً غير صحيحة ، وجميع مؤلفات الإمام ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأعلام الدعوة النجدية موجودة متداولة ، وليس فيها شيء من ذلك ، أعني التكفير العام المطلق للأمة ، وإنما فيها التحذير من الشرك والحكم العام دون التعيين لمن وقع في الشرك بأنه مشرك ، ما لم يكن معذوراً ، وتاب عن ذلك ، فدعوى تكفير الأمة قاطبة مما افتراه عليه أعداؤه ؛ لتشويه سمعته .

وأما القضية الثانية وهي التجاري على دماء المسلمين وأموالهم فهي مبنية على حكم من يحاربهم ، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معاند ، لم يقبل النصح ، ولم ينصع للدعوة ، استحل قتاله ، وغنم أمواله ، وذلك بعد البلاغ والإعذار ، كما تنص عليه كتبه وكتب

اتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنذار ودون دعوة، فما علمت أن الشيخ وأتباعه العلماء، يجيزون ذلك بهذه الصورة المذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنود وقوادهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأموال أو ما أشبه ذلك، فهذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته .

وعلى كل حال فتأخر جواب الشيخ ابن عبد الوهاب على الشيخ ابن الأمير؛ فتح المجال للطرف الثالث وهم الناقمون على الشيخين جميعاً، فسعوا للإيقاع بينهما، وخصوصاً أنهم لمسوا قضية حساسة لدى ابن الأمير، وهي قضية قتل الناس وأخذ أموالهم باسم الدين والشرع والجهاد في سبيل الله، التي كان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضاق بها علماء اليمن ذرعاً، ومن أشدهم ابن الأمير فكم له في ذلك من مكاتبات وقصائد تعد ثورة على تلك الأوضاع، فخشي أن يذم أئمة اليمن، ويمقتهم لذلك الظلم، وفي نفس الوقت يمدح إمام نجد الذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم .

هذه في نظري هي الأسباب الحاملة على نظم القصيدة الأخيرة؛ ولذلك ومن أجل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء العكر، فقد أكد تمسكه بما جاء في القصيدة النجدية من العقيدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المحددة فقال :

نعم واعلموا أنني أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد  
ولا تحسبوا أنني رجعت عن الذي تضمنه نظمي القديم إلى نجد  
بلى كل ما فيه هو الحق إنما تجاريك في سفك الدماء ليس من قصدي  
وتكفير أهل الأرض لست أقوله كما قلته لا عن دليل به تهدي<sup>١</sup>

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمير، وليست مقولة على لسانه، والسبب فيها ما ذكر، وليس هو تراجعاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشوكاني في "الدر النضيد" إلى شرح هذه القصيدة لابن الأمير<sup>٢</sup>، فمن أنكرها من علماء نجد وغيرهم كان إنكاره لها عن عدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملايسات، وما ذاك إلا غيرة على الإمام ابن الأمير من أن ينسب إليه ما يخالف ما عرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع ومحاربة الشرك والابتداع .

<sup>١</sup> الديوان وانظر مقدمة هذه القصيدة ص ( ١٧١ - ١٧٣ ) .

<sup>٢</sup> الدر النضيد ص ( ١٠٢ ) .



وأما الأمر الثاني فالدعوة إلى الاجتهاد ونبت التقليد الأعمى والتعصب المقيت ، وهذا الأمر تطفح به كتبه التي خصص منها رسالة لهذا الغرض بعنوان : " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد " ، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كتبه الكبيرة والصغيرة ، وأعلنه في العديد من قصائده ، ومنها هذه القصيدة النجدية التي تكلمنا عنها آنفاً حيث قال :

وأقبح من كل ابتداع سمعته	وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها	يُعض بأنياب الأسود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة	ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويُعزى إليه كل ما لا يقوله	لتنقيصه عند التهامي والنجدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية	ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا	يتابع قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد	وهل غيره بالله في الشرعي من يهدي
لئن عنده الجهال ذنباً فحبذا	به حبذا يوم انفرادي في لحدي <sup>١</sup>

وتجد هذا الاتجاه في ديوانه في عدة مواضع بارزاً ، وقد جر عليه هذا ضرراً من المحن ،

كما مر .

والأمر الثالث مقارنته للأئمة وتشديده النكير عليهم في المظالم التي يرتكبونها بحق الأمة في دماؤها وأموالها ، وهو فاش في كتبه ورسائله وقصائده ، ومن أشهر تلك القصائد وأذيعها وأبعدها ذكراً القصيدة التي مطلعها :

( سماعاً عباد الله أهل البصائر لقول له يفنى منام النواظر )<sup>٢</sup>

وقد شجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضاة عن مقتضى العدل ، وسكوت العلماء عن قول كلمة الحق ، وبالجملية فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البدع والمنكرات ، ومن طريف ما قام به في الحفاظ على التوحيد ومحاربة الشرك ما ذكره "زيارة" في "نشر العرف" تحت عنوان " صنم المخا وفتنة الخطبة

<sup>١</sup> الديوان ص ( ١٦٧ )

<sup>٢</sup> الديوان ص ( ٢٤٤-٢٤٧ ) .

بصنعاء " قال : ( وأرشد المهدي العباس إلى إزالة أصنام كانت ببندر المخا لطائفة البانيان بؤلف البدر رسالة في ذلك نفيسه ، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتها ، وقبض جميع أموالها ، وقد كان لها مال واسع يقدر بنحو خمسين ألف ريال ، فأخذ وأوصل أحد الأصنام إلى حضرة الإمام والبدر لديه ، فأمر البدر بكسره ، وكان في صورة أنثى ، فديس بالنعال )<sup>١</sup> .

وقد التف حوله نخبة كبيرة من طلاب العلم من طبقات متفاوتة من المجتمع ، قال عنها الشوكاني : ( وقد كان أكثر أتباع صاحب الترجمة من الخاصة والعامة ، وعملوا باجتهاده وتظاهروا بذلك ، وقرأوا عليه كتب الحديث وفيهم جماعة من الأجناد ، بل كان الإمام المهدي يعجبه التظاهر بذلك ، وكذلك وزيره الكبير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير الماس المهدي ، ومازال ناشراً لذلك في الخاصة والعامة غير مبال بما يتوعده به المخالفون له ، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار ، وقاه الله شرها )<sup>٢</sup> .

وبواسطة طلابه والمقتدين به من العلماء والدعاة ، وصلت إلينا الدعوة السلفية اليمنية ، والحمد لله ، كما خلف ثروة ضخمة من الكتب التي تُشد إليها الرحال في التحقيق والتجديد ودقة الفقه والاستنباط ، من أوسعها انتشاراً " سبل السلام " و " تطهير الاعتقاد " والعدة حاشية شرح العمدة " لابن دقيق العيد ، ومؤلفاته كثيرة جداً ، قال القاضي الأكوع : ( وله رسائل كثيرة ، يضيق المقام بذكرها )<sup>٣</sup> . ومعظمها في تلك الاتجاهات التي أشرنا إليها ، وسيأتي التعريف بما يخص القبرورية من مؤلفاته التي اطلعنا عليها أو بعضها ، ولقد اهتم العلماء والمؤرخون وطلاب الدراسات العليا بدراسة جوانب مختلفة من حياته وفكره ، فمنهم الإمام الشوكاني في " البدر الطالع " ، والقاضي الحيمي في كتابه " طيب السمير " ، والجرموزي في كتابه " سلافة العصر " ، والقاضي أحمد قاطن في كتابه " الدمية والتحفة " ، وعبد الله ابن عيسى في كتابه " الحقائق " ، وعبد الله الحبشي في كتابه " مصادر الفكر الإسلامي في اليمن " .<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> نشر العرف ( ٤١/٣ )

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ١٣٧/٢ ) .

<sup>٣</sup> هجر العلم ( ١٨٥٧/٤ )

<sup>٤</sup> مقدمة الديوان ص ( ٤٧ ) بقلم حفيدة الأستاذ عبدالرحمن علي الأمير ..

وقد ترجمه ترجمة واسعة "زيارة" في "نشر العرف"، والقاضي الأكوع في "هجر العلم"، كما كُتبت عنه عدد من المؤلفات الخاصة والرسائل العلمية منها: كتاب "الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار" للدكتور أحمد محمد العليمي، وكتب علي عبد الجبار ياسين السروي كتاباً بعنوان: "ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه"، نال بها درجة الماجستير، وكتب الباحث قاسم صالح ناجي الريمي رسالة بعنوان "الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني"، نال بها درجة الماجستير، وكتب عنه العلامة عبد الرحمن طيب بعكر كتاباً بعنوان "مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير دراسة حياته وآثاره" وكتب الأستاذة قاسم غالب أحمد، وحسين أحمد السياغي، ومحمد بن علي الأكوع، وعبد الله ابن عبد الوهاب الشماحي، ومحمود إبراهيم زائد كتاب "ابن الأمير وعصره".<sup>١</sup>

هذا هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير أحد أبرز مجددي اليمن ومن أوائل من فتح باب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

#### جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده، ولن أستطيع الإحاطة بكل ما كتب في هذا الجانب، فبعضه مازال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفات كبيرة متناثر في ثناياها، والقصد هو إلقاء الضوء على منهج الرجل في مواجهة القبورية، وسيظهر ذلك - إن شاء الله - من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

#### الأثر الأول من آثار ابن الأمير المفردة في مواجهة القبورية:

##### "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد"

هذه الرسالة هي أشهر كتبه المفردة في هذا الموضوع، وقد تداولها الناس، وطبعت عدة طبعات في بلدان عديدة، قال في مقدمتها بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ: (ويعد فهذا "تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد" واجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد، في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء ممن يدعي

<sup>١</sup> هجر العلم (١٨٥٥/٤).

العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور ، لا يحضر للمسلمين مسجداً ، ولا يرى لله راكعاً ولا ساجداً ، ولا يعرف السنة والكتاب ، ولا يهاب البعث والحساب ، فواجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره ، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره )<sup>١</sup> .

وقد احتوى الكتاب على خمسة أصول وعدد من الفصول ، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى ، وبيان ما وصل الناس إليه من جاهلية باعتقادهم في أصحاب القبور ، ونقد كثير من الأوضاع المبتدعة المتعلقة بذلك .

وللشيخ كتب أخرى مفردة في هذا الموضوع ، منها كتاب بعنوان " الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف " ، ألفه حينما اطلع على جواب لأحد القبوريين ، أجاب به على سؤال ورد إليه ، فجاء في ذلك الجواب : ( إن للأولياء ما يريدون ، وأنهم ممن يقول لأي شيء أرادوه كن فيكون ، وأنهم من القبور لقضاء الحوائج يخرجون )<sup>٢</sup> ، إلى آخر ما ذكره المجيب من نواقض الاعتقاد الصحيح قال : ( فتعين إيقاظ أهل الغفلة والمنام ، من القاصرين والعوام ، ببيان حقيقة الولي وما ورد في صفته من الآثار ، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار ، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهذيان ، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام والأوثان ، ووصفهم بأنهم كالإله تقدس وتعالى ، وأنهم يقولون للشيء كن فكان ، فرايته يتعين إبانة الصواب ، وبيان حقيقة ما افتراه من الأوتاد والأنجاب والأقطاب ، وما خالف فيه بهذه البدعة من أدلة السنة والكتاب )<sup>٣</sup> .

ثم تتبع ذلك المجيب ، بأن يورد مقطعاً من كلامه ، ثم يتعقبه بالرد وبيان الحق في تلك المسألة ، وقد طُبِعَ الكتاب عام ( ١٤١٧ هـ ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية تحت إشراف الشيخ " حسن علي حسين العواجي " المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في نفس الجامعة .

كما أن له كتاباً يتعلق بالقبرورية ، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفاحص فيما يمارسون ، ذلكم الكتاب هو المسمى " رسالة شريفة فيما يتعلق بـ ( الأعداد للحروف ،

<sup>١</sup> تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( ٢٧ - ٢٨ ) .

<sup>٢</sup> الإنصاف للصنعاني ص ( ٢ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣ ) .

والأوفاق ، وكم بقي من عمر الدنيا بذكر المهدي المنتظر " ، والذي يخص موضوعنا منها هو ما يتعلق بالحروف والأوفاق ، وقد تكلم في المسألة الأولى عن حروف " أبجد ، هوز " ، وأبان أنها ليست في دلالتها على الأعداد من وضع اللغة العربية ، ثم انتهى إلى القول بأن جعلها دلالة على الأعداد أمر اصطلاحى ، لا حجر فيه ، ولا ضير على متعاطيه ، ونهى ابن عباس عنه وأنه من السحر ، يدل على أنه عرف أنه اصطلاح لليهود ، يستعملونه في الأسحار ، وهذا يأتي بحقيقته في المسألة الثانية<sup>١</sup> .

وفي المسألة الثانية قرر أن علم الأوفاق علم مبتدع وحادث ، لا يعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا فعل صحابي ولا غيره ، وبعد أن فنده ، وحكم بعدم وجود أصل شرعي له ، نقل تعريف داود الأنطاكي له ، ثم قال : ( قلت : وهذا شأن الأسحار والابتداع ، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع ، ومعلوم أنها طريقة سحرية ، إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة ، من جأه عند العباد ، وجلب رزق من أيديهم ، والقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك )<sup>٢</sup> .

وإنما قلت : إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبورية : لأنه سبق في الباب الثاني أن كثيراً من أولياء القبورية ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفاق ، ويتصرفون بها ، ويعدون ما ينتج عن ذلك كرامات لأولئك الأولياء ، وهو في الحقيقة من السحر ، فناسب جعل هذه الرسالة من جملة الردود عليهم ، وقد حقق هذه الرسالة الأخ : مجاهد بن حسن ابن فارع الوصابي المطحني ، وراجعها شيخنا الشيخ مقبل الوادعي - رحمه الله - وطُبعت من قبل دار القدس بصنعاء عام ( ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ) .

كما إن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان "مسألة في الذبائح على القبور وغيرها" حققها أخونا " الشيخ عقيل بن محمد المقطري " ، وراجعها محدث اليمن العلامة " مقبل بن هادي الوادعي " <sup>٣</sup> - رحمه الله - ، وهي رسالة صغيرة جداً ، أبان فيها حرمة تلك الذبائح ، وفصل فيها ، وقد عد الذبح . على باب الدار

<sup>١</sup> رسالة شريفة للإمام الصنعاني ص ( ١٨ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢٢ ) .

<sup>٣</sup> كُتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام ، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٢ هـ - تغمد الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وعلى جدرانها ، وكذلك ما سمي عند العامة بـ "الهجر" ونحوه . من الذبائح المحرمة ، ولكن الذبائح لا يكون بذلك مرتدأً ، وأما الذبائح للقبور فإنه يكون مشركاً ، وذبيحته ذبيحة مشرك ( ... فإن الذبائح لابن علوان مثلاً ، لا يكون إلا عن اعتقاد أنه يضرو وينفع ، ويعطي ويمنع ، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء ، وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان واتباع الشيطان ، فإنهم كانوا ينحرون لها ، ويهتفون بأسمائها ، ويدعونها ، ويخافونها ، ويرجونها ، ويطوفون بها ، وينادونها بمثل " على الله وعليك " ، كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها )<sup>١</sup> .

كما يعد من هذا الباب شرحه على رجوعه عن القصيدة النجدية المسمى " إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبد الوهاب " أو " النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي " ، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصلية " النجدية " ، وإنما رجع عن مدح محمد ابن عبد الوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لا يرتضيه ، وهذا كله لا يغير من منهج تلك القصيدة ، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصيدة من مواجهة للقبورية ، ويوضحه ، ويقيم الأدلة عليه ، كيف لا وهو قد صرح فيها بأن القبوريين قد أصبحوا مشابهين لعباد " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر " .

ولعل الله أن يهيء نشر ذلك الشرح ؛ ليتضح صحة هذا الكلام ؛ وليخسأ من يتشدد أمام العوام وأشباه العوام ، بأن الصنعاني رجع عما جاء في قصيدته النجدية مطلقاً ، وأنه عاب على ابن عبد الوهاب دعوته إلى التوحيد من أصلها ، ومحاربتة للشرك والقبورية من أساسها . هذه بعض جهود الإمام الصنعاني - رحمه الله - في مواجهة القبورية .

<sup>١</sup> مسألة في الذبائح على القبور وغيرها ص ( ٤٤ ) ، طبع مكتبة دار القدس صنعاء ودار ابن حزم بمرور ، الطبعة الأولى ( ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ) .

## العلم الثاني

من اعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني

هو الإمام شيخ الإسلام أحد مشاهير اعلام اليمن ومجدي الدين فيه ، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحو المباركة ورموز السلفيين في العصور المتأخرة ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني ، ترجم لنفسه ، وسلسل نسبه إلى آدم عليه السلام<sup>١</sup> ، ولد - رحمه الله - في "هجرة شوكان" وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ( ١١٧٣ هـ ) ، ونشأ بصنعاء في كنف والده الذي يعد من كبار علماء صنعاء في وقته ، وقد أقبل على طلب العلم بشكل منقطع النظير ، أعانه على ذلك الحال الميسور لأسرته ، إذ وفر له التفرغ للطلب ، وعدم الانشغال عنه بطلب المعاش ، كما كان من أسباب نبوغه وترقيه في الطلب ، وسرعة البلوغ إلى المطلب والأرب ، النفس الأبية بالهمة العالية ، وتشجيع الأب ، ودفع به إلى الارتقاء وجود مجموعة من أكابر العلماء ، من طلاب الإمام ابن الأمير والمتأثرين به ، وهكذا واصل مشوار التعليم ، ثم صار يعيد الدروس لزملائه وأقرانه ، ثم اشتهر بين أساتذته وأشياخه قبل بلوغ العشرين من عمره<sup>٢</sup> ، وما إن بلغ العشرين حتى أصبح مفتياً ترد إليه الفتاوى من جهات مختلفة من اليمن ، وكان يفتي بدون أجر ، وذلك أمر مستغرب في زمنه وفي وطنه .

ولقد امتحنه الله تعالى بامتحان عظيم ، وهو تولي القضاء ، بل قضاء الأقضية أو بالتعبير العصري " رئاسة القضاء " ، فنجح في الامتحان ونجى من الافتتان ، وأجمع مترجموه على نزاهته ، وحسن سيرته فيه ، بل لم يعد رئيساً للقضاة فحسب ، وإنما من أقرب المقربين إلى أئمة عصره الذين عايش حكمهم ، وهم : الإمام المنصور علي بن المهدي العباس ( ١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ ) ، وابنه الإمام المتوكل على الله أحمد ( ١٢٢٤ - ١٢٣١ هـ ) ، وحفيده الإمام المهدي عبد الله ( ١٢٣١ - ١٢٥١ هـ ) ، ولقد كان لقرية منهم أثر كبير في كثير من الإصلاحات ، ومنها حمله على الاستجابة لطلب الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من الإمام المهدي هدم

<sup>١</sup> البدر الطالع ( ٤٧٨/١ - ٤٨٠ هـ ) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته لنفسه : في البدر الطالع ( ٢١٤ - ٢٢٥ ) .

المشاهد والقباب المقامة على القبور في صنعاء ونواحيها ، فصوّب الإمام الشوكاني ومن معه من العلماء ذلك ، وحثوا الإمام عليه ، فوقع الهدم لتلك المشاهد ، كما سيأتي في مطلب الجهود العملية لمواجهة القبورية .

كما أثر عليه في غير ذلك من جوانب الإصلاح ، وهذا جانب مهم من جوانب شخصية الشوكاني ، وهو جانب الإصلاح السياسي والاجتماعي ، والذي مارسه عملياً ومن موقع القرار بخلاف الإمام ابن الأمير ، الذي كان يمارسه من خارج نطاق السلطة .

والجانب الثاني كما بداه سلفه من علماء اليمن ، من تمزيق قيود التقليد الأعمى والعصبية المقيتة ، فقد قام في ذلك الجانب بجهود جبارة نظرياً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصيله في عدد كبير من كتبه ورسائله ، حتى أننا سنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتوى الإمام يحيى بن حمزة في رسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور" ، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما<sup>١</sup> ، وقد أخذ ذلك حيزاً كبيراً من تلك الرسالة ، وهكذا شأنه في كثير من رسائله ، إضافة إلى كتابه الخاص في ذلك ، المسمى "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد" .

وأما الجانب العملي فهو ما يراه كل مطالع لمصنفاته الفقهية والحديثية ، وحواشيه وشروحه ، فكلها ينطلق فيها من هذا المنطلق ، ولا يبالي بمن خالف ، أو وافق فيما يذهب إليه . والجانب الثالث هو دعوته إلى الاتباع ونهيهِ عن الابتداع ، وجهاده في سبيل إخلاص كلمة التوحيد ، وحرية لعقائد الشرك والتنديد ، وسيأتي في آخر هذا المطلب دراسة بعض آثاره في ذلك .

غير أنني أود قبل الخروج من هذا الجانب أن أرد على قوم ظفروا بقصيدة للإمام الشوكاني في ديوانه ، فهموا منها أنه يعادي الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ويرد عليه وعلى علماء نجد وأمرائها ، فطاروا بذلك فرحاً ، وانتسخوها ، وصاروا يوزعونها على أتباعهم ، والواقع أن القارئ لا يجد فيها ما يفرض به أولئك ، غير أنهم قد اتخذوا سياسة التأثير النفسي على الأتباع ، فإنهم عندما يوزعونها هم ، وربما جعلوا لها مقدمة تبين أن هذه القصيدة رد فيها الشوكاني على الوهابية ، ونقض ما يدعون إليه من محاربة الأولياء

<sup>١</sup> انظر : مقدمة شرح الصدور من مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( ٦٥-٦٩ ) .



والمعتقدين فيهم ... الخ، فإن التابع المسكين سيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشفوية، ويعتبر أن القصيدة من هذا الباب دون تأمل لما فيها، مما هو في الحقيقة رد عليهم وتأكيد على منهج الشوكانى الذي كرس له حياته، ولم يحد في هذه القصيدة عنه، إذ عرف عنه تجويز التوسل بالصالحين، وقرره في أكثر من كتاب من كتبه، مع اعتباره دعاء غير الله شرك أكبر، وقد رد على ابن الأمير حين قال إنه من الشرك العملي، وذلك في الدر المنضيد<sup>١</sup>، وكل ما في الأمر أن الإمام الشوكانى حذر من التسرع في تكفير الأمة بما دون الشرك من البدع، كالبناء على القبور وجعل التوابيت عليها، أو التوسل الذي يراه هو مباحاً، أما من دعاهم من دون الله، واعتقد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله، فقد اعتبره من الشرك المخرج من الملة، قال - رحمه الله في تلك القصيدة:

ومن يأتي إلى عبد حقير	فيزعم أنه الرب الودود
فهذا الكفر ليس به خفاء	ولا رد لذاك ولا جحود
ولست بمنكر هدماً لقبر	إذا لعبت بجانبه القروء
وقالوا: إن رب القبر يقضي	لنا حاجاً فتأتيه الوفود
كذبتم ذاك رب العرش حتقاً	تعالى أن تكون له ندود
ومن يقصد إلى قبر لأمر	توسل فهو الكنود <sup>٢</sup> بغير

وهذا الكلام واضح في مراد الإمام - رحمه الله -، ومنسجم مع منهجه، ولئن كان فيه شيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه البين الواضح، وأما قوله قبل هذه الأبيات:

فإن قلتم قد اعتقدوا قبوراً

فليس لذا بأرضينا وجود

فيجب أن يقارن بينه وبين ما في سائر كتبه، ومنه ما جاء في "الدر المنضيد"،

حيث قال:

<sup>١</sup> انظر الدر المنضيد ص (١٠٢-١١٦).

<sup>٢</sup> الديوان ص (١٦٣)، قال المعلق على كلمة (كنود): الكنود الكفور. قلت: وكذلك هو في القاموس ص (٤٠٣).

( وإذا علمت هذا ، فاعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ، أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد ، والتشفع بمن له الشفاعة ، وذلك ما صار يعتقد كثير من العوام ، وبعض الخواص في أهل القبور ، وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء ، من أنهم يقدرّون على ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ﷻ ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالاً ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك؟ ، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر )<sup>١</sup> .

فإن قيل : هذا عام ، ولا يدل على أن هذا موجود في اليمن ، قلت : يؤكد دلالته على ذلك ما جاء في نفس الكتاب بعد أن أسرد الأدلة على تحريم أنواع من الشرك ووسائله ، حيث قال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبور وتضخيمها من عقائد باطلة : ( وروى لنا أن بعض أهل جهات القبلة ، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " - رحمه الله - ، فرآها وهي مسرجة بالشمع ، والبخور ينفح من جوانبها وعلى القبر الستور الفاخرة ، فقال عند وصوله إلى الباب : أمسيت بالخير ، يا أرحم الراحمين )<sup>٢</sup> .

إذاً كيف نؤول قوله : ( فليس لذا بأرضينا وجود ) ، قلت : يُؤوّل - والله أعلم - أن هذه القصيدة هي في إطار المراسلات الرسمية بين إمام اليمن ، ومعه الشوكاني ، وبين أئمة نجد ، الذين كانت العلاقات بينها يسودها الود حيناً والنفور حيناً ، وخوف إمام اليمن من زحف الجيوش النجدية على بلاده حيناً ، فجاءت هذه القصيدة ، لتهدئة الأوضاع وإقناع النجديين بأنه ليس في اليمن ما يستوجب محاربتهم له وزحفهم عليه ، فجاز مثل هذا التعبير المخالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتال بين الطرفين والله أعلم .

وبعد معرفة هذه الجوانب المهمة أقول : إن الإمام الشوكاني خلف لليمن ثروتين

عظيمتين:

<sup>١</sup> الدر النضيد ص ( ٢٨ ) .

<sup>٢</sup> الدر النضيد ص ( ٤٨ ) .

أما الأولى: فهم طلابه وأصحابه الذين ساروا على نهجه ، وتعلموا منه المنهج السلفي النقبي ، وحملوه إلى أن وصلنا اليوم كما وضعه ، وهم كثر ، وقد أورد منهم الأستاذ عبد الغني قاسم عدد اثنين وتسعين رجلاً<sup>١</sup> ، منهم من هو عالم ، ومنهم من أصبح إماماً مجتهداً ، أو قاضياً عادلاً ، أو والياً كبيراً ، وهؤلاء الطلاب هم أساس المدرسة السلفية القائمة في اليمن اليوم ، والتي يعد رأسها اليوم القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني عضو مجلس الإفتاء حالياً .

والثروة الثانية : هي كتبه ومصنفاته ، التي اتفق على الثناء عليها في الجملة الموافق والمخالف ، وصارت مراجعاً للكثير من المؤسسات العلمية في شتى بقاع العالم الإسلامي ، وتنافس لاقتنائها العلماء وطلاب العلم في كل مكان ، وهي كثيرة جداً ، حصر الباحث عبد الغني قاسم منها ( ٢٧٨ ) مائتين وثمانية وسبعين مؤلفاً ، وأفاد أن المجال مازال مفتوحاً ؛ لاكتشاف غيرها في مظان حدها هي : ( المكتبات المنزلية للأسر اليمنية التي توارث ملكية مخطوطات علماء اليمن ، أو في مكتبات كل من الهند " حيث يوجد تلاميذه " وتركيا " إسطنبول " ، وإيطاليا وبريطانيا ، وسائر متاحف ومكتبات أوروبا الغربية والشرقية ، حيث تسربت إلى خارج اليمن .

#### مترجمو الشوكاني :

كما لا يحصى عدد تلاميذه بالدقة ، ولا تعرف مؤلفاته بالتحديد من كثرتها ، كذلك لا يحصى عدد من ترجم للشوكاني ، وأشاد بعلمه ، وأظهر جوانب من شخصيته ، وحتى لا أطيل على القارئ ، فلن أشغل نفسي بمن أفردته بالترجمة من الأقدمين ، ولا من ترجم له في كتب التراجم والتواريخ العامة ؛ وإنما أذكر بعض الباحثين الذين درسوا نواحي من حياة الشوكاني وعلمه وفكره ، وقدموا في ذلك رسائل علمية ؛ للحصول على درجات علمية من قبيل الدكتوراه والماجستير .

فمنهم دون التزام بترتيب معين :

<sup>١</sup> الشوكاني حياته وفكره ص ( ٢٣٨-٢٦٦ ) للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجي ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ومكتبة الجيل الجديد صنعاء ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، وقد قال عقب أن سردهم : ( وقد اكفى الباحث بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني ، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً " وإلا فهم مئات بل ألوف " ، وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا ) .

- (١) د . محمد بن حسن الغماري ، له رسالة دكتوراه بعنوان : " الإمام الشوكاني مفسراً " .
  - (٢) د . عبد الغني قاسم الشرجبي ، له رسالة دكتوراه بعنوان : " الإمام الشوكاني حياته وفكره " .
  - (٣) د . عبد الله نومسوك ، له رسالة بعنوان : " منهج الإمام الشوكاني في العقيدة " .
  - (٤) د . صالح بن عبد الله الطيباني ، له رسالة دكتوراه بعنوان : " اختيارات الإمام الشوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطار والسييل الجرار " .
  - (٥) د . زياد علي " من ليبيا " له رسالة دكتوراه بعنوان : " الفكر السياسي والقانوني عند محمد ابن علي الشوكاني " .
  - (٦) د . عادل ياؤوز<sup>١</sup> من تركيا " ، له رسالة دكتوراه بعنوان : " الإمام الشوكاني محدثاً " .
  - (٧) د . سمير حسين ، له رسالة دكتوراه بعنوان : " الشوكاني ومنهجه في الفقه الإسلامي من خلال كتابه السيل الجرار " .
  - (٨) صالح محمد صغير مقبل ، له رسالة ماجستير بعنوان : " محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية " .
  - (٩) خالد بن إبراهيم بن عبد الله الديبان ، له رسالة ماجستير بعنوان : " قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني " .
  - (١٠) عبد الله فارح عبده العززي ، له رسالة ماجستير بعنوان : " الشوكاني مؤرخاً ، دراسة في منهجه التاريخي في كتابه ( البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع ) " .
  - (١١) سالم بن محمد باكوبين ، له رسالة دكتوراه تحت الإعداد بعنوان : " الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة " .
  - (١٢) برنارد هيكل اللبناني ، له رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان : " الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن " .
- قال القاضي إسماعيل الأكووع : ( وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخرى لم أذكرها ؛ لأنها لم تنشر بعد )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> أئمة العلم المتهدون في اليمن ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكووع ، مصنف بالكمبيوتر ( تحت الطبع ) .

وهناك مئات المقالات الصحفية والأبحاث العلمية المتفرقة في الصحف والدوريات وغيرها ، كل ذلك يدل على عظمة هذا الرجل واهتمام العلماء به . وقد توفي رحمه الله سنة ( ١٢٥٠ هـ ) .

### جهود الشوكاني في مواجهة القبورية :

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة ، وقد ترك عدة آثار في ذلك :  
الأثر الأول " شرح الصدور في تحريم رفع القبور " وهو رد على الإمام يحيى ابن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار : ( لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين ، ولم ينكر )<sup>١</sup> ، فرد عليه ، ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما ، وما جناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث ، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة ، وقد نوّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدور فقال : ( وله " الشوكاني " من الرسائل في مفردات المسائل كثير جداً ، فمنها رسالته هذه " شرح الصدور بتحريم رفع القبور " وهي رسالة تنادي بأنه من الشجاعة وقوة اليقين ، بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغيرهم ، يرد على الإمام يحيى خطأه - وناهيك بمنزلة الإمام يحيى من نفوس الزيديين - هذا الرد المضم ، وينادي عليه في صراحة المؤمن الذي لا يخشى في الله لومة لائم : أخطأت في تجويز رفع القباب والمشاهد على قبور الصالحين والملوك ، وبإلها من شجاعة لله وفي الله ! ولو أن العلماء كانوا بهذه الشجاعة في قول الحق ، وكانوا بالصدق والإخلاص في النصيحة كذلك ، لكان شأن المسلمين اليوم غير ما هم عليه من الذلة والهوان .

والله يجزي الإمام الشوكاني وإخوانه الصادقين خير الجزاء ، ويوفقنا لمثل ما وفقهم ، ويحشرنا يوم القيامة مع إمامنا وإمامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد ﷺ )<sup>٢</sup> .

وقد اعتنى العلماء بهذه الرسالة وطبعت طبعات عديدة .

الأثر الثاني كتاب " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد " ، وهو أيضاً جواب على سؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع ، وقد صدر الجواب بتوضيح بعض المصطلحات التي

<sup>١</sup> شرح الصدور من مجموعة رسائل في التوحيد ص ( ٧٠ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٦٣-٦٤ ) .

يؤدي الخلط فيها إلى الغلط، وهي: الاستغاثة، والاستعانة، والتشفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبان الفروق بينها، وقد رجح جواز التوسل بالصالحين على اعتبار أن ذلك توسل بأعمالهم الفاضلة، واحتج لذلك، ورد على من منع منه، ومسألة التوسل من المسائل التي جرى فيها الخلاف قديماً وحديثاً، والصحيح والله أعلم أنها من البدع المحدثه التي لم يثبت لها دليل عنه ﷺ ولا عن أصحابه بالمعنى الذي يريده مجوزو ذلك التوسل، هذا في أصل المسألة، وأما ما هو حاصل اليوم عند جماهير المسلمين من عوام وأشباههم وصوفية وغيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يستعمل، ويراد به الاستغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم أنه بعد ما فرغ من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقاد فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقد سبق نص كلامه كاملاً قبل قليل<sup>١</sup>، وقد نوع الكلام، واستطرد استطرادات حسنة، وبين كثيراً مما يقع فيه الناس من نواقض التوحيد، ومما هو وسائل إلى ذلك، ونبه على حرمة الحلف بغير الله والطيرة، وفرق بين الشرك والكفر الأصغر والأكبر إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة.

الأثر الثالث "رسالة في وجوب توحيد الله عز وجل" وهي مأخوذة من كتابه الكبير المسمى "العذب المنير في جواب عالم بلاد عسير"، وقد كان السؤال متعلقاً بالتوحيد، وكون الدعاء عبادة، وهل يعذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجاب شيخ الإسلام جواباً شافياً مقنعاً مليئاً بالأدلة من الكتاب والسنة مستشهداً بأقوال أهل العلم، وبين منزلة الدعاء من الدين، وحكم صرفه لغير الله، وحقيقة شرك المشركين الأولين، وهو اتخاذهم لأصنامهم شفعاء عند الله، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شفعاء، وهو بذلك مساوٍ لمشركي الجاهلية، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهؤلاء أغلظ شركاً من مشركي الجاهلية، ثم تعرض لتقسيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثير من المسلمين حتى وقع فيه بعض من ينسب إلى

الأدب والعلم ، ثم بين خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبور المبالغ في تعظيمها وتزيينها ، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله ﷺ متخذي القبور مساجد .

ثم أنكر إدخال قبر النبي ﷺ في المسجد ، وما بني عليه بعد ذلك ، وكيف كان اهتمام النبي ﷺ بإزالة القبور المشرفة بحيث بعث أميراً من أهله هو علي بن أبي طالب ؑ ؛ لطمس التماثيل ، وتسوية القبور .

هذا مجمل ما احتوت عليه الرسالة ، وهي قيّمة في بابها ، فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وهذه الرسالة قد قام بتحقيقها ونشرها د . محمد بن ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد طبعت للمرة الثانية عام ( ١٤١٩ هـ ) .

تلك ثلاثة نماذج من جهود شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - ، الخاصة في مواجهة القبورية ، وهناك جهود أخرى كثيرة موزعة أثناء تراثه العظيم الذي خلفه ؛ ليستضيء به العلماء ، ويتربى عليه الطلاب ، ويرجع إليه المختلفون في كثير من القضايا ، فهو لم يغفل مواجهة القبورية في تفسيره ولا أغفلها في شروحه للأحاديث وكتب الفقه ، وما سهى عنها في فتاواه وردوده على الأسئلة عند أدنى مناسبة ، فقد عاش هذه القضية بكل حواسه ، وتفاعل معها بكل عواطفه ، لذلك قال د . إبراهيم هلال ، وهو يتكلم عن دعوة شيخ الإسلام الشوكاني إلى إخلاص شهادة لا إله إلا الله : ( وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً ، بحيث صار فيها في اليمن إماماً كابن عبد الوهاب في الحجاز من قبل ، وابن تيمية في مصر والشام ، ولأقوى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين ورمي بالنصب من أجلها ، ومن أجل دعوته إلى الاجتهاد والرجوع بالتشريع ، إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين )<sup>١</sup> .

المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء اليمن الأعلى سوى ما تقدم :

ولعلماء اليمن الأعلى الآخرين جهود مشكورة مباركة في هذا المجال ، وقد ألف الكثير منهم في الرد على القبورية رسائل مفردة ، فمنهم :

<sup>١</sup> قطر الولي على حديث الولي ص ( ٣٧ ) تحقيق وتقديم إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(١) محمد بن محمد السماوي، المتوفى سنة (١٤١٠هـ)، مترجم في هجر العلم (١٤٠٧/٣)، له رسالة بعنوان: "التوصل إلى تحريم التوسل" <sup>١</sup>، في الرد على القائلين بجواز التوسل.

(٢) يحيى بن محمد شاكر، المتوفى سنة (١٣٧٠هـ)، مترجم في هجر العلم (٢٠٨٨/٤)، له رسالة بعنوان: "دفع المشكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشرك" <sup>٢</sup>، في الرد على من يقول بامتناع وقوع أحد من هذه الأمة في الشرك، كما له رسالة أخرى بعنوان: "السيف القاطع لأمانى أهل الشرك والمطامع" <sup>٣</sup>، وجهها إلى الإمام يحيى حميد الدين، انتقد فيها عدداً من المنكرات، ومن أهمها المشاهد التي على القبور، وأوصاه فيها بهدمها وإزالتها وكذلك إزالة البدع والمنكرات والرجوع إلى الكتاب والسنة، وإفساح المجال للعلماء من أهل السنة؛ لتعليمها والعمل بها.

هؤلاء بعض من اطلعت على تأليفهم في هذا الباب، ولا شك أنه يوجد سواهم، وعدم اطلاعي لا يعني عدم وجود شيء من ذلك.

## المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية العلم الأول

### القاضي العلامة عقيل بن يحيى الإيراني

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحيى بن محمد بن عبد الله الإيراني، وصفه القاضي إسماعيل بن علي الأكويع بقوله: (عالم أديب كاتب شاعر له مشاركة قوية في الفقه وعلوم العربية، سلك مسلک أهل السنة في اتباع أدلة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونعى على المقلدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم، وتدب بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشفعون لمن يلتمس الخير عندهم، أو عن طريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينزع إلى عقيدة الوهابية فقال:

إن أنا نزهت إلهي عن الأنداد قالوا أنت وهابي

<sup>١</sup> هجر العلم (١٤٠٧/٣).

<sup>٢</sup> السابق (٢٠٩٣/٤).

<sup>٣</sup> السابق (٢٠٩٣/٤).



لكن لي بالمصطفى أسوة فقومه سمّوه بالصابي<sup>١</sup>

وقد ترجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإرياني ترجمة مطولة في التقديم لرسائله موضوع البحث ، عندما نشرها أخوه القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني ، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ، وذكر ذكاءه ونبوغه ، وعدد العلوم التي أتقنها رغم عمره القصير والمجالات التي شارك فيها ، وأبرز السمات التي كان متميزاً بها : ( إخلاص التوحيد كله لله ، وتشدده في ذلك إلى حد عدم السكوت حيث سكّت الآخرون عن بعض ممارسات العامة واعتقاداتهم الباطلة بالأولياء وزيارة أضرحتهم والتقرب إليهم والتهاف بأسمائهم عائذين بهم عند حدوث أي حادثة كزلة قدم طفل أو وقوع دابة من أنعامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشراك صريح لله في وحدانيته ، وبحكم تمسكه الشديد بمبدأ " إخلاص التوحيد كله لله " ، لم ينظر إلى هذه المسألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضلة مما يقع في الكثير من العامة ، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا )<sup>٢</sup>.

ولم يعمّر طويلاً ، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه - رحمه الله تعالى - ، فقد كان مولده سنة ( ١٣٢٤هـ ) ، ووفاته سنة ( ١٣٤٦هـ ) ، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عاماً رحمه الله رحمة واسعة )<sup>٣</sup> ، وأثره الوحيد هو كتاب " السيف الباتر لأعناق عباد المقابر " ، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في أمور يجب التنبيه عليها ، واشتمل على ستة تنبيهات : التنبيه الأول على قول النبي ﷺ (( لتتبعن سنن من كان قبلكم )) ، ثم أورد تسع خصال وقع فيها التشبه بالمشركين في هذه الأمة ، التنبيه الثاني في أن من مكائد الغلاة التشنيع على أهل الحق ، التنبيه الثالث في أن من مكائد الغلاة إفهامهم العوام بأن ما يحصل عند قبور الصالحين من محبتهم ، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضيه ، التنبيه الرابع في أن كثيراً من يظهر عقيدة الغلاة ، وينتصر لهم ، ويصوب أقوالهم المخالفة لما جاءت به الرسل هم زنادقة ، لا يعترفون أن للعالم إلهاً ولا صانعاً ... الخ ، التنبيه الخامس أن من مكائد الغلاة التي كادوا بها العوام

١ هجر العلم ( ١ / ٨٧ ) .

٢ مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( ١٢٧ )

٣ المصدر السابق ( ١٢٤ ) .

قولهم لهم : إن من خالف ما نحن عليه من عبادة القبور ، نزلت به المصائب ، التنبيه السادس في أن الغلاة يدعون رؤيتهم النبي ﷺ عياناً بجسده يقظة .

وأما الباب الثاني : فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها ، بين حال القبوريين في هذا الموضوع ، ثم استشهد على أن ذلك شركاً بالآيات الكريمة ، وقارنهم بمشركي العرب ، وبين أن المشركين السابقين لم يعتقدوا أن أصنامهم تخلق أو ترزق ، وإنما اتخذوها شفعاء عند الله كشأن هؤلاء المعتقدين للقبور وأصحابها ، ثم أورد بعض الآيات الأمرة بالالتجاء إلى الله ﷻ ، وقد تكلم على البسملة والفاتحة ، وبين ما فيها من الوجوه الدالة على وجوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به ، ثم عزز بذكر آيات أخرى ، مما يبين ذلك المقصود ، ثم نقل نقلاً طويلاً من إغاثة اللفهان لابن القيم - رحمه الله - ، ثم نقلاً عن العلامة "محمد رشيد رضا" من تفسيره "تفسير المنار" ، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاستغاثة والتوسل ، ثم تحدث عن التوسل ، وقرر أنه إن كان التوسل عقيدة في المتوسل به فهو من النوع الأول ، وإن لم يكن له فيه عقيدة وإنما أراد ذكره عند دعاء الله ﷻ ، متبركاً بذلك الاسم فقط ، فقد اعتبر هذا القسم "بدعة من أعظم البدع وأشنعها" ، ثم عقد فصلاً آخر ، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه . وبعده فصل آخر يتضمن ما قاله الخصم من إثبات للأقطاب وبطلان ذلك بالدليل الواضح ، وبعد ما عرّف القطب على مصطلح الصوفية قال : ( أما إثبات الأقطاب هذه الصفة فمروء من الدين وعدول عن سبيل الموحدين وخروج عن الصراط المستقيم )<sup>١</sup> ، ثم أورد الأدلة على بطلان قول الصوفية ، ثم عقد فصلاً ، قال في فاتحته : ( ويلحق بذلك من شنيع مقالات أهل القبور في هذا الوقت قولهم : إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان أو مكان )<sup>٢</sup> ، ثم أبطل ذلك ، ثم كر على "عباد القبور" حسب تعبيره واعتقادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ريقه الإسلام من عنقه ، وعدد أولئك الأقطاب في زعمهم من أمثال ابن عربي وابن الفارض وعبد الكريم الجيلي ، ثم أورد أمثلة من كلامهم ، ورد العلماء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم .

وأما الباب الثالث : فقد عقده " في حكم زيارة القبور والسفر إليها " ، ذكر الأحاديث الناهية عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة ، وما أخذه العلماء منها من منع السفر إلى

<sup>١</sup> السيف الباتر لأعناق عباد المقابر ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ( ٢١٩ ) .

<sup>٢</sup> السيف الباتر ص ( ٢٣١ ) .

مشاهد الصالحين ، ثم عقد فصلاً نقل تحته كلاماً لابن القيم - رحمه الله - من "إغاثة  
اللهفان" يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور .

وأما الخاتمة فقد خصصها لشبه الخصم ، والرد عليها بالآيات القرآنية والأحاديث  
النبوية بجعل في آخره قصيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضوع ، لا بأس من إيرادها هنا :

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر	ولا تخشَ غير الله والله أكبرُ
وبالعرف فأمر و التزم نهي منكر	لتنج غداً من حر نار تسعر
ولله فاخلص بالعبادة وحده	فليس سواه للأنام يدبر
سميعٌ علیم شاهد غير غائب	لطيف خبير رازق متكبر
سماعاً عباد الله مني نصيحة	هي الحق فاصغوا وانصتوا وتدبروا
نصحتكم أبغي الفلاح لكم غداً	وحق الذي يولي النصيحة يشكر
الا نزهوا أوطانكم ونفوسكم	عن الشرك والأوثان كي تتطهروا
فهذي قبور الأوليا بينكم لها	يحج ويستسقى لديها وينحر
وها هي كالأصنام بين ظهوركم	إليها لدى وقع الشدائد يجار
جعلتم برب العالمين مشاركاً	فيا ويح من من بعد الإيمان يكفر
اتدعون ميتاً زاعمين بأنه	يجيب الذي يدعو ويغني ويفقر
ومن بعد قلتهم إنهم شفاعوكم	إلى الله فهو الخالق المتجبر
واقسم بالرحمن جل بأنه	نظير مقال الجاهلية فاحذروا
كما قلتهم قالوا فسيقب إليهم	خيول متينات الأعنة ضمير
دعاؤكم مع العبادة فاعلموا	كما قال طه الصفوة المتخير
وكم منكم يدعو "ابن علوان" قائلاً	دعوتك مضطراً فجاهك أكبر
أيا حابس الحنشان والفيل بل ويا	مقيّد كل الجان أنت المسخر
دعوتك أرجو أن تلبي دعوتي	وايقنت أن النجح لا يتعسر
فانت الذي في كل وقت تجيبنا	إذا ما إجابات الإله تؤخر
فهذا هو الشرك الصريح الذي له	تكاد السماوات العلى تنفطر <sup>١</sup>

<sup>١</sup> المصدر السابق ص(٢٧٥-٢٧٦).

## العلم الثاني

من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأسفل

العلامة الكبير الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي - رحمه الله -

العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي - رحمه الله - يولد بقرية من قرى إب، نشأ بها ثم سافر أسفاراً عديدة وطويلة، وصل خلالها إلى كابول، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الدين الأفغاني في القرآن الكريم وفقه الشافعية وغيرهما من العلوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عمان، وتزوج من "صور"، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، وحج من هناك مرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى لحج، ثم عدن حيث استقر في الشيخ عثمان إماماً لمسجده الذي عُرف باسمه ويسمى كذلك مسجد "زكوا"<sup>١</sup>.

وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً. غير أنني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسيرة التي قدّم بها العلامة البيحاني لمنظومته: "هداية المريد"<sup>٢</sup> ولئن تجاهله المترجمون فلن يتجاهله رب العالمين - سبحانه -، أسأل الله أن يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

### أثره في مواجهة القبورية :

الأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلها في العقيدة والدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحذير من الشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة، كما وصفهم الشيخ البيحاني<sup>٣</sup> - رحمه الله - في التعليق عليها.

<sup>١</sup> انظر : مقدمة هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد لتلميذه العلامة محمد بن سالم البيحاني ص (٣ - ٥).

<sup>٢</sup> المصدر السابق.

<sup>٣</sup> هداية المريد ص (٥).

وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات<sup>١</sup>، ثم عرّف العلم، وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم معرفة الفروع، وحذر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً<sup>٢</sup>، ثم ابتدا في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذر من الاعتقادات الباطلة، وركز على قول من قال: "لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه"، وحذره من هذا القول، ويبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، هي التحذير من الشرك، وبين قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنواع العبادات كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور<sup>٣</sup>، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بيّنة<sup>٤</sup>.

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة؛ لإثبات بدعهم، مثل جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر والأذان الثالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول ﷺ قد صلاها جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة<sup>٥</sup>، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ما جاء بها الكتاب والسنة، لا ما جاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انتفى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وفند ذلك، وسخر منهم في رقصهم ووجدتهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى

<sup>١</sup> المصدر السابق ص(٦-٧)

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص(٧-٨)

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص(٢٣-٢٥) ..

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص(٢٣-٢٥)

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص(٢٦-٣١)

الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>١</sup>، ثم نهى عن الغلو المذموم<sup>٢</sup>، وبعده حذر من التكيف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبين زيارة القبور الشرعية، وحث عليها والزيارة البدعية، وحذر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاصد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيّدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم<sup>٣</sup>، وانتهى ببيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلّى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية<sup>٤</sup>.

هذه هي منظومة العلامة العبادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني - رحمه الله - تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخها، ثم طبعت مرة أخرى عام (١٣٨٩ هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

### العلم الثالث

#### من أعلام مواجهة القبرورية في اليمن الأسفل

الإمام العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالببحاني"

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي الببحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد - رحمه الله - "ببيحان" سنة (١٣٢٦ هـ)، وعند بلوغه الرابعة عشر من عمره أرسله والده إلى تريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها المشهور الذي يقوم عليه السيد عبد الله بن عمر الشاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد إلى ببحان، فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (١٣٤٦ هـ)، فلأزم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة

<sup>١</sup> هداية المريد ص (٣٢-٣٦).

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص (٤٠-٤٤).

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص (٤٧-٥٦).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص (٥٦) إلى آخر المنظومة.

فيه ، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطرب بعدها إلى العودة إلى عدن حيث استقر في مدينة كريتر ، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ ، وعرف الشيخ به ، ومكث هناك يدعو إلى الله ، ويقوم الدروس العلمية والوعظية ، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات ، كما كان على وعي سياسي جيد ، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة ، ويدعو للتخلص منه .

ومن أبرز مآثره المعهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين ، والذي أُمم في أيام الإشتراكيين ، وأصبح مقراً لوزارة الداخلية ، كما أنه كان نشيطاً في التأليف ، فألف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع" الذي لقي قبولاً واسعاً ، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً ، وتعددت طبعاته .

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها ، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي ، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة ، يشهد بذلك مترجموه ، وتنطق به كتبه ، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ما كان شائعاً من البدع والشركيات ، ودعا إلى التخلص منها ، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي .

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبادي ، الموسومة " هداية المرید إلى سبيل الحق والتوحيد " فقد نقد الشركيات ، ونعى على أربابها ، وطالب بإزالتها ، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن ؛ لإزالة ما يحدث من الضرر في الزيارات مثل " زيارة العیدروس والهاشمي " وغيرها ، وكادت أن تنجح تلك المساعي ، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور<sup>١</sup> .

كما بين البدع العملية مثل السماع الصوتي ويدع الأذكار ، وفقد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية ، ويلبسون بها على العوام قال : ( يزعم بعض أهل حضرموت أن دابة الفقيه المقدم كانت تعرف طرق السماء ، وأن زوجته سئلت عن حالها فقالت : ( لسنا بخير بعد الفقيه ، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساء ) ، وفي " المشرق الروي " من هذه الخرافات ما لا يحصى كثرة ، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود ، أو ليتها أكلته دابة

<sup>١</sup> هداية المرید إلى سبيل الحق و التوحيد بتعليق الشيخ البيهاني ص ( ٥٠ ) .

الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود ، والويل لمن كذب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة ، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً ، وكان التصديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات ، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانيته من هذه الخزعلات والخرافات .<sup>١</sup>

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من المحن والمصاعب ، فصبر ، وصابر ، وكانت دعوته مفتاحاً من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك ، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتهميش ، بل من المضايقة والتهديد مالا يطاق ، ففر إلى الشطر الشمالي كما كان يسمى ذلك الوقت ، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشعب ، واحتضنه محبوبه فيها ، وأغدقوا عليه ، وأجلوه ، وأكرموه بما لا مزيد عليه ، وفي عام ( ١٣٩٢ هـ ) حج حجته الأخيرة ، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جواربيه ، رحمه الله رحمة واسعة ، وكانت وفاته في ( ١٠ / ١٢ / ١٩٧٢ م ) في تعز .<sup>٢</sup>

#### الأثر الخاص بمواجهته القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله - .:

أما الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله - فهو " الصارم القرآني في الرد على درر المعاني " بؤدر المعاني اسمه الكامل " درر المعاني في الرد على العبادي وتلميذه البيحاني " وهو رد على منظومة العلامة العبادي المسماة هداية المريد ، والتي عرفت بها سابقاً ، وكان العلامة البيحاني قد علق عليها تعليقات مهمة وقوية ، فانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً ، فردوا بذلك الكتاب ، فقام الشيخ البيحاني - رحمه الله - بالرد عليهم بكتابه الصارم القرآني .

والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقارب الشيخ لم يطبع بعد ، ولم استطع الاطلاع عليه غير أنني بعد محاولات حصلت على صورة لفهرس الكتاب وأربع صفحات منه فقط ، وبالنظر إلى الفهرس يمكن أن نتعرف على صورة مجملته للكتاب ، فقد صدر الكتاب بقصيدة

<sup>١</sup> التعليق على هدية المريد ص ( ٣٥ ) .

<sup>٢</sup> انظر ترجمته في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان ص ( ٨١ - ٩٢ ) خلال قرنين من الزمان تأليف عبد الله عبدالقادر

العلمي باوزير الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .



للقاضي الإيراني، ولم يبين أي القضية من بني الإيراني هو، ولكن ظني أنه القاضي عقيل ابن يحيى، والقصيدة هي التي ختم بها "السيف الباتر لأعناق عباد المقابر" والتي مطلعها :

قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ولا تخش غير الله والله أكبر

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله :

لحا الله عباد القبور فإنهم لقد بدلوا دين الإله وغيروا<sup>١</sup>.

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصادر الكتاب، ثم تعرض للكلام عن الكتاب المردود عليه "درر المعاني" وذكر، أنه مدح الصحابة والسلف الصالح : متوصلاً بذلك إلى ذم شيخ الإسلام ابن تيمية، والتهكم به وبمن يتابعه، ثم إن الخصم تعرض لهداية المريد، وهاجمها فعلق الشيخ على ذلك، ثم ذكر أن الخصم كذب عليهم، لعله يريد نفسه وشيخه العبادي، ثم ذكر عقائدهم في الله وصفاته وملائكته ورسله وأولياء الله وصفاتهم وخوارق العادات، وبين بعد ذلك من هو الولي، ثم تعرض لتاريخ الدعوة وإلى من ينتسب مذهب الوهابية، وفي أي عصر ظهر، وكيف كان ظهوره، ثم ألح لخيانة الخصم في النقل، بعد ذلك عرّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء .

ثم جاء عنوان "نقد وتحليل"، ولعله موضوع رسالة الخصم، ثم تعرض لكتاب "كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب" وهو مؤلف شيعي من العراق اسمه "محسن الأمين العاملي"<sup>٢</sup>، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر "وهو المكي الهيثمي" في ابن تيمية ورد عليه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشواهد الحق "للنبهاني"، وأنه تشبث بالصواعق الإلهية لسليمان بن عبد الوهاب أخي الشيخ، كما عرج على الشطي أحد خصوم الدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفاق الشيخين ابن الأمير ومحمد بن عبد الوهاب في العقيدة، ثم عاد بعد ذلك ؛ ليذكر كلام الناظم "العبادي" والمعلق "البيحاني" في عموم المسلمين، وبعد ذلك تكلم عن الحلف والذبح لغير الله، ثم نصوص زعماء الوهابية في عموم المسلمين، واستعرض بعد ذلك نصوص الكتاب والسنة الناهية عن دعاء المخلوق، وبعده

<sup>١</sup> مجموعة رسائل في علم التوحيد ص (٢٧٥ - ٢٧٦) .

<sup>٢</sup> انظر : دعاوى المناوئين ص (٥٦) لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . تأليف : عبد الله محمد بن عبد اللطيف ، طبع دار

الوطن، الرياض الطبعة الأولى ( ١٤١٢ هـ )

عنوان " كلام المغالين في أصحاب القبور " ثم جهل الخصم بما يقول وكذبه على الصحابة والتابعين وجراته في ذلك، ثم بشرية الرسول ﷺ ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بکراهة الرسول ﷺ ، ثم تكلم على طلب الشفاعة وأدلة الخصم عليها ، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل ما يجوز منه وما لا يجوز ، وأبطل أدلة الخصم ، ثم نقل كلام الشيخ محمد عبده المصري في التوسل ودعاء الصالحين ، ثم أوضح كلام الناظم والمعلق في الاستغاثة واحتجاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلك ، وتوالت العناوين : ( " استدلاله بالقرآن " وكلام العلماء " الشرك بالله والاستعانة بغيره " الحياة البرزخية " غلط الخصم ومغالطته " رفع القبور والبناء عليها " نصوص العلماء وأقوالهم " هدم المساجد والقباب المبنية على القبور ، دفاع الخصم عن التماثيل " إنكاره على ابن القيم " شرقه بحديث أبي الهياج " " دفاعه عن رفع القبور " " شد الرحال لزيارة القبور " كلام الناظم والمعلق في النذر " واحتجاج الخصم بما لا يفهم " الكلام على إهداء ثواب القراءة للميت " ) .

هذه عناوين الكتاب ومنه يعرف مضمونه ، فهو في الرد على القبورية فيما يعتقدون في القبور من العقائد الضالة ، وفيما يأتون عندها من الأعمال القبيحة ، وما يوجهونه من تهم وافتراعات لخصومهم دعاة التوحيد ، ودفاع عن أولئك الدعاة ورد عن أعراضهم وتبرئة مناهجهم من الانحراف الذي رماها به القبورية ، هذا هو ما ظهر لي من ملامح الصارم القرآني للشيخ البيحاني عليه رحمة الله .

وفي نفس السياق تأتي رسالته الصغيرة " زبعة في قارورة " فجهود البيحاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللائقة بالعالم السني المتابع لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

ولعل في رسالة الدكتور أحمد هجوان عن " الإمام البيحاني " ما يكشف مزيداً من هذه المواقف ولكني للأسف لم أطلع عليها .

### المطلب الثالث : جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية:

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصحاب وحدة الوجود ، وأما موقفهم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها ، فلم يكن بذلك الموقف القوي والواضح ، وإن كنا لم نلمس من علمائهم الذين لم يتأثروا بالصوفية ذلك الانسياق وراء القبورية ، كالذين تأثروا بالصوفية من أمثال المحدث "أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح" <sup>١</sup> فإن الشرجي له كتاب "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص" ملاءه بالخرافات ، ونقل فيه من الطامات ما يلحقه بركب الشعرايين المشهور بنقل الطامات والهوسة الصوفية ، والشلي الحضرمي صاحب المشرع الروي الذي ملاءه بالخرافات والدجل ، بحيث يعجب القارئ كيف بلغت الجراءة به إلى هذا الحد ، والاستخفاف بعقل القارئ إلى هذه الدرجة ، فالشرجي لا يكاد يقل عنهما في كتابه "طبقات الخواص" .

أقول : إن علماء تهامة الذين حاربوا أصحاب وحدة الوجود مع حسن ظنهم بالكثير من القبورية إلا أنهم لما يوافقهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم ، وكثيراً ما يجد القارئ لكتبهم - مثل كتب العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل - نقدهم في بعض أمورهم وتصرفاتهم ، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشار الدعوة السلفية التي قادها "الإمام ابن الأمير والإمام الشوكاني ، رحمهما الله" ووصول دعاة وجنود الدعوة النجدية إلى تهامة في القرن الثالث عشر ، فمنذ تلك الفترة ، ظهر من يحارب القبورية بقوة وجراءة وعلم وبصيرة ، ومع ذلك فموقفهم من القبورية إذا قورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضئيلاً ، وإذا

<sup>١</sup> الشرجي المذكور هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي ، ولد سنة (٨١٢هـ) بزييد ، ومات بها سنة (٨٩٣هـ) ، وهو من أشهر محدثي زيد وله "التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري" وغيره من الكتب ، كما له في المقابل "طبقات الخواص" الذي تحدث عنه في الأصل ، وهذا من التناقض العجيب ، كما ذكر له كتاب آخر بعنوان "الفوائد في الصلوات والعوائد" قال الحبشي في مقدمته للطبقات : (وهو مجموع من الأحاديث والأدعية الماثورة ، إلا أنه شابه كثيراً من الطلاسم والأوراق المدسوسة ، قال : وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٤هـ) ، وأعاد طبعه عدة مرات مكتبة الحلبي بالقاهرة ) الطبقات ص(٦) ، هذا هو الشرجي رحمه الله ، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية .

قورن عدد من تصدى للقبورية بمن تصدى لأصحاب وحدة الوجود كان قليلاً، وأنا أكتفي بعلم واحد من أعلام تهامة هو :

### العلامة حسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني

قال عنه السيد محمد بن محمد زيارة في "نشر العرف" : ( السيد العلامة النبيل التقى الفهامة الحسين بن مهدي النعمي التهامي ثم "الصنعاني" <sup>١</sup>، ولد كما يظهر بمدينة "صبيا" من أرض تهامة ، ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني - رحمه الله - وصار من جملة أصحابه ، حتى لقد اتهم هو والإمام الصنعاني بمخالفة مذهب الهادي والتظاهر بذلك <sup>٢</sup>، وقد ذكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما اندثر منها <sup>٣</sup>، ورغم ذلك فقد استمر العلامة النعمي في دعوته وتعليمه للسنن ومحاربة البدع مجللاً محترماً <sup>٤</sup>، حتى أن إمام العصر "المهدي" قد أذن له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي ، وقرأ "الإمام" على المترجم له أياماً في "شرح العمدة لابن دقيق العيد" <sup>٥</sup>، وتوفي - رحمه الله - سنة (١١٨٧هـ) ، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المترجمون ، ولكن كتابه العظيم الذي سنعرض له ، يشهد بعظمته وسعة علمه ، ويصور لنا منهجه الذي هو منهج السلف الصالح ، منهج التجديد الذي عرفناه من ابن الأمير والشوكانى رحمهما الله .

أثره في مواجهة القبورية :

أثره المطبوع المتداول في مواجهة القبورية هو كتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" هذا هو الاسم المختصر للكتاب ، وقد وجد على طرة النسخة الخطية ما يلي :

<sup>١</sup> مقدمة معارج الألباب في منهج الحق والصواب للنعمي ص(١٧) ، تحقيق محمد حامد الفقي تخريج علي حسن عبد الحميد ، طبع مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . وكل ما في ترجمتي له مأخوذة عنه حيث لم أعثر له على ترجمة في موضع آخر والجزء الأول من نشر العرف ليس متوفراً هذه الأيام .

<sup>٢</sup> معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص( ١٨ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص(١٨).

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص(١٨).

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص( ١٨ ) .

( معارج الألباب ، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب ، ونسي ما تضمنته من المفاصد وهي ، عجب من الخطوب عجاب ، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فسد باب الحكمة وفصل الخطاب ، وعطل الانتفاع في هذه الأزمان بعلوم السنة والكتاب ، إلى غير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه - إن شاء الله - بأحسن تحرير وجواب )<sup>١</sup> .

هذا ما كتب على طرة الكتاب وهو معرّف به ، مبين عن وجهته ، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه ، وهو الرد على من أجاب باستحسان تلك المشاهد والقباب على قبور الأولياء ، وقد نص على هذا السبب في مقدمته الكافية فقال : ( وبعد ، فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية ، وقفت على صورة سؤال ، وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه ، واقتضاه من المشاهد والقباب ، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب ؛ لما تفاعشت خطوب مفاصدها في هذا الزمان ، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان ، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح ، فهو بمجرد ممنوع شرعاً ، كما قد شرحت ما جاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة ، أسفرت عن وجهة الصبيح واسمها : " مدارج العبور على مفاصد القبور " .

وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة ، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن - حاطها الله وسائر بلاد الإسلام من طوارق المحن والفتن - كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة ، ذكر فيه ما حاصله :

أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة ، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب ، بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد ، وأشار بتخريب تلك المعازل والمعاهد<sup>٢</sup> . وبعد أن أبان خواء ذلك الجواب ، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب ، وإنما ( أجابوا : بأنه صرح به في المنهاج وشرحه وهو الذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز )<sup>٣</sup> .

كر على المجيبين ، وندد بأصلهم الذي عليه يعتمدون ، وإليه يرجعون ، وهو التقليد المحض

<sup>١</sup> معارج الألباب ص ( ١٤ ) .

<sup>٢</sup> معارج الألباب ص ( ٢٦ - ٢٧ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢٩ ) .

والمنع من إعمال النظر في الأدلة ، وقد شنع عليهم ، وأطال النفس في ذلك ، شأنه شأن مشايخه وزملائه من المدرسة السلفية في اليمن ، وقد استغرق ذلك باقي المقدمة .

أما الباب الأول : فجعله في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة ، منها الرد عليهم في أخبار استدلوها بها ، وقد أخلوا بشروط الاستدلال إما دراية أو رواية ، فالدراية كونهم لم يستدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحديث (( من أذى لي ولياً )) على حرمة المشاهد و القبور .

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و ( على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكان الاجتهاد في هذه الأعصار ) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه ، ثم ناقشهم في الجزم بكون هذا المدفون ولياً ، وأبان جانباً مما ينسب إلى من يوصفون بالولاية من الشطح والتخريف ، وكيف يكون هدم هذه القباب إيذاءً لأولياء الله وهو امتثال لأمر رسول الله ﷺ ؛ ثم رد عليهم حديث : (( ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن )) وأن ذلك لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، وأخذ يبدي ويعيد في موضوع الاجتهاد والتقليد إلى نهاية الفصل<sup>١</sup> ، وهكذا في الفصل الذي يليه ، رد على من قال منهم : ( ولا يدعي الاجتهاد في زماننا هذا إلا من جهل شروط الاجتهاد وعري عن أصول الفقه ) ، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول<sup>٢</sup> .

أما الباب الثاني : فجعله ( في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتجسيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك : أمر تقرر في الشرع منعه ، وسبق الحكم الجازم بالنهاي عنه ) ، وبعد أن نقل من ذلك جملة كثيرة علّق على بعضها ، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من " إغاثة اللهفان " ، ثم علّق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب<sup>٣</sup> .

أما الباب الثالث : فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة حيث يذكر جملة من الجواب ، ثم يرد عليه ، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب ، ولم يقتصر على تفنيدهم

<sup>١</sup> معارج الألباب ص ( ٣٩ - ٤٩ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٤٥ - ١٠١ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٠١ - ١١٨ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ١٢٠ - ١٥٦ ) .

المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي تُرتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية.

فرحم الله العلامة النعمي، وغفر له، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله اثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان "مدارج العبور على مفاصد القبور" ذكره في مقدمة المعارج (٢٧)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف ..

#### المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة :

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة القبورية في بعض الجوانب، وإليك جدولاً بأسماء هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم :

(١) محمد بن أحمد الأهدل المتوفى سنة (١٢٧١هـ)، وله رسالة بعنوان "تحذير الإخوان المسلمين من تصديق الكهان والعرافين" ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض القبوريين هم الذين يقومون بالكهانة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامات، المرجع هجر العلم (٢٠١٥/٤) .

(٢) حسن بن خالد الحازمي : المتوفى سنة (١٢٣٤هـ) أو (١٢٣٥هـ)، له رسالة بعنوان "قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب" واضح من العنوان أنها في الدعوة إلى التوحيد وقطعاً في التحذير مما يضاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (١٢٢٤/٣) .

(٣) الحسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة (٨٥٥هـ) له رسالة بعنوان "القول النضر على الدعاوي الفارغة بحياة الخضر" يرد بها على عقيدة مشهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقاء به والأخذ عنه . المرجع هجر العلم (٤٦/١) .

(٤) قادري بن أحمد الأهدل ما زال حياً - حفظه الله - له منظومة بعنوان "بهجة القلوب بتوحيد علام الغيوب" وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبادي، وقد تناول فيها الكثير من انحرافات القبورية، وأبان ضلالها وكشف عوارها .

### المطلب الرابع : جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية:

لم تترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسخت في حضرموت ، حيث سيطر القبورية فيها على كل شيء ، سيطروا على الحكام ، ووجهوا السلاطين وسعوا لجلب الاستعمار ، وكان لهم عنده مكانة مرموقة ، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديدية ، لم تترك لسواهم وسوى الدائرين في فلکهم متنفساً ؛ لذلك لا نرى تلك المعارضة للفكر الصوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن ، وحتى كتابة التاريخ فقد احتكروها بين قادة التصوف وأنصارهم ، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقة، لذلك لا غرابة أن يقل أو ينعدم المواجهون للقبورية فيها ، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصلت للقبورية الهزات العنيفة بفعل الدعوة السلفية في صنعاء وفي نجد ؛ حيث وصلت الجيوش النجدية إلى قلب وادي حضرموت ، والتقى دعائها بالناس ، فتأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين<sup>١</sup> ، ثم دعوة الإرشاد باندونيسيا ،

ومن هؤلاء الذين برزوا :

#### العَلَمُ الأول

##### الشيخ علي بن أحمد باصبرين

وهو العلامة الفقيه المحدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصبرين - رحمه الله - لم يُعرف تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بالتحديد ؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكير يرجح أنه ( عاش في النصف الأخير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر )<sup>٢</sup> ، وكان هذا الإمام متميزاً بالشجاعة متظاهراً بحمل السلاح يقول عنه علوي بن طاهر الحداد : ( كان شجاعاً ذا عزم لا يزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين )<sup>٣</sup>.

وكان ذا غيرة شديدة حملته على إنكار الكثير من المنكرات والعمل على تغيير بعضها باليد ، يقول الحداد : ( وأحسب أن له يداً في الثورة التي وقعت بجده على قناصل الدول وهي

<sup>١</sup> انظر إدام القوت ص ( ٢٢٥-٢٢٦ ) .

<sup>٢</sup> رجال وكتب للشيخ علي سالم بكير باغيثان طبع دار حضرموت للدراسات والنشر ص ( ١٠٩ ) .

<sup>٣</sup> الشامل ( ١ / ١٣٥ ) وانظر إدام القوت ص ( ١١٠ ) .



واقعة مشهورة ، وقد تمكن من الفرار فسلم ، وهو الذي أثار العوام على الأبنية التي جعلت على الجمرات الثلاث بمنى فهجموا عليها وأخربوها <sup>١</sup> .

كما كان مبرزاً في العلم متفوقاً فيه ، وصفه أحد العلويين بقوله : ( وهو إمام في كل العلوم ) <sup>٢</sup> ، وكان عاملاً بعلمه داعياً إلى ما هو مقتنع به ، لم يجمد على ما كان عليه أهل مصره وعصره ؛ بل دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وزيف الخرافات وحارب المنكرات ؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه ، يقول ابن عبيد الله : ( وجرت بينه وبين علماء تريم منازعات في عدة مسائل ، منها التوسل والاستغاثة ومنها ثبوت النسب بمشجرات العلويين المحررة ، وكان الشيخ يبالغ في إنكار ذلك وألّفت رسائل من الطرفين <sup>٣</sup> ) ، ونقل مستنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطاس عن هذا الإمام فقال : ( وفي مجموع كلام العلامة السيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصريين قال له : " نعرف من الحضارم حدة الطبع ، وأنت بعيد عنها " قال له : " من عرفت من الحضارم ؟ " قال له : " عرفت الشيخ علي باصبرين ، وجلست معه في الحرمين سنين ، فرأيت من حديثه ما لا مزيد عليه " ، فقال السيد أحمد : " ذاك رجل من أهل البادية ، وتلقى شيئاً من العلم ، وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنه ؛ لأنه ليس بأهل للإلقاء ولا للتلقي ، ولا يخفى عليكم ما في طباع البادية من الغلظة والجفاء " ، انتهى . وفي هذا غض من مقام الشيخ علي لا يليق بالإنصاف ، وقد علمت أن السيد عمر بن حسن الحداد قرأ عليه وهو من مراجيح العلويين ) <sup>٤</sup> .

ويبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته ومنها : " إرشاد صالح العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " ذكرها في المسألة التاسعة من " المهمات الدينية " المتعلقة بالنهي عن قول العوام ( يا ولي الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك ) بعد أن علق عليها قال : ( ومن أراد توضيح ما في المقام فعليه برسالتى المسماة " رشاد صالح العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " <sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> الشامل ( ١ / ١٣٥ ) .

<sup>٢</sup> إدام القوت ( ١١٠ ) .

<sup>٣</sup> إدام القوت ( ١١١ ) .

<sup>٤</sup> إدام القوت ص ( ١١٠ - ١١١ ) .

<sup>٥</sup> المهمات الدينية ص ( ٦ ) .

وهذه الرسالة لم نعثر عليها ، ولكننا عثرنا على المهمات وسوف يأتي الحديث عنها حين نتكلم عن أثر هذا العالم في مواجهة القبورية بوله مؤلفات أخرى منها خمسة كتب في الفقه الشافعي ، وكتاب عن أنساب السادة العلويين سماه " حقائق البواسق المثمرة في بيان صواب أحكام الشجرة " فرغ من تأليفه سنة ( ١٢٩٨ هـ ) قاله ابن عبيد الله <sup>١</sup> ، ورسالة في الرد على بعض من اعترض عليه في رسالة الشجرة المذكورة. <sup>٢</sup> إضافة إلى تلك الكتب هناك كتاب مخطوط في مكتبة الحرم المكي بعنوان " إتحاف الناقد البصير بخصوص صحيح الجامع الصغير " ذكره شيخنا الألباني في مقدمة كتابه صحيح الجامع الصغير وقال : إنه اطلع عليه في مكتبة الحرم المكي ، وقد نقد المؤلف حيث أنه يتابع السيوطي على تصحيحه دون تحقيق من قبله <sup>٣</sup> .

هذه نبذة عن الشيخ علي باصبرين رحمه الله وهو مترجم في " الشامل في تاريخ حضرموت " ، و " إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت " ، " وتاج الأعراس " وكلها تراجم موجزة.

### أثر هذا العلم في مواجهة القبورية

كان الأولى أن أدرس رسالة " إتحاف صالح العبيد " التي أشرت إليها سابقاً ولكنها مفقودة ؛ لذا لجأت إلى الرسالة الأخرى وهي : " المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية " .

وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي التي قد ارتكبتها الناس ، ولم يتقيد بباب من أبواب العلم ، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المناهي المرتكبة ، فاشتملت الرسالة على خمس وسبعين مسألة ، قال في مقدمتها : ( ولقد جمعت في هذه العجالة خمساً وسبعين مهمة من مهمات الدين مما عم الابتلاء بالتلبس بها ، وقد أرسلت منها نسخاً عديدة

<sup>١</sup> إدام القوت ص ( ١١١-١١٢ ) وانظر لمزيد الفائدة تعليق ابن عبيد الله بذكر ما دار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضر لفظها ( وبعض الناس قوله وبوله سواء ) وهي تدل على مبلغ العنجهية لدى هؤلاء الناس .

<sup>٢</sup> ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضع السابق .

<sup>٣</sup> صحيح الجامع الصغير طبع المكتب الإسلامي ( ١٤ / ١٥ ) الطبعة الثانية ( ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ) .

لكل كبير بلد أو قرية ، كل هذا خروجاً من عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركة ، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح ، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح<sup>١</sup> .

وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال : ( التاسعة ) مما يحرم ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور :

( يا وليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنوب بين يديك )

وقد علق على ذلك وبين ما فيه من الغلو ، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، ثم أحال على رسالته السابق ذكرها ، ومضى إلى المهمة ( الثامنة عشر ) وفيها تعرض لما عند بعض جهات حضرموت أنهم : ( إذا ميزوا زكاة أموالهم بنحو حَجَرٍ والرِّيدِ يقولون : ( هذا لله وللشيخ سعيد أو حق الله وحق الشيخ سعيد مثلاً )<sup>٢</sup> ، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهية ، وقد حكم أن هذا القول خلاف الصواب ، وأنه مبني على اعتقاد أنهم ( إذا فعلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاة في أنفسهم وأموالهم ، أو من الله إذا أغضبوا الشيخ بمخالفة عاداتهم من إعطائهم ما لا يستحقه ، مع نسبة الآثار إلى ما يتوهم الجاهل أنه منه ، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد القائل سبحانه : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾<sup>٣</sup> ، والحق أنه لم يشبع المسألة وربما كان ذلك لأجل الاختصار ، وفي المهمة ( العشرون ) تحدث عن النذر وأنه ( لا يصح إلا إن كان لمن يملك - ومنه المسجد - طاعة لله وقربة بها يتقرب إليه تعالى لا ميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتمر ، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لأدمي أو جني أو معظم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، لرجاء ما لم يقضه الله له لو لم يشفع له هذا المعظم ، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه

<sup>١</sup> المهمات ص ( ٣ ) .

<sup>٢</sup> هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت .

<sup>٣</sup> المهمات ص ( ٨ ) .

<sup>٤</sup> الكهف ( ٥١ ) .

عليه في سابق علمه ، فهذا محرم بل كفر في حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم<sup>(١)</sup>.

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسألة ؛ وهو تحريم النذر للأموات ، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار ، ولكن هنا أمران :

**الأمر الأول :** تصحيح النذر عند إرادة المعتبر ممن له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغرٍ للعوام بالنذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيها ، وتُرثب الاعتقاد إن لم يكن موجوداً حال النذر والغالب أنه لا ينذر لها ولم يقصد من عندها من الزوار وغيرهم إلا مع وجود الاعتقاد فيهم ، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن ( الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل والله أعلم بالصواب )<sup>(٢)</sup> ، وكذلك الرسول ﷺ عندما نذر الرجل أن يذبح إبلاً ببوانه سألته : (( هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قال : لا قال : ( فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا قال : فأوف بنذرك ))<sup>(٣)</sup> ، وهذا يدل على أن النذر لو كان لمكان فيه وثن أو عيد لما أجازه ؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعة ، وهكذا هنا فإن قصد تعظيم ذلك المشهد والقبر هو الغالب ، فكان الواجب سد هذه الذريعة وعدم تصحيح النذر من أصله .

**الأمر الآخر :** جعل النذر شركاً -إن وجد الاعتقاد والتعظيم- هذا فيه قصور ، إذ النذر عبادة لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية ، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قرية وعبادة ، وصرف ذلك لغير الله شرك ، ولو لم يوجد التعظيم ؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكره الشيخ آنفاً ، بخلاف ما لو نذر لحي فإنه في عرف الفقهاء بمعنى العطية أو الهبة ، وعلى ذلك درج الناس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم نذرت لابني أو أخي أو فلان بكذا أي وهبته ، فما كان من هذا القبيل فلا يمنع إلا أن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم .

<sup>(١)</sup> المهمات ص ( ٩ ) .

<sup>(٢)</sup> الفتاوى النافعة ص ( ٢٤٩ ) .

<sup>(٣)</sup> تقدم تخرجه في الباب التمهيدي ص ( ٢٩ ) .

أما المهمة ( الحادية والعشرون ) ففيها يقرر المؤلف أنه لا يتقرب ولا يعظم بالصلاة والنسك " الذبح " إلا لله تعالى ، ولا ينسب الإحياء والإماتة إلا لله تعالى ، وهذه أمور معلومة لا إشكال فيها وإن كان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلهم يخالفون في الذبح فيجيزونه لغير الله ، ويتأولون ما يفعل من ذلك عند العوام ، والذي لا علة له إلا " تعظيم من ذبح له " يتأولون ذلك بتأويلات باطلة ، وكذا الإحياء والإماتة ، هذا أصل من الناحية النظرية متفق عليه ، أما من الناحية العملية فالصوفية ينسبون لأوليائهم الإحياء والإماتة - كما جاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع وغيره - وقد تقدم إثبات اعتقادهم لذلك في الباب الثاني ، وذلك غاية الإلحاد والعياذ بالله ، ثم يرتب على ما تقدم تحريم العقيرة<sup>١</sup> ، لكونها يهل بها لغير الله ولغير ذلك من المحظورات التي تترتب على ذلك ، ويأتينا هنا بفائدة جديدة جلية وهي أن الزامل<sup>٢</sup> الذي يكون غالباً مصاحباً لزيارات الأولياء هو : ( لتعظيم المقبور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة وهذا من أعظم المنكرات وأعظم منها سكوت أهل العلم عنهم فيما لو فرض سكوتهم فضلاً عن رضى عاقل بذلك )<sup>٣</sup> ، وهذه النكتة لم أعرف من نبه عليها غيره ولكن لا استبعد صحة ما قرر في ذلك إذ أن هذا هو الشأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعاً وهذا أولاً ، وثانياً : أنها فعلاً تعتبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايات التي هي شعاره واشتمالها غالباً على أبيات شعرية في مدحه أو دعائه والاستغاثة به . وثالثاً : أن خليفة ذلك الولي المسمى عندنا " منصب مقامه " يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيماً كما نبه عليه " الصبان " في كتابه زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود " <sup>٤</sup> ، فرحم الله الشيخ باصبرين .

<sup>١</sup> قال في القاموس و ( العقيرة ما عقر من صيد أو غيره ) ص ( ٥٦٩ ) وفي العرف هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي : إما إرضاءً له لما قد يظنون أنه ساحط عليهم أو تقريباً لطلب حاجة منه .

<sup>٢</sup> الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات .

<sup>٣</sup> المهمات ص ( ٩ - ١٠ ) .

<sup>٤</sup> زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود " ص ( ٤٠ - ٤١ ) تأليف عبد القادر محمد الصبان ، طبع المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية .

والمهمة ( الثانية والعشرون ) يقرر فيها أن الحلف بغير الله تعالى وصفاته وأسمائه شرك ، ثم قسم الشرك إلى جلي وخفي وأن الجلي هو المخرج من الملة والخفي لا يخرج من الملة ، ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنها ، ثم فرق بين ما كان المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه كخوفه ، أو يرجى منه نفع لم يقضه الله ، أو يدفع عنه ضرر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقاً ، أما إذا سلمت العقيدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً <sup>١</sup> وهذا تفصيل جيد ، أجود منه لو صرح بتحريم النوع الثاني وإن لم يكن شركاً .

والمهمة ( الستون ) : قال لا يجوز لأحد حكاية ما صورته منكر ، وإن صدر عن بعض الأكابر محمول على أنه مؤول عنده بتأويل غير متبادر للعامة ؛ أو أنه صدر حال غيبة عن تعقل مقوله بوجه من الوجوه أو أنه من قول غير كجني كما قال بعضهم :

أنا عرشها والكرسي أنا للسمما بأنيها  
ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفئها <sup>٢</sup>

والنهي عن ذلك في محله ، وأما التأويل لذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك <sup>٣</sup>  
المهمة ( الحادية والستون ) : قال فيها ( من المحرمات قول بعض المعتقدة جواباً لقول المعتقد ادع الله لي بالجنة " أنت في الغدفة أو ضمانني " ) <sup>٤</sup> ، وهذا القول يتكرر كثيراً من بعض أقطاب القوم في مناسبات مختلفة وهو محرم كما ذكر الشيخ إن كان مجرد جراءة عن غير اعتقاد ، أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهذا طاغوت لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى .  
هذه هي المهمات التي تعرض فيها الشيخ للقبورية ونقد بعض عقائدهم وأعمالهم ، وأما بقية المهام فإنها منكرات يقع فيها الكثير من الناس وهي معاصي لا علاقة لها بالقبورية .

والشيخ - رحمه الله تعالى - قد تحرر من غل التقليد لعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير ، وحسبه ذلك مادام مجتهداً باحثاً عن الحق جاداً في العمل به والدعوة إليه ، وقد بقي

<sup>١</sup> المهمات ص ( ١٠ ) .

<sup>٢</sup> المهمات ص ( ١٦ ) .

<sup>٣</sup> المهمات ص ( ١٦ ) .

<sup>٤</sup> المهمات ص ( ١٦ ) .

لديه بعض آثار مدرسة حضرموت لم يستطع التخلص منها وهي قليلة في جانب ما حقق من إصابة للحق، فرحمه الله وغفر له .

### العَلَمُ الثاني

من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت

الشيخ محمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى

للأسف لم أعر لهذا الشيخ على ترجمة مكتوبة ، ويقال أن هناك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنوان "حياتي" غير أنني لم أتحصل عليها ، وهي عند بعض أولاده كما أخبرني بعض أقاربه، فلذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه ، وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة " القطن " بلده الذي ولد وعاش فيه معظم حياته .

كانت دراسته الأولى في رباط تريم على يد شيخه الشهير عبد الله بن عمر الشاطري ، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك رداً من الزمن ، ولعله هناك التقى ببعض المصريين من أنصار السنة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية .

يقول فضيلة الشيخ " السيد السيد رجب " المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتابه " دعوة الخلف إلى طريقه السلف " وهو يتكلم عن أعلام الدعوة الذين أشعلوا المشاعل لينيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السائر : ( ومن هؤلاء العالم الفاضل ، والشيخ الوقور ، والمربي الأمين ، والقُدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين ، والأخذ بيد العاملين ، والذي نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً ، ذلكم هو الشيخ " محمد علي بافضل " ، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير ، فقد جاهد وناضل في سبيل عقيدته ، في كل مكان حل به وأقام فيه ، ومن يذهب إلى الصومال يجد مسجداً فخماً سمي باسمه ، أقامه وشيد أركانه ، وكان إمامه وخطيبه ومدرس العلم

والمعرفة لرواده وأحابيه وإخوانه ومعارفه ، فهذا درس التفسير ، وذاك درس الحديث ، وهذا درس الفقه ، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا .

وكلٌ حسب منهج دراسي منظم ، ومستويات علمية متباينة ، فربى رجالاً فاهمين عالمين عاملين ، جمعوا بين طلب الدنيا والدين ، والشباب والشيخوخة من حوله ملتفون ، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصديق والأب والرفيق ، يلتفون حوله ويستجيبون لنصحه ، ويعملون بتوجيهاته ويستشيرونه في أخص أمورهم ، وإن أنس لا أنسى ليلة وداعه وهو مغادر الصومال بعد إقامته فيه مدة طويلة إلى موطنه العزيز والجموع محتشدة في ذلك المسجد بمقديشو والرجل يفيض على الجميع من علمه وتجاربه ونصائحه وكانت كلماته مشوبة بأنفاس كبد محترق تلمح الأذان ، والناس في حزن عميق وآلم للفراق شديد ، ثم يحملني تبعة القيام بالمسجد ويعهد إلي بتحمل الأمانة ولكن أتى لي ولأمثالي أن نملاً هذا الفراغ ونقوم بذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجزاء <sup>١</sup> هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر .

وأما في الوطن فأنا أسجل ما بلغني عنه وما شاهدته منه مباشرة :  
فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسنة في آخر حياته رحمه الله ، حوالي عام اثنين أو ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية ، حيث وصف بالدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة البدع والشركيات وبيان خرافات الصوفية وتزييفها ، وما كان قائماً به من نشر العلم والإفتاء في مدينته القطن ، ثم شاء الله بعد مدة أن أزور القطن وأصلي المغرب والعشاء في مسجد الجامع ، حيث يدرس الشيخ وقد كنت ذاهلاً عن الشيخ ودعوته التي وصفت لي من قبل ، فلما كان بين العشاءين فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليدرّس طلابه من كتاب فقه السنة " للسيد سابق " وفي سيرة الرسول ﷺ ولا أذكر ما هو الكتاب الذي كان يدرس فيه وقتها ، فجلست في الدرس وسمعت كلاماً قيماً غريباً على ما هو معروف في الأوساط العلمية الحضرية آنذاك ، ويعد انتهائه من الدرس أردت أن أتأكد مما سمعت ، فسألته عن بعض الأمور المتعلقة بالبدع والشركيات المنتشرة في البلاد ، فأجاب جواباً صريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السنة والتوحيد ، فاطمأننت إليه واقتربت منه وتعرفت عليه

<sup>١</sup> دغرة الخلف إلى طريقة السلف التقديم (ج - د) .



وعرفته على نفسي ، فقال لي : ( لقد أجبتك على تلك الأسئلة بما سمعت لأنني هنا في القطن ولو كنت من شبام وحدرنا لسبطونا على تلك الأجوبة ) هكذا بهذه اللهجة الدارجة ومعناها : أنه لما أجابني بما أجابني لأنه في بلد القطن الذي قد استجاب أهله للدعوة السنية وأمنوا بها ، ولو أنه كان في مكان آخر من بلد شبام أو ما كان شمالاً عنها لضرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الديار من التعصب والخرافة ، وعندها عرفت أنه ذلك العالم السلفي الذي حدثت عنه من قبل ، ثم دعاني إلى منزله فاعتذرت فواعدني من اليوم الثاني حيث أخذني إلى مسجد جديد كان يقوم على عمارته وفي أثناء تجولنا في المسجد كان يشكو إلي سوء الأوضاع في البلاد ومحاربة النظام الشيوعي للدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شديدة ، ثم إنه رحمه الله سافر إلى المملكة العربية السعودية ، حيث وافاه الأجل في مدينة جدة حوالي عام ( ١٤٠٤هـ ) ، وقد ترك أثراً طيباً في بلده وكان له طلاب ومحبون فيها وفي غيرها ، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته - رحمه الله رحمة واسعة - .

#### الأثر الذي خلفه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف":

وواضح من عنوانه أنه دعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في جميع الأمور من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة ، ولقد لخص موضوع الكتاب المؤرخ الشهير سعيد عوض باوزير في المقدمة التي قدم بها للكتاب فقال : ( آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ) هذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر .

دعوة إلى التوحيد الخالص دون إشراك ، وإيمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف ، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع ، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب إلى إصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة ، وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة )<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> دعوة الخلف ، المقدمة ص (٥-٦)

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لا حلَّ لها إلا بالرجوع الحق إلى الإسلام قال المقدم : ( ربما تثير بعض النقاط التي عالجها الكتاب حساسيات بعض الناس، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم ، ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هوى أو غرض وإنما كان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحه وقلبه ، يدافع بها عن دين الله الحق ، طالما تحدث بها لسانه ، قبل أن يتناولها قلمه ، فالمؤلف من خطباء الحضارم الموهوبين وأساتذتهم المستنيرين ، تعرفه المنابر والحفلات ، كما تعرفه فصول الدراسة ، وقاعات المحاضرات)<sup>١</sup>. والكتاب قد جعله المؤلف على طريقة السؤال والجواب :

وقد شمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشرك ، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه في تلك الفترة ، فترة انتشار الإلحاد في العالم كله ، وعندنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الذي كان جاثماً على صدر البلاد وأهلها ، ثم تكلم على السنة وما يتعلق بها وما يضادها من البدع ، كما عرج على الفكر الصوفي الحضرمي ونقد بعض خرافاته، وأبان بعض ما يحتوي عليه من الشعوذة والدجل ، وخصص بعض البدع التي تتفرد بها حضرموت مثل " صلاة الخمسة فروض" التي تؤدي آخر جمعة من رمضان ، حيث يصلون الفرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية وأول من أحدثها في حضرموت " الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات " ، ولذلك فإن أكثر من يتعصب لها هم المنسوبون إليه ، ولا تزال مستمرة بشكل رسمي ويطقوس واعتقادات ، خاصة في بلده عينات إلى اليوم ، كما تعرّض لبعض الأمور التي دعا الواقع إلى طرقها ؛ كمسألة المرأة في الإسلام ، وتعدد الزوجات ، وموضوع الإسلام والرق ، هذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب .

<sup>١</sup> دعوة الخلف المقدمة ص ( ٥ - ٦ ) .

### العَلَمُ الثالث

#### العلامة القاضي عبد الله بن عوض بكير

وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية السنة في وقت تَغْلُبُ البدع ، ورافع راية التوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنواع من الشرك ، ويتصدر فيه دعاة الخرافة الشيخ عبد الله عوض بكير .

ولد رحمه الله في مدينة " غيل باوزير " سنة ( ١٣١٤ هـ )<sup>١</sup> ، قرأ القرآن في أحد كتاتيب قرية " القارة " من ضواحي الغيل ، وبعد مرحلة من العمل والكد ، التحق بركاب الشيخ عمرمبارك بادبآه في قرية " الصداغ " ، وأقام لطلب العلم لديه نحواً من خمسة عشر عاماً ، قرأ خلالها عدداً من الفنون حتى تقدم على أقرانه وأصبح شيخه يوكل إليه بعض المهام : من تعليم طلاب وإمامة مسجد ورِدَ على فتاوى )<sup>٢</sup> .

ثم انتقل إلى رباط الغيل فترة ، ثم ارتحل إلى بلاد الصومال " جيبوتي " و " مقديشو " مرتين لتحصيل العلم ولقمة العيش معاً ، وهناك التقى ببعض علماء الأزهر<sup>٣</sup> ، ثم عاد واستقر إماماً لمسجد النور بالقارة ، وقد حصل من العلم حظاً كبيراً مكنّه من أن يكون مرجعاً لمجتمعه الصغير ، عليه يعرضون أسئلتهم وإليه يرجعون في حل مشاكلهم ، ويراجعونه فيما يقع لهم من قضايا ، ومنها ما قد يصدر لهم أو عليهم من أحكام قضائية وفتاوى شرعية ، فكان يعلق عليها بما يراه الحق ، وبذلك انتشر خبره وسار ذكره حتى وصل ( مجالس العلماء ودخل مكاتب الحكام واستمع إلى آرائه الوزراء والسلطين فتوجهت إليه الأنظار ترقبه وتراقبه )<sup>٤</sup> ، وبالإضافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية ، مما أكسبه سمعة علمية طيبة ، وحنكة في معالجة القضايا الفقهية ، وإبراز خفاياها ودقائقها .. بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لا يماري ولا يداري ، نزيهاً لا تمتد عينه إلى متع غيره ، محارياً للبدع أياً كان القائم بها ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقد كتب الرسائل وألقى الخطب ،

<sup>١</sup> القضاء في حضرموت في ثلث قرن لابن المترجم العلامة عبد الرحمن عبد الله بكير النسخة الخطية ص ( ١٤ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٢٦ - ٢٨ ) .

<sup>٣</sup> القضاء في حضرموت ص ( ٢٨ - ٢٩ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٣١ - ٣٢ ) .

وكاتب من يتوسم فيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشنعاً على كثير من البدع التي تعمل باسم الدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثير مما يتخذ تحت شعار الدين، بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألف من بين ما ألف:

(١) مثالب المزار: وهي رسالة في منكرات زيارات القبور. وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الدين الإسلامي، وبغير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

(٢) تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد: وهي رسالة توضح كثيراً من المعتقدات الفاسدة الشائعة في الجهة سواء كانت مما يتعلق بالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحياناً، وما يفعل باسم كبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

(٣) الدفوف في المساجد: وتلك رسالة أوضح فيها حكم ضرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنزه عن مثل هذه المعازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السلف الذين سبقوه وعندهم نقل ما نقل)<sup>١</sup>. كان هذا من الشيخ رحمه الله في عهد اشتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلويين في مهجرهم في أندونيسيا وسنغافورة، وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن، وأصبح من يصنف أنه من الإرشاديين أو يتهم بذلك منبوذاً، بل معرضاً لأنواع من الأذى، ولذلك فقد اتهم بالإرشادية كما اتهم بالوهابية، وإن لم يكن كما يقول ابنه الشيخ عبد الرحمن ملتزماً لواحدة من الطائفتين، بل قد يؤديه اجتهاده إلى موافقته إحدهما في أمور ومخالفتها في أمور أخرى، ولكن الإرهاب الفكري الكبير الذي كان يمارس لا يرضى بأنصاف الحلول ولا يعرف للاجتهاد معنى، "وإنما كن معنا أو أنت ضدنا"، ولكن الشيخ - رحمه الله - ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع، ولكن لما شاع عن الشيخ من سعة في العلم وبصيرة في الرأي ونزاهة في المعاملة وعدل في الخصومة وقوة في الموقف، كل ذلك أرغم معاصريه على احترامه، وحمل المسؤولين على أن يخطبوا وده، وأن يطالبوه بتحمل مسؤولية القضاء الشرعي، والقرب من السلطان للاستفادة منه في الرأي والمشورة، وقد نذر من ذاك بادئ الأمر، ولكنه رضى له بعد إلحاح وبعد تأمل في المصالح والمفاسد، ودخل سلك القضاء وتدرج فيه بعد أن عُرِف عدله ونزاهته وقوة إدراكه ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضاء بـعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصبه ذلك

<sup>١</sup> المصدر السابق ص (٣٢ - ٣٣).

بإصلاحات قضائية وإدارية جبارة ، سبق بها عصره وتفردت بها حضرموت عن سائر البلدان المجاورة ، كما أصلح القضاء وطوره وحافظ على تحكيم الشريعة ، فإن له بصمة أخرى عظيمة هي رئاسة لجنة الشؤون الدينية والتي كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراقبة الآداب الإسلامية ، والدعوة إليها ، والتنفير من كل مفسدة خلقية ، والدعوة إلى السنة ومحاربة البدع في الدين <sup>١</sup> ، ( فحاربت من البدع ما حاربت ونجحت ولاحقت من المفاصد الخلقية ما لاحقت وأصلحت ) <sup>٢</sup> ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقیل على أصحاب الشهوات ، ومحاربة البدع شديد على أرباب الهوى والشبهات ، وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسدنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات ، وحرك إبليس جنده؛ فحوربت هذه اللجنة من قبل أشخاص لهم في البدع والمحافظة عليها قدم راسخ ، أولهم في طقوس هذه البدع مصالح مادية ومصالح روحية ، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبة ، وهي في نفس الوقت تمثل المخدر العام للشعب كي ينصرف عنهم ولا يلاحقهم في بدعهم وأهوائهم ، وبالمحافظة عليها وباستمرارها سيكون الشعب متلهيا بها منصرفاً إليها ، غير متطلع لمستقبل ، ولا عابئ بحاضر ، كيف لا وهي تملأ أكثر أيام العام ، ولا تنتهي مناسبة بدعة حتى تبدأ مناسبة جديدة لأخرى ، ويتبع هذه البدع من المفاصد والمناكر والمحرمات ما يندي له جبين الدين ويتصبب له عرقاً وجه الأخلاق ... بل وتتبعها مفاصد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه ، والابن وأبيه .

وما أكثر البدع اليوم وما أكثر مروّجها والمغشوشين بها ، وأشدّها شؤماً وأكثرها لؤماً؛ هو بدعة ما يسمى بالزيارات لما يؤتى فيها من المنكرات ، والصد عن دين الله بعبادات أعمق جاهلية؛ لأنها باسم <sup>٣</sup> تقام وباسم الدين تتحدث . والزيارات بدعة في الدين ، وبدعة في حضرموت ، وبحسبك أن تعلم أنها لا تستند لسند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل .

وقد كان للجنة الشؤون الدينية في عهد السلطان صالح مع هذه البدعة بصورة خاصة ، مواقف خاصة ، مما جعل السلطان عليه - رحمة الله - اقتناعاً منه بمضارها ، يوقفها

<sup>١</sup> القضاء في حضرموت ص ( ١٨٣ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٨٣ ) .

<sup>٣</sup> كذا في الأصل .

ويأمر بإلغاء طقوسها ومراسمها أياً كانت ، ولكن القوم - هداهم الله - وغفر لهم ولنا ، أعلنوا عدم تمسكهم بدينهم إذا كان يقف في طريق ما ألفوه ، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي<sup>١</sup> .

وقد أخبرني أحد معاصري الشيخ رحمه الله ، أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسجد عمر ويسمى قبر "علوية" أيام وجوده في القضاء ، وأقفل المكان وعزم على تأجيله مستودعات أو نحو ذلك ، ولكنه لم يتمكن من تأجيله ، وإنما بقي مقفلاً مدة طويلة ، ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيدت الحضرة التي تعمل له ، وهاهو اليوم وصمة عار على جبين المكلا وأهل المكلا ، وبقعة سوداء يطالعها كل من يزور هذه المدينة من الغرباء ، فيحكم على أهلها الطيبين محبي السنة أنهم من المخرفين والخاضعين لسلطان الدجل والشعوذة ولا منكر ، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم ٩٩

كما أنه كان قد أبطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بالمكلا ، وقد أعادها القبوريون هذه الأيام ، وكما كان الشيخ رحمه الله عالماً وقاضياً ومصلحاً ؛ كان كذلك شاعراً وأديباً مرهف الحس قوي العارضة ، وبعد عمر طويل قضاه في التعلم والتعليم والإصلاح ، انتقل إلى رحمة ربه في يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين للهجرة؛ رحمه الله رحمة واسعة ، وقد ترجمه الأستاذ سعيد عوض باوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي<sup>٢</sup> .

آثاره في محاربة القبورية :

كما سبق فإن للشيخ ثلاثة آثار في مواجهة القبورية وسيكون الكلام هنا عن اثنين منها ، وأما الثالث فسادكره مع قائمة المؤلفات المفردة لأهل حضرموت .

الأثر الأول : هو "رفع الخمار عن مثالب المزار" وهو عبارة عن رسالة صغيرة أجاب فيها فضيلته على سؤال من محب كما يقول ؛ بعد أن تردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكاس ثم عزم فأجاب وأجاد وبين أن المزار المعروف في الجهة ، أي جهة حضرموت ، محرم لأنه يشتمل على جملة من المفاصد العقدية والأخلاقية ، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن

<sup>١</sup> القضاء في حضرموت ص (١٨٣ - ١٨٤) .

<sup>٢</sup> الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص (١٨١ - ١٨٣) تأليف سعيد عوض باوزير ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

الابتداع وطبقها على هذه الزيارات ، ثم ذكر أنواعاً من المفاصد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنساء والذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك ، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكثر الزوار وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر الموت ، وقد شن حملة على من يحضرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المناكر وقال : ( إنهم أشرار لا أخيار ) ، وأجاب على شبهة يطرحها البعض وهي : أن هناك خيراً في هذه الزيارات ، مثل الموالد التي تقام فيها والمواظ ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعة أصلاً ، ولو فرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هذه الأماكن التي يظهر فيها الفساد عياناً ، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير ؛ فإنه قليل لا يساوي ما فيها من الشر .

ثم ذكر داهية من دواهي المخرفين التي لقنوها العوام وهي : اعتقاد بعضهم ( أن من حضر سبع مرات عند قبر ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحرام ) قال : ( وهذا عين المحادة لله بل ربما كان كفر )<sup>١</sup>.

وقد كانت عاطفة الشيخ وغيرته بادية واضحة ، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بارزة ، فها هو يصل به الانفعال إلى أن يقول : ( وبعض الجهلة يوقف على مثل هذه الجرائم وقائف ، ويجعلها باسم المقام ، ولا شك أن مثل هذا المقام ، مقام أئمة النار فيحرم الوقف عليه ، وتحرم الصدقة ، لكون ذلك إعانة على المعصية ، ولا تجوز الإعانة على مثل ذلك ، فمن أعان فيه بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين )<sup>٢</sup>.

والرسالة لم تتعرض لبعض الأشياء المهمة الحاصلة في تلك الزيارات ، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمال الشركية ، وليس ذلك لأن الشيخ لا يرى ذلك من المخالفات ففي الأثر الثاني سيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرسالة مبتورة أو ضائع منها بعض الأوراق ، ويشهد لذلك قول ابنه الشيخ " عبد الرحمن بكير " في خاتمة الرسالة : ( انتهى ما وجدناه بخط الوالد ويقلمه ، عليه رحمة الله ، وربما كان للموضوع بقية فلنحتفظ بالموجود ولنبحث عن المفقود ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه )<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> رفع الحمار ص ( ٢٥ - ٢٦ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق في نفس الموضع .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٣٢ ) .

أما الأثر الثاني : للشيخ بكير فهو " تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد " ، وهي رسالة صغيرة لازالت مخطوطة ، اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير بنسخها من خط والده ، وفرغ من نسخها يوم ( ٢٤ ) من شهر شعبان عام ( ١٣٩١ هـ ) ، وقد كان الشيخ عبد الله رحمه الله كتبها عام ( ١٣٤٣ هـ ) ، وتقع في حوالي ( ٤٠ ) صفحة ، بداها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضاء والقدر ، ثم عنون ( وجوب الاعتماد على الله وحده ) وأورد تحت هذا العنوان الآيات والأحاديث الدالة على ذلك ، ثم ثنى بـ ( لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه ) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناسبه ، ومما يؤكد حرقة وغيرته على التوحيد والاتباع كثرة شكواه من المتزيين بزي أهل العلم الذين يرون المنكر فلا ينكرونه ، بل يشارك بعضهم فيه ، والبعض الآخر يُري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه .

وكان من عناوين هذه الرسالة غير ما ذكر : ( من يتوكل على الله فهو حسبه )<sup>١</sup> ، و ( الاستعانة لا تكون إلا بالله )<sup>٢</sup> ، و ( دعاء غير الله شرك )<sup>٣</sup> ، و ( ألفاظ شركية تلفظها العامة )<sup>٤</sup> ، و ( اعتقادات شركية تعتقدها العامة )<sup>٥</sup> ، و ( يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك )<sup>٦</sup> ، و ( وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن )<sup>٧</sup> ، واستمر متعرضاً للعلماء المفتونين ، ثم انتقل إلى البدع وركز على بدعة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها ، وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الدفوف في المساجد ، كما أخذ يكرر العناوين الدالة على كفر وشرك من يدعو غير الله وأن ذلك من الكفر الصريح ، كما فرق بين التوسل والدعاء ، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة كما جاء في

<sup>١</sup> تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد مخطوط ص ( ٤ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ٦ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٧ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٨ ) .

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ( ٨ ) .

<sup>٦</sup> المصدر السابق ص ( ٩ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص ( ٩ ) .



الأحاديث الصحيحة لكن ينبغي الدخول من بابه <sup>١</sup>، وبين دعاء غير الله الذي عبر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر أن المبتدعين جهلة غير مؤتمنين على الشريعة <sup>٢</sup>، وبعده تعرض لبداية عبادة الأصنام وأنها كانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنون ( البدع في الدين ابتداءً وسيلة من وسائل الشرك انتهاءً ) <sup>٣</sup>، وهكذا يمضي مع البدع ليقول : ( نهى الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك ) <sup>٤</sup>، و ( جميع بدع القبور منافية للدين ) <sup>٥</sup>، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع، ثم يأتي للقوم من الباب الذي لا يستطيعون سده فيقول : ( مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور ) <sup>٦</sup>، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: الصلاة عند القبور والوقوف والنذر عليها أو لها <sup>٧</sup>، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لأنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره التبرك بذلك القبر إلى الشرك، فإن الموالد أولى من ذلك لأنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه <sup>٨</sup>، ثم يختم بنقد الزيارات القبرورية وقد سبق تفصيل رأيه في ذلك عند الكلام على " رفع الخمار عن مثالب المزار "، ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

بقي شيء لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البدع القبرورية للسيد علي ابن محمد الحبشي، واعتباره غير راض عن ذلك لما عرف عنه من العلم والورع والتمسك بما كان عليه سلفه من علماء آل باعلوي بحضرموت، وهذا إحسان ظن من الشيخ بالسيد علي المذكور، ربما لأنه لم يطلع على كتاب " كنوز السعادة الأبدية " والذي جمعه أحد طلاب

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ( ١٦ ) .

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ( ١٨ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ٢١ ) .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢٢ ) .

<sup>٥</sup> تطهير الفؤاد ص ( ٢٣ ) .

<sup>٦</sup> تطهير الفؤاد ص ( ٢٥ ) .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ص ( ٢٩ ) .

<sup>٨</sup> المصدر السابق ص ( ٣٢ ) .

علي الحبشي من كلامه ، والذي يحوي من الخرافات ما لا مزيد عليه ، وكذلك نقل بعض صور القبرورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسان ، بل في معرض التعليم للناس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد .

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هذا الكلام لغير رأيه ، ولم يدافع هذا الدفاع الكبير عن علي حبشي والله أعلم .

#### المؤلفات المضرة في الرد على القبرورية لعلماء حضرموت:

(١) العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبرورية إحداهما " فتوى حول الاستغاثة بغير الله " مطبوعة وهي رسالة قصيرة ، والثانية رسالة بعنوان " دق بالسمار على الضاريين بالطار أو نصيحة وإنذار " وموضوعها الاعتراض على السماع الصوفي أو ما يسمى عندنا في حضرموت " الحضرات " في المساجد والمشاهد .

(٢) العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بكير عضو هيئة الافتاء الشرعية ، من المعاصرين حفظه الله وله رسالة بعنوان : " شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب " وهي رسالة كان الباعث عليها الهجمة الوقحة التي شنّها رجال ومسؤولو الجبهة القومية أيام حكمها على مقابر المسلمين ودكها للبناء عليها وتمير الطرق فيها دون مبرر ، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية .

(٣) العلامة الشيخ الفقيه أبوبكر أحمد بن عبد الله الخطيب الأنصاري التريمي الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ( ١٣٥٦ هـ ) ، له رسالة صغيرة اسمها : " نصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان " توجد ضمن مجموع فتاواه المسمى " الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة " جمع سالم بن حفيظ ابن عبد الله بن حسين بن الشيخ أبي بكر ابن سالم ، من ( ٣٠١ - ٣٢١ ) من ذلك المجموع .

### المبحث الثالث

## الردود الواردة على القبورية في كتب الفنون المختلفة وفيه أربعة مطالب :

### المطلب الأول : الردود على القبورية في كتب التاريخ :

إن جميع من له إدراك وفهم - ولو كان بسيطاً - يدرك بسهولة ضلالات القبورية وانحرافاتهما ، وقد تناثر نقد العلماء وردهم على تلك الضلالات والخرافات في ثنايا ما كتبوا من شتى الفنون ، و أنقل إليك جملة مما ظفرت به من كلامهم :

فمن المؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكويع رحمه الله يقول في مقدمة السلوك للجندي منتقداً عليه شدة ولوعه بتتبع الكرامات والزيارات وما يقال عن المقابر وما لها من فضائل : ( ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة ويشكل جدي وكبير بذكر كرامات الأولياء والمنامات والمرائي الخلابة التي هي أغرب من الخيال وتلحق بقسم المستحيل ويحدث خرافة . وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسخة لا تقبل الجدل والمناقشة وعن

نفس مؤمنة بذلك خصوصاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات . والحق أن أكثرها بالخرافات أشبه وبخرق العادات اعلق بوابله السذج الصق ، لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حيز المحال والتجديف ، على أنا لا ننحي باللائمة على مؤرخنا الجندي الذي انساق وراء هذه العاطفة الروحانية الزائفة لأن الوسط الذي كان يعيش فيه الجندي كان ملغماً بهذه الخرافات ، ومنغمساً في هذا الجو القدسي في نظرهم كما سبقه إلى هذا غيره ، وسير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات .

### خدعة الملوك :

ومما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفوا وراء هذه الظاهرة ومع السواد الأعظم وفي هذا المسار كما يحكي لنا الجندي في بعدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم .

وأعتقد جازماً أن انسياق الملوك والرؤساء وراء هذه الروحانية الزائفة "خدعة سياسية" لا تمت إلى عقيدتهم بصلة ، كيف لا وبعض الملوك مهزوز العقيدة مضطرب في الإلهيات . وإنما يقصدون من وراء ذلك تضليل العامة وجعلهم في متاهة الجهالات وحتى يبتعدوا عن تتبع مساوئ الحكام والبحث عن كبائر جرائمهم وقد يكون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم .

ويبدو أن هذه الظاهرة وهذه البلوى عمت جميع الأقطار الإسلامية ، وما السيد البدوي والدسوقي والسيدة زينب وأضرابهم في القطر المصري والشيخ عبد القادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغداد والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلا من هذا القبيل .

أما كرامة أولياء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأولياء المسلحون الذين يحملون السيف والرمح ويجالدون على الإمامة ويقاتلون دونها ، وذلك مثل الإمام الهادي والإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين وسيل الليل أحمد حسن وغيرهم ، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجائب وغرائب . وتعليل هذه الظاهرة والموجه العارمة التي نزلت في بلاد الإسلام، هو ابتعاد المسلمين عن روح الدين الحنيف الصحيح الذي جاء عن محمد بن عبد الله ﷺ وأتباعه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وبما أدخله أعداء الإسلام من الشوائب والبدع التي صدأت جواهره الصايف النقي وولدت مثل هذه القضايا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل ، وصدق رسول الله ﷺ (( لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ))<sup>١</sup> هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة ، فمن شاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ، وفي كتاب الله جل شأنه ما فيه مقنع ، وحسبنا ذلك )<sup>٢</sup> . وهكذا نرى هذا العلامة المؤرخ ينتقد هذه الظواهر ، ويحللها ، ويبين موقف الحكام منها ، ويربط بين تبنيهم لها وسياسة الملك التي يعملون على تشبيبتها وأنهم ما جاروا القبورية إلا للاستفادة منهم في ذلك .

<sup>١</sup> تقدم تخرجه ص ( ٨٢ ) .

<sup>٢</sup> مقدمة السلوك للحندي ( ٢٧ / ٢٨ )

**المؤرخ الثاني : القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع وهو أخو القاضي محمد** وقد تعرض للقبورية في عدة مواضع من كتابه "هجر العلم" منها ما في بيت الفقيه في ترجمة "أحمد بن موسى بن العجيل" حيث قال في معرض الترجمة : ( وكان على قبره تابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٤٨ هـ حينما كان ولياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرائيق - التي كانت تعرف من قبل بالمعازية - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها ، ودخولها تحت حكمه . كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يَفْرُس من ناحية جبل حبشي سنة ١٣٦٢ هـ لاعتقاد جهلة العامة في صاحبي القبرين الضر والنفع ، وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالتين ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه ، ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة ، ويرجون منها النفع ، يدفع الضر والشر )<sup>١</sup> ، ثم ذكر كلام الشوكاني في وصف قبة الإمام "أحمد بن الحسين" نقلاً عن الدر النضيد وتقدم ذلك النقل<sup>٢</sup> ، ثم ذكر رسالتين مهمتين لإمامين من أئمة الزيدية يأمران فيهما ببناء مشاهد على قبور بعض المقربين إليهما ثم قال حفظه الله : ( وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركة امتثالاً لأمر الرسول ﷺ لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ بهدم القبور ، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : " قال لي علي بن أبي طالب ؑ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"<sup>٣</sup> . وأفضل التشيع بالإمام علي رضي الله عنه الاقتداء به ، والعمل بسيرته التي هي مقتبسة من سيرة المشرع العظيم رسول الرحمة ﷺ إذ لا يكفي المحبة باللسان والمخالفة في العمل )<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> هجر العلم (١/٢٢٢-٢٢٣) .

<sup>٢</sup> انظر : ص (٥٨٢) .

<sup>٣</sup> تقدم تخريج الحديث ص (٥٤) .

<sup>٤</sup> هجر العلم (١/٢٢٥) .

وفي ذي الجنان "قرية أحمد بن علوان" قال في ترجمة ابن علوان : ( وقد فتن به العامة في عهده وبعد وفاته وحتى اليوم فقبره مقصود للزيارة وكنت أعتقد أن افتتان الناس به إنما حدث بعد وفاته )<sup>١</sup> ، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصيدة له في هدم قبر ابن علوان وستأتي إن شاء الله في موضعها ثم قال : ( ولكن الأخ القاضي فضل بن علي الأرياني أطلعني على قصيدة لأحمد بن علوان تدل على أنه كان يدعي لنفسه أموراً خارقة للعادات ، نذكرها هنا ، ونذكر كذلك جواب الفقيه علي المقصري السرددي عليها ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كان يزعم لنفسه كرامات أختص بها وأن اتباع طريقته قد فتنوا به في حياته . نسأل الله الهداية والتوفيق إلى اتباع أحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ على الوجه الذي يرضاه )<sup>٢</sup> . وهذا كله يدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة المعتقدة ومقته للقبرية والقبوريين .

**المؤرخ الثالث : الأستاذ صلاح البكري وهو من مؤرخي حضرموت المنتمين إلى جمعية الإرشاد بإندونيسيا وقد عنون في كتابه "تاريخ حضرموت السياسي" هذا العنوان "الخرافات" عدّد تحته الكثير من تلك الخرافات المتعلقة بالقبور وبالاعتقاد بالجن وتقديم ما يدفع شرمهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن وأبان من يقف وراء تلك الخرافات ، ولا أطيل فهذا نص كلامه : ( ولقد ابتنى بعض العلويين قبباً كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله ، ووضعوا على أجدادهم التوابيت ، ودعوا الناس لزيارتها ، والتبرك بها ، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات ، وقد يوجد في القبة خزانة " تيح " في داخلها إناءان : أحدهما للنقود والآخر للزيت الذي يقدمه المريض لطلب الشفاء ، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والندور ، وقد يبالغ بعض المرضى في الضلال فيأكلون قليلاً من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء ، واني لأذكر أنني حينما كنت في حضرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصبت بحمى ، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار العلوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر ، وأكلت قليلاً من تراب قبره<sup>٣</sup> وقبلت تابوته ، وتوسلت إليه ليذهب الآلام ، ويعيد إلي صحتي كاملة غير منقوصة ، ووضعت في الخزانة**

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٧٥٠/٢ ) .

<sup>٢</sup> هجر العلم ( ٧٥١/٢ ) .

أوقية وربيعاً ، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد ، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي ، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقادي في الهدار واعتمادي عليه من دون الله ، فذهبت في الحال إلى السوق وابتعت رطلاً من زيت السمسم ، ثم ذهبت إلى قبة الهدار ، ووهبت له الزيت في الخزانة ، وهكذا ذكرت صاحب القبة في السراء والضراء خفية وجهرة ، وهو لا ينفعني بشيء ، ولم أذكر الله عز وجل ، الذي هو أقرب إلي من حبل الوريد ، وببيده كل شيء .

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التماثيل والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجات ، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقون المريض ماءً ممزوجاً بيزاقهم للشفاء ، ويتجرع هذا المريض " المغفل " ذلك البزاق القذر ، وهو مسرور كل السرور متوهماً أن الشفاء آت لا ريب فيه .

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السيئ في عقلية الشعب ، وتسميم أفكاره بؤا فساد عقيدته ، وفي مقدمة هذه الكتب " المشرع الروي " لصاحبه الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي المشحون بالكفريات والخزعبلات ، ثم كتاب : " الجوهر الشفاف " وغيرهما .

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا في أيمانهم أكثر مما يخافون الله ، فقد يطلب المشتكي من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن ، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوة الانتقام إذا كان المقسم حاثناً ، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي :

الاسم	المكان	الاسم	المكان
أحمد بن زين الحبشي العلوي	حوطة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي	عينات
عبدالله العيدروس العلوي	تريم	سعيد بن عيسى العمودي	قيدون
عمر بن محمد الهدار العلوي	حوطة أحمد ناصر	معروف باجمال	بضة
علي بن حسن العطاس العلوي	المشهد	عيدروس بن عمر الجيشي العلوي	الغرفة
حسن بن صالح البحر العلوي	ذي أصبح	عمر المحضار العلوي	تريم

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجرة في جافة أو في غيرها ، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه ، ويربطه باللعب ، ويقذف به في الحائط ، ولا تمضي سنة إلا وقد نال مطلوبه ؛ ولذلك تظهر الحيطان في بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان .

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَلٌ مراراً ، ثم يقطع جزءاً من أذنه ويلصقه في ذراع المريض ، ويذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذي أشار لهم بتلك العملية جزءاً كبيراً منه . وأول ما يعملهُ الشخص الذي يريد أن يبني بيتاً أن يدق أربعة أوتاد في البقعة التي سيبنى فيها المنزل لطرد عين السوء ، وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحانيين ، وعندما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبة كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأول مرة في البحر بكسر زجاجة خمر ، وفي بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة ، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب . وبعضهم في أثناء عملية البناء ويأكل البناؤون لحمها ، ويريقون دمها على الحيطان ، وعندما يدخل صاحب البيت لأول مرة يكسر بيضتين على عتبة الدار ، وآخرين على الدرج ، وآخرين عند الطابق العلوي<sup>١</sup> .

والمؤرخ الرابع : الذي نستشهد ببعض كلامه هو الأستاذ كرامه سليمان بامؤمن صاحب كتاب " الفكر والمجتمع في حضرموت " وهو كتاب حديث تناول موضوعاً مهماً جداً وجانباً حساساً من جوانب الحياة في حضرموت ، هو جانب الفكر مرتبطاً بالمجتمع ، وقد كشف أسراراً وأبان مخبات لم يرق للبعض ظهورها ولذلك فالكتاب ومؤلفه مستهدفان بالتشهير وهذا أقل ما يمكن أن أقوله ، و إلا فيمكن أن يكون أكثر من التشهير ، واليك نموذجاً واحداً من ألصق ما احتوى عليه الكتاب بموضوعنا " القبورية " قال - حفظه الله - تحت عنوان " نقد الفكر الصوفي ما له وما عليه " :

<sup>١</sup> تاريخ حضرموت السياسي ( ١١٩-١٢١ ) .



(الإنسان كما أشرنا سابقاً مكون من جسم وروح لا يفترقان إلا عند الموت . والتوازن بين نشاطهما هو ما دعا إليه الإسلام . والتصوف جنوح نحو نشاط الروح مقتبساً فلسفته من ثقافات الأمم السابقة للإسلام ، خاصة الثقافة المسيحية التي سنت الرهبنة والتنسك والخلوة في الكهوف والأديرة ، وترك طبيبات الحياة المباحة كعدم الزواج عند الرهبان والراهبات قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ الحديد : ٢٧ ، والاعتدال في التصوف قولاً وعملاً والإلتزام بالكتاب والسنة دون تأويل ومغالاة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشريعته الإسلامية . وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضرموت وقد وقفوا في وجه الغلو والانحراف الصوفي واستنكروا ما صدر من المغالين من شنود وانحراف ومحدور قولاً وعملاً .

ومما يعقد مشكلة التصوف الضعف البشري أمام حالات مذهلة تتراءى للمتصوفة فتفقدتهم توازنهم ولا يثبت إلا الراسخون في العلم والعقيدة . ولا سيما أن كثيراً من مثل هذه الأحوال وخوارق العادات تحصل للبر والفاجر وللمسلم وغير المسلم . ناهيك عن أن للشيطان أحابله لغواية الإنسان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثير مما يصوره بعض الصوفية أنه كرامات كما تستغل الصدق والفراسة للإدعاء بالكرامات .

ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشنوؤهم ، عليهم أنفسهم فحسب فهذه أمرها سهل ومحصور . وإنما الخطر كل الخطر في التأثير على الناس والمجتمع وخاصة على العوام والسذج لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثراً وانصياعاً لمؤثرات الفكر الصوفي المنحرف . ويجب أن ننظر إلى المتصوف وأحواله حالة خاصة به وحده . أما أن يجعل من أحواله وتصرفاته منهاجاً يقتدى بها - وإمامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى أصحاب رسول الله والتابعين ومن اهتدى بهديهم- فهذا مما يجب أن لا يكون ولا يصح إطلاقاً أن نجزيء القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح إلى ظاهر للعامة وباطن للخاصة يؤلون معاني ألفاظ القرآن الكريم كما نزلت من عند الله على رسول الله ﷺ ، وألفاظ السنة كما تحدث بها الرسول ﷺ لعامة المسلمين ويطلقون عليها علوم الشريعة .

وفي تقديرنا إن أخطر وأوسع ثغرة فكرية تهدد بنيان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هذا المدخل في تجزئة القرآن الكريم والسنة إلى ظاهر وباطن وإلى شريعة وحقيقة. ولا تقف الخطورة عند تجزئة الإسلام إلى منهاجين وعلمين أحدهما للخاصة والآخر للعامة بل تتعداها إلى تقسيم المجتمع الإسلامي إلى طبقتين أو فئتين اجتماعيتين هما فئة التعالى وهي فئة الخاصة المحدودة في المجتمع وفئة الأتباع- وهي فئة العامة العريضة في المجتمع - ، ويتمادى التمييز الاجتماعي في غيه عندما تكون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحياة ومعايش وسعادة فئة العامة من خلال سلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها الديوان المصري وجهازه التنفيذي الهرمي اللذان تطرقنا إليه فيما سبق .

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجده مليئاً بحالات التصرف المطلق من قبل الأقطاب والأولياء والأحياء والأموات في حياة الناس من شفاء الأمراض ، ورزق الأطفال ، وغفران الذنوب ، ورد الكوارث ، وتأديب المتطاولين ، وقتلهم أحياناً بالقدرة ، واستئناف حياة الأموات من جديد واللقاء بالأحياء . يقول السيد علي بن حسن العطاس ( من قام لله بالقدرة كلامه يتم ) . وهناك من يقول تأكيداً لمقولة العطاس هذه : ( إن بعضهم كان يكلم الصوفي الشهير بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بعد موته ويشاوره ) . في أموره . كما يروي البعض الآخر أنه كان يخاطب الفقيه المقدم أمام قبره بل ويخرج الفقيه المقدم من قبره ليتناول مع زائره القهوة ، ويتبادل أطراف الحديث .

إن عودة الروح مسألة قديمة وكان فراعنة مصر يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد بعد الموت . ولهذا كانوا يهيئون مدافنهم كالأهرامات كل ما سيحتاجه الميت من أدوات ومأكولات وغيرها . بينما يروي لنا الرسول ﷺ أن روح المؤمن بعد وفاته تُعلّق على شجر الجنة ولا تعود إلى الجسد إلا عند البعث . وفي الواقع إن كيفية حياة الإنسان بين الموت والبعث وعلاقة الروح بالجسد وعذاب القبر ونعيمه ، وتلاقي الأرواح هي من الغيبيات ، ونكتفي بالتسليم بما جاء نصه في القرآن والحديث ولا نزيد . ويعلمنا الرسول ﷺ أيضاً أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ورثه لعلماء ينفعون به الناس ، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته ، وابن صالح يدعو في حياته لأبيه الميت . إن التطرف في تمجيد الأولياء والأقطاب

<sup>١</sup> الصحيح " تعلق في " والمعنى أنها تاكل .

يؤدي الأولياء أنفسهم ويخرجهم عن بشريتهم . وقد تبرأ الرسول ﷺ من الغلو في الدين . أو طلب شيء منه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ (الكهف - ١١٠) <sup>١</sup> .

ونقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمؤرخي أهل السنة والمعارضين للقبورية ، ولكن بعض المؤرخين المحسوبين على القبوريين هم كذلك ينقدون هذه الأمور ويحذرون منها ، وقد تقدم كلام المؤرخ العلوي علوي بن طاهر الحداد في مباحث الزيارات القبورية وقد كان شديد الانتقاد لهم مصرحاً بأن بعض تلك العقائد والأعمال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك <sup>٢</sup> .

#### المطلب الثاني الإردود على القبورية التي جاءت على السنة الشعراء :

وهذا الباب واسع جداً فقد تفنن الشعراء في الرد على القبورية من جوانبها المختلفة ، فمن ناقد لبعض العقائد ، ومن ناقد لبعض البدع والأعمال كالسماع ونحوه ، ومنهم من ينتقد المتظاهرين بالولاية ممن هم في الحقيقة من المحتالين على خلق الله ، ومنهم من يصف القبور المعظمة وما يفعل عندها من مناكر وضلالات ، وهذه بعض تلك القصائد :

وأبدأ بشاعر من شعراء حضرموت وكبير من كبرائها العلامة الشاعر الصوفي المتشيع أبو بكر بن شهاب الدين العلوي المتوفى سنة ( ١٣٤١هـ ) ، وله قصيدتان الأولى في كشف مخاريق من يدعي الولاية ويتظاهر بمظاهرها ويتقمص لباسها ، ثم من وراء ذلك يختل الغافلين ويصطاد أموال الجاهلين ، بل ويتعدى الأمر إلى النساء وما يفعل تجاههن باسم الدين والولاية .

قال جامع ديوانه ( وقال نفع الله به في وصف دجاجة المتصوفة بزماننا :

هل للغرائب من حكيم عاقل	أو عالم يقضي بحكم فاصل
أمن الذئاب المعط صنف ناطق	في صورة البشر السوي الكامل

<sup>١</sup> الفكر والمجتمع ( ٢٢٨ - ٢٣٠ ) .

٢ ص ( ٤١٠ ) .

أقول : كلا والعيان مكذبي  
معط الذئاب الناطقات هم الألى  
فترسموا برسومه كي يحسبوا  
يضعون للتمويه والتغريب في  
لبسو العبايا والمسابح والحبى  
والمظهرين البر والتقوى وإد  
وإذا خلوا عكفوا على شهواتهم  
هجروا كتاب الله واستغنوا بأل  
زعماء بأن الطار والمزمار والـ  
أيقوم دين الله بالسفهاء من  
بئس الطوائف لا مرام لهم ولا  
ولهم حبائل لا اجتلاب المال لم  
ويطوف أطراف البلاد دعائهم  
ممن يبيع ولا يبالى دينه  
في كل واد لا تطيش سهامهم  
ويذيع كل ما افترى من نعت شي  
من صومه وصلاته وقيامه

كلا بل المفتي أسير السائل  
جعلوا التصوف صنعة للداجل  
صوفية مثل الفضيل الفاضل  
مشكاة نور الحق نار الباطل  
والطيلسان يدار فوق الكاهل  
مان التنسك خدعة للجاهل<sup>١</sup>  
من لاعب أو شارب أو آكل  
حان السماع ورقصه المتداول  
أوتار تنعش كل قلب ذاهل  
ذي مزهر أو زامر أو طابيل  
مرمى سوى جمع الحطام الزائل  
تدرك غوائلها لغير الفاتل  
ودعاتهم من كل صل صائل  
بيع المزاد ولو بشاة شائل  
مع كل حاف يخفدون وناعل  
خهم الغوي ولو خرافة هازل  
جنح الظلام وزهده في العاجل

\*\*\*

يروون عنه خوارقاً للرسول ما  
ولأجل نفي الريب مهما حدثوا  
وهناك الأستاذ يجهد فكره  
يترقب الفرص التي فيها قطيـ

وقعت ولا اتفقت لساحر بابل  
حلفوا لسامع إفكهم والقابل  
في سلب ثروة كل غرغافل  
ع الصيد يبدو مكتئباً للنابل

<sup>١</sup> في الأصل للحافل .

يثني على أهل الثراء مصوباً  
 زيد ربيع ندى وعمرو في مقاً  
 ويشير رمزاً في الحديث بأن ما  
 حتى إذا اعتقدوا علو مقامه  
 غمروه جوداً واستزاروه التما  
 ولمسحه رأس الصغير ووضعوه  
 ومتى تحكّم مصلحاً في حالة  
 وتراه يصدع بالمواظظ خاطباً  
 يملئ زخارف زوره متاوهاً  
 طوراً يرغب في الثواب وتارة  
 وإذا رأى في الجمع من أكياسه  
 أوحى إلى أحد الشياطين الألى  
 فيقول : يا مسكين زرع شيخ الشيب  
 وإذا أتى ألفاه في المحراب في  
 ويقال بعد الانتظار هنيهة :  
 ولك البشارة إن رزقت ولاءه  
 فإذا تقدم قال شيخ السوء أه  
 إنني لرؤيتك ابتهجت ولست أد  
 فاعل في لوح السوابق بيننا  
 ولعل حالك في أمور الدين والد  
 إن كنت محتاجاً فخذ ما تبتغي  
 لا تخش إملاقاً علي ولا علي  
 أعلمت أنني بعد ختم وظيفتي  
 فرأيت أنه صلى عليه الله مب

أفعالهم مستدرجاً للفاعل  
 م كذا ويكر في الرعيل الواصل  
 يحكيه من إلهام غيب نازل  
 ومشيت عليهم حيلة المتحائل  
 ساً للتبرك في المقر العائلي  
 يده الكريمة فوق بطن الحامل  
 جعل البخيل فريسة للبادل  
 في القوم بهرة كل جمع حافل  
 متباكياً ليرق قلب الناكل  
 أخرى يندد بالللثيم الباخل  
 ملأى من التبر الوفير الطائل  
 منهم تعوذ كل غول غائل  
 وخ تنل به أقصى أمانى الأمل  
 جد وشغل بالعبادة شاغل  
 أدخل فانت اليوم أسعد داخل  
 بالانتشال من الحضيض السافل  
 لا يا بني ومرحباً بالواصل  
 ري سر هذا الابتهاج الحاصل  
 سر اتصال بالأواصر واغل  
 نيا على دعة ولطف شامل  
 تقوى به وتقيم ميل المائل  
 ك فنحن في كنف الرسول الكافل  
 سحرأ أعرتني غفوة المتناقل  
 تسمأ يقول وكان أصدق قائل

أبشر فأنت وتابعوك بدمتي  
نب عن نبيك في مواساة العفا  
جُد بالنوافل ما استطعت على اليتا  
خذ ما تشاء من امرىء سبقت له ال  
وأنا الضمين لمن يعينك بالغنى  
فيصدق المسكين كاذباً قصة  
فيشاطر الأستاذ خالص تبره  
ولكم لهم في السر غامض حيلة  
ولهم من الجنس اللطيف لطائف  
لكن على الأزواج عار المرسل  
هذي طرائقهم وهذا شأنهم  
أفهمنا كانت طريق مشايخ ال  
كالتستري وكالسري والكالجني  
كلا وحاشى بل هم عمد الهدى  
الزاهدون المتقون العارفون  
وهم البراء من الألى كذبوا على  
فإليك ربي المشتكى وبك العيا  
واسمح بإرشاد الجميع إلى طريق  
وتغش بالرحمات روح المصطفى  
ضاعف صلاتك والسلام عليهما  
والصحب من بسوفهم ثلث عرو

ورعايتي لقيمكم والراحل  
ة المعوزين وفي عظة الجاهل  
مى والأيامى والفقير العائل  
حسنى ولم يعبأ بعذل العاذل  
طول الحياة وفي الجنان مخاللي  
ممزوجة بزعماف سم قاتل  
لسداد ذي عوز ورفد أرامل  
إبليس لم يطمع لها بمماثل  
أبت المرأة شرحها للنافل  
ت فهم أشد بلادة من باقل  
تعا لهم من خائن ومخاتل  
إسلام أرياب السلوك العادل  
د الحبر والشبلي أو كالشاذلي  
وسحائب الفيض العميم الهاطل  
بريهم من كل برعامل  
حضراتهم وخصومهم في الأجل  
ذ من انتقامك والعذاب الهائل  
ق الحق واصفح عن خطايا الخاطل  
والمرتضى تعداد طش الوابل  
وينيها مدد الوجود الشامل  
ش الشرك واندرست رسوم الباطل

ما تاب ذو خطئ وأب مفرط وأناب عبد في العتيم الحائل<sup>١</sup>  
وهذه القصيدة تجسد حال الكثير ممن يدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية ، بل  
على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد ، وهؤلاء لاشك يخرجون من تحت عباءة  
المتصوفة والشيعية القبرية .

وهناك قصيدة أخرى لهذا الشاعر في نفس المعنى أضيفها هنا .  
قال جامع ديوانه : ( وقال نفع الله به :

والجهل يرمي ربه بالهوان	العلم والمجد رضيعا لبان
يخاف أن يفضحه الامتحان	لا يدعي العلم امرؤ جاهل
وإن جرى البحث الشروء الجبان	فهو لى أشكاله باسل
العلم نور مشرق في الجنان	بلى يقول الجاهل المدعي
في القلب لا قلقه باللسان	العلم سر الله إلهامه
كتب وللأحكام فيه البيان	العلم إما ظاهر وهو في الـ
وهو لديهم واجب أن يصاب	أو باطن يعرفه أهله
في أشرف القسمين رب العنان	يومي بما يملئ إلي أنه
بمثل هذا فالأمان الأمان	وقد علت أصوات أمثاله
خوغاء شكوى من رماه الزمان	نشكو إلى الرحمن من هذه الـ
ء قارىء همساً وذئ طيلسان	من ماكر ذي سبحة أو مرا
يلفظ بالقول الكثير المعان	ورامز بالغيب في حيلة
في الرمي لا يصطاد إلا السمان	رواد صيد كلهم حاذق
كشف وتزوير المرائي الحسان	شباكهم دعوى الكرامات والـ
وذاك يستخبره بالعيان	هذا يرى المختار في نومه
يحضرفي كل مكان وأن	كانه من بعض أتباعهم

<sup>١</sup> ديوان ابن شهاب ( ١٩٣ - ١٩٦ ) طبع مكتبة التراث الإسلامي صعدة ، ودار التراث اليمني صنعاء ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

ومنهم المخبر عن برزخ الـ  
وقد أراني الله شيخاً له  
فقلت: ماذا نابه ؟ قيل : من  
أف لقوم همهم كيدهم  
بالمال تلقاهم سكارى كما  
إن أحسن الظن بتلبيسهم  
من كل ما الإنسان يخشاه من  
وإن رأوا في عقله خفةً  
وكم وكم قد موهوا زائفاً  
يا رب يا منان أنت السريـ  
وفق رجال الدين للصدق والـ  
ونزه الإسلام عن غش أهـ  
واغفر ذنوب الكل واصفح ومن وصل  
أزكى ما تصلي على  
والآل أهل المجد والصحب ما

موتى شقي أو سعيد فلان  
جماعة رجلاه مصفرتان  
وطء حشيش الجنة الزعفران  
وجمعهم للمال من حيث كان  
يسكر من يشرب خمر الدنان  
مُثِرُواوا تطهيره بالختان  
مستقبل الدارين يعطي الضمان  
باعوه في الدنيا قصور الجنان  
فظنه البله ثمين الجمـان  
مع الغوث والمفزع والمستعان  
إخلاص والإعراض عن كل فان  
لـ المكر والتدليس كيلا يهان  
قلوبنا اغسل كل ريب ووران  
من أشرقت من نوره الخافقان  
أمالت الريح الغصون اللدان<sup>١</sup>

وللشاعر الأديب والعالم الثبت - مفتي حضرموت في زمانه والشاعر المبرز على أقرانه  
العلامة عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف - نقد لاذع وبيان ساطع في نقد دجاجة الصوفية  
والتاجرين بالولاية حسب تعبيره ، إليك بعضاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع :  
(وقد اتفق لي في شرح الشباب أن أفضت في درسي كجاري عادتي في النعي على الخرافيين  
وتفنيد مزاعمهم وأنكرت قول بعضهم : إن أتان الفقيه المقدم - قدس سره - كانت تعرج الى  
السماء وتأتي بخبرها طرقي النهار ، مع أن البراق لا يقدر على ذلك ، فلو أنها حضرت ليلة  
المعراج لأغنت عنه : لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح ، وقول بعض آخر عن بعض

<sup>١</sup> ديوان ابن شهاب ص : ( ٢٣٧ - ٢٣٨ ) .



العلويين : إنه كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر فتزوج فلاحه ، فنشزت الشريفة؛ فخيرها بين الرجوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحه ، ولما أصرت فعل ما تهددها به ، وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول (وقول آخر أن أحد الأولياء مات عن زوجة صالحة من غير ولد فاشتد حزن تلك الصالحة وعظم وجدها عليه فكان يتردد عليها من ضريحه حتى أحبلها بعد موته ، فجاءت بولد نسبوه إليه .)

وطالما أنكرت مثل هذه الأضاليل التي لها يتدمر الإسلام ، وتنتكس الأعلام ، وتكل عن عد شرها الأقلام ، فما حصلت إلا على الملام ، وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي والتمضمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي - لولا وقاية الله .

ومع هذا فلا يتظننى امرؤ أني أحط من مراتب الأولياء السامية ، أو أغمط من فضائلهم النامية ، كلا والله فأنني أتبرك بمواطن أقدامهم وأتشرف بأن أعدّ في جملة خدامهم ، ويحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم ، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم ، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم بحال . ولا للنقد في طريقهم أبداً مجال ، ومن زعم أن بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال ، وقد قال الشعراني سمعت المرصفي يقول : لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وإنما هو عينها ، وقال سمعت الخواص يقول مراراً : ومن ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أو عكسه فقد جهل . انتهى .

وجاء عن غير واحد من العارفين أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اقتضى أثر الرسول ﷺ ، وقال : إذا رأيت الرجل يطير في الهواء وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة فقولوا إنه زنديق ، والأدلة في هذا عن الصوفية فضلاً عما سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر .

ولئن اشترط القشيري الحفظ للأولياء فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلا للأنبياء ، وقد أثر عن إمام دار الهجرة أنه كان دائماً يقول : كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر .

ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عريي " الطائي " من حياة أربعة من الأنبياء وأنهم لا يزالون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه : حسب الشيخ منا أن نؤول كلامه حتى

يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وأما العكس فمما لا سبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعب انتهي بمعناه<sup>١</sup>.

وقال في القصيدة الرابعة عشرة : (وهذه في وصف بعض حال الممّوهين ووجوب الاعتماد على والإطراح لما عداها).

سوق الفضيلة في أيامنا رخصا	كان ما فيه من درّ الكمال حصي
لا حظّ إلا لأبناء السفاح ومن	نمته أم حصان كابد الغصصا
ما زالت الناس قبلي يشكون لما	يلقون من قلة الأحرار والخلصا
واليوم أطلب إنسان فأعوزني	ولم أجد غير وحش تلبس القمصا
فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة	أم لا فأشكال هذا الأمر قد عوضا
ما للزمان قد استشرى الفساد به	والخير فيه على أعقابيه نكصا
غنيمة المرء بعد الناس عنه فلا	تفرح بات ولا تحزن لمن شخصا
ولا يفرّك زي النسك من أحد	فكم تنسك دجال ليقتنصا
يمشي الهويّنا بشئ في عمامته	كانه الرّوق لكن في امتداد عصا
كأنما هو حاو لا تفارقه	رقطاع يغوي بها من عقله نقصا
ممّوه يذكر الأخيار منتهزاً	بذكرهم من صفار الأنفس الفرصا
يروى غريب كرامات بلا سند	وربما اختلق الأخبار والقصصا
خلوا الخرافات والأحلام إن لنا	ديناً قويماً من الأوهام قد خلصا
ما في شريعتنا وهم ولا شبه	لكن عزائم صدق ما زجت رخصا
وهذه سيرة الهادي وسنته	من حاد عنها ولو قيد البنان عصي
خير النبيين من شباكه لنهي	أهل النهى قد غدا من حبه قفصا
له وللمرتضى منّا التحية ما	غنى الحمام وما بان النقا رقصا
وما هدي الركب بالريح النسيم وما	انضى الدليل بأنواعه الحدا القلصا <sup>١</sup>

<sup>١</sup> ديوان ابن عبيد الله (٢٥٨-٢٥٩).

الأستاذ الزبيري :

وللأستاذ الشاعر محمد محمود الزبيري مشاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بإزالة قبر ابن علوان وتسويته ونقل رفاتة إلى مكان مجهول ، فاهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصيدة طويلة مدح الإمام فيها بيتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال :

أو باعثاً أمماً أو هادماً صنماً	(كذلك المجد إما رافعاً علماً
ما لورأى جده المختار لابتسما	يا من يجدد من آثار أمته
وضعت فيه ذباب السيف فالتاما	جرح على كبد الإسلام متسع
بأن من دينها أن تعبد الوهما	خديعة للجماهير التي زعمت
ينهى ويأمر أنى شاء محتكما	قالوا له كتب في القبر يكتبها
أم أنه اتخذ القرطاس والقلم	فليت شعري أسحر ذاك يزعمه
عرشاً يدبر فيه اللوح والأمم	أم أنه اتخذ القبر المقيم به
يسعى بأكفانه للعرش مستلما	كاد ابن علوان إذ بردت مضجعه
ما كان وصاهم فيها ولا علما	يشكو إليك أناساً أحدثوا بدعا
هول السؤال يخاف الويل والنقما	جاؤوه وهورهن القبر منتظر
وقتا تضيع فيه الألسن الكلما	يعتد منطقة كي يستجاب له
صغيرة فيه فيما قال أو زعما	فبينما هو يخشى هفوة سلفت
جهرأ وتجعله ربا ، وإن رغما	إذا به يجد الدهماء تعبد
ويقرع السن من أعدائه ندما	فظل يرجف من خوف ومن خجل
إليه لو أنه أحى له قدما	فكاد يهرب من مولاه معتذراً
وكيف أرضى ربي عندك التهما	رباه ، إنني لم أرض الذي صنعوا !!
إليك صيرني أهل الهوى صنما	قد عشت عبداً فلما أن منقلبني

<sup>١</sup> ديوان ابن عبيد الله (٢٣٨-٢٣٩).

<sup>٢</sup> مجلة الإكليل (٣٩) مقال لعبدالله البردوني .

ترسموا الدين والآيات والحكما	ما كان أخلص توحيدي لو أنهم
عبادتي دون من أولاهم النعما	وكيف تخلق حلقاً ثم أسألهم
قهار تأخذ من ناواك واجترما	وكيف أطلب حقاً أنت مالكه الـ
أفلاك والشمس والأقمار والديما	وكيف أجعل نفسي ندّاً من خلق الـ
للموت طعماً ولا ذاقته له ألما	لو كنت أدفع عن نفسي لما وجدت
بين التراب وصارت جيفة ودما	لو كنت أزعمها ريباً لما دفنت
به الأناجيل والقرآن والحكما	ما كنت أمرهم إلا بما أمرت
وكننت أجزر من ثنى ومن ظلما	مادمت فيهم فقد كنت الشهيد لهم
ما يصنعون ، وكننت الشاهد الحكما	لما توفيتني كنت الرقيب على
نفسى وأعدل من جارى ومن حكما) <sup>١</sup>	وأنت أعلم من نفسي بما صنعت

وقد أطلال الزبيرى الاعتذار عن ابن علوان وأنه غير راض عما يغملة الناس عند قبره ، ولكن القاضي الأكوع كما سبق في المطلب الذي قبل هذا قد صرح أنه وجد من كلام ابن علوان نفسه ما يدل على افتتان الناس به في حياته وادعائه تلك الخوارق التي تحمل الناس على التعلق به ، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية .

وفي نفس الحادث يقول الشاعر المناضل زيد الموشكي :

وهذه "يفرس" والمنكر	(ياعين هذا الصنم الأكبر)
يعبده العالم لا يفتـر	هذا ابن علوان وذا قبره
وقد يفوق الأول الآخر) <sup>٢</sup>	ياعين هذا هبل آخر

الشاعر والأديب علي أحمد باكثير :

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبير والأديب الشهير ففي مسرحيته " همام ، أو في بلاد الأحقاف " قد شخص لنا الولي " ولي الله " الذي عرفه مجتمعه الحضرمي تلك الحقبة

<sup>١</sup> مـجر العلم ( ٧٥٠/٢ - ٧٥١ ) .

<sup>٢</sup> مجلة الإكليل مقال البردوني ( ٣٩ )

من الزمن الذي لم يبق علم ولا تصوف كما يصرح بذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الزمن ، وإنما رسوم ومظاهر وراءها نفوس فارغة من الصلاح ، وقلوب خاوية من الإيمان ، وعقول مردت على الكيد والاحتيال ، ويا ليت القوم كانوا عصابة سرقة أو قطع طريق أو شبه عصابات " المافيا " إذن لهان الأمر إذ يوجد ذلك في كل مكان ، ويأخذ الناس حذرهم منهم ، وتتحمل السلطات مسؤولية ملاحقتهم ، ولكن باسم الدين وباسم الولاية وباسم الكرامات هذا ما لا يطيقه مسلم عرف الإسلام ، لذلك جاء نقد الأديب باكثير عنيفاً وفي صورة صارخة من السخرية والهزء بهذا النوع من الناس فاسمعه يصف الولي المحتال :

ولي الله ذو الحبو	ة والأردية الخضرا
وذو والعمة المسواك	قد أرى على الشبرا
ورب السبحة الغار	ق في التسبيح والذكر
بها يذكر في الناس	ولا يذكر في السر
ومن يمشي بعكازين	من أتباعه الكثر
يطاطىء رأسه للأر	ض كالباحث عن سر <sup>١</sup>

وبعد أن كشف باكثير عن شخصية الولي الحي الذي يعتقد الناس فيه الصلاح وهو يمكر بهم ويحتال عليهم ، يتجه اتجاهها آخر إلى ولي ميت وماذا يدور حول قبره وأثناء زيارته ، وماذا يريد الناس منه ، ثم ختم المشهد بغضب همام وثورته على هذه الخرافات وهذا الجهل والتجهيل وقد صرح بذلك في وجه داعية الخرافة :

فهذا همام بطل المسرحية يسأل محمداً أحد أشخاصها قائلاً :

(محمدهات عن قيدو	ن ماذا كان من أمر؟
وما شاهدت في الموسم	من عرف ومن نكر؟
وهل وفقت في الإنكار	والتذكير والزجر؟

<sup>١</sup> في الأصل تقدم المسواك والصواب ما ذكر .

<sup>٢</sup> همام أو في بلاد الأحقاف لعلّي أحمد باكثير ص (٤٧) منشورات الصبان وشركاه ، الطبعة الثانية (١٣٨٥-١٩٦٥) .

فيجيبه محمد :

توافى الناس أفواجاً  
فمن ساعية تمشي  
هناك الساحة الكبرى  
بها ما شئت من لهو  
وقد غصت بأشتات  
تبارت ثم في الحلية  
وقد يقتلن بالمعصم  
من الظهر إلى العصر  
هناك الخسرفي الدين  
ولا يريح في تلك الـ  
وأما سادن القبـة  
تساق لداره الأكيا  
و" للصندوق " ما ييا  
إلى قيـدون كالنـر  
ومن راكبة الحمر  
تحاكي ساحة الحشر  
ومن لغو ومن هنر  
من الأساد والعفرا  
والأبراد والخمر  
أو بالنظر السحري!!  
إلى منبلج الفجرا  
وحسب الناس من خسر  
زيارات سوى التجـر  
فهو الرابع المثري!  
س من حب ومن تمر  
ع من ورق ومن تبرا

◆◆◆

ولما حضر الوقت  
وأُمُّوا نحو قبر الشـيـ  
يصيحون ولي الله  
أتيناك لكي تحمل  
وكي تسبل ياقطب  
وفي الأنفس حاجات  
أتيناك لكي تقضى  
تداعوا كضحى النفر  
خ بالطبل وبالزمر  
جئناك إلى القبرا  
عنا ثقل الوزر  
علينا ضافي السـتر  
بها ياسيدي تدري!  
ونحظى منك بالسر

◆◆◆

ولما وصلوا القبـة  
داروا دورة الحمـر

وأهوت راح ذاك الجمـ  
فلا تسمع إلا ما  
هناك الناس غير الناس  
فهذا خاضع شاك  
وهذا ينشج النشجة  
وهذا يرعد الرعد  
وهذا ينذر النذر  
وهذا صائح يا سيدي  
على عجزى وإهمالي  
وقد جُللت القبة  
وبيضات من البلو  
فمن حمرا إلى صفر  
ومصباح كبير الضوء  
وللتابوت معنى من  
قد اسود من التقبيل  
عليه ضباب الفضة  
فتبدو كثفور الزند  
فثم الضم والتقبيل  
تلاقى فيه دمعاً  
ولما سكن الجمع  
ترأى الناس شيخاً ذا  
ينادي أيها الناس إهـ

ع في التابوت بالنقر  
يصيب السمع بالوقر  
في الإخبات والذكرا  
وهذا دمعته يجري  
تستعصي على الصدر  
ة في أعضائه تسري  
وهذا جاء بالنذر  
عطفاً على فقري  
على ضعفي على ضري  
بالزينة والستر  
رعلقت على الجدر  
إلى زرق إلى خضر  
مثل الكوكب الدر  
جلال العتق والقدر  
في مختلف العصور  
في أسود كالحبر  
ج إذ تضحك من أمرا  
بالثغر وبالنحر  
الشاب والجارية البكر  
سكون الموج في البحر  
شقاشق فيهم هدر  
نأوا بالفوز والنصر

بهذي النعمة العظمى	بنيل الفضل والفخر
قصدتهم باب ذي عطف	وذي جود وذي بر
وأن الشيخ لا يترك	من زار بلا أجرا
عليكم بخلوص القصد	في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطا	ب والخدمة والصبر
وأياكم وسوء الظ-	ن بالصوفية الفر
فاهل الله هم جازوا	مناط النهي والأمر
ملوك لهم التصري-	ف في البر وفي البحر



سمعنا ان في ( حدري )	تبشير من الكفر <sup>١</sup>
تصدي ناشيء غر	بلاه الله من غر
يربي الشعر كالفسا	ق اذ يعنون بالشعر
تلقى من فنون العل-	م مازاد على القدر
فاغــــــــــــــــواه وارداه	وجاء النفع بالضر
ومن شقوته استحل	حميم الأدب المزري

جرى القلب لايعب-	أ بالتهديد والزجر
بيث السم في الجاه	ل والعلامة الحبر
يسيء الظن بالأقطا	ب أهل المدد السري
له أتباع سوء كل-	هم يدعوا إلى الشر



هنا قمت وقد ضاق	بي الواسع من صدري
-----------------	-------------------

<sup>١</sup> تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشيام وسينون وترتم ، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.



وما باليت بالغوغا	ء في عسكرها المجر
وقلت اسكت عجوز السو	ء يا داعية النكر
عدو الله والإصلا	ح اهل تهذي و لا تدري؟
أندعو الناس للنكر	وتهجو داعي الخير
فصاح الشيخ غولوه	فذا من شيعة الفر
فلولا أن تسلكت	من الجمهور بالفر
لكانوا أعدموني مهـ	جتي بالضرب والدفـ <sup>١</sup>



همام يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه :	
حماك الله من سوء	وقاك الله من شر
لقد قمت مقاماً لا	يوازي عظمة شكري
ولا بد لذي الإصلا	ح من عزم ومن صبرا <sup>٢</sup>

هذه بعض القصائد في نقد القبورية العامة ، وهناك قصائد أخرى كثيرة في هذا الباب ولكنني أكتفي بما سبق لئلا يطول هذا المطلب .

**المطلب الثالث نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم :**  
الباطل لا يمكن الإجماع عليه لأنه لو حصل ذلك للبأس على الناس دينهم ولبطلت خصيصة من خصائص هذه الأمة ، وهو أنها " لا تجتمع على ضلالة " ، فالطائفة المنصورة دائماً ظاهرة في مخالفة الباطل وإنكار المنكر في أي جانب كان .

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل الواثقين بهم المقلدين لهم من هو من أهل الخير والصلاح ، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيداً عن المؤثرات لميز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثير مما استصوبه أصحابه ، فلذلك عندما تتاح لهذا النوع من الناس تلك

<sup>١</sup> الدفر : الدفع في الصدر .

<sup>٢</sup> همام ( ٤٨ - ٥٢ ) .

السوانح فإنهم يقتنصونها وتظهر على أقوالهم وأفعالهم ، وهناك من هو متمكن في الضلال ولكن يأبى الله إلا أن يجري كلمة الحق على لسانه أو قلمه ، فمن أجل ذلك كله عقد هذا المطلب لإيراد نماذج من تلك الفتاوى والتقريرات التي وردت إما من القبورية أو ممن هو محسوب من أنصارهم وأتباعهم من علماء وفقهاء اليمن ، ولن أخوض في نوايا أولئك الناس أو أحكم عليهم بضلال أو هداية ، إذ المقصود هنا فقط هو تأييد الحق الذي يعرفه أهل السنة ، ويقررونه ويستدلون عليه بالأدلة الشرعية المعتمدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أو من أنصارهم وأشياهم.

**النموذج الأول :** فمن ذلك فتوى السيد عبد الله بن محفوظ الحداد مفتي ساحل حضرموت في زمنه<sup>١</sup> إذ سأله بعض أهالي تريم عن الاستغاثة بالأموات : وما حكم تلفظ القائل عند حدوث مكروه ، مثل سقوط طفل : يا لله يا شيخ سعيد أو يا لله يا محضار ، وأحياناً يقول : يا محضار احضر ..... الخ .

**فأجاب :** ( الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إن مثل هذه العبارات من العبارات الشركية التي يجب على المسلم أن يتنزه عنها . فقد قال الرسول ﷺ لمن قال : ما شاء الله وشئت : " أجعلتني لله نداً " وهذه الاستغاثات ممنوعة لأنها موهمة وتؤدي إلى خلل في العقيدة خصوصاً العامي الذي يعتقد أن لهؤلاء الأولياء تصرفاً وأنهم يحضرون عند الاستغاثه بهم - وإنما يستغاث ب الله جل جلاله - لا بغيره من الملائكة أو الرسل أو الأولياء

<sup>١</sup> السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهو من عاصرته مدة وعملت معه في بعض الدورات الشرعية التي أقامتها وزارة الأوقاف والإرشاد بحضرموت ، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر متبعاً إلى السودان وتخرج من هناك وعاد ليتولى رئاسة محكمة الاستئناف بالمكلا ثم رئاسة القضاء بحضرموت واستمر فيه إلى عام ١٩٧٠م ثم استقال منه .

وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهده وعهد الجبهة القومية فقرأ كثيراً ومما قرأ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشعرية على طريقة الغزالي ، وكان يكره الخوض في مجال البدعة بل إن له كتاباً أيد فيه أصل الابتداء في الأمور العملية ورد على صاحب كتاب "السنن والمبتدعات" وكان يغضب عندما يسأل عن حكم القباب التي على القبور ، ثم بعد اشتداد موجة التصوف تعاطف مع المتصوفة أكثر وكان يقول إن علي بن حسن السقاف - صاحب الأردن الذي ألف رسائل في تأييد بعض البدع ورد على الشيخ الألباني وابن تيمية وغيرهما - يقول عنه أنه مجدد هذا القرن. ومع ذلك كان يفتي هذه الفتاوى في أن الاستغاثه بغير الله شرك إلى آخر حياته - رحمه الله - .

والصالحين فكل مما يجب منعه ومحاربه . ومع الأسف فإن هذه الألفاظ يكررها العوام ، والعلماء يسمعون فلا ينهونهم ولا ينبهونهم على خطرها لأنها تتصل بالعقيدة . فالله هو النافع الضار المحيي المميت مالك الملك لا شريك له ، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف .

قال في " بغية المسترشدين " : " مسألة ك " جعل الوسائط بين العبد وربيه فإن صار يدعوهم كما يدعو الله في الأمور ويعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله فهو كفر ، وإن كان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار المؤثر في الأمور دون غيره ، فالظاهر عدم كفره وإن كان فعله قبيحاً أ هـ .

قلت : فإن قوله الظاهر عدم كفره أن ذلك حرام لأنه يؤدي إلى الكفر خصوصاً من العوام الذين أصبحوا يعلنون مثل ذلك في كلامهم وحتى عند الجنائز - فأهل السوق يقولون : يا محضر ، وأهل النويدرة يقولون : يا شهاب الدين - وهذا إن لم يكن كفراً صريحاً فهو قريب منه ، ويجب على العلماء التنبيه عليه والتحذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره ، وليأخذوا بالسبيل القويم الأسلم . وإذا كنا نعذر بعض العلماء مما ورد في أشعارهم لأنهم علماء يعلمون ما يقولون فإذا نادى ميتاً فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثه به . وإن كان فيه استغاثه حملناه على المحمل السليم لعلمه ، أما أن نترك العامة يأخذون الألفاظ ويعلنونها كأنها من الأذكار فهذا مالا يجوز قطعاً . والساكت عن الحق شيطان أخرس . والله المستعان <sup>٢</sup> .

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شكك البعض فيها فعاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صواب تلك الفتوى ، وأصدر فتوى أخرى فرق فيها بين الاستغاثه التي يحرمها ويعتبرها من الشرك وبين التوسل المعروف بالأولياء بأشخاصهم أو بأعمالهم وهو ممن يجيز التوسل ، وهذا نص الفتوى الثانية : ( إن المتوسل متوجه بطلبه إلى الله ، وذكر المتوسل به على سبيل التحبيب ، وأما الاستغاثه فيمكن اعتبارها توسلاً ظنياً لمن يفهم وينوي طلب الدعاء ، وإلا فإنها ممنوعة وبالذات للعوام الذين قد يعتقدون في المستغاث به القدرة على تحقيقها استقلالاً ، ولهذا فهي محرمة على العوام وعلى إظهارها الفتوى بها ،

<sup>١</sup> حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه .

<sup>٢</sup> هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولا زالت النسختان محفوظتين .

ونعذر العلماء الذين جاءت في أشعارهم لعلمنا بصحة عقيدتهم وأنهم إنما يقصدون التوسل بالمستغاث به وطلب دعائه <sup>١</sup> .

وهذه الفتوى وسابقتها للعلامة الحداد لم تصل إلى المستوى المطلوب أو لم تخل من بعض المآخذ ولكن المراد من إثباتها هنا إثبات أن مبدأ اعتبار الاستغاثة بغير الله شرك شائع ومعروف عند كل من خلع ربة الهوى والتقليد ومن تعصب بدون بصيرة ، وإن اختلفت العبارات وتفاوت مستوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى .

ويقرب من ذلك ما قرره العلامة عبد الله بن أحمد باسودان - رحمه الله - وهو من أكابر فقهاء حضرموت في وقته ، ومن المنطوين في السادة العلويين ؛ بل يعتبر شيخاً للكثير منهم في كتابه "ذخيرة العباد شرح راتب الحداد" ( وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله ، فإن مرضوا ، قالوا : هذا صدر من فلان ، وإن شفوا ؛ قالوا : بركة سيدي فلان ، فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم ؛ حلفوا بهم وندروا لهم من دون الله ، واستشفوا بهم من دون الله ، فإن أجرى الله سبحانه الوادي ؛ قالوا : شيء لله يا فلان ، وإن قبض الله عليهم المطر ؛ قالوا : قبضها فلان .. والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده في ملك ملكوت ، ولو ذهبنا لما في الكتاب والسنة من التحذير في ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا ، وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضلال ، ويقع من هؤلاء في زيارة قبور الأولياء أو غيرهم كثير من الجهالات والمآثم المتكررة، هذا ما قاله الشيخ عبد الخالق المزجاجي الزبيدي . ) <sup>٢</sup> .

والمهم في هذا النقل قوله : ( فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم وندروا لهم من دون الله واستشفوا بهم من دون الله ) ، وهذا هو الرد الحاسم على المزايدين من المعاصرين ، الذين يقولون : إن تلك الأفعال التي يفعلها العامة <sup>٣</sup> إنما هي مجرد أعمال لا تقوم على

<sup>١</sup> وهذه الفتوى حررت يوم الاثنين ١٢ صفر ١٤١٦هـ وهي كذلك محفوظة بخط المفتي وتوقيعه .

<sup>٢</sup> ذخيرة العباد شرح راتب الحداد ( ١٢٤-١٢٥ ) بواسطة طريقة السادة العلويين نقلاً عن كتبهم ( ٧-٨ ) كتبها مجموعة من الشباب كانوا عن أنفسهم بـ ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى .

<sup>٣</sup> إن هذا القول إنما هو تنصل من الحقيقة وإلا فهو قول العامة وكثير من الخاصة ولئن كان العامي تربي على ذلك واعتقده تقليداً ، فإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزمعه على صحته ، ثم عند المناظرة يراوغ ويقول إنما =

اعتقاد ضر ولا نفع ، ولو صح أن هناك اعتقاد ضر أو نفع لقلنا بشركهم ، فهذا العالم الذي تعتبرونه من أجل علمائكم يصرح بأن هذه الأعمال ما صدرت إلا عن اعتقاد .

أما نحن فنقول : إن مجرد فعل هذه الأعمال وصرفها لغير الله شرك ولو لم يصحبه اعتقاد وانظر ما قرره الإمام الشوكاني رحمه الله في هذه المسألة في الدر المنضيد .<sup>١</sup>

ويشبه ذلك - أيضاً - ما نقله علوي بن طاهر الحداد عن " الإمام " الحداد المشهور " عبد الله بن علوي " حيث قال : ( وأما الغلو في الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الدين وقد ينتهي ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عز وجل ، وهذا انتكاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام : قال الإمام العارف بالله محيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبد الله بن علوي الحداد العلوي : التصرف الحقيقي الذي هو التأثير والخلق والإيجاد لله تعالى وحده لا شريك له ولا تأثير للولي ولا غيره في شي قط لحيّاً ولا ميتاً ، فمن اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى انتهى ) .<sup>٢</sup>

وهو كالذي قبله يثبت أن للامة اعتقاداً منحرفاً في الأولياء بفقد حقيقة الإيمان والإسلام وأن ( من اعتقد أن للولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى ) وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبد الرحمن المشهور في " بغية المسترشدين " " مسألة ب " : ( القنيص المعروف بحضرموت من أكبر البدع المنكرات والدواهي المخزيات ، لكونه خارجاً عن مطلوبات الشرع ، ولم يكن في زمن سيد المرسلين والصحابه والتابعين ﷺ أجمعين ، ومن بعدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أساس ولم يبن على قياس ، بل من تسويلات الرجيم وتهويسات ذي الفعل الذميمة والعقل الغير المستقيم ؛ لأن من عاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قالوا : بكم ذيم .<sup>٣</sup> فيذبحون رأس غنم على الطوع - يعني العود الذي تمسك به الشبكة - تطهيراً للقنيص من

- هذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غير الله فقد أشرك ، فله مذهبان مذهب عند الأتباع هو تأصيل ذلك وتأنيده ومذهب عند الخصوم هو المراوغة والتقية وإسكات الخصم بما يوافقه وإن كان خلاف ما يعتقده ذلك المناظر .

<sup>١</sup> الدر المنضيد ص ( ١١٠ ) .

<sup>٢</sup> عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس ( ٤٧/١ )

<sup>٣</sup> يعني أن هذه المسألة فتاوى عبد الله بن الحسين بن عبد الله بافقيه كما في مقدمة العينية ( ٢ ) .

٤ ( الذيم ) يظهر أنه اصطلاح خاص بالقوم ولم يفسره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين .

كل شك ووسواس فالذبح على هذه الصفة لا يعجل قتل ما لم يحضر أجله ، إذ الأجل كالرزق والسعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعالى : ﴿ لكل أجل كتاب ﴾<sup>١</sup> ، وفي الحديث : " فرغ الله من أربع : من الخلق والأجل والرزق والخلق " ثم الذبح على مثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمور : إما أن يقصد به التقرب إلى ربه ، ولم يشرك معه أحداً من الخلق ، طامعاً في رضاه وقربه وهذا حسن لا بأس به ، وإما أن يقصد به التقرب لغير الله تعالى كما يتقرب إليه معظماً له كتعظيم الله كالذبح المذكور بتقدير كونه شيئاً يتقرب إليه ويعول في زوال الذيم عليه فهذا كفر والذبيحة ميتة ، وإما أن لا يقصد ذا ولا ذا بل يذبحه على نحو الطوع معتقداً أن ذلك الذبح على تلك الكيفية مزيل للمانع المذكور ، من غير اعتقاد أمر آخر فهذا ليس بكفر ولكنه حرام والمذبوح ميتة أيضاً وهذا هو الذي يظهر من حال العوام ؛ كما عرف بالاستقراء من أفعالهم ، كما مقت هذه الصور الثلاث أبو مخرمة فيمن يذبح للجن<sup>٢</sup> والشاهد في النص اعتبار الذبح لغير الله على سبيل التعظيم شرك بالله تعالى ، وتصريح هؤلاء الثلاثة العلماء الكبار به وهم من مشاهير علماء حضرموت المحسوبين من قدوات الصوفية : بامخرمة ، وبافقيه ، والمشهور.

وفي نفس الموضوع يقول ابن عبيد الله مفتي حضرموت في وقته : ( ولنضرب مثلاً بأولياء الرحمن فإن من استخف حقهم وأنكر خصوصيتهم اقتحم الغلط وأتى بأكبر شطط ومن طلب منهم ما لا يطلب إلا من جبار السماوات واعتقد أن لهم تأثيراً من دون الله فقد وقع في صريح الإشراك )<sup>٣</sup>.

وفي الحلف بغير الله يقول عبد الله بن حسين بن طاهر : ( وأحذركم الحلف بالله في جميع شؤونكم ( ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم )<sup>٤</sup> ، وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق

١ سورة الرعد ( ٣٨ ) .

٢ بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين تأليف عبد الرحمن بن محمد باعلوي طبعة دار الفكر

بدون تاريخ ص ( ٢٥٥-٢٥٦ ) .

٣ مذكرة طريقة السادة العلويين كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسهم بـ ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبد الله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى ص ( ١٠ ) عن رسالي ( المساواة والملكية ) للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف .

٤ البقرة ( ٢٢٤ )

- وإن عظم - فهو محذور ويختلف الحكم فيه باختلاف المقصود فبعض صورته قاذح في التوحيد وما دون ذلك فمكروه ؛ للنهي الشديد وأشد من ذلك الحلف بالأمانة فالمحتاط من كف عن ذلك لسانه <sup>١</sup> والشاهد جعله بعض صور الحلف قاذحاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به .

وهذا ظاهر عند الذين يصرون على ألا يقبلوا الحلف إلا بالولي ويرفضون الحلف بالله وكذلك الذين يتهيبون من الحلف بالولي ولا يتهيبون الحلف بالله

وفي النذر قد سبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشاهد قوله : ( أقول وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصرف يخفى عليه ملاحظة أن هذا التصديق لا يعتد إلا في القرب ومعرفته ما هو قرية ، فليتنبه لما يجيئون به للولي أو قبره أو مشهده وهو ميت فإن الغالب أنهم يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل ؛ كما تقدم والله أعلم بالصواب ) <sup>٢</sup> ، أقول والذي تقدم قوله : ( الذي تحصل للفقيه من كلام أئمتنا الشافعية - رحمهم الله تعالى - ملخصاً من كلام طويل لهم في مثل هذه المسألة أن ما تصدق به على النبي أو الولي الميتين أو على قبرهما أو مشهدهما مثلاً سواء كان بنذر أو وقف ، ومثل ذلك الأمل <sup>٣</sup> المعروف بالجهة عندنا أنه قصد به تمليك الميت أو القبر أو المشهد بطل ؛ لعدم صحة تمليك من ذكر وكذا لو نوى بذلك التقرب إلى من ذكر ؛ لأن القرب إنما يتقرب بها إلى الله تعالى لا إلى خلقه ومثل ذلك ما إذا كان المتصدق به شمعاً أو زيتاً ، ومثله السليط والقاز عندنا وقصد به الإسراج للتنوير تعظيماً للبقعة أو القبر أو التقرب إلى من دفن فيها أو نسبت إليه كما يعتقد بعض العامة فإنهم يعتقدون أن لهذه الأماكن خصوصيات بنفسها ويرون أن التصديق عليها مما يتدفع به البلاء .. ) <sup>٤</sup> .

أقول واضح من هذا النقل أن هذا الفقيه يوافق في قوله هذا القول الصحيح من أن النذر لغير الله شرك إذا كان عن اعتقاد في المنذور له ، وهذا على قول من يجعل النذر بمعنى

<sup>١</sup> المجموع لعبد الله بن حسين بن طاهر ص ( ٢٣٧ ) بواسطة طريقة السادة العلويين ص ( ٨ - ٩ ) .

<sup>٢</sup> الفتاوى النافعة ص ( ٢٤٩ ) .

<sup>٣</sup> الأمل يشبه نذر المكافأة كأن يقول إن شفي مريض فللولي الفلاني كذا كذا .

<sup>٤</sup> المصدر السابق ص ( ٢٤٨ - ٢٤٩ ) .

الهبّة أو العطية ، وأما من يقول إن النذر لا يسمى نذراً إلا إذا كان عبادة ؛ فإنه يكون النذر - على قولهم - وعلى من نذر على هذا الوجه - شركاً ولو لم يصحبه تعظيم .

يقول السيد عبد الرحمن المشهور في التفريق بين الكرامة والسحر والإشارة إلى أن بعض من يدعي الولاية قد يكون من السحرة المشعوذين والتنصيص على بعض المجاذيب من أتباع الرفاعي أو أحمد بن علوان أن بعضهم إنما يفعل ذلك بطريق السحر وتأكيده على أن الكرامة لا تكون على يد فاسق ولا يتعلم من حصلت على يده سببها ولا يسعى إليها وأن من التشبه بأصحاب الكرامات من ليسوا منهم من يستعملون الجان يقول في ذلك كله : "مسألة" <sup>١</sup> (خوارق العادة على أربعة أقسام : المعجزة المقرونة بدعوى النبوة المعجوز عن معارضتها الحاصلة بغير اكتساب وتعلم ، والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غير تعلم ومباشرة أعمال مخصوصة ، وتنقسم إلى ما هو إرهاب وهو ما يظهر على يد النبي قبل دعوى النبوة ، وما هو معونة وهو ما يظهر على يد المؤمن الذي لم يفسق ولم يفتر به ، والاستدراج وهو ما يظهر على يد الفاسق المغتر ، والسحر وهو ما يحصل بتعلم ومباشرة سبب على يد فاسق ، أو كافر ، كالشعوذة وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيات ولدغها له ، واللعب بالنار من غير تأثير ، والطلاسم والتعزيات المحرمة ، واستخدام الجان وغير ذلك . إذا عرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضربون صدورهم بدبوس أو سكين أو يطعنون أعينهم أو يحملون النار أو يأكلونها وينتمون إلى سيدي أحمد الرفاعي أو سيدي أحمد بن علوان أو غيرهما من الأولياء أنهم إن كانوا مستقيمين على الشريعة قائمين بالأوامر تاركين للمناهي عالمين بالغرض العيني من العلم عاملين به لم يتعلموا السبب المحصل لهذا العمل فهو من حيز الكرامة وإلا فهو من حيز السحر إذ الإجماع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنها لا تحصل بتعلم أقوال وأعمال وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخوارق من السحر المحرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيه ، ومتى حكمنا بأنه سحر وضلال حرم التفرج عليه ؛ إذ القاعدة أن التفرج على الحرام حرام ؛ كدخول محل الصور المحرمة ، وحرم المال المأخوذ عليه ، والفرق بين معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء وبين نحو السحر أن السحر والطلسمات والسيمايا وجميع هذه الأمور ليس فيها شيء من خوارق العادة ؛ بل جرت

<sup>١</sup> أي أن هذا النقل عن الشيخ عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في المقدمة (٢) .



بترتيب مسببات على أسباب ، غير أن تلك الأسباب لم تحصل لكثير من الناس ، بخلاف المعجزة والكرامة فليس لهما سبيل في العادة ، وإن السحر مختص بمن عمل له ، حتى أن أهل هذه الحرف إذا طلب منهم الملوك مثلاً صنعتهما طلبوا منهم أن يكتب لهم أسماء من يحضر ذلك المجلس فيصنعون ذلك إن سمي لهم فلو حضر آخر لم ير شيئاً وأن قرائن الأحوال المفيدة للعلم القطعي المحتفة بالأنبياء والأولياء من الفضل والشرف وحس الخلق والصدق والحياء والزهد والفتوة وترك الرذائل وكمال العلم وصلاح العمل وغيرهما ، والساحر على الضد من ذلك )<sup>١</sup>.

وهذا تفصيل حسن لخوارق العادات وتمييز للمعجزة عن الكرامة من الاستدراج والسحر . والفائدة الكبيرة والقاعدة العظيمة التي تجلي الفرق بين الكرامة والسحر ، أن الكرامة لا تكون بتعلم لما يحدث ذلك الأمر فإن كان ذلك الخارق ناتجاً عن سبب ظاهر وتعلم له ، كان الخارق من حيز السحر لا من حيز الكرامة ولو أننا مع الصوفية جميعاً وقفنا عند هذه القاعدة وطبقناها تطبيقاً حاسماً وسليماً لا تضح أن معظم ما تطفح به كتب الصوفية في مناقب أوليائهم مما صح نسبته إليهم من باب السحر لا من باب الكرامة لأن جماعات منهم اشتهروا أو ثبت عنهم تعلم السمياء أو علم الحروف وذلك من السحر كما في هذا النقل وغيره ، فمن ثبت أنه عالم بذلك مستعمل له فاسم الفسق قد وقع عليه ، ثم ذلك الخارق قد أصبح صادراً عن تعلم فانتفى أن يكون من حيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكون من حيز السحر وكذلك من يتعاطى الرياضة التي هي في صورة عبادات لم يشرعها النبي ﷺ فإن تلك الرياضة سبب يتوصل به إلى إظهار خوارق للعادات ، وقد نص الشعراني على أن بعض النصابين يمارسون الرياضات ليوهموا الناس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات<sup>٢</sup>

فاتضح أن هناك فارقين أساسيين بين الكرامة والسحر أو الاستدراج وهما : التعلم واتخاذ الأسباب ، فمتى وجد هذا الفرق حكم على الخارق بأنه سحر ، ولو كان على يد من يظهر عليه سيما الصلاح ؛ لأنه قد يكون في الباطن بخلاف ذلك . وأما الفرق الثاني : وهو الاستقامة للكرامة ، والفسق للسحر والاستدراج ؛ فإنه قد تحايل عليه الصوفية ولم يبق له

<sup>١</sup> بغية المسترشدين ص ( ٢٩٨ - ٢٩٩ ) .

<sup>٢</sup> انظر الطبقات الكبرى ( ١٠٨ / ١ ) .

أثر لديهم ولا لدي أتباعهم ؛ حيث قرروا أصلاً خطيراً وهو أن الولي يتجزأ ويظهر بمظاهر مختلفة وأن ما تراه لديه مما ظاهره الفسق فإنه في الباطن شيء آخر ، بل إن الخمر إذا رأيته يشربها فإما أنها خمر لدنية من الحضرة الربانية وإما أنها مشروب آخر ظهر لمصلحة في صورة الخمر ، وكل ذلك قد ضربت عليه أمثلة وأيضاً نقلت عنهم كيف يعتذرون لمن لم ير يصلي قط وأنه فحص فظهر أن له عشر صور ، صورة واحدة هي التي رآها المعترض لا تصلي بينما تسع صور دائبة في العبادة وصدقهم من رأى ذلك ونقل الحادث على أنه كرامة من أشهر وأكبر كرامات ذلك الولي . فلنتأمل هذا الفرق ثم نحكم بموجبه على كل خارق من الخوارق على يد من كان من الناس .

شهادة حق من أصحاب وحدة الوجود :

قلت في مبحث سابق إنني لم أجد لعلماء حضرموت قولاً فاصلاً واضحاً في أصحاب وحدة الوجود مع عموم إحسان الظن بهم واعتبارهم من الأولياء ، ولكنني اطلعت أخيراً على نقل نقله علوي بن طاهر الحداد عن الشيخين الشافعيين الشهاب الرملي وابن حجر المكي يدل على أنه موافق لها فيه ، وهذا النقل مهم جداً خصوصاً عن ابن حجر المكي الذي اشتهر عنه التأويل لأصحاب وحدة الوجود يقول الحداد :

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقال : يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب ؛ لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً . وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى ، واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى ، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل . )<sup>١</sup>

وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه :

قال جامع كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية : ( وسأله بعض الأصحاب أيضاً عن الكبش الذي يعتاد أهل الغيل تركه في بيوتهم ويسمونه مسائراً . فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به : أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه " مسائراً " وكلما ذهب أبدلوه بغيره . فهذا والعياذ بالله من الشرك بالله والشرك ظلم عظيم بوهو وأمثاله سبب تسلط

<sup>١</sup> عقود الألماس ( ١٠٤/١ ) .

الشیطان وجنوده على العاملين به . فإن الله تعالى قد سلط الشیطان على من يتبعه من بني آدم ، وهذا من الاتباع له قال الله تعالى : ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاويين )<sup>(١)</sup> موضع الشاهد أنه جعل اتخاذ هذا الكبش شركاً . ومن المعلوم ضرورة أن متخذه لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً ؛ لأنه يعرف هذا الكبش ويعرف حقيقته ومن أين جاء ، وكيف يموت وينتهي ، ومع ذلك كان اتخاذه شركاً . إذن فكيف لا يكون من يدعو غير الله مشركاً إلا إن كان يعتقد استقلاله بالضر والنفع من دون الله ، وصورة الدعاء لغير الله أظهر في الإشراك من صورة اتخاذ هذا الكبش ؟

#### المطلب الرابع : فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية :

لكي يعلم القاري الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصرين هو موقف أسلافهم الكرام الراض للقبورية بعقائدها وأعمالها ، أسوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعية ، التي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمال القبورية أو أيدوا خلافها وهي تتناول البناء على القبور وبعض الزيارات والشعائر القبورية وادعاء علم الغيب .

##### الفتوى الأولى :

كانت رداً على سؤال بعث به أحد القائمين على بعض القباب في جهة تهامة ونص السؤال هو : ( ما قولكم سادتي العلماء رضي الله عنكم في قضية عظيمة الخطر هي ما يمارس الناس من أعمال ، فهم يقربون الذبائح إلى القبور ويندرون لها ويذبحون لها ويستعينون بها ويعتقدون فيها النفع والضر والحياة والموت " ورأس برأس " فهل هذا يرضاه الإسلام يا علماء الإسلام ، وهل ارتفاع القبور والقباب من الإسلام في شيء ، وهل يؤجر عليها فاعله ، فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخرى يقولون هذه حق الشيخ داود وإذا نهيتهم قالوا الولي سيضرك ، أولئك كانوا يعملون و يقبلون ، فلماذا لا تسير على ما ساروا عليه ، قولوا لنا كلمة الإسلام في الموضوع - وفقكم الله

<sup>(١)</sup> الحجر ( ٤٢ ) .

<sup>(٢)</sup> النفائس العلوية في المسائل الصرفية ص ( ١٢٧ - ١٢٨ ) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحاي الطبعة الأولى

( ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ) .

- والسائل مستفيد وهناك قباب كثيرة ومناصب أخرى والعمل هو العمل ويأتي جهلة بدوان ويقومون بحركات وورعشات ، أفتونا لا خلا عنكم الوجود ؟

وقد جاءت الفتوى هكذا ( الحمد لله حيث كان الحال ما شرحه السائل ، فالتقرب بالذبائح إلى القبور والأولياء والإستعانة بهم والنذر لهم دائر بين أمرين خطيرين ، إما كفر بواح ، وإما وسيلة إلى الكفر ، ذلك أنه إذا صدر هذا الفعل الشنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالماً بأحكام الشرع في مثل هذا معتقداً النفع والضرر من الولي يكفر فاعله ، فتجري عليه أحكام الردة جميعها وإن كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ في غير دار الإسلام ، أو في دار الإسلام نائياً عن أماكن المعرفة ، فيكون هذا الفعل في حقه وسيلة من وسائل الكفر ، فيجب تعليمه وتبيين الأدلة له وإقامة الحجة عليه فإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر .

فعلى كل يجب على ولاية الأمر الردع من مثل هذه الأمور والأخذ بيد من حديد ، لكل من يقدم على هذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هدم القباب الموضوعة على القبور سداً للذرائع ، هذا ما نعتقد في هذا الموضوع والله على ما نقول وكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ) .

وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشيخ أسد بن حمزة ابن عبد القادر وصادق عليها جمع من علماء زبيد وغيرها ، ومنهم : محمد بن محمد بن سليمان الأهدل ، محمد بن علي البطاح الأهدل ، أحمد بن عبد القهار بن صالح ، محمد بن عبد الجليل العزي ، عبد الجليل بن علي خليل ، محمد ابن عبد الله بازي ، محمد بن عيروس علوي ، عبد المجيد بن عزيز الزنداني ، عمر بن أحمد سيف ، علي ابن محمد واصل ، حامد ابن مختار شرف ، محمد بن أحمد كديش " عضو محكمة الحديدة التجارية " ، محمد بن علي مكرم ، حسين بن محمد عثمان الوصابي ، أحمد بن عبد الله سعيد الضافري ، عبد الله بن قاسم الوشلي ، أحمد بن محمد عامر ، وعلي بن محمد الوشلي ، محمد بن محمد عزيز القديمي ، وإبراهيم ابن حسين صائم الدهر ، عبد الرحمن الوشلي ، عبد الرحمن بن عبد الله الأهدل ، هذه الأسماء التي تبينتها وهناك أسماء لم أتبينها .

وقد علق حاكم زبيد السابق - رحمه الله - عبد الله الأنباري على الفتوى فقال : ( أنا أقرر ما قرره الأئمة السادة العلماء بمنع كل بدعة قبيحة تخالف منهج الشريعة المطهرة ،

وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فالضر والنفع بيد الله سبحانه وتعالى، والذبح لغير الله لا يجوز، ومن ثبت تعاطيه لذلك فيمنع ويضبط حتى يتوب. وفق الله الجميع لخدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ والاهتداء بهدية وجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم وصلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)<sup>١</sup>

الفتوى الثانية:

كما وزعت فتوى أخرى على شكل ملصق علق في المساجد وغيرها يحتوي على فتوى مقارنة للفتوى السابقة ملخصة من مجموع ما أفتى به العلماء، وإليك نص السؤال وملخص الجواب:

نص السؤال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإن في بلادنا قبور رجال صالحين، مرفوعة ببناء فوق الأرض، فيها حفرة صغيرة، بداخلها تراب يتبرك به ويستشفى به، وتقام لهذه القبور زيارات سنوية موسمية في شهر رجب الحرام وغيره،، يذبح فيها الكباش لأصحاب القبور، ويجتمع عندها الرجال والنساء والباعة والألعاب، ويحتفل بهذه الزيارات كالأحتفال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة. فما هو قول السادة العلماء والأئمة الفضلاء في رفع القبور بالبناء؟ وما حكم هذه الزيارات؟ وهل هي الزيارات الشرعية التي حث عليها أبو القاسم محمد ﷺ؟ أفتونا مأجورين. نفع الله بكم الإسلام والمسلمين.

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على هذا الاستفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:

أولاً: أوضح العلماء في فتاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نبي ولا ولي يضر أو ينفع، وأن الأموات لا ينفعون الأحياء ولا يغنون عنهم من الله شيئاً بل الأموات بحاجة إلى دعاء الأحياء لهم، والاستغفار لهم، وإذا كان سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فكيف يملك ذلك غيره ممن هو دونه، وعليه فلا يجوز اعتقاد النفع والضر في أصحاب القبور مطلقاً، لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

<sup>١</sup> لذي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضمن كتيب بعنوان "الفتاوى اليمنية في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية" وهو من سلسلة باسم (السلسلة الدعوية) رقم (٩) ويوزع مجاناً بدون تاريخ.

ثانياً : أوضح العلماء أن شد الرحال إلى القبور بدعة محدثة منكرة وقد جاء الشرع بالنهاي عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، كقول النبي ﷺ : (( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى )) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

ثالثاً : أكد العلماء على حرمة رفع القبور أكثر من شبر لقول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب : (( لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته )) أخرجه مسلم .

رابعاً : أكد العلماء على حرمة البناء على القبور مطلقاً ، وتخصيصها ، والكتابة عليها ، والقعود عليها ، لحديث جابر بن عبد الله : (( نهى رسول الله ﷺ أن يقعد على القبر ، وأن يجصص أو يبنى عليه )) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وفي رواية : (( نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء )) أخرجه أبو داود وابن ماجه .

خامساً : بيّن العلماء الفرق بين الزيارة الشرعية للقبور ، التي تكون للعة ، والاعتبار ، وتذكر الآخرة ، والدعاء والاستغفار للميت . وبين الزيارات البدعية والشركية التي يتقرب فيها إلى أصحاب القبور ، بالذبائح والنذور ، والاستغاثات ، وما إلى ذلك من أمور الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام ، وأن هذه الأمور لا تكون إلا لله ﷻ وحده لا شريك له ، لقوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ ولقول النبي ﷺ : (( لعن الله من ذبح لغير الله )) أخرجه مسلم .

سادساً : أكد العلماء على أن وضع حفرة على القبر وجعل التراب فيها للتبرك والاستشفاء به من وسائل الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام .

سابعاً : أكد العلماء على تحريم ، وخطورة ما يجري في هذه الزيارات ، من الاختلاط بين الرجال ، والنساء ، وخروج الباعة ، والطبول ، وما يجره من الفتن ، والفواحش والموبقات ، علماً أن النبي ﷺ : (( لعن زورات القبور )) أخرجه أحمد والترمذي .

ثامناً : أوضح العلماء تحريم تخصيص شهر من السنة ، لزيارات قبور الأولياء ، خاصة في شهر رجب الحرام ، وأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك ، الذي لا يغفره الله ﷻ - إن مات صاحبه عليه - لقول النبي ﷺ : (( لا تجعلوا قبري عيداً )) أخرجه أبو داود .  
واليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتوا ووقعوا على هذه الفتوى .

(١) محمد بن إسماعيل العمراني (٢) مقبل بن هادي الوادعي (٣) د. إبراهيم القريني (٤) د. عبد الوهاب الديلمي (٥) محمد الصادق مغلس (٦) عبد المجيد الزنداني (٧) عبد العزيز الدبعي (٨) عبد المحسن ثابت (٩) عبد المجيد الريمي (١٠) عقيل المقطري (١١) محمد ابن عبد الوهاب الوصابي (١٢) د. أحمد محمد زويلة (١٣) أحمد حسن المعلم (١٤) إسماعيل العنسي (١٥) محمد المهدي (١٦) عبد الرحمن ابن عبد الله شميلة (١٧) حسين بن محفوظ (١٨) عمر أحمد سيف (١٩) عبد القادر الشيباني (٢٠) صالح الوادعي (٢١) طارق عبد الواسع (٢٢) عبد الله الحاشدي (٢٣) ناصر الكريمي (٢٤) عيسى شريف (٢٥) أحمد حسان (٢٦) علي بارويس (٢٧) علي بن فتيني (٢٨) عبد الله الحميري (٢٩) أحمد أهيف (٣٠) أمين جعفر (٣١) عمّار ناشر (٣٢) محمد الوادعي (٣٣) عارف أنور (٣٤) علي مقبول الأهدل (٣٥) محمد سالم الزبيدي (٣٦) محمد سعد الحطامي (٣٧) حسن صغير الأهدل (٣٨) مراد القدسي (٣٩) إسماعيل عبد الباري (٤٠) حسن الزومي (٤١) حاكم زبيد ، عبد الكريم النعماني (٤٢) محمد المعمرى (٤٣) عبد الله فيصل الأهدل (٤٤) عمر سقيم .

**الفتوى الثالثة : نص السؤال :** ما حكم الشرع في هذه النتيجة التي يصدرها هذا الرجل ، والتي يذكر فيها ما سيحدث للأشخاص والبلدان ، وكذلك مختلف الأحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والكوارث وغير ذلك ، معتمداً كما يقول على علم الجفر والنجوم وغيرها ؟ وهل يجوز إصدارها أو بيعها وشراؤها ؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة بالإجابة عن التساؤل ، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابات ، آملي أن نتمكن مستقبلاً من نشر إجابات العلماء مفصلة .. والله الموفق .

ركز العلماء على أن عمل هذا الرجل هو ادعاء لعلم الغيب ، وأن من أصول العقيدة الإسلامية المقررة عند أهل الملة أن الله استأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه ، وأدلة ذلك جدّ كثيرة ، ومنها :

١- قوله تعالى: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أياں يبعثون ﴾ "النمل ٦٥"

٢- وقوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ "آل عمران ١٧٩"

٣- وقوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . ﴾ " الأنعام ٥٩ " .

٤- وقوله تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله ﴾ " يونس ٢٠ " .

٥- وقوله تعالى : ﴿ والله غيب السموات والأرض ﴾ " النحل ٧٧ " .

٦- وقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾ " الجن ٢٦ " .

وعلى هذا فعلم الغيب محجوب عن جميع الخلق ، بما في ذلك الملائكة والنبين ، قال الله تعالى حكاية عن الملائكة : ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ " البقرة ٣٢ " . وقال الله حكاية عن محمد ﷺ : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ " الأعراف ١٨٨ " . وقال الله آمراً بنبيه محمد ﷺ : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ " الأنعام ٥٠ " ، وقال الله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ " الجن ٢٦ " . وقال الله عن الجن : ﴿ فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ " سبأ ١٤ " ، ويقول تعالى : ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ " لقمان ٣٤ " .

فإنه قد حجب علم الغيب عن أكرم خلقه وهم الأنبياء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم ، أبعد هذا يأتي هذا ويدعي معرفة الغيب ١٥ . إن من ادعى علم الغيب قد نازع الله ، وكذب القرآن ، وفارق هذه الملة .

ركز العلماء في إجاباتهم على أن هذا العمل من الكهانة التي جاء الإسلام بتحريمها ؛ إذ أن الكاهن هو الذي يدعي معرفة علم الغيب ، وما سيقع من أحداث مستقبلية ، وأن صاحب هذا العمل كاهن ، والرسول ﷺ يقول : (( ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له )) رواه البزار والطبراني .

وأن من أتى كاهناً ، فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوماً ، كما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ ، أما إن سأله وصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ، كما جاء عن النبي ﷺ في سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، بوضوحه الألباني في الإرواء " ٢٠٠٦ " ، هذا في السائل فما بالك بالمسؤول .



- علم النجوم الذي يدعى صاحب هذه النتيجة الاعتماد عليه في معرفة علم الغيب - يقول فيه الرسول ﷺ : (( من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد )) . رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد بوصححه الألباني في السلسلة " ٧٩٣ " .

وقد جاء في البخاري عن قتادة : ( خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة السماء ، وعلامات يهتدى بها ، ورجوم للشياطين ، فمن تأول فيها غير ذلك ، أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به .

وقال الإمام الخطابي في معالم السنن : ( علم النجوم المنهي عنه هو : ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وهذا منهم تحكّم على الغيب ، وتعاط لعلم قد استأثر الله به ، فلا يعلم الغيب سواه) .

- وأما علم الجفر ( وأنه العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والذي يحتوي على ما كان ويكون وأن الرسول خَصَّ به علماً وذريته من بعده ) ، فأمر وهمي لا حقيقة له . وأدلة ذلك كثيرة ويكفي منها :

ما جاء عند البخاري من سؤال أبي جحيفة لعلي - عليه السلام - : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس ؟ . فقال : والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما عندنا إلا ما في القرآن ، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة . قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر . وما جاء عند مسلم برقم " ١٩٨٧ " عن علي قوله : ( ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا ) وأخرج صحيفة مكتوب فيها : (( لعن الله من ذبح لغير الله ... )) .

فعلم الجفر باطل ، وما بني على باطل فهو باطل .

وبناءً على ما سبق : فقد أكد العلماء على أنه لا يجوز التصريح بإصدارها ، كما أنه لا يجوز طبعها بولا بيعها ، ولا شراؤها ، ولا تداولها . وأنه يجب على الجهات المختصة مصادرتها والأخذ على يد صاحبها ومحاكمته ، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعاد عن هذه الضلالات ، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليها ، وتبيين مخاطر

ذلك على العقيدة والتوحيد لعموم المسلمين . تلك هي بعض أهم النقاط التي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجها ؛ إقامة للحجة ؛ وتوضيحاً للحق ؛ ونصحاً للخلق .

أما العلماء الذين تكرموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم :

محمد بن إسماعيل العمراني ، عمر أحمد سيف ، عبد المجيد الريمي ، محمد الصادق ، حسين عمر محفوظ ، محمد المؤيد ، حسن حيدر الوصابي ، علي العديني ، مراد القدسي ، أحمد حسان ، عارف أنور ، عمار بن ناشر ، عبد الله بن أحمد المرفدي ، أحمد مقبل بن نصر ، عبد الرحمن قحطان ، عقيل المقطري ، عبد الله سيف ، عبد الله سنان ، طارق عبد الواسع ، عبد الملك داود ، عبد القادر الشيباني ، فاضل محمد عبد الله ، يحيى الجهراني ، د/ حسن الأهدل ، أمين عبد الله جعفر ، د/ عبد الله الأهدل ، محمد سعيد الحطامي ، عمر علي سقيم ، حسن صغير الأهدل ، عبد الرحمن عبد الله الأهدل ، أحمد حسن المعلم ، عبده عبد الله الحميدي ، حميد عقيل ، محمد المهدي ، القاضي علي البعداني ، محمد بن علي الرحبي ، عبد الله بن غالب الحميري ، عبد الرحيم الشرعبي ، عبد الله عبده الإبي ، يحيى السوسوة .

كما تم الاعتماد على فتوى حول الموضوع لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومعه لجنة الافتاء الدائمة المكونة من كل من : ، عبد العزيز آل الشيخ ، صالح الفوزان ، بكر أبو زيد ، عبد الله الغديان .

الفتوى الرابعة : السؤال : ما حكم شد الرجال إلى الجند من قبل الرجال

والنساء ؟ وما صحة ما ينسب إلى النبي ﷺ في ذلك ؟

- ما حكم الموالد التي تقام داخل المسجد ليلة ذلك اليوم ؟ وما حكم ما يفعله المجاذيب

من طعن الرؤوس ؟

- ما حكم اختلاط الرجال بالنساء داخل المسجد ؟

- ما صحة ما يشاع من أن الذهاب هو حج الفقراء ؟

وقد تفضل أصحاب الفضيلة العلماء بالإجابة على تلك الأسئلة . ننشر هنا خلاصة

إجاباتهم ، أملين أن تتمكن من نشرها كاملة ومفصلة .

أولاً : أكد أصحاب الفضيلة على شد الرجال إلى الجند بقصد التقرب والتعبد بدعة

محدثة منكرة . وقد جاء الشرع بالنهي عن الابتداء . فالنص النبوي يقول : (( وكل محدثة

بدعة وكل بدعة ضلالة) ويقول: (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) . وفي رواية: (( من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد )) .

هذا وقد جاء نص نبوي آخر له صلة بحرمة شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد يقول الرسول ﷺ : (( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا )) ، وأما ما يردده بعض الجهال أن الرسول ﷺ قال : (( إلى أربعة مساجد )) بإضافة مسجد الجند ، فكذب على النبي ﷺ والرسول يقول : (( ومن كذب علي متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار )) .

ولا يخفى على أحد خطورة الابتداع في الدين ، ويكفي في ذلك قوله ﷺ : (( إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدعها )) حسنه الألباني .

ومما يزيد النكارة ، ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليوم في ذلك المكان ، ومنها : (السحر الذي يفعله المجاذيب ، وامتهان المسجد باختلاط الرجال والنساء - وهو منكر في حد ذاته - ومضغ القات وغير ذلك ..

ثانياً : أكد العلماء على أن تخصيص أول جمعة من رجب ، هو بدعة أخرى لا دليل عليها ، وكذلك اتخاذ ذلك المكان بعينه في ذلك الوقت ومن باب اتخاذ عيداً ، مع العلم أن الرسول ﷺ ، نهى عن اتخاذ قبره عيداً ، فهذا المكان من باب أولى .

ثالثاً : أكد العلماء على أهمية محبة الرسول ﷺ ، وعلى أنها من الأمور الواجبة على كل مسلم ، بل لا يتم إيمان المرء حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، كما أكدوا على أهمية تدارس سيرته وتعلمها وتعليمها ، وليس من ذلك إقامة الموالد ، سواء في تلك المناسبة أو في غيرها ، بل الموالد أمر محدث لم ينص عليه كتاب ولا سنة ، ولم يفعل في عهده ﷺ ، ولا في عهد صحابته الكرام ، ولا في عهد التابعين ، ولا في عهد الأئمة الأربعة ، وهم أكمل الناس حباً لرسول الله ، وأكثرهم تعظيماً له وقد كمل الله دينه ، وأخبر عن ذلك بقوله : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ) وليست هذه الموالد من الدين الذي أكمله الله ، بل تدخل في قوله ﷺ : (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) .

رابعاً : أكد العلماء على أن ما يحصل ممن يُسمَّون بالمجاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمَتِه ، ومعلوم ما جاء في صحيح البخاري أن عمر كتب إلى ولاته : ( أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ) وقوله تعالى : ( وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ) الآية وقوله تعالى : ( وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إنما نحن فتنة فلا تكفر ) الآية .

خامساً : أكد أصحاب الفضيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكان وفي غيره ، وعلى النكارة الشديدة لشد الرحال من قبل النساء إلى ذلك المكان ، فإذا كانت المرأة لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها للصلاة جماعة؛ إذا ترتب على خروجها فتنة ، فهذا من باب أولى .  
والاختلاط أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش .

سادساً : أشار العلماء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل فيه رجب شيء ، وأنه كغيره من الشهور . غير أنه فقط من الأشهر الحرم ، وقد ألف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك ..

سابعاً : ذكر بعض الباحثين ممن أجاب على السؤال : أن مسألة بناء معاذ لمسجد في الجند بحاجة إلى مزيد من البحث والتحري وحتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعل من شد الرحال إلى هناك ، فالصحابة بنوا العديد من المساجد في الشام والعراق ومصر وغيرها ، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها .

ثامناً : أكد العلماء على أهمية دور العلماء والمرشدين في إنكار مثل هذه البدع ؛ قياماً بواجب النصيحة (( الدين النصيحة )) ، وقوله ﷺ : (( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ... ))

وأكدوا على أهمية دور أصحاب السلطات في ردع المنتفعين من ذلك ؛ لما يقومون به من التفرير بالعامية والتلبيس عليهم ، وأكدوا - أيضاً - على أهمية تظافر الجهود في إزالة هذا المحدث وغيره من المحدثات .

تاسعاً : أكد العلماء على أن القول بأن الذهاب إلى هناك يعدل حجة هو من الكذب على الله ، ومعلوم قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب اليم .

#### والعلماء الموقعون على الفتوى هم :

عبد الله سيف الحيدري ، أحمد حسن المعلم ، عقيل بن محمد المقطري ، عبد الله بن غالب الحميري ، محمد بن محمد المهدي ، عبده عبد الله الحميدي ، علي بن علي البعداني ، عبد الرحيم الشرعبي ، محمد بن علي الرحبي ، علي بن يحيى شمسان ، حميد قاسم عقيل ، عبد الملك داود عبد الصمد ، عبد القادر الشيباني ، يحيى بن محسن الجهراني ، فاضل محمد عبدالله ، عبد العزيز الدبعي ، سعيد بن سعيد حزام ، أحمد مقبل بن نصر ، عبد الله سنان ، د . حسن شبالة ، عبد الله بن فيصل الأهدل ، عبد المجيد الريمي ، عبد الرحمن سعيد البريهي ، عبد الله بن سعيد الحاشدي ، كمال بن عبيد القادر بامخرمة ، محمد الصادق مغلس ن عبدالله علي صعتر ، عبد المجيد الزنداني ، د . عبد الوهاب لطف الديلمي ، صالح الضبياني ، علي ابن عبد الله العديني ، حسن بن محمد حيدر الوصابي ، مراد بن أحمد القدسي ، مهيوب بن حسين المعولي ، د . علي مقبول الأهدل ، عبد الله عبده الإبي ، القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني ، محمد عبد الرحمن غنيم ، د . صالح صواب ، حسين عمر محفوظ ن محمد بن علي الوادعي ، صالح ابن علي الوادعي ، أحمد حسان ، محمد ابن علي المؤيد ، طارق بن عبد الواسع ، عبد العزيز البرعي .

#### الفتوى الخامسة: فتوى بمنع ما يسمى " زف الختاميات " التي يقيمها القبرورية في

بعض مدن حضرموت كالمكلا والشحر وغيرها ، والزف هو السير الجماعي من المسجد الذي يقام فيه الحفل " حفل ختم القرآن " إلى قبر ومشهد معين ، ويصحب ذلك السماع الصوتي بالدفوف والطبول وأنواع من الملاهي ويحتشد لحضوره جمع كبير من الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً ، ويحصل فيه مفاصد كبيرة ، يقول أخونا الشيخ أحمد برعود في كتابه " الأضواء المضئية على بعض العادات الحضرمية " وهو يتكلم عن تلك العادة " البدعة " بدعة الختاميات : ( ولقد أملت على هذه الفتوى وكتبتها بيدي ووقع عليها المشايخ المذكورون في نفس الجلسة عدا السيد عباس حامد الحداد لم يكن حاضراً ، كما زكى الفتوى السيد عبدالله بن محفوظ الحداد . فأليك أخي القارئ نص الفتوى :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ويعد : فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشحر على أن تمنع زفوف الختاميات بعد نهاية

الصلاة والقرآن لما يترتب على ذلك من المفساد والمنكرات التي لا تتفق مع الشرع الشريف ، فعليه نطلب من حكومتنا الموقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمر ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) ، كما نطلب من السيد الفاضل عبد الله بن محفوظ الحداد في هذا الموضوع أن يصدر فتوى لمنع الزفوف منعاً لما يحصل بسببها من المنكرات والمفساد ، وبعد هذه الفتوى ينبغي ويلزم كل مسلم أن يمنع أهله من الحضور لمثل هذه المجموعات التي تحصل فيها المنكرات حصولاً ظاهراً ، ومع العلم أنه ليس هناك ختم حقيقي للقرآن الكريم كما كان السلف يقرأون من أوله في الصلاة ثم يختمونه في إحدى الليالي ويدعون الله بعد الختم ويحضره الناس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيوتهم هذا وبالله التوفيق .

وكذلك نعلم حكومتنا الموقرة أن هذه الليالي من رمضان يجتمعن كثير من النساء في الأسواق لشراء حوائجهن ، فيجتمع بسببهن كثير من السباب فيحتكون بالنساء احتكاكاً متعمداً ياباه الشرع الحكيم وأهل النفوس الزكية ، فالمطلوب من حكومتنا الموقرة أن تقوم بملاحظة هؤلاء الناس ، ودفعهم عن النساء وهم المسؤولون بين يدي الله سبحانه وتعالى .

والله الموفق

٢١ / رمضان ١٤١١ هـ

التوقيع :

" الشيخ عبد الكريم عبدالقادر الملاحي ، الشيخ سالم خميس حبليل ، الشيخ السيد عباس حامد الحداد " .

الحمد لله وأنا بدوري أزكي ما قاله مشايخ الشحر وعلماءها وأضم صوتي إلى صوتهم لتقوم الحكومة بمنع هذه المنكرات المحدثه .

التوقيع :

عبد الله بن محفوظ الحداد<sup>١</sup> .

بيان بشأن أحداث تسوية القبور بعدن بعد انتهاء حرب الانفصال سنة (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م)

<sup>١</sup> الأعضاء البهية على بعض العادات الحضرية تأليف أحمد بن علي برعود ص ( ٣٧ ) ، الطبعة الأولى : ( ١٤٢١ - ٢٠٠١ ) .

وقد صدرت ردود فعل كثيرة تجاه تلك الحوادث معظمها كانت في معرض النقد والاستهجان لذلك العمل منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي إسلامي أو غير إسلامي كما صدرت عدة بيانات تعبر عن مواقف أصحابها منه ومعظمها إما رسمي يراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محرج أمام الجهة الإعلامية التي جوبه بها الحدث أو كانت منطلقة من منطلق حزبي تعبر عن الموقف الرسمي للحزب فلذا لم يبرز فيها الحكم الشرعي كما هو عند علماء الشرع السالمين من تلك الضغوط والحسابات الأخرى وما رأيت في تلك البيانات والكلمات والمواقف ما يمثل الحكم الشرعي الصريح إلا هذا البيان الذي وقعته مجموعة من خيرة من علماء اليمن ونشرته مجلة المنتدى التي كانت تصدر تلك الفترة من صنعاء في عددها .

وهذا نص البيان وأسماء الموقعين عليه : ( الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد ابن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، أما بعد : فقد تابع العلماء الموقعون على هذا البيان الأحداث الأخيرة في عدن :

الأول منها نتج عنه تسوية القباب والقبور التي تعلق بها عوام الناس من قديم حتى أضفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعالى متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والنذر لها .

والحدث الثاني وهو حدث لا صلة له بالأول ألا وهو اشتباك مسلح بين رجال الأمن وبعض الشباب وذلك حول مقر ما يسمى بمليشيا الحزب الاشتراكي وسببه خلاف في ملكية المنزل .

كما تابع العلماء البيانات السياسية والمقالات الصحفية ورأوا أن الحقيقة الشرعية ضاعت بين دهاء سياسي وسبق صحفي ، وكلا الأمرين لم ينطلقا من ضوابط شرعية وثوابت عقدية في ديننا الإسلامي .

لهذا رأى الموقعون على هذا البيان أن يبينوا الحكم الشرعي في هذه القضية حتى لا يشملهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>١</sup> ، كما أن هذا البيان ينطلق من قوله ﷺ فيما رواه مسلم من

<sup>١</sup> البقرة ( ١٥٩ )

حديث أبي سعيد<sup>١</sup> الخدري ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

الشرك وخطره:

من المعلوم من الدين بالضرورة ومن قطعيات الشريعة وبيقينياتها خطورة الشرك وأنه مخرج من ملة الإسلام وموجب لصاحبه عدم المغفرة وحبوط العمل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>٢</sup>، وقال تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾<sup>٣</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِیَحْبِطُنَّ عَمَلُكَ﴾<sup>٤</sup>.

وإن أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام قام على محاربة الشرك و تأسيس التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>٥</sup>، وإن من وسائل الشرك التي ابتليت بها الأمة تعظيم الصالحين ونصب القباب لهم فكانت نتيجة ذلك الغلو أن دعوهم من دون الله بحجة أنهم أولياء صالحون، وهذا من تزيين الشيطان وإضلاله، لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الواجب توقير أولياء الله ومحبتهم وإثبات الكرامات لهم؛ ولكن لا يجوز دعاؤهم والاستعانة بهم والذبح والنذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيارة الشرعية لأموات المسلمين سنة لأنها تذكرهم بالآخرة، أما الزيارات المبتدعة التي تكون موسمية ويجتمع لها الرجال والنساء ولاعبو القمار ويحدثون حول تلك القبور من المفاصد البدعية والشركية والسلوكية ما لا يرضى بها عاقل، بل هي من المنكرات والصور التي شوهت جمال الإسلام وصفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً هذه الظواهر، وهذه أقوالهم:

<sup>١</sup> الصحيح أن الحديث من رواية أبي رقية عجم بن أوس الداري

<sup>٢</sup> النساء (٤٨)

<sup>٣</sup> المائدة (٧٢)

<sup>٤</sup> الزمر (٦٥)

<sup>٥</sup> الأنبياء (٢٥)



١- قال ابن حجر الهيتمي المكي :

(وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار ؛ لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قندل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ونذره ) اهـ.. الزواجر عن اقتراف الكبائر " ١/١٤٩".

٢- الإمام الشوكاني :

وقال في الدر النضيد ص ٢٢: (وروي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبّة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع والبخور ينفخ في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عند وصوله إلى الباب : " أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين".

٣- قال الإمام الصنعاني في " تطهير الاعتقاد " :

(وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم : " على الله وعليك " يهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها .

فأهل التهايم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون : يا زيلعي يابن العجيل ، وأهل الجبال : يا أبا طير ، وأهل اليمن : يا بن علوان ) .

٤- فتوى دار الإفتاء المصرية :

هذا وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية في عهد الشيخ عبد المجيد سليم بتاريخ "١٩٢٨/٧/٢م"، ونصها : ( اعلم أنه يحرم رفع البناء على القبر ولو للزينة ويكره للإحكام بعد الدفن بل تكره الزيادة العظيمة من التراب على القبر لأنه بمنزلة البناء وهو منهي عنه لما في صحيح مسلم عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه . انتهى من الدر المختار وحاشية رد المحتار .

وحين نقول يجب إنكار الشرك ومظاهره فلا يعني ذلك إعطاء الفرصة للذين يصطادون في الماء العكر ولكن لا بد من الحكمة في ذلك واتخاذ الوسائل الناجحة في استئصال

كل المظاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا ومراعاة المصالح والمفاسد وهدم كل مظاهر الشرك من النفوس والقلوب أولاً بواسطة نشر الوعي بين المسلمين بالوسائل المشروعة حتى يتيسر هدمها في الواقع ، ألا ترى أن النبي ﷺ أوكل إلى خالد ابن الوليد بعد أن استقر في قلبه هدم العزى ، حتى قال خالد ﷺ :

ياعز كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك

ولقد حرص الحزب الاشتراكي على دعم الخرافيين الذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الانفصال وذلك سعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام .

وإنه من ما ينبغي التنبيه عليه أن الحامل لبعض الشباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسلمات الدين وضرورياته ، وما ثبت عن النبي ﷺ ، أنه قال: (( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )) - متفق عليه - .

وروى مسلم في صحيحه أن علياً ﷺ قال لأبي الهياج الأسدي : (( ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته .. )) .

إلا أن بعض الساعين إلى الفتنة والحاquدين على وحدة الأمة استغل الحدث أبشع استغلال بغية ضرب المسلمين بعضهم ببعض وشق صفهم ولبس الحق بالباطل ، وتشويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً .

وأدخلت قضيتان في بعضهما مع أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى ، فقضية تسوية القبور كانت يوم الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ وما قبلها من أيام ومرت بسلام .

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كانت يوم السبت ٢٨ ربيع الأول ١٤١٥هـ وهي القضية المؤسفة جداً التي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سواء من الأمن أو الشباب ، فسفك الدماء بهذه الطريقة يدل على عدم مسؤولية وتصرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتسبب لهذه الحادثة ، وحتى لا يكون بداية سيئة وخطرة يستغلها أعداء شعبنا لتفجير صراعات داخلية واستغلالها سياسياً في الخارج وتلك هي أمنية الانفصاليين .

وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي :

- ١- على ولاية الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشرعي في محاربة الشرك ومظاهره واتخاذ الوسائل الشرعية لذلك وتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي لنتولى محاربة جميع ظواهر الفساد ، وهذا يسد أبواب الفوضى والاضطراب .
- ٢- اتحاد كلمة العلماء وخصوصاً في مثل هذه المواقف الخطرة وأن يصدروا عن مواقف مشتركة ومنسقة تخدم دين الله ﷻ .
- ٣- على الشباب الرجوع إلى العلماء والالتفاف حولهم وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلماء ومعرفة توجيهاتهم والحكم الشرعي في ذلك ، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشاورة العلماء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية .
- ٤- أن يتم تغيير المنكرات بالحكمة ومراعاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد .
- ٥- أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع لأن هذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام .
- ٦- تشكيل لجنة من العلماء والالتقاء بالشباب لمعرفة ملبسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم .
- ٧- أن يقوم ولاية الأمر برعاية مصالح الأمة وشبابها وصيانة دينها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .
- ٨- يجب عدم إعادة الأضرحة وتشييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشرعي في ذلك ويجب إنفاق الأموال المرصودة لذلك للمتضررين من الحرب وخاصة في المحافظات الجنوبية .

والله من وراء القصد

صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٤١٥هـ

العلماء الموقعون على البيان هم :

عقيل المقطري ، عمار بن ناشر ، طارق عبد الواسع ، عبد العزيز الدبعي ، عبد القادر الشيباني ، أحمد علي معوضة ، علي محمد بارويس ، عارف أنور ، أحمد الشيباني ، عبد الكريم الضراسي ، زيد بن ثابت ، عبد الله سنان ، مجاهد الوصابي ، علي صالح عنان محمد ، عبد المجيد الريمي ، محمد عبد الله الإمام ، يحيى الجهراني ، د. عبد الوهاب الديلمي ، حمود علي ناصر السعيد ، علي العديني ، عبد الله الحاشدي ، مراد القدسي ، يحيى علي محمد جفمان ، صالح الوادعي ، محمد الوادعي ، أحمد مقبل ، خالد أحمد سعيد .

## المبحث الرابع

### الجهود العملية لمواجهة القبورية

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القبورية:**

**التعريف :**

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية، هدفها إعادة الأمة إلى ما كان عليه الأمر في عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وذلك بالدعوة إلى التوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما دخلها من عقائد ومفاهيم منحرفة، أدت إلى الشرك بالله تعالى، ودعوة للتابع الكامل للنبي ﷺ وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البدع والمحدثات، والمجاهدة لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه. هذا ملخص ما يمكن أن تُعرَّف به دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

**نشأتها:**

نشأت الدعوة السلفية التي جدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب "دعوة الإسلام الأولى" في ذهنه، بعد أن بدأ في طلب العلم وبدأ يقارن بين ما يتعلمه من مبادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بدأ فعلاً عندما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الدعوة راوحت مكانها بل كاد أن يقضى عليها بالقضاء على الشيخ نفسه، حينما عزم أمير العيينة على تصفيته جسدياً<sup>١</sup>، فهاجر من العيينة إلى الدرعية وفيها نشأت الدعوة النشأة الأخيرة العملية، ومنها انطلقت حينما وجد الشيخ المناصرة الكاملة من قبل أميرها محمد ابن سعود - رحمه الله - وذلك سنة ( ١١٥٧ هـ ).

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصَدَقَتْ في ولائها، انطلق دعائها حاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد، ثم إلى الإحساء والمناطق الشرقية وإلى

<sup>١</sup> عنوان المجد في تاريخ نجد ص ( ١١ ) تأليف عثمان بن بشر - طبع مكتبة الرياض الحديثة - بدون تاريخ.

الحجاز وسائر أرجاء الجزيرة العربية ، وكان بعض ذلك في حياة الشيخ والإمام محمد بن سعود وبعضه بعد موتهما في أيام عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد ابنه سعود ، وكان من فضل الله على عباده أنه في زمن قصير تحقق للدعوة نجاح كبير ، وظهرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسائلها ، ثم أخذ أئمة الدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسرون في الأرض دعاة مجاهدين ، فمن أجاب قبلوا منه ، ومن أبى قاتلوه .

#### الماخذ على الدعوة النجدية :

وعندما تكاثرت الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية ، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع .

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين ، وإنما هناك من يركب الموجة ، وهناك من يطمع في الغنيمة ، وهناك أصناف من الناس مختلفو المقاصد وجرائهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته ، ولقد صار لتلك الدعوة صدى واسع ، وانتشر لجيوشها رعب كبير بين الناس ، خوفاً كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشراف وشيوخ طرق ، كلهم رأوا أن الدعوة تهددهم ، فبدأت الحرب بشتى وسائلها ، الحرب العسكرية والحرب الدعائية ، وغيرها من أنواع الحروب ، وكان الذي تولى كبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول ، وذلك لأمرين أساسيين :

الأمر الأول : السياسة ، إذ خشيت على أجزاء كبيرة من أطراف مملكتها ، ومن أهم تلك الأطراف الحجاز بما فيه مكة والمدينة ، أن تخرج عن سيطرتها .

الأمر الآخر : إن الصوفية الاتحادية ، كانت هي المسيطرة على الخلفاء ، وهم أعدى أعداء هذه الدعوة للاختلاف العقدي بينهما .

فمن هناك طارت الدعايات ، وانتشرت الشائعات ضد دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - وكانت كما وصفها الشيخ الإمام ابن الأمير ( وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما ، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف )<sup>١</sup> واستغل خصومها بعض الهفوات التي يقع فيها بعض المحسوبين على الدعوة فضخموها ، وزادوا فيها ، واتخذوها أدلة على ضلال الدعوة وانحرافها ، ولكن ذلك كله ما زاد الدعوة التجديدية هذه إلا رسوخاً وانتشاراً وقبولاً

<sup>١</sup> الديوان ص ( ١٧٢ ) .

في الأرض؛ خصوصاً بعد أن دخلت الحجاز، وحكمت الحرمين، والتقى دعايتها بالحجاج من كل مكان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كانوا يسمعونها، فحملوا هذه الدعوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهليهم وإخوانهم، وهاهي الدعوة "الوهابية" كما سميت وشاع ذلك عنها، هاهي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علماء وجمعيات وهيئات علمية ودعوية تسير على الخط السلفي الذي جده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في مشارق الأرض ومغاربها، رغم أن الدولة العثمانية وبواسطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حاولوا القضاء عليها، وتمكنوا من القضاء على الدولة والقوة العسكرية والكيان السياسي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ما أشربته قلوب الناس من الحق، فما خرج الجنود الغزاة من نجد حتى عادت الدعوة والقوة والدولة بشكل قوي، ربما أقوى من ذي قبل، وهاهي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها.

#### علاقة الدعوة النجدية باليمن :

من الطبيعي أن الداعية الموقن بصحة ما يدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأُمته، لا تقف همته عند حد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لذا فإنه قد كان اليمن كل اليمن مستهدفاً للدعوة مُعرّضاً لدعاياتها وجيوشها، ولقد شقت جيوشها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهايمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشرافها وأمرائها مع النجديين، وأزروهم على نشر الدعوة حتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها<sup>١</sup>.

وحينما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخول القبائل معها والقبول بما تدعو إليه، تجاوزت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمام "المنصور" أحد الأئمة الذين عاصروهم الإمام الشوكاني، وتقدمت تلك القبائل حتى حاصرت صنعاء بعد عام (١٢١٦هـ)<sup>٢</sup>، وكانت الرسل في أثناء ذلك ترد إلى صنعاء من

<sup>١</sup> البدر الطالع - ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش (١ / ٢٤٠ - ٢٤١).

<sup>٢</sup> فرجة الموم والخزن للواسعي ص (٢٣٤) و الشوكاني حياته وفكره ص (٥٥).

الدرعية بالدعوة إلى التوحيد وهدم القباب والمشاهد ، وحينما أحس الإمام المتوكل بالضغط الشديد شاور من بحضرته في هدم تلك القباب والمشاهد ، فقالوا له : إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشرعية فنعماً هو ، وإن كان إنما هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائدة<sup>١</sup> ، قال الشوكاني : ( ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة دماروما يتصل بها )<sup>٢</sup> ، كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بمدن وقرى تهامة قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسووا ما فيها من قبور مشرفة ؛ لأن هذه هي عادتهم في كل مكان يستولون عليه ، وإن لم أظفر بذلك في مرجع خاص ، والفرقة الأخرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت .

#### وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت :

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصول الجيش النجدي الذي يقوده ناجي بن قملا وكان ذلك في سنة ( ١٢٢٤هـ ) ، فاستولوا على الكسور ، وفيها حورة وهينن وحواليهما بوصالْح ابن قملا القبائل اليافعية والنهدية والشنفرية ، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً ، ولم يكن التأثير مقتصرًا على هدم القباب فقط ، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد ، ومن تلك القبائل قبيلة " آل علي جابر " ببلد خشامروما حولها في منطقة العقاد بين القطن وشبام ، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك ، كما ذكر ابن عبيد الله في " إدام القوت " عند كلامه على الحوطة " حوطة أحمد ابن زين " ويشكل أوسع في منطقة " المحيضة " إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم ، عن السلطان عبد الله عوض غرامة ،

<sup>١</sup> حوليات بمائية ص ( ٢٢ - ٢٣ ) .

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ٢٦٣ - ٢٦٢ / ١ ) .

<sup>٣</sup> تاريخ حضرموت المسمى بـ ( العدة المفيدة ) ( ٣٢١ / ١ ) للشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي . تحقيق عبدالله محمد الحبشي . مكتبة الإرشاد . صنعاء ( الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ) ، وتاج الأعراس ( ١٧٤ / ١ ) .

<sup>٤</sup> انظر إدام القوت لابن عبيد الله ص ( ٢٢٧ ) .

فقد قال: ( وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين ، فوافقته آراء الوهابية ، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة ، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رئاسة العلم بتريم ، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان ، المتوفى بتريم سنة ( ١٢٤٨ هـ ) وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبد الله عوض غرامة آراء الوهابية ، ويحثه على الالتزام بها ، ومؤاخذة الناس بمقتضاها ، فتآمروا على قتاله ، فهرب إلى بيت جبير بولم يقدر عبد الله غرامة على حمايته بتريم ؛ لأن غرامة لا يملكها كلها ، وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى تريم سنة ( ١٢٢٤ هـ ) بقيادة الأمير علي<sup>١</sup> بن قملا ، فطوى بهم حضرموت ، ولم يفسد حرثاً بولا أهلكت نسلأ ، وإنما هدم القباب وسوى القبور المشرفة وألقى القبض على المناصب ، وأهانهم وأتلف قليلاً من الكتب ، كثره بعض العلويين ، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل ، بدون مبرر من الدليل ، وأقاموا بتريم نحو أربعين يوماً ، وعاهده عبد الله عوض غرامة ، وعبد الله بن أحمد بن يمانى على أن يكف الأذى عن بلادهما ، على شرط أن يقوموا بنشر دعوته ، التي لاقت هوى من نفوسهم وقبولاً من خواطرهم )<sup>٢</sup> .

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم ، كان يوافق أهل نجد على منهجهم . وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان ، حتى أن السلطان عبد الله عوض غرامة أرسل رسالة عزاء في قتيل قتل في مشاجرة بغير قصد ، جاء فيها : ( إننا لا نريد ذلك ولا نحبه ، وإنما كان قتله على غير اختيارنا ، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب ، وسيجر عليكم ما هو أعظم ) ، قال ابن عبيد الله : ( ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم ، ذكره السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان ، والله أعلم )<sup>٣</sup> ، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية ، بل وطلبهم وصول دعائها إلى حضرموت ، يقول ابن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سالم منصب عينات : ( وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت ، بطلب من بعض السادة وآل كثير ، ولم يكن لهم عسكر كثير ،

<sup>١</sup> كذا قال والصراب ناجي بن قملا .

<sup>٢</sup> إدام القوت الحلقة ( ٤٠ ) في مجلة العري التي تصدر في الرياض .

<sup>٣</sup> إدام القوت ص ( ١٢٣ ) .



وإنما كانوا ينشرون دعوتهم ، ويستجيب لهم الناس ، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر ، غربي شبام ، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم <sup>١</sup> ، ولكن وجود النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى ، والتي انتهت بوصول القوات المصرية إلى الدرعية سنة ( ١٢٣٣ هـ ) <sup>٢</sup> ، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة ( ١٢٢٦ هـ ) <sup>٣</sup> ، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية ، ومن هنا قلّت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت ؛ ولذلك فقد هزم هذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعدة بقيادة السادة آل العطاس <sup>٤</sup> ، ورجعوا إلى بلادهم .

ولكن آثار دعوتهم مازالت موجودة ، وكان أشهر بلد استقرت على مبادئ هذه الدعوة هي بلد خشامر وأهلها آل علي جابر ؛ لذلك كانت من النوادر أن أحداً إذا أراد من ولي كرامة فلم تحصل يهدده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر ، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد :

زوار جيناً بانزورك يا علي      لي تكرم القاصد وترحب بالغريب  
إن شيء كرامة با تقع ذا حلها      والا رجعنا لا قداً صالح حبيب <sup>٥</sup>

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جابر الوهابيين ، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر ، وله ولد مريض ، فخاطبه بقوله : ( وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر ) <sup>٦</sup> . وكل ذلك قد تقدم . وما لبث الناس بعد ذهاب النجديين إلا يسيراً ، فنشأت جمعية الإرشاد بإندونيسيا ، فتواصل التأثير ، ولله الحمد ، حتى جاء الله بهذه الصحوة التي هي سلفية سنية منابذة

<sup>١</sup> إدام القوت ص ( ٤٣ ) .

<sup>٢</sup> عنوان المجد ص ( ١٩١ - ٢١٤ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ( ١٥٧ ) .

<sup>٤</sup> انظر تاج الأعراس ( ١ / ٢٣٠ - ٢٣٧ )

<sup>٥</sup> تذكير الناس ص ( ٢١٩ ) .

<sup>٦</sup> تذكير الناس ص ( ٢٢٠ ) .

للقبورية متمسكة بمنهج السلف الصالح رضوان الله، عليهم نسال الله أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويهدي الجميع للتمسك بما يرضيه

**المطلب الثاني : دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن :**

من خلال العوامل التي أدت إلى قيام دعوة الإرشاد يمكننا أن نتعرف على أهم ملامحها،

فالعوامل التي أدت إلى قيامها هي :

( ١ ) الجهل المركب الذي يسود العرب في إندونيسيا .

( ٢ ) تمادي العنصريين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء مادياً واجتماعياً .

( ٣ ) كثرة البدع والخرافات .<sup>١</sup>

من خلال هذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثورة على الجهل الذي كان يسود العرب في مهجرهم ، ووسيلة إزالته العلم ، وثورة على التعالي العنصري ، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي جاء به الإسلام ، وثورة على البدع والخرافات ، وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن مجموع ذلك نتعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا ، فنها تقوم

على ثلاثة أصول:

(١) نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات .

(٢) المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائع في المجتمع .

(٣) محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع .

وهذه الأصول كلها نقض لبعض أركان القبورية في اليمن ، وقد سبق ذكرها

مفصلة في الباب الثاني في آثار القبورية .

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن، مؤسسي هذه الجمعية ، وكان لها أثرها الطيب ؛ حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم ، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات ، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم ، وأذكر أن أحدهم في قريتنا

<sup>١</sup> تاريخ الإرشاد ص (٦) .

عمد إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ " المكتبة الشعبية " وعند العوام بخزانة الشيخ عمر بن أحمد، قام ذلك الشخص بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق الكتب -على جهة التعظيم- وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبدالرحيم ابن محمد المهجوس العمودي رحمه الله، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد، وبالقرب من هذه القرية في قرية "الرضحين" كان هناك رجل آخر من أعضاء جمعية الإرشاد عاد إلى البلد من أندونيسيا بالمنهج السني والدعوة إليه وكتب السنة من حديث وتفسير وعقيدة وبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وقد نفع الله به أهل منطقته فهم إلى اليوم ولله الحمد على السنة والتوحيد لا وجود للخرافة بينهم ذلك الرجل هو الشيخ : عبد الله باسعيد بن جبير رحمه الله .

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة من مناطق حضرموت إلا ووجد فيها مثل ذلك الرجل ، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم .

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها ، من ذلك ما هو مكتوب ، ومنه ما هو على الألسنة .

**المطلب الثالث : جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في مواجهة العملية للقبورية :**

إن القبورية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن ، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادوي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرافض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة ، لذلك ؛لم يكن في أصل المذهب الهادوي ترخيص في البناء على القبور ، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شيء من ذلك ، وإنما طرأت تلك الأقوال في القرن السابع عندما توافد الصوفية على اليمن وحينما بنى بنو أيوب المشاهد على قبور سلاطينهم بميزوها عن قبور الناس ، عند ذلك سرت العدوى إلى ديار الزيدية ، وبقيت محصورة على الأئمة الحاكمين وأسرهم ومقربيههم ، فهي فتوى سياسية أكثر منها شرعية واعتماد على إلحاح الواقع لا على أدلة الشرع ؛ولذلك فليس هناك تعظيم للقبور التي في ذلك الجزء من اليمن كما هو في بقية الأجزاء الأخرى ، وليس هناك فلسفة لزيارتها كما

يوجد عند الصوفية ؛ لذلك كله كان من السهل على علماء تلك البلاد وبعض حكامها أن يدركوا الحكم الصحيح لتلك المشاهد وأن يتمكنوا من هدمها وإزالتها ببسر أكثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية ، كذلك فقد كانت هناك جولات لبعض العلماء وبعض الأئمة وجهود عملية لإزالة بعض تلك المشاهد وتسوية القبور المعظمة عند بعض العامة بوقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات .

**الجولة الأولى :** على عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسم المولود ( ١١٣١هـ ) والمتوفى سنة ( ١١٨٩هـ ) والذي كان معاصراً للإمام ابن الأمير الصنعاني رحمه الله المتوفى ( ١١٨٢هـ ) ، فقد قام هذا الإمام بهدم كثير من تلك المشاهد والقبور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى ، قال الإمام الشوكاني رحمه الله : ( وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- ومن أتباعهم رحمهم الله ، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي ، ولا يتسع المقام لبسطه ، وآخر من كان منهم نكالا على القبوريين بوعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية ، مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين ابن القاسم رحمه الله ، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم ، وأتى على غالبها ، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها ، وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل ، وكان ذلك الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين <sup>١</sup> .

**أما الجولة الثانية :** فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية ، قال الإمام الشوكاني رحمه الله - في ترجمة سعود ابن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود في البدر الطالع : ( وما زال الوافدون من سعود يفتدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور ، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ، ويكتب إلي أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين ، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار يوما يتصل بها ) <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> الدر النضيد ص ( ١٢٦ - ١٢٧ ) .

<sup>٢</sup> البدر الطالع ( ٢٦٢/١ - ٢٦٣ ) .

وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب "حوليات يمانية" الذي حققه ونشره السيد عبدالله الحبشي حيث قال : ( وفي سنة ( ١٢٢٩ هـ ) تهاى المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة ، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبدالله العكام ، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى دمار ، وبقي خارج دمار يطلب المغلّبات من الإمام بولم يتم منه بشيء ونهب محل اليهود في دمار لا رحمه الله ، وتعدى إلى الطريق المسبلة ، ورحل خارج اليمن ، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب .

وفيهما وقعة السرايم خارج جبلة ، وخاب السعي من النفوذ على تهامة ، فكلما هياهم المتوكل للتحضير على المخالفين طلبوا المغلّبات ، وما مقصدهم إلا الفساد ، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم ، ورجع الإمام إلى صنعاء ، ورجح مكاتبة النجدي ومداهنته ، حتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخرون الأمير محمد ، ويوسف القرمانى وجماعة معهم ، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين ، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته ، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشرعية حقيقة لا على أنها مداينة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع ، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض ، فرجع المتوكل الأمر بهدمها وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة صلاح الدين ، وقبة المنصور حسين في الأبهر ، وقبة الفليحي بوسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر ، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة ، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغراس وأرسل على بقية النواحي بهذا <sup>١</sup> .

ومن هذا النص نفهم أن أصحاب نجد قد شددوا على الإمام في صنعاء في هذا الأمر وقد وجد الإمام نفسه مضطراً لقبول ضعفهم والعمل بما يدعون إليه ، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده ، وكان العلماء يتحينون هذه الفرصة ؛ لأنها تحقق جزءاً مهماً من دعوتهم ، ولذلك كان جوابهم : ( بأنه إذا كان العمل بالشرعية حقيقة لا على أنها مداينة للنجدي ، وقبول لقوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة على الوجه المشروع ، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض ، فرجع المتوكل الأمر

<sup>١</sup> حوليات يمانية ص ( ٢٢-٢٣ ) .

بهدمها)<sup>١</sup>. فهذا جهد كبير كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتنفيذه برغبة وقناعة تامة من علماء اليمن ، والنتيجة هي هدم تلك القباب وتسوية تلك القبور المشرفة وإن كانت قد أعيدت إلى سالف عهدها فيما بعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ونموذج آخر قام به أحد الأئمة ولكن ، هناك شكوك في دوافعه ، تلك الجهود هي التي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حينما كان ولياً للعهد في أيام أبيه وحاكماً للواء تعز ، فقد قام بهدم قبة أحمد ابن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عام ( ١٣٤٨ هـ ) ، وتحطيم تابوت أحمد ابن علوان وإخراج رفاتة ثم دفنه في مكان مجهول عام ( ١٣٧٢ هـ ) ، وهذا العمل من حيث أنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيد ، ولكن الشكوك ساورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة يومنها ما قد فتن به بعض الناس ، ومع ذلك لم يمسها بشيء من ذلك ، قال القاضي إسماعيل الأكوخ في " هجر العلم " بعد أن ذكر هدم الإمام أحمد لهذين المشهدين : ( وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعا في كلتا الحالتين ، ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه ، ولا سيما القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة ، ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر<sup>٢</sup> ، ثم استطرد في الموضوع إلى أن قال : ( وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركات ؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ )<sup>٣</sup> .

قلت : وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه يوما كان مقصده تطبيق أمر الشرع بشكل خالص ؛ وإلا لعمم ذلك ، وربما يعتذر له بأن هذه المشاهد تحت سلطته بينما غيرها ليس له عليها سلطة ، فقد مر أن أباه كان يؤيد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة ، وقد أمر ببناء واحد منها في منطقة أرحب على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفى سنة ( ١٢٦٩ هـ ) والمدفون في ( دار أعلا من أرحب للتبرك به ، وهددهم بأنهم إن

<sup>١</sup> هنا في التعليق على الكتاب ص ( ٢٢ ) رقم ( ٧ ) قلت : وفي هذه المناسبة ألف العلامة محمد بن علي الشوكاني رسالة ( شرح

الصدور في تحريم رفع القبور ) .

<sup>٢</sup> هجر العلم ( ١ / ٢٢٣ ) .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ( ١ / ٢٢٥ ) .

لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاتة إلى مكان آخر ، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة ، ووضعوا على قبره تابوتاً<sup>١</sup> .

والخلاصة أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق ، وقضوا ما عليهم ، وقاموا بما أمروا به ، فمن كان منهم مخلصاً فأجره على الله ، ومن كان له مقصد آخر : فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

**المطلب الرابع : الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن :**

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشرفة كانت من عهد النبي ﷺ ولا تزال إلى اليوم ، وقد مر في الباب التمهيدي حديث علي - رضي الله عنه - حين قال لأبي الهياج الأسدي : ( ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته )<sup>٢</sup> ، وهو يدل على أن النبي ﷺ بذل جهوداً في محاربة القبور المشرفة ، وكذلك علي - رضي الله عنه - في أيام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه ، ويأمر بتسويتها ، وقد مر هناك .

ثم مازال ولادة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر ، كما صرح الإمام الشافعي - رحمه الله - بذلك في الأم ونقلته في الباب التمهيدي ، وإنما تخاذل ولادة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القرن الرابع كما مر كذلك ، وفي القرون المتأخرة أصبح السلاطين يؤيدون القبرورية : لأغراض سياسية فعمقوها وجذروها في الأمة وأصبحت الجريمة ليست هي بناء المساجد والمشاهد على القبور ، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية .

وبالمناسبة أقول : إنه لدينا في اليمن تجري السلطة على نفس منهج السلاطين المتقدمين من مجارة للقبرورية ومداينة لهم ، ونتوهم أنهما بذلك يكسبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم ، وهذا وهم كاذب ، فالصوفية لا تحب هذا النظام أو تنصح له ، وأكبر دليل ما حصل منها أثناء حرب الانفصال وكل الناس يعرفون موقفها من ذلك ، وعندما يقوم فرد أو مجموعة من الغيورين بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فيسبون قبراً أو يهدمون مشهداً ، تقوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون ،

<sup>١</sup> المصدر السابق ( ٢٢٥/١ ) .

<sup>٢</sup> تقدم نغريجه ص ( ٥٤ ) .

وتشهر بهم الصحف المأجورة، ويتناولهم بأنواع السباب والشتائم من لا علم ولا دين ولا خلق له، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقول: إنه قد يحصل شيء من هذا، لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بناء مشاهد جديدة وترميم وإصلاح المشاهد القديمة وبعث العادات والبدع القبورية الميتة، أليس هذا كله يستفز الأمة التي قد عت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وسائل الشرك؟ وجميع المسؤولين والمهاجمين لمعارض القبورية معترفون به، فإذا لم تجوز الإثارة من قبلهم ولا تجوز من قبل معارضيههم؟ مع أنهم على باطل ومعارضوهم على حق باعتراف قيادات الأمن وقضاة المحاكم وأساتين الصحافة؟ هل لأن الدعاة لا يلجأون للإثارة وتهيج الجموع؟ والقبورية يتقنون ذلك؟ أم أن هناك إحياءً بذلك من جهات لا نعرفها؟ يجب أن نسمع جواباً شافياً على هذا التساؤل وعدلاً وإنصافاً مع الأطراف المختلفة والتخلي عن محاباة طرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهم أن الصوفية القبورية ومن على شاكلتهم قادرون على أن يحققوا لبعض الأحزاب أهدافها، فوالله ما هم بفاعلين؛ لأنهم إنما يسعون لمصلحة مبادئهم ومناهجهم لا لمصلحة أحد سواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا الحزب أو ذاك فلم يعودوا قادرين عليه؛ لأن الأمة قد سحبت ثقتها منهم ولم يعد نفوذهم يسيّرهما.

نماذج من تلك الجهود:

بعد هذه المقدمة التي أطلت فيها حيث لم أستطع تجاوز هذا الموضع بدونها أقول: (إن هناك نماذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقدم قريباً ما فعل علماء صنعاء عندما واثت الفرصة لهم، كما سبق في مبحث من مباحث هذا الباب، ما فعله القاضي العلامة عبدالله عوض بكير وزملاؤه أعضاء لجنة الشؤون الدينية حينما قامت اللجنة الشرعية وأعطى لها الصلاحيات من إزالة الكثير من منابر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضائي من إغلاق لمشهد "علوية" بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.



ولقد تساند بعض القضاة الصالحون مع بعض مسؤولي النواحي في - ما كان يعرف بالشرط الشمالي من اليمن - فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة وهاك مثلاً على ذلك وهو ما أخبرني به الأخ الشيخ محمد ابن علي الغيلي من احتساب، قام به الشاب الغيور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأستاذ الشهيد - إن شاء الله - " أحمد بن أحمد الأمين " مع مجموعة من إخوانه طلبه العلم والدعاة حيث قرروا إزالة هذه المشاهد وما يترتب عليها من مفساد، وبدأوا بالتوعية والتهيئة لذلك ، ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجمعين على أن ذلك من البدع المنكرة ، غير أنهم ما كان بمقدورهم الإفصاح عن ذلك ، ثم اتصلوا بالمسؤولين " العامل والقاضي ومسؤول الأوقاف " ، وقد وافقهم الجميع ، ثم أخذوا أمراً من القاضي " محمد بن علي الخزان " حاكم القضاء ، هذا نصه :

( نأمر المذكورين المحررة أسماؤهم بالعزم بمعية الولدين محمد علي الغيلي ، وأحمد الأمين لهدم مشهد "الصوفرة" ليزول الاعتقاد والفساد لدى العوام وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيدة الحقّة، اعتمدوا هذا .

١١/شعبان سنة ١٣٩٤هـ

حاكم القضاء

محمد بن علي الخزان ) .

وذكر أسماء المكلفين بذلك ، وقد نفذت العملية صبيحة يوم الرابع عشر من شعبان عام ( ١٣٩٤هـ ) وذلك من قبل الشباب المذكورين، ومعهم عدد من الجنود المسلحين ، ولم يحدث شيء يذكر من فتنة ولا غيرها ثم قضى على بقية المشاهد في المنطقة ، والحمد لله رب العالمين.

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظه الله ، وصورة أمر القاضي موجودة لدي ، وإليك مثلاً ثانياً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شبوة حيث قام مجموعة من المهاجرين إلى الحجاز الذين جالسوا علماء مكة والمدينة وعرفوا منهم الحق في موضوع القبورية قاموا بعمل ملفت حيث اتفقوا مع الشيخ الجليل والداعية المعروف الشيخ محمد بن عبد الوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية ، والذي كان مقيماً في المدينة حيناً وفي مكة حيناً آخر ، اتفقوا أن يصحبوه إلى بلادهم للدعوة إلى الله عز وجل ونشر السنة والتوحيد وإصلاح ما أفسدته القبورية، فارتحل معهم وذلك قبيل استقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل ، حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى "سلطنة

الواحدى " ومكثوا مدة طويلة فيها، يدعو الشيخ ويعلم الناس، وتلك المجموعة تناصره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكان لدعوته أثر طيب منه قيام أولئك النفرومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا أنه النبي (دانيال ابن هادون بن هود) ولا أدري كيف أجازوا إضافة نبي لم يخبر به كتاب ولا سنة ولا أثر صحيح، المهم اكتشف القبر ورسخ في عقول ونفوس الناس أنه قبر هذا النبي " المزعوم "، فصار مشهداً تقام له زيارة سنوية في رجب وتحصل فيها اجتماعات وكرامات، هذا القبر الذي فتن الناس به، هدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً<sup>١</sup>.

ومن العجب - وكل أمر القبرورية عجب - أن بعض الإخوة الذين عاصروا هدم ذلك القبر أخبرني أنه عندما هدمت القبة، وأزيل ما على القبر لم يوجد به أي قبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يدل على أنه قد دفن فيه أحد .

ومثال ثالث أخير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كان من نتائجها تسوية القبور المشرفة، وهدم القباب المرتفعة، وتحطيم التوابيت التي على قبور من يدعون أنهم أولياء، فيفتتن بهم عامة المسلمين، تلك الحادثة وقعت في عدن عقب انتهاء حرب الانفصال في عام ( ١٤١٥ هـ ) والتي قام بها مجموعة كبيرة من شباب الصحوة من سائر فصائل العمل الإسلامي، بعد أن رتبوا أو على الأقل أبلغوا الجهات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلمهم، غير أنه وبعد يومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ويبدو أن ذلك كان تحت ضغوط داخلية وخارجية كبيرة، وبدأوا يلاحقون الشباب الذين شاركوا في تلك الحملة، وزجوا بمجموعة كبيرة منهم في السجون، وقد ضخمت تلك الحادثة في وسائل الإعلام تضخيماً كبيراً، ووصف القائمون بذلك العمل بشتى الأوصاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هدم قبة الهاشمي وتسوية ما بداخلها من القبور المشرفة وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمان، وتحطيم تابوت العيدروس وما بجواره من القبور المشرفة، وعددها حوالي اثني عشر قبراً، ثم إخراج القبور من

<sup>١</sup> انظر ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد / محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحوت الحضار لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص ( ٣٣ ) .

المساجد وهي قبر العراقي من مسجد حسين ، وقبر مجاور للمسجد ، وقبر المهدي وقبر حسين الأهدل وقبر في مسجد العلوي بالقطيع وقبر الحامد من مسجد بالزعفران وتسوية قبر أو قبرين بـ ( صيره ) .

وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عواقب الأمر، وما سترتب على ذلك العمل من نتائج وفي ظل أجواء مشحونة بالتوتر ووجود فئات مهزومة، لم يبق لها إلا سلاح الدعاية والإشاعات الخبيثة وتوجه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام.

كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء ، مثل: الحفر عن بعض القبور ، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك ، فهذه بعض المفاصد وهي طفيضة ، وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها : امتثال أمر النبي ﷺ الخاص بتسوية القبور المشرفة ، ومنها: إزالة أماكن المنكر والفتنة التي يضل بها فئام من الناس كل حين ، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء ، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون : ( إن القطب أبا بكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني بحضرموت، إذ ضجر السويني من مزامحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك " كالصاروخ سكود " فاكشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لا يصيبهم ، ولكن المسواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم فأحدث فتحة كبيرة، لا تزال موجودة إلى اليوم ) ، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم ، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانيةه ، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحضر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح، فهذه الفائدة كبيرة جداً ، وإن كان بعض المخدوعين مازالوا يعتقدون بتصرف العيدروس في الكون حياً وميتاً ، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبرية حيلاً يبررون بها ما جرى ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض تخلي عنه الآخرون، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء .

ولقد تباينت ردود الأفعال كثيراً حول تلك الحادثة ، وقال كلُّ بما أراد أن يقول، إما عن اجتهاد أو هوى ، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتبت مقالات ، كان الغالب عليها مراعاة الحالة السياسية والوضع الذي تمر به البلاد والتأثر بما قامت به وسائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هذه العملية ، ولم أر من تلك البيانات والمقالات أكثر تجرداً ، ولا أوضح تناولاً ، ولا أنصح من بيان العلماء الذي سبق نقله في المبحث الثالث من هذا الفصل؛ لأن الموقعين عليه من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمتجربين من الضغوط والأهواء المختلفة ، فهو بحق يمثل الموقف الشرعي الصحيح إزاء ذلك الحادث ، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والبراهين الناصعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء .

## الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليّ نعمه، ووالى عليّ مننه ، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه بأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه ،وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها :

١. أن بني آدم كانوا على التوحيد الكامل حتى طرأ عليهم الشرك وذلك بالغلو في الصالحين ولم يعرف شرك في البشرية قبل ذلك .
٢. أن اليهود والنصارى واليونان كانوا قبورية متعلقين بالقبور معظمين لها معتقدين فيها عقائد باطلة وقد أخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستتبعهم في ذلك .
٣. أن العرب كانوا موحدين على ملة أبيهم إبراهيم ، حتى حرقهم عمرو بن لحي الخزاعي وكان من أسباب انحرافهم الغلو في بعض البشر ، كما حصل عندما أحبوا ( اللات ) وعظموا موضعه ،ثم اتخذوه إلهاً ، وبالغلو في آثار الأنبياء حتى عظموا الحرم وحملوا حجارته معهم تعظيماً له ، ثم أنهم عبدوا تلك الأحجار بعد مدة .
٤. أن الشرك بعد ذلك عمّ جزيرة العرب والعالم كله حتى مقتهم الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب ومعهم عدد قليل من حنفاء العرب .
٥. أن رسول الله ﷺ لم يمت إلا وقد طهر الجزيرة العربية من الشرك وعلم أمته طرق حماية التوحيد وحذرهم من الشرك ووسائله أبلغ تحذير .
٦. أن القرون المفضلة كانت خالية من جميع مظاهر القبورية ، وأن الصحابة والتابعين وأتباعهم من علماء وأمراء عملوا على إزالة أي مظهر من مظاهر القبورية المتمثلة في البناء على القبور ، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم حتى أن الخلفاء والأمراء كانوا يتولون ذلك بأنفسهم أو بوكلائهم ، وأن ما يستدل به القبورية على وجود مبان وقبور مرتفعة في ذلك الوقت إنما هو مجرد شبه لا وزن لها

٧. أن الشيعة كانوا يحاولون منذ زمن مبكر إنشاء مبان على قبر الحسين ﷺ وإقامة مراسيم بدعية له ، ولكن الخلفاء كانوا يمنعونهم من ذلك ، ويشددون في المنع ، ويزيلون ما يحدث في حين الغفلة ، وأن ذلك كان بدافع الحرص على منع الابتداع في الدين وليس كما يقول الرافضة بسبب بغض الحسين وأهل بيته .
٨. أن الشيعة الغالية من رافضة وإسماعيلية وباطنية هم الذين أنشأوا المظاهر القبورية في العالم الإسلامي ضمن بدع كثيرة ابتدعوها حينما حكموا بلاد المسلمين أواخر القرن الثالث وسائر القرن الرابع وبعض الخامس وأن تلك المظاهر قد ألفها المسلمون منذ ذلك الحين ولذلك فإن الدول السنية التي جاءت بعدهم قد قلدهم في ذلك ونشرت تلك المظاهر في البلاد التي لم تصلها الدولة الشيعية .
٩. أن الصوفية المتأخرة القائمة على الفلسفة هي نبته غريبة على الإسلام ولا علاقة لها بالزهد الذي حث الشرع عليه ، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمام معتبر من أئمة المسلمين .
١٠. لقد أخذت باطنية الشيعة جملة من العقائد عن الفلاسفة وغيرهم من الأمم الكافرة وطبقتها على أئمتها وصاغتها صياغة تناسب ملتها ثم نشرتها بين اتباعها وحملتهم عليها ثم إن المتأخرين من الصوفية أخذوا ذلك عنهم ودمجوه في منهجهم وعملوا به واعتقدوه ومن ذلك عقيدة القطبية والتصرف في الكون التي انبثقت عنها معظم العقائد الضالة في الأولياء والكرامات .
١١. كما أخذت الباطنية الشيعية والصوفية بعلّة الزيارة التي قررها الفلاسفة وأصبحوا يزورون القبور بمقتضاها لا بمقتضى العلة الشرعية التي علمها رسول الله ﷺ لأئمة وتلك العلة المأخوذة عن الفلاسفة هي الاستشفاع والاستمداد من أرواح الأموات المزورين واعتقاد أنها تمد من استمد منها
١٢. إن الصوفية الغالية الحريصة على إظهار الخوارق وعدها كرامات تدل على ولاية من جرت على يديه قد أخذوا بعدد من علوم السحر واستخدموها ونشروها في الأمة ومنهم

من كان يعاني أنواعاً من الرياضات للوصول للكشف وخرق العادة على طريقة سحرة الهند وغيرهم .

١٣. ليس ما ذكرته عن الصوفية منطبقاً على كل من انتمى إليهم أو وصف بولاية منهم ، بل ممن نسب إليهم من هو برئ مما نسب إليه ، وهناك من اعتقد عقائدهم وعمل ببدعهم ؛ تقليداً لهم وإحساناً للظن بهم ، فهؤلاء أمرهم إلى الله ، وأما ما نسب إليهم من ذلك فهو باطل وانحراف وهو إدانة للمنهج الصوفي ودليل على بطلانه ؛ لأن الصوفية هم الذين نسبوا ذلك إلى شيوخهم ونشروه مرتضين له ، بل يعدونه من أعظم فضائلهم

١٤. أثبتت هذه الدراسة أن أهل اليمن كانوا على منهج السلف الصالح في عقيدتهم وأحكامهم وأن مصادر علمهم هي كتب السنة قبل دخول الكتب الفقهية والمذاهب المختلفة وكتب الفرق المخالفة لذلك المنهج بأن منهج السلف الصالح ظل قائماً حتى بداية القرن الثامن في البلاد الشافعية وأنه ما كاد يغلب على تلك البلاد المذهب الأشعري حتى قام منهج السلف الصالح في البلاد الزيدية على يد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وأتباعه وهذا المنهج ما زال قائماً إلى اليوم والحمد لله .

١٥. كما عرفنا أن جميع المذاهب المخالفة لمذهب السلف الصالح إنما هي وافدة على اليمن وليست أصيلة فيه وأن الصوفية القبورية لم تعرف بفلسفتها المبتدعة في اليمن إلا منذ القرن السادس ولم تستقر ولم تنتشر إلا في القرن السابع .

١٦. أن جميع ما لدى صوفية العالم الإسلامي من عقائد ضالة وبدع باطلة ومخالفات ظاهرة أو خفية أو دعاوى وشطح كل ذلك قد قلدهم فيه صوفية اليمن في وقت ما أو مكان ما .

١٧. كما أظهرت الدراسة أن لسلطين اليمن السنين وأئمتهم الزيديين دوراً كبيراً في نشر القبورية وتعميقها في البلاد

١٨. كما أظهرت الدراسة أن لوجود القبورية وانتشارها آثاراً سيئة كثيرة منها :

- (أ) إفساد عقائد كثير من الناس بالشرك الأكبر والأصغر لتعلقهم بالأولياء وإيهامهم أنهم يمدون من استمد منهم ، ويعطون من دعاهم ، وينفعونهم ويضرونهم بما لا يقدر عليه إلا الله .
- (ب) نشر الخرافة في الأمة حتى أصبحت جزءاً من حياتها .
- (ج) نشر السحر واستخدامه باسم الكرامة والولاية ، حتى أصبحت تقراً عن أولياء يوصفون بأوصاف جليلة جداً ، وتنسب إليهم كرامات عظيمة ، وربما في نفس الترجمة يوصف بأنه يتقن علم أسرار الحروف والأوقاف و الرمل و ما أشبه ذلك يقتصرف بها وهي من علوم السحر والكهانة مما يجعل الباحث في شك كبير من غالب أولئك الأولياء وتلك الكرامات لاختلاط الكرامة بالسحر والكهانة وعدم التقيد في صفة الأولياء بالضوابط الشرعية .
- (د) كما أنه ترتب على ذلك نقص العلم الشرعي وتجهيل الأمة وحصر التعلم في فئات محدودة .
- (هـ) وترتب على ذلك أيضاً وجود تمايز طبقي وترفع بعض الفئات على بعض مما كان له نتائج سيئة على المجتمع .
١٩. واجه علماء اليمن القبورية وتصدوا لها رغم ما كانت تقوم به من أساليب كثيرة لمواجهة هؤلاء العلماء ، منها اللجوء إلى السلطان ، وتسخير القبائل لضرب من ينازعها واستخدام الاختراق والاحتواء والتشويه للخصم ، وقد يصل الأمر إلى التصفية الجسدية أو الضرب المبرح .
٢٠. لعلماء اليمن مؤلفات قيمة نافعة في مواجهة القبورية كتبها علماء من سائر الجهات اليمنى
٢١. لقد كان لحركات التجديد السنية أثرها البالغ على القبورية في اليمن من حيث كبح جماحها ، وتبصير الناس بمعاييبها ، وصددهم عن متابعتها ، والحركات التي كان



لها بالغ الأثر هي مدرسة التجديد والاجتهاد التي ابتدأها ابن الوزير وتبعه عليها ابن الأمير والشوكانى وغيرهم من علماء اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، ودعوة الإرشاد باندونيسيا ، وقد ترتب على ظهور هذه الدعوات هدم الكثير من المشاهد والقباب المقامة على أضرحة الأئمة والأولياء في فترات مختلفة .

هذه أهم النتائج التي خرجت بها ، ولا شك أن هناك فوائد ونتائج أخرى سيلمسها القارئ من خلال مطالعته لهذه الرسالة ، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه ، سالمة من الأغراض والأهواء ، نافعة لي ولإخواني المسلمين إنه سميع مجيب ، والحمد لله أولاً وآخراً .

# الفهارس العامة

- ١- فهرسة الآيات .
- ٢- فهرسة الأحاديث .
- ٣- فهرسة الآثار .
- ٤- فهرسة الأعلام المترجم لهم .
- ٥- فهرسة المصادر والمراجع .
- ٦- فهرسة الموضوعات .

# فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة	الآية
٤٣	٥٦٤ - ٤٣٩	سورة البقرة
١٠٢		وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
١٠٢	٤٥١	ولكن الشياطين كفروا
١٠٢	٤٥١	وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه
٤٠٢	٤٥١	ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق
١٠٢	٤٢٦	وما أهل به لغير الله
١٧٣	٥٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
١٠٤	٦٠	واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
١٢٥	١٨٠	فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به
١٣٧	٦٦٧	إن الذي يكتُمون ما أنزلنا من البينات
١٥٩	٢١٥	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
١٨٦	٣٧	من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
٢٥٥	٣١١	ربي الذي يحيي ويميت
٢٥٨	٣١١	فإن الله يأتي بالشمس من المشرق
٢٨٢	٥١٣	واتقوا الله ويعلمكم الله
٢٢٤	٦٥٠	ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم

## الآيَة

الصفحة

رقم الآية

### سورة آل عمران

٧	١٢١	فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
٧	٢٤٩	وما يعلم تأويله إلا الله
١٣٥	٤٢٣-٤٢١	ومن يغفر الذنوب إلا الله
١٥٦	٣١١	والله يحيي ويميت
١٦٩	١٥٧	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا

### سورة النساء

١١٦/٤٨	٦٦٨-٣٥	إن الله لا يغفر أن يشرك به
١١٥	١٨٠	ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى

### سورة المائدة

٣	٤١٦	وما أهل لغير الله به
٣	١٠٩	اليوم أكملت لكم دينكم
٧٢	٣٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح
٧٢	٦٦٨	إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
٧٦	٩٠	قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك
٧٧	٩١	قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم

### سورة الأنعام

٢٨/٢٧	٣٢٩	ولو ترى إذ وقفوا على النار
٥٩	٣١٢	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو

رقم الآية	الصفحة	الآية
٧٦	٤٥٦	فلم جنّ عليه الليل رءا كوكبا
٨١	٢١٣	وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم
٨٢	٤٥٦	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
٨٨	٣٤	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
٩١	٢٥٢	ما أنزل الله على بشر من شيء
١٢٠	٥٦٤	وذروا ظاهر الإثم وباطنه
١٢٨	٤٥٧	ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن
١٣٦	٢١٧	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً
١٥٣	٤١٧	وأن هذا صراطي مستقيماً
١٦٣/١٦٢	٦٥٨	قل إن صلاتي ونسكي
سورة الأعراف		
١٨/١٦	٨٥	قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم
٣٣	٥٦٤	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
٥٥	٢١٥	ادعوا ربكم تضرعاً وخفية
١١٦	٤٤٥	سحروا أعين الناس واسترهبوهم
١٤٠/١٣٨	٨٩	وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
١٣٨	٩٥-٥٨	اجعل لنا إلهاكما لهم آلهة

الآية	الصفحة	رقم الآية
وهو يتولى الصالحين	٤٧٦	١٩٦
سورة الأنفال		
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٠٧	٣٩
سورة التوبة		
براءة من الله ورسوله ...	١٠٨	٣/١
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس	٣٣	٢٨
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله	٩٠	٣١
إن الله له ملك السموات والأرض	٣١١	١١٦
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم	٤٧٥	١٢٨
سورة يونس		
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم	٣٨	١٨
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله	٤٢٣	١٨
هو الذي يسيركم في البر والبحر	٤٩٠	٢٢
هو يحيي ويميت وإليه ترجعون .	٣١١	٥٦
ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٢٠٠-٤٦٠	٦٤/٦٣/٦٢
سورة هود		
وما آمن معه إلا قليل .	٥٦٤	٤٠
فمنهم شقي وسعيد ...	٣٥٩	١٠٥

## سورة الرعد

لكل أجل كتاب ٦٥٠ ٣٨

## سورة العنكبوت

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ٥٢٧ ٢

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ٥٥٢-٢٤٨ ٩

إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ٦٥٥ ٤٢

## سورة النحل

وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدناهم ٤٢١ ٣٥

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ١٠٧-٣٢ ٣٦

إنما يعلمه بشر ٥٤٨ ١٠٣

إن إبراهيم كان أمة قانتاً ٩٩ ١٢٣/١٢٠

## سورة الإسراء

ولا تزر وازرة وزر أخرى ١٥ ٤٢١

وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ٤٩٠ ٦٧

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ١٦٢ ١١٠

## سورة الكهف

قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ٢١٩ ٢١

ما أشهدكم خلق السموات والأرض ٦٠٧ ٥١

فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا ٣٣٥ ٦٥

هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ٣٣٥ ٧٠/٦٦

الآية	الصفحة	رقم الآية
لقد جئت شيئاً إمراً	٣٤٧	٧١
لقد جئت شيئاً نكراً	٣٤٨	٧٤
هذا فراق بيني وبينك	٣٤٠	٧٨
رحمة من ربك	٣٣٦	٨٢

### سورة مريم

يا أبت لا تعبد الشيطان	١١٥	٤٤
------------------------	-----	----

### سورة طه

يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى	٤٤٥	٦٦
وما أعجلك عن قومك	٩٠	٩١/٨٣

### سورة الأنبياء

وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه	٦٦٨-٣٢	٢٥
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى	٣٧	٢٨
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد	٣٥٣-٣٣٧	٣٤

### سورة الحج

وإذ بوأنا لإبراهيم	١٠٢	٢٦
ملة أييكم إبراهيم	٩٩	٧٨



الآية	الصفحة	رقم الآية
سورة المؤمنون		
ثم إنكم بعد ذلك لميتون	٣٣٠	١٦/١٥
إن هذه أمتكم أمة واحدة *	٤٩٣	٥٢
قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً	٣٢٨	١٠٠/٩٩
سورة النور		
كمشكاة فيها مصباح	٣٢٦	٣٥
سورة الفرقان		
ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً	٤٢١	٧٠-٦٨
سورة الشعراء		
وإذا مرضت فهو يشفين	٣١٥-٥٣	٢٢٧
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون	٤٢٢	٢٢٧
سورة الزمل		
أمن يجيب المضطر إذا دعاه	٢١٥	٦٢
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	٤٨٥	٦٤
سورة القصص		
ما علمت لكم من إله غيري	٣١١	٣٨
سورة العنكبوت		
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء	٤٢١	١٢

رقم الآية	الصفحة	الآية
٦٩	٤٦٠	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
		سورة الروم
٣٠/٤٢	٨٣-٣٢	فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله
٤٢	٣٢	قل سيروا في الأرض فانظروا
		سورة لقمان
٣٢	٤٩٠	وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
٣٤	٣١٦	إن الله عنده علم الساعة
		سورة الأحزاب
٢١	١٨٠	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٥٣	١٧٤	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
		سورة سبأ
١٣	٥٦٤	وقليل من عبادي الشكور
٤١/٤٠	٤٥٧	ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول
		سورة فاطر
٦	٨٥	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
١٨	٤٢١	وإن تدع مثقلة إلى حملها
		سورة يس
٣٠	٣٢٩	ألم يرو كم أهلكنا قبلهم من القرون
٦٢/٦٠	١١٥-٨٥	ألم أعهد إليكم يا بني آدم

## الآية

الصفحة

رقم الآية

### سورة الصافات

٧٧	٣٣٩	وجعلنا ذريته هم الباقين
٨٩/٨٨	٤٥٦	فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم

### سورة ص

٧/٤	١٠٧-١٠٣	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم
٢٤	٥٦٤	وقليل ما هم
٨٥/٨٢	٨٥	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك

### سورة الزمر

٧	٣٧	ولا يرضى لعباده الكفر
٤٧	٤٢٢	وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
٦٥	٦٦٨-٣٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك

### سورة غافر

٦٠	٢١٥	وقال ربكم ادعوني استجب لكم
٧٨	٣٤٨	ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك

### سورة فصلت

٣٥	٢٦١	وما يلقها إلا الذين صبروا
----	-----	---------------------------

### سورة الشورى

٢١	٤٠٩	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
٥٠/٤٩	٣١٣	لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء

الآية	الصفحة	رقم الآية
سورة الزخرفه		
ستكتب شهادتهم و يستلون	٥٦٥	١٩
سورة الحجرات		
إنما المؤمنون إخوة	٤٩٣	١٠
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	٤٩٣	١٣
سورة النجم		
أفرايتم اللات والعزى	٨٧	١٩
سورة الواقعة		
أفرايتم الماء الذي تشربون	٣١٦	٦٩، ٦٨
سورة الممتحنة		
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه	٩٩	٤
سورة الصفه		
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق	١١١	٩
سورة نوح		
وقالوا لا تذرنا آهتكم	٨٦-٣٩	٢٣
سورة الجن		
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن	٤٥٦-٣٧٢	٦
إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه	٣١٢	٢٧

الآية	الصفحة	رقم الآية
سورة النازعات		
أنا ربكم الأعلى	٣١١	٢٤
سورة الانشقاق		
يا أيها الإنسان ما غرك بربك	٤٨١	٦
سورة الشرح		
فإذا فرغت فانصب	٢١٥	٨، ٧
سورة النصر		
إذا جاء نصر الله والفتح	١٠٨	١

# فهرس الأحاديث

الصفحة

الحديث

٢٣٠	أتاكم أهل اليمن
٥٠٥	إذا أتاكم من ترضون دينهم
٤٣٤	أربع في أمي من أمر الجاهلية
٥٤	اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٨٥	ألا إن ربي أمرني
٢٣٠	الإيمان يمان
٩٥	الله أكبر إنها السنن
٤٥٣	أن أناساً سألو النبي عن الكاهن
٤١٨	أن أناساً من أهل الجنة
٨٧-٤٧	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً
١٠٩	إن الشيطان قد أيس أن
٥٥٢	إن الله تعالى يبعث لهذا الأمة
٦٦٣	إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة
٤٦٩	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
٤٧٧	إن الله يحب العبد التقي
٤٥٤	إن الملائكة تعول في العنان
٦٤	أن رسول الله ﷺ هي أن تبنى القبور
٦٤	إن كسر عظم المؤمن ميتاً ككسره حياً
٥٠	إن من شرار الناس
٢٠٢	إن من عباد الله أناساً

الصفحة	الحديث
٤٨٦	أن رجلاً قال : والله لا يغفر
١٨٨	إنك تقدم على قوماً
٥١٠	إنما العلم بالتعلم
٥٠	إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل
٤٤	اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد
١٨٨	بشراً ولا تنفراً
٣٢	بعثت بين يدي الساعة بالسيف
٤٥٩	حدثني قالت ما أحدثك حديث خرافة
٣٣٩	خلق الله آدم
٦٨	رأى رجلاً يجيء إلى فرجة
٣٣٧	رأيتكم ليلتكم هذه
٤٧٧	رب أشعث مدفوع بالأبواب
٥٨	سبحان الله هذا كما قال قوم موسى
٧٤	سلام عليكم دار قوم
٣١٦-٤٥٣	صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح
٨٩-٤٣	قاتل الله اليهود والنصارى
٧٤	قولي السلام عليكم
٦٦٢	كل محدثة بدعة
٨٤	كل مولود يولد على الفطرة

الصفحة	الحديث
٦٤	لأن أمشي على جرة
٦٤	لأن يجلس أحدكم على جرة
٤٧٥	لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً
٤٥٦	لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك
٦٨	لا تتخذوا قبري عيداً
٤١	لا تجعلوا بيوتكم قبوراً
٦٥٨	لا تجعلوا قبري عيداً
٤٣	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها
٦٥٨-٥٤	لا تدع ثنائلاً إلا طمسته
٥٥٢-١٠٩	لا تزال طائفة من أمتي
٤١٧	لا تزول قدما عبدٍ
٧٥	لا تشد الرحال
٤٣	لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر
١١٣	لا تعذبوا بعذاب الله
٧٦	لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة
٨٢	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي
١١١	لا تقوم الساعة حتى تضطرب
١١٠	لا تقوم الساعة حتى تلحق
٥١	لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله
٣١٥	لا عدوى لا طيرة



الصفحة	الحديث
٣١٥	لا يورد ممرض على مصح
١١١	لا يذهب الليل والنهار
٨٢	لتبعن سنن من كان قبلكم
٤٧	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٦٥٨	لعن الله من ذبح لغير الله
٦٥٨	لعن زوارات القبور
٣٦	لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني
٣٤٨	لما قام موسى خطيباً
٣٥١	لما قبض رسول الله أحرق
٩١	لما نزل برسول الله
٦٦٠	ليس منا من تطير أو تطير له
٤٩٣	لينتهين أقوام يفتخرون
١٠٩	ما الشرك أحشى عليكم
٣١٢	مفاتيح الغيب خمس
٤٠٤	من أجاب المؤذن
٤٥٨	من أحدث في أمرنا
٦٦١	من أقتبس شعبة من النجوم
١١٣	من بدل دينه فاقتلوه..)
٤٩٤-٤٠٤	من بطأ به عملاً
٤٠٤	من زار قبري

٢٠١-٤٦٠	من عادى لي ولياً
٣٢٩	من رآني في المنام
٤٥٨	من عمل عملاً
٤٣	هني أن يبني على القبور
٥٠	هني أن يقعد على القبر
٥٠	هني رسول الله ﷺ أن يخصص القبر
٤١٧	هذه سبيل الله
٦١	هل كان فيها وثن يعبد قال لا
٢٣٣	وإنه من يعيش
١٠٩	وإني والله ما أخاف عليكم
١٠٦	وإني خلقت عبادي حنفاء
٣٣٨	والذي نفس بيده لو أن موسى
١٠٠	وعرضت علي النار
٧٦	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة ..)
٥٤	ولا قبراً مشرفاً إلا سويته
٥٢	ولولا ذلك أبرز قبره
٦٦٣	ومن كذب علي متعمداً
٦٥	يا صاحب السبتيتين ..)
١٠٧	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله
٤٩٤	يا فاطمة بنت محمد
٤١٧	يجاء بالرجل يوم القيامة

## فهرس الآثار

م	الأثر	القائل	الصفحة
١.	أتى علي بزنادقة فأحرقهم .....	عكرمة	١١٣
٢.	أنا مبرق البروق ومرعد الرعود .....	علي بن أبي طالب	٢٠٥
٣.	أوصى ألا يضرب على قبره فسوطاً .....	أبو هريرة	١٣٠
٤.	دخلت على عائشة فقلت يا أماه اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ .....	القاسم بن محمد	٦٧
٥.	دع الطور لا تأته .....	ابن عمر	٧٧
٦.	رأى قبر النبي ﷺ مستمأً .....	سفيان التمار	٦٦
٧.	رأى ابن عمر فسوطاً على قبر عبد الرحمن البخاري معلقاً .....		
٨.	رأيت عثمان يأمر بتسوية القبور .....	عبد الله بن شرحبيل بن حسنة	٥٤
٩.	رأيت عمر بن الخطاب صلي على قبر زينب .....	عبد الله بن ربيعة	١٢٤
١٠.	رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز .....	غنيم بن بسطام	٦٧
١١.	رأيت كافي بنيت سبعين درجة .....	خارجة بن زيد	١٢٨
١٢.	رأيتني ونحن شبان .....	خارجة بن زيد	١٢٧
١٣.	شهدت وفاة ابن عباس .....	عمران ابن أبي عطاء	
١٤.	كان اللات رجلاً يلت السوق .....	ابن عباس	١٠٠
١٥.	لا ترفعوا جدثي .....	عمرو بن شرحبيل	١٣٠-٥٥
١٦.	لما افتتحنا تستر وجدنا في بيت الهرمزان .....	أبو العالية	٦٩
١٧.	لما سقط عليهم الحائط .....	هشام بن عروة عن أبيه	٦٨
١٨.	لما مات الحسن بن علي ضربت .....	البخاري معلقاً	١٢٥

م	الأثر	القائل	الصفحة
١٩.	لو أني ضربت عليهم فسطاطاً .....	عمر بن الخطاب	١٢٣
٢٠.	ما أسرع الناس إلى الشر .....	عثمان بن عفان	١٢٤
٢١.	نازلتُ عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ	عروة بن الزبير	٧٢
٢٢.	نزلت هذه الآية في أهل حضور وعربايا ....	ابن عباس	٣٨٨
٢٣.	هذه الفساطيط التي على القبور محدثة .....	محمد بن كعب	١٣٠
٢٤.	ولولا ذلك أبرز قبره	عائشة	٤٧

# فهرس الأعلام المترجمين

الصفحة	الاسم	م
٥٩٩	أحمد بن أحمد الشرجي	١
٢٠٨	أحمد بن حسن العطاس	٢
٤١	أحمد الرومي الخنفي	٣
٦١	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	٤
٤٣٣	أحمد بن علي البوني	٥
٣٦	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	٦
١٨٩	أحمد بن علي الرفاعي	٧
٢٢٧	أحمد بن علي المقرئزي	٨
٤٥	أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي	٩
١٧٨	أحمد بن محمد زروق	١٠
٥٩٢	أحمد بن محمد العبادي	١١
٥٦	أحمد بن يحيى المرتضى المهدي	١٢
٥٥٦	إسحاق بن يحيى بن جرير الصنعاني	١٣
١٤٩	أسد الدين شيركوه	١٤
١٦٧	إسماعيل الصفوي	١٥
٣٥	إسماعيل بن عمر ابن كثير	١٦
٤٣١	جابر بن حيان الكوفي	١٧
٢٤٣	الحسن بن أحمد الجلال	١٨
٢٣٥	الحسن بن حوشب	١٩
٦٠٣	حسين بن خالد الحازمي	٢٠
٦٠٣	حسين بن عبد الرحمن الأهدل	٢١
٤٢	الحسين بن محمد الطيبي	٢٢
١٨٣	الحسين بن منصور الحلاج	٢٣

الاسم	م	الصفحة
حسين بن مهدي النعمي	٢٤	٣٠
زيد بن حسن الفايشي	٢٥	٢٥١
زيد بن عبد الله اليفاعي	٢٦	٢٥١
زيد بن علي بن الحسن البيهقي	٢٧	٢٠٣
سعيد بن عيسى العمودي	٢٨	١٩٧
سيد قطب	٢٩	٣٤
شعيب بن الحسن أبو مدين	٣٠	١٨٩
شمس الحق محمد العظيم ابادي	٣١	٤٢
شهاب الدين محمود الألوسي	٣٢	٣٥
صالح بن مهدي بن علي المقبلي	٣٣	٢٤٣
صديق حسن خان	٣٤	٥٢
صلاح الدين الأيوبي	٣٥	١٤٩
عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي أبو شامة	٣٦	٥٩
عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف	٣٧	١٩٤
عبد الرحمن بن علي الشيباني بن الديع	٣٨	٢٦٥
عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي	٣٩	٣٣
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون	٤٠	٣٠٢
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي	٤١	١٢٧
عبد الرحيم القناوي	٤٢	١٧٨
عبد العزيز بن مسعود الدباغ	٤٣	٢٠٦
عبد القادر بن موسى الجيلاني	٤٤	١٨٩
عبد الله بن إياض التميمي	٤٥	٢٣٨
عبد الله بن اسعد الياضي	٤٦	٣٠٣
عبد الله بن سبأ اليهودي	٤٧	١٣١

الصفحة	الاسم	م
٢٤٥	عبد الله بن سعيد بن كلاب	٤٨
٦٤٦	عبد الله بن محفوظ الحداد	٤٩
	عبد الله عوض بكير	٥٠
٢٣٩	عبد الله بن يحيى الكندي	٥١
٢٠٤	عبد الوهاب بن أحمد الشعرائي	٥٢
١٦٣	عضد الدولة البويهري	٥٣
٥٨٨	عقيل بن يحيى الإرياني	٥٤
٦٠٤	علي بن أحمد باصبرين	٥٥
٣٦	علي بن سلطان القارئ ( ملا علي )	٥٦
٤٠	علي بن عبد الكافي السبكي	٥٧
١١٥	علي بن الفضل الجدي	٥٨
٤٨	علي بن عبد الله السمهودي	٥٩
١٨٨	علي بن عثمان الجلالي الغزنوي الهويجري	٦٠
١٨٩	علي بن عمر بن إبراهيم أبو الحسن الشاذلي	٦١
٤٥٦	علي بن علاء الدين بن أبي العز	٦٢
٤١	علي محفوظ المصري	٦٣
٣٠٥	علي بن محمد الحبشي	٦٤
١٤٩	عماد الدين بن قسيم الدولة	٦٥
٢٤١	عمر بن علي بن سمرة الجعدي	٦٦
٣٠٤	عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف	٦٧
٣٠٣	أبو الغيث بن جميل اليميني	٦٨
١٨٩	عمر بن محمد أبو حفص السهروردي	٦٩
٢٤٣	محمد بن إبراهيم الوزير	٧٠
٤٢	محمد أشرف بن أمير علي العظيم آبادي	٧١

الصفحة	الاسم	م
١١٩	محمد بن أبي بكر الشلي	٧٢
٦٠	محمد بن أبي بكر بن القيم	٧٣
٤٥٦	علي بن علاء الدين بن أبي العز	٧٤
٤٤	محمد بن أحمد القرطبي	٧٥
٢٩	محمد بن إسماعيل الأمير	٧٦
٣٣	محمد بن جريز الطبري	٧٧
١٨٧	محمد بن حسين السلمي ( أبو عبد الرحمن )	٧٨
٣٤	محمد رشيد رضا	٧٩
١٦٣	محمد بن زيد بن الحسن الهاشمي	٨٠
٥٩٤	محمد بن سالم البيهاني	٨١
٤٠	محمد عبد الرؤف المناوي	٨٢
٦٠	محمد بن عبد الله الأزرق	٨٣
٢٣٧	محمد بن علي الاكوع	٨٤
٣٠	محمد بن علي الشوكاني	٨٥
١٩٧	محمد بن علي باعلوي الفقيه المقدم	٨٦
٣١	محمد بن علي بافضل	٨٧
٣٤٢	محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي	٨٨
٤٩	محمد بن علي بن دقيق العيد	٨٩
٣٠٦	محمد بن علي خرد باعلوي	٩٠
٥٦٢	محمد بن مالك بن أبي القبائل	٩١
٢٤٥	محمد بن محمد السمرقندي أبو منصور الماتريدي	٩٢
٨٥	محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي	٩٣



الصفحة	الاسم	م
١٣٢-١٣١	المختار بن أبي عبيد الثقفي	٩٤
٢٥٢	مسعود بن علي العنسي	٩٥
١٨١	معروف بن فيروز الكرخي	٩٦
٥٥٧	نشوان بن سعيد الحميري	٩٧
١٤٩	نور الدين زنكي	٩٨
٢٥١	يحيى بن أبي الخير العمراني	٩٩
٢٨٠-١٤٦	يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق	١٠٠
٤٨	يحيى بن شرف النووي	١٠١
٤٥	يوسف بن عبد الله بن عبد البر ( أبو عمر )	١٠٢
٣٨	محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني	١٠٣
١٩٢	الحسين بن عبد الله بن سينا	١٠٤

# فهرس المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب
١	أئمة العلم المجتهدون في اليمن : للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، مصفوف بالكمبيوتر (تحت الطبع ) .
٢	الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز : أحمد بن المبارك طبع المكتبة التوفيقية بدون تاريخ
٣	إثبات ما ليس مثبت من تاريخ يافع بحضرموت : عبدالحائق بن عبدالله بن صالح البطاطي ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م .
٤	الأجوبة الغالية في عقيدة الفرقة الناجية زين العابدين بن عبد الرحمن الجفري العلوي ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٥	أحكام الجنائز : محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الاسلامي بيروت ط الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
٦	الإحكام شرح عمدة الأحكام : ابن دقيق العيد ، طبع المكتبة السلفية ، ١٤٠٩هـ .
٧	إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور : أحمد عبد الله الصديق الغماري، نشر مكتبة القاهرة ط الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .
٨	أخبار المدينة النبوية : عمر بن شبه الطبعة التي علق عليها عبد الله الدويش دار العليان بريدة ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .
٩	إخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : محمد بن عبد الله الأزرق ، ت رشدي صالح ملخص ط الثامنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .
١٠	إدام القوات أو معجم بلدان حضرموت : عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، قام بنشره على حلقات في مجلة العرب حمد الجاسر ثم جمع في كتاب مصور
١١	أدب الطلب ومنتهى الأرب : محمد بن علي الشوكاني تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية سنة ١٩٧٩ م .

م	اسم الكتاب
١٢	أدوار التاريخ الحضرمي : محمد بن أحمد الشاطري ، طبع عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٣	إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد القسطلاني ، طبع دار إحياء التراث بدون تاريخ.
١٤	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٥	الأزهار في فقه الأئمة الأطهار للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى مع شرحه السيل الجرار تحقيق محمد إبراهيم زايد طبع دار المكتبة العلمية ببيروت ط الأولى الكاملة ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م.
١٦	أسباب هلاك الأمم : محمد سعيد باباسيلا ، ضمن إصدارات الحكمة ببريطانيا ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٧	الإسماعيلية تاريخ وعقائد : إحسان إلهي ظهير نشر إدارة ترجمان السنة ط أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٨	الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية : عبد الله بن محمد بن سالم باكثير الكندي، طبع مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٩	الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان
٢٠	إصلاح المجتمع : محمد بن سالم البيهاني طبع مؤسسة طيبة الخيرية ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢١	الأصنام : هشام بن محمد السائب الكلبي ت أحمد زكي ، مصور عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م نشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة .
٢٢	أصول الإسماعيلية : د. سليمان عبد الله السلومي ، دار الفضيلة الرياض ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٣	أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية عرض ونقد د. ناصر عبد الله علي القفاري ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م وط الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

م	اسم الكتاب
٢٤	الأضحة في اليمن من القرن الرابع الهجري ، العاشر ميلادي وحتى نهاية القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي : د. علي سعيد سيف ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٥	الأضواء البهية على بعض العادات الحضرية : أحمد بن علي برعود ، من إصدارات معهد القرآن والعلوم الشرعية بالغيل حضرموت ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٢م.
٢٦	أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الأمين الشنقيطي، طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ.
٢٧	الأعلام : خير الدين الزركلي طبع دار الملايين بيروت ط الثانية عشر - ١٩٩٧م.
٢٨	الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : عمر بن علي البزار ، ت زهير الشاويش طبع المكتب الإسلامي ببيروت ط الثانية ١٣٩٦ هـ.
٢٩	أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عباس الوجيه طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي، الثقافية الأردن ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٠	الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام : عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، طبع دار بن حزم ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣١	إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ت محمد حامد الفقي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.
٣٢	الإكليل للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، ت محمد بن علي الأكوع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م
٣٣	الأم : محمد بن إدريس الشافعي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
٣٤	الإمامة وخطرها على وحدة اليمن : محمد محمود الزيري طبع دار الكلمة صنعاء الطبعة بدون تاريخ.
٣٥	أنباء الزمان في من رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان : عبد الله عبد القادر العليمي باوزير ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ٣٦ الإنصاف في حقيقة الأولياء ومآلهم من الكرامات والألطفات : مجموعة من طلاب العلم بأشراف الشيخ حسن بن علي حسين ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٧ الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث : محمد بن علي باعلوي مع البرقة المشيقة علي بن أبي بكر السكران ، طبع بمصر ١٣٤٧هـ ..
- ٣٨ الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت : عبدالله سعيد سليمان الجعدي دار الثقافة العربية جامعة عدن ط الأولى ٢٠٠١م.
- ٣٩ أوهام العوام : كتيب مخطوط لأحد طلاب العلم.
- ٤٠ ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية : علي بن علي الحربي مكتبة عبد الله علي عامر مكة المكرمة ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٤١ الاستغاثة في الرد على البكري : أحمد عبد الحليم بن تيمية ، ت عبد الله بن دجين السهلي ، دار الوطن ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٢ الاستقامة : تقي الدين أحمد بن تيمية ت عبد الله بن رجين السهلي ط الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الوطن الرياض .
- ٤٣ الاستيعاب في أسماء الأصحاب : يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- ٤٤ اصطلاحات الصوفية : د عبد الحميد صالح حيدان طبع مطبعة مدبولي ط الأولى ١٩٩٩م.
- ٤٥ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار : محمد بن موسى الخازمي ، ت عبد المعطي قلعجي ، نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي ، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- ٤٦ افتتاح الدعوة : القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي ، طبع دار الأضواء بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٤٧ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ط الأولى ١٤٠٤هـ .

- ٤٨ الانتصار في الرد على القدرية الأشرار : يحيى بن أبي الخير العمراني ت سعود بن عبد العزيز الخلف ، طبع دار أضواء السلف بالرياض ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- ٤٩ الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة : طبع دار طيبة مكة المكرمة ودار آل عمار الشارقة ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ٥٠ الباعث على إنكار البدع والحوادث : عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي ، طبع دار الراهية للنشر والتوزيع الرياض ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٥١ البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأنصار تأليف أحمد بن يحيى المرتضى طبع دار الحكمة اليمانية صنعاء تصوير عام (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨) عن ط (١) ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧) .
- ٥٢ بداية الهداية : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الخاوي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٥٣ البداية والنهاية : عماد الدين بن كثير ، طبع دار المعرفة ، بيروت ط السادسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ٥٤ البدر الطالع : محمد بن علي الشوكاني طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
- ٥٥ بذل الجهود في خدمة ضريح نبي الله هود : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله العيدروس طبع بالمطبعة الفيضية الكائنة بمحيدراباد عام ١٣٢٨هـ .
- ٥٦ البرقة المشيقة في لباس الخرقه الأنيقة : علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة ١٣٤٧هـ .
- ٥٧ بطلان عقائد الشيعة : محمد عبد الستار التونسي ، ١٤٠٨هـ .
- ٥٨ بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين : جمع عبد الرحمن بن محمد المشهور باعلوي ، طبعة دار الفكر بدون تاريخ .
- ٥٩ بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام : حسين بن أحمد العرشي ، طبع إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ .

م	اسم الكتاب
٦٠	البناء على القبور : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، ت حاكم بن عيسى المطيري ، طبع دار أطلس الرياض ، ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٦١	البيان في مذهب الإمام الشافعي : أبو الحسن يحيى بن أبي الخير العمراني الشافعي ، اعتنى به قاسم بن محمد النووي ، طبع دار المنهاج بيروت ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٦٢	تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس : علي بن حسن العطاس ، طبع في مطبعة منارة قدس ، أندونيسيا ، ط الأولى بدون تاريخ .
٦٣	تاريخ الإرشاد في اندونيسيا : صلاح عبد القادر البكري ، نشر الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامية جاكارتا - إندونيسيا ، ط الثانية ١٩٩٢م .
٦٤	تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبع دار الفكر سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٦٥	تاريخ التصوف الإسلامي : د. عبد الرحمن بدوي ، طبع وكالة المطبوعات الكويت ١٩٩٣م .
٦٦	تاريخ ثغر عدن : ت. علي حسن عبد الحميد طبع دار الجيل بيروت ودار عمان الأردن .
٦٧	تاريخ حضرموت : صالح بن علي الحامد نشر مكتبة الإرشاد بمجدة بدون تاريخ .
٦٨	تاريخ حضرموت السياسي : صلاح البكري ، دار الأفاق العربية ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٦٩	تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار السعادة مصر ، ط الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
٧٠	تاريخ الدعوة الإسماعلية : د. مصطفى غالب ، طبع دار الأندلس بيروت ، ط الثانية .
٧١	تاريخ الدولة الكتيرية : محمد من هاشم ، طبع على نفقة الخاصة السلطانية ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م .
٧٢	تاريخ الشعراء الحضرميين : عبد الله بن محمد السقاف ، الناشر مكتبة المعارف الطائف ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .

م	اسم الكتاب
٧٣	تاريخ الشيعة : محمد حسين مظفر ، طبع دار الزهراء بيروت بدون تاريخ .
٧٤	تاريخ صنعاء : إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني ت عبد الله الحبشي وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ .
٧٥	تاريخ كربلاء : د. عبد الجواد الكليدار طبع مدبولي الصغير القاهرة بدون تاريخ .
٧٦	تاريخ مدينة صنعاء: للرازي تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري طبعة دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق ط الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٧٧	تاريخ النور السافر في إخبار القرن العاشر : عبد القادر بن شيخ العيدروس ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٧٨	تخدير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: محمد ناصر الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، ط الثالثة ١٣٩٨هـ .
٧٩	تحفة الزمن من تاريخ سادات اليمن : حسين بن عبد الرحمن الأهدل (مخطوط) .
٨٠	تخريج أحاديث إحياء علوم الدين / العراقي / ابن السبكي / الزبيدي ، استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد طبع دار العاصمة بالرياض ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
٨١	تذكرة الحفاظ : محمد بن عثمان الذهبي طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .
٨٢	التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار : عماد الدين الواسطي ت عبد الرحمن الفيرواني طبع دار العاصمة بالرياض ط الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٨٣	تذكير الناس بما وجد من المسائل الفقهية وما يتعلق بها في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس : جمعه أبوبكر الحبشي ، مطبعة حسان القاهرة بدون تاريخ .
٨٤	التصوف بين الحق والخلق : محمد فهد شقفه ، طبع الدار السلفية بالكويت ، ط الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٨٥	التصوف في قامة : محمد بن أحمد العقيلي ، ط الثانية بدون تاريخ .



م	اسم الكتاب
٨٦	تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني ، طبع دار الفكر بيروت ، ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
٨٧	تطهير الفؤاد من سبب الاعتقاد : عبد الله عوض بكير مخطوط (تحت التحقيق).
٨٨	التعريفات : علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .
٨٩	تعليقات الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على كتاب التوحيد لمحمد عبد الوهاب ، طبع دار السلام الرياض ١٤١٣هـ .
٩٠	تفسير القرآن العظيم : عماد الدين بن كثير تخريج مقبل الوادعي دار الراية للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م والطبعة الأخرى طبعة دار الشعب بالقاهرة ذات الثمانية مجلدات.
٩١	تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، طبع دار المعرفة بيروت ، ط الثانية بدون تاريخ .
٩٢	تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي : محمد أحمد لوح ، دار المهجرة للنشر والتوزيع الرياض ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .
٩٣	تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الرسول ﷺ : أحمد زيني دحلان طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠ م .
٩٤	تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت أبو الأشبال صغير أحمد شاغف ، نشر دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٦هـ .
٩٥	تلبيس إبليس : عبد الرحمن بن الجوزي ت عصام فارس الحمرستاني ، خرج أحاديثه محمد الزغلي ، طبع المكتب الإسلامي بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
٩٦	التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي تأليف علوي بن عبد الله بن حسين السقاف سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .
٩٧	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : يوسف بن عبد البر القرطبي ، ت سعيد أحمد أعراب ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م .

- التكامل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني طبع ونشر  
الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤٠٣هـ -  
١٩٨٣م. ٩٨
- تذيب الأسماء واللغات : يحيى بن شرف النووي ، طبع دار ابن تيمية القاهرة ١٤١٠هـ -  
١٩٩٠م. ٩٩
- التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي ، ت د. محمد رضوان الدايدة ، دار  
الفكر المعاصر بيروت ، دار الفكر دمشق ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ١٠٠
- تيارات المعتزلة في اليمن في القرن السادس الهجري: د. علي محمد زيد طبع المركز الفرنسي  
للدراستات اليمنية صنعاء ط الأولى ١٩٩٧م. ١٠١
- جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ : المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير . ت عبد القادر  
الأرناؤوط طبع دار الفكر بيروت ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. ١٠٢
- جامع البيان في تفسير القرآن : محمد بن جرير الطبري دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ -  
١٩٨٦م. ١٠٣
- جامع العلوم والحكم : أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب ابن رجب الحنبلي ، مكتبة الجيل  
الجديد صنعاء ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ١٠٤
- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الطبعة ذات العشرين جزءا بدون  
تاريخ. ١٠٥
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية : محمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد ،  
مكة ط الأولى ١٤٢٠هـ. ١٠٦
- الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بمحيدر  
آباد الدكن الهند ، ط الأولى ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م. ١٠٧
- الجزء اللطيف في التحكيم الشريف : أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني ضمن المجموعة  
العيدروسية بدون تاريخ. ١٠٨

- ١٠٩ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : نعمان خير الدين الألوسي طبع مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بمجدة بدون تاريخ .
- ١١٠ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية د. شمس الدين السلفي الأفغاني دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ١١١ جواهر تاريخ الأحقاف : محمد بن علي بن عوض باحنان ، مكتبة النهضة الحديثة مكة ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
- ١١٢ الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر : عبد الله بن أحمد بن عبد الله الهدار ، دار الفكر الحديث للطباعة بيروت ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ١١٣ الجواهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف : عبد الرحمن بن محمد الخطيب الأنصاري (مخطوط) .
- ١١٤ الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية : أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي مخطوط مصور ، نشر دار أسامة ، على نفقة السيد يوسف بن السيد محمد الحسيني .
- ١١٥ الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة : د. عبد الله بن مجاش الحميري طبع مكتبة الرشد الرياض ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ١١٦ حقائق عن التصوف : عبد القادر عيسى ، طبع مكتبة دار الفرقان حلب ، ط الخامسة ١٤١٤هـ .
- ١١٧ الحوادث والبدع : محمد ابن الوليد الطرطوشي طبع دار الغرب الإسلامي ، ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ١١٨ حوليات يمانية أو اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي : ت. عبد الله محمد الحبشي دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والإعلان ط ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ١١٩ خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية : د. عاصم محمد رزق طبع مكتبة مديبولي القاهرة ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

م	اسم الكتاب
١٢٠	الخضر في الفكر الصوفي : عبد الرحمن عبد الخالق ، طبع الدار السلفية الكويت ، بدون تاريخ .
١٢١	الخطط المقرئية المسماه ( بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ) : أحمد بن علي المقرئ ، ت محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ط الأولى ١٩٩٧ م .
١٢٢	الدارس في تاريخ المدارس : عبد القادر محمد النعمي الدمشقي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٠ هـ .
١٢٣	الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٢٤	الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود : فهمي بن علي بن عبيدون الترمي ، طبع دار الفقيه للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٩ هـ .
١٢٥	الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم : عبد الله بن علوي الحداد طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
١٢٦	الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد : محمد بن علي الشوكاني ، طبع دار بن خزيمة ، ط الأولى ١٤١٤ هـ .
١٢٧	الدرر الكامنة : أحمد بن علي بن حجر طبع دار الجيل بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
١٢٨	دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عبد الله محمد بن عبد اللطيف طبع دار الوطن الرياض ط الأولى ١٤١٢ هـ
١٢٩	دعوة الخلف إلى طريقة السلف : محمد بن علي بافضل ، طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
١٣٠	دلائل النبوة : أحمد بن حسين البيهقي ، ت عبد المعطي قلعجي ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
١٣١	دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق : محمد الشهيد ، طبع مؤسسة سيد الشهداء ط لأولى بيروت ١٤١٩ هـ .

م	اسم الكتاب
١٣٢	دمعة على التوحيد : إصدار المنتدى الإسلامي ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
١٣٣	ديوان ابن الأمير الصنعاني : طبع منشورات المدينة ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ م .
١٣٤	ديوان ابن شهاب : أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين مكتبة التراث الإسلامي، دار التراث اليمني ط الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .
١٣٥	ديوان ابن عبيد الله مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة بدون تاريخ .
١٣٦	ذكريات الشوكاني : ت د . صالح رمضان محمود طبع دار العوده ١٩٨٣ م .
١٣٧	رجال وكتب : علي سالم سعيد بكير طبع دار حضرموت للدراسات والنشر بدون تاريخ
١٣٨	رحلة ابن بطوطة ، طبع دار التراث بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م .
١٣٩	الرحلة الدوعنية ( مخطوط مصور )
١٤٠	الرحلة المكية : جمع محمد بن عوض بافضل مخطوط مصور
١٤١	رسالة الدلائل والأخبار في خصائص مدينة طقار : عبد الله بن جعفر الكثيري ضمن كتاب تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة لسالم بن محمد بن حميد الكندي طبع الإرشاد صنعاء ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .
١٤٢	الرسالة القشيرية في علم التصوف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي بيروت ، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
١٤٣	رسالة شريفة في مايتعلق بالاعداد والحروف والأوقاف وكم بقي من عمر الدنيا : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت : مجاهد بن حسن الوصايي ، مكتبة دار القدس صنعاء ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م
١٤٤	رفع البأس ودفع الالتباس عن حكم التابوت والإلباس : عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد طبع دار المهاجر ط الأولى ١٤١٥هـ .
١٤٥	رفع الخمار عن مثالب المزار : عبد الله عوض بكير ت فائز بن سعيدان طبع عام ١٩٩٨ م .

م	اسم الكتاب
١٤٦	روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي ، طبع دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
١٤٧	روض الرياحين في حكايات الصالحين : عبد الله بن أسعد اليافعي وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .
١٤٨	الروضة الندية شرح الدرر البهية : صديق حسن خان ، طبع دار الندوة الجديدة بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
١٤٩	زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
١٥٠	الزهر النضر في نبأ الخضر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ضمن الرسائل المنيرية ) عنيّت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦هـ .
١٥١	الزواجر عن اقتراف الكبائر : أحمد بن حجر الهيتمي المكي طبع دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
١٥٢	زيارات وعادات : عبد القادر محمد الصبان ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، بدون تاريخ .
١٥٣	الزيدية نشأتها ومعتقداتها : إسماعيل بن علي الأكوع ، طبع دار الفكر سوريه ، دار الفكر المعاصر لبنان ، ط الثالثة ١٤١٨هـ .
١٥٤	السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج : صديق حسن خان ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر .
١٥٥	سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، طبع مكتبة المعارف الرياض ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م وطبع المكتب الإسلامي ط الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
١٥٦	سلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السي على الأمة : محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف الرياض ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

م	اسم الكتاب
١٥٧	السلوك في طبقات العلماء والملوك : محمد بن يوسف الجندي السكسكي ، ت محمد بن علي الأكوخ ، طبع مكتبة الإرشاد صنعاء ، ط الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
١٥٨	السنة : أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني ت محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
١٥٩	سنن البيهقي : أحمد بن الحسين البيهقي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
١٦٠	سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي . ت وتعليق أحمد محمد شاكر ، أكمل التحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ثم إبراهيم عطوه عوض طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر
١٦١	سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ
١٦٢	سنن ابن ماجه محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ت محمد فؤاد عبد الباقي طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ( ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م ) .
١٦٣	سنن النسائي : أحمد بن شعيب النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب بعناية عبد الفتاح أبي غده ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١٦٤	السيد البدوي دراسة نقدية : د . عبد الله صابر ، دار الطباعة والنشر الإسلامية بدون تاريخ .
١٦٥	السيد صديق حسن القنوجي وآراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف ، د.أختر جمال لقمان دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٦٦	سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، طبع دار الرسالة ببيروت ، ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
١٦٧	السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام المعافري ت مصطفى السقا وآخرين ، مؤسسة علوم القرآن ، بدون تاريخ .
١٦٨	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ( دراسة وتحليل ) : د مهدي رزق الله أحمد ، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- ١٦٩ سيرة المهادي إلى الحق يحيى بن الحسين علي بن محمد العلوي ، ت سهيل زكار ، طبع دار الفكر بيروت ط الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٧٠ السيف الباتر لأعناق عباد المقابر : عقيل بن يحيى الاربائي، ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد الجمهورية اليمنية وزارة الأعلام والثقافة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٧١ الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفها : علوي بن طاهر الحداد ، طبع سنغافورة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م .
- ١٧٢ الشامل في تاريخ المدينة : د.عبد الباسط بدر ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- ١٧٣ شبهة الغلو عند الشيعة : د .عبد الرسول الغفار ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر بيروت ط أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ١٧٤ شرح التصريح على التلويع :خالد الأزهري طبع دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ.
- ١٧٥ شرح جوهرة التوحيد : إبراهيم بن محمد البيجوري طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
- ١٧٦ شرح صحيح مسلم للإمام النووي طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ
- ١٧٧ شرح الصدور في تحرم رفع القبور:محمد بن علي الشوكاني ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ، الجمهورية اليمنية وزارة الأعلام والثقافة ط الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٧٨ شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي تحقيق د/ عبدالله التركي ، شعيب الأرناؤوط طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .
- ١٧٩ شرح العينية نظم عبد الله بن علوي الحداد شرح: أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع كرجاي المحدودة بدون تاريخ.
- ١٨٠ الشعبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة د/ محمد أحمد الخطيب ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م نشر وتوزيع مكتبة الأقصى



- شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور : إصدار دار الإفتاء العامة في المملكة العربية  
السعودية ت عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم دار العصمة بالرياض ط الأولى  
١٤٠٩هـ. ١٨١
- شفاء الفواد : محمد بن علوي المالكي ، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م . ١٨٢
- الشوكاني حياته وفكره : عبد الغني قاسم غالب الشرجي ، مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة  
الجيل الجديد ، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . ١٨٢
- الصارم المنكي في الرد على السبكي : محمد أحمد بن عبد الهادي ، ت عقيل بن محمد المقطري  
، طبع مؤسسة الريان بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م . ١٨٤
- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي دار بن كثير دمشق بيروت الطبعة الثالثة  
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م . ١٨٥
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : علي بن بلبان الفارسي ، ت شعيب الارناؤوط، مؤسسة  
الرسالة بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م . ١٨٦
- صحيح ابن خزيمة : محمد بن إسحاق ابن خزيمة ، ت محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب  
الإسلامي ط الأولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . ١٨٧
- صحيح سنن الترمذي محمد ناصر الدين الألباني ط مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الأولى  
(١٤٠٨ - ١٩٨٨) ١٨٨
- صحيح سنن أبي داود : محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي بيروت ،  
ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م . ١٨٩
- صحيح سنن ابن ماجه : محمد ناصر الدين الألباني طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج  
ط الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . ١٩٠
- صحيح سنن النسائي : محمد ناصر الدين الألباني طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض  
ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م . ١٩١

م	اسم الكتاب
١٩٢	صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط الأولى ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
١٩٣	صفحات من التاريخ الحضرمي : سعيد عوض باوزير طبع مكتبة الثقافة بدون تاريخ .
١٩٤	الصلة بين التصوف والتشيع : د. كامل مصطفى الشبي ، دار الأندلس بيروت ، ط الثالثة ١٩٨٢م .
١٩٥	الصلة بين الزيدية والمعتزلة د. أحمد بن عبد الله عارف طبع المكتبة اليمنية صنعاء ودار أزال بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٩٦	الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن منذ سنة ٢٦٨هـ - ٦٢٦هـ : حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري بالاشتراك مع د. حسان سلمان الجهني ، تنفيذ دار المختار للطباعة والنشر دمشق بدون تاريخ .
١٩٧	الصوامم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد: محمد بن علي الشوكاني ، ت محمد صبحي حلاق ، دار الهجرة بصنعاء ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
١٩٨	الصوفية والفقهاء في اليمن : عبد الله محمد الحبشي ، ١٣٩٦ توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء ، هـ - ١٩٧٦م .
١٩٩	ضعيف الترغيب والترهيب : محمد الدين ناصر الألباني طبع دار المعارف بالرياض ، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٠٠	ضعيف الجامع الصغير : محمد الدين ناصر الألباني طبع المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٠م .
٢٠١	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ .
٢٠٢	طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص : أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

م	اسم الكتاب
٢٠٣	طبقات الصوفية : أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمي ت. نور الدين بن سريية الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٤	طبقات فقهاء اليمن : عمر بن علي بن سمره الجعدي ، ت فؤاد سيد ، دار القلم بيروت بدون تاريخ .
٢٠٥	الطبقات الكبرى : ابن سعد دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م
٢٠٦	الطبقات الكبرى : عبد الوهاب الشعراوي ، دار الفكر العربي شارع جواد حسني - القاهرة ، بدون تاريخ .
٢٠٧	ظلال الجنة في تخريج السنة : محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، ط الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢٠٨	عالم الجن والشياطين د/ عمر سليمان الأشقر طبع مكتبة الفلاح بالكويت ط الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٠٩	عبد الله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام : سليمان بن حمد العودة نشر دار طيبة بالرياض.
٢١٠	العبر في خبر من غير : محمد بن عثمان الذهبي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢١١	عجائب الآثار في التراجم والأخبار ( تاريخ الجبري ) : عبد الرحمن الجبري ت عبد العزيز جمال الدين الناشر مكتبة مدبولي بدون تاريخ .
٢١٢	العدة حاشية شرح العمدة : الإمام الصنعاني طبع المكتبة السلفية القاهرة ط الاولى ١٣٧٩هـ - ط الثانية ١٤٠٩هـ
٢١٣	العسجد المسبوك في من ولى اليمن من الملوك : علي بن حسن الخزرجي ، ط الثانية مصورة عن دار الفكر دمشق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

م	اسم الكتاب
٢١٤	عقود الألماس بمناقب الحبيب أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس : طبع على نفقة محمد بن سالم بن أحمد العطاس ١٣٦٢هـ - ١٩٤٩م .
٢١٥	العقود اللؤلؤيه في تاريخ الدولة الرسولية : علي بن الحسن الخزرجي ت محمد بن علي الأكوخ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء. الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
٢١٦	العقيدة الطحاوية بتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، بدون تاريخ .
٢١٧	العلم الشامخ في تفضيل الحق على الأبناء والمشايخ : صالح بن مهدي المقبل طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ .
٢١٨	العمارة الإسلامية الخصائص التخطيطية للمقرصات : د كامل حيدر ، دار الفكر اللبناني بيروت، بدون تاريخ .
٢١٩	عنوان المجد في تاريخ نجد : عثمان بن بشر النجدي الحنبلي مكتبة الرياض الحديثة بدون تاريخ.
٢٢٠	عون العبود بشرح سنن أبي داود : محمد شمس الحق العظيم آبادي ، طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ط الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .
٢٢١	غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ط الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٢٢٢	غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي : محمد بن علوي خرد ط الأولى ١٤٠٥هـ .
٢٢٣	الفتاوى الكبرى : أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ، طبع دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٢٢٤	الفتاوى النافعة في مسائل الأحوال الواقعة : أبو بكر بن أحمد الخطيب طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
٢٢٥	فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي العسقلاني ، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز ، المكتبة السلفية ، بدون تاريخ .
٢٢٦	فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني طبع دار الفكر سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

م	اسم الكتاب
٢٢٧	فتح المجيد في تخريج اختصار تخريج أحاديث التمهيد : محمد بن عبد الرحمن المفرواي، طبع مجموعة التحف النفائس الرياض ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٢٨	فتح المغيث شرح ألفية الحديث : محمد بن عبد الرحمن السماوي تخريج وتعليق صلاح محمد عويضة ، طبع دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٢٢٩	الفتوح ديوان وكتاب : العارف بالله أحمد بن علوان ت عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط الأولى ١٩٩٢م .
٢٣٠	الفرائد في قيد الأوابد : عبدالله بن حسن بلفقيه ، مصور من مخطوطة بمكتبة الأحقاف بتريم .
٢٣١	فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن: عبد الواسع بن يحي الواسعي ، مكتبة السيمن الكبرى صنعاء ، ط الثانية ١٩٩٠م .
٢٣٢	الفرق الصوفية في الإسلام : سبنسر ترمينجهام ، ترجمة د. عبد القادر البحر واري ، طبع دار النهضة العربية بيروت ط الأولى ١٩٩٧م .
٢٣٣	الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، ت محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ.
٢٣٤	الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت د. عبد الرحمن عبد الكريم اليحي، طبع دار الفضيلة ودار ابن حزم ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م .
٢٣٥	الفرقة الباطنية : علوي طه الجمل ( مصفوف بالكمبيوتر ) .
٢٣٦	فضائح الباطنية : محمد بن محمد الغزالي ، طبع دار النشر عمان الأردن ، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٢٣٧	الفضل المزيّد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد : عبد الرحمن بن علي الديبع ت الدكتور يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء دار العودة بيروت ١٩٨٣م .
٢٣٨	الفكر الإغريقي : محمد الخطيب ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة دمشق ط الأولى ١٩٩٦م .

م	اسم الكتاب
٢٣٩	الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي : محمد الحسين الحجوي ، طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٢٤٠	الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي : سعيد عوض باوزير ١٣٨١هـ - ١٩٦١م
٢٤١	الفكر والمجتمع في حضرموت : كرامة سليمان بامؤمن الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .
٢٤٢	في ظلال القرآن : سيد قطب ، طبع دار الشروق بيروت ، ط الشريعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ - ١٩٩٨ م .
٢٤٣	فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، طبع دار الفكر بدون تاريخ
٢٤٤	القاضي محمد علي الأكوع الحوالي :وزارة الإعلام الجمهورية اليمنية عام ٢٠٠٠م.
٢٤٥	القاموس المحيط :مجد الدين الفيروز آبادي ، طبع مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٤٦	القبة الخضراء ومحاولات سرقة الجسد الشريف: محمد علي قطب نشر الدار الثقافية للنشر بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٢٤٧	قرة العيون بأخبار اليمن الميمون : عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني، ت محمد بن علي الأكوع ، ط الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
٢٤٨	القضاء في حضرموت في ثلث قرن : عبد الرحمن عبد الله بكر (مخطوط ) معد للطبع .
٢٤٩	قطر الولي على حديث الولي :محمد بن علي الشوكاني ت د/إبراهيم إبراهيم هلال دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ .
٢٥٠	القول المختار فيما لآل العمودي من أخبار :عبدالله أحمد الناصحي مخطوط مصور.
٢٥١	قيام الدولة الزيدية في اليمن د : حسن خطري أحمد طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة ط الأولى ١٩٩٦م .
٢٥٢	الكبائر :محمد بن أحمد الذهبي طبع مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

م	اسم الكتاب
٢٥٢	الكشاف عن حقائق غوامض التبريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري دار الكتاب العربي ط الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٢٥٤	كشف الأستار عن زوائد البزار : ت حبيب الرحمن الأعظمي طبع مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٥٥	كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري ت محمد بن علي الأكوخ مركز الدراسات و البحوث صنعاء ط أولى ١٤١٥-١٩٩٤م .
٢٥٦	كشف الظنون : حاجي بن خليفة طبع دار الفكر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٢٥٧	الكشف عن حقيقة الصوفية تأليف محمود عبدالرووف القاسم طبع المكتبة الإسلامية عمان الأردن ط الثانية ١٤١٣هـ .
٢٥٨	كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعرين ومن خالفهم من مبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين : عبدالرحمن بن الحسين الأهدل ت أحمد بكير طبع تونس بدون تاريخ.
٢٥٩	الكشف المين عن حقيقة القبورين أحمد بن حسن المعلم ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م .
٢٦٠	كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية : محسن بن عبد الله السقاف طبع علي بن عيسى الحداد .
٢٦١	لسان العرب : محمد بن مكرم ابن منظور ، طبع دار الفكر ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٢٦٢	لسان الميزان : أحمد بن علي بن حجر طبع دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ .
٢٦٣	لوامع النور : أبوبكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور طبع دار المهاجر صنعاء ط الأولى ١٤١١هـ .
٢٦٤	الماتريدية : أحمد بن عوض الله بن داخل الحربي طبع دار العاصمة بالرياض .
٢٦٥	ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان : محمد بن عبد الله بن محمد الحوت اخضر .
٢٦٦	مجلة النار جزء ١٥ ، غرة شعبان ١٣٢٣هـ - ٣٠ سبتمبر ١٩٠٥م .

م	اسم الكتاب
٢٦٧	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف بيروت لبنان، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
٢٦٨	المجموع شرح المذهب : يحيى بن شرف النووي ، ت محمد نجيب المطيعي ، طبع مكتبة الإرشاد جدة .
٢٦٩	المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد : د. محمد بن عبد الرحمن الخميس ، طبع دار إطللس الرياض ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
٢٧٠	مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم ، مكتب المعارف الرباط المغرب .
٢٧١	مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس جمع محمد بن سالم يلخير مخطوط مصور .
٢٧٢	مجموع كلام الحبيب أحمد حسن العطاس رواية محمد بن عوض بافضل مخطوط.
٢٧٣	الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : عبد الحق بن عطية، طبعة الأمير خليفة بن حمد آل ثاني ط أولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧ م .
٢٧٤	مختصر التحفة الإثني عشرية : محمود شكري الألوسي تعليق محب الدين الخطيب نشر الرئاسة العامة للإفتاء والإرشاد الرياض سنة ١٤٠٤هـ .
٢٧٥	مختصر تفسير ابن كثير : محمد نسيب الرفاعي ط مكتبة المعارف الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م
٢٧٦	مختصر صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت . محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي ط السادسة ( ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ) .
٢٧٧	مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة من يعتبر ما حوادث الزمان : محمد بن عبد الله ابن أسعد اليافي ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، ط الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
٢٧٨	مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات : للإمام ابن حزم الظاهري، دار ابن حزم ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
٢٧٩	مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصاييح : ملا علي القارئ ، طبع دار الفكر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .



- ٢٨٠ المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري دار المعرفة بيروت بتعليق وعناية عبدالسلام بن محمد عرعلوش
- ٢٨١ المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله الحاكم النيسابوري طبع دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ .
- ٢٨٢ المسند : الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ت أحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف مصر ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ٢٨٣ مسند الإمام أحمد بن حنبل ت : شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ٢٨٤ مسند الإمام أحمد بن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل طبع المكتب الإسلامي .
- ٢٨٥ مسند أبي يعلى : أحمد بن علي التميمي ت حسين سليم أسد ، طبع دار المأمون للتراث دمشق ط أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٢٨٦ المشرح الروي : محمد بن أبي بكر الشلّي باعلوي ط الأولى المطبعة المعاصرة الشرقية بدون تاريخ .
- ٢٨٧ مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن : عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية صنعاء .
- ٢٨٨ المصنف : عبدالرزاق بن همام الصنعائي ، ت حبيب الأعظمي ، طبع المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٢٨٩ المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر بن أبي شيبة ، طبع الدر السلفية الهند بومبي ، ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٢٩٠ مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية : إدريس محمود إدريس ، طبع مكتبة الرشد الرياض ، وشركة الرياض للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

م	اسم الكتاب
٢٩١	المظنون به على غير أهله :أبو حامد الغزالي ضمن مجموعة رسائل الغزالي طبع دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٢٩٢	معارج الألباب في مناهج الحق والصواب : حسين بن مهدي النعمي . ت محمد حامد الفقهي ، تخريج علي بن حسن بن عبد الحميد ، طبع دار المعرفة الرياض ، ط الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٢٩٣	معالم التنزيل : الحسين بن مسعود البغوي دار طيبة للنشر والتوزيع ط الرابعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٢٩٤	معالم الحضارة العربية الإسلامية : د. قصي الحسين ، طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٢٩٥	المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني ت حمدي السلفي ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٩٦	معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ت شهاب الدين أبو عمرو ط الثانية دار الفكر سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٢٩٧	المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي تحقيق د/ أكرم ضياء العمري طبع مؤسسة الرسالة بيروت ط الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
٢٩٨	مغناطيس القبول في الوصول إلى سيدنا الرسول محمد ﷺ : حسن محمد شداد بن عمر باعمر مطبعة الصبّاح دمشق ، بدون تاريخ .
٢٩٩	المغني : موفق الدين ابن قدامة طبع دار الفكر بيروت ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م .
٣٠٠	مفاتيح الغيب "التفسير الكبير " : فخر الدين الرزاي طبع دار الكتب العلمية طهران ، ط الثانية بدون تاريخ.
٣٠١	المفيد من أخبار صنعاء وزيد : عمارة بن علي اليمني ، طبع دار السعادة بالقاهرة ط الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

- ٣٠٢ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبد الرحمن السخاوي دار الهجرة بيروت: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٣٠٣ مقدمة ابن خلدون :عبد الرحمن ابن خلدون طبع دار الفكر بيروت ، ، و طبع مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، ط الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٠٤ مقدمة ديوان العيدروس المسمى ( محجة سالك وحجة الناسك ) :عبد الطيف بن عبد الرحمن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية ط سنة ١٤٠٩ هـ .
- ٣٠٥ الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، ت السعيد المندوه ، طبع مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ط الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٣٠٦ المنار المنيف في الصحيح والضعيف :محمد بن أبي بكر بن القيم طبع دار العاصمة الرياض ط الأولى ( ١٤١٦-١٩٩٦ م )
- ٣٠٧ منهاج التأسيس في كشف شبهات داوود بن جرجيس : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمة ط الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٣٠٨ منهج الأشاعرة في العقيدة : د سفر بن عبد الرحمن الحوالي طبع مكتبة العلم بالقاهرة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٣٠٩ المنية والأمل في شرح الملل والنحل : أحمد بن يحيى بن مرتضى الحسني ، ت د. محمد جواد مشكور طبع دار الندى بيروت ، ط الثانية ١٤١٠ هـ .
- ٣١٠ المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية : علي أحمد باصبرين تحقيق أكرم مبارك عصبان ، مصفوف بالكمبيوتر عن مخطوطة بمكتبة الأحقاف .
- ٣١١ الموافقات في أصول الشريعة :إبراهيم بن موسى الشاطبي ، بعناية محمدعبدالله دراز، دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
- ٣١٢ مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية :محمد بن عمر بحرق
- ٣١٣ موسوعة العتبات المقدسة : جعفر الخليلي ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ط الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

م	اسم الكتاب
٣١٤	موضح أوهام الجمع والتفريق : الخطيب البغدادي ، ت عبد المعطي قلعجي ، طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣١٥	الموضوعات : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت عبد الرحمن محمد عثمان ، مكتبة ابن تيمية القاهرة ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣١٦	موقف الإسلام من السحر : أ . حياة سعيد بأخضر طبع دار المجتمع جدة ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣١٧	ميزان الاعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد الذهبي ت علي محمد البجاوي دار المعرفة بيروت لبنان .
٣١٨	نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف إلى سنة ١٣٧٥هـ : محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعائي إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، دار الأدب بيروت ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م .
٣١٩	النفاثات العلوية في المسائل الصوفية : عبد الله بن علوي الحداد طبع دار الحاي ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣٢٠	النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية ويليهِ تلبية الصوت من الحجاز إلى حضرموت: عمر بن أحمد بن سميط ، بدون تاريخ ولا دار نشر .
٣٢١	النهاية في غريب الحديث : مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير طبع دار الفكر بيروت ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٣٢٢	نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار : محمد بن علي الشوكاني طبع مكتبة البابي الحلبي القاهرة ، بدون تاريخ .
٣٢٣	هجر العلم ومعاقله في اليمن : إسماعيل بن علي الأكوع ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

م	اسم الكتاب
٣٢٤	هداية المرید إلى سبیل الحق والتوحد : أحمد بن محمد بن عوض العبادي ، بدون تاريخ ولا دار طباعة .
٣٢٥	هدية العارفين مع كشف الظنون إسماعيل باشا البغدادي دار الفكر بيروت .
٣٢٦	جمع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ، بعناية محمد بدر النعساني طبع سنة ١٣٢٧ هـ .
٣٢٧	وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى : علي بن أحمد السمهودي ت محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط الرابعة ١٩٨٤ م .
٣٢٨	اليمن الخضراء مهد الحضارة : محمد بن علي الأكوع طبع مطبعة السعادة بالقاهرة ط الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

# فهرست الموضوعات

الموضوع :	الصفحة
( المقدمة )	٥
( التمهيد )	٢٦
<b>المبحث الأول : تعريف القبورية</b>	٢٩
المطلب الأول : تعريف القبورية لغة	٢٩
المطلب الثاني : تعريف القبورية في الاصطلاح	٢٩
<b>المبحث الثاني : خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية</b>	٣٢
المطلب الأول : الشرك وخطورته	٣٢
الوجه الأول : أنه سبب هلاك كثير من الأمم في الدنيا	٣٢
الوجه الثاني : أنه سبب في تردي الإنسان من مرتلة التكريم إلى مرتلة الإهانة والتحقير	٣٣
الوجه الثالث : أنه يحبط الأعمال	٣٤
الوجه الرابع : أنه يحول دون المغفرة	٣٥
الوجه الخامس : أنه يحرم العبد من الاستفادة من شفاعة الشافعين	٣٦
الوجه السادس : أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار	٣٧
المطلب الثاني : الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك	٣٧
المطلب الثالث : الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية	٣٩
المطلب الرابع : الأساليب النبوية في التحذير من العقائد والأعمال القبورية	٤٠
الأسلوب الأول : في النهي عن زيارة القبور في أول الإسلام وما فهمه العلماء من ذلك	٤٠
الأسلوب الثاني : النهي عن اتخاذ قبره عيداً وما فهمه العلماء من ذلك	٤١

- ٤٣ الأسلوب الثالث : النهي عن الصلاة على القبور وإليها
- ٤٤ الأسلوب الرابع : دعاء ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثن يعبد مع إخباره  
بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد
- ٤٦ الأسلوب الخامس : لعنه ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم  
كونهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمتهم مما صنعوا
- ٥ الأسلوب السادس : النهي المباشر للأمة عن البناء على القبور وتعظيمها  
بأي نوع من أنواع التعظيم وإخباره ﷺ أنه لا يفعل ذلك إلا شرار الخلق  
عند الله تعالى
- ٥٤ الأسلوب السابع : الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قرن ذلك بطمس  
التمائيل
- ٥٨ الأسلوب الثامن : إنكاره على من طلبوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها
- ٦٠ الأسلوب التاسع : نهي ﷺ أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية
- ٦٤ **المبحث الثالث : هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها**
- ٦٤ **المطلب الأول : موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ  
على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء**
- ٦٦ **المطلب الثاني : تعامل الصحابة مع ما عرف من قبر الأنبياء**
- ٦٦ **المسألة الأولى : تعاملهم مع قبر النبي ﷺ**
- ٦٩ **المسألة الثانية : تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام**
- ٧١ **المطلب الثالث : موقف التابعين من اشتغال التوسعة للحجرة الشريفة في خلافة الوليد  
ابن عبد الملك**
- ٧٣ **المطلب الرابع : هدي الإسلام في زيارة القبور**

٧٩	( الباب الأول ) نشأة القبورية
٨١	( الفصل الأول ) : نشأة القبورية في العالم
٨٢	بين يدي هذا الفصل
٨٣	المبحث الأول : نشأة القبورية في العالم بأسره
٨٣	المطلب الأول : إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طرء الشرك
٨٤	المطلب الثاني : إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين
٨٩	المبحث الثاني : القبورية عند اليهود والنصارى
٨٩	المطلب الأول : القبورية عند اليهود
٩٠	المطلب الثاني : القبورية عند النصارى
٩٣	المبحث الثالث : قبورية اليونان وصلتها بقبورية المسلمين
٩٣	المطلب الأول : قبورية الأمة اليونانية
٩٤	المطلب الثاني : قبورية فلاسفة اليونان
٩٥	المطلب الثالث : اتباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور
٩٩	المبحث الرابع : القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية
٩٩	المطلب الأول : إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم الخنيفية السمحة
١٠٠	المطلب الثاني : القبورية هي أصل الوثنية عند العرب
١٠١	المطلب الثالث : انتشار الأصنام في جزيرة العرب
١٠٣	المطلب الرابع : الخنفاء من العرب



( الفصل الثاني ) : القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي ﷺ  
وإلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة

- ١٠٦ المبحث الأول : حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ وكيف قضى على الوثنية فيها
- ١٠٦ المطلب الأول : حال جزيرة العرب عند مبعث النبي ﷺ
- ١٠٦ المطلب الثاني : قضاء النبي ﷺ على الوثنية في جزيرة العرب
- ١١٠ المبحث الثاني : إنذار النبي ﷺ بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً
- ١١٠ المطلب الأول : الإنذار بعودة الشرك
- ١١١ المطلب الثاني : الرد على من زعم عدم عودة الشرك
- ١١٧ المبحث الثالث : خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها
- ١١٧ المطلب الأول : تصريح العلماء بخلو القرون المفضلة عن وجود والمشاهد المساجد على القبور
- ١٢٠ المطلب الثاني : ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبانٍ على القبور في تلك القرون
- ١٢١ المطلب الثالث : الرد على ما استدلوا به من الشبهات على وجود مبانٍ على القبور في تلك القرون
- ١٢٩ المطلب الرابع : التصريح بتسوية الصحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فسايط ونحوها
- ١٣٠ المطلب الخامس : محاولات الشيعة المبكرة لإنشاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك

١٣٧	( الفصل الثالث ) : نشأة القبورية في الأمة المحمدية والتعريف بأهم الفرق القبورية
١٣٨	المدخل
١٣٩	المبحث الأول : الشيعة ودورهم في نشر القبورية في الأمة
١٣٩	المطلب الأول : التعريف بالشيعة ( لغة واصطلاحاً )
١٤٠	المطلب الثاني : النشأة
١٥١	المطلب الثالث : عقائد الشيعة الباعثة على القبورية
١٥٢	قبورية الإمامية
١٥٩	عقائد الإسماعيلية الباعثة على القبورية
١٦٢	المطلب الرابع : دور الشيعة في نشر القبورية في الأمة
١٧٨	المبحث الثاني : الصوفية وورثة الشيعة في نشر القبورية في الأمة المحمدية
١٧٨	المطلب الأول : التعريف
١٨٠	المطلب الثاني : نشأة التصوف
١٩٠	المطلب الثالث : العلاقة بين التصوف والشيعة
٢٠٠	المطلب الرابع : عقائد الصوفية الباعثة على القبورية
٢٠٩	المطلب الخامس : دور الصوفية في نشر القبورية في الأمة
٢١٩	المبحث الثالث : مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية
٢١٩	المطلب الأول : لحة سريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ
٢٢٢	المطلب الثاني : الباعث الذاتي لقبورية السلاطين
٢٢٤	المطلب الثالث : الباعث السياسي لقبورية السلاطين

٢٢٩	( الفصل الرابع ) : نشأة القبورية في اليمن
٢٣٠	المبحث الأول : حال اليمن قبل نشوء القبورية
٢٣٠	المطلب الأول : إسلام أهل اليمن
٢٣١	المطلب الثاني : رسل النبي ﷺ إلى اليمن
٢٣٣	المطلب الثالث : مذاهب اليمنيين من فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية وفيه :
٢٣٣	التشيع
٢٣٥	الدعوة الإسماعيلية
٢٣٨	الحوارج
٢٤٠	التصوف
٢٤١	المذاهب الفقهية
٢٤٤	الفرق العقائدية غير ما تقدم
٢٤٨	المطلب الرابع : استمرار منهج السلف الصالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له
٢٥٥	المبحث الثاني : الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن
٢٥٥	المطلب الأول : طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن
٢٥٦	المطلب الثاني : نخبة عن الدولة الصليحية مؤسسة القبورية في اليمن
٢٥٩	سياسة الدولة الصليحية في تبني ونشر الإسماعيلية
٢٦١	ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحظر الواجبات
٢٦٤	المطلب الثالث : دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن
٢٧٠	المطلب الرابع : استمرار قبورية الإسماعيلية

٢٧٤	المبحث الثالث : السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن
٢٧٤	المطلب الأول : السلاطين هم وراء مظاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية
٢٧٥	المطلب الثاني : أئمة الزيدية ودورهم في نشر القبورية في اليمن
٢٨١	المطلب الثالث : الدولة الرسولية في نشر القبورية في اليمن
٢٨٥	المبحث الرابع : نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن
٢٨٥	المطلب الأول : نشأة الصوفية في اليمن
٢٨٨	المطلب الثاني : أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن
٢٨٨	الطرق الوافدة
٢٩١	الطرق المحلية
٢٩٤	أثر الدولة الرسولية في ترسيخ التصوف في اليمن
٢٩٧	( الباب الثاني ) : آثار القبورية
٢٩٩	المدخل
٣٠١	( الفصل الأول ) : عقائد القبورية الضالة
٣٠٢	المبحث الأول : عقيدة القطبية والتصرف في الكون
٣٠٢	المطلب الأول : تعريف القطب
٣٠٢	المطلب الثاني : اعتماد ما تقرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن
٣٠٥	المطلب الثالث : التصرف في الكون أهم وظائف القطب
٣١٠	المطلب الرابع : فروع عقيدة التصرف في الكون
٣٢٤	المبحث الثاني : عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة
٣٢٤	المطلب الأول : تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية
٣٢٥	المطلب الثاني : إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة

- المطلب الثالث : الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي ﷺ بقظة ٣٢٨
- المطلب الرابع : لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد ٣٣٢
- المبحث الثالث : الاعتقاد بحياة الخضر عليه السلام والالتقاء به ٣٣٤
- المطلب الأول : حقيقة الخضر عند أهل السنة والجماعة ٣٣٤
- المطلب الثاني : حقيقة الخضر عند الصوفية ٣٤١
- المطلب الثالث : نماذج من دعاوى الصوفية ، رؤية الخضر عليه السلام ٣٤٥
- المطلب الرابع : إبطال دعوة القوم في ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له ٣٤٧
- ( الفصل الثاني ) : تعظيم القبور ٣٥٥
- المبحث الأول : اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة ٣٥٦
- المطلب الأول : اعتقاد تعظيم وبركة مقابر مخصوصة ٣٥٦
- المطلب الثاني : اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة ٣٦١
- نماذج من القبور المعظمة في محافظة ( تعز ) ٣٦٣
- من قبور لحج وأبين ٣٦٥
- من قبور عدن ٣٦٥
- من قبور حضرموت ٣٦٧
- قبور من نواحي مختلفة ٣٦٨
- المطلب الثالث : اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور ٣٦٩
- المطلب الرابع : اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور ٣٧٠
- المطلب الخامس : اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين ٣٧١
- المطلب السادس : اعتقادهم أن بعض القبور متخصصة في قضاء حاجات معينة ٣٧٥
- المبحث الثاني : ظاهرة البناء على القبور وإسراجها وإلباسها ٣٧٨

المطلب الأول : القبور المعظمة الثابتة لصاحبها

٣٧٨ محافظة الحديدة وزبيد

٣٨٠ محافظة تعز

٣٨١ محافظة إب

٣٨١ محافظة لحج والضالع

٣٨١ محافظات عدن و أبين و شبوة

٣٨٢ محافظة حضرموت

المطلب الثاني : القبور المنسوبة إلى الأنبياء والقبور المجهولة

٣٨٤ القبر الأول : قبر نبي الله هود عليه السلام

٣٨٦ القبر الثاني : قبر نبي الله صالح عليه السلام

٣٨٨ القبر الثالث : قبر نبي الله شعيب عليه السلام

٣٨٩ القبر الرابع : قبر حنظلة بن صفوان

٣٩١ القبر الخامس : قبر هادون بن هود

٣٩٢ القبر السادس : قبر دانيال بن هادون بن هود

٣٩٣ القبر السابع : قبر النبي مولى رحيمة

المطلب الثالث : طريقة القوم في اكتشاف القبور المعظمة وإظهارها

٣٩٩ المطلب الرابع : المشاهد التي لا قبور فيها

٤٠٠ المطلب الخامس : إلباس القبور وكسوتها

المبحث الثالث : الزيارات القبرية

٤٠٣ المطلب الأول : علة زيارة القبور عند القبرية وأصلها الفلسفي

٤٠٧ المطلب الثاني : ظاهرة الزيارات القبرية

٤١٠ المطلب الثالث : شعائر الزيارات القبرية

- ٤١٨ المطلب الرابع : الفساد الأخلاقي في الزيارات وصلتها بالعقائد القبورية
- ٤٢٣ المطلب الخامس : الانحراف العقائدي المترتب على تلك الزيارات
- ٤٢٩ ( الفصل الثالث ) : أثر القبورية في نشر الأمراض الاجتماعية
- ٤٣٠ المبحث الأول : أثر القبورية في نشر السحر والكهانة في اليمن
- ٤٣٠ المطلب الأول : إثبات أن من الصوفية ( القبورية ) من يتعاطى علوم السيمياء وأسرار الحروف والأوقاف
- ٤٣٣ المطلب الثاني : إثبات أن من صوفية اليمن من يتعاطى تلك الأنواع من العلوم
- ٤٤٣ المطلب الثالث : إثبات أن منهم من يستخدم الجن
- ٤٤٨ المطلب الرابع : إثبات أن علوم السيمياء وإسرار الحروف من علوم السحر
- ٤٥٢ المطلب الخامس : تعريف الرمل وأنه من علوم الكهانة وبيان حكمه في الشرع
- استخدام الجن
- ٤٥٩ المبحث الثاني : نشر الخرافة في الأمة
- ٤٥٩ المطلب الأول : تعريف الخرافة
- ٤٦٠ المطلب الثاني : الخرافات الناشئة عن الانحرافات في مفهوم الولاية
- الدعوى الكاذبة
- ٤٨٥ المطلب الثالث : الانحرافات الناشئة عن الانحراف في مفهوم الكرامة
- ٤٨٩ المطلب الرابع : آثار انتشار الخرافة
- ٤٩٣ المبحث الثالث : التمايز الطبقي مظاهره ووسائل تكريسه
- ٤٩٣ المطلب الأول : عدالة الإسلام وتسويته بين الناس

- المطلب الثاني : إثبات وجود طبقات مترفعة على المجتمع باسم النسب  
والعلم والولاية ٤٩٤
- المطلب الثالث : مظاهر التمايز الطبقي ٤٩٩
- المطلب الرابع : نماذج من الخرافات التي استخدمه القبورية لتعميق  
سلطتهم واستعلائهم ٥٠٧
- المبحث الرابع : انتشار الجهل والامية في الأمة ٥٠٩
- المطلب الأول : حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية ٥٠٩
- المطلب الثاني : أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية ٥١٠
- المطلب الثالث : تجهيل الأمة ٥١٣
- ( الباب الثالث ) : مواجهة علماء اليمن للقبورية ٥١٧
- الفصل الأول : أساليب القبورية في محاربة مخالفيها ٥١٩
- المبحث الأول : أسلوب الاحتواء والاختراق ٥٢٠
- المطلب الأول : محاولة احتواء المخالف ٥٢٠
- المطلب الثاني : محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطها ٥٢٢
- المبحث الثاني : الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية ٥٢٥
- المطلب الأول : تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم ٥٢٥
- المطلب الثاني : استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب  
المخالف ٥٢٩
- المبحث الثالث : استخدام القوة في محاربة الخصم ٥٣٣
- المطلب الأول : اللجوء إلى السلطان ٥٣٣
- المطلب الثاني : اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع  
خصومها ٥٤١



- ٥٤٨ المطلب الرابع : تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة
- ٥٥١ (الفصل الثاني): موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم  
المشكورة في مواجهتها
- ٥٥٢ تمهيد : في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات
- ٥٥٥ المبحث الأول : موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية
- ٥٥٥ المطلب الأول : موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية
- ٥٦٢ المطلب الثاني : أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن
- ٥٦٢ العَلَم الأول : محمد بن مالك بن أبي القبائل
- ٥٦٦ العَلَم الثاني : يحيى بن حمزة
- ٥٦٧ المطلب الثالث : المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية
- ٥٦٩ المبحث الثاني : المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية
- ٥٦٩ المطلب الأول : جهود علماء اليمن الأعلى
- ٥٧٠ العَلَم الأول : الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني
- ٥٧٥ جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية
- ٥٧٩ العَلَم الثاني : الإمام محمد بن علي الشوكاني
- ٥٨٥ جهود الشوكاني في مواجهة القبورية
- ٥٨٧ المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء اليمن الأعلى
- ٥٨٨ المطلب الثاني : جهود علماء اليمن الأسفل في مواجهة القبورية
- ٥٨٨ العَلَم الأول : العلامة عقيل بن يحيى الإرياني
- ٥٩٢ العَلَم الثاني : العلامة أحمد بن محمد العبّادي

- ٥٩٤ العَلَمُ الثالث : العلامة محمد بن سالم البيحاني  
أثره الخاص في مواجهة القبورية
- ٥٩٩ المطلب الثالث : جهود علماء قهامة في مواجهة القبورية
- ٦٠٠ العلامة حسين بن مهدي النُّعْمي
- ٦٠٣ المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء قهامة
- ٦٠٤ المطلب الرابع : جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية
- ٦٠٤ العَلَمُ الأول : علي بن أحمد باصيرين
- ٦١١ العَلَمُ الثاني : محمد بن علي بافضل
- ٦١٣ الأثر الذي خلفه : كتاب دعوة الخلف إلى طريقة السلف
- ٦١٥ العَلَمُ الثالث : العلامة عبدالله بن عوض بكير
- ٦١٨ آثاره في محاربة القبورية
- ٦٢٢ المؤلفات المفردة في الرد على القبورية لعلماء حضرموت
- ٦٢٣ المبحث الثالث : الردود الواردة على القبورية في كتب الفنون المختلفة
- ٦٢٣ المطلب الأول : الردود على القبورية في كتب التاريخ
- ٦٣١ المطلب الثاني : الردود على القبورية التي جاءت على ألسنة الشعراء
- ٦٤٥ المطلب الثالث : نقول عن بعض من يعتقدهم القبورية في نقد عقائدهم وأعمالهم
- شهادة حق في أصحاب وحدة الوجود
- ٦٥٥ المطلب الرابع : فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمال القبورية
- ٦٧٢ المبحث الرابع : الجهود العملية لمواجهة القبورية
- ٦٧٢ المطلب الأول : أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القبورية
- ٦٧٢ التعريف والنشأة

٦٧٣	المآخذ على الدعوة النجدية
٦٧٤	علاقة الدعوة النجدية باليمن
٦٧٥	وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت
٦٧٨	المطلب الثاني : دعوة الإرشاد ياندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن
٦٧٩	المطلب الثالث : جهود أئمة وعلماء اليمن في المواجهة العملية للقبورية
٦٨٣	المطلب الرابع : الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن
٦٨٤	نماذج من تلك الجهود
٦٨٩	الخاتمة :
٦٩٤	الفهارس العامة :
٦٩٥	فهرس الآيات :
٧٠٦	فهرس الأحاديث :
٧١١	فهرس الآثار :
٧١٣	فهرس الأعلام المترجمين :
٧١٨	فهرس المصادر :
٧٤٦	فهرس الموضوعات :